دوغلاس ريد

الجدل حول صهيون



ترجمة : م. أديب فارس



الجدل حول صهيون

Дуглас Рид

Спор
о
Сионе

دوغلاس ريد

الجدل حول صهيون

ترجمة

م. أديب فارس



منشورات دار علاء الدين

- **الجدل حول صهيون.**
- تأليف: **دوغلاس ريد.**
- ترجمة: **م. أديب فارس.**
- الطبعة الأولى ٢٠٠٥.
- عدد النسخ /١٠٠٠/ نسخة.

- تمت الطباعة في دار علاء الدين للنشر.
- **هيئة التحرير في دار علاء الدين.**

- الإدارة والإشراف العام: **م. زويا ميخائيلينكو.**
- التدقيق اللغوي: **صالح جاد الله شقير.**
- المتابعة الفنية والإخراج:

أسامة راشد رحمة.

دار علاء الدين

للنشر والتوزيع والترجمة

سورية، دمشق، ص.ب: ٣٠٥٩٨

هاتف: ٥٦١٧٠٧١، فاكس: ٥٦١٣٢٤١

البريد الإلكتروني: ala-addin@mail.sy

مقدمة

لمحة عن الكاتب

كان اسم «دوغلاس ريد» واسع الصيت في أوربة وبالتحديد في فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية. وفي السنوات الأولى التي تلتها. لقد بيعت الآلاف من النسخ من كتبه ومؤلفاته وفي مختلف البلدان الناطقة بالإنكليزية وقد كان ذائع الصيت لجيش كامل من القراء والمعجبين. واكتسب شهرة واسعة عندما كان مراسلاً سابقاً للتايمز اللندنية بفضل كتبه «سوق الجنون» «العار العظيم» «لكي لا يطالنا الندم» «في مكان ما جنوب قناة السويس» «البعيد الواسع» وكثير غيرها.

ويشهد كل من هذه الكتب على اتساع حقل مجالات عمل المؤلف بوصفه واحداً من كبار المراسلين في الصحافة العالمية. ولكن فجأة أصبح «دوغلاس» ومؤلفاته ضحية للضياع والنسيان ولم يكن الزمن وحده فقط المسؤول عن ذلك، بل وعلى العكس يمكن القول إن المكانة التي حققها في أعلى سني شهرته تشهد فيما تشهد على الاتجاه الصحيح لتحليلاته للتاريخ الحديث.

ومباشرة بعد عام /١٩٥١م/ حيث ظهر كتابه «البعيد والواسع» وفيه حلل ببراعة تاريخ الولايات المتحدة على ضوء كل ما جرى في أوربة من سياسة عالمية أخذت أعمال «دوغلاس» تختفي من الأسواق وأغلقت أمامه أبواب دور النشر وصودرت الكتب المطبوعة من المكتبات أو اختفت وضاعت من هناك ولم يتم الحصول على بديل عنها.

وهكذا وصل إلى نهاية مستقبله المهني ولكن ذلك سمح لـ «دوغلاس» أخيراً بممارسة المهمة الكبيرة التي وضعها أمام نفسه والتي بالمقارنة معها تكون حياته المهنية السابقة كلها عبارة عن فترة تحضير وتدريب لا تقدر أي جامعة أن تقدمها ويمكن أن يستفيد منها فقط قليل من الناس المحظوظين والذين لديهم نبوغ متميز، لقد عمل ولسنوات عديدة مراسلاً أجنبياً، وتجول في أوربة وأمريكا وكان له علاقات ولقاءات مع أهم الساسة في عصرنا هذا. وكذلك كان متبعاً عن طريق المطالعة والاطلاع على أفضل ما في الثقافة والمعارف الأوربية، وأما الأمر الذي عده البعض هزيمة وفشلاً فكان بالنسبة لـ «دوغلاس» حافزاً ليركز كل قواه للوصول إلى الأمر الأهم في نظره وهو إعادة استيعاب وتحليل وتصور واضح لفترة ألفي عام من تاريخ

البشرية، وبشكل يوضح للجماهير الواسعة الكثير من الأمور والجوانب الغامضة والمحظورة بشكل مستور من الحياة السياسية المدنية.

لمحة عن الكتاب

أمضى «دوغلاس» بدءاً من عام /١٩٥١م/ أكثر من ثلاث سنين بعيداً عن زوجته الشابة وأطفاله وهو يعمل في مكتبة نيويورك المركزية، أو وراء الآلة الكاتبة وفي ظروف «إسبارطية» قاسية في نيويورك ومونتريال، وقد كتب خلال تلك الفترة كل الـ /٣٠٠٠٠٠/ كلمة الموجودة في كتابه أما الخاتمة فقد انتهى منها فقط في عام /١٩٥٦م/.

والظروف غير الاعتيادية التي كتب فيها هذا المؤلف وكذلك كون مخطوطته الكتابية بقيت مخبأة فترة عشرين سنة قبل أن تطبع إنما هي تعبير عن جزء من تاريخ عصرنا هذا، وهي تلقي الضوء على النضال الدؤوب في مجال النفس البشرية وهو أمر يجهله معاصرونا.

لقد أبدى المؤلف إصراراً عنيداً وقوة معنوية خارقة لإتمام كتابه المؤلف، وتطلب الأمر بحوثاً واسعة ومراجعة دقيقة لجميع المراجع. وقد كان إمكان طبع الكتاب وظهوره إلى النور خلال حياة الكاتب ضئيلة جداً وبقيت مخطوطاته محفوظة لمدة /٢٢/ سنة في إحدى خزائن «دوغلاس» في «دوربان» في جنوب أفريقيا.

وغمر «دوغلاس» ارتياح عميق لشعوره بأنه تمكن من دفع عمله إلى أقصى الحدود الممكنة في زمننا هذا ولذلك تراه اقتنع بضرورة تركه للعمل الصحفي والتأليف. لقد حرق سفن الماضي واندفع بقلب صافٍ خفيف نحو مجال عمل مختلف تماماً وحيث لم يخطر على بال أحد من أصدقائه ومحبيه أنهم على علاقة بكاتب له قدر عالمي من الشهرة.

وكان على ثقة تامة بأنه سيأتي الوقت- خلال حياته أو بعد مماته- وستسمح الظروف وستظهر الموارد المادية التي ستسمح بإيصال الصيغة الجديدة لتاريخ البشرية إلى جموع القراء وإلى وعي الذات المسيحي.

لمحة عن محتوى الكتاب

جدل حول صهيون هو أمر يُعرّف بذاته. وهو عبارة عن إعادة نظر جذرية للتاريخ الحديث انطلاقاً من أهم المشكلات والمسائل الدينية- السياسية لعصرنا الحديث، وهو أمر تشهد به كل صفحة في الكتاب. إنها مفعمة بالعطف وتفهم الشعوب، إلا أنها تنهال بالنقد القاسي على الغطرسة الخطيرة للزعماء السياسيين لتلك الشعوب.

وفي الفصل الأخير بعنوان «الذروة والأزمة» كتب «دوغلاس ريد» يقول: إنه لو استطاع عند بدء الكتابة في عام /١٩٤٩م/ أن يتنبأ بكل ما سيحدث فيما بعد فإنه لم يكن ليختار مسبقاً وقتاً أفضل من عام /١٩٥٦م/ لتحليل التاريخ الطويل للصهيونية التلمودية وكشف تأثيرها على كل ما يجري في وقتنا الحاضر في مجال السياسة العالمية.

عام /١٩٥٦م/ هذا. كان عام الانتخابات الرئاسية الجديدة في أمريكا وحيث أظهر الصهاينة من جديد قدراتهم على التأثير الحاسم على سياسة الغرب. لقد كانت شعوب الغرب في تلك السنة شاهداً لا حول له ولا قوة على التدخل السوفييتي في المجر «هنغاريا» الذي أعاد البلد إلى النظام العبري- الشيوعي. وفي نفس العام وتحت التأثير الصهيوني انزلقت فرنسا وإنكلترا نحو الهزيمة عند محاولتها احتلال قناة السويس وهي مغامرة كان المستفيد الوحيد منها، كالعادة، هو إسرائيل.

إن كل ما جرى في السياسة العالمية منذ كتابة «ريد» للسطور النهائية لكتابه يؤكد صحة تحليلاته لفترة عاصفة تزيد عن الألفين من السنين من تاريخ البشرية.

لا يزال الشرق الأوسط مسرحاً لنشاط سياسي عاصف ويصيب التزوير الهائل كل المعلومات والأنباء السياسية، ويتم سحق أي محاولة ضئيلة للتحليل والشرح الموضوعي للأحداث الجارية. وفقط قليل ممن هم على اطلاع على دور الصهيونية التلمودية مكنهم التعرف على خفايا الأحداث السياسية المهمة المتعاقبة مثل حرب «الأيام الستة» عام/١٩٦٧م/ وكذلك الغزو الإسرائيلي الواسع للبنان عام /١٩٨٢م/.

إن من يقرأ «الجدل حول صهيون» لن يستغرب الشواهد والأدلة الدافعة للتواطؤ السوفييتي الإسرائيلي قبيل العدوان الإسرائيلي على مصر عام /١٩٦٧م/. فقد قامت القيادة السوفييتية «بتحذير» «عبد الناصر» عن تحضير مزعوم لعدوان إسرائيلي على حليفه السوري، وهو أمر أدى إلى حشد القوات المصرية على الحدود مع إسرائيل حيث أصبحت غنيمة سهلة للقوات الإسرائيلية المتفوقة عليها عدة مرات.

ولم يتغير الأمر كما يبدو عام /١٩٨٢م/ حيث بدأت إسرائيل غزواً غير مألوف من حيث الاتساع والقسوة والعنف لجنوب لبنان تحت ذريعة القضاء على الفدائيين الفلسطينيين، ولكن في الحقيقة كان الهدف هو التوسع والاستيلاء على الأراضي وهو أمر لم تحاول القيادة الإسرائيلية أبداً التستر عليه.

ولكن كما يبدو أن ادعاءات الساسة والصحافة الغربية الصهيونية والتي تظهر إسرائيل دائماً ضحية وضعيفة وتحتاج للمساعدة دائماً هذه الادعاءات بدأت تفقد ألقها لذلك

لم يستغرب أحد عندما أعلن المعهد البريطاني للدراسات الإستراتيجية، أن إسرائيل في الوقت الحاضر هي رابع أقوى دولة في العالم بعد الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي والصين الشيوعية. وهي تسبق بذلك بريطانيا وفرنسا، كذلك تلفت النظر أكثر ردة فعل المجتمع العبري في داخل إسرائيل وخارج حدودها حول ما اعتبر نصراً صهيونياً في لبنان. وبخلاف الصمت المعهود للساسة والصحافة الغربية حتى بعد أن ذبح بوحشية أكثر من /١٥٠٠/ رجل وامرأة وطفل في مخيمات فلسطينية في بيروت قام /٣٥٠٠٠٠/ من سكان تل أبيب بالتظاهر ضد حكومتهم، أما الصحافة العبرية فذكرت أن أحداث لبنان أدت إلى اضطرابات جدية داخل الجيش الإسرائيلي.

من الواضح إن «دوغلاس» تنبأ بذلك أيضاً عندما كتب في أحد آخر السطور من كتابه. اعتقد أن العبرانيين في جميع أرجاء العالم سيفهمون أيضاً خطر ومضار الصهيونية الثورية- وهي شبيه وبديل لحركة أخرى تخريبية في العالم- وليس من المستبعد أنه في نهاية قرننا هذا سيتوصلون هم أيضاً إلى فهم ضرورة السير بنفس الطريق مع البشرية جمعاء.

إيغور بنسون
جنوب إفريقيا

الفصل الأول

الأصول والبداية

تعود بداية هذه القصة إلى عام /٤٥٨ق.م/ وهو أمر سيعرض بتفصيل أكبر في الفصل السادس. في ذلك العام قامت قبيلة صغيرة من اليهود الفلسطينيين «كان الإسرائيليون قد نبذوها قبل ذلك بفترة قصيرة» بإعلان المذهب العرقي والذي كان تأثيره على مصير الأجيال القادمة أكثر تدميراً من اختراع المواد المتفجرة ومن انتشار الأوبئة. وقد أُعلنت نظرية العرق السائد والمتفوق على أنها الميثاق اليهودي. ووقتها كان اليهود جماعة صغيرة بين الشعوب الأخرى الخاضعة للحكم الفارسي ولم يكن ما يدعى اليوم بالغرب موجوداً حتى في الخيال. وبعد ألفي عام من العصر المسيحي تتهدد الحضارة الغربية المنبثقة عنه بالخراب والانحلال ويرى المؤلف أن السبب الرئيسي في ذلك هو المذهب المذكور أعلاه والمنبثق في اليهودية قبل ألفين وخمسمائة سنة.

إن كل المسار التاريخي بدأ من السبب الأول المذكور هذا وتأثيره وإلى وقتنا الحاضر يمكن متابعته بوضوح لأنه حدث في فترة يمكن إخضاعها للتدقيق العلمي.

لقد أسست مجموعة من المتعصبين وأطلقت تعاليم استطاعت من خلالها السيطرة على عقول شعب بكاملة على مدى فترة تمتد /٢٥/ قرناً.

ومن هنا نتائجها الهدامة. ولا يقدر أحد تفسير لماذا ظهر ذلك المبدأ في ذلك الوقت بالذات أو حتى كيف ظهر. إنها أحد خفايا وأسرار عالمنا. وبالطبع يمكن محاولة الوصول إليها بالافتراض أن مقولة «أي فعل يؤدي إلى رد فعل مساوٍ له» هي أيضاً صادقة في مجال التفكير الديني وأنه في الوقت الذي بحثت فيه البشرية عن إله أوحد مُحب وشامل للجميع ولدتْ وظهرت هذه العقيدة القاسية والمتناقضة عن الألوهة القبلية الحقودة المتعطشة.

لقد كانت اليهودية ظاهرة متخلفة حتى عام /٤٥٨ق.م/ لأن الناس حتى في ذلك الوقت. أخذوا يتركون عبادة الأصنام والآلهة القبلية. باحثين عن رب شامل أحد. رب العدل والمحبة

ولقد آشار- «كونفوشيوس» و «بوذا» - في وقتهما إلى طريق في هذا المنحى. وقد كانت فكرة الإله الواحد معروفة أيضاً عند جيران اليهود.

غالباً ما يؤكد البعض في الوقت الحاضر أن على المسيحيين والمسلمين وغيرهم من المؤمنين شكر اليهودية ويغض النظر عن أخطائها وذلك لأنها وحسب ادعائهم كانت الدين الشامل الأول، وأن الديانات التوحيدية الأخرى إنما أُفرزت عنها. هذا ما يتعلمه كل طفل يهودي[1].

ولكن الحقيقة كانت في أن فكرة الرب الأوحد عُرفت قبل ظهور الطائفة اليهودية إلى الوجود، وأن اليهودية ليست من اكتشفت هذه الفكرة بل على العكس قامت بتهميشها ونفيها.

لقد عثر في أحد المقابر الفرعونية على كتاب «الموتى» وفيه لوائح تعود إلى أكثر من /٢٦٠٠/ سنة ق.م أي قبل ألفي عام من «القانون» اليهودي وفيه نقرأ ما يلي «يسي أنت واحد أحد. ربي منذ بداية الزمن. وريث الخلود. يا من كونت نفسك ولم يخلقك آحد. لقد صنعت الأرض وخلقتَ البشر». أما كتابات اللاويين في اليهودية فعلى العكس تماماً تتساءل «من يضاهيك بين الآلهة»؟ «الخروج». لقد قامت الجماعة المسيطرة على اليهود بالاعتماد الظاهري لمقولة الرب الأوحد والشامل. وأدخلت ذلك إلى الكتابات المقدسة فقط لتحطمها ولتعلن عقيدة جديدة أساسها نفي ذلك. وعلى الرغم من الحيطة والحذر فقد ظهر في هذا النفي الكثير من الاحتقار. لقد استوجبت التعاليم عن العرق الأفضل والسائد وجود هذا النفي لا محالة. آجل ما دام هناك جنس يسود على الجميع فهذا الجنس هو الرب. هذه هي العقيدة المعلنة عام /٤٥٨ق.م/ في اليهودية كميثاق دائم وهي كانت ولا تزال حتى الوقت الحالي ظاهرة فريدة ووحيدة في العالم.

وبحسب هذه التعاليم انتقى الرب القبلي «يَهْوَه» الإسرائيليين «عملياً فقط اليهود وحدهم» وجعل منهم شعبه المختار ووعدهم أن يكونوا فوق كل الشعوب وسيحصلون على آرض الميعاد في حال تنفيذهم لوصاياه وأوامره. ومن هذه العقيدة بالذات وحسب التوقع أو للضرورة برزت ونمت فيما بعد نظريات «السبي» و «التدمير». وقد زعم أن «يَهْوَه» فرض العبادة في مكان محدد وبلد محدد وبالتالي على جميع عباده العيش في ذلك المكان فقط. ولكن بما

١- في السنوات الأخيرة آخذوا بتدريس ذلك للأطفال المسيحيين، وليس فقط في المدارس الحكومية بل وحتى في المدارس الدينية.

أن تواجدهم مع بعضهم بعضاً في مكان واحد كان مستحيلاً فإن اليهود وفي حال عيشهم كرهاً أو طواعية بين شعب آخر كانوا يُعدون أنفسهم سبايا لهذا الشعب وبالتالي وجب تدميره واقتلاعه من جذوره، ولا يهم أبداً هل كان ذلك الشعب غاصباً ومحتلاً لهم أم أنه فقط صاحب أرض واستضافهم لقد تقرر مصيره إنه الدمار أو العبودية. ولكن قبل تدمير تلك الشعوب أو استعبادها. كانت تُعلن على أنها ظالمة لليهود وغالباً دون أن تدري وخارجاً عن إرادتها وذلك ليستخدم «يَهْوَه» تلك الشعوب كأداة عقاب لليهود لخروجهم عن طاعته. فقط هكذا أظهر نفسه كرب أوحد لكل الشعوب على الرغم من أنه كان يعترف فقط بشعب واحد مختار ويستخدم الشعوب الوثنية لمعاقبة اليهود لمخالفتهم الميثاق والعهد وحتى تحين ساعة تدمير تلك الشعوب حسب تقديره.

هذه هي العقيدة اليهودية وعلى الرغم من أن العهد كان بين «يَهْوَه» وأبناء إسرائيل فإن هؤلاء الآخرين «أبناء إسرائيل» تنصلوا من اليهودية قبل عام /٤٥٨ق.م/ بكثير واختلطوا بالشعوب الأخرى واعتنقوا عقيدة الرب الواحد الشامل والمحب. وكما هو معلوم لم يكن لدى الإسرائيليين أبداً مذهب عرقي. لقد عاش هذا المذهب مئات السنين كدين عبراني أو يهودي والذي كان بحق من ابتداع اليهود اللاويين.

معظم الأحداث التي جرت قبل عام /٤٥٨ق.م/ هي على الأغلب عبارة عن أساطير وحكايات أما فيما بعد هذا التاريخ فهي أحداث معروفة جيداً. لأن ما جرى قبل /٤٥٨ق.م/ كان ينقل محكيا أما التأريخ وتسجيل الأحداث كتابة فجرى تقريباً قبل مئتي عام من ذلك وفي الفترة التي نُبذ اليهود فيها من قِبل الإسرائيليين. في ذلك الوقت بالذات تحول الكلام المحكي إلى كتابه مقدسة ولكن الحقيقة فيها تعرضت إلى تحريف وتزوير.

إن ما وصل إلينا من كلام الإسرائيليين الأوائل يدل على بحثهم عن الرب الأوحد وصداقتهم مع جيرانهم من الشعوب وقد قُلبَ كل ذلك رأساً على عقب على يد الكهنة الرُحل واليهود المنعزلين وهم من أرسى «يَهْوَه» كرب للعنصرية والكراهية والانتقام.

وحسب الحكايات القديمة كان «موسى» زعيماً لقبيلته وجماعته وقد سمعَ صوت الرب الأوحد من حرش الشوك المحترق وعند هبوطه من الجبل أطلع شعبه على وصايا الرب الأخلاقية.

من المعروف أنه في ذلك الزمن تناقل الناس وتبادلوا الأفكار الدينية بعد تعديلها وأغنائها. ولقد ذكرنا سابقاً من أين أتت فكره الرب الواحد على الرغم من أن المصريين قد يكونون استعاروها قبل ذلك من شعوب أخرى.

وقصة التقاط الطفل «موسى» من النهر هي بلا شك تكرار لأسطورة أكثر قدما وهي عن الملك البابلي «صارغون الأكبر» الذي عاش قبل «موسى» بألف أو ألفي سنة. أما وصايا «موسى» فهي على شبه كبير بالقوانين المصرية والبابلية والآشورية القديمة. لقد عاش الإسرائيليون القدماء بأفكار زمنهم. وكانوا على ما يبدو على استعداد لتقبل دين شامل عندما ابتلعهم التاريخ. في ذلك الحين أعاد اللاويون الأحداث إلى الوراء وكأنك تعرض شريطاً سينمائياً من أخره. من النهاية إلى البداية.

ومع سيطرتهم على اليهودية وابتداعهم لقانونهم ومبادئهم. استخدم اللاويون أساطير وحكايات الشعوب الأخرى ولكنهم أعطوا هذه الحكايات أشكالاً تناسبهم وتناسب أهدافهم. لقد بدأوا بالرب الواحد العادل رب الجميع فقاموا ومن خلال عملية ابتداع الكتب الخمسة للقانون المكتوب بتحويله إلى «يَهْوَه» العنصري القبلي والمساوم الذي وعدهم بالأرض والثروات والدم والسلطة على الآخرين لقاء طقوس الأضاحي، والتي يجب إن تتم في مكان حدده هو في بلد محدد، وبهذا الشكل خلق اللاويون عقيدة مضادة لكل الأديان الشاملة مما جعل اليهودية تتطابق مع مبدأ الانعزال والانزواء، وأعطاها طابع الكره العرقي والتعطش للدم تحت ستار الدين والثأر. ويمكن عند دراسة العهد القديم الاكتشاف بوضوح متى حدث بالذات تشويه وتحريف محتواه.

ففي البداية جاء «موسى» حاملاً للوصايا الأخلاقية والعلاقات الحسنة مع الجوار ولكنه انتهى كقاتل وعنصري وتحولت الوصايا الطيبة إلى العكس تماماً ما بين كتاب «الخروج» وكتاب «الأعداد».

وتغيرت طبائع الرب ذاته الذي في البدء قال «لا تقتل» «ولا تشته زوجة قريبك ولا خيراته» ولكنه انتهى إلى إصدار الأوامر بالقضاء على الشعب المجاور والإبقاء على قيد الحياة فقط العذارى اللواتي لم يعرفن الرجال. وهكذا تمكن الكهنة الرُحل اللذين قادوا الطائفة اليهودية لفترة طويلة من إبعاد الشعب الصغير المسبي عن الإيمان الجديد بالرب الواحد وابتدعوا عبادة الآلهة القبلية العنصرية فقط لكي يرسلوا أتباع هذه الآلهة إلى السنين القادمة ويضعوا على أكتافهم مهمة التخريب والدمار.

وحددت العقيدة الجديدة الوحي الإلهي ذاته لأن جميع الأحداث التاريخية كان يجب إن تتوافق معه وبالتالي تؤكده. وعاد الشكل الجديد للتاريخ إلى نقطة خلق الكون، ولكن اللاويين تظاهروا بأنهم يعرفون المستقبل أيضاً وهكذا اكتملت النظرية والقصة وتاريخ الكون حيث النهاية ستكون انتصار أورشليم وسيادتها على الشعوب الأخرى بعد تدمير ممالكها.

موضوع السبي الجماعي والذي انتهى بانتقام «يَهْوَه» من «جميع مواليد مصر الجدد» ومن ثم الخروج الجماعي والاستيلاء على «أرض الميعاد» هذا الموضوع المختلف والمزعوم جرى ابتداعه لتحويل اليهود إلى عنصر قلق دائم للشعوب الأخرى. على أن جميع العلماء والباحثين في اليهودية ينفون وجود أي «خروج» حقيقي في التاريخ. وحتى وجود «موسى» ذاته يثير الجدل. وقد كتب الحاخام العالم «إيميل غيرش» في وقته ما يلي:

يحدثونكم عن أن «موسى» لم يوجد أبداً. أنا موافق وإن قالوا لي إن أحداث مصر هي أسطورة لن اعترض أيضاً لأنها فعلاً أساطير. ثم يخبرونني أن كتاب «إيساي» في شكله الحالي جُمِعَ من ثلاث كتابات أو أربعة كتب في أوقات مختلفة. كنت على علم بكل ذلك قبل أن يخبروني به بوقت كبير. كنت على يقين بهذا الأمر حتى قبل أن عرفوا هم به. عاش «موسى» أم لم يعش لم يستطع هذا الرجل قيادة الخروج من مصر باتجاه كنعان «فلسطين». وحسب شهادة عالم حاخامي آخر هو «آلمير بيرغر» فإنه عندما تمكن المدعو «موسى» إخراج مجموعة صغيرة من جماعته من العبودية المصرية. في ذلك الوقت لم تكن توجد أي قبائل إسرائيلية. أما ما يدعى باسم «عبيرو» «هبيرو» فقد عاشوا منذ وقت بعيد في كنعان بعد قدومهم من بابل البعيدة واسم «عبيرو» يعني ويشير إلى البدو الرُحّل وهو لا يحدد أي عرق ولا قبيلة ، وقد انتشروا بكثرة في أرجاء كنعان قبل أن يخرج «موسى» ويصل إلى هناك مع مجموعة صغيرة من المهاجرين «المستعمرين». وفي إحدى الرسائل قام حاكم أورشليم التابع لمصر بإبلاغ فرعون بما يلي: (لم يعد لدى الملك أي أرض هنا. لقد أتلفها كلها «العبيرو»). وكذلك تكلم حول هذا الأمر أحد أكثر المؤرخين الصهاينة حماساً وهو الدكتور «يوسف كاستين» وهو باحث سنستند إلى أعماله مرارا حيث قال: (لقد سكنت القبائل السامية والعبرانية منذ زمن بعيد أرض الميعاد التي قال «موسى» لأتباعه بأنها تخصهم حسب حق ميراث قديم. ولا يهم أبداً أن تكون الظروف الحقيقية في كنعان قد مسحت هذه الحقوق وجعلتها خيالاً). وبالتالي يتضح ومن وجهة النظر التاريخية أن السبي المصري «وقتل كل المواليد الجدد في مصر» وكذلك الخروج من مصر واحتلال أرض الميعاد- هي فقط عبارة عن أساطير، وعند البحث فيها يتضح بأنها خيال ولكن على الرغم من ذلك فقد أدخلت مهمة الانتقام إلى العقول ولا تزال هذه المهمة مستمرة وتعمل إلى يومنا هذا.

ومما لا شك فيه أن جميع هذه الأساطير ابتدعت بهدف فصل اليهود عن وصايا وتعاليم ربهم السابق الذي تكلم من الحرش المحترق وعلمهم قوانين الأخلاق البسيطة ودعا إلى حياة هادئة آمنة مع جيرانهم.

إن إدخال المقاطع المجازة والمستعارة «مثل السبي المصري والخروج» إلى داخل الكتاب المقدس وتصويرها على أنها حقيقة تاريخية حرفت الوصايا السابقة وحولتها إلى العكس تماماً وثبتت الاستثنائية والكراهية والانتقام. وبهذه الصفات المزعومة ومع هذه العقيدة أُرسلت جماعة صغيرة من الناس لتسيطر على المستقبل.

وتبتعد حقبة «موسى» عن عام /٤٥٨ق.م/ بمئات السنين والتي خلالها تغير الكثير. فقد أزاح «العبيرو» السكان الأصليين من كنعان عن طريق الغزو والاستيطان والتزاوج وخرج «العبيرو» بقبيلة جديدة هي بن إسرائيل «أبناء إسرائيل» وقد تفرقت بدورها إلى الكثير من القبائل الجديدة مترابطة بضعف فيما بينهما وغالباً ما تتقاتل مع بعضها بعضاً. وأهم هذه القبائل:

الإسرائيليون هم الذين استوطنوا شمالي كنعان أما في الجنوب فتكونت قبيلة اليهود المنعزلة والمحاطة بالسكان الأصليين، وهناك بالذات تشكل وتكون المذهب العرقي على مدى مئات السنين ومن هناك ظهرت كلمات «اليهودية» و «العبرية». ومنذ أيامها الأولى تميزت القبيلة اليهودية بمزايا غريبة. لقد كانت دائماً منعزلة وعلاقاتها سيئة مع جيرانها. ويغمر الغموض جذورها وأصلها وفي اسمها الضغنين «المشؤوم» يوجد صدى نذير ما وكأن هذه الطائفة ومنذ البداية كانت قد عزلت فقط ولم تنتقَ وتصطفَ لتصبح مختارة.. وتشير وثائق اللاويين إلى هذه الطائفة على أنها قسم من الإسرائيليين. ولكن بما أن الإسرائيليين اختلطوا بالشعوب الأخرى فذلك يجعل اليهود كما يبدو آخر من له الحق بالهبات والعطايا التي وعد بها «يَهْوَه» الشعب المختار. ولكن كذب هذا الادعاء تكشفه شهادة «الموسوعة العبرية» في ذكرها لليهود: «هم في الغالب ليسوا قبيلة إسرائيلية». هكذا كان هذا الشعب الغريب الأطوار والذي جَلب إلى المستقبل مبدأ «الشعب المختار» اللاوي الابتداع والصنع وفيه يزعم أن «يَهْوَه» وعدهم بالحصول على أرض الميعاد وبالسيطرة على الشعوب الأخرى بشرط تنفيذهم الدقيق «لتعاليمه ووصاياه» وقد ادخل اللاويون في التعديل النهائي للتعاليم تكرار الطلب «بالتدمير الكامل» و «الاقتلاع من الجذور» و «الدمار» وهكذا ترتب على الطائفة اليهودية أن تلد شعباً دوره الوحيد يكمن في التدمير.

الفصل الثاني

نهاية إسرائيل

قبل /٥٠٠/ سنة من كتابة أحداث/٤٥٨ق.م/ أي قبل نحو/٣٠٠٠/ سنة من الآن جاءت نهاية العلاقة القصيرة والضعيفة بين اليهودية وإسرائيل «أبناء إسرائيل». إسرائيل رفضت المبدأ اليهودي حول الشعب المختار واختارت لنفسها طريقاً خاصاً بها.

«أطلق اسم إسرائيل على الدولة الصهيونية في فلسطين عام /١٩٤٨م/ وهو ادعاء باطل واغتصاب لاسم الغير» ويعود تاريخ التوحيد غير الموفق لهاتين القبيلتين إلى القرون السابقة. وبعد عصر «موسى الأسطوري» جاءت الحقبة الكنعانية عندما كانت إسرائيل دولة قوية ومتكاتفة ولها حدود واضحة: اتحاد الشمال لعشر قبائل وأما «يهودا» والتي انضمت إليها «قبيلة بنيامين» الصغيرة فكانت عبارة عن استيطان صغير في الجنوب. و «يهودا» هذه هي التي ولدت الصهيونية وكانت تتمتع بصيت سيئ. فلقد باع «يهودا» للإسرائيليين أخاه «يوسف» وهو الابن المحبوب لـ «يعقوب» وفقط بمبلغ /٢٠/ فضية. «تماماً مثلما باع لاحقاً «يهودا الإسخريوطي»، وهو اليهودي الوحيد بين التلاميذ الحوارين، عيسى المسيح مقابل ثلاثين فضية».

ولقد وضع «يهودا الأول ابن يعقوب» وعن طريق خلط الدم أساس بداية قبيلة «يهودا» «الوجود/٣٧-٣٨/» وبعد قرون عديدة من ذلك أصبح الكتبة اللاويون سادة لليهودية. وعند تدوينهم للحكايات الشفهية لم يخجلوا من تحريفها كما يحلو لهم. ويبرز سؤال يطرح نفسه لماذا حرص هؤلاء على عدم طمس موضوع تكوين القبيلة عن طريق التزاوج مع غريبة وخلط الدم أو حتى لماذا ابتدعوه واختلقوه ولماذا هذا الاستعراض المسهب للطبع الغدار للشعب اليهودي والمختار من قبل الرب حسب أقوالهم؟

هذا الأمر وغيره الكثير من كتابات اللاويين يغمرها الغموض ومفتاح سرها محفوظ عند الزمرة «الطائفة» الحاكمة.

وعلى أي حال يتفق الباحثون في أيامنا مع الكتابات القديمة على أن «إسرائيل» و «يهودا» كانتا قبيلتين منفصلتين تماماً. وفي كتاب العهد القديم غالباً ما يطلق على إسرائيل

اسم «بيت يوسف» وعلى «يهودا» «بيت يهودا» مؤكداً بذلك انعزالهما عن بعضهما بعضاً. وكذلك نقرأ في «الموسوعة العبرية»: ينحدر «يوسف» و «يهودا» من خطوط أنسال وسلالات مختلفة عن بعضها. مضيفة بذلك إلى ما ذكر سابقاً بأن «يهودا» على الأغلب لم تكن قبيلة إسرائيلية.

أما الموسوعة البريطانية فتذكر أن اليهودية تشكلت وتكونت بعد فترة طويلة من اندماج الإسرائيليين مع الشعوب الأخرى، وأما عن العلاقة المتبادلة بين هذين الشعبين يمكن فقط القول: «لم يكن الإسرائيليون جزءاً من العبرانيين». لقد كان تاريخ إسرائيل قصيراً جداً وبعدها اختفى عن المسرح العالمي.

أما «يهودا» فقد استمرت فترة أطول وهي ولدت اليهودية ومن الأخيرة برزت الصهيونية. وجرى خلال ذلك إسقاط قبيلة اليهود الجنوبية الصغيرة على قبيلة من سلالة الكهنة اللاويين بلا أرض ولا وطن. وهم من زعموا أن الكهنوت عهد إليهم من «يَهْوَه» نفسه على جبل سيناء. هؤلاء هم الآباء الأصليون لليهودية، وخلال تجوالهم بين القبائل دعوا للحرب باسم «يَهْوَه».

ومن خلال سعيهم للسيطرة والسلطة أعطوها شكلاً تيوقراطياً حيث الرب هو الملك والسلطان وإن الدين هو القانون، وفي عهد كتاب «القضاة» وصل اللاويون تقريباً إلى هدفهم لأنهم هم أنفسهم كانوا القضاة. وقد كانت الحاجة لديهم كبيرة. وكذلك لدى قبيلة اليهود المنعزلة إلى الاندماج مع إسرائيل. ولكن لم تكن هناك رغبة لدى الإسرائيليين للعيش تحت قيادة طائفة الكهنة ولذلك وافقوا على الاتحاد فقط تحت سلطة الملك لأن جميع الشعوب المحيطة بهم حكمها ملوك. وقد تمسك اللاويون بهذه الفرصة لأنه كان واضحاً أن الملك سيخرج من بين الطبقة الحاكمة والطبقة الحاكمة هم أنفسهم. وقد وضع أسس الملكية كاهنهم الأكبر «صموئيل» ونصب على العرش ملكاً ألعوبة حُكمت البلاد من خلف ظهره من قبل الكهنة. وسمح له فقط بالحكم مدى الحياة حتى لا يتمكن من تأسيس خلافة بعده. واختار «صموئيل» للعرش «شاوول» وهو فلاح شاب من «قبيلة بنيامين» تميز في الحرب وقد توقعوا منه الخنوع والطاعة. ويشير اختيار الملك من «قبيلة بنيامين» إلى أن الإسرائيليين لم يرغبوا أن يكون ملكهم من اليهود. هذا وقد استمرت مملكة إسرائيل المتحدة فقط خلال حكم «شاوول» ملكهم الأول والأخير.

ونشاهد في سيرة «شاوول» «على الأقل حسب ما ذكر في الكتب المقدسة» الطابع الحقيقي لليهودية القادمة.

فقد صدر الأمر لـ «شاوول» للبدء بحرب مقدسة ضد العماليق: «واذهب الآن واضرب بني العماليق وأهلك ودمر جميع ما عندهم ولا تعف عنهم بل اقتل الرجال والنساء والأطفال والرضع والبقر والغنم والجمال والحمير».

وهكذا كان الأمر القضاء على الجميع «من الرجال والنساء والأطفال وحتى الرضع». ولكن «شاوول» وشعبه رحموا الملك أجاج وكذلك حفظوا حياة أفضل الأغنام والثيران والخراف. «الكتاب الأول الملوك/٩-١٥/» وبسبب ذلك قام «صاموئيل» بطرد «شاوول» وانتقى سراً بديلاً له وهو «داوود» من «يهودا». وقد حاول «شاوول» إعادة ثقة اللاويين به عن طريق «القتل والإفناء الشامل للأعداء» ثم حاول قتل «داوود» لينقذ عرشه ولكن النجاح لم يحالفه مما أجبره في نهاية الأمر على الانتحار. ومن الجائز جداً إن يكون كل هذا الكلام مزعوماً ومختلقاً ولم يكن أبداً على أرض الواقع وأنه فقط حديث من كتاب «صموئيل» ومن تأليف اللاويين بعد مئات السنين.

ولكن ليس مهما هل ذلك حقيقة أم خيال. المهم الاستنتاج المأخوذ عنه: «يَهْوَه» يطلب إفناء شاملاً ودماراً تاماً للغرباء ويتأمل أن ينفذ أمره بحذافيره، والرحمة والشفقة هنا تُعد جريمة ثقيلة ولا غفران فيها. وهذا الدرس يتكرر عدة مرات مستقبلاً وليس من المهم هل الأحداث المذكورة والمكتوبة هي وقائع حقيقية أم خيال.

ومع موت «شاوول» قبل /٣٠٠٠/ عام اختفت الدولة الموحدة وانتهت. لقد رفضت إسرائيل قبول الملك اليهودي «داوود» وفي هذا الخصوص كتب «كاستين»: «ولم تعره باقي إسرائيل اهتمامها». وأعلنت «ابن شاوول ايشبوشت» ملكاً عليها مما أدى إلى انقسام تام بين إسرائيل و «يهودا».

وحسب كتاب «صموئيل» فقد قُتل «ايشبوشت» وأرسل رأسه إلى «داوود» وأعاد هذا الأخير الوحدة الاسمية للدولة وأعلن أورشليم عاصمة لها. ولكن في حقيقة الأمر لم يتمكن «داوود» من توحيد الدولة ولا القبيلة. فقط كل ما تمكن من القيام به هو إنشاء خلافة عائلية للحكم.

وحتى يومنا هذا لا تزال اليهودية الأصولية «الحقة» تشير إلى أن نهاية العالم والتاريخ ستتم في عهد ملك أرضي من بيت «داوود».

وتُعد الاستثنائية هي أول البنود في التعاليم اليهودية ولهذا السبب يُعد أصل عائلة «داوود» أمرا مهما بالنسبة لنا. ومن المعلوم أنه في زمن اتحاد الإسرائيليين واليهود لم يكن هناك أي تمييز عنصري بين الناس.

ويشير العهد القديم ويروي كيف أن اليهودي «داوود» أمر بإحضار امرأة جميلة جداً إليه بعد أن شاهدها من سطح بيته وهي تستحم وقد ولدت هذه الامرأة منه. أما زوجها «أوريا الحثي» فقد آمر «داوود» بقتله في جبهة الحرب وضم «داوود» هذه المرآة المدعوة «بَثْشَبَعَ بِنْتَ أَلِيعَامَ» إلى زوجاته الكثيرات. وقد ورث ابنها الثاني من «داوود» العرش من أبيه. هذا هو حسب الكتب وحسب اللاويين أصل «سليمان» آخر ملوك الاتحاد المتداعي للدولتين. وقد بدآ «سليمان» حكمه بثلاث جرائم قتل، إحداها قتل أخيه. وقد حاول فيما بعد إنقاذ حكم عائلته ولكن من دون أي نجاح، وذلك عن طريق الزواج وقد تزوج ببنات الأمراء المصريين وغيرهم من القبائل المجاورة بالإضافة إلى وجود المئات من الزوجات الشابات غيرهن، ومن الواضح آن التفرقة العنصرية لم تكن معروفة في زمنه. وبعد ذلك بنى «سليمان» الهيكل للرب وأسس بالقرب منه ديراً للكهنة.

ووصلت الفترة المشتركة القصيرة بين إسرائيل و «يهودا» إلى نهايتها عام /٩٣٧ق.م/ فبعد موت «سليمان» انحل نهائياً هذا الاتحاد الهش وعادت إسرائيل في الشمال إلى الحياة المستقلة. وقد وصف «كاستين» تلك الفترة بقوله: (ولم يكن لدى هاتين الدولتين آمور مشتركة بالمعنى السيئ أو الجيد لهذه الكلمة آكثر من الآمور المشتركة بين أي دولتين متجاورتين. في بعض الأحيان تحاربتا ومن ثم يأتي الصلح وعقد الاتفاقات ولكنهما ظلتا دوماً منعزلتين عن بعضهما بعضاً. وقد فقد الإسرائيليون أي إيمان بدور متميز. وخلال حكم الملك «يربعام» قطعت إسرائيل أي علاقة دينية آو سياسية مع «يهودا»).

وعند وصفه لليهود يقول «كاستين»: (وقد قرروا بأن عليهم أن يكونوا عرقاً متميزاً.. وآن نمط حياتهم يجب أن يكون مختلفاً تماماً عن الشعوب المحيطة بهم ولم يسمح هذا التمييز المطلوب حتى بالتفكير بأي اندماج مع الجيران، لقد أرادوا أن يكونوا منعزلين ومتميزين تماماً عن الآخرين).

ومن المفهوم تماماً أسباب تفرق طرق هذين الشعبين فلقد آمنت إسرائيل بأن مصيرها مشترك مع بقية الشعوب الإنسانية ورفضت اليهودية ولنفس الأسباب التي رفضتها لأجلها الشعوب الآخرى ولأكثر من مره منذ /٣٠٠٠/ سنة وقد كتب «كاستين»: «تطلبت اليهودية انعزالاً وتميزاً تاماً». ولكنه ومن الواضح يكتب عن اليهود ويقصد اللاويين، وكيف يمكن أن يطلبوا الانعزال والتمييز التام من اليهود البسطاء في الوقت الذي تملك فيه «سليمان» الآلاف من الزوجات ومن آنسال وأصول مختلفة.

لم ترفض إسرائيل اليهود بل رفضت اللاويين ومذهبهم العرقي. وفي السنوات المائتين التالية والتي تحاربت خلالها الجارتان «يهودا» وإسرائيل وجاءت أصوات الكثير من الأنبياء العبرانيين وهي تذم اللاويين على العقيدة الجديدة التي ابتدعوها، وهذه الأصوات لا تزال تسمع في وقتنا الحاضر قادمة من الماضي السحيق تدعو إلى الإنسانية وإلى الخروج من الظلام القبلي الذي غمر الجزء الأكبر من «العهد القديم» تماماً كما ذمها «يسوع المسيح» في الهيكل بعد /٨٠٠/ سنة حيث كانت قد قويت وصلب عودها.

ولقد كان أغلب الأنبياء إسرائيليين من بيت «يوسف» وكانوا على طريق الاهتداء إلى الرب الواحد لكل البشر وأرادوا أن يشاطروا البشرية جمعاء مصيرها ولم يكونوا وحيدين في ذلك. فبعد مدة تخلى بوذا في الهند عن دعوته بوصاياها الخمس الحازمة حول مبدأ الطائفة المميزة وعبادة الأوثان.

لقد كان الأنبياء إسرائيليين أقحاحاً عارضوا التعاليم اللاويية والتي تطابقت فيما بعد مع اليهودية.

وتجدر الإشارة إلى أن كلمة أنبياء هي تسمية غير مناسبة لأنهم لم يدعوا معرفة المستقبل والتنبؤ به. وكان الغضب يصيبهم عندما يدعونهم بذلك. («أنا لست نبياً ولست ابن نبي». - عاموس).

لقد كانوا بروتستانتيي زمانهم «المحتجون» ولقد أدركوا إلى أين سيؤدي المبدأ العرقي وحذروا الناس من عواقبه الحتمية. ولا شك بأن تحذيرهم لم يفقد قيمته حتى الآن.

واعتراضهم كان سببه ادعاءات الكهنة اللاويين ومطالبتهم، استناداً إلى ما يسمى «شريعة موسى» بالحق على المواليد البكر. «كل فاتح رحم فهو لي». «الخروج» ومطالبتهم بذبائح دموية لـ «يَهْوَه». ولكن وحسب شهادة «مونتيفوري» لم يكن هذا القانون الموسوي معروفاً للنقاد الإسرائيليين وهم لم يستحسنوا أبداً منظر مذبح المعبد وهو ملطخ بالدماء ولا الذبح المستمر للأضاحي من الدواب ولا رائحة شواء الأضاحي وهو أمر أكد اللاويون حب وشغف الرب «يَهْوَه» به، وكذلك رفضوا المبدأ اللاوي عن تدمير الوثنيين أو استعبادهم. وقالوا إن الرب يطلب من الناس سلوكاً يتفق مع قوانين الأخلاق وكذلك حب القريب والعطف على الفقراء واليتامى والأرامل والمظلومين ولا يطلب طقوساً دموية مع الأضاحي ولا كرهاً نحو الغريب. وهذه الاعتراضات كانت أول خيوط الفجر الذي أشع بعد ثمانية قرون. ويبدو صدى هذه الاعتراضات غريباً على خلفية الدعوات الحقودة للقتل والتدمير التي يعج بها «العهد القديم» ومن الغريب أنها بقيت حتى بعد اختفاء إسرائيل وأصبح اللاويون سادة يهوذا

الحقيقيين وقاموا بكتابة الكتب المقدسة من جديد. وحقاً من الصعب على المؤرخ المعاصر أن يشرح مثلاً لماذا تحمل الملك «داوود» عتاب ولوم «ناتان» له علانية بسبب أخذه لزوجة «أوريا» وإرساله إلى الموت. ومن غير المستبعد أنه بعد اختفاء إسرائيل والنقاد الإسرائيليين بفترة طويلة ظهر بين الكتبة الجدد من يشاطرهم الرأي فحفظ للأجيال القادمة كلماتهم «كلمات النقاد والأنبياء الإسرائيليين». أو على العكس كثيراً ما ترى في الكتب المقدسة شخصاً يبدأ بأقوال نيرة وأفعال حميدة وينتهي بالتأكيد المتزمت للعكس. ومن الواضح هنا وجود إدخالات وتعديلات أجريت فيما بعد والهدف منها إجبار المرتدين المتراجعين على الخضوع للمقولات اللاوية.

ليس مهما شرح ذلك الأمر المهم بأن النقد الإسرائيلي للهرطقة اليهودية عاش عبر القرون وترك ذكرى عطره نيرة عن إسرائيل الضائعة المختفية. لقد كانت مثل النبتة الغضة الخضراء التي نمت بين الحجارة الكئيبة للأساطير القبلية. وهي أيضاً دليل ومؤشر للدرب العريض للتطور المتبادل للإنسانية بعيداً عن هاوية المحدودية القبلية.

عاش النبي إيليا وغيره في إسرائيل أما «عاموس» فقد خاطب أحفاد «يوسف» وهاجم الأضاحي الدموية والطقوس اللاوية.

«أكره وأرفض أعيادكم ولا أشم رائحة الشواء خلال احتفالاتكم وحتى إن أحضرتم إلي كل ما أحرقتم ومع الخبز لن أقبلها ولن ألقي حتى نظرة على ضحايا الشكر من مواشيكم. أبعد عني ضجيج أناشيدك «اللاويون خلال طقوس العبادة ينشدون أناشيداً دينية» لأنني لن أسمع صوت موسيقاك. لتجري الحقيقة كالمياه والشريعة كالسيل القوي» أما انتقاده الخالد لمذهب «الشعب المختار»: «قال الرب: ألستم أنتم كذلك مثل أبناء الأحباش بالنسبة لي يا أبناء إسرائيل؟».

أما «اوسيا» وهو أيضاً إسرائيلي فقد قال: «لأنني أريد الكرم والإحسان وليس الذبائح والضحايا وأود الإيمان في الدين أكثر من الدمار والحريق» ويضيف داعياً إلى الحقيقة والحنان: «وستكون مطيعاً لي في الحق والشريعة وفي عمل الخير والعطف ولتعاهدني على الوفاء».

وعلى ما يبدو أن اللاويين تابعوا طلب الأبكار من الذكور كضحايا حتى في زمن وجود «ميخيا» فهو يقول: «بأي شيء سأقابل المولى وأنحني أمام رب السماء؟. أقف أمامه مع الدمار والمحارق، مع العجول الفتيّة. ولكن هل يمكن إرضاء الرب بالآلاف من الذبائح أو حتى بسيل عارم من الزيت والعسل؟ وهل بإمكاني إعطاه بكري مقابل جرائمي وابن لحمي ودمي

جزاء نفسي؟. آه يا إنسان لقد قيل لك ما هو الخير وما يريد الرب منك: أن تعمل وتقيم العدل وتحب أفعال الخير والإحسان. وأن تسير أمام ربك بخنوع وحكمه».

وعلى مدى مئتي سنة من تجاور إسرائيل واليهودية ناضل «اوسيا» و «نيحميا» وغيرهم من أجل سلامة أبناء قبيلتهم.

وفي الوقت نفسه انجذب اللاويون أكثر فأكثر نحو يهوذا وأورشليم على الرغم من كونهم متناثرين بين الأسباط الاثني عشر وركزوا كل جهودهم لإدخال اليهود في عقيدتهم الجديدة.

في عام /٧٣١ق.م/ احتل الآشوريون إسرائيل وسبوا سكانها. أما اليهودية فقد تركت وشأنها لفترة واستمرت في الوجود مئة سنة أخرى كتابع صغير «ضئيل» في البدء للآشوريين وثم بعد ذلك لمصر وخلال ذلك الوقت ظلت مركزاً وقلعة للاويين. ويختفي «أبناء إسرائيل» في هذه المرحلة من التاريخ، وإذا كانت وعود «يَهْوَه» يجب أن تتحقق فإن النجاة والخلاص يجب أن يحصل وسط تلك الشعوب التي ذابوا وسطها. وبما أنه خلال القرون الـ /٢٧/ الأخيرة كان اتجاه التيار البشري من الشرق إلى الغرب فمن المحتمل أن الجزء الأساسي من الدم الإسرائيلي ذهب إلى أوربة وأمريكا.

ولكن اليهود يؤكدون على أن إسرائيل قد «ضاعت واختفت» وأنها تستحق ذلك لأنها أنكرت تعاليم اللاويين واندمجت مع جيرانها. وإليكم كلمات «كاستين» حيث يبدو فرحاً حتى بعد مرور /٢٧/ قرناً من حصول ذلك:

«لقد مضت القبائل الشمالية العشر بطريقها الخاص وابتعدت كثيراً عن أشقائها الجنوبيين، ويلاحظ المؤرخون ذلك من دون أي أسف لا أشعار هجاء حزينة ولا شواهد على القبور. لا يوجد أي إعجاب فقط تعبير عن واقعة حدثت».

ولكن كيف يجب أن نفهم ونستوعب اختفاء إسرائيل؟ لتفهّم هذا الموضوع يجب أن يدرك الباحث المعاصر أن صهيون يتكلم دائماً بلسانين «أو بلغتين». لغة للغرباء الوثنيين وأما اللغة الثانية فهي للعارفين بالأمور. ومهما كتب الدكتور «كاستين» فلن يصدقه لا اللاويون القدماء ولا الصهاينة المعاصرون. لن يصدقه أحد بأن الإسرائيليين اختفوا بلا أثر. لقد أعلنوهم فقط «أمواتاً» تماماً كما يُعلن العبراني ميتا لدى زواجه من خارج الطائفة المؤمنة.

لقد نبذوهم وغيبوهم وفقط بهذا المعنى اختفوا. الشعوب لا تختفي ويدل على ذلك مصير هنود أمريكا الشمالية وسكان استراليا الأصليين وغيرهم. وإلا كيف كان يمكن سبي

الإسرائيليين لو أنهم تلاشوا واختفوا حقاً؟ إن دماءهم وأفكارهم لا تزال تعيش في جزء من البشرية المعاصرة.

ولم تتصهر إسرائيل وبقرار ذاتي مع اليهودية ولنفس الأسباب لم تثق الشعوب الأخرى باليهود. ويجب أن لا ننسى أن الإسرائيليين لم يكونوا في وقت ما عبرانيين تماماً مثلما لم يكن اليهود إسرائيليين. ولكن لماذا وجب على إسرائيل «الاندثار والاختفاء». الجواب يأتي من التلمود: «لن تحصل القبائل العشر على حصتها ونصيبها من عالم المستقبل».

أجل لن تسمح الطائفة الحاكمة بدخول «أبناء إسرائيل» إلى السماء لأنهم رفضوا تمييز أنفسهم عن الآخرين، ولقد أوضح الحاخام الأول للإمبراطورية البريطانية «هيرتس» «J. N. HERTZ» عام /١٩١٨م/ الأمر بقوله: (إن الشعب العبراني الحالي هو سلاله «يهودا» و «بنيامين» مع عدد قليل من نسل «لاوي»).

هذا الكلام يؤكد مرة أخرى أن إسرائيل القديمة لا تملك أي شيء مشترك مع من أصبح فيما بعد يهوذا.

في العصر الحديث أُنشئت على أرض فلسطين دولة صهيونية أطلق عليها اسم إسرائيل- وهو غش وتزوير سافر. ولكن لا بد من وجود سبب وجيه حتى أُعطيت الدولة العبرانية اسم شعب غير عبراني، التعليل الوحيد لذلك هو أن الدولة العبرانية أُنشئت بالتواطؤ الكامل مع الدول العظمى الغربية حيث تسود المسيحية، ولا شك أنهم رغبوا في تهدئة ضمائر الشعوب المسيحية هناك، وذلك بالإيحاء لها بضرورة مساعدة تحقيق النبوءة التوراتية ووعود الرب لإسرائيل، ومهما كانت النتيجة قاسية على الآخرين وهم لا ذنب لهم إلا كونهم من «الشعوب المحكوم عليها بالدمار».

فإن كان ذلك هو الهدف من تسمية إسرائيل فقد تحقق ولو لفترة. إن إقناع الجماهير «أمر ليس بالصعب. ولكن مع الزمن ستظهر» الحقيقة كما حدث أيام الأنبياء الإسرائيليين.

ويجدر القول لو كانت الدولة العبرانية تملك الحق باسم ما فإن أفضل اسم لها يمكن إن يكون «اليهودية» لا غير.

الفصل الثالث

الشريعة واللاويون

على مدار مئة عام بعد احتلال الآشوريين لإسرائيل وضع اللاويون شريعتهم المكتوبة. وفي عام ٦٢١/ق.م/ انتهوا من كتابة القانون الثاني «التثنية» وأعلنوه على الملأ في الهيكل في أورشليم. إنه «شريعة موسى» الذي حتى لو كان «موسى» حقاً قد عاش في وقت ما فلم يكن ليعرف عنها شيئاً ما. ذلك لأن المؤرخين يُعدون أن الشريعة هذه هي من تأليف اللاويين حيث أنهم أجبروا «موسى» وهو ميت «ويمكن القول و «يَهْوَه» في ذلك الوقت وفيما بعد أن يقول ما أرادوا هم قوله.

ولذلك فالاسم الحقيقي لذلك الكتاب يجب أن يكون «شريعة اللاويين» أو «الشرائع اليهودية» وكتاب «التثنية» يعني بالنسبة لليهودية والصهيونية تماماً مثلما يعني كتاب «البيان الشيوعي» بالنسبة للثورات المدمرة في عصرنا الحديث.

ولقد وضع كتاب «التثنية» في أساس التوراة المؤلفة من خمسة كتب وكانت كلها عبارة عن مادة خام للتلمود، أما التلمود فقد أفرز الكثير من التعليقات وتفسيرات لتلك التعليقات وفي النهاية مجموع كل ذلك يشكل «الشرائع اليهودية».

ويمكن القول بأن كتاب «التثنية» هو عبارة عن برنامج سياسي للسيطرة على الشعوب المنهوبة والمستعبدة، وهو أمر جرى تنفيذ معظمه خلال القرن العشرين، وعلى ضوء هذا الكتاب يمكن شرح وتفسير الكثير من الأمور الغامضة التي جرت وتجري في عصرنا الحديث.

لقد وضع هذا الكتاب حفنة من الناس في بلد صغير عام ٦٢١/ق.م/ ولكن تأثيره على البشرية كان عجيباً وصاعقاً على سير تاريخ البشرية على مر القرون وحتى وقتنا هذا.

وقبل وضع كتاب القانون الثاني «التثنية» كان يوجد فقط «أحكام وأعراف شفهية» عن أقوال الرب الموجهة إلى «موسى» وقد أعلن اللاويون أنفسهم حرساً مقدساً لهذه الأحكام وكان على أبناء جلدتهم البسطاء التصديق الأعمى لكل ما يقولونه. «وهذا بالذات ما أثار سخط الأنبياء الإسرائيليين على اللاويين».

وحتى في حال وجود شيء مكتوب عن هذه «الأحكام» فسيكون في أيدي الكهنة وبالتالي سيكون مجهولاً للجمهور. تماماً كما هي مجهولة مؤلفات الإغريق الكلاسيكيين بالنسبة لسكان «كينتوكي» المعاصرة.

ويدل اسم الكتاب نفسه التثنية «القانون الثاني» على أنه يختلف تماماً عما كان موجوداً قبله. وعملياً يُعد هذا الكتاب الإعلان الأول لليهودية اللاوية، وفي الوقت الذي لم يكن فيه الإسرائيليون عبرانيين كما ذكر سابقاً، وبالتالي لم يعرفوا هذا القانون أبداً. ويلفت الانتباه إلى أن «التثنية» يُقدم على أنه الكتاب الخامس للتوراة وعلى أنه ينبثق من الكتب الأربعة السابقة. أما في الحقيقة فهو الكتاب الأول والوحيد المكتوب حتى النهاية. «فالتكوين» و «الخروج» وعلى الرغم من محاولة الإيحاء على أنهما يشكلان الإطار التاريخي لظهور كتاب «التثنية» ففي الحقيقة قام اللاويون بتأليفهما بعد «التثنية» أما كتب التوراة الأخرى وهي «اللاويون» و «الأعداد» فقد كُتبت بعد ظهور «التثنية» بفترة أبعد من ذلك. لقد حددت «الأحكام الشفهية» قواعد معينة من السلوك الأخلاقي ولكن كتاب «التثنية» قلب هذا النمط رأساً على عقب، واعتبر اللاويون أن لهم الحق بإدخال أي تعديلات في الأحكام الشفهية الموسوية لكي تتناسب مع الظروف المتغيرة باستمرار وعلى أساس التعاليم التقليدية «كاستين».

وقد زعم اللاويون بالإضافة إلى ذلك بأن «موسى» حصل على جبل سيناء على توراة شفهية سرية أخرى إضافية لم يطلع عليها أحد.

ومع مرور الزمن قُدمت كتب العهد القديم مع العهد الجديد إلى الجمهور غير العبراني على أنها قوانين وشرائع الرب.

ولكن وكما لاحظ «فونك» فإن التلمود أشار إلى أن الرب قد توقع بأنه سيأتي يوم يطلع فيه الوثنيون على التوراة ويقولون لإسرائيل: «نحن أيضاً أبناء الرب» عندها سيجيب الرب: أبنائي هم فقط من يعرف أسراري. ولكن ما هي أسرار الرب؟ إنها موجودة في الأحكام الشفهية.

في عام /٦٢١ق.م/. وبعد قراءة التثنية على جمع من الناس، أُعلن عن عثور اللاويين على مخطوطات «شرائع موسى». ولكن ينفي ذلك علماء عبرانيون معاصرون ويُعدون أن كتاب «التثنية» هو عمل خاص باللاويين كُتب في اليهودية المتقوقعة بعد أن رفضها الإسرائيليون وبعد أن احتل الغرباء إسرائيل. ولنر كيف يستعرض «كاستين» أصل كتاب «التثنية»:

«في عام /٦٢١ق.م/ عثر في الأرشيف على مخطوطات غطاها غبار القرون وكانت صيغة مثيرة للشرائع أو تجميعاً لقوانين ذلك الزمن مع تكرار كثير ونسخ مختلفة وهي في غالبيتها تتعلق بسلوك الإنسان نحو الرب ونحو الأقرباء، وكانت على شكل أحاديث وخطابات يعتقد أنها لـ «موسى» قبل موته بفترة قصيرة على الضفة الأخرى من الأردن ومن المستحيل الآن القول من كان كاتب تلك النسخ».

بعبارة أخرى يمكن القول أن الدكتور «كاستين» (وهو متزمت عبراني ويؤمن بالتطبيق التام لشرائع موسى) لا يؤمن بأن الكلام لـ «موسى» أو لـ «يَهْوَه». ويرضيه أن هذا الكلام كتبه الكهنة وهم يمثلون في عيونه هيبة الرب. وبالطبع لا يعرف أحد مدى التشابه بين كتاب «التثنية» الحالي وبين ما أعلن عام /٦٢١ق.م/.

فلقد تعرضت كتب العهد القديم للكثير من التحوير والتعديل المستمر وحتى لحظة ترجمتها إلى اللغات الأخرى جرى تغيير الكثير من النصوص حتى لا تثير سخط القراء غير العبرانيين. ولا شك أن كتاب «التثنية» في شكله القديم كان أكثر شراسة وقسوة منه في شكله الحالي.

إن أساس «التثنية» هو إنكار الأديان الأخرى «وعلى أثره جاءت الشرائع الجديدة حاملة معها الإنكار العرقي» وكان القتل باسم الدين هو سمته الأساسية وبالطبع تطلب ذلك رفض الوصايا الأخلاقية التي وردت في العهد القديم. وبقيت فقط الطاعة والخدمة التامة لـ «يَهْوَه» «الغيور» أما بقية الوصايا فقد دُفنت تحت كتلة من الإضافات والتفسيرات النافية والمُحرمة. فمثلاً عقاب جرائم القتل السافر والسرقة والزنا والطمع ومعاداة الجار ومثلها الكثير أفرغت من محتواها بسبب الكثير من الوصايا والدعوات لسحق الشعوب الأخرى وقتل المرتدين عن العقيدة أفراداً أو جماعات وأخذ الجواري من نساء السبي والقيام «بالتدمير الشامل» وعدم ترك «أي حي» وعدم مراعاة الغرباء في دفع الديون وغيره الكثير.

ومن الواضح أن كتاب «التثنية» يُلغي كل الوصايا الأخلاقية ويُبدلها، وتحت قناع الدين، بأفكار سياسية ضخمة للشعب المختار والمُرسل إلى العالم لكي يدمر الشعوب الأخرى ويجعلها مُلكاً له ويُدير العالم.

الدمار هو الفكرة الأساسية «للتثنية» ومن دون هذه الفكرة لا يبقى من كتاب «التثنية» أو من «شرائع موسى» أي شيء.

إنها نظرية الدمار وهي الوحيدة من نوعها حيث تتداخل أسس الدين مع السياسة والتي على ما يبدو هي الأخرى مأخوذة عن التثنية.

التثنية هي قبل كل شيء برنامج سياسي متكامل. إنها تصور لكوكب خلقه «يَهْوَه» لشعبه المختار وهو تصور ينتهي باستعباد هذا الشعب للشعوب الأخرى وتدميرها. وأما المؤمنون فقد وعدوا بهبات وعطايا مادية بحتة: تدمير الغرباء وبالعبيد والنساء والغنائم والأراضي والإمبراطورية وللحصول على كل ذلك يجب تنفيذ أمر واحد وهو تطبيق الشرائع والالتزام بها وأساس هذه الشرائع هو تدمير الناس الآخرين. والخطأ الوحيد الذي يمكن أن يرتكبه المؤمن هو عدم الالتزام بهذه الشرائع. ويُعد إنكار الآخرين معادلاً للالتزام بهذه الشرائع. أما القبول بالآخرين فهو على العكس يُعد شذوذاً عن الشرائع وخروجاً عنها وبالتالي فهو يعني الخطيئة. ومن الملاحظ أن كل العقوبات المفترضة على هذه الخطايا هي عقوبات مادية جسدية بحتة وليست روحية أو معنوية.

والسلوك الأخلاقي الحميد يجب أن يكون فقط باتجاه الأقرباء بالعقيدة وليس باتجاه الغرباء. وهذا الشكل من التعصب القومي الفريد الطابع طرح على اليهود في التثنية على أنه قوانين «يَهْوَه» وزُعم أن «يَهْوَه» تلاها على «موسى».

في الفصل الثاني من التثنية أشير إلى الطريق نحو السيادة العالمية في أحاديث يُزعم أنها لـ «موسى»: «وقال لي الرب من هذا اليوم سأبدأ بزرع الهلع والخوف في الشعوب التي أمامكم. فإن هم سمعوا بخبركم رجفوا وفروا من أمامكم» ومثال على ذلك يطرح مصير «سيحون» ملك «حشبون» و «عوج» ملك «باشان» مع شعبيهما: «وخرج علينا عوج ملك باشان وقومه وحاربنا... فضربناه حتى لم يبق له باق وفتحنا كل مدنه في ذلك الوقت... وحللنا في كل مدينة قتل جميع الرجال والنساء والأطفال ولم نبق على أحد وأما البهائم والمدن فضممناها».

ويمتلئ كتاب «التثنية» بمثل هذه المقاطع حيث الطلب الأهم فيها هو التدمير الشامل، ومن الملاحظ أنه بعد تعداد أمثلة تدمير «يَهْوَه» العظيم للغرباء والوثنيين. يجري سرد العقوبات التي ستحل على الخارجين عن شرائع «يَهْوَه» وأولها: سيقوم «يَهْوَه» بتشريد الشعب المختار ونشره بين الشعوب الوثنية. بعد ذلك تُعدد «الشرائع والأحكام» بعد الوصايا لكي تُدمر قيمتها الأخلاقية وذلك بإطلاق الوعود بسحق القبائل الأخرى: «الشعوب الآخرى الأقوى منك والأكثر عدداً منك سيعطيها ربك لك لتدمرها وتحطم معابدها ومذابحها. لأنك شعب مقدس عند الرب إلهك. لقد اختار الرب إلهك لتكون شعبه الخاص به من بين كل الشعوب على الأرض وستكون أنت مباركاً أكثر من كل الشعوب وستدمر الشعوب التي سيهبك الرب إياها.. لا ترحمهم عيونك وسيضربهم الرب بالدبابير حتى يموت من اختبأ منهم وسيطرد الرب

بالتدريج هذه الشعوب من أمامك وسيجلب عليهم البلبلة العظيمة لتقضي عليهم وسيضع ملوكهم بين أيديك وستمحي أنت اسمهم من تحت السماء ولن يقف أحد منهم ضدك حتى تجتثهم».

في القرن العشرين بعد الميلاد لم يعد في الغرب من يُعير اهتماماً لهذه الدعوات الدموية نحو الدمار والقتل الجماعي ولكن الشعوب التي اكتوت مباشرة بذلك لها رأي آخر. فبعد مجزرة «دير ياسين» عام/١٩٤٨م/ هربت الجموع العربية من أرضها الأصلية لأن المجزرة أظهرت «وهو ما أراده القتلة بالذات» أن من سيبقى سيطوله المصير ذاته. وكذلك ليس سراً التصريحات المتكررة للقادة الصهاينة بأن «التوراة هي قانوننا الأساسي» «حاييم وايزمان» ولا شك بأن الكلام يدور حول تلك المقاطع في «العهد القديم» التي تصر على «التدمير الشامل» للغرباء أي للعرب، ولاشك بأن العرب كانوا علم بالتأييد الدائم والمستمر من الساسة الغربيين للمحتلين، لذلك للحفاظ على الحياة يجب النزوح والهرب.

إن ضرب العرب المسالمين العزل عام /١٩٤٨/ هو نتيجة مباشرة «للأحكام والسنن» الموجودة في الفصل السابع من القانون اللاوي المعلن عام /٦٢١ق.م/ ولاشك بأن تحريضات التثنية جذابة ومغرية: «أنت ذاهب للسيطرة على شعوب أكبر وأقوى منك.. والرب ألهك سيسير أمامك مثل نار عارمة ويفنيهم ويضعهم أمامك وستطردهم وتقتلهم قريباً كما وعدك الرب لأنه لو تقيدتم ونفذتم كل الوصايا والأحكام التي أوصيتكم بها فسيطرد الرب جميع هذه الشعوب من أمامك وتسيطر على الشعوب الأكثر منك عدداً والأقوى منك وستكون حدودك حتى البحر الغربي. ولن يصمد أحد في وجهك وسيرمي الرب الفزع والخوف على أي أرض تطؤها أقدامك».

ومباشرة بعد ذلك يكرر «موسى» مرة أخرى «الأحكام والسنن» التي يجب الالتزام بها للحصول على الهبات المذكورة. وبقي طلبه الأساسي هو التدمير.

«ها هي السنن والأحكام التي عليكم تطبيقها على الأرض التي سيعطيكم الرب إياها الرب إله آبائكم.. ودمروا كل الأمكنة التي عبدت فيها الشعوب المسبية منكم أربابها.. وعندما يقوم الرب إلهك بإفناء الشعوب الذاهب أنت لامتلاكها وبعد امتلاكها والسكن فيها كن حذراً من الوقوع في شباكهم ولا تبحث عن آلهتهم».

تفرض نصوص الأحكام على المؤمنين تدمير الأديان الأخرى وقد يكون لهذا الغرض في البداية شكل عام ولكن بعد انتشار الدين المسيحي وتشرد اليهود في أصقاع البلدان المسيحية يأخذ هذا الغرض منحى خاصاً.

«تـدمير جميـع أمكنــة عبـادتهم» أصـبح الآن يمـسُ المـسيحية أيـضاً ويفـرض تـدمير المقدسـات المسيحية. وهو ما حدث بعد وصول البلاشفة إلى السلطة في روسيا حيث قاموا بتدمير المعابد والكنائس والأديرة وحولوهـا إلى متـاحف مدنيـة وقدسـوا «يهـودا». وبمـا أن تسعين بالمئة مـن أعـضاء الحكومـة البلـشفية الأولى كـانوا مـن العـبرانيين الـشرقيين فـإن مـا ذكـر أعـلاه يمكن النظـر إليـه علـى أنـه التـزام بأحكـام «التثنيـة». وفي المراحل الكـالحـة مـن تـاريخ الغـرب انتشرت هناك بكثرة الوشـايات ومحـاكم التفتيش «جـرى التخلـي عنهـا مـع التقـدم الحـضاري هناك» وهي أيضاً تجد أساسها الأصلي في «التثنيـة» لأنـه لم يُعثر علـى مـصادر أقـدم منهـا. وقـد جرى حماية فلسفة التدمير هذه من أي نقد محتمل وبشكل خاص من «الهراطقة».

«وإذا خرج منكم نبي أو عـراف فيجب تقديم هـذا النبي أو العـراف إلى المـوت». وتحـت هـذه المـادة جـاء قتل وصـلب «يـسوع المسيح» وغـيره الكـثيرين مـن منتقـدي اليهوديـة الأصـولية المتزمتة.

وانتشرت وشاية القريب على قريبه المشكوك بهرطقته واستخدم البلاشفة هذه الطريق الإرهـابيـة في روسـيا بـدءاً مـن عـام /١٩١٧م/ واحـتج الغـرب كـثيراً ضـد هـذه الطـرق البربريـة، ولكن ذلك الأمـر في حقيقتـه لم يكـن جديـداً وقـد أشير لـذلك بوضـوح في كتـاب «التثنيـة»، حيث أشار الكتاب إلى أن كل من يدعو ويقول: «لنذهب وراء آلهة أخرى غير التي تعرف أنت ونعبدها». يجب أن يوشـي بـه إخوانـه وشـقيقاته وأبنـاؤه وبناتـه وزوجاتـه إلخ.. ويجـب أن يُـرجم بالحجارة حتى الموت.

وتُعـد شـروط تنفيذ الـرجم مثيرة للغاية حيث جاء في كتـاب «التثنية» أن الحجـر الأول يجب أن يرميه قريب بالدم للرجل أو المرأة وفقط بعد ذلك يبدأ الآخرون بالرجم حتى الموت.

ولا تـزال «إرشـادات الـشريعة» سـارية حتـى أيامنـا الحاليـة ولكـن بـشكل متكيـف مـع الظروف والشروط المحلية. ففي دول انتشار العبرانيين قد تُعد هـذه «الـسنن والأحكـام» حـسب القـانون المحلـي عبـارة عـن جـرائم عاديـة جنائيـة ولـذلك لا يمكـن التطبيـق الحـرفي «للأحكـام والسنن» في هذه الحالة يُعلن المرتد ميتا بشكل رمزي ويستبدل تنفيذ الحكم بالإعدام بعمليـة دفن صورية.

وفي كتابـه «فتحـت كـل الأبـواب» «All The Doors Were Opened» وصـف «جـون غولد شين» عام/١٩٥٥م/ هذه المحاكمات الرمزية وطقوس تنفيذها. وذكر أن الحكم ظل ينفـذ وعلـى مـدى مئـات الـسنين في المجتمعـات العبرانيـة المغلقـة حيـث لا تطـول يـد «القـانون الغريب».

وكما تقضي «شريعة موسى» بقتل مجموعات كاملة عند اتهامها بالردة. «اضرب سكان ذلك البلد بحد سيفك ادفعه إلى اللعنات مع كل من فيه»[1].

وحسب «التثنية» تختلف نسبة الدمار بين المدن حسب قربها وبعدها: «وعندما يسلمها الرب إلهك إلى يديك أضرب بحد سيفك كل الرجال وأما النساء والأطفال والماشية والممتلكات فهي غنيمة لك»..

ويعود كتاب «التثنية» مراراً إلى موضوع النساء السبايا: «وإذا رأيت بينهن امرأة جميلة فيمكن أن تأخذها زوجة لك ولكن إن عافتها نفسك فيما بعد فطلقها».

أما مصير المدن القريبة فيجب أن يكون مغايراً والقانون الثاني يقول «عدم التزام «شاوول» بذلك أدى على عقابه»: أما المدن التي أعطاها الرب إلهك لك فلا تترك روحاً حيه فيها وافعل كما أمرك الرب إلهك.

ويفسر هذا المقطع من كتاب «التثنية» /٢٠و١٦/ النزوح الجماعي للفلسطينيين العرب بعد «دير ياسين»[2] حيث إن قانون عام /٦٢١ق.م/ لا يزال يعمل وإن تنفيذه سيتم حرفياً عام /١٩٤٨م/. وإن قوة الغرب كلها ستستخدم للمساعدة في تنفيذ الأحكام اللاوية حول الإفناء الشامل.

ونقرأ في القانون الثاني «التثنية»: «أنت شعب مقدس عند الرب إلهك. لقد اختارك الرب إلهك لتكون أنت شعبه من بين كل الشعوب على الأرض»..

ثم تُتابع «الأحكام والسنن» بتقديم تعاليمها: «لا تأكلوا حيواناً فاطساً ميتاً. أعطوه للغريب الذي بينكم فيأكله أو بيعوه له. لأنكم شعب مقدس عند الرب إلهكم»..

وحسب الأحكام أيضاً على صاحب الديون «المقرض» بعد كل سبع سنوات أن يسامح المستقرض قريبة ولكن الغريب لا يُسامح.: «من الغريب خذ قرضك. أما إن كان لك قرضاً عند أخيك فسامحه».

١- تعني بلغة العهد القديم (لا تبقِ علي أي شيء حي).

٢- دير ياسين قرية عربية في فلسطين المحتلة تعرضت للدمار الشامل في /٩/ نيسان (ابريل) /١٩٤٨/ من قبل مجموعة إرهابيين ينتمون لـ (منظمة أرغون) رعيمها (مناحيم بيغن) رئيس وزارء إسرائيل فيما بعد. تم قتل جميع السكان في القرية /٢٥٣/ قتيلاً والقيت الجثث في الآبار، أما البيوت فنسفت بالديناميت ولم تكن وحشية القتلة اقل وحشية من أمثلة العهد القديم: فقد شقت بطون الحوامل وقتل الأطفال من جميع الأعمار حتى الرضع منهم.

ويتحدث الفصل العاشر بشكل غريب ملفت للنظر: «أحبوا الغريب القادم إليكم لأنكم أنتم كنتم غرباء في أرض مصر». ولكن سرعان ما نقابل في الفصل الثالث والعشرين نفياً وإنكاراً لكل ذلك: «لا تقرضوا أخوتكم من بني قومكم بالربا.. بل اقرضوا الغريب بالربا».

وكما سنرى فيما بعد في الكتب الأخرى توجد فروق حقيقية بين «القريب» والغريب». وينتهي كتاب «التثنية» بموضوع واسع وصاخب وهو «المباركة واللعنة». فلقد أوصى «موسى» وهو على فراش الموت شعبه مرة أخرى القيام بالاختيار الصحيح. وبعد ذلك عدد «موسى» ما هو المبارك وما هو الملعون. والجدير بالملاحظة أن كل المباركات تحمل طابعاً مادياً بحتاً: وهي النجاح والانتصار على الأعداء، مباركة ثمار البطون وناتج الأرض والبهائم والسيطرة على العالم. (الرب إلهكم سيضعكم فوق كل الشعوب في الأرض وسيجعلكم الرب إلهكم شعبه المقدس وسترى كل الشعوب أنكم تسمون باسم الرب فتخاف منكم. ستقترض منكم أمم كثيرة وأنتم لا تقترضون، وسوف يجعلكم الرب رؤساء للأمم لا أذناباً لها وستكونون أبداً مرتفعين لا منخفضين). هناك ثلاثون مقطعاً عن المباركة والبركات، أما اللعنات فمن الخمسين وحتى الستين وكل ذلك يُقدم باسم رب قادر على فعل الأعمال الشريرة. (ونفس الصفة تنسب له في الكتب المتأخرة مثل كتاب «حزقائيل»).

ومن الواضح أن اليهودية الأصولية بُنيت على الإرهاب والفزع وهي تقوم عليهما وتستمر بهما. ونرى في الفصل الثامن والعشرين من «التثنية» جدولاً طويلاً من اللعنات وهو الأمر الذي يوضح الدور المهم الذي أعطاه الكهنة اليهود لهذه اللعنات «ومن الملاحظ أن اليهود المؤمنين حتى في العصر الحاضر يخافون من اللعنات». ويجدر الذكر أن الناس تُلعن في «التثنية» ليس بسبب الخطايا الأخلاقية بل لعدم التزامها «بأحكام وسنن» «التثنية»

«إذا لم تستمعوا لصوت الرب إلهكم وإذا لم تنفذوا وصاياه وأحكامه فستصب عليكم كل اللعنات هذه وستصيبكم».

وبالطبع ستصيب اللعنات المدن والقرى والأطفال والحقول والمواشي. «وكل هذه اللعنات ستصيبك حتى تموت وتدمر». ويتوعد «يَهْوَه» ليس بأقل أو أكثر من القروح المميتة والسل والحمى واللفح والذبول والالتهاب: «وسيرسل الرب اللعنة والبلاء في كل ما تتناوله أيديكم». وكذلك البواسير والجرب والحكة والصرع والعمى والجوع والقحط:

«ويتزوج أحدكم امرأة فيضاجعها رجل آخر». وكذلك «وبناتكم وبنوكم يسلمون إلى شعب آخر» ولكن من يبقى منهم في البيت لن يكون مصيره أفضل: «تأكلون ثمر بطونكم لحم بنيكم وبناتكم.. وزوجتك تأكلهم في عوزهم التام سراً».

ويتابع على هذا المنوال في «التثنية /٢٨-٢٠-٥٧/» وحتى وقت قريب كانت هذه اللعنات تقرأ علناً خلال جلسات نبذ المرتدين، أما الآن فلا شك في أنها تقرأ في الجلسات التلمودية المغلقة.

إن جميع الأمراض والأوبئة المذكورة أعلاه ستضرب الشعب في حال: «لم تحفظ وتصون جميع أحكام هذه الشريعة المكتوبة في هذا السفر وتعمل وتلتزم بها وتخاف اسم الرب إلهك المجيد الرهيب.. ويشهد معي عليكم اليوم السماء والأرض».

: «لقد عرضت عليكم الحياة والموت البركات واللعنات اختاروا الحياة حتى تعيشوا أنتم وأنسالكم من بعدكم».

هذه هي الحياة والنعم التي عرضها على اليهود في الهيكل عام/٦٢١ق.م/ زعيم قبيلتهم «هوشع» زاعماً أنه يتكلم باسم «يَهْوَه» و «موسى» وأعلن على الملأ الشريعة اللاوية.

وتحدد «شريعة موسى» الهدف والمعنى الأساسي لوجود اليهود وهو يتجلى في تدمير الشعوب الأخرى أو استعبادها بهدف السلطة والمال.

ولحسن حظ إسرائيل أنها أُعلنت «ميتة» في ذلك الوقت ولم يتوجب عليها العيش في عالم شبيه بالعالم اللاوي. لقد اندمج الإسرائيليون مع التيار الحي للبشرية جمعاء. أما اليهود فقد بقوا تحت سلطة الكهنة المتزمتين، اللذين طالبوهم بالقتل والتدمير وتحت تهديد اللعنات المذكورة أعلاه. ولكن بالإضافة إلى التهديد باللعنات وعد اللاويون البركات للتائبين:

«وإذا عدتم إلى الرب وتبتم إلى الرب إلهكم وسمعتم كلامه الذي أمركم به اليوم بكل قلوبكم ونفوسكم.. عندها يصرف الرب إلهكم هذه اللعنات كلها إلى أعدائكم ومبغضيكم المضطهدين لكم». ويعاقب الأعداء ليس لأنهم ارتكبوا خطايا ما بل فقط لتزال اللعنات عن اليهود التائبين. وفي هذا الجزء من «التثنية» نشاهد بوضوح الدور المخصص «للوثنيين» وحيث يتضح أنهم لا يملكون الحق في العيش فذلك علنا وبصورة شرعية وفقط لأن «يَهْوَه» لا يريد معرفة أحد غير «شعبه المقدس» وإذا سمح لهؤلاء الوثنيين بالعيش فقط لأجل الأهداف المعلنة في المقطع الخامس والستين من الفصل الثامن والعشرين والمقطع السابع من الفصل الثلاثين. ففي البداية على هؤلاء الغرباء استضافة اليهود المعاقبين بالتشرد لذنوبهم وبعد ذلك وعندما يتوب الضيوف ويحصلون على العفو والسماح فإن اللعنات الواقعة على اليهود ستقع على رأس مضيفيهم.

ويوضح المقطع السابع من الفصل الثلاثين السبب بالقول إن اللعنات انتقلت إلى الغرباء، بسبب اضطهاد وكراهية مزعومة من طرفهم نحو اليهود. ولكن كيف يمكن اعتبار الغرباء مذنبين إذا كان الوجود اليهودي ذاته بينهم هو نتيجة لعقوبة إلهية من السماء كما جاء في المقطع الرابع والعشرين من الفصل الثامن والعشرين حيث نرى أن «يَهْوَه» ولا أحد غيره عاقب

اليهود وأنزل عليهم لعنة التشرد: «ويشتتكم الرب في جميع الشعوب من أقاصي الأرض إلى أقاصيها.. ولكن وبين هذه الشعوب لا تستقروا ولن يوجد مكان راحة واستقرار لأقدامكم».

ويلاحظ النفاق الواضح في «التثنية»: فاليهود يشردون من قبل الرب لعدم التزامهم بالأحكام وينشرهم بين الغرباء. ولكن الغرباء الذين لا ذنب لهم ولا علاقة لهم بذنوب اليهود يصبحون مباشرة مجرمين يجب تدميرهم.

ولاستيعاب هذه العلاقة الغريبة بين اليهودية وباقي الإنسانية يكفي الاطلاع على مقاطع مما توردة دور الإعلام والصحافة الأوربية حيث يتدفق سيل من الشكاوى عن الاضطهاد المستمر للعبرانيين في كل مكان.

ولكن بالنسبة لمن يؤمن بكتاب «التثنية» فإن مجرد وجود شعوب أخرى يُعد بحد ذاته إهانة واضطهاداً للعبرانيين.

ويلتقي القوميون المتعصبون من العبرانيين مع المتنورين منهم في نقطة واحدة: إنهم ينظرون إلى العالم وإلى كل ما يجري فيه فقط من وجهة النظر العبرانية والتي تُعد أن كل ما يتعلق بالغرباء ليس له أي قيمة. إنها ورثة خمسة وعشرين قرناً لنمط التفكير العبراني المتميز. إنه كابوس يجثم بقوة على عقولهم وأرواحهم لدرجة أنهم حتى ولو اكتشفوا زيف هذه الهرطقة. لم يعد بإمكانهم التخلص منها.

واستناداً إلى ما ذكر أعلاه نرى أن الطائفة الحاكمة تفسر تشرد العبرانيين على أنه فعل من أفعال «يَهْوَه» رب الشعب المختار وفي الوقت نفسه تُعده نتيجة للاضطهاد من قبل أعداء يستحقون كل اللعنات.

وبالطبع رفع شأن الذات هذا والاستخفاف بالآخرين يؤدي في حال وقوع أي عنف سياسي في أي مكان وأدى إلى إيذاء حياة أو ممتلكات خمسة عبرانيين وخمسة وتسعين من الغرباء فإن اليهود سيعدونه مأساة يهودية بحتة، وسيكون ذلك من دون أي تكلف أو تصنع من طرفهم. وهذه المعايير تُعد عادية وطبيعة في معظم الدول ولدى معظم الشعوب في عصرنا الحديث. بكلمات أخرى نحن نعيش في عصر الهرطقة اللاوية.

وبعد إلقاء جميع اللعنات على رؤوس الأبرياء شريطة عودة اليهود إلى الالتزام «بالأحكام والسنن» قام «موسى» الذي أحياه وبعثه اللاويون في كتاب «التثنية» بإضافة مكافأة أخرى: «سيسير الرب إلهكم بنفسه أمامكم نيابة عنكم وسيفني تلك الشعوب لتسيطر عليها». وبعد ذلك سُمح لـ «موسى» بالموت في أرض المؤابيين. لقد خلقت «شرائع موسى» نظرية هدامة تقرر لها تهديد المسيحية فيما بعد وكذلك الحضارة الأوربية.

ومع بروز المسيحية قرر اجتماع لرجال اللاهوت المسيحيين توحيد العهد القديم مع الجديد في كتاب واحد ومن دون أي تفريق بينهما، وكأن الحديث يدور عن الجذر والزهر في نبات واحد ولكنهما في الحقيقة غير متجانسين تماماً كما هو الحال بين المادة الخاملة والقوة المحركة.

تشير الموسوعة الموجودة أمام كاتب هذه السطور وباقتضاب إلى أن الكنيسة المسيحية تُعد العهد القديم مقدساً تماماً كما تُعد العهد الجديد وعلى مستوى واحد. ولاشك بأن هذا القبول الشامل وغير المشروط للعهد القديم بكل كتبه وأسفاره هو السبب الرئيس للخلافات الحادة التي عصفت بالكنيسة المسيحية على مدى القرون وأدت إلى الانقسامات فيها لأن مطالبة الناس بالإيمان بأشياء متناقضة مع بعضها بعضاً هو أمر صعب. كيف يمكن تصديق «موسى» بأن الرب نفسه أمر الناس بمحبة جيرانهم وهو ذاته في مكان آخر يأمرهم «بتدميرهم الكامل»؟

وما هو القاسم المشترك بين الرب المحب للجميع في الرؤيا المسيحية وبين الإله القاذف للعنات في «التثنية».

في القديم كان سلوك الكثير من المستعمرين في أرجاء العالم لا يتطابق في أغلب الأحيان مع الأخلاق المسيحية، وأحياناً يعاكسها، فعلى سبيل المثال قام الإنكليز بنقل أعداد كبيرة من الزنوج من إفريقيا إلى أمريكا كعبيد. أيضاً المعاملة غير الإنسانية للمستوطنين الأمريكان والكنديين مع الهنود الحمر. أو اضطهاد البيض للزنوج في جنوب أفريقيا. ولكن إذا وافقنا على كل ما جاء في العهد القديم بما في ذلك الإلحاح على «التدمير الشامل» واعتبرناه مقدساً بقدر ما هو مقدس العهد الجديد فإنه يمكن «تبرير» هذه القسوة المذكورة أعلاه.

وفي الحقيقة تقع المسؤولية على الكهنة المسيحيين الذين يقولون بأن العهد القديم بكل ما فيه من سنن القتل والاستعباد هو أيضاً مقدس كما هو العهد الجديد وليس باستطاعة أي منهم أن يُعد نفسه على حق.

إن القرار الكهنوتي المسيحي باعتماد العقيدة اللاوية ألقى على المسيحية نفس الظل الذي وقع على اليهودية عام/٦٢١ق.م/. وعلى مدى تاريخ البشرية توجد وثيقة واحدة فقط استطاعت أن تؤثر في عقول البشر وعلى مستقبل الأجيال بنفس تأثير كتاب «التثنية».

ومن الممكن مع بعض التجاوز اعتبار كل تاريخ أوربة ولا سيما في القرن العشرين هو عبارة عن صراع بين «شرائع موسى» والعهد الجديد. صراع الدعوة إلى الحب ضد مبدأ الكراهية. صراع الناس الذين مع هذه العقيدة أو مع تلك.

من المعروف أن اللاوية ولدت وخلقت اليهودية وهذه الأخيرة كانت ستكون جنيناً ميتاً وكانت التثنية ستبقى مجهولة لو أن الأمر تعلق فقط باللاويين واليهود التابعين لهم. لقد كانوا

قلة قليلة ولكن حتى لو كان هناك شعب أكبر منهم بمئة مرة لما كان باستطاعته أن يجبر العالم على الأخذ بنظريته الهمجية.

لقد كان أمام «شريعة موسى» درب واحد يمكن أن يجعلها عاملاً قوياً يخرب حياة الشعوب على مدى العصور القادمة كان يلزمها غريب قوي قادر «أحد من ستقع عليهم اللعنة فيما بعد». يلزمها ملك عظيم من الوثنيين المحكوم عليهم فيما بعد بالفناء والموت.

شخص يمدها بالمال والسلاح. وهذا ما حدث بالضبط بعد ما أعلن «هوشع» «التثنية» على الناس عام/٦٢١ق.م/. وكل ما نشاهده على مدى العصور وحتى يومنا هذا هو أمر يبدو عجيباً للوهلة الأولى غير مألوف على الإطلاق ولكنه يتحول إلى حقيقة لا تقبل النقاش وهو أن حكام «الشعوب الأخرى» المحكوم عليها سلفاً بالدمار وقاموا مرات عديدة عبر التاريخ بدعم العقيدة المدمرة لهم وساعدوا على حساب شعوبهم تقوية وتطور الطائفة اللاوية المدمرة. فتقريباً بعد خمسة وعشرين عاماً من إعلان التثنية في أورشليم وتحديداً عام/٥٩٦ق.م/ احتلت بابل اليهودية وبدا الأمر وكأن النهاية قد حلت، وفي إطار الأحداث العظيمة الجارية في ذلك الوقت كان احتلال اليهودية حدثاً عابراً بسيطاً.

ومنذ ذلك الوقت لم تعد اليهودية دولة مستقلة ولولا اللاويون وتثنيتهم ولولا مساعدة الغرباء كانت «يهودا» ستسير مثل إسرائيل بطريق واحد مع كل البشرية.

ولكن بدلاً من ذلك أصبح النصر البابلي نقطة انطلاق في مسألة تركت آثاراً هائلة على حياة البشرية.

والذي حدث أن ملكاً غريباً في بابل ولأول مرة في التاريخ أخذ الشرائع اللاوية تحت جناحيه وتحت حمايته وبالتالي بدلاً من أن تموت هذه الشرائع أخذت تنمو وتقوى وظهرت دولة داخل دولة وشعب داخل شعب وكانت ظاهرة جديدة في حياة الشعوب.

لقد سجلت أول محاولة لاغتصاب السلطة وهو أمر جلب في المستقبل الكثير من الأذى والحزن للشعوب الأخرى. أما فيما يتعلق باليهود والعبرانيين الذين خلفوهم فإن حصتهم لا يحسدون عليها. وعلى أي حال لا تبدو السعادة على الكاتب العبراني «موريس صاموئيل» والذي بعد مرور/٢٥٠٠/ سنة من الأحداث المذكورة أعلاه كتب: «نحن العبرانيين مخربون وسنبقى دائماً وإلى الأبد مخربين ومهما فعلت الشعوب الأخرى لخيرنا ومصلحتنا لن نكون مسرورين أبداً..».

وفي هذه الكلمات يمكن أن نقرأ نوعاً من السخرية والشماتة أو عدم الحياء ولكن لمن درس «الجدل حول صهيون» عبر القرون فإنه سيرى فيها عويل شخص يائس لا يستطيع بنفسه الخلاص من مذهب الدمار المزروع في الشرائع الموسوية التي ألفها الكهنة اليهود.

الفصل الرابع

صنع الأغلال

تميزت البابلية بنتائج حاسمة ليس فقط للقبيلة اليهودية «الضئيلة في ذلك الوقت» بل وفي نهاية الأمر لكل العالم المعاصر.

لقد تمكن اللاويون خلال مرحلة «السبي البابلي» من خلق نظام لا يزال ومنذ ذلك الوقت يعمل ويؤثر باستمرار في حياة الشعوب.

في ذلك الوقت كانت التثنية موجودة وأضاف إليها اللاويون أربعة كتب أخرى ووضعوا بذلك شريعة الكراهية الدينية العرقية والتي كان عليها فصل اليهود وإلى الأبد عن باقي الإنسانية.

وحصل اللاويون في بابل على خبرة في إخضاع اليهود لهذه الشريعة وأبعدوهم بذلك عن السكان الأصليين، ومع الوقت ازداد نفوذ اللاويين على اليهود وازداد تأثيرهم على حكامهم البابليين وفي نهاية الأمر سحقوا ودمروا تماماً ديار أسيادهم. وحتى لو لم يحدث ذلك في حقيقة الأمر فإن هذه الصورة هي التي أدخلت إلى التاريخ وقبلت بها الأجيال القادمة واعتادت بالتالي على أن اليهود قوة مدمرة لا تقهر.

أما السبي المصري فيبدو أسطورياً للغاية، وتدحضه في الحقيقة وقائع تاريخية عديدة. ولاشك أن كتاب «الخروج» كتب بعد المرحلة البابلية، ومن المتوقع أن الكتبة اللاويين وضعوا هذه الأسطورة للسبي الأول وصوروا عقاب «يَهْوَه» للمصريين لكي يؤكدوا روايتهم عن السبي البابلي التي كانت قد كتبت في ذلك الوقت.

أما ما حدث حقاً فلم يكن أبداً يشبه السبي الجماعي ومن ثم العودة الجماعية لشعب بكامله.

لم يحدث أي تهجير أو سبي جماعي من أورشليم إلى بابل ولا يمكن أن يحدث ذلك ما لأن الغالبية من الشعب اليهودي «الذي انبثق منه العبرانيون» كانت قد توزعت على شواطئ المتوسط إلى الغرب وإلى الشرق من اليهودية بحثاً عن ظروف أفضل للتجارة، حيث كانت ظروف تلك الأيام في هذا المجال متشابهة جداً مع ظروفنا الحالية.

وبقي في أورشليم فقط نواة أكثرها من المتعصبين لقدسية الهيكل بالإضافة إلى من ربطتهم أعمالهم بتلك الأرض. ويشير المؤرخون إلى أن عدد الأسرى اليهود في بابل لم يزد على بضع عشرات من الآلاف، وهم جزء بسيط من سكان اليهودية. ومهما تباكى الأدب والأدباء من ذلك الحين على المصير المر للشعب العبراني فإن الأمر كان عادياً وسبي الشعوب المقهورة في ذلك الزمان كان أمراً مألوفاً للغاية.

وتاريخ شعب «البارس» في الهند يشابه كثيراً تاريخ العبرانيين وحدث سبيهم في الوقت نفسه تقريباً، وهم أيضاً فقدوا دولتهم وبلدهم وسكنوا الشتات كطائفة دينية. وفي العصور اللاحقة هناك الكثير من الأمثلة لمجموعات عرقية أو دينية افترقت عن وطنها الأم وعاشت بعيدة عنه ولكنها غالباً ما تحتفظ عنه بذكريات عطرة ودافئة. أما المؤمنون فلهم زيارة الأماكن المقدسة لديهم والحج إليها. «مكة... روما...».

الفرق الوحيد هو أن اليهود يطابقون بين أرض وطنهم الأول وبين المدينة المقدسة ويُعدوهما شيئاً واحداً. وكذلك طالب «يَهْوَه» بالعودة المظفرة وعلى أشلاء الغرباء المدمرين. طالب بالعودة إلى هناك ومتابعة الصلوات الهيكلية في الأرض المقدسة. من المعروف أن الحياة اليومية لليهود تخضع لقواعد الديانة ذاتها ولذلك تصبح المطالب القومية السياسية في الوقت نفسه رمزاً للدين.

إن الكثير من العادات والتقاليد الدينية المشابهة لهذه تحجرت مع الزمن واندثرت. واحدة منها فقط وصلت حية إلى العصر الحديث حيث بلغت ذروة قدراتها التدميرية. ولقد كان السبب في ذلك كله الخبرة المتراكمة لدى اللاويين في فترة السبي البابلي حيث قاموا ولأول مرة باستخدام مبدئهم واختباره في ظروف الغربة. وكانت المعاملة الطيبة التي عاملت بها بابل أسراها قد تعارضت بشكل مباشر مع تعاليم التثنية التي فرضت على اليهود قبل هزيمتهم بقليل. لو انتصر اليهود في تلك الحرب لكان عليهم أن «لا يتركوا على قيد الحياة أي شيء يتنفس».

أما الأسرى اليهود فكما كتب «كاستين» فقد «تمتعوا بحرية كاملة» في اختيار مكان الإقامة والديانة ونوع العمل، ومنحوا الإدارة الذاتية وهو أمر سمح للاويين إخضاع واستعباد شعب كان عملياً حراً. وقام الكهنة بإجبار اليهود على السكن على شكل جماعات متقاربة متكاتفة وهكذا برز «الغيتو» إلى الوجود وتحت سلطة اللاويين.

ومن تجربة الانعزال الذاتي الأولى هذه في بابل ظهرت فيما بعد في العصر المسيحي شريعة التلمود التي فرضت عزل ونبذ العبراني الذي يبيع أرضاً للغريب دون موافقة أقربائه.

وفي الحقيقة كانت عملية تجميع النازحين اليهود في «غيتو» خاص، أمراً صعباً وتطلب مساعدة الحاكم الغريب، وقد جاءت هذه المساعدة في تلك المرة وفي مرات عديدة كثيرة في المستقبل.

وبعد إحكام القبضة على أبناء القبيلة أخذ اللاويون بتنفيذ الشريعة. وكما ذكرنا سابقاً فقد أضافوا إلى التثنية أربعة كتب أخرى وانتهوا بذلك إلى ما يسمى الآن بالتوراة. وفي البداية كانت هذه الكلمة تعني «مذهب» أما الآن فهي تفسر على أنها «قانون» وتجدر الإشارة إلى أن كلمة «انتهوا» في هذه الحالة لا تتفق مع الواقع. لقد انتهوا فقط من التوراة بمعنى كتابة الكتب الخمسة، أما فيما يتعلق بالشريعة فهم لم ينتهوا منها في حينها ولا يمكن أن ينتهوا أبداً، لأنه وحسب التلمود «ملحق متأخر للتوراة» فهناك أيضاً توراة سرية يُزعم أن هناك حقاً مقدساً للكهنة وحدهم بتفسيرها. وفي حقيقة الأمر يتعرض القانون والشريعة إلى تغييرات مستمرة ويحشر فيه على الدوام تعديلات جديدة، والقصد من ذلك عدم السماح لأي غريب الاستفادة من الامتيازات التي هي سهلة المنال للقريب. ولقد ورد فيما سبق أمثلة على هذه التعديلات وسنتعرض لغيرها في هذا الفصل.

وقد أصبح كره واحتقار الغريب الهدف الأوحد والدائم لهم، وهو بالطبع جزء عضوي من الشريعة التي أدخل عليها باستمرار قيود عنصرية تمييزية جديدة. وبنهاية تأليف التوراة تشكل ستار عزل معتنقيها عن بقية البشرية وهو ستار فريد لم يترك أي فوارق بين القوانين المدنية وقوانين «يَهْوَه». أي بين الحقوق المدنية والعقيدة الدينية الجامدة، ولم يعترف بقوانين الغرباء المدنية أو الدينية، وقد فُسرت أي محاولة لإدخال القوانين الغريبة على أنها ملاحقة واضطهاد للعبرانيين، ذلك لأن القانون الوحيد الحقيقي بالنسبة لهم كان قانون «يَهْوَه». حيث يرى الكهنة أن الحياة اليومية بكل تفاصيلها الصغيرة يجب أن تخضع لأحكام وسنن التوراة. أما الاعتراض القائل بأن «يَهْوَه» لم يتمكن من تلقين «موسى» على جبل سيناء تعاليم يمكن أن تمس جميع جوانب الحياة الإنسانية المختلفة، فقد رفض استناداً إلى وجود «التعاليم الشفهية» والتي زعم أن «يَهْوَه» كشف سرها لـ «موسى» وأما الحق بتفسيرها وبشكل لا يعرف الحدود فيعود إلى اللاويين من جيل على جيل، ومن الملاحظ آن الاعتراض على كل ما ورد أعلاه كان نادراً، وذلك لآن الأحكام فرضت على المترددين والمشككين حكم الإعدام.

ولقد لاحظ «مونيتفوري» أن العهد القديم هو عبارة عن فضح الشرائع وليس إلهاماً بالحقيقة. وإنه لم يكن بإمكان أنبياء إسرائيل معرفة أي شيء عن التوراة لأن اللاويين أنهوا كتابتها فقط في بابل. أما كلمات «آرامیا»: «أما ترون أن قلم الكتبة الكاذب حولها إلى باطل».

فعلى الغالب قصد بها التحريفات اللاوية المتكررة لأقول «يَهْوَه» و «موسى».

عندما كتبت التوراة لم تتضمن مفهوم الخطيئة وهذا أمر مفهوم ومنطقي جداً. لأن الشريعة لا تتعرف على الخطيئة بل على الجريمة والذنوب. والتوراة عرفت فقط عدم الالتزام وعدم التقيد والتي تضمنت الجريمة والذنوب، أما خرق قواعد الأخلاق والفضيلة وهو ما يرمز له بكلمة «الخطيئة» فلم تعاقب التوراة عليها بل وعلى العكس نصحت بها في بعض الأحيان وفي معظم الأحوال الأخرى كان يكفر عنها بواسطة الأضاحي.

فكرة العودة ومفهوم التدمير والتسلط على الغرباء المرتبط معها كانت أساس العقيدة ومن دون هذه الفكرة لا يبقى من هذه العقيدة أي شيء.

ولكن في الحقيقة لم تكن لدى الشعب اليهودي أي رغبة في العودة من بابل إلى أورشليم «كما هو الحال الآن حيث لا يوجد لدى الغالبية العظمى من العبرانيين أي رغبة بالعودة إلى إسرائيل لدرجة أن الدولة الصهيونية تحصل على المال في الخارج بسهولة أكثر مما تحصل على مهاجرين» ويُعد التنفيذ الحرفي للشريعة المبدأ الأهم في العقيدة اللاوية، وقد تطلب الحصول على فلسطين كمركز لإمبراطورية الحكم القادمة. وهو مطلب له سمة سياسية وليست جغرافية «مطالب أرض».

وكما ذكرنا سابقاً أضاف اللاويون إلى «التثنية» أربعة كتب: «الخروج»، «التكوين»، «اللاويون»، و «الأعداد»، ويقدم «الخروج» و «التكوين» التاريخ بالصورة التي أرادها اللاويون. والتاريخ يبدأ هنا من خلق الكون في يوم محدد «تاريخ محدد» زعم الكتبة بمعرفته. على الرغم من أنه في أول فصلين من «التكوين» نرى أن قصة خلق الكون جرى سردها بشكل مختلف نوعاً ما، ويؤكد المؤرخون أن آثار أيدي اللاويين تبدو أكثر وضوحاً في الفصل الثاني منها في الفصل الأول. وفي أفضل الأحوال حفظت التقاليد الإسرائيلية القديمة في كتب الخروج والتكوين وكذلك في مقاطع من أحاديث الأنبياء الإسرائيليين التنويرية.

ولكن عادة ما يتبع الكلمات الحميدة تعليقات أصولية متعصبة تلغي تماماً المعنى الأول لتلك الأحاديث، ومن المعروف أن هذه التعليمات هي إدخالات لاوية متأخرة. ويبقى لغزاً لماذا أبقى اللاويون على مقاطع تتكلم عن الرب الشامل المحب وهو المناقض تماماً لما جاء في «التثنية» اللاوية، على الرغم من مقدرة اللاويين على حذف كل ذلك بسهولة. يمكن تفسير ذلك بالتكهن بأن هذه الأقوال القديمة كانت معروفة بشكل جيد للقبيلة كلها، الأمر الذي جعل حذفها أمراً صعباً للغاية مما أجبر اللاويين على الإبقاء عليها، ولكن بعد أن سمموا محتواها بتفسيراتهم وإضافاتهم المجازية.

وعلى الرغم من أن «الخروج» و «التكوين» كتبا وخرجا إلى الوجود بهد الانتهاء من تأليف التثنية. إلا أن موضوع التعصب القبلي قليل فيها. وهو أمر لا ينطبق على «التثنية» حيث التعصب هناك واضح، وكذلك الأمر في كتب «اللاويون» و «الأعداد» لأن يد اللاويين كانت تسرح وتمرح في «يهودا» المنعزلة المتقوقعة وفي بابل. وبكلام آخر حمل كتاب «التكوين» إنذاراً بالبرق والرعود المقبلة مثل الفصل الثاني عند المقطع الثاني والثالث. «أجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة وأبارك من يباركك وألعن من يلعنك وتتبارك بك جميع عشائر الأرض».

أما في «الخروج» فالقول يتضح قليلاً: «وإذا نفذت كل ما أقوله لك. فسأعادي أعداءك وسأدمرهم». وقد يكون هذا المقطع الأخير عبارة عن حاشية أوصلت فيما بعد.

ولكن في «الخروج» يبدو ويظهر أمر أساسي ومهم وهو أن العهد مع «يَهْوَه» يوثق بالدم ومن هذه النقطة يأخذ الدم بالجريان أنهاراً في كتب «الشريعة» فمثلاً في الفصل الرابع والعشرين في المقطع الثامن:

«وأخذ «موسى» الدم ورشه على الشعب وقال هذا هو دم العهد الذي عاهدكم الرب به على جميع هذه الأقوال» وبعد ذلك يحصل أبناء عشيرة «هارون» على منصب الكهنة بشكل ثابت ومتوارث وهو أمر يوثق أيضاً بالدم.

ويقول «يَهْوَه» لـ «موسى»: «وخذ من بني إسرائيل «هارون» أخوك وبنيه ليكونوا كهنة لي». بعد ذلك يسرد «يَهْوَه» بإسهاب تعليماته لـ «موسى» حول طقوس التقديس. وحسب الكتب اللاوية كان على «موسى» أن يأخذ عجلاً وكبشين لا عيوب فيها وأن يذبحها أمام الرب ثم يحرق على المذبح كبشاً وجوف العجل.

أما دم الكبش الآخر فيأخذ منه ويمسح به شحمة أذن «هارون» اليمنى وشحمات آذان أبناء «هارون» اليمنى وكذلك على أباهيم أيديهم وأرجلهم اليمنى ومن ثم يرش الدم الذي على المذبح ومن زيت المسح ويرش على «هارون» وثيابه وأبنائه وثيابهم.

ولا شك بأن منظر الكهنة المغمسين بالدم هو أمر مثير للغاية ويدفع إلى الوجوم والتفكير حتى في عصرنا الحديث وبعد مرور قرون على ذلك.

لماذا تلح وبإصرار كتابات اللاويين على إلقاء الضوء على طلب «يَهْوَه» للأضاحي الدموية؟

على ما يبدو أن الطائفة أرادت استخدام هذا الشكل المروع للتخويف والإرهاب بحيث يرتعد أي يهودي عند أي تذكير بالدم ويأخذه الخوف على مصير ابنه البكر، لأن كتاب

«الخروج» يبلور بشكل واضح ادعاء الكهنة المتزمت على جميع المواليد الأبكار في القبيلة. «وقال الرب لـ «موسى» كل بكر فاتح رحم فهو لي وكل بكر ذكر من الإنسان حتى الحيوان فهو لي».

ولقد ورد سابقاً كلام «ميخيا» حيث ذكر أن التضحية بالأبكار من الأولاد استمرت فترة طويلة. لذلك لا بد من أن منظر الكهنة اللاويين الملوثين بالدم كان عليه بعث الخوف والرعب في قلوب الناس البسطاء.

لقد طلب الرب لنفسه الأبكار حسب ادعاء اللاويين ولكن مع سماع جملة «من الإنسان إلى الحيوان» يصبح هذا الطلب مرعباً فعلاً. ولكن وحتى بعد توقف عمليات ذبح الأبكار من الأولاد بقيت هذه الكلمات مصدر قلق وخوف لأن الكهنة يمكن أن يطلبوا متابعة هذا العمل في أي وقت من الأوقات. ويؤكد ذلك أن قوانين وأعراف التلمود العبراني تطلب رش الكهنة بالدم.

وفي عام/١٨٨٥م/. (أي بعد/٢٤/ قرناً من كتابة «الخروج») أعلنت منظمة الحاخامات الإصلاحيين الأمريكية في «بيتسبورغ»: «نحن لا ننتظر لا العودة إلى فلسطين ولا طقوس عبادة مع الأضاحي التي قام بها بنو «هارون» ولا عودة أي قانون من قوانين الدولة العبرانية. ونحن يهمنا في هذا الأمر أن الوضع في عام /١٨٨٥م/ تطلب إعلاناً من هذا النوع. وهو يبين الطرف المعاكس «للإصلاحيين» من المؤسسة العبرانية تابع حتى في ذلك الوقت الالتزام بالشريعة ومن ضمنها «طقوس العبادة مع تقديم الأضاحي».

وبحلول عام/١٩٥٠م/ ضعفت جداً قوة حاخامات الإصلاح وأخلت مكانها للقوى الشوفينية الصهيونية.

والأمر الذي يؤكد أن التوراة من تأليف اللاويين هو أن أكثر من نصف كتبها الخمسة محشوة بإرشادات وتعاليم وأوامر صادرة مباشرة عن «الرب» وهي حول تصاميم وتجهيزات المذبح والمسكن وعن نوعية قماش ورسوم ثياب الكهنة والأفود والزنار والتاج المقدس، وعن شكل ونوع السلاسل الذهبية والأحجار الكريمة التي تزين الكهنة الملطخين بالدم، وكذلك عدد وأنواع الحيوانات المقدمة كذبائح تكفير عن الذنوب. وأشار إلى ما يجب فعله بدم الذبائح وكذلك أشار إلى الهدايا والتقدمات النقدية وغيرها إلى المعبد وكذلك حول امتيازات وحقوق اللاويين.

ومن السهل الافتراض أن الرب ليس بحاجة إلى دم الذبائح ولا تهمه ثياب الكهنة الثمينة والمزركشة. وهذا الأمر بالذات رفضه الأنبياء الإسرائيليون ورفعوا أصواتهم ضده. ولقد دعا هؤلاء الأنبياء إلى رفض تخليد العقيدة البدائية. ولكن على الرغم من ذلك بقيت الطقوس المذكورة أساس وصلب قوانين وشرائع الطائفة الحاكمة لليهود.

ولقد وضع الكتبة اللاويون في كتب «الشريعة» الكثير من الأمثلة المجازية أو الجلية والواضحة على العواقب الوخيمة التي يؤدي إليها الإخلال بالشريعة وعدم الالتزام بها.

ويلاحظ أن حكايات «العهد القديم» والعبر المستقاة منها لها نتيجة واحدة- الموت للمرتد. ومن أكثر الحكايات شهرة هي عن العجل الذهبي في كتاب «الخروج»: عندما كان «موسى» لا يزال على الجبل قام «هارون» بصنع عجل ذهبي ليعبده الناس، وعندما عاد «موسى» وشاهد ذلك: (... فاجتمع إليه «بنو لاوي» فقال لهم: الرب إله إسرائيل قال ليحمل كل منكم سيفه ويطوف في المحلة من باب إلى باب ويقتل أخاه وصديقه وجاره. وقد قاموا بفعل ذلك بحيث قتل في ذلك اليوم من الشعب نحو ثلاثة آلاف إنسان).

وعندما ورثت المسيحية «العهد القديم» ورثت معه حكاية العجل الذهبي ونظرت إليها وفسرتها على أنها تحذير من عبادة الأوثان.

ولكن السبب الحقيقي لابتداع اللاويين للعجل الذهبي هو على ما يبدو أن الكثير من اليهود وحتى بعض الكهنة توصلوا إلى قناعة بأن الذبح الرمزي للعجل الذهبي سيرضي الرب أكثر من «الصراخ» الدائم للحيوانات المغموسة بالدم ومن «الرائحة الحلوة» للذبائح المحروقة.

لم يرضَ اللاويون ولم يسمحوا وحتى في أي ظرف من الظروف تخفيف طقوسهم القاسية، وتشير الحكايات إلى أن أي محاولة لتغيير الطقوس كانت تجلب العقاب لأصحابها. ويمكن على سبيل المثال ذكر حكاية في كتاب «الأعداد» وهي «عصيان قورح» عندما «قام مئتان وخمسون رجلاً بينهم رؤساء الجماعات والأجلاء الأعضاء في المجتمع واجتمعوا ضد «موسى» و «هارون» وقالوا لهما: كفى! فالجماعة كلها مكرسة للرب. والرب فيما بينها فما بالكما تتكبران على جماعة الرب؟».

وكان ذلك تكراراً لأقوال الأنبياء الإسرائيليين في احتجاجهم على الامتيازات الكثيرة للاويين، والقصد من الحكاية ولا شك هو الرغبة بالقضاء على أي رغبة في مثل هذه الاحتجاجات: «وفتحت الأرض فاها فابتلعت «قورح» وكل رجال «قورح» مع بيوتهم وأملاكهم» ولكن المجتمعين تابعوا تذمرهم مما أدى إلى: «ظهور غضب الرب وبدأت الهزيمة».

ومنذ تلك اللحظة وحتى لحظة استشفاع «هارون»: «قتل بالضربة أربعة عشر ألفاً وسبع مئة شخص».. ومباشرة بعد سرد الحكاية ينصح الحضور باحترام الكهنة ويقوم «يَهْوَه» بنفسه بتعداد الأشياء الإضافية التي على القبيلة تقديمها إلى اللاويين «وأفضل ما في الزيت وأفضل ما في الخمر والحنطة التي يعطونها للرب جعلتها لك».

ويبدو أن «الخروج» و «التكوين» خرجت متزنة نوعاً ما لأن الأساطير القديمة كانت لا تزال تعيش في أذهان الكثير من الناس لذلك لم يكن بمقدور اللاويين التلاعب بالتاريخ كما يحلو لهم.

ولكن الخيال يصدح لأول مرة في كتاب «التثنية» وصداه أقوى في كتابي «اللاويون» و «الأعداد» ثم يقوى ويقوى أكثر فأكثر ويصل إلى حد أن حكاية وصف آخر المذابح العرقية الدينية تقدم على أنها عمل مشرف عظيم و «التزام» يستحق التقدير الخاص من الرب.

هذه الكتب الأخيرة هي وصايا «موسى» وتحكي عن لقاءاته مع الرب. ولا يوجد فيها ما يشير إلى «إنه عثر على مخططاتها المكتوبة تحت غبار العصور». هذه الكتب في حقيقة الحال من تأليف الكهنة. ومنها نرى كيف تطور خيال طائفة الكهنة في هذه المرحلة وكيف دعا بحرارة إلى الكراهية الطائفية والعرقية.

تدعو «التثنية» في البداية: «. ولذلك أحبوا الغريب».. وهو كلام على ما يبدو يعود إلى الأساطير الإسرائيلية القديمة. ولكن سرعان ما يلغى هذا الكلام ويطالب بشطب الغريب من الذين لا يجوز الربا معهم.

وأما كتاب «اللاويون» فيذهب إلى أبعد من ذلك بكثير على الرغم من آنه يبدأ بالدعوة إلى حب الغريب: وليكن الغريب بينكم كالأصيل منكم أحبوه كما تحبون أنفسكم «الفصل التاسع عشر». ولكن فيما بعد وفي الفصل الخامس والعشرين تحديداً يتم نفي كل ذلك.

«ومن الأمم حولكم تتقون العبيد والإماء وكذلك من أبناء الغرباء المقيمين معكم ومن عشائرهم التي عندكم. المولودون في أراضيكم. هؤلاء تأخذونهم لكم وتورثونهم لبنيكم من بعدكم ملكاً لهم فيستعبدونهم ما داموا أحياء. أما أخوتكم بنو إسرائيل فلا يتسلط أحدهم على الآخر بعنف».

وأصبح تحويل الغرباء إلى أملاك منقولة، عقيدة ولّدت توارث العبيد. وهي لا تزال حية في الشريعة اليهودية إلى هذا اليوم.

ولو كان العهد القديم فعلاً كتاباً ربانياً كما العهد الجديد لاعتبر المستوطنون البيض، الذين استخدموا جهد العبيد في أمريكا وجنوب أفريقيا، أنفسهم مسيحيين خيرين.

ويلاحظ التمييز أكثر جدية وحدّه بين «القريب» و «الغريب» في كتاب «اللاويون» ولا سيما في موضوع الاغتصاب. وفي «التثنية» الفصل الثاني والعشرين نقرأ: «إذا صادف الرجل فتاة مخطوبة في الحقل فأمسكها وضاجعها يقتل الرجل وحده، أما الفتاة فلا تعاقب لأن لا خطيئة

عليها توجب القتل والحدث كما لو وثب رجل على آخر فقتله. فالفتاة المخطوبة ربما تكون صرخت حين صادفها الرجل في الحقل فلم يكن من يخلصها».

هذه النظرة إلى الاغتصاب هي عادية وطبيعية فيما عدا ما يخص العقوبة الصارمة وهو أمر يبدو أنه كان هكذا في جميع شرائع ذلك الزمان. والمقطع المعروض أعلاه بلا شك يبين علاقة الإسرائيليين القدماء نحو مثل هذه الذنوب. وهي علاقة صريحة ومنصفة ولا تنظر في وضع الضحية الاجتماعي أو الطبقي.

ولكن في الفصل التاسع عشر من كتاب «اللاويون» نرى إنه: «إذا ضاجع رجل جارية مخطوبة لآخر وهي غير محررة بفدية ولا معتوقة فيؤدبان ولا يقتلان لأنها لم تعتق. ويسامَح الرجل إن جاء بكبش ذبيحة إثم للرب فيكفر عنه الكاهن خطيئته أمام الرب فيسامحه»..

أما المرأة فتعاقب بالضرب بالعصا ، ونرى أن إفادة المرأة في الشريعة ليس لها أي قيمة أمام إفادة الرجل صاحبها «مالكها» في حال وقوع الاغتصاب. وهذا التعديل يدخل التمييز في مواد كتاب «التثنية» ويمكن القول بأن التلمود يحتوي على أمثلة ذات طابع مشابه. ويحتوي «اللاويون» على حكايات حول «عدم الالتزام» وعواقبه المخيفة وهي تبين إلى أي مدى وصل اللاويون في ذلك. ويورد مثالاً لشخصيتين لاويتين رمزيتين احضر كل واحد في مجمرته ناراً غريبة ووضع عليها بخوراً وقربوها أمام الرب. قربوا أمام الرب ناراً غير مقدسة. وهو فعل يبدو في بداية الأمر ليس في غاية الجدية. ولكن اللاويين لهم رأي آخر في ذلك. فالأمر بالنسبة لهم خرق «للشريعة» لذلك وعلى الفور: «خرجت نار من عند الرب وأكلتهما»..

وآخر الكتب هو كتاب «الأعداد» ويتميز هذا الكتاب بأقصى التطرف. وقد تخلى اللاويون في هذا الكتاب عن المطالبة بالأبكار من الأولاد ولكنهم في الوقت نفسه حافظوا على العقائد الأساسية للشريعة: وتطلب الأمر لعبة سياسية عبقرية.

فعلى ما يبدو أن المطالبة بالأبكار أصبحت بالنسبة لهم مصدراً للمتاعب، ولكن في الوقت نفسه كان من الصعب حذف فصل كامل من الشريعة والتي كما هو معروف لم تسمح بأي تشكيك أو ارتداد. لأن مثل عدم «الالتزام» هذا يُعد جريمة نكراء. ولكن المخرج من هذا المأزق وجد بسرعة وكان الحل عن طريق تفسير جديد للشريعة. وأعلن اللاويون أنفسهم أبكاراً افتدى بهم الرب الأبكار وهو أمر لم يعرضهم إلى خطر حقيقي ولكنه أعطاهم الحق بطلب الشكر الدائم من القبيلة التي أحسنوا أليها وخلصوها من مشكلة التضحية بالأبكار: «وقال الرب لـ «موسى» أنا أخذت اللاويين من أبناء إسرائيل بدلاً من جميع الأبكار الفاتحين للرحم من أبناء إسرائيل. يجب أن يكون اللاويون لي لأن جميع الأبكار لي».

«وبما أن عدد الأبكار كان أكثر بـ /٢٧٣/ من عدد منقذيهم اللاويين فقد توجب دفع فدية عن كل منهم لـ «هارون وأبنائه» وقدرها خمسة شيكلات».

لقد استندت سلطة اللاويين منذ البداية على التخويف والإرهاب الذي اخترعوا له طرقاً عديدة، والمثال على ذلك «اختبار الغيرة»: إذا نزل على شخص «روح الغيرة» فإن الشريعة أمرته بإحضار زوجته إلى الكاهن الذي يقدم لها عند المذبح شراباً اسمه «المادة المرة» لتشربها ويقول لها خلال ذلك: «إذا لم يضاجعك أحد وأنت غير مدنسة ولم تخوني زوجك فإن هذا الشراب لن يؤذيك. ولكن إن كنت قد خنت زوجك ودنست وإذا ضاجعك أحد ما غير زوجك فليلعنك الرب ويجعلك لعنة ومسة بين شعبك ويجعل وركك ساقطاً وبطنك متورماً».

وإذا انتفخت بطن المرأة بعد شربها للمادة المرة فإن الكاهن ينفذ الشريعة ويدفعها إلى الموت. ومن الواضح أن طقوساً من هذا النوع أعطت الكهنة سلطة واسعة على الناس البسطاء. وهم في ذلك لا يختلفون بشيء عن سحرة أفريقيا الهمج على الرغم من زعمهم بتنفيذ أوامر الرب.

وكانت اللمسات الأخيرة التي وضعت على «الشريعة» في الفصل الأخير من كتاب «الأعداد» وهي عبارة عن حكاية عن «موسى» و «مديان» وكما لاحظ القارئ فإن حياة وأعمال «موسى» كتبت في «الخروج» بشكل جعله من المجرمين المحترفين. لأنه خرق قوانين «التثنية» والكثير من التعديلات المدخلة عليها في كتابي «اللاويون» و «الأعداد».

لقد حصل «موسى» على ملجأ وسكن عند «المديانيين» وتزوج من امرأة «مديانية» هي ابنة الكاهن الأول هناك وهو الذي علمه ولقنه «أي موسى» طقوس ديانتهم. أي بكلمات أخرى لقد تزوج «موسى» من «ابنة الشعوب الأخرى» وذهب «باحثاً عن آلهة أخرى» وارتكب غير ذلك من الآثام. ولكن وبما أن كل بناء «الشريعة» ارتكز على شخص «موسى» وطلب من الناس في الكتب التالية عدم ارتكاب أعمال وأفعال قام هو ذاته بارتكابها. فقد توجب وبسرعة تدبير أمر ما معه قبل الانتهاء من كتاب «الشريعة» وإلا فإن كل ما بناه اللاويون سينهار.

ولقد ورد في نهاية كتاب «الأعداد» كيف تمكن الكتبة اللاويون من إنقاذ الأمر وحل تلك المعضلة. جعلوا من «موسى» منفذا مطيعاً لكل القوانين «والسنن والأحكام» ثم دفعوه إلى قتل وسحق كل قبيلة «مديان» ما عدا العذارى وبذلك كفر عن ذنوبه.

ولكن في هذه القصة يلاحظ استطراد غير طبيعي فيها. فكيف ينقلب شيخ «بطريرك» الحكمة والعطف فجأة إلى داعية لشريعة الكراهية والقتل. وأجبر «موسى الجديد» هذا على قتل الشخص الذي أنقذه ومن كن الحب له. فقد قتل ولديه وزوجته وأباها.

إن تحول «موسى» هذا كان ضرورياً للاويين لتبرير العقيدة العرقية الدينية التي وضعوها، وفي الفصل الخامس والعشرين من «الأعداد» وضعوا في فم «موسى» كلمات «الرب الملتهب من الغضب على إسرائيل» لأن شعبه اتجه إلى آلهة أخرى.

ثم جاء بعد ذلك: «فقال الرب لـ «موسى» خذ معك جميع رؤساء الشعب واصلبهم في الشمس أمام الرب.. وقال «موسى» لقضاة بني إسرائيل: ليقتل كل منكم أياً من قومه تعلق ببعل فغور».

(انتشرت عبادة «فغور» بكثرة في كنعان وأثار قلق اللاويين الشديد منافستها لعبادة «يَهْوَه») وهكذا أضيف إلى الرواية موضوع الكراهية الدينية وبعده مباشرة أدخل موضوع الكره العرقي: (لا يجوز لأحد من أبناء إسرائيل إحضار «مديانية» إلى طرف أخوته أمام عيون موسى).

وذهب فنحاس «وهو حفيد هارون شقيق موسى» إلى أبعد من ذلك عندما: «اقبل رجل إسرائيلي مع امرأة «مديانية» على مرأى من عيون «موسى»، فلما رآه «فنحاس بن ألعازار بن هارون» الكاهن وقام وأخذ رمحا ودخل إلى مخدع الرجل الإسرائيلي فطعنه هو والمرأة في بطنهما».

وبفضل هذا العمل المجيد: «كفت الضربة عن بني إسرائيل «ضربة طاعون».. وقال الرب لـ «موسى»: «رد فنحاس بن ألعازار بن هارون غضبي عن بني إسرائيل لأنه الوحيد بينهم أظهر غيرته عليّ قل له إنني أعطيه عهداً وسلاماً». وهكذا ومرة أخرى ثبت اللاويون بالدم العهد بين «يَهْوَه» والكهنة من نسل «هارون». وهو دم جريمة قتل عرقية دينية، وزعم أن الرب تقبل ذلك الدم المهدور وكفر به عن بني إسرائيل. أما «موسى» شاهد جريمة القتل تلك فقد نفذ أوامر الرب: «ضايقوا المديانيين واضربوهم» ولا شك بأن الرمزية في كل ذلك واضحة جداً. فعلى اللاوي «موسى» أن يسحق في وقت واحد الآلهة الغريبة «إله يعفور معلمه الكاهن الأول» وكذلك جميع الغرباء «قبيلة زوجته وأبيها» وقد قدم اللاويون ذبح «المديانيين» الأخير على أنه آخر أفعال «موسى» على وجه الأرض والذي بفضله سامح الرب «موسى» قبل موته. وكلم الرب «موسى» فقال: «انتقم من «المديانيين» لبني إسرائيل وبعد ذلك تموت وتنضم إلى آبائك»..

وبعد هذه الأوامر انطلق رجال «موسى»: «للحرب على «المديان» كما أمر الرب «موسى» وقتلوا جميع الرجال أما النساء «المديانيين» وأطفالهم فأخذهم بنو إسرائيل سبايا وكذلك غنموا جميع مواشيهم وممتلكاتهم وأحرقوا بالنار مدنهم..».

ولكن كل ذلك لم يكن كافياً فقد صب «موسى»، زوج «المديانية» المحبة له وأم طفليه، غضبه على قادة الجيوش وقال: لماذا أبقيتم الإناث كلهن على قيد الحياة. إنهن من قاد بني إسرائيل إلى خيانة الرب لمصلحة «ففور». فحلت الضربة في جماعة الرب. والآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال، وأما البنات اللواتي لم يعرفن رجلاً فاستبقوهن لكم.

وبعد ذلك تحصى الغنائم والأسلاب. في البداية أعداد الماشية والحمير ومن ثم: «البنات العذارى. اثنان وثلاثون ألفاً».

وقد تقاسمها فيما بينهم اللاويون والجنود والمؤمنون الآخرون أما الذهب فقد أعطي للاويين «لأجل الرب».

بعد ذلك سمح لـ «موسى» بالموت وانتهت كتابة كتب «الشريعة» وبإمكان القارئ أن يقارن بنفسه الفصل الخامس والعشرين والفصل الحادي والثلاثين من كتاب «الأعداد» مع الفصل الثاني والثالث والثامن عشر من «الخروج» وسيرى أنَ هناك وبالفعل قوة شيطانية في تصوير اللاويين لـ «يَهْوَه» و «موسى».

ويشرح هنا «للشعب المختار» كيف عليه خدمة اليهودية. أما بالنسبة لبقية العالم فيظل ذلك تحذيراً وحتى يومنا هذا. وبهذه الصورة الكئيبة تنتهي الشريعة. لقد كتبتها وألفتها طائفة صغيرة في بابل ومع بضعة الآلاف من أتباعها المؤمنين بها. ولكن قوة عقيدة هذه الطائفة كانت عظيمة جداً. وهم باعتبارهم القيم المادية هي العليا في الأرض، ربطوا أنفسهم إلى الأبد مع الأقوى من القوتين المتحاربتين دائماً للسيطرة على النفس البشرية. هذه النفس التي تجذبها إلى الأسفل قوة الشهوات البهيمية الجسدية والتي تقاوم قوة المثل التي ترفع هذه النفس إلى الأعلى.

ويعطي رجال اللاهوت المسيحيون القانون المذكور أعلاه مكانة أكبر من تلك التي تراه اليهودية فيها. ففي أحد الكتب المقدسة المسيحية المطبوعة من فترة قريبة ذكر في صفحة التفسيرات على أن كتب التوراة الخمسة تُعد «حقيقة» وأنه من الواضح انتماؤها إلى الكتب التاريخية والتنبؤية والشاعرية. ويبدو ذلك منطقياً وسببه ما ذكر أعلاه حول العقائد الجامدة التي تُعد العهد القديم هو أيضاً أقوالاً مقدسة كما هو في العهد الجديد.

ولكن العلماء العبرانيين ينظرون إلى هذا الأمر بصورة مغايرة تماماً. فعلى سبيل المثال كتب «كاستين» يقول: إن مؤلف التوراة هو «مؤلف مجهول» وهو «عمل تاريخي برغماتي».

ويجدر القول أن هذا التحديد فائق الدقة لقد وضع المؤلف أو المؤلفين صورة للتاريخ كتبت من منظور ذاتي وبهدف تثبيت شرائع وقوانين تقوم عليها، ويجدر القول أن هذه الصورة مثلها مثل الشرائع وضعت لتخدم أهدافاً سياسية محددة.

ويضيف «كاستين»: «في أساس كل ذلك توجد فكرة واحدة متوحدة وهي فكرة القومية القبلية في شكلها الحاد المتزمت والتي يفوق خيالها أي شيء عرفه العالم من هذا القبيل في أي وقت من الأوقات».

أما «مونيتفيري» فيلاحظ أن التوراة لم تكن أبداً رؤيا أو دعوى دينية بل هي عبارة عن شرائع معلنة ذات أهداف محددة.

وخلال تأليف هذه الشرائع «انتهت عملية التأليف فقط بعد نهاية السبي البابلي» رفع نبيان صوت الاعتراض وهما «آراميا» و «أشعيا». ولكن حتى الكتب التي كتبها هذان النبيان تلمح أيضاً آثار أيدي اللاويين التي عدلت وحورت في هذه الكتب حتى تتطابق مع «الشرائع» ومع التزويرات التاريخية الداعمة لهذه «الشرائع». والأكثر سهولة هو اكتشاف التزوير وإثباته في كتاب «أشعيا».

فالفصول الخمسة عشر لهذا الكتاب كتبها على الأغلب شخص ما على صلة بالسبي البابلي على الرغم من أن «أشعيا» عاش قبل ذلك الزمن بفترة مئتي عام. ويتجنب علماء اللاهوت المسيحيون هذه المشكلة ويطلقون على المؤلف المجهول اسم «ديترو أشعيا» أي «أشعيا الثاني».

لقد ترك لنا كلمات شهيرة «وهي غالباً ما تستعمل وتردد خارج سياق الحديث». «ولكن سأجعلك نوراً للشعوب وستمتد رحمتي إلى أطراف الأرض».

إن ما ذكر يُعد هرطقة في نظر الشريعة التي وضعها اللاويون حينذاك. وقد أضاف الكتبة أموراً لا شك بأن المؤلف المجهول لم يقم بكتابتها: «وسيركع ملوكهم «ملوك الشعوب الأخرى» وملكاتهم أمامك حتى الأرض وسيلعقون غبار قدميك وسأطعم مضطهديك من لحومهم وسأسقيهم من دمائهم سيعرف أي حي أني أنا الرب منقذك المكفر عنك».

«ما ذكر أعلاه هو شديد الشبه بأسلوب «حزقيال» والذي وكما سنوضح فيما بعد كان الأب الروحي للشرائع اللاوية».

ومن الواضح أن كتاب «آراميا» تعرض للمعالجة اللاوية منذ البداية. والعبارات الدخيلة واضحة جيداً: «انظر لقد وضعتك اليوم فوق الشعوب والملوك للدمار والخراب والقتل والتشريد». وهي تعارض وتناقض كل ما قاله «آراميا» لاحقاً في الفصل التالي: «وكانت كلمة الرب إلي: اذهب وأعلن على أذان أورشليم. هكذا قال الرب: اذكر مودتك في صباك وحبك يوم خطبتك. عندما سرت ورائي في البرية في أرض لا زرع فيها.. وأي سوء وجد آباؤكم فيّ حتى ابتعدوا عني.. تركوني أنا ينبوع الماء الحي». وبعد ذلك يعلن «آراميا» اسم المذنب- اليهودية.

«ومن المحتمل جداً أن ذلك أصبح سبب موته»: «وقال لي الرب: السائبة إسرائيل بررت نفسها أكثر من الخائنة يهوذا».

لقد أخطأت إسرائيل وأذنبت ولكن يهوذا خانت وغدرت- وفي ذلك إشارة واضحة إلى اللاويين وإلى شريعتهم الجديدة.

ويتبع هذه الكلمات احتجاج حاد ومن القلب، كما هو عادة عند الأنبياء، ضد الأضاحي والطقوس اللاوية: «ولا تتأملوا شيئاً من الكلمات الخادعة. هنا معبد الرب. معبد الرب. معبد الرب».

«وأصلحوا تماماً طريقكم وأعمالكم... لا تطردوا الغريب واليتامى والأرامل ولا تهدروا دم الأبرياء في هذا المكان».. الحديث يدور عن طقوس التضحية الدموية وعن أحكام الشريعة التي تبيح قتل المرتدين.. «تسرقون وتقتلون وتزنون وتحلفون بالزور ثم تأتون وتقفون بين يدي في هذا البيت الذي دعي باسمي وتقولون «لقد نجونا» لتعودوا وتكرروا جميع تلك الرجاسات». ويقصد هنا طقوس غسل الذنوب بعد تقديم ذبيحة كفارة ذنوب.

«فهذا البيت الذي دعي باسمي هل أصبح مغارة للصوص أمام عيونكم؟.. فأنا لم أكلم آباءكم ولا أمرتهم بأي محرقة أو ذبيحة يوم أخرجتهم من مصر».

بهذا الشكل احتج «آراميا» كما احتج «يسوع المسيح» بعده على تدمير الشريعة تحت ذريعة تنفيذها. ويبدو لنا أن اللاويين تابعوا تقديم الأولاد الأبكار كضحايا حتى في زمان «آراميا» لأننا نراه يضيف: «وأقاموا محارقهم ليحرقوا أبناءهم وبناتهم فيها وهو ما لم أطلبه وهو بعيد عن قلبي». ويضيف «آراميا» بأن الرب سيعاقب على هذه الأعمال الفظيعة: «وسأقطع من مدن اليهودية ومن شوارع أورشليم صوت الفرح والبهجة صوت العروس والعريس. لأن هذه الأرض ستصبح قفراء».

وقد تحققت هذه النبوءة السياسية المعروفة جيداً إلا أن اللاويين وكعادتهم حاولوا قلب مفهوم ومعنى هذه النبوءة بقولهم إن يهوذا سقطت لعدم التزامها بالشريعة في الوقت الذي حملت فيه تحذيرات «آراميا» معنى آخر مختلفاً تماماً. فقد قال إن شريعة اللاويين تدمر «يهودا الغدارة الخائنة» ولو نهض «آراميا» من قبره اليوم لكرر نفس الكلمات عن الصهيونية لأن الوضع في الحالتين متشابه، ونتائج السياسة الصهيونية لا يصعب التكهن بها. وبعد سقوط يهوذا توجه «آراميا» إلى اليهود بأهم دعوة من دعواته: «هكذا قال الرب «الصفوة» القدير إله إسرائيل لكل الذين سبيتهم من أورشليم إلى بابل: ابنوا بيوتاً واسكنوا.. وتزوجوا.. وزوجوا بنيكم واعملوا لخير المدينة التي سبيتكم إليها وصلّوا من أجلها ففي خيرها خيركم».

هذه الكلمات لها وحتى الآن وقع حميد وطيب في قلوب العبرانيين في الشتات ولكن الطائفة الحاكمة تفعل كل ما في وسعها حتى لا يفكروا بالقيام بذلك.

وأجاب اللاويون على كلام «آراميا» بعنف وغضب وجاء ذلك في المزمور رقم /١٣٧/:

عَلَى أَنْهَارِ بَابِلَ هُنَاكَ جَلَسْنَا. بَكَيْنَا أَيْضاً عِنْدَ مَا تَذَكَّرْنَا صِهْيَوْنَ.

عَلَى الصَّفْصَافِ فِي وَسَطِهَا عَلَّقْنَا أَعْوَادَنَا.

لأَنَّه هُنَاكَ سَأَلَنَا الَّذِينَ سَبُونَا كَلاَمَ تَرْنِيمَةٍ وَمُعَذِّبُونَا سَأَلُونَا فَرَحاً: رَنِّمُوا لَنَا مِنْ تَرْنِيمَاتِ

كَيْفَ نُرَنِّمُ تَرْنِيمَةَ الرَّبِّ فِي أَرْضٍ غَرِيبَةٍ؟

إِنْ نَسِيتُكِ يَا أُورُشَلِيمُ لتنسني يَمِينِي - لِيَلْتَصِقْ لِسَانِي بِحَنَكِي إِنْ لَمْ أَذْكُرْكِ!

إِنْ لَمْ أُفَضِّلْ أُورُشَلِيمَ عَلَى أَعْظَمِ فَرَحِي!

اُذْكُرْ يَا رَبُّ لِبَنِي أَدُومَ يَوْمَ أُورُشَلِيمَ الْقَائِلِينَ: هُدُّوا هُدُّوا حَتَّى إِلَى أَسَاسِهَا.

يَا بِنْتَ بَابِلَ الْمُخْرَبَةَ طُوبَى لِمَنْ يُجَازِيكِ جَزَاءَكِ الَّذِي جَازَيْتِنَا!

طُوبَى لِمَنْ يُمْسِكُ أَطْفَالَكِ وَيَضْرِبُ بِهِمُ الصَّخْرَةَ!

إن احتجاجات «آراميا» وتوبيخاته وكذلك رد اللاويين عليها تبين فحوى «الجدل حول صهيون» ونتائجه على مصائر الشعوب الأخرى ومن غابر الزمان وحتى عصرنا الحديث.

و «آراميا» الذي ولا شك قتل بأمر من اللاويين لو عاد اليوم لا تتهموه بالجنون والهذيان أو الثرثرة أو معاداة السامية. أما في زمانه فكانت التهمة بأنه عرّاف. ولقد سرد «آراميا» طرق الافتراء والنميمة التي أرادوا تشويه سمعته بها وهي طرق تتطابق تماماً مع الطرق المستخدمة في عصرنا هذا ضد الكثير من رجال السياسة والمجتمع «أمثلة ستورد لاحقاً».

«ولقد سمعت الكثير من الكلام والتهديد حولي؟ قالوا تكلم أنت فقط وعلينا الوشاية. كل من هم حولي يراقبونني، هل سأنزلق. يقولون لعله يقع عندها سنتمكن منه وسننتقم منه».

وعاش «آراميا» مطروداً في مصر. أما «أشعيا» الآخر فعاش في بابل ومن هناك أطلق للناس دعواته وكان ذلك آخر شعاع نور في ظلام الهمجية اللاوية القادم: «هكذا يقول الرب حافظوا على العدل وأقيموا الحق.. وحتى لا يقول الغريب القادم إلى الرب: يا ربي لقد أبعدتني تماماً عن شعبك وأبناء الغرباء القادمين إلى الرب ليخدموه وليحبوا اسمه وليكونوا حتى عبيداً له..

سأحضرهم إلى جبلي المقدس «تلتي المقدسة» وأفرحهم بصلواتي لأن بيتي يدعى بيت الصلوات لكل البشر والشعوب».

وبهذه الكلمات الطيبة عن الرب المحب لكل البشر تنتهي احتجاجات الأنبياء ويبقى اللاويون وشريعتهم هم المنتصرون. ومعهم في واقع الأمر بدأ السبي الحقيقي للعبرانيين: لقد استعبدهم قانون الكراهية العرقية الدينية وكان ذلك هو السبي الوحيد الحقيقي في التاريخ العبراني.

لقد تحدث «آراميا» و «أشعيا الثاني» وكذلك جميع الأنبياء الإسرائيليين السابقين باسم الإنسانية جمعاء التي وجدت الطريق المنير بشكل تدريجي في الوقت الذي أدار اللاويون الوضع إلى العكس نحو الظلام البدائي الهمجي.

ومن المعروف أيضاً أن الأمير «سيدخاتا غاوتاما» والمعروف أيضاً باسم «بوذا» وعلى الرغم من أنه عاش ومات قبل تأليف الشرائع اللاوية فقد تمكن من تأسيس تعاليم دينية للبشرية جمعاء وعلى أساس قانون الحياة الأساسي: «على الخير أن ينتج خيراً أما الشر فينتج شراً فقط». وهذا هو الجواب الأصيل على «التثنية» اللاوية حتى ولو بقي مجهولاً.

وهذا هو جواب الإنسانية والتاريخ على العنصرية اليهودية وعلى مبدأ الطائفة المتفوقة السائدة دائماً المطابق تماماً للمبدأ اليهودي.

وبعد /٥٠٠/ سنة من ذلك جاء إلى العالم دين شامل توحيدي جديد، ومن ثم بعد /٥٠٠/ سنة أخرى جاء دين آخر توحيدي جديد، ولكن سلاسل الشريعة كانت تمسك بإحكام بالأمة اليهودية الصغيرة ولم تسمح لها بالانخراط مع بقية الإنسانية.

لقد تجمدت في وضع التحجر الروحي على الرغم من أن عقيدتها القبلية البدائية استطاعت إن تحافظ على قوتها وحياتها.

إن قانون اللاويين الذي لا يزال فعالاً حتى في القرن العشرين وله في حقيقة الأمر طبيعة هي عبارة عن كومة من مخلفات الزمن ولى منذ فترة بعيدة.

ولا شك بأن الشرائع اللاوية كانت تؤدي إلى التعجب والحيرة عند الشعوب المضيفة لليهود أو المجاورة لهم، ومن ثم إلى القلق والخوف. ولقد بدأت هذه «الشرائع» تؤثر في حياة الشعوب الأخرى بدءاً من عام /٥٣٨ق.م/ بعد عودة اليهود من بابل إلى أورشليم وانتشر هذا التأثير في البداية فقط على القبائل والعشائر الصغيرة المجاورة لهم. ولكنه فيما بعد توسع كما تتوسع الدوائر في الماء ليشمل شعوباً أكثر وليصل إلى ذروته القاتلة في عصرنا الحديث ويصبح سبباً لهزات لا مثيل لها.

الفصل الخامس

سقوط بابل

سقطت بابل سنة /٥٣٦ق.م/ وحدث ذلك قبل أن تشعر الشعوب الأخرى بتأثير «الشريعة الموسوية» عليها. ولكن سقوطها كان مثالاً لتطور أمور وأحداث على مرور السنين وحتى عصرنا الحاضر. فسقوط بابل وما يجري في أيامنا هذه بعد حربين عالميتين هي شديدة التشابه فيما بينها. وهذا التشابه لا يمكن شرحه وتفسيره على أنه مصادفة بسيطة. وعلى العكس ليس من الصعب أبداً إثبات أن هذه الأحداث كانت موجهه ومرسومة عن قصد وسابق تصميم. وفي القرن العشرين بعد ميلاد المسيح خضعت شعوب الغرب مدركة ذلك أم لا، للشرائع اليهودية وليس لقوانين بلدانها الخاصة، وتمت إدارة شعوب الغرب هذه من قبل قوة حركت حكام هذه الشعوب ووجهتم كما يحلو لها.

ويلاحظ أن توزع أدوار الشخصيات الفاعلة والنتائج المتمخضة عن ذلك في كل الحالات الثلاث المذكورة أعلاه تتطابق تماماً. من جهة حاكم غريب يزعم باضطهاده وإهانته لليهود «أو في العصر الحالي للعبرانيين»: في بابل كان الملك «بلشصّر». وفي الحرب العالمية الأولى القيصر الروسي أما في الحرب العالمية الثانية فكان «هتلر». وبالمقابل يقابل هذا الحاكم «الظالم والمتعسف» حاكم آخر غريب أيضاً ولكنه «متفهم وسموح» وتحصل المجابهة ويحرر اليهود من قبل الحاكم الثاني. في بابل لعب هذا الدور الملك الفارسي «قورش». أما في الحرب العالمية الأولى فكان اللورد «بلفور» وثلته، وفي الحرب العالمية الثانية كان الرئيس «ترومان» أو حتى أي رئيس مُنَصَّب على الولايات المتحدة.

ودائماً يقف بين الطرفين المتحاربين أحد أنبياء «يَهْوَه» المنتصر على الدوام، رجل عظيم ومستشار حكيم للحاكم. حيث يتنبأ هذا المستشار بالعواقب الوخيمة التي ستصيب الظالم ودولته في الوقت الذي يتجنب فيه «المحرر والمتفهم» هذه العواقب بنجاح.

في بابل ذلك الرجل كان «دانيال»، وفي الحرب العالمية الأولى كان «حاييم وايزمان» - متنبئ صهيوني لدى «الحكام الأغراب».. هذه هي الشخصيات الفاعلة. وتنتهي القضية دائماً على شكل انتقام رهيب لـ «يَهْوَه» من الغرباء وبانتصار عبراني على شكل عودة رمزية.

الملك «بلشصّر» عرف من «دانيال» عن مصيره المحتوم وقتل في نفس الليلة وذهبت مملكته إلى الأعداء. وفي نهاية الحرب العالمية الأولى قتل رجال المباحث العبرانيون قيصر روسيا الآخير وأسرته[1].

وبعد الحرب العالمية الثانية شنق قادة النازية في /١٦/ تشرين الأول «اكتوبر» عام /١٩٤٦م/ والذي صادف يوم عيد «التكفير والغفران» اليهودي، وبكلمات أخرى نرى كيف تطابقت نتائج الحربين العالميتين في العصر الحديث مع السرد اللاوي للحرب البابلية- الفارسية في «العهد القديم».

ومما لا شك فيه أن الشعوب المتحاربة كان لديها الكثير من الأسباب المختلفة الخاصة بها وليس فقط تحديد مصير القبيلة اليهودية الصغيرة ولكن في الحكاية التي وصلت إلينا عبر العصور تم إهمال كل ذلك سوى أمر واحد كان له أهمية قصوى وهو انتقام «يَهْوَه» وانتصار اليهود. وهذا ما جرى حفره في عقول وضمائر الشعوب والأمر نفسه ينطبق على الحربين الكونيتين.

وبقي الملك البابلي «بلشصّر» في التاريخ على شكل ظالم لليهود ومضطهدهم على الرغم من أن «يَهْوَه» نفسه أرسل اليهود إلى السبي عقاباً لهم على ذنوبهم. ولكن على الرغم من ذلك كله بقي الملك مذنباً يستحق التدمير. وعلى نفس المنوال كان الملك الفارسي «قورش» عبارة عن سلاح في يد «يَهْوَه» الذي وعد اليهود بأن كل هذه اللعنات ستصب على رؤوس أعدائهم بعد انتهاء دور هؤلاء الأعداء، وبالتالي «قورش» ليس ظالماً وليس محرراً وهو في نهاية الأمر ليس أحسن من ملك بابل ولذلك تتعرض عائلته للتدمير.

ولكن إذا تركنا الأساطير وتبعنا التاريخ الحقيقي فسنرى أن الملك «قورش» كان حاكماً واعياً متنوراً أسس مملكة واسعة شملت كل غرب أسيا، وتشير الموسوعات إلى أنه منح الشعوب المغلوبة حرية الدين والإدارة الذاتية وقد استفاد اليهود من هذه السياسة المتسامحة.

ولو قدر للملك «قورش» أن يعود إلى الحياة اليوم لاستغرب كثيراً بأن اليهود لم يبقوا له من انجازاته الكبيرة سوى عمل واحد هو إعادة بضعة آلاف من اليهود إلى أورشليم.

ولو أنه بنفسه أعطى هذا الحدث تلك الأهمية التي أعطيت له في القرن العشرين لشعر بالفخر لعظمه التغييرات التي سببها هذا الحدث على القرون الخمسة والعشرين التالية من

١- يقصد هنا إن البوليس السري في روسيا البلشفية كان يسيطر عليه اليهود ومنهم مؤسس ذلك الجهاز ورئيسه فيليكس درزينجنسكي -المترجم

التاريخ البشري والتي لم يحدث مثلها أي حاكم في أي زمان أو مكان. ولكن لا يوجد أي حدث قديم كان له مثل هذا التأثير الجدي على زمننا.

وفيما بعد سار جيلان من أجيال الساسة الغربيين على طريق الملك «قورش» واشغلوا حربين عالميتين لخدمة اليهود، وأعطت هذه الحروب نتائج مهمة وهي: انتقام «يَهْوَه» من الظالمين المزعومين والعودة والرجوع الجديد وهو أمر اعتبر انتصاراً للعبرانية. وهكذا انقلبت الحكاية والأسطورة عن أحداث بابل إلى حقيقة في القرن العشرين وأصبحت القانون الأعلى والذي أخضع تحت سلطته ونفوذه كل الأحداث والوقائع.

وبالطبع الحكاية والأسطورة بحد ذاتها هي في معظمها دجل وكذب ولو أنها حدثت اليوم لقيل عنها دعاية «بروبو غاندا». وحتى الملك «بلشصّر» كما تؤكد المعطيات هو عبارة عن ابتداع «لاوي». والكتاب الذي روى قصة سقوط بابل جرى تأليفه بعد هذا السقوط بسنوات عديدة، ونسب ذلك للمدعو «دانيال» حيث زعم أنه كان أسيراً يهودياً في بابل ووصل إلى مرتبة عليا في قصر «نبوخذ نصر» بفضل قدرته على تفسير الأحلام: لقد شرح للملك «بلشصّر» عن «الكتابة الموجودة على الحائط».

ويتم تصوير «بلشصّر ابن نبوخذ نصر» على أنه ظالم اليهود ومهينهم، وأن ذنبه الأعظم هو استخدامه في الحفلات أواني الذهب والفضة العائدة للهيكل المسلوب والتي أحضرها أبوه من أورشليم.

وفجأة يظهر على أحد حيطان القصر أثر يد إنسان كتبت على هذا الحائط الكلمات التالية: «منا. منا. تقيل وفَرسِين» وقد فسر «دانيال» هذه الكلمات وشرح معناها: منا، تعني أحصى الرب أيام ملكك ووضع حداً ونهاية لها. تقيل أي لقد وزنت في الميزان فكنت ناقصاً. أما كلمة فرسين فتعني لقد قسمت مملكتك وأعطيتها لـ «فارس» و «مديان». وفي تلك الليلة قتل «بلشصّر» ملك بابل وساد على الساحة الملك الفارسي الذي كتب عليه إرجاع اليهود.

وهكذا نرى كيف تم ربط سقوط مملكة بابل ومقتل ملكها مع موضوع إهانة واضطهاد اليهود وقدم على أنه انتقام «يَهْوَه» واليهود. ولا يهم أبداً أن «دانيال» و «بلشصّر» لم يكونا أبداً موجودين على أرض الواقع فعلاً.

لقد كان القصد من حشرهم في الرواية اللاوية هو إعطاء الأسطورة شكل سابقة شرعية حقوقية

وفي عام /١٩١٨م/ قتل القيصر الروسي وزوجته وبناته الأربع وابنه. وقد ربطت الكلمات المكتوبة على الحائط الملطخ بالدم، جريمة القتل هذه مع أحداث بابل الأسطورية وأشار كاتب الكلمات إلى هوية القتلة وصرح عن حقهم القانوني بهذه الجريمة.

وبالفعل إذا كان باستطاعة أسطورة أن تسبب مثل هذه الأعمال بعد مرور /٢٥/ قرناً فليس من المهم هل هي خيال أم حقيقة. ولا يوجد أي معنى للبحث عن أدلة تثبت ذلك. ذلك لأن رجال السياسة والشعوب التي يديرونها تحب العيش في الأساطير أكثر من العيش في الحقيقة. ومن الشخصيات الثلاث التي اشتركت في سقوط بابل. كان الملك «قورش» هو فقط حقيقة واقعة يثبتها التاريخ أما «دانيال» و «بلشصّر» فهما نتيجة الخيال اللاوي.

وقد كتبت «الموسوعة اليهودية» في هذا المجال أن الملك «نبوخذ نصر» لم يكن لديه ابن اسمه «بلشصّر» وأنه في زمن احتلال «قورش» لبابل لم يكن هناك ملك اسمه «بلشصّر». وهذا يوضح أن مؤلف كتاب «دانيال» لم يكن يملك معلومات مؤكدة وصحيحة. أي بمعنى آخر لا يمكن الاقتناع بأن «دانيال» هو نفسه ألف وكتب كتاب «دانيال».

وحقاً لو كان اليهودي المتنفذ وصاحب السطوة في القصر المدعو «دانيال» هو فعلاً من كتب ذلك الكتاب فكان لا بد أن يعرف اسم الملك على أقل حال وكان يجب إن يملك معلومات دقيقة عن الملك الذي تنبأ بموته.

لذلك لا يوجد أي شك أن كتاب «دانيال» وكتاب «الشريعة» المنسوب إلى «موسى» هما في الحقيقة من كتابة الكتبة اللاويين الذين عالجوا التاريخ بهمة كبيرة حتى يقربوه أقصى ما يمكن من «الشريعة» التي كتبوها ولو تطلب الأمر لتجميل الرواية تشكيل، وخلق وابتداع شخصية «بلشصّر» أو حتى اختلاق «دانيال» أيضاً.

أما بالنسبة للصهاينة المتعصبين فإن «دانيال الأسطوري» هو أكثر الأنبياء شعبية، لذلك تراهم يكررون بلهفة وسرور كتابة الحائط المزعومة والتي تنبأت بانتقام اليهود وانتصارهم. وهم يرون فيه تأكيداً لحقهم «الشرعي» بمثل هذا العمل وفي جميع أوقات المستقبل. ولا شك بأن تاريخ القرن الحالي يؤكد أكثر من تاريخ أي قرن مضى قوة إيمانهم ويدعمها.

وبالنسبة لهم يصبح «دانيال» مع تفسيراته التي تحققت في تلك الليلة البابلية- رداً مفحماً لا يمكن دحضه على أقوال الأنبياء الإسرائيليين القدماء الذين دعوا للإيمان برب واحد شامل محب لكل الناس.

وسقوط بابل حسب الرواية اللاوية يُعد بالنسبة لهم إثباتاً عملياً لحقيقة وقوة «شرائع» «موسى». ولكن كل هذه القصة كانت ستكون سقيمة وعديمة الجدوى لولا وجود الملك «قورش» وهو الشخصية الحقيقية الوحيدة بين الشخصيات الثلاث في سقوط بابل والذي سمح لعدة ألوف من اليهود بالعودة إلى أورشليم «أو ربما أجبرهم على ذلك».

وفي تلك اللحظة بالذات جرى الاختبار العملي والفعلي للمذهب السياسي اللاوي الموجه نحو اغتصاب السلطة عن طريق التأثير على الحكام الغرباء، وأتضح فيما بعد بأنه ناجح. وبذلك أصبح الملك الفارسي الأول في قائمة الحكام الغرباء الذين أصبحوا ألعوبة ودمية في أيدي الطائفة العبرانية المسيطرة. وأكدوا من خلال قصة «قورش» كيف يمكن التسلل بالتدرج إلى الدولة الغريبة وجهازها الحكومي ومن ثم إخضاعها.

وفي القرن العشرين أخذت السيطرة على الحكومات شكلاً واضحاً وقوياً بحيث أصبحت جميعها تقريباً تحت سيطرة قوة واحدة عليا. وأصبحت أفعال هذه الحكومات في نهاية الأمر تخدم مصالح هذه القوة.

وسنوضح في نهاية الكتاب كيف كانت تدار هذه الدمى غير العبرانية وكيف كانت العداوات بين الشعوب تشعل وكيف كانت الأزمات تختلق وكل ذلك للوصول إلى أهداف محددة فوق وطنية «خارج نطاق الوطنية».

وعلى القارئ أن ينظر إلى داخل ذاته لكي يفهم لو استطاع ذلك، لماذا تخضع هذه الدمى، أي حكامه السياسيون، بهذه الطاعة والخنوع الأعمى لإدارة الغير. وأول هذه الدمى كان بالطبع الملك «قورش» والذي من دون مساعدته كان من المستحيل على الطائفة المتسلطة على اليهود العودة إلى أورشليم وإقناع اليهود المنتشرين في ذلك العالم، بأن المبدأ العرقي قوي وسينفذ إلى النهاية.

ويسير الخط الواضح للأسباب والنتائج من سقوط بابل وحتى أحداث عصرنا الحالي. وبعد الكثير من الكوارث المتتالية فإن الغرب المصاب بالانحطاط يمكن إن يشير بإصبع الاتهام إلى أول الدمى غير العبرانية أي إلى الملك «قورش» وبدرجة أكبر حتى من الكهنة اللاويين الماكرين الذين كانوا يوجهون ذلك الملك، وقد كتب ادوار مائير:

«لقد برزت اليهودية برغبة من الملك الفارسي وبمساعدة دولته ونتيجة ذلك امتد نفوذ هذه الإمبراطورية بقوة أكثر من أي دولة أخرى وحتى في أيامنا هذه».. ومن الصعب الجدل مع هذه الشخصية المرموقة أو الطعن في صحة أقوالها.

لقد وضع اللاويون «شريعتهم» قبل خمس مئة سنة من ظهور مفهوم أوربة ذاته. إلا أن الملك «قورش» أوضح بالسابقة التي شكلها كيف سيكون خراب هذه القارة التي لم تعرف بعد.

وحتى لحظة احتلال «قورش» لبابل لم تكن الكتب الخمسة «للشريعة» قد انتهت بعد وكانت طائفة اللاويين في بابل تعمل جاهدة لإكمالها وكان عليها وعن طريق أمثلة مثل قصة

الملك «بلشصّر» أن تعطي لمحة حقيقية لشيء غير معقول وتشكل بذلك سابقة للأعمال اليهودية التي ستحدث بعد خمسة وعشرين قرناً.

وعلى الرغم من أن الجمهور اليهودي الذي قد تعوّد وتربى على رفض الأديان الأخرى، إلا أنه «أي الجمهور» لم يكن قد اطلع بعد على مذهب التفرقة والكراهية العرقي الذي أعده اللاويون لهم، وقد توجب على الطائفة اللاوية إتمام كتابة «الشريعة» ومن ثم تطبيقها على الشعب اليهودي وحصل ذلك عام /٤٥٨ق.م/ وخلال حكم ملك فارسي آخر ومنذ ذلك الحين وضع «الجدل حول صهيون» الشعب اليهودي في وضع مضاد للبشرية. وأما حبل السرة الذي ربطه مع العالم المحيط قد قطع تماماً.

هذا الشعب، المتقوقع المنعزل عن الجميع والذي حمل كهنته أسطورة سقوط بابل كالراية عالياً، أُرسل إلى المستقبل كقوة متماسكة بين الشعوب الأخرى والتي أوجبت شرائعه عليه تحطيم هذه الشعوب.

الفصل السادس

وبكى الشعب

وكان السامريون أول شعب تعرض لتأثير «الشرائع الموسوية التي ألفها اللاويون في بابل، وحدث ذلك /٥٣٨ق.م/ حيث استقبلوا بحرارة اليهود العائدين وعرضوا عليهم كرمز للصداقة المساعدة في بناء الهيكل الذي دمره البابليون في عام /٥٩٦ق.م/. ولكن العرض السامري رُفض بفظاظة وبأمر من اللاويين مما أثار رد فعل عدائي لدى السامريين. وقد أدى ذلك الرفض إلى تأخر بناء الهيكل حتى عام /٥٢٠ق.م/ «واستمر العداء مع السامريين عشرات القرون وحتى يومنا هذا بقي من تلك القبيلة فقط عدة عشرات على قيد الحياة» ويبين عرض الصداقة آن جيران اليهود لم يكونوا بعد على علم بالشريعة الجديدة لليهود ولذلك أدهشهم الرفض الفظ. وكما يبدو أن اليهود أنفسهم في ذلك الوقت لم يستوعبوا أيضاً ذلك القانون بشكل كامل. ومهما قال اللاويون لشعبهم فإن هذا الشعب كما يبدو لم يقدر أن يفهم ويستوعب أن اليهودية كعرق وكدين وجب عليها أن تتقوقع وتنعزل عن باقي الإنسانية، والرفض للعرض السامري كان أول إشارة إلى ما كان يجب أن يحصل في المستقبل.

والسامريون هم إسرائيليون وعلى ما يبدو مع تمازج دم مع شعب آخر وهم من عباد «يَهْوَه» ولكنهم لم يعترفوا بأولية وسيادة أورشليم مما أثار حقد اللاويين وغضبهم لأنهم شاهدوا فيهم خطر انبعاث إسرائيل القديمة مما يعرض يهوذا لخطر الذوبان. وبسبب كل ذلك وقع السامريون تحت «النبذ العظيم».

ووصل الأمر إلى حد منع اليهودي من أخذ قطعة خبز من سامري وإلا سيُعد منذ ذلك الحين مخالفاً للشريعة والأحكام وبعد إذن يكون قد نجس نفسه بنفسه.

وبعد الاصطدام الأول مع الجيران التفت اليهود حولهم وشاهدوا أورشليم المدمرة والخالية. والتي كانت مجهولة لمعظم القادمين ما عدا بعض كبار السن الذين لم يشاهدوها قبل ذلك، وقد كانوا قلة على الرغم من أنه زعم وقيل عن عودة أربعين ألفاً وهو تقريباً يساوي ما بين العشرة أو العشرين بالمئة من العدد الإجمالي لليهود الذين اختاروا طوعاً العيش في دول أخرى.

ولم يكن الرجوع بالنسبة للعائدين حدثاً سعيداً أو انتصاراً ولكنه كان نصراً سياسياً كبيراً للكهنة.

وقد تعرض اللاويون لنفس الصعوبات التي قابلت الصهاينة عام /١٩٠٣م/ وعام /١٩٢٩م/ وعام /١٩٥٣م/. حيث رفض الشعب المختار العودة والانتشار في أرض الميعاد. ولم يستعجل كبار القوم ولم يرغبوا في ترؤس هذا «الرجوع» وفضلوا البقاء في بابل «تماماً كما يفضل اليوم زعماء الصهاينة العيش في نيويورك». وتم التغلب على هذه الصعوبات في عام /٥٣٨ق.م/ بنفس الطرق التي استخدمت عام /١٩٤٨م/. المتحمسون للرجوع كانوا قلة ولكن كان هناك فقراء ومحرومون لا خيار لديهم: لقد جمعوهم وأرسلوهم إلى هناك وأما من لم يرغب بالتخلي عن الحياة المريحة في بابل فقد أجبر على دفع الهبات والمعونات المالية «وهو أمر يتكرر اليوم في أمريكا حيث يدفع الأغنياء العبرانيون هناك تبرعات دورية ضخمة للدولة الصهيونية».

وتجدر الإشارة إلى أن الشعب العبراني كان قد تشتت في أنحاء الأرض وأصبح جمعه في ذلك الوقت ثانية في كنعان، أمراً صعباً للغاية إن لم يكن مستحيلاً ولم يقدر أحد على تغيير ذلك. وقد كتب البروفسور «فيل خاوزن» بهذا الخصوص: «لم يعد الشعب من السبي ويرجع بل عادت فقط طائفة دينية واحدة».

ولكن بالنسبة للكهنة كان لهذه العودة معنى رمزي كبير جداً. لأنها سمحت بوضع الشعب المشتت تحت سلطة اللاويين المتعطشة للثأر. وقد حاول اللاويون تصوير العودة على أنها برهان على صحة وقوة «الشريعة» القائلة بأن مهمة الشعب المختار هي «الدمار والتسلط» وكان للعودة في عيون القلة العائدة، ألوان تختلف عنها في عيون الكثرة التي فضلت البقاء والمراقبة عن بعد. لقد أعطت العودة القلة العائدة فرصة لخدمة «يَهْوَه» حسب تعاليم «الشريعة» وفي المكان الذي حددته.

أما بالنسبة للكثرة البعيدة فقد كانت العودة هي علاقة انتصار القومية اليهودية وإعلان الانتصار النهائي الذي ذكرته الشريعة. ولكن المتفرجين من بعيد لاحظوا نوع الطرق التي جاءت بهذا النجاح: لقد سقط الظالم وسحق. وتحول السبي إلى عودة ورجوع. لقد برز الانعزال فكانت «الغيتوات» و «الكُنس»[1]. و «الغيتو» هو اختراع «لاوي» بحت جُربَ أول مرة في بابل حيث أجبر اليهود على العيش في مجموعات منعزلة مغلقة.

١- جمع كنيس وهو دار العبادة عند اليهود -المترجم.

واستخدمت القراءة الجماعية «للشريعة» وهي طريقة بدت على أنها أفضل بديل لطقوس العبادة التي يجب أن تجري فقط في الهيكل في أورشليم كما تقضي بذلك «الشريعة والأحكام». «وهكذا ظهر إلى الوجود الكنيس» وأخذت الجاليات في الشتات تعيش في «الغيتو» وتتجمع وتصلي في «الكنيس» وهو أمر أعطى الجالية شعوراً بالوحدة فيما بينها وكذلك مع «العائدين».

وهكذا أصبحت الطائفة العائدة إلى أورشليم المجهولة بالنسبة لها، عبارة عن نواة أمة في قلب أمم ودولة في قلب دول.

وتمكن الكهنة من المحافظة على نظام تيوقراطي على الرغم من عدم وجود أرض خاصة بهم، بل وتحت سلطة حاكم غريب. وحكموا تابعيهم حسب «القوانين والأحكام» ونشروها على اليهود في الشتات، وقد كتب «كاستين» حول ذلك: «وبدلاً من دستور الدولة الميتة. أنشئت جماعة منفصلة تدير ذاتها بذاتها واستبدلت سلطة الدولة بسلطة أخرى أكثر ثباتاً وأماناً. لقد تم إنشاء نظام قاس لا رحمة فيه ويقوم على أساس التنفيذ الأعمى والصارم لكل الأحكام والسنن في الشريعة».

وتستحق كلمات المؤرخ العبراني هذا اهتماماً خاصاً لأن الكثير من «الأحكام والسنن» الطقوسية مذكورة في هذا الكتاب.

لقد طبق اللاويون في السبي وعلى الأرض الغريبة، نظاماً قاسياً لا يعرف الرحمة. وكان ذلك وبحق إنجازاً فريداً من نوعه ومثيراً للغاية وهو صلب لدرجة أنه لا يزال مستمراً إلى عصرنا الحديث على الرغم من أنه حدث وحصل في الماضي القديم.

وفي أغلب الأحيان لا يقدر الغرباء فهم ومعرفة الطرق والوسائل التي تستعملها الفئة المسيطرة على اليهود والتي تمكنها من الإمساك بأمة متناثرة في جميع أنحاء الأرض. ولكن الأمر على درجة كبيرة من الوضوح. سلطة الطائفة والفئة تقوم على الخوف والإرهاب وهي تحمي أسرارها وتغار عليها من عيون الآخرين. ولكن الباحث الدؤوب يستطيع في بعض الأحيان الوصول إلى الحقيقة.

يوجد في يد اللاويين سلاح رهيب هو اللعنة والنبذ والعزل وسر نجاحه يكمن في أن اليهودي المؤمن يخاف فعلاً من اللعنات ويؤمن حقاً في إمكان حدوث ما سرد منها في «التثنية» وفي الكتب الأخرى. وتؤكد «الموسوعة العبرانية» أن الإيمان باللعنات لا يزال موجوداً وفي هذا النطاق يتشابه العبرانيون مع الهمج المتخلفين في أدغال أفريقيا الذين يؤمنون بأن اللعنات يمكن أن تؤدي إلى الموت.

وكذلك يُعد الطرد من القبيلة عقوبة مروعة مخيفة «في الماضي غالباً ما تكون قاتلة» وهناك أمثلة كثيرة على ذلك في الأعمال الأدبية المعاصرة.

واليهودي المؤمن «أو بالأحرى الموسوس» يعد التوراة والتلمود القانون الوحيد، وهو وإن خضع لقوانين البلدان المضيفة له فبشكل صوري فقط مما يعطي الكهنة، وبفضل «الشريعة»، سلطة حقوقية ومدنية كاملة وهو أمر تقرر عملياً وبشكل غير رسمي الكثير من الحكومات المضيفة. ويشير الكثير من مواد هذه الشريعة إلى الموت كعقوبة على الكثير من الذنوب ويقوم الحاخامات في بعض المجتمعات اليهودية المغلقة بتنفيذ هذه العقوبة.

في العودة والرجوع كانت أورشليم بعيدة عن بابل وفي أول خطوة لهم أبعد اللاويون اليهود عن السامريين ولكنهم لم يستطيعوا القضاء بشكل كامل على الغرائز الإنسانية الطبيعية لدى أبناء جلدتهم، وأخذ اليهود باستيطان الأراضي الخالية وتخالطوا وتزاوجوا مع الجيران وهم بذلك لم يخرقوا أي شرائع أو أحكام معروفة لهم، ذلك لأن كتاب «الشرائع» كان لا يزال قيد التأليف في بابل. وبالطبع سمع العائدون عن مئات الزوجات عند الملك «سليمان» وعن زوجة «موسى» وأبيها «المدياني». ولكن على الرغم من ذلك لم يصل إليهم ولم يعلموا أن «موسى» قد بُعث من قبره على يد اللاويين ليدمر كل «المديانيين» «ما عدا العذارى اللواتي لم يعرفن الرجال». وأخذ العائدون بالزواج والاختلاط بالجيران من الشعوب والقبائل الأخرى، وقد دام هذا الاختلاط الطبيعي فترة ثمانين عاماً بعد العودة من بابل إلى أورشليم. وخلال هذه الفترة انتهى اللاويون من تأليف كتب «الشرائع» التي أخذت تؤثر منذ ذلك الحين ليس فقط على حياة اليهود بل وعلى الغرباء أيضاً.

ويُعد «حزقيال» وهو من سلالة الكهنة الأوائل المؤلف الأساسي لكتب الشريعة الخمسة حيث تبدو بصماته واضحة عليها. أجل إنه الأب المؤسس للكراهية والعنصرية والانتقام باسم الدين والقتل باسم الرب.

ويُعد كتاب «حزقيال» من أشهر كتب «العهد القديم» وهو أهم حتى من «التثنية» ومن «اللاويون» و «الأعداد». إنه المصدر الرئيسي للأفكار الكئيبة التي وضعت في أساس «الشريعة».

ويسيطر شعور كئيب على أي قارئ لسلسلة اللعنات الطويلة في كتاب «التثنية» ويحس ومن دون شك أن طبيعة الآلهة التي تهدد بهذه اللعنات هي شيطانية بحتة وليست ربانية، لأنه من المستحيل الجمع والتوفيق بين اسم الرب المعطى لهذا المعبود مع اللعنات التي يوزعها. وهذه الشكوك تجد تأكيداً تاماً لها في كتاب «حزقيال» بالذات. حيث يقول هذا «الرب» إنه وضع

هذه الشرائع غير الأخلاقية لكي يجلب التعاسة للبشر ويزرع الخوف في قلوبهم. هذا ما كتب في الفصل العشرين من كتاب «حزقيال» وهو يفضح كل أسرار «شرائع موسى». ويحوي الفصل المذكور رد «حزقيال» على نقد النبي «آراميا» للطقوس اللاوية بالتضحية بالأبكار من الأولاد حيث يقول: «وصنعوا محارقهم.. لكي يحرقوا أبناءهم وبناتهم في النار وهو ما لم آمر ولم يكن قريباً إلى قلبي».

والحقيقة هي أن «حزقيال» لا يهتم كثيراً بمصير الأبناء والبنات ولكن ما أزعجه بالتأكيد هو «الزعم» بأن الرب لم يطالب بالأبكار من الأولاد، بعد أن نسب الكتبه مثل هذا الأمر إلى الرب مرات عديدة. ويهم «حزقيال» فقط التأكيد على أن الرب قد أعطى فعلاً مثل هذه الأوامر. وبذلك يبرر أقوال الكهنة وأفعالهم. وأما وصفه هذه المطالب والأوامر بأنها معيبة فقد جاء بشكل عابر جداً وكأن الأمر عديم الأهمية «أنا الرب إلهكم، اعملوا بالتعاليم والوصايا نفذوها والتزموا بها.. ووقف الأنبياء ضدي ولم ينفذوا وصاياي ولم يلتزموا بأحكامي وتعاليمي.. لقد قلتُ سأصب عليهم غضبي وأسقطُ عليهم غيظي في البرية..

وسمحت بارتكاب الآثام التي بسببها لا يقدرون أن يبقوا أحياء، وسمحت لهم تدنيس ذبائحهم عندما أخذوا يحرقون الأبكار حتى أدمرهم ليعرفوا أني الرب». وقرار رجال اللاهوت المسيحيين باعتبار «العهد القديم» مقدساً «كالعهد الجديد» يجعلهم يعترفون بما تضمنه المقطع المعروض أعلاه. ولم يسمح «حزقيال» بأي احتجاج: «وتودون سؤالي يا بني إسرائيل هل أعيش، يقول الرب لن أعطيكم جواباً»..

وكتب «حزقيال» كل ذلك عندما كان شاهداً على تلك الحوادث التي ذكرها في كتابه، ويجدر القول كذلك أن «حزقيال» عاش لحظات سقوط «يهودا» والسبي إلى بابل.

وتبين المقاطع التنبؤية الأخرى من الكتاب أن هذا الأب المؤسس لليهودية الأصولية المتعصبة هو عبارة عن شخص يخضع لتأثير أفكار شيطانية بحتة. لذلك فإن الكثير من أقسام كتابه وفصولها لم يكن من الممكن نشرها في تلك الأيام لولا الادعاء بأنها «مقدسة».

ويصف «حزقيال» في بداية كتابه حصار أورشليم بكلمات نسبها هو إلى الرب وفيها يأمر الرب «حزقيال» التكفير عن خروج الشعب على الشريعة وعدم التزامه بها. وذلك بالطريقة التالية:

«وكل طعامك رغيفاً من الشعير مخبوزاً على نار من براز الإنسان أمام عيونهم». ولكن بما أن «حزقيال» وحسب ادعائه الشخصي بأنه التزم بالأكل الحلال وحسب الشريعة ولم يتناول أبداً أي نجاسة فقد استبدل براز الإنسان بروث البقر.

ومن ثم يهدد الرب الناس التي عليها ذنب الإخلال بالشريعة والأحكام بعقوبة أكل لحم البشر. - وهي لعنة كما يبدو محبوبة جداً لدى اللاويين: «فيأكل الآباء أبناءهم والبنون آباءهم.. فثلث منهم يموتون بالوباء ويفنون بالجوع وسطك وثلث منهم بالسيف من حولك وثلث أذريهم لكل ريح.. وأرسل عليهم الجوع والوحوش الضارية.. وانزل فيهم الدم والقروح».

وكل ذلك هو فقط عقوبة على الإخلال بالشريعة وعدم الالتزام بها. وليس بسبب ذنوب وجرائم عظيمة.

ومن ثم تأتي صفحة كاملة من اللعنات ومن ضمنها تهديد «يَهْوَه» باستخدام الغرباء كسلاح لمعاقبة اليهود: «وسأرسل عليهم شعباً حقوداً. وسيأخذون بيوتهم».

وعند الوصول إلى عقاب من كفر واتبع رباً آخر، يخبرنا «حزقيال» عن رؤياه المتميزة جداً: «وستأتي فرق التأديب وتعاقب المدينة». «أورشليم» «.. وكل بيده سلاحه الفتاك»... ومن ثم يضيف (واحدكم حامل أدوات الكتابة في حزامه.. اذهب إلى وسط المدينة. وسط أورشليم وعلى جبين الحزانى والمرتجفين من الأهوال الدائرة هناك. ارسم علامة «يعني الناس المؤمنين والمواظبين على الشريعة») وبعد رسم العلامة على الجبين يتابع «حزقيال»: «ويقول الرب على لساني» ويأمر الناس بقوله: «.. اذهبوا وسيروا خلفه في المدينة واقتلوا ولا تشفق عيونكم على أحد ولا ترحموا الشيوخ والشباب والبنات والأطفال والنساء واضربوا حتى الموت ولكن لا تلمسوا أي إنسان له إشارة على جبينه.. وخرجوا للقتل وأخذوا يقتلون كل من في المدينة». ومنذ ذلك الحين اعتبر سكان أورشليم وعلى ما يبدو أن الخوف والبكاء والنواح على مرأى الآخرين أمر مفيد وقد يؤدي إلى السلامة والنجاة، ومن هنا على ما يبدو ظهرت هذه العادة وظهر حائط المبكى. وفي الفصول القادمة تتوالى التهديدات المختلفة المرعبة لمن يخل بالشريعة ولا يلتزم بها ولكن مع تطمين لمن يتوب ويعود إلى الشريعة بأن كل البلاء المذكور بل وأكثر منه سيقع على رؤوس الغرباء على الرغم من عدم وجود أي سبب لذلك: «وسأخرجكم من البلدان حيث أنتم مشتتون وسأحضركم إلى الأرض الموعودة لآبائكم..»... «وسيكونون شعبي وسأكون ربهم وأما الشعوب الأخرى..».

«قولوا للطيور ووحوش البرية: تجمعوا وتعالوا إلى ضحاياي من كل الجهات الذين سأقتلهم لأجلكم. التضاحي العظام في جبال إسرائيل وستأكلون لحماً وتشربون دم الرجال الأقوياء، ستأكلون وستشربون دم أمراء الأرض.. وستأكلون اللحم حتى الشبع وتشربون الدم حتى الثمالة..»

وسأظهر قوتي بين الشعوب وسترى كل الشعوب يوم حسابي الذي سأقيمه ويدي التي سأضعها عليهم..

وفيما يتابع تلاميذ «حزقيال» من الكتبة كتابة شريعتهم أقام العائدون إلى أورشليم وبالتدريج علاقة طبيعية مع جيرانهم، ولم يعلم هؤلاء اليهود بنظام الانعزال والتقوقع الذي جهزه لهم الكتبة في بابل.

لقد صلى الكثير منهم لآلهة مختلفة طالبين المطر أو المحصول أو الدفء والشمس أو المواشي، وفقط كانوا يصلون لـ «يَهْوَه» في حال حدوث خلافات قبلية. ولكن في عام /٤٥٨ق.م/ ضرب اللاويون ضربتهم الأول. لقد جهزت كتب «الشريعة» للاستعمال. ولم يكن لهذا الأمر معنى كبير لولا استعداد الملك الفارسي إجبار الناس بالقوة على اتباع هذه «الشريعة» والعمل بها. واستطاعت الفئة المتسلطة على اليهود ولأول مرة أن تحرز تلك الأعجوبة التي تكررت مرات كثيرة في المستقبل: لقد استطاعت وبفضل وسائل لا نعلمها إجبار الحاكم الغريب والذي يبدو ظاهرياً جباراً ومستقلاً، على وضع جنوده وسلاحه تحت تصرفهم.

وفي هذا اليوم بالذات من عام /٤٥٨ق.م/ انعزل اليهود في أورشليم نهائياً عن باقي البشرية ووقعوا في عبودية لم يعرفوا مثيلاً لها في بابل. وكان ذلك هو البداية الحقيقة للقصة التي نرويها في هذا الكتاب.

وكل ذلك مذكور في كتب «عزرا» و «نحيميا» رسل اللاويين من بابل إلى أورشليم لزرع قوانين «حزقيال» المشبعة بالكراهية.

وجاء «عزرا» وهو سليل كبار الكهنة، من بابل إلى أورشليم على رأس /١٥٠٠/ من أتباعه وفي يده تكليف من الملك «ارتحششتا» وتحت حماية جنود فارس له وللأموال والذهب الذي أحضره معه من هناك. وعلى نفس المنوال جاء معاصرنا الدكتور «حاييم وايزمان» إلى فلسطين عام /١٩١٧م/ ومعه ذهب الإنكليز وكذلك جنودهم للحماية. أما في عام /١٩٤٧م/ فقد استخدمت القوة الأمريكية وأموالها.

ومن وجهة النظر القانونية كان «عزرا» مرسلاً فارسياً مكلفاً كما والدكتور «وايزمان» العبراني الروسي كان في عام /١٩١٧م/ موفداً لبريطانيا العظمى. ويبقى سراً كبيراً حتى اليوم كيف تمكنت الفئة المتسلطة إخضاع الملك «ارتحششتا» لنفوذها. لقد كان هذا الملك هو الثاني بعد «قورش» في قائمة الدمى. أما في الوقت الحالي فقد أصبح الاستعداد لتمثيل دور الدمية هو الشرط الأساسي والضروري لشغل أي منصب مهم وناجح في آي دولة من دول الغرب، وقد بدأ «عزرا»، حامل القانون العرقي الجديد، مهمته باختيار معاونيه ومرافقيه وكان معظمهم من اللاويين أو ممن استطاعوا إثبات أصلهم اليهودي الصافي.

ولدى وصوله إلى أورشليم شاهد «عزرا» الزيجات المختلطة «فأصيب بالفزع والقرف» حسب شهادة «كاستين». أما يهود أورشليم العائدين فقد شعروا في ذلك الوقت بالراحة والآمان بفضل الزيجات المختلطة وعلاقات حسن الجوار بفضل العلاقات الأسرية المشتركة. والآن وبعد مرور قرون يشعر «كاستين» بالقرف أيضاً من علاقة الجوار هذه ولكنه مجبر على الاعتراف ـ بأن يهود أورشليم على الرغم من الاختلاط مع القبائل الأخرى فقد: «حافظوا على تقاليد زمانهم ولم يخلوا بأي شرط من شروط الشريعة والأحكام المعروفة لديهم». ولقد أحضر «عزرا» معه قانون «حزقيال» الجديد الذي حل مكان التقاليد والأعراف القديمة.

وبوصفه مبعوث الملك جمع «عزرا» سكان أورشليم وأعلن آن جميع الزيجات المختلطة باطلة وحذف بذلك كل ما هو غريب. وشكلت لجنة من الوجهاء مهمتها فك وحل الزيجات المختلطة وبالتالي تدمير «علاقات حسن الجوار» التي قامت على الأساس الأسري المشترك. وحتى «كاستين» فقد اضطر للاعتراف بأن أفعال «عزرا» هي أفعال رجعية بشكل واضح.

وأعطيت أوامر «عزرا» مرتبة القانون الذي لم يكن قد دخل حتى في التوراة. «أدخلت هذه القوانين إلى التوراة فيما بعد وبالتحديد عام /٤٤٤ق.م/». ويلفت الانتباه استخدام «كاستين» كلمة «مرتبة» فكتابة «كاستين» هذه نشرت في برلين بعد مرور أربعة وعشرين قرناً من ذلك وفي نفس العام الذي صعد فيه «هتلر» إلى السلطة في آلمانيا، وأصدر بعد فترة قانونه عن النقاء العرقي وهو قانون حاربه الصهاينة ووصفوه «بالعار» وبعد عدة سنوات كررت جيوش الحلفاء نفس دور جيوش فارس عام /٤٥٨/ وانطلقت للإطاحة بـ «هتلر» وقانونه.

وكما في عام /٤٥٨ق.م/ في أورشليم أدت الإجراءات في فلسطين عام /١٩١٧م/ إلى إثارة سخط الشعوب المجاورة وأثارت قلقها.

لقد شاهد الناس في أورشليم محاولة التفوق اليهودي عليهم ومع اقتراب الشعور بالخطر هاجموا المدينة وحطموا أسوارها. وفي ذلك الوقت وكما القادة الصهاينة في القرن العشرين عاد «عزرا» إلى مقره في الخارج لأن البنية الاصطناعية التي أقامها في أورشليم أخذت تنهار بسرعة وأخلت المكان للقوانين والأعراف الاعتيادية الطبيعية، ومن جديد ظهرت الزيجات المختلطة وعادت علاقة حسن الجوار بين اليهود وجيرانهم وفقط القوة الفظه كان بإمكانها أعاقة سير هذه الأحداث.

وبعد مرور ثلاثة عشر عاماً وفي عام /٤٤٥ق.م/ قام وجهاء اليهود في بابل بمحاولة أخرى جديدة وعلى يد «نحيميا» هذه المرة وهو شخصية اعتيادية لبابل ذلك الزمان كما ولأيامنا الحالية.

وكان هذا اليهودي على علاقة جيدة بالبلاط الملكي ومع ملك فارس وشغل منصباً رفيعاً في قصر «ارتحششتا». بوصفه مسؤولاً عن الخمور في القصر «كما هو الحال في العصر الحديث حيث يلعب المستشارون الصهاينة دور اليد اليمنى لدى رؤساء الوزراء الإنكليز والرؤساء الأمريكان».

ووصل «نحيميا» إلى أورشليم حاملاً سلطة دكتاتورية وكمية كافية من الأموال ويرافقه عدد كبير من الجنود لكي يقوم وعلى حساب الخزينة الفارسية «وهو أمر يتطابق مع ما يجري في عصرنا» بترميم وإعادة بناء أسوار المدينة وليخلق أول «غيتو» حقيقي. وهذا «الغيتو» كان في البداية فارغاً ولكنه وبعد الانتهاء من عملية البناء أجبر «نحيميا» وعن طريق القرعة ما يقارب عشرة بالمئة من اليهود بالعودة والسكن في المدينة.

وأصبحت العقيدة العرقية قانوناً ساري المفعول أما الذين لم يستطيعوا الإثبات وإقناع الوجهاء اللاويين والموظفين الفرس أن أصلهم يعود على قبائل «يهودا» أو «بنيامين» أو «لاوي» فقد تم طردهم بفظاظة». «كاستين».

وكان على الجميع إثبات الصفاء العرقي لأصولهم وبشكل لا شك فيه وعن طريق شهادات الميلاد «القانون الهتلري حول الجدود الآريين في القرن العشرين لم يصل إلى مثل هذا التطرف في مطالبه من الألمان».

وبعد ذلك أشار «نحيميا» على «عزرا» إن يضيف إلى التوراة بنداً يمنع ويحرم الزيجات المختلطة، وعلى الفور أصبح هذا الأمر «قانوناً «بعد هذا الأمر توجب عليهم شطب اسم داود وابنه «سليمان» من قائمة المؤمنين» وتم تجميع كل وجهاء العائلات والعشائر وآجبروا على توقيع تعهد بأنهم وجميع أفراد عائلاتهم من الآن وصاعد ملتزمون بجميع «أحكام وسنن» التوراة ولا سيما الجديدة منها والمذكورة أعلاه».

وادخل التعديل اللازم على كتاب «اللاويون»: «لقد عزلتك عن جميع الشعوب لتكون شعبي».

بعد هذا الكلام لم يعد بإمكان أي يهودي وتحت تهديد الموت أن يتزوج خارج نطاق العشيرة. وكل رجل يتزوج غريبة يكون قد ارتكب ذنباً عظيماً أمام الرب «نحيميا» ١٣/ ٢٧/». «وهذا القانون لا يزال ساري المفعول في الدولة الصهيونية الحالية».

لقد منع الغرباء من دخول المدينة «حتى يتطهر اليهود من كل غريب». وكان «عزرا» و «نحيميا» شاهدين على كل ما حدث.

واعتبر «نحيميا» قاصاً مثالياً لا يمل ولا يتعب. لقد كان هناك. وكان ديكتاتورا وكل ما حصل من صنع يديه.

ولقد كتب «نحيميا» أن «عزرا» أطلع سكان أورشليم على القانون عند وصوله إلى أورشليم وأنه لدى قراءته كلمات القانون عليهم فإن: «كل شعب أورشليم بكى وناح عندما سمع كلمات القانون».

وهذه الكلمات الثماني لهذا الحكواتي القديم تعيد رسم ما جرى في ذلك الوقت أمام عيون القارئ المعاصر لدرجة تجعله يتخيل وكأنها جرت قبل /٢٤/ ساعة وليس قبل /٢٤/ قرناً. أجل نحن نتصور حشداً من الناس المحشورين في «الغيتو» وهم يبكون وينوحون وكل هذا بعيون شخص استطاع وبمساعدة الجنود الفرس أن يضع على عنق هذا الحشد طوق العبودية الروحية وهو نير كان على أي من يدعو نفسه عبرانياً في المستقبل، أن يضعه على عنقه. وعاش «نحيميا» في أورشليم فترة اثني عشر عاماً ومن ثم عاد إلى قصور الملك في بابل. وبعد ذهابه أخذ يتصدع البناء الذي شيده مرة آخرى. ولذلك عاد «نحيميا» مرة أخرى وشرف أورشليم بوجوده، وهناك وجد الكثير من الزيجات المختلطة، ومرة أخرى قام ومن جديد «بفك» هذه الزيجات وسن عقاباً شديداً على مثل هذه الأعمال في المستقبل. وبعد ذلك وبهدف المحافظة الصارمة على الانتقاء والفرز العرقي قام من جديد بتوثيق سجلات الولادة وجرى شطب كل من كان في وثائقه عيب حتى ولو كان هذا الشخص من سلالة «هارون». وبذلك طُهر المجتمع اليهودي ومن دون رحمة أو شفقة من كل من لا يرغب «بالخضوع للشريعة والأعراف المتبعة وجرى ذلك من دون أي تردد وبشكل كامل» وأجبر جميع سكان أورشليم على أداء قسم الوعد مرة أخرى، وسمي هذا الحدث في التاريخ باسم «الاتفاق الجديد» كما سُمي كتاب «التثنية» بالقانون الجديد في حينه أنها تعابير تحدد مراحل زرع الهرطقة الجديدة. وقد أمر اللاويون إجبار كل سكان أورشليم على التوقيع شخصياً على الاتفاق الجديد تماماً كما يجري توقيع اتفاق تجاري، وقام الفرس بإرغام جميع السكان على تنفيذ ذلك. وبعد تنفيذ مهمة عزل السكان اليهود، عاد «نحيميا» إلى بلده في بابل تاركاً خلفه «مجتمع توافق جميع أعضائه في ما بينهم على جميع الأمور وأخذوا يرعون أنفسهم بأنفسهم بعد أن حددت لهم حقوقهم وواجباتهم اليومية كافة وخلقت الأسس الروحية لها» هكذا كتب «كاستين» «ومن كلماته يفهم القارئ أي وسائل استخدمت للتوصل إلى التوافق في جميع المسائل بين سكان أورشليم».

وحتى تلك اللحظة كان قد مضى أكثر من أربعمئة سنة على لفظ إسرائيل لليهودية وثلاثمئة سنة على احتلال أشور لليهودية، واستخدم اللاويون تلك المرحلة لكي ينتهوا تماماً من

تشويه التقاليد القديمة ويثبتوا كتابة قوانينهم العرقية- الدينية وبالتالي تقيد سكان تلك المقاطعة الفارسية الصغيرة بها كالسلاسل. وقد تمكن اللاويون وبواسطة القوة زرع عقائدهم القبلية اللا معقولة ومن بناء منظومة تيوقراطية صغيرة بالنسبة لذلك الوقت وهكذا تم إطلاق حامل الخراب هذا وأرسل إلى طريق المستقبل.

ولقد انقضى أكثر من مئة جيل من ذلك اليوم الذي زرع فيه الاتفاق الجديد وبقوة السلاح الفارسي وآجبر الباكين من الخوف على توقيعه، وبعد ذلك حملت ثقل سلاسل هذا الاتفاق على كاهلها مجموعة من الناس المختلفين بالدم وبالأصل والعرق ولكنهم مرتبطون بشكل أو بأخر بمواد هذا الاتفاق، وهم يتوارثون هذه السلاسل في عزلة روحية عن باقي الإنسانية.

وعلى الرغم من أن العبودية المذكورة هي من ابتداع اللاويين فإن سلاسلها كانت فارسية الصنع. والآن وكما في ذلك الوقت تخلق الفئة المتعصبة حالة العبودية وتنشرها، ولكنها تنفذ ذلك بواسطة السلاح الأجنبي والمال الغريب. وهنا يطرح السؤال نفسه: من المسؤول أكثر عن ذلك. المخطط والمحرض، أم من ينفذ ذلك؟ فإذا كان القسم الأكبر من المسؤولية يقع على المنفذ فإن حكم التاريخ واضح وصريح على الرغم من تناقضه: غالباً تقع مسؤولية الهرطقة في اليهودية على عاتق زعماء الشعوب غير العبرانية الخاضعين وبدءاً من ملوك الفرس وحتى زعماء اليوم إرادة الفئة التي ابتدعت كل ذلك.

ولا يوجد أي شك بأن كل ذلك هو فعلاً هرطقة. عندما أجبر جنود «ارتحششتا» الفرس سكان أورشليم اليهود على التوقيع على الاتفاق الجديد «الحزقيالي»، حصل التشويه النهائي للتقاليد والأعراف الإسرائيلية القديمة، وانقلب الإيمان بالرب إلى العكس تماماً. ولم يبق أي تشابه بين رب الوصايا العشر وبين إله «حزقيال» الشامت والمتباهي بأمر الناس بقتل أبكارها لكي يخيفهم ويجبرهم على الاحترام.

إنه ليس الرب الذي ظهر للناس بل هو تجسيد مختلق للهمجية القبلية البدائية. وفي الحقيقة أن ما أجبر الشعب القديم على توقيع الاتفاق الجديد وقسراً، كان إما إنكاراً مباشر لوجود الرب أو شرحاً شكلياً يقول إن الرب هو اليهودية.

وعملياً هذا ما يعلنه الصهاينة المعاصرون وبكل صراحة يؤكدون بذلك تلك الهرطقة المخيفة: «الرب موجود في قومية إسرائيل.. إنه محتوانا القومي.. لقد خلق الكون بالعبراني. إنه ربنا القومي» «هذه كلمات الحاخام «سلمون غولدمان». انظر

Rabbi Salomon Gold Mon» God And Israel.

«لقد كبرنا مع الرب.. نحن لدينا ربنا القومي.. نحن نؤمن أن الرب عبراني وأنه لا يوجد رب إنكليزي ولا أمريكي»

Maurice Smuel You Gentiles /1924/

«لم يخلق الرب هؤلاء الناس وأفكارهم بل هؤلاء الناس خلقوا رباً كهذا وأفكاراً كهذه»

Joset Kastein» History And Destiny Of Jews /1993/ «

كل هذه التصريحات واضحة ومحددة ونقلها إلى الأوراق ليس صعباً في نيويورك أو شيكاغو أو لندن أو برلين. ولكن في بداية هذه القصة وكما كتب «نحيميا»: «بكى كل الناس عندما سمعوا كلمات الشريعة» ومنذ ذلك الحين أجبر على البكاء الكثيرون جداً

الفصل السابع

ترجمة كتب الشريعة

بيّن التاريخ أن أهم أحداث السنين الأربعمائة القادمة كان ترجمة المؤلفات اليهودية إلى اللغة اليونانية وهو ما سمي فيما بعد باسم «العهد القديم» وسمحت تلك الترجمة وهي تسمح حتى الآن للغرباء التعرف جزئياً على الشريعة التي تتوعد وتهدد هؤلاء الغرباء بالدمار والفناء والعبودية لليهود.

ومن دون هذه الترجمة كان من الممكن فقط الشك في الطبيعة الحقيقة لليهودية أما نص الترجمة فقد قدم شهادة وإثباتاً مكتوباً على صحة هذه الشكوك.

وقد يبدو غريباً للوهلة الأولى أن هذه قد تمت فعلاً بشكل أو بآخر. - فحسب رواية اثنين وسبعين عالماً عبرانياً من الإسكندرية أنه في الفترة ما بين عام /٢٧٥ق.م/ و /١٥٠ق.م/ كما يقول «كاستين»: «كان يوجد هدف محدد وهو جعل كتب الشريعة مفهومة لليونانيين وتمت الترجمة وأدت إلى تشويه وتحريف الكلمات وإلى تغيير في المعنى وإبداله في الكثير من الأحيان بمفاهيم وأفكار عامة، والتي هي في الحقيقة أمر وشيء قومي ومحلي بحت».

وإذا كان هدف «كاستين» من هذا الكلام تجميل وتزويق ما جرى وما حدث فإنه في هذه الحالة كان غير دقيق في اختيار الكلمات. لأنه لا يجوز استخدام التشويه والتحريف وتغيير المعنى وتبديل الجمل المفهومة بأخرى ذات المعاني المتعددة فقط ليصبح الموضوع مفهوماً للجميع. بالإضافة إلى ذلك كان على «كاستين» كعالم وكما تشير «الموسوعة العبرية» أن يعلم «إن التلمود يمنع ويحرم اطلاع الغرباء على التوراة وتعليمهم نصوصها تحت طائلة عقوبة الموت» والتلمود وبحق خاف من اطلاع الغرباء على التوراة لدرجة أنه جرى ابتداع توراة شفهية حتى تكون الملجأ الأخير لإخفاء أسرار «يَهْوَه» عن العيون غير العبرانية وفعلاً إذا كان اليهود قد ترجموا الكتب المقدسة إلى الإغريقية فإنه من الواضح ليس بهدف سامٍ ونبيل وهو أداء الخدمة لليونانيين.

(«كاستين» كان يكتب بشكل خاص للقراء الأجانب غير العبرانيين مما يجعل الكثير من جمله وعباراته مفهومه»).

والحقيقة إن ترجمة الكتب المقدسة كان يحتاجها بالدرجة الأولى اليهود أنفسهم بعد أن نسوا في بابل لغتهم العبرانية القديمة واستخدموا الآرامية في حياتهم بدلاً منها. وكانت النتيجة أن أصبحت اللغة العبرية القديمة سراً لاوياً «وأحد الروابط الروحية السرية بين يهود الجالية» كما كتب «كاستين».

وبما أن أكبر الجاليات العبرانية كانت تعيش في الإسكندرية في ذلك الحين وكانت تستخدم اللغة الإغريقية في حياتها، وبما أن الكثير من اليهود هناك كانوا يجهلون العبرية القديمة فقط تطلب الأمر وجود ترجمة لهذه الكتب إلى الإغريقية لاستخدامها كأساس لتفسيرات الحاخامات. ولكن في البدء لم يتوقع وجهاء اليهود أبداً أنه بعد عدة مئات من السنين ستظهر ديانة أخرى جديدة وأنها ستحصل من كتاباتهم قسماً من كتابها المقدس ونتيجة لذلك تصبح «شرائع موسى» معروفة لكل الناس. على الأغلب لو أنهم توقعوا كل ذلك لم يكن للترجمة اليونانية أي حظ للظهور ورؤية النور.

ومهما يكن فقد ألمح اللاويون للمترجمين أن هذا العمل سيسمح ولأول مرة لغير اليهود بالاطلاع على «الشريعة» ومن هنا كانت كل التحويرات والتزوير والتبديل والتغيير الذي كتب عنه «كاستين» ويمكن ذكر مثال على ذلك المقطع /٢١/ من الفصل /٣٢/ من كتاب «التثنية» ومنه يوصف الغرباء في النص المترجم على أنهم «شعب غبي لا معنى له» في الوقت الذي فيه في النص العبري القديم بأنهم «غير العبرانيين هؤلاء أشرار وأنذال».

ما هو الشيء الذي تمت ترجمته؟

قبل كل شيء جرى ترجمة كتب الشريعة الخمسة أي التوراة.. ومن المعرف أنه بعد أن أجبر «عزرا» و «نحيميا» يهود أورشليم بالتوقيع على «الاتفاق الجديد» أعاد الكهنة في بابل النظر في التوراة: «وبدأ المؤلفون ومن جديد تصحيح الأحداث التاريخية وكذلك العادات والتقاليد القديمة وأعطوها مفاهيم ومعاني تتناسب مع متطلبات نظام الإدارة التيوقراطي.. وبعد ذلك وصلت التوراة إلى شكلها النهائي.

وبعد ذلك منع أي تعديل أو تغيير أو حذف أو إضافة كلمة أو حتى إشارة أو مفهوم. «كاستين».

لقد رميت جانباً التقاليد الإسرائيلية القديمة أو جرى تعديلها وحل مكانها القانون اليهودي العرقي «بشكله الأخير والحاسم». وعند إعداد الكتب الأخرى التاريخية منها أو التنبؤية أو الشاعرية استخدمت نفس الطريقة. ، وقد انتهى من تأليف كتاب «دانيال» تقريباً في نفس تلك الفترة أي بعد أربعمائة سنة من الأحداث المذكورة في الكتاب ولذلك لا يبدو غريباً أن المؤلف المجهول للكتاب حرّف وشوّه معظم الأحداث التاريخية فيه.

و «كاستين» لا يخفي الطريقة التي تمت بها كتابة تلك النصوص: «أما المحرر الذي أعطى الشكل الأخير للكتب ومنها «يوشع بن نون» «قضاة إسرائيل» وكذلك كتابا «صموئيل» وكتب «الملوك» فقد قام بجمع كل المقاطع «من الروايات والحكايات القديمة» وفسرت وشرحت بإبداع.. ولم يكن دائماً من الممكن نسب كلمات معينة إلى شخص معين لأن الكلام غالباً ما كان يذكر دون أن ينسب إلى أحد. ولكن الذي كان يهم المحررين هو محتوى الموضوع أكثر من الدقة اللغوية، لقد ربطوا في كتلة واحدة كل كلمات الأنبياء حسب ما فهموها». «في بعض الأحيان يلاحظ تطابق في أقوال وإرشادات أنبياء مختلفين ولاشك أن استخدام المبدأ المذكور هو السبب في ذلك فعلى سبيل المثال «أشعيا» «٢ : ٢-٤» و «ميخيا» «٤ : ١-٤». وكذلك الكثير من التكرارات ذات الطابع نفسه».

إذن نلاحظ أن المهم هو محتوى الموضوع وليس الحقيقة التاريخية أو الدقة اللغوية ولا حتى كلمات الإله الرب. ومحتوى الموضوع كان الشوفينية السياسية وفي أقصى درجات التطرف التي عرفتها الإنسانية في أي وقت من الأوقات. أما التوافق مع العقيدة اللاوية فكان أهم ما توجب على المترجم المحافظة عليه وبالطبع كل من يطلع ويدرس المصادر يفهم بشكل جيد الطرق التي استخدمت عند تأليف هذه الكتب بعد آن لفظت إسرائيل يهودا وأي أسباب دعت على القيام بهذا التأليف.

وجرى في عام /١٥٠ق.م/ ترجمة كل ما كتبته وألفته عدة أجيال من الكهنة «المسيسين» خلال فترة خمسمائة أو ستمائة عام إلى الإغريقية.

وبعد قدوم «يسوع المسيح» ترجم القديس «يرونيم» كل هذه الكتب وكذلك «العهد الجديد» إلى اللاتينية. وكما ذكرت الموسوعات الحديثة فإنها: «أصبحت تُعد بالنسبة للكنيسة على أنها كلها من مصدر رباني واحد وأن القسمين هما من عمل يد واحدة.

وبعد التغييرات التي أجراها المترجمون لم يعد بإمكان أحد اليوم ما عدا اليهود أن يعرف مدى التشابه أو عدم التشابه بين النص المترجم الذي يشكل الجزء الأول من الكتاب المقدس المسيحي من جهة وبين النص الأصلي العبري الآرامي القديم من جهة أخرى. ولكن على

الرغم من ذلك من الواضح جداً أن التغييرات والتعديلات التي تمت كانت عميقة وكبيرة بالإضافة إلى وجود توراة شفهية وكذلك التتمة التلمودية للتوراة، لذلك فالعالم المسيحي لا يعلم ولن يعلم ولم يعلم أبداً كل الحقيقة عن الشريعة اليهودية ولكن مضمون هذه الشريعة واضح جداً في النص الذي وصل إلينا من العهد القديم وهو وحده مثير جداً. وعلى الرغم من كل ما حذف وما تم تزويره فإن أمامنا ترتسم صورة آلهة قبلية غيورة متعطشة للثأر والانتقام وذات تعاليم ووصايا همجية تدعو إلى الدمار والاستعباد وهو أمر يعطي سبباً وجيهاً للتفكير العميق.

ومع ظهور الترجمة إلى الضوء لم يعد بإمكان أي تعديل أو تغيير في معاني الكلمات أو غيره من المحاولات الماكرة أن يغطي طبيعة «الشرائع اليهودية» وعلى الرغم من كل الملاحظات التي كتبت فإن معنى ما كتب يبقى مفهوماً وفي ذلك أحسن برهان على أن اللاويين حينما وافقوا على نشر الترجمة لم يقدروا تصور عدد الجمهور الواسع الذي سيطلع على هذه الترجمة ووصلت الترجمة التي ندعوها الآن «العهد القديم» إلى الغرب بشكل خففت فيه عقيدة الكره والدمار العرقي الموجودة فيه، وذلك بفضل التعديلات والتعليقات وقد حصل كل ذلك في فترة هي قبل بداية تاريخ أوربة بمدة طويلة. والآن وبعد مرور عشرين قرناً على وجود أوربة المسيحية يتكلم قادتها السياسيين عن العهد القديم والهلع في عيونهم وتراهم يدعونه، والرجفة ترافقهم من سطوة الطائفة اليهودية، بالقسم الأفضل من الكتاب المقدس ويزعمون أنهم يعيشون وفق نصوصه.

على الرغم من كل ذلك تبقى تلك النصوص نذيراً للدمار والاستعباد لشعوبهم. أما أعمالهم التي تتم تحت راية العهد القديم فهي ومنذ زمن بعيد تخدم فقط الأهداف المذكورة.

الفصل الثامن

الأدوميون والشريعة

في الفترة التي ترجم فيها يهود الإسكندرية كتب اليهود المقدسة، لتصبح فيما بعد في متناول الإغريق ومن ثم الغرباء الآخرين، في تلك الفترة تغيرت السلطة المسيطرة على اليهودية الصغيرة من الفرس إلى الإغريق ومن ثم إلى الرومان.

وخلال هذه السنوات العجاف «المضطربة» حدث أمر مهم جداً وهو إجبار الأدوميين على دخول الدين اليهودي (تعبير اليهودية ظهر لأول مرة على لسان المؤرخ العبراني «يوسف فيلاوي» للإشارة إلى ثقافة ونمط حياة اليهود تماماً، كما استخدم تعبير الهيلينية للإشارة إلى ثقافة الإغريق. وفي بداية الأمر لم تحمل كلمة اليهودية طابعاً دينياً ولكن ولعدم وجود تعبير آخر أفضل سنستخدم هذا التعبير فيما بعد للإشارة إلى الدين العرقي، الذي كونه اللاويون عن طريق تحريف «شرائع موسى»).

ويعرف التاريخ واقعة أخرى فقط عن الدخول الجماعي في اليهودية، وقد حصلت بعد ذلك بـ /٨٠٠/ على /٩٠٠/ سنة وقد أثرت هذه الواقعة تأثيراً مباشراً على أجيالنا الحالية كما سنرى لاحقاً. ولكن في تلك الأيام كان اعتناق الأديان الأخرى أمراً طبيعياً يحدث بكثرة. أما الدخول في الدين اليهودي فقد شجعه الحاخامات في أغلب الأحيان.

ويذكر إنجيل «متّى» أن المسيح لام بنفسه الفريسيين: «أنتم تعبرون البر والبحر لكي تدخلوا في دينكم ولو واحداً».

ومختصر القول إن المنع العرقي والتقوقع الذي جاء به كتاب «التثنية» و «الاتفاق الجديد» لم يُلتزم بها دائماً في تلك الأيام، والتفسير الوحيد لذلك هو أن العدد: فلقد كانت القبيلة اليهودية صغيرة جداً وفي حال التنفيذ الصارم والشديد للشريعة العرقية كانت هذه القبيلة ستموت وتندثر مع الزمن لا محالة. عند ذلك كان سيبقى اللاويون مع مذهبهم مثل الجنرالات مع خططهم الحربية ولكن من دون جيش. بالإضافة إلى أن الاختلاط العرقي كان ولأسباب مختلفة أمراً بديهيًا جداً.

وكما تكتب الموسوعة العبرانية في هذا الخصوص: «ونتيجة لذلك كبرت اليهودية وقويت على حساب إدخال الغرباء في دينها». وتوافق على هذا الكلام مصادر أخرى موثوق بها. مما يؤكد على أن القبيلة اليهودية النقية الدم والصافية العرق قد اندثرت قبل ميلاد المسيح بمئات السنين. ولكن على الرغم من كل ذلك حافظ القانون العرقي على قوته كاملة ولم يضعف من كل هذه الأمور الاستثنائية التي حصلت، ولذلك فإن جميع محاولات التوغل والسبر التي جرت في العصر المسيحي لم تجد نفعاً. والعبرانيون في جميع أنحاء العالم، وعلى الرغم من عدم وجود صلة قرابة دم وسلالة بينهم وبين اليهود القدماء، عادوا إلى الانعزال والتقوقع في جماعات يحدها من كل الجهات «قوانين الشريعة العرقية» التي تفصلها عن بقية العالم. وظلت الاستثنائية العرقية محافظة على نفسها أو بالأحرى عادت لتصبح من جديد عقيدة جامدة للصهيونية الرسمية.

واعتبر التلمود أن «الداخلين الجدد إلى الدين يضرون اليهودية كما تضر القروح الجسم السليم».. وأما الصهاينة المتزمتون فهم إلى يومنا هذا يضربون رؤوسهم بحائط المبكى عندما يدور الكلام حول دخول الأدوميين إلى الدين اليهودي ويرون فيه تأكيداً لما ذُكر أعلاه.

والسؤال عما يجب عمله مع الأدوميين، برز ولا شك بسبب التعاطي اللا مبالي للاويين مع التاريخ ومع «شريعتهم الخاصة». وفي كتاب «التكوين» ذُكر أن الأدوميين هم قبيلة من نسل عيسو» «عيسو أبو الأدوميين» و «عيسو» هو الأخ التوأم لـ «يعقوب» المسمى باسم إسرائيل. وتذكر الروايات القديمة علاقة القربى الشديدة بين اليهود الأدوميين «أدوم» وأما في كتاب «التثنية» المكتوب عام /٦٢١ق.م/ فيُذكر الوضع الخاص للأدوميين: «وكلم الرب «موسى» قائلاً: واعط الشعب أمراً وقل لهم: ستمرون على حدود إخوانكم أبناء «عيسو»... احذروا الحرب معهم لأني لن أعطيكم من أرضهم موطىء قدم... ومررنا قرب حدود «أخوتنا أبناء عيسو»..

ولكن عند تأليف كتاب «الأعداد» بعد مرور /٢٠٠/ سنة تغير الوضع حيث أجبر «عزرا» و «نحيميا» اليهود على الخضوع للقانون العرقي وتحت تهديد السلاح الفارسي وأدى ذلك في النهاية إلى عداء مستفحل بين اليهود مع جيرانهم الأدوميين، وغيرهم كذلك. «وكما في عصرنا الحديث وللأسباب ذاتها بالضبط أصبح العرب أعداء لليهود» ولقد فهمت الشعوب المجاورة من كتاب «الأعداد» أن الكلمات السابقة القائلة «احذروا بدء الحرب معهم» قد تبدلت وأنهم «أي الجيران» أصبحوا هدفاً «للتدمير الشامل» وبالضبط في كتاب «الأعداد» لم تعد هناك رغبة لدى «موسى» وأتباعه على السير جانب الأخوة «أبناء عيسو» بل هبت رغبة

عارمة بالمرور عبر أراضي الأدوميين. ولم يوافق ملك الأدومين على ذلك ولهذا السبب اختار «موسى» طريقاً أخرى وأما الرب فقد وعده بالسيطرة على أدوم.

ومن سطور أخرى في نفس الكتاب كان على الأدوميين أن يفهموا ما الذي سيحل بالمدن التي ستقع تحت سيطرة كهذه.: «ولم يبق على قيد الحياة أي شيء يتنفس». «ونفس الشيء كرره الكتبة اللاويون مع المؤابيين. ففي كتاب «التثنية» أمر الرب «موسى» قائلاً: «لا تدخل في عداء مع المؤابيين ولا تبدأ الحرب معهم، لأنني لن أعطيك أي شيء من أراضيهم» ولكن في كتاب «الأعداد» نرى أن نفس الرب يطالب بتدمير مؤاب.

ولذلك ليس مدهشاً أبداً أن القبائل المجاورة لليهود ومن ضمنها المؤابيون، وابتداء من عام /٤٠٠ق.م/ الميلاد، فقدت الثقة باليهود وأخذت تحتاط منهم. ولم يكن هذا التخوف بلا سبب لأن «هاركانوس» ملك «يهوذا» وكاهنها الأول هاجم الأدوميين وأجبرهم بقوة السلاح على الخضوع لشريعة «موسى» وختن الرجال منهم. ومن النصين الموجودين في الشريعة: الأول يقول «لا تدخل في عداوة..». والآخر يقول أيضاً «عليك السيطرة..». فقد تم اختيار النص الأخير. ولو أن الأمر انتهى عند ذلك لوجد التبرير اللازم لأن أي حاخام كان سيشرح له أن النص الأول وكذلك النص الثاني معاً أو منفصلين هما دائماً مبرران. «وفي هذا المجال يكتب العالم «ف. روبنس» بوضوح زائد: «إذا قال الحاخام عن اليمين بأنه يسار أو عن اليسار بأنه يمين- عليك تصديقه». ولكن الأمر وللأسف لم ينته عند هذا الحد. والقانون الذي أدخل على هذا الأساس كان عند حله لمشكلة يخلق مباشرة مشكلة أخرى. ما الذي كان على «هيركانوس» عمله بعد أن «سيطر» على القبيلة المجاورة؟ هل كان عليه «أبادتها بشكل كامل» وعدم ترك حي يتنفس على قيد الحياة. على الرغم من أنهم «من عداد أخوتنا أبناء عيسو»؟ لم يلتزم «هيركانوس» بالشريعة وفقط اكتفى بإجبار الأدوميين على اعتناق الدين اليهودي. مرتكباً بذلك ذنباً لا يُغتفر ومكرراً خطأ «شاؤول» أول ملوك اتحاد «يهودا» وإسرائيل الذي قبل سنين عديدة أباد السكان المستسلمين، ولكنه عطف وشفق على الملك أجاج وتركه حياً هو أمر أدى إلى خلع «شاوول» عن العرش وقتله. «أو على الأقل هذا ما ترويه الرواية اللاوية عند هذا الجزء من التاريخ».

وكان على «هيركانوس» التعامل مع حزبين سياسيين، الأول منهما يمثل المعتدلين ومنهم الصدوقيون- وهم دعموا الملك وعلى الأغلب كانوا ممن نصح بإدخال الأدوميين بالقوة إلى اليهودية مع إبقائهم على قيد الحياة- أما الحزب الآخر فكان جماعة الفريسيين وهم عبارة عن طغمة قديمة مستبدة من الكهنة اللاويين والراغبة في استعادة السلطة اللا محدودة التي

كانت لديها. وأراد الفريسيون استخدام الشريعة بأقصى حدودها وأصروا على الإبادة الشاملة للأدوميين وأخذوا يناضلون ضد «هيركانوس» بكل قوة. وحاولوا إلغاء الملكية. (كما ناضل «صاموئيل» ضد «شاوول»).

وأكثر العبر أهمية لنا أن الفريسيين فيما بعد عزوا أسباب كل المشكلات التي صادفت اليهود إلى الموقف المتسامح للملك. وأشاروا إلى أن التدمير الثاني للهيكل واحتلال الرومان لليهودية عام /٧٠م/ هو عقاب الرب بسبب الإخلال بالشريعة وعدم الالتزام بها من قبل «هيركانوس». واضطر الفريسيون للانتظار أكثر من /١٥٠/ عاماً لإثبات صحة موقفهم الذي قد لا يكون أحد غيرهم يؤمن به.

ومن بين الجموع التي اعتنقت اليهودية برز شخص يدعى «انتيبار» وهو أدومي حاز على الاحترام في بلاط أورشليم الصغير «كما حاز «دانيال الأسطوري» على الاحترام في بلاط بابل وفارس ووصل إلى أعلى المناصب هناك». لقد توسط الفريسيون الحاكم الروماني بومباي طالبين منه التدخل في شؤون اليهودية وتسليم السلطة للكهنة بعد إلغاء الملكية ولكن خطتهم فشلت. وجاء بعدها عشرات السنين من الفوضى والحروب والاصطدامات ووصلت السلطة إلى اليهودي «انتيبار» والذي عينه القيصر حاكماً لليهودية أما ابنه «يرُد» فقد عُين في إدارة أنطاكية ملكاً لليهودية. وفي نهاية الأمر حلت فوضى عارمة في هذه المقاطعة الرومانية الصغيرة لدرجة اضطرت سلطات روما أن تأخذ زمام الإدارة في يدها ، وكان وراء كل ذلك الفريسيون ولا أحد غيرهم. لأنهم أثاروا الرومان ودفعوهم إلى احتلال البلاد ولكن كالعادة وضع الفريسيون الذنب في ذلك على «الهمجية» و «العبد الأدومي» «يُرد» وأوحو للناس أن أساس البلاء هو «هيركانوس» لأنه لو التزم بالشريعة قبل /١٥٠/ سنة لما حدث أي شيء.

وأكثر ما يثير الدهشة أن المؤرخ. اليهودي «كاستين» يكرر هذه الأقوال بعد مرور أكثر من ألفي عام وبنفس الحقد. وصهيوني كهذا من القرن العشرين كتب في عهد استيلاء «هتلر» على السلطة ، لا يزال يؤمن بأن مأساة اليهود الثانية كان سببها عدم الالتزام بالشريعة العرقية. ولكن وكما سنرى لاحقاً انقلبت مأساة «يهودا» وكالعادة لتصبح نصراً للفريسيين وفي هذا تتلخص من جديد التناقضات الاعتيادية والتي ومنذ البداية عج بها تاريخ صهيون.

الفصل التاسع

وصول الفريسيين إلى السلطة

كان الفريسيون أكبر تجمع سياسي في اليهودية وهي المقاطعة الرومانية الصغيرة المضطربة، وكانت نواة التجمع هذا فئة متسلطة من الكهنة اللاويين حملت المبدأ العرقي بأقصى صوره المتطرفة والذي وجد شكله التعبيري عند «حزقيال» و «عزرا» و «نحيميا». وقد أقسم الكهنة على المحافظة على نقاوة اللاوية.

ومثلما انتصر اللاويون في أحد الأيام على منتقديهم الإسرائيليين وعزلوا اليهودية عن جيرانها، كذلك بالضبط منع أتباعهم الفريسيون أي محاولة تقارب بين «يهودا» وباقي البشرية. لقد كانوا حماة لأفكار الفناء والتدمير وأعتبر نصرهم فصلاً جديداً في تاريخ صهيون، وكما في حالة اللاويين حصل هذا النصر على خلفية تدمير آخر لأورشليم.

ولكن حتى في أوساط الكهنة ذاتها برز، وعلى مدى أجيال، تيار احتجاج ضد التزوير والتعديل المستمر للتعاليم والشريعة، الذي بدأ على أيدي تلاميذ «عزرا» و «حزقيال» وأصر المعارضون على عدم جواز التلاعب المستمر بالشريعة أو التغيير فيها، وإن أي «تفسيرات» جديدة فيها أمر غير مسموح به وازداد هذا النقد وهدد بتحطيم الأسس السياسية للتعصب القومي اليهودي.

وعبر جواب الفريسيين عن عدوانيتهم اللا محدودة وجاء فيه، إن الفريسيين وحدهم وليس أحداً آخر غيرهم يُعدون الحرس اليقظ «للتقاليد» وهم فقط على علم بأسرار الشريعة الشفهية التي أعطاها الرب إلى «موسى» بشكل مباشر، وهي شريعة لا يجوز كتابتها أبداً وهي التي تحدد كل محتويات ومعاني الكتب الأخرى.

إن الزعم والادعاء بمعرفة كل أسرار الرب «أي ادعاء الربانية» هو فقط يستطيع أن يشرح لنا سبب الخوف الأسطوري من الكهنة والحكماء، والذي غطى أجيالاً متعاقبة من اليهود والعبرانيين. قوة الخوف هذه شديدة لدرجة أنها لا تزال تؤثر حتى على العبرانيين المثقفين والمتنورين في جميع أنحاء الشتات العبري.

ولكن بالمقابل هناك رغبة غريزية في التحرر من هذا النير وهي بالذات أدت على ظهور أحزاب معتدلة في أوساط اليهود، ومن الممكن اعتبار الصدوقيين قديماً جزءاً منهم. وفي وسط الصدوقيين كان هناك عدد كبير من الكهنة والحكماء الذين أرادوا الحفاظ على «السلام في المدينة» وعدم السماح بصدام مباشر مع الرومان. ولهذا السبب حصل عداء شديد بين الفريسيين والصدوقيين ولا زال هذا الانقسام بين العبرانيين مستمراً بعد مرور خمسة وعشرين قرناً.

وتجدر الإشارة إلى هذا الأمر حتى ولو كان يثير الاهتمام فقط من الناحية الأكاديمية البحتة، ولقد أثبت التاريخ أنه إذا أثير الجدل حول مسانده أو معارضة «الحفاظ على السلام في المدينة» فالنصر يكون دائماً إلى جانب جماعة الانعزال والتدمير المتطرفة وهي تحوز دوماً على دعم الجاليات اليهودية المتراصة. والمثال على ذلك يمكن تقديمه من العصر الحالي. ففي وقت ما كانت الجاليات العبرانية في ألمانيا وإنكلترا وأمريكا «يمكن تشبيها بالصدوقيين» معادية تماماً للصهاينة في روسيا وبولونيا «من الممكن تشبيههم بالفريسيين». ولكن ما أن مرت خمسون سنة حتى انتصر التطرف وأصبح الناطق باسم جميع العبرانيين ومثلهم أمام الحكومات الغربية بعد أن سحقت أي معارضة في صفوف العبرانيين.

وعلى شجرة أصل الطائفة الحاكمة يحتل الفريسيون المكان الثاني، أما الأساس والمركز الأول فهو للاويين البابليين ومن ثم لفريسيي بابل مروراً بتلموديي أسبانيا وإلى حاخامات روسيا وبولونيا وأخير صهاينة العصر الحديث.

وكما يشرح زعماء اليهود فإن كلمة «فريسي تعني من عزل نفسه» «من فرز نفسه» عن النجاسة، نجاسة البشر والأشياء وذلك للوصول إلى الطهارة والإيمان وهما أمران ضروريان لمحاورة الرب أو التقرب منه.

وقد أسس الفريسيون منذ البداية «أخوية» «تجمع» تشبه الماسونية التي تليها. وسمح فقط للمختارين بالدخول إلى مجالسها الداخلية وكان عليهم وبحضور ثلاثة أعضاء أداء القسم على الالتزام التام بالمحافظة على نقاء الشريعة اللاوية. وفي حقيقة الأمر يمكن اعتبارهم أول من أختص في فنون الألاعيب السياسية الخفية والسرية، ونلاحظ بسهولة انتقال خبرة الفريسيين هذه إلى الأحزاب السياسية الأوربية في الـ /٢٠٠/ سنة الأخيرة ولا سيما إلى الأحزاب الثورية حيث لعب العبرانيون الدور الأساسي فيها. وابتدع الفريسيون طريقة الشك والشك المتبادل وهي طريقة تضع أعضاء المنظمات السرية في خوف دائم وتنشر الشك وعدم الثقة بينهم.

وقامت الأحزاب الشيوعية على مبدأ التجسس على المجندين وعلى الوشاية المتبادلة، وعلى هذا الأساس بني الجيش الأحمر والذي أصبح فيما بعد الجيش السوفييتي، حيث كان

«القوميسار»[1] السياسي و «المخبر» جزءاً أساسياً من بنية هذا الجيش بدءاً من الفصيلة وحتى القيادة العليا.

ومختصر الحديث أن الفريسيين كانوا أول من استخدم هذا النظام المستعار من المؤلفات اللاوية والذي تنشر الموسوعة العبرية مقطعاً من النسخة اليهودية القديمة المنتشرة فقط بين اليهود»: «ونصب مُراقباً على المراقبين». ولمعرفة كيف تجبر الآلية الثورية الناس على خدمتها وخدمة مؤسسيها الذين ورثوا هذا النظام عن فريسيي التلمود الأوائل، يجب معرفة التلمود نفسه وكذلك طرق تطويعه وإخضاعه للناس. وأصر الفريسيون على اعتبار مواد كتبهم مواد قادمة من الرب حتى ولو كانت باطلة وسخيفة وسيئة بشكل واضح، ويظل هذا هو المنحى الأساسي للتلمود حتى يومنا هذا.

وتحت تأثير الفريسيين ظهرت فكرة «المسح» وهي فكرة لعبت دوراً مهما على مدى السنين القادمة ويجدر القول أن هذه الفكرة كانت مجهولة تماماً بالنسبة للأنبياء الإسرائيليين القدماء الذين لم يعترفوا بوجود عرق بشري متميز عن الآخرين، ولذلك لم يستطيعوا تصور قدوم شخص بشكل مفاجئ إلى العالم وفقط لكي يوطد السلطة العليا لهذا العرق المتميز والسائد على الجميع.

وتبدو طبيعة أحداث المسح القادمة واضحة من كلام الحكماء اليهود. وقد كتبت الموسوعة العبرية أنه وحسب النظرية الفريسية «في المستقبل سيعترف العالم كله بالحاكم الرباني وستنفي سلطة الرب أي سلطة أخرى». وبما أن «يَهْوَه» وحسب النسخة القديمة للتوراة اعترف فقط باليهود فإذن سيصبح العالم كله تحت سيادتهم. وحتى لا يبقى أي شك في ذلك فإن التلمود قال: «لن يسمح للغرباء غير العبرانيين بدخول عالم المستقبل» «الكلام حسب تعابير الحاخام السابق لاي بلي». واعتقدت الجموع اليهودية بأن «الممسوح» عند وصوله سيعيد المجد القومي لها، وسيكون ليس فقط قائداً روحياً للدولة التيوقراطية المثالية بل وفي الوقت نفسه حاكماً على الأرض يجمع الشعب المشتت في مملكة واحدة تسيطر على الأرض.

وفي مفهوم الفريسيين لم تكن أبداً فكرة المسح انتظاراً لملكة السماء غير المرتبطة بنجاحات على الأرض. وعلى أي حال لم تتصورها كذلك الجماهير العبرانية.

ولقد كان انتظار المسيح وإلى حد ما استنتاجاً طبيعياً ومنطقياً من تعاليم الطائفة ولقد أكد اللاويون مراراً ومن بعدهم الفريسيون أنهم يعرفون كل شيء بدءاً من يوم خلق وتكوين الكون ووصولاً إلى هدف هذا التكوين وهو النصر المجيد للشعب المختار.

وتكتموا عن أمر واحد فقط وهو موعد وزمان انتهاء هذه القصة المجيدة. وكان عبء القوانين التي رماها الفريسيون على ظهر الشعب، عظيماً جداً لذلك تراهم كالسجين القابع في السجن، أرادوا معرفة متى ستأتي الحرية. ومن هنا وعلى ما يبدو برزت فكرة المسيح المنتظر.

١- مفوض شعبي -المترجم.

والشعب الذي «بكى» في السابق لدى سماعه قسوة القوانين الجديدة وحمل هذه القسوة معه فترة /٤٠٠/ سنة. من الطبيعي أن يصرخ هذا الشعب ويطرح سؤاله عالياً.. متى؟ متى أخيراً ستأتي النهاية المجيدة ومعها المستقبل السعيد!

لقد وفى الشعب ونفذ وبخنوع جميع «الأحكام والسنن» على الرغم من قسوتها الشديدة على حياتهم اليومية. لقد نفذوا قسم «الاتفاق» الخاص بهم والذي وعدهم بمكافآت معينة محددة. متى سيحصلون عليها!

وبما أن حكام الشعب كانوا على اتصال مباشر مع الرب وعلى اطلاع عميق على أسراره فمن الطبيعي وجب عليهم الإجابة على السؤال متى؟ ولكن هذا هو بالذات السؤال الذي لم يستطع أي مطلع فريسي الإجابة عليه على الرغم من المحاولة الماكرة للالتفاف على الجواب، فهم لم يذكروا متى ولكنهم وعدوا بظهوره، وسيظهر في يوم سعيد «المسيح المنتظر» الأمير الأعظم «دانيال» وعندها سيأخذ «السلطة والمجد والملك ولدرجة ستخدمه عندها جميع الشعوب واللغات»..

وهكذا نرى كيف أن الروح اليهودي الذي دوخه الضيق والغيتو، حصل على النشوة عند سماعه فكرة «القدوم المنتظر». ومع ظهور فكرة القدوم أخذت تظهر وبشكل دوري هزات سببها فقدان الصبر وعدم القدرة على الانتظار أكثر من ذلك. وآخر الأمثلة على ذلك نراه في القرن العشرين. وهكذا كانت الحال عندما ظهر «الجليلي» «ابن الجليل» قبل نحو ألفي عام. وفي ذلك الوقت كان قد مر نحو /٦٠٠/ عام على انفصال «يهودا» عن إسرائيل وهي المرحلة التي يدعوها «جون غولد شتين» بـ «الزمان القاتم من تاريخ اليهودية» وحيث انتظر اليهود قدوم المسيح- المنقذ.

ولكن ذلك الذي قدم أشار لهم إلى الطريق إلى «مملكة السماء» ولم تكن هي الشيء الذي انتظروه أبداً. لم يكن الطريق إلى الهيكل وعلى أشلاء جثث الشعوب المدمرة. الطريق المملوء بالذهب والذي وعدهم به الفريسيون في حال «التزامهم بالشريعة».

وكان الفريسيون في ذلك الوقت أقوياء وأصحاب سطوة وخاف منهم الحكام الغرباء، وغالباً ما تراجعوا أمام تهديداتهم. «تقريباً كما يحدث في العصر الحالي». لذلك فقد عرض نفسه للخطر كل من آمن بالرجل القادم ورأى فيه المسيح المنتظر. لقد أخل هؤلاء المؤمنون بقوانين الشريعة وكان الحاكم الروماني على استعداد لإجبارهم على الالتزام بها تماماً كما فعل قبل /٥٠٠/ عام سلفه الفارسي.

وكان الكثير من الناس على استعداد، لو سمح لهم بذلك، على سماع أي كان يستطيع إن يرشدهم إلى طريق المستقبل المضيء للخروج من هذا الظلام الحالك وحتى يتوحدوا مع بقية الإنسانية.

ولكن النصر كان مرة أخرى حليفاً للفريسيين كما انتصر اللاويون من قبلهم. ومن جديد أجبر الكثير على البكاء. أما مفاعل قوة الخراب والدمار فبقي سليماً قوياً.

الفصل العاشر

الجليلي «ابن الجليل»

في الفترة التي جاء وولد فيها «يسوع المسيح» سادت أوساط اليهود رغبة شديدة وشوق غامر لقدوم المرسل البديع. وتعطشوا لرؤية الإثبات الذي سيرسله «يَهْوَه». أرادوا التأكد هل فعلاً «يَهْوَه» مستعد لتنفيذ الوعود التي وعد بها الشعب المختار. وأجبر الكتبة وعلماء الشريعة، وانصياعاً لرغبة الشعب العارمة على إدخال وبالتدريج فكرة النبي الممسوح إلى كتب الشريعة والتعاليم. ونرى في «تار غامي» وهي تعليقات الحاخامات على الكتب المقدسة: «كم هو رائع ملك الملوك الذي سيخرج من «بيت يهودا». سيشد حزامه ويدخل في المعركة مع أعدائه حيث سيموت الكثير من الملوك»..

وتبين هذه الكلمات من انتظر اليهود وما الذي أوحى لهم بانتظاره:

ملك يعشق الحرب ومتعطش للانتقام، «على منوال ذبح جميع الأبكار في مصر وتدمير بابل» وهو سيسحق «بسيفه الحديدي» كل أعداء «قبيلة يهودا» وسيحطمهم إلى قطع متناثرة كقطع الفخار. ويعطيهم العالم ملكاً ويطبق أحكام شريعتهم حرفياً.

هذا ما لقنته أجيال من علماء الشريعة اللاويين والفريسيين لليهود وانتظر الجميع تحقيق ذلك. أما فكرة المسيح الحليم والمتواضع والذي يدعو إلى مسامحة الأعداء ومحبتهم المسيح المعذب الذي رفضه الناس وسخروا منه، هذه الفكرة لم تكن موجودة لدى اليهود أبداً ولو طرحت من قبل أحد لرفضت فوراً كأمر لا معقول، حتى ولو لفت أحد الانتباه إلى كلمات «أشعيا» هذه والتي أصبحت مفهومة وأصبح لها معنى فقط بعد ظهور «يسوع» وموته.

ولكن الشخص الذي أتى داعية للمحبة، على الرغم مما ذكر قال إنه المسيح وعلى الفور آمن به الكثيرون. وبكلمات قليلة حطم جبل العنصرية الذي تراكم على سطح الشرائع الأخلاقية القديمة نتيجة لجهود الطائفة الحاكمة. وكشف بذلك ما كان مغموراً عميقاً من جديد. وعلى الفور عرف الفريسيون في شخصه عدواً خطراً و «نبياً حالماً». وكونه لقي في وسط اليهود الكثير من الأتباع يوضح ويبين أن اليهود وعلى الرغم من أنتظارهم لملك قومي محارب يحررهم من الرومان

إلا أن الكثير منهم ولربما في وجدانهم الباطني شعروا أن عبوديتهم الحقيقية هي عبودية الروح وأن مستعبديهم هم الفريسيون أكثر من الرومان. ولكن وعلى الرغم من كل ذلك عندما اتهم الفريسيون «الجليلي» بأنه مزيف وكافر فإن جماعات كثيرة وافقت معهم. لأنها اعتادت على ذلك. وأدى ذلك إلى ظهور شك مرير في جميع أجيال اليهود التالية ولم يسمح لأحد الاطلاع عليه. «لأن اسم «يسوع المسيح» كان محرماً ذكره في البيت اليهودي الطاهر».

وعلى الرغم من قدوم المسيح فقد رفضه اليهود فما هو إذن الشيء الذي توقعوه من الشرائع والأحكام؟ من كان ذلك القادم؟ أمام أعيننا تناقض آخر من تناقضات صهيون.

كما هو معروف فإن رجال الدين المسيحي لم يتوقفوا عن التأكيد بأن «يسوع» كان «عبراني الأصل» في الوقت الذي ينفي الحاخامات ذلك نفياً قاطعاً. على الرغم من أن بعضهم يعلن ذلك في المهرجانات والاجتماعات العلنية بهدف إرضاء المستمعين غير اليهود وهم بالطبع لن يكرروا ذلك أبداً في أوساط العبرانيين الخاصة[1].

لذلك يمكن القول أن التأكيد المستمر في عصرنا الحاضر على أن «يسوع المسيح» عبراني هي كلمات ذات أهداف سياسية فقط وتستخدم لإسكات المعارضين لاحتلال فلسطين، وكذلك سيطرة الصهاينة على الصعيد الدولي في مختلف المجالات لأنه بما أن المسيح عبراني، لا يجوز للمسيحيين الاعتراض على ما يجري لأجل اليهودية والعبرانية. وطبعاً هذا الكلام خالٍ تماماً من أي منطق، ولكن مثل هذه العبارات تؤثر بشكل كبير على الجموع والحشود من البشر وفي ذلك أيضاً تناقض آخر: الكلام الذي يثير غضب العبراني المؤمن ويهين شعوره، يطلقه سياسيون غير عبرانيين أو حتى رجال الدين المسيحي، لكسب رضا المجتمع العبراني.

ويجدر بالذكر أن التعابير الأوربية.. Jew. Jude, Juif هي كلمات جديدة لا تتطابق مع التعبير الآرامي أو الإغريقي أو الروماني وهي «يهودي أو اليهودي» لتلك الحقبة التي عاش

١- الحاخام (ستيفن عوير) قيادي صهيوني أمريكي في الفترة /١٩١٠-١٩٥٠/ وقد استعمل هذه العبارة لأغراض سياسية واضحة بهدف استعباء الجمهور غير اليهودي. وخلال خطابه في إحدى الندوات الدينيه المشتركة في كارنعي هول قال التالي: يسوع كان عبرانياً ولكنه لم يكن مسيحياً. أي بكلام آخر كان يزعم بأن المسيحية ظهرت بعد موت المسيح. ولهذا السبب بالذات جرى طرده من جمعية الحاخامات الاتقياء الأمريكيه، ولكن جمعية رجال الكنائس المسيحية الأمريكية، وحسب قوله، قامت بتحيتي وكأنني اخ لها. واضاف الرابي عوير إلى ذلك التعليق المتميز التالي: لست أدري أي شيء كان لي أكثر ألماً، طردي وغضب الحاخامات علي أم اعتباري أخاً في الكنيسة المسيحية.

فيها المسيح. أما تعبير «عبراني» فهو لا يملك أي معنى علمي. وفي هذا المجال نرى أن القواميس التي تكون عادة في غاية الدقة في تحديدها لمعاني الكلمات الأخرى، تنحدر في حالتنا هذه إلى اللا معقول وتكتب تفسيراً لكلمة عبراني: «شخص عبراني الجنس والعرق». وحتى الدولة الصهيونية لا تملك تحديداً قانونياً لهذا المفهوم وهذا طبيعي جداً لأن التوراة وهي قانونهم الوحيد تطلب من العبرانيين أصلاً يهودياً نقياً وهو أمر صعب جداً في الوقت الحاضر.

لذلك حتى لو كان تعبير «إن المسيح كان عبرانياً» يحمل معنى وقيمة فقط في ظروف ذلك الزمان. ولاشك بأنه كان يحمل أحد ثلاثة احتمالات أو بالأحرى الثلاثة معاً: «يسوع» يعود أصله إلى «قبيلة يهودا» «إذن كان يهودياً»، أو كان من سكان مقاطعة اليهودية وأخيراً كان عبرانياً بديانته طبعاً لو أن مثل هذا الدين كان موجوداً فعلاً في عصره. إذن الحديث في الحالات الثلاث يدور عن العرق ومحل الإقامة والدين.

وبالطبع ليس هدفنا في هذا الكتاب البحث في أصول «يسوع المسيح». فقط يثير استغرابنا كيف يسمح بعض رجال الدين المسيحي لأنفسهم الكلام حول هذا الموضوع. وأما إذا أراد القارئ أن يكوّن رأياً خاصاً به عن هذا الموضوع فليفعل ذلك بنفسه.

لا يخبرنا العهد الجديد أي شيء عن أصول مريم العذراء وفقط توجد هناك ثلاث إشارات إلى أن أصلها يعود على بيت داود.

أما إنجيل «لوقا» و «متى» فقد ذكرا أن أصول «يوسف» تعود أيضاً إلى «داوود» ولكن «يوسف» لم يكن أباً للمسيح بالدم. ويدحض العلماء اليهود كل بحوث الأصول هذه بقولهم إن الأناجيل تعمدت ذلك لكي تطابق ولادة المسيح مع النبوءات القديمة.

وفي ما يخص محل الإقامة والولادة فإن إنجيل يوحنا يشير إلى أن «يسوع» ولد في بيت لحم في اليهودية ولكن فقط بسبب قدوم العذراء إلى هناك من الجليل. ويعترض اليهود مرة أخرى ويقولون إن القصد من هذا التزوير هو إثبات وقوع نبوءة «ميخيا» بأن ملك إسرائيل سيأتي من بيت لحم.

تؤكد «الموسوعة العبرانية» على أن الناصرة هي وطن «يسوع المسيح» وبالتالي فإن جميع المصادر تتفق على أنه كان جليلياً «ابن الجليل» وبغض النظر عن مكان ولادته الذي حدث مصادفة.

ومن المعروف أن الجليل حيث قضى «يسوع» معظم حياته كانت منفصلة سياسياً وبشكل كامل عند اليهودية وكان لها حاكمها الروماني الخاص بها.

وبالتالي فهي لليهودية أرضاً أجنبية «Graetz» وكان الزواج المختلط بين سكان هذين البلدين ممنوعاً تماماً أضف إلى ذلك أن «سيمون تارسيس» وهو من أمراء المكابيين قام وقبل ولادة «يسوع المسيح»، بإعادة كافة اليهود من الجليل إلى اليهودية بالقوة. مختصر الكلام كان سكان اليهودية، والجليل مختلفين تماماً بالدين والعرق والسياسة.

هل يمكن القول أن المسيح كان «عبرانياً بديانته»؟ بالطبع ينكر حكماء اليهود ذلك الأمر بشكل قاطع. ولو كان ما يقال في الكنائس بهذا الخصوص، يصل إلى معابد اليهود لأثار غضباً شديداً هناك. وحقاً من الصعب الاستيعاب كيف يسمح لأنفسهم أناس محترمون إطلاق مثل هذه التأكيدات. ففي عصر المسيح لم تكن هناك ديانة يهودية ولا حتى عبرانية فقط كان هناك أتباع عبادة «يَهْوَه» بفرقهم المختلفة مثل الفريسيين والصدوقيين وغيرهم والذين تنافسوا دائماً على السلطة عن طريق المعابد.

لذلك لم تكن فقط فرق وطوائف بل أحزاب سياسية وأقواها الفريسيون بتوراتهم الشفهية والتي زعموا أن الرب نفسه لقنها لـ «موسى».

وإذا اعتبرنا جدلاً أن الصهاينة الحاليين عبرانيون فإن الجماعة التي تتطابق معهم في زمن المسيح كانت حتماً ستكون الفريسيين.

ومن المعروف أن المسيح وجه أقوى انتقاداته إليهم بالذات على الرغم من أنه انتقد كذلك الصدوقيين والكتبة، ولكن من الكتاب المقدس نرى أنه عدهم هم بالذات أعداء الرب والإنسان، وقد هاجمهم لأسباب موجودة فيهم وفي ديانتهم. والشيء الوحيد الذي لا شك فيه هو أن دين المسيح مهما كان اتجاهه فهو بالتأكيد كان معاكساً تماماً لكل ما يقوم به العبرانيون الأرثوذكس اليوم وما قام به المتعصبون الفريسيون في عهده.

لا أحد بالضبط يعرف من كان المسيح. وأما جميع التكهنات المختلقة التي يكررها ساسة غير عبرانيين فهي من السخافة والرخص إلى حد يجعلها تشبه الافتراءات المقرفة عن «المولد غير الشرعي» المنتشرة في غيتوات اليهود في كل مكان.

وبالطبع يتضح جيداً أن جميع كلمات وأفعال «يسوع» مملوءة ومشبعة بالمعاني النبيلة لدرجة تجعل الباقي كله يظهر ضئيلاً ولا معنى له.

وعلى ما يبدو أن ابن النجار «الجليلي» لم يذهب أبداً إلى المدارس الاعتيادية: «لقد استغرب العبرانيون قائلين: من أين له هذه المعرفة بالكتب المقدسة؟». ولكن الأهم من ذلك أنه لم يزر أبداً المدارس العبرية الدينية ولم يتعلم على أيدي معلمي الشريعة وهو ما يؤكده الفريسيون أنفسهم لأنه لو كان من قومهم وقبيلتهم لما تساءلوا: «من أين له كل هذه الحكمة العالية وتلك المعجزات» «متى ١٣: ٥٤».

إن الوميض الذي سطع من تعاليم الشاب الأمي هذا يبدو أكثر إبهاراً ولمعاناً على خلفية الشرائع اللاوية والأعراف الفريسية الحالكة والتي حاربها هذا الرجل لدى قدومه إلى جبال اليهودية. وحتى في أيامنا هذه يثير العجب الشديد، لدى الدارس والناقد، ذلك الكمال والتنوير غير المتوقع لمواعظه وأحاديثه تماماً، كما يثير العجب ظهور الشمس في ظلام الليل. والشريعة التي قدم «يسوع» «لتنفيذها» كانت في ذلك الحين قد انتفخت وتراكمت عليها طبقات سميكة من الملحقات والإضافات الجديدة والتي خنقت كل كائن حي بتعقيداتها وتمسكها الفارغ بحرفية الكلام.

أجل لقد كانت التوراة بداية فقط وتراكم عليها فيما بعد الكثير من تفسيرات وشروحات الحكماء، وعملت أجيال من القانونين بجد للحصول على تفسير وتعقيب على إمكان أكل في يوم السبت البيضة التي باضت الدجاجة قسماً كبيراً منها قبل ظهور النجمة الثانية في السماء. لقد شكلت الشريعة والتفسيرات والملحقات التابعة لها مكتبة كاملة.

ولكن فجأة جاء شاب بسيط من الجليل وفرك يديه وطرح جانباً كل تلك الكتلة المتراكمة من النفايات وأشار للجميع أين هي الحقيقة وأين الهرطقة.

لقد جمع ولخص كل «الشريعة والأنبياء» في وصيتين: «أحب ربك بكل قلبك» وأحب قريبك كما تحب نفسك وبذلك فضح الهرطقة الأساسية والتي حشدها اللاويون والفريسيون في الشريعة على مدى مئات السنين: «أحب قريبك كما تحب نفسك» هذا القول كان موجوداً في كتاب «اللاويون» ولكن مع تحديد ملموس وهو أن «القريب» هناك كان يعني فقط الأخوة اليهود.

وأعاد المسيح الدعوات الطيبة القديمة المنسية حول المحبة للقريب بغض النظر عن عرقه وجنسه ودينه، وهذا بالذات ما قصده حين قال: «لم أقدم إلى هنا لتحطيم الشريعة بل لتنفيذها». ولكي لا يبقى أي شك فيما قال وأضاف: هل سمعتم ما قيل.. اكره عدوك. أما أنا أقول لكم أحبوا أعداءكم.

وقد يعارض البعض بأن العهد القديم لا يحتوي على «اكرهوا أعداءكم» ولكن معنى كلمات المسيح واضح وصريح، فالعهد القديم مليء بالدعوات إلى القتل والتشديد واستعباد الجيران وكل ذلك لا يمكن بالطبع أن يكون من دون حقد وكراهية.

إن تعاليم المسيح هي تحد واضح وصريح للقانون والشريعة في تفسيرها الفريسي. وقد كرس هذا التحدي بشكل أعمق عندما رفض لعب دور البطل القومي المحرر والناتج والذي طالما تحدثت عنه النبوءات المتعددة. على الرغم من أنه لو رضي بلعب هذا الدور لكان عدد

أتباعه في البداية أكثر ولكان على الأغلب حصل على دعم من الفريسيين، ولكنه رفض ذلك وانتقد قائلاً: «لا تجمعوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ كل شيء وينقب اللصوص ويسرقون. بل اجمعوا لكم كنوزاً في السماء حيث لا يفسد السوس والصدأ أي شيء ولا يسرق اللصوص. فحيث يكون كنزك يكون قلبك».

كانت كلماته البسيطة الهادئة مليئة بالتحدي الصريح ضد أناس أقوياء لهم سطوة وسلطان في ذلك الزمان وقد شكلت هذه الكلمات ضربة قوية أصابت أساس العقيدة التي نشرتها طائفتهم على مدى مئات السنين.

ودحض وعظه الجبلي بكلماته السمحة أموراً صرف «العهد القديم» على تعليمها مئات الصفحات. وقد وضع هذا الوعظ المحبة ضد الكراهية والسماح ضد الانتقام والرحمة ضد الحقد وحسن الجوار ضد الانعزال والعدل ضد التمييز والحياة ضد الموت.

وكما يوجد في «التثنية» فصول عن البركات واللعنات فإن وعظ المسيح يبدأ بالبركات ولكنه يتوقف عندها. بالإضافة إلى أن «التثنية» وعدت بالخيرات والعطايا المادية البحتة على شكل احتلال أرض جديدة أو إفناء عدو لدود كمكافأة على الالتزام «بالشرائع والأحكام» والتي غالباً ما تكون شديدة السخافة أو تدعو إلى القتل. أما الوعظ الجبلي فلم يعد بأي مكافآت مادية بل فقط قال بأن السلوك الأخلاقي والوداعة والعمل على العيش بالحق والعطف والإحسان والنظافة وحب السلام هي مباركة بحد ذاتها ولها جزاء روحاني ومعنوي.

وكما ذكرنا حملت «التثنية» اللعنات بعد البركات أما في الوعظ الجبلي فلا يوجد أي تهديد ولم يطالب بعقاب المذنب «رجماً بالحجارة حتى الموت» أو «آن يشنق على شجرة». أو أن يكفر عن ذنبه «بغسل يديه بدم ثور مذبوح» أما أشد عقاب للمذنب عند المسيح فهو «أن يكون الأصغر في مملكة السماء وأما أفضل مكافأة فهي «أن يسمى الأكبر في مملكة السماء».

ولم يعلم هذا الشاب «الجليلي» الذل والخنوع بل علم الوداعة الداخلية وكان غضبه يظهر للعيان فقط في أمر واحد وهو مهاجمته للفريسيين.

وكلمة فريسي تعني فيما تعني: «الذي لا يلمس النجاسة من البشر والأشياء» «الطاهر» وتقول الموسوعة العبرانية: «اختلف المسيح عن الفريسيين فقط في علاقته مع المتوسخين وغير الطاهرين».. جميلة كلمة «فقط». لأن كلمة «فقط» هي بالذات التي احتوت في نفسها الهاوية التي تفصل بين الآلهة القبلية من جهة وبين الرب الشامل المحب للجميع من جهة أخرى. بين مبدأ الكراهية وتعاليم المحبة. التحدي كان واضحاً تماماً وقبل الفريسيون هذا التحدي مباشرة وأخذوا ينصبون للمسيح الفخ تلو الآخر وعلى عادتهم القديمة والتي ذكرها النبي «آراميا» قبل

الكثير من السنوات: «كل الذين معي في هذا العالم يراقبونني. هل سأنزلق. ويقولون لعله يقع وقتها سنتمكن منه ونثأر منه».

راقبه الفريسيون وتساءلوا: لماذا يأكل معلمكم ويشرب مع المشردين وأهل الذنوب والخطايا؟» «وهو أمر عاقبت عليه الشريعة». ولكن «يسوع» كان ينتصر دوماً في النقاش والجدال معهم ولم يقع أبداً في الفخ المنصوب له. كان جوابه سريعاً وهادئاً: «ليس المتعافي من يحتاج إلى طبيب بل المريض. لذا أتيت أنا لأهدي أهل الذنوب إلى التوبة»..

ولاحظ الفريسيون أن تلاميذ المسيح يقطعون الثمر ويأكلونه يوم السبت «وهو أيضاً أمر ممنوع في شريعتهم»: «ها هم تلاميذك يفعلون في السبت مالا يجوز فعله».

وكانت أسئلتهم تدور دائماً حول العادات والطقوس ولم تتطرق أبداً إلى السلوك أو إلى الدين: «لماذا يخرق تلاميذك توجيهات الوجهاء وعلماء الشريعة؟ ولا يغسلون أيديهم عند آكل الخبز».

«منافقون- أجابهم المسيح- «لقد كشفكم «أشعيا» عندما تنبأ قائلاً: هذا الشعب يكرمني بشفتيه وأما قلبه فبعيد عني وهو باطلاً يعبدني بتعاليم وضعها البشر».

لقد أصاب الهدف بدقة فائقة: الشريعة والأحكام لم تكن قانون الرب بل من صنع اللاويين والفريسيين أي بمعنى آخر إنها تعاليم ووصايا من عمل الناس.

بعد ذلك لم يعد هناك مجال للاتفاق أبداً وتبرأ المسيح من الفريسيين تماماً. «ودعا الناس وقال لهم: اسمعوا وافهموا. ما يدخل الفم لا ينجس الإنسان بل ما يخرج من الفم هو الذي ينجس الإنسان».

وبذلك كشف للناس كم هي ضئيلة صلاحيات الكهنة الصارمة وكم هي سخيفة طقوسهم المتعلقة بتحضير وتناول الطعام بما فيها طرق ذبح الحيوان وإسالة دمه وتحريم لحم الميتة وغيره..

كل تلك الوصايا هي وصايا إنسان زعم أنها لقنت لـ «موسى». وقد أعطي الالتزام بنظام الطعام هذا أهمية أولية وعظيمة وتحت مراقبة صارمة من الفريسيين. ولنتذكر كيف أمر «حزقيال» بتحضير الخبز على نار وقودها براز الإنسان، وقد برر عدم تنفيذه ذلك التقيد بفرائض الطعام وبعد ذلك خففت تلك الأوامر.

وحتى تلاميذ المسيح التزموا بقواعد طهي وتناول الطعام هذه لدرجة أنهم طلبوا تفسيراً وأضافوا: «هل تدري أن الفريسيين لدى سماعهم هذه الكلمات أصابتهم الدهشة».

وكان جواب المسيح عبارة عن حقيقة بسيطة ولكنها بالنسبة للفريسيين هرطقة لا تطاق: «ألا زلتم لا تفهمون بأن كل ما يدخل الإنسان يذهب إلى البطن ويخرج منها فيما

بعد؟ أما ما يخرج من الفم فمصدره القلب وهو ما يدنس الإنسان لأن القلب هو مصدر الشرور وأفكارها من القتل والفسق والفجور والزنا والسرقة والكذب وشهادة الزور. هذا ما ينجس الإنسان أما الأكل بأيدٍ غير نظيفة فلا ينجسه».

هذه الكلمات كانت أيضا إخلالاً بالشريعة يعاقب عليها بشدة، وأخذ الفريسيون يحضرون للضربة القاتلة وأكثروا من أسئلتهم الماكرة: «عند ذلك ذهب الفريسيون واجتمعوا وتساءلوا كيف يمسكون «يسوع» بكلمة.

لذا جهزوا سؤالين أساسين طرحهما عليه بعض تلاميذهم: «يا معلم نعرف أنك صادق لا تخاف أحداً. ما رأيك؟ أيحل لنا أن ندفع الجزية لقيصر أم لا؟» أما السؤال الثاني: «من هو قريبي؟».

الجواب السلبي على السؤال الأول تعاقب عليه السلطات الأجنبية، أي قانون روما، أما الإجابة السلبية على السؤال الثاني فتسمح للفريسيين اتهامه أمام الرومان بخرق القوانين المحلية وبالتالي طلب العقوبة له.

نفس الطريقة ذكرها «آراميا» وهي لا تزال قيد الاستعمال في الزمن الحاضر. وفي القرن العشرين بعد ميلاد المسيح يعلم كل من يشترك في الندوات والمحاضرات والنقاشات، كيف يتم مسبقاً إعداد أسئلة ماكرة مُحرجة تصعب الإجابة عليها فوراً.. ولكن يوجد الكثير من الطرق لتجنب مثل تلك المطبات:

يستطيع المتحدث المحنك عدم الإجابة أو الإجابة بسؤال ولكن الأكثر صعوبة هو الإجابة المباشرة وبمبدئية مع عدم تعريض النفس لأي ضربات، ولكن ذلك يتطلب أعلى صفات سرعة البديهة والتفكير السريع والروح المعنوية العالية وصفاء في الذهن وثقة في النفس. وتُعد أجوبة «يسوع المسيح» على السؤالين نموذجاً في الروعة والكمال لكل الأزمنة والعصور لا يحلم أحد بالوصول إلى مستواها.: «والآن أخبرنا هل تتصور أن دفع الجزية للقيصر حلال وجائز أم لا؟

السؤال حمل نبرات بريئة وودية ولكن المسيح لمح مكرهم فقال لهم: يا منافقون لماذا تحاولون إحراجي. أروني نقد الجزية فناولوه ديناراً. فقال لهم لمن هذه الصورة وهذا الاسم. قالوا: للقيصر فقال لهم: ادفعوا إذاً إلى قيصر ما لقيصر وإلى الله ما لله!» فتعجبوا مما سمعوا، وتركوه ومضوا».

أما في الحالة الثانية: «فقد قام أحد علماء الشريعة ليحرجه وقال: يا معلم ماذا أفعل لأحصل على الحياة الأبدية؟»

مرة أخرى رمى المسيح أثقال الشرائع اللاوية وأجاب مكرراً حقيقتين مهمتين:« أحب الرب إلهك بكل قلبك وبكل نفسك... وأحب قريبك مثلما تحب نفسك». وهنا جاء السؤال الماكر: «من هو قريبي؟» من يقدر من الناس العاديين الإجابة كما أجاب «يسوع»؟ طبعاً يوجد أناس يمكن أن يجيبوا مثله مباشرة ومن دون مواربة مما يعرضهم للخطر لأن الذين لا يخافون الخطر ليسوا بالقلة. ولكن المسيح فعل أكثر من ذلك. لقد اندفع مثل الفارس القدير وطرح خصمه وجرده من سلاحه.

هم استفزوه لينزلق ويقول إن الغرباء هم أيضاً أقرباء ويحكم بذلك على نفسه بنفسه لخرقه الشريعة.

عملياً أجاب المسيح بهذا الشكل ولكن جوابه حمل إهانة لم يسمع علماء الشريعة مثلها من قبل. فكما هو معروف اعترفت التعاليم اللاوية والفريسية فقط باليهود قرابى لبعضهم بعضاً. أما من الغرباء المنبوذين فكان السامريون أكثر من يُثير قرفهم حتى اعتبر أن لمس «السامري» هو نجاسة وخرق للشريعة كبير. «والأمر لا يزال كذلك حتى اليوم ولكن الغرباء يجهلون ذلك». لقد كان هدف السؤال استدراج المسيح ليجيب بشكل يعرضه للعقاب ولكن المسيح اختار للجواب حكاية عن «السامري» أظهرت وبحق عبقريته وذكاءه الخارق: «كان رجلاً نازلاً من أورشليم إلى أريحا فوقع بأيدي اللصوص فضربوه ثم تركوه بين حي وميت. واتفق آن كاهناً نزل نفس الطريق فلما رآه مال عنه ومشى. وكذلك فعل أحد اللاويين. ولكن مسافراً سامرياً مر به وأشفق عليه وضمد جراحه وحمله إلى الفندق ودفع مالاً لصاحب الفندق للعناية به. فأي واحد من هؤلاء الثلاثة في رأيك كان قريب ضحية اللصوص؟» «لوقا ١٠». ولم يجرؤ عالم الشريعة المحصور في الزاوية أن ينطق كلمة «السامري» القذرة فأجاب: «الذي عامله بالرحمة» وعلى ما يبدو فقط بعد ذلك استوعب أنه بهذه الكلمات انضم إلى نقد من أرسله من الكهنة واللاويين. «عند ذلك قال له «يسوع»: اذهب واعمل مثله».

وبهذا الكلام القليل ومن دون إشارة مباشرة أجبر المسيح السائل نفسه على ترك كل الهرطقة العرقية التي قامت عليها التعاليم الفريسية.

«مونتيفيوري» وهو أحد النقاد اليهود المعتدلين نوعاً ما احتج مشيراً إلى أن «يسوع» بقوله: «أحبوا أعداءكم» لم يطبق ذلك بنفسه تماماً وقام باستثناء الفريسيين ولم يقل كلمة طيبة عنهم.

حول هذا الموضوع يمكن الدخول في جدال ونقاش لأن المسيح كان يعرف حق المعرفة أن كل من ينتقد الفريسيين ينتظره الموت وحتى أنه أيضاً أشار إلى الفريسيين وعلماء الشريعة

على أنهم المذنبون الأساسيون في تحريف الشريعة ووصفهم بكلمات لم يعرف الأدب العالمي لها مثيلاً: «الويل لكم يا معلمي الشريعة والفريسيون المراؤون! تغلقون ملكوت السماوات في وجه الناس فلا أنتم تدخلون ولا تتركون الداخلين يدخلون... تقطعون البحر والبر لتكسبوا واحداً إلى ديانتكم فإذا نجحتم جعلتموه يستحق جهنم ضعف ما أنتم تستحقون.... تعطون العشر من اللحم والنعنع والزعتر والكمون ولكنكم تهملون أهم ما في الشريعة: العدل والرحمة والصدق... تُطهرون ظاهر الصحن والكأس وباطنهما ممتلئ بما حصلتم عليه بالنهب والطمع.

الويل لكم يا معلمي الشريعة والفريسيون المنافقون. أنت كالقبور المبيّضة ظاهرها جميل وباطنها مملوء بعظام الموتى. وبكل فساد... تبنون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الأتقياء وتقولون لو عشنا في زمن آبائنا لما شاركناهم في سفك دم الأنبياء. فتشهدون على أنفسكم بأنكم أبناء الذين قتلوا الأنبياء فتمموا ما بدأ به آباؤكم. أيها الحيات أولاد الأفاعي». وإذا اعتبر بعض النقاد أن الكلمات الثلاث الأخيرة هي شديدة القسوة فليحاولوا قراءتها مع الجمل الثلاث التي سبقتها والتي تبين توقع «يسوع» لنهايته القريبة.

هنا يتحدث المستعد للموت مع من يود قتله وفي هذه الحالة لا يمكن لأي كلمات أن تكون قاسية.

ولكن حتى عندما يلومهم قبل الموت: «فتمموا أنتم ما بدأ به آباؤكم». يضيف إليه فيما بعد: «سامحهم يا أبتي لأنهم لا يفقهون ما هم فاعلين».

نحن نرى كيف تقترب النهاية. اجتمع المجلس الأعلى من رؤساء الكهنة وعلماء الشريعة والوجهاء برئاسة «قيافا» للخروج بحل ضد من وقف في وجههم ووجه شريعتهم.

وخرج «يهوذا الأسخريوطي» وهو اليهودي الوحيد بين تلاميذ «الجليلي» على رأس عصابة كبيرة تحمل السيوف والعصي أرسلها رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب. وعند وصوله قبّل يهوذا معلمه قبلة الموت.

ويهوذا هذا يستحق انتباها خاصاً. لقد جرى تقديسه مرتين في القرن العشرين: المرة الأولى في روسيا البلشفية ومن ثم في ألمانيا بعد هزيمة «هتلر» - ومعنى ذلك واضح جداً: تلك الطائفة التي كانت أقوى من روما عند ولادة المسيح تقف اليوم في الغرب على رأس السلطة.

وحسب إنجيل «متى»: «يهودا» فيما بعد شنق نفسه ولم تجلب الخيانة أي سعادة له واختار هو الموت الذي «لعنه الرب» وعلى ما يبدو أن الصهاينة من مدرسة «كاستين» يكنون مودة واضحة لـ «يهودا» وحسب رأي «كاستين» نفسه أن «يهودا» كان شاباً طيباً وأن أمله خاب بالمسيح فقطع بالسر علاقته معه: وهو تعبير يمكن العثور عليه فقط في الأدبيات الصهيونية.

وقام المجمع الديني اليهودي والذي يسيطر عليه الفريسيون بتسليم المسيح إلى ما يمكن أن نسميه اليوم «بالعدالة العبرانية».

خانوه عن طريق الوشاية وقبضوا عليه بواسطة جمع من الرعاع وحاكمته محكمة لا تملك أي سلطة قانونية شرعية، وحكم عليه بالموت بعد أن أكد شهود زور تهمة باطلة ملفقة وجهت إليه. ونجح الوجهاء والحكماء الذين قادوا تلك العملية من إلصاق تهمة بالمسيح عقابها الموت ليس في قانونهم فقط بل وحسب القانون الروماني، تماماً كما يجري في العصر الحاضر على أيدي «المستشارين» المختلفين.

أدين المسيح بالتجديف على الرب والكفر به حسب «شرائع موسى» أما حسب قانون روما فقد حوكم بتهمة الخيانة بزعم إعلان نفسه ملكاً على اليهود.

ولقد حاول الحاكم الروماني «بيلاطس» وبطرق مختلفة التملص من إلحاح الوجهاء الشديد وإصرارهم على إعدام المسيح ولكن «بيلاطس» كان على شاكلة ساسة إنكلترة وأمريكا، يخاف من سطوة الطائفة اليهودية أكثر من أي شيء آخر. ونصحته زوجته بتحاشيهم فحاول وكما يفعل الآن الكثير من الساسة إلقاء المسؤولية على زميل ما وكان هذا الزميل هو «هيرودوتس» حاكم ولاية الجليل ولكن «هيرودوتس» أعاد القضية إليه.

حاول «بيلاطس» تقليص العقوبة إلى الجلد بالسوط أو الضرب بالعصي ولكن الفريسيين ألحوا على الإعدام وهددوا بالشكوى إلى روما: «إذا أطلقت سراحه لست صديق القيصر».. وتحت هذا التهديد اضطر «بيلاطس» على التراجع تماماً كما حدث في القرن العشرين عندما تراجع حكام فلسطين البريطانيون وممثلو الدول المختلفة في هيئة الأمم المتحدة خوفاً من التهديد بالشكوى إلى لندن أو نيويورك أو غيرها من العواصم. واستوعب «بيلاطس» الأمر وأدرك آن دولته ستغضب عليه وتطرده إذا لم ينفذ طلب الطائفة. وحقاً يوجد تشابه كبير بين «بيلاطس» وحكام فلسطين أيام الانتداب البريطاني ولم يخف على أحدهم ذلك وذات مرة وحسب ما روى مازح وداعب أحد كبار الحاخامات الأمريكان في اتصال هاتفي معه فقال: «أود التحدث مع «قيافا» أخبروه إن «بيلاطس البنطي» على الخط».

وحاول «بيلاطس» في آخر محاولة تسليم القضية إلى شخص آخر فقال: «خذوه أنتم وحاكموه حسب شريعتكم» ولكن الفريسيين المحنكين أجابوه بسرعة بآن قانون روما لا يسمح لنا بإعدام أحد»..

وحاول «بيلاطس» يائساً إنقاذه وعرض على «الشعب» أن يخلي سبيل واحد من اثنين: إما «يسوع المسيح» وإما المجرم السفاح «باراباس» ولكن «بيلاطس» لم يتأمل خيراً من ذلك لأنه

كان يعرف حق المعرفة أن «الشعب» وحشد الرعاع شيء واحد. ومن الصعب انتظار العدل منهم أو الرحمة: والحشد دائماً ينفذ رغبة الأقلية المتسلطة ولذلك ليس غريبة السرعة التي تمكن الكهنة والوجهاء تهييج الشعب خلالها ودفعه إلى طلب السماح عن «بارباس» وبإعدام المسيح واليوم أيضاً تقنع الطائفة الشعب ببراعة بكل ما تريد.

وكلما زاد الوقت الذي مضى كلما ازداد لمعان ذلك المشهد المأساوي، ثوباً قرمزياً وعصا مثل الصولجان وتاج من الشوك وصيحات تعظيم ساخرة مستهزئة: فقط عقول الفريسيين يمكن أن تخترع مثل هذا التهكم والسخرية والتي حتى في وقتنا هذا يمكن أن تحدد كم هو كبير نصر المنتصرين وكم هو ضئيل وكم هي حقيرة هزيمة الخاسرين. الدرب الحزين إلى تلة جُلجُثه[1] والصلب المخزي بين لصين ومجرمين: في ذلك اليوم خضعت روما لمطالب الفريسيين كما خضعت بلاد الفرس لمطالب اللاويين قبل /٥٠٠/ سنة من ذلك.

لقد عود الفريسيون الشعب اليهودي على انتظار المسيح القادم وها هم الآن يصلبون أول من أدعى ذلك.

أي بكلمات أخرى أكد الفريسيون على انتظار المسيح الملك من «قبيلة داوود» الذي سيحكم العالم. قدومه حاصل لا محالة وهم ما زالوا بانتظاره حتى اليوم.

وفي كتاب «كاستين» «تاريخ اليهودية» يوجد فصل كامل عن حياة «يسوع» حيث يؤكد «كاستين» على أن المسيح كان إنساناً فاشلاً تعيس الحظ، ومن ثم يضيف بازدراء كلمات ذات معانٍ عميقة جداً: «لقد كانت حياته ومماته من فعل أيدينا»..

١- كلمة آرامية تعني بالعربية الجمجمة -المترجم.

الفصل الحادي عشر

الفينيق الفريسي

بعد مرور بضع عشرات من السنين على موت «يسوع»، تكرر التناقض الذي اعتدنا عليه من قراءة التاريخ: كالعادة كانت كارثة اليهودية تنقلب إلى نصر للفريسين وتجعلهم زعماء للعبرانية كلها

فبعد صلب المسيح وتخلصهم من «النبي الحالم» الذي هدد شريعتهم بالدمار، لم يدم وجود اليهودية مدة طويلة ولكن حتى خلال هذه الفترة تمكن الفريسيون من التخلص من جميع خصومهم.

وحسب ما تذكر «الموسوعة العبرانية» وجد الفريسيون صديقاً ونصيراً لهم وهو أغريب الأول آخر ملوك يهوذا من عائلة «هيرودوتس» الذي ساعدهم على التخلص من الصدوقيين حيث أصبحت السلطة في أورشليم بعد ذلك في أيديهم. تماماً كما حصل اللاويون على السلطة إثر انفصال إسرائيل عن «يهودا». لقد نهض الفريسيون من الكارثة كما ينهض طائر الفينيق من الرماد. وخلال فترة الفتن القصيرة التي عاشتها «يهودا» قبل سقوطها قام الفريسيون مرة أخرى بتعديل «الوصايا الإنسانية» التي انتقدها المسيح بمرارة. وقد كتب «كاستين» حول ذلك قائلاً: «وقد حددت تعاليم الفريسيين كل جوانب الحياة العبرانية وقام الفريسيون بتغير التاريخ اليهودي حسب وجهة نظرهم.. وحددت الفريسية طبيعة اليهودية وكذلك كل جوانب حياة اليهود وطريقة تفكيرهم في المستقبل وعلى مدى السنين الطويلة.. وجعلت من الانعزال الميزة الأساسية في طباعهم» ومن الواضح أن الفريسيين بعد صلبهم للمسيح، زادوا من الطابع العرقي والقبلي في تعاليمهم وكذلك من قسوة «شريعتهم» وتماماً كما فعل اللايون من قبلهم فقد أوصل الفريسيون نظرية التدمير والاستعباد والتسلط على الشعوب الأخرى إلى أقصى تطرفهم وذلك قبيل التشرد النهائي لليهود. وفي هذا المجال نتذكر تعليقاً لـ «كاستين» مر معنا سابقاً كتب فيه أن التوراة أخذت شكلها الأخير، بعد إجبار «نحيميا» لليهود على الالتزام بالاتفاق الجديد، وبعد ذلك منع أي تغيير وأي حرف أو إشارة. ولكن مع حدوث المؤامرات الفريسية

كان العهد القديم قد ترجم إلى الإغريقية وهو ما يعني أن الفريسيين استطاعوا فقط التلاعب في النصوص العبرانية الأصلية القديمة. وفي الوقت نفسه من المعقول جداً أن تكون كلمات «كاستين» تخص التلمود وهو الملحق المتأخر للتوراة وقد بدىء بكتابته في آخر سنوات «يهودا» وقبل سقوطها ولكنه ظهر مكتوباً بعد ذلك بسنين طويلة. ومهما يكن فإن «حياة ونمط تفكير» العبرانيين حدد من جديد «وعلى مدى سنين طويلة إلى الأمام» وثبت الانعزالية كمبدأ أساسي للشريعة اليهودية. في عام /٧٠م/ أي بعد موت المسيح بخمس وثلاثين سنة انهار كل شيء وسادت الفتنة والفوضى أركان المقاطعة اليهودية وحاول الرومان قمع ذلك في الوقت الذي ألتزم فيه الفريسيون الصمت ولم يتدخلوا ، أما بقية شعوب فلسطين وبخاصة «الجليليين» فقد ثاروا ضد روما التي احتلت المنطقة بعد حملات قمعية عديدة ودمرت أورشليم ومحتها عن وجه الأرض واختفت اليهودية عن الخارطة الجغرافية. وعلى مدى القرون التسعة عشر التالية لم يكن في أورشليم أي عبراني إذا لم نأخذ بالحسبان بعض السامريين وهم قلة صمدت بعد المذابح اليهودية لهم. يسمي «كاستين» فترة السبعين عاماً والتي انتهت بتدمير أورشليم: «بعصر البطولة» ولعل السبب في ذلك هو أن الفريسيين خلال تلك الفترة تغلبوا على خصومهم في الصراع الذي دار للسيطرة على نفوس اليهود وعقولهم لأنه من غير المعقول أن يقصد «كاستين» الصراع ضد الرومان الذي كان أبطاله أبناء الجليل بشكل خاص. ومما لا شك فيه أن «كاستين» لم يكنّ لهم أي حب أو مودة.

الفصل الثاني عشر

النور والظل

قبيل سقوط أورشليم غادرها فريقان من الناس: تلاميذ المسيح والفريسيون. الفريق الأول حمل للبشرية أخبار الدين الجديد، أما الفريق الآخر وبعد أن أحسوا بما يهدد أورشليم نتيجة أفعالهم بالذات، قاموا بالبحث لأنفسهم عن مركز جديد يقودون منه جموع العبرانيين المبعثرين في كل مكان «تماماً كما فعل اللاويون من بابل».

وهكذا انطلق الفريقان أحدهما حمل النور معه وأما الآخر فحمل الظلام وسارا واحداً وراء الآخر كالإنسان وظله على طريق التاريخ عبر مئات السنين. لقد تحركوا من الشرق إلى الغرب، ومما لا شك فيه أن جذور الأزمات التي عصفت وتعصف بالغرب تعود إلى الخروج الأورشليمي هذا.

وبما أن الفكرتين اللتين حملهما الفريقان كانتا أساساً متضادتين ولا يمكن التوفيق بينهما أبداً، فكان لا بد أن تنتصر إحداهما على الأخرى عاجلاً أم أجلاً. ويشهد جيلنا الآن وبأم عينه كيف تصعد قوى الشر والدمار وبسرعة نحو الانتصار. وفي الحقيقة فقد حدد صراع هاتين الفكرتين، وبغض النظر عن جنوده والوسائل المستخدمة فيه، محتوى تاريخ القرون الماضية كلها.

وعندما كانت «شريعة» اللاويين والفريسيين تنتصر، كان بعض الناس يستعبدون أناساً آخرين ويلاحقون الهراطقة بمحاكم التفتيش ويحكمون بالموت على «المرتدين» أو على «أعداء الشعب» وأطلقوا الشعار البدائي بالتفوق العرقي. أما هذا القرن فأصبح من هذا المنظور أسوأ عصر لانحطاط البشرية.

وعلى العكس كانت توجد مراحل من التاريخ حصل فيها الناس على الحرية وتمتعوا بالعدل والأمان وسادت حقوق الإنسان في المحاكم المفتوحة العادلة ورفضت نظريات التفوق العرقي والتميز العنصري وأصبح الله رباً لجميع الناس. لقد سارت البشرية على هدى ذلك الشخص الذي قدم ليحقق «الشريعة» والقانون.

بعد سقوط أورشليم صك الرومان ميداليات كتب عليها النقش التالي:

«judae Devicta- Judae Copta» «أُسير اليهود- هُزِمَ اليهود» ولكن فرحتهم بالنصر كانت سابقة لأوانها. لأن الطائفة المسيطرة بقيت حرة طليقة وقوية على الرغم من تدمير أورشليم وتشريد العبرانيين وجرى تدمير كل خصومها أما هي فقد انتقلت إلى مركز آخر جديد قبيل سقوط أورشليم. وفيه أصبح الفريسيون سادة مطلقين تماماً كما كان اللاويون في بابل وطورد عدوهم الجديد، أتباع المسيح الذين لم يضمروا أي حقد على الفريسيين لأن مبدأهم الأساسي كان «أحبوا أعداءكم» ولكن مبدأ الفريسيين كان عكس ذلك تماماً وهو «اكره أعداءك» لذا كان هذا التناقض إهانة لا تطاق بالنسبة لليهود في ملاذهم الجديد. وفهم علماء الشريعة أن قوانينهم وشرائعهم يمكن أن تسود فقط في حال تدمير الدين الجديد.

لذلك لم توقفهم حتى الاحتجاجات التي سمعت في معسكرهم نفسه «وهي احتجاجات سمعت سابقاً وفيما بعد».

ونقل الفريسيون مركزهم إلى «يامينيا» في فلسطين ومعهم انتقلت أسرارهم السوداء للسيطرة على العالم.

ولكن هذا العالم تغير وأصبح لا يشبه العالم الذي سبقه حيث كانت ديانتهم القبلية واحدة من الديانات الأخرى الكثيرة وحيث كان الثأر بالدم عادة منتشرة بكثرة بين الناس والقبائل وعلى الرغم من أن الجيران كانوا يخافون ويخشون القسوة والوحشية الزائدة لليهود فإنهم هم «أي الجيران» لم يكونوا أفضل بكثير منهم.

وبعد ظهور الدين الجديد اصطدمت الطائفة الحاكمة بأسس تناقض شرائعهم تماماً كما يتناقض الأبيض مع الأسود.

وبالإضافة إلى أن الدين الجديد بسبب طبيعته ومكان ظهوره كان علامة لوم وعتاب لهم على مدى السنين.

وأخذ الفريسيون يستعدون لمجابهة الدين الجديد وكانت مهمتهم أوسع من مهمة اللاويين في بابل. أورشليم مدمرة والقبيلة اليهودية تشردت.. وبقيت فقط الأمة العبرانية المتعددة الدم والأعراق وهي منتشرة في أرجاء العالم المعروف في ذلك الوقت. وكان يجب توحيد أولئك الناس تحت سلطة الفكرة القبلية وتحت وعد «العودة» للشعب المختار إلى أرض الميعاد.

والأهم من ذلك كله كان يجب إجبار تلك الأمة على الإيمان بدورها التدميري بين الشعوب.

وبعد الترجمة لم يعد ممكنا إدخال تعديلات على الشريعة بعد أن أصبحت معروفة للعالم الخارجي. وبعد إن أشار المسيح في وقته إلى التزوير الذي قام به الكهنة وعلماء الشريعة.

وأشار إليها على أنها «تعاليم البشر» وقد قتلوه بعد ذلك ولكنهم لم يتمكنوا من إنكار ذلك ولم يعد ممكناً قتل الدين الجديد الذي قدم معه. ولكن الزمن تطلب تعديلات جديدة على الشريعة وتفسيرات تتناسب مع الظروف الجارية لكي يصدق الشعب المختار أن كل ما يجري على الرغم من كل غرابته هو تنفيذ للوعود اليهودية. لذلك استند الفريسيون مرة أخرى إلى أسرار الرب الشفهية والتي زعموا باحتكارهم لمعرفتها وأخذوا من جديد تفصيل شريعة تتناسب مع الظروف الجديدة ومع العدو الجديد- المسيحية- ومن هنا جاء التلمود وهو في حقيقة الأمر عبارة عن ملحق للتوراة معادٍ للمسيحية بشكل صارخ وقد تحول التلمود مع الوقت إلى سور منيع يحيط بالشريعة وإلى حائط قبلي عالٍ يعزل الداخل وكانت مهمته وقت ظهوره هي: إن اليهود لم يعودوا شعباً وتشردوا بين الكثير من الشعوب الأخرى وعلى العكس فقد قوي وتوسع الدين الجديد وعلم الناس بأن الرب هو أب لكل الناس وليس فقط رب صغير يحمي قبيلة واحدة فقط.

وبنظرة إلى الماضي يبدو أن المهمة التي أخذها الفريسيون على عاتقهم صعبة للغاية، ذلك لأن رغبة الانخراط في التيار الإنساني العام هي عادة قوية جداً عند الشعوب المبعثرة. ولكن الأحداث القادمة بينت أن الفريسيين تمكنوا وببراعة تحقيق هذا الهدف الصعب. لقد عزل التلمود اليهود بإحكام عن قوة التوحيد التي أطلقتها المسيحية، وهناك مثلان يوضحان قوة التلمود على الرغم من مرور قرون على تأليفه: عند قراءة كتاب الأخوة «تورو» «Thoreau» يمكن في بعض الأحيان ملاحظة ما هو مخفي وراء جدران التلمود، فقد كتبوا في تلك الكتب عن صبي عبراني في بولونيا كان قد تعلم أن يبصق ويلعن كلما عبر الطريق المتقاطع على شكل صليب ويقول: «لتكن ملعوناً يا من صنعت الديانة الأخرى» وكان الفتى يفعل ذلك يومياً بشكل تلقائي.

وفي عام /١٩٥٣م/ وصف تقرير مبشرين مسيحيين كيف جرى الاستيلاء من قبل الصهاينة على ملاجئ للعجزة تابع لأحد الكنائس في أورشليم يحمل اسم «يسوع المسيح» وكان أول ما قام به المغتصبون هو تلطيخ كلمة «يسوع» المكتوبة على أعلى الباب منذ

أكثر من /١٠٠/ سنة. ومثل هذه الأعمال «كمنع ذكر اسم المسيح في الأوساط اليهودية والعبرانية» هي نتائج مباشرة للتلمودية بشرائعهم الجديدة المعادية للمسيحية. لذلك يمكن تسمية المرحلة القادمة من تاريخ صهيون بالمرحلة التلمودية بخلاف مرحلة اللاويين والفريسيين.

وفي الوقت الذي جهد فيه الفريسيون التلموديين في أكاديميتهم في «يامينيا»، على تأليف القانون الجديد، انتشر خبر الدين الجديد في أرجاء الإمبراطورية الرومانية، وساعد على ذلك فريسي من ترسا اسمه «شاوول» أرسلوه من أورشليم «قبل سقوطها» إلى دمشق ليقضي على الهراطقة هناك، ولكنه في رحلة الطريق اهتدى إلى المسيحية وأخذ يدعو إليها في أوساط اليهود وغير اليهود في دمشق، وتابع الأمر حتى منعوه، وقد قال فيما قال للعبرانيين: «كانت كلمة الرب في البدء موجهة لنا ولكنكم لم تستمعوا إليها واعتبرتم أنفسكم أهلاً بالحياة الخالدة. لذا سنقوم بالتوجه إلى الشعوب الأخرى». و «شاوول» أصبح اسمه المسيحي «بولص» وقد كتب «كاستين» عنه فيما بعد يقول: لقد حول هذا الرجل كل من آمن به من اليهود أو غير اليهود إلى مرتد بأوسع ما لهذه الكلمة من معنى»..

ولكن كل ما ذكره «بولص» وغيره من القديسين كان آمراً محتوماً لا مفر منه، لأن البشرية كانت متعطشة لمعرفة الرب الأوحد رب جميع الناس. لذلك اندفعت الجموع نحو تعاليم المسيح كما النبتة الخضراء نحو الضوء، ولعل هذا هو سبب ظهور المسيح بين اليهود. بالذات لأن العقيدة اليهودية كانت عبارة عن تعصب قبلي واضح في أسوأ أشكاله تطرفاً. وبما إن كل فعل يسبب رد فعل مساوٍ له بالقوة ومعاكس بالاتجاه. فقد كان محتوماً ظهور الفكرة المعاكسة هناك حيث الضغط أقوى ما يكون. وفي تلك الفترة بالذات حسم مصير ما اعتدنا على تسميته في الغرب. ولولا أن تلاميذ المسيح حولوا أنظارهم إلى الغرب لما ظهرت كلمة الغرب ولا ما هو مفهوم تحت هذه الكلمة.

لقد كان مفهوم «الثقافة الغربية» مرتبطاً على الدوام بالمسيحية، وخلال /١٩٠٠/ سنة مرت بعد موت المسيح غطت نهضة الغرب كل ما يجري في الأنحاء الأخرى من العالم، وأما من الناحية المادية فقد بلغ التطور هناك في العصر الحديث درجة سمحت للغرب بالسيطرة على العالم، ولكن على الرغم من كل ذلك فليس هذا هو المهم. المهم هو التقدم الذي حدث في المجال الروحي وتغير علاقة الإنسان نحو الإنسان. لقد وصل الأمر في الغرب إلى درجة أن اتهام أي إنسان أو الحجر عليه يجب إن يتم بشكل علني. ويملك المتهم الحق

بمحكمة عادلة ومفتوحة «هذه الحقوق مهدده الآن. إن الحقوق المدنية الحالية هي أفضل مكاسب البشرية على مدى التاريخ كله ويرتبط مستقبلنا بها فهل ستبقى أم سيتم خنقها؟».

لقد خرج تلاميذ المسيح من أورشليم قبل دخول الرومان إليها ولكن الظل اتبعهم ولحق بهم على مدى كل هذه القرون وأصبح القرن العشرين حلبة صراع بين الشعوب التي تربت على المسيحية من جهة والطائفة التي نذرت نفسها للخراب من جهة أخرى. وليس الغرب وحده منغمراً في هذا الصراع لقد بحثت البشرية وبشكل غريزي عن الرب الأوحد واصطدم عنصريو التلمود مع عدو جديد عندما ظهر بعد مرور /٥٠٠/ سنة على المسيح، الإسلام.

لقد اهتدى العرب وهم شعب سامي أيضاً إلى فكرة الرب الواحد رب لجميع الناس واهتدى محمد إلى رب أوحد عندما كان في طريقه إلى دمشق مثلما اهتدى «شاوول» قبله. وجاء الدين الجديد بالكثير مما جاء في تعاليم المسيح. واعتبر الإسلام «يسوع» نبياً مثله مثل «إبراهيم» و «موسى» واعتبر نفسه متمماً لما قام به «موسى» و «يسوع» أنبياء الله الرب الأوحد خالق الكون ورب كل الناس وليس رب العرب وحدهم. وكالمسيحية لم يدعُ الدين الجديد إلى كره الأديان الأخرى. لقد قدر محمد عيسى وأمه مريم في الوقت الذي تعج فيه أدبيات التلمود بالسخرية القذرة منهم. وعد محمد اليهود قوة مخرية هدفها التخريب فقط. وقد كتب القرآن عنهم قائلاً:

﴿... كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾(1)

هكذا وعلى مدى مئات السنين وصف الناس العقلاء هذه الطائفة وعقيدتها الجامدة. ولكن في القرن العشرين تمكنت هي عملياً من خنق أي محاولة للتعرض العلني لمسألة اليهودية.

انتشر الإسلام في القسم الجنوبي من العالم المعروف، بينما انتشرت المسيحية في الشمال والبوذية في الشرق ولم يكن لدى أي دين من هذه الأديان الثلاثة أي تناقض صارخ مع الأديان الأخرى واتفقت هذه الأديان الثلاثة على مجابهة عقيدة الخراب والتفوق العرقي.

١- سورة المائدة: الآية ٦٤.

وانتشر الإسلام والمسيحية ليشملا كتلة ضخمة من البشرية وأشارا إلى الهدف الذي صبت البشرية نحوه غريزياً. وبقيت اليهودية بعيداً في الخلف تحرسها بشكل غيور الطائفة الحاكمة. ولقد تمكنت هذه الطائفة في القرن العشرين من دفع دول الإسلام إلى الصدام مع دول المسيحية ولو نجحت هي في ذلك، فسيكون جيلنا شاهداً على صراع الديانتين الوحدانيتين العظيمتين وسيتحقق عند ذلك النصر النهائي للمعتقدات القبلية، وبذلك قد تنتهي القصة الغريبة التي ابتدأت قبل تسعة عشر قرناً عندما خرجت من بوابات أورشليم مجموعتان من الناس مختلفة تماماً فيما بينها.

الفصل الثالث عشر

السور حول الشريعة

يمكن تقسيم تاريخ صهيون إلى خمسة أقسام ومراحل: - مرحلة اللاويين، مرحلة الفريسيين، مرحلة التلموديين، مرحلة «المساواة» ومرحلة «الصهيونية». في حديثنا وصلنا الآن إلى المرحلة الثالثة.

عصر اللاويين تضمن تاريخ يهوذا المعزولة و «السبي البابلي» و «العودة» وكذلك تأليف «شرائع موسى» مرحلة الفريسيين تطابقت بشكل أو بأخر مع الاحتلال الروماني الذي انتهى بتدمير أورشليم الأخير وبعثرة اليهود المتبقين منها حيث وصل الفريسيون إلى قمة سلطتهم وحيث انتقلت «حكومتهم» إلى مركزها الجديد في «يامينيا».

المرحلة التلمودية كانت أطول المراحل ودامت سبعة عشر قرناً منذ سنة /٧٠م/ وحتى عام /١٨٠٠م/ وفي هذه الفترة هاجر عدد كبير من العبرانيين إلى الغرب في الوقت الذي انتقلت فيه «حكومتهم» من مركز إلى آخر ولكنها حافظت على الرغم من ذلك على سيطرتها الكاملة عليهم وأجبرتهم على الخضوع المطلق للشريعة وبالانعزال عن بقية الشعوب. وبما أن ذلك العصر كان عصر تطور الثقافة الأوربية وانتصار المسيحية، فقد كان من المحتم أن يصبح هذان الأمران الهدف الأساسي لهجمات «الشريعة اليهوية» وتعاليمها المدمرة.

وبالنسبة لسكان الغرب فقد كانت تلك المرحلة مرحلة مهمة وطويلة من تاريخهم. أما بالنسبة للطائفة اليهودية الحاكمة وأتباعها فقد كانت هذه المرحلة قليلة الأهمية. ولم يكن هناك أي اعتبار في أن مرحلة استمرت /١٧/ قرناً ومرحلة أخرى استمرت فقط خمسين عاماً. وفي هاتين المرحلتين كان الشعب المختار «مطروداً» ومشرداً وحسب شريعتهم فإن هذا التشرد طويلاً كان أم قصيراً يجب إن ينتهي بكارثة على رؤوس من أمسك باليهود في «الأسر» وبنصر محتم لليهود وعودة مشرفة لهم.

وبالنسبة لصهيوني متعصب مثل «كاستين» فإن سبعة عشر قرناً من النهضة الحضارية المسيحية هي عبارة عن وريقة «صفحة صغيرة» من أوراق التاريخ. وفقط «مطاردة اليهود

واضطهادهم» هو الأمر الذي يستحق الاهتمام في الحقبة التاريخية، أما كل ما تبقى فهو سخف وضآلة لا قيمة لها: لقد استخدم «يَهْوَه» في تلك الفترة الغرباء لمعاقبة العبرانيين وفي الوقت نفسه كان يجهز ويحضر لنصر مبين للشعب المختار: «أما الغرباء فسيدفعون الثمن غالياً لما اقترفت أيديهم». - كتب «كاستين» الذي اعتبر أن أفضل ما أُنجز خلال القرون السبعة عشر المذكورة هو محافظة العبرانيين على عزلتهم بفضل رقابة حكامهم التلموديين.

ومن دون أي شك كان ذلك إنجازاً كبيراً. فلا شيء في التاريخ يمكن مقارنته بالضرر الذي سببته للبشرية نجاحات حكماء صهيون المذكورة.

لقد أتضح أن تلمودهم كان ستاراً أميناً حول «الشريعة» واستطاع وعلى مدى سبعة عشر قرناً أن يقاوم ويبطل مفعول القوى المركزية التي حاولت جذب العبرانيين إلى تيار الحياة الإنسانية الشامل.

وبينما حصن التلموديون ستارهم، قام الأوربيون المسيحيون وباستمرار على إغناء الجوانب المادية والروحية لحياتهم، وتم القضاء على العبودية وعدم المساواة. كانت تلك هي مرحلة المساواة في التاريخ البشري ولعب العبرانيون دوراً مهما في النضال من أجل المساواة وهو أمر يبدو للوهلة الأولى عادياً.

لأن المسيحيين ومنذ البداية ناضلوا من أجل المساواة بين جميع الناس بغض النظر عن الدين والعرق والطبقة وفي ذلك فقط تلخص معنى الصراع من أجل المساواة وأدخل أي مفهوم أو هدف آخر على ذلك لحرم هذا الصراع من أي معنى أو قيمة له.

ولكن على الرغم من كل شيء كان هناك تناقض واضح على السطح فشرائع العبرانيين وقوانينهم تصر على أنهم شعب متميز عن الآخرين وأنهم عرق متفوق. وفي الوقت نفسه يقومون بتحطيم الحواجز بين الناس، وهم الذين بنوا حواجز عالية بينهم وبين الآخرين. وكيف يحتجون على سوء المعاملة وعلى الاضطهاد وهم يدعون أن الرب خلق الكون خصيصاً لهم لكي يسودوا فيه بعد أن منعهم من الاختلاط بالآخرين.

والأجوبة على هذه الأسئلة توضحها أحداث المئة والخمسين عاماً الفائتة. فالعبرانيون وعلى الرغم من مشاركتهم القوية في النضال من أجل المساواة لم يكن دافعهم الأفكار الإنسانية النبيلة لأن الشريعة اليهودية كانت منذ الأساس ترفض مثل هذه الأفكار.

لم يكن هدف قادة اليهود الوصول إلى حرية الشعوب بل كان هدفهم هو الوصول إلى السلطة على تلك الشعوب عن طريق تدمير السلطات الشرعية هناك تحت شعار النضال من أجل المساواة.

وهكذا نرى أن ما يدعى بالمساواة فتح الطريق لتدخل القوى الثورية الدائم في حياة الشعوب وأدى إلى تدمير الحكومات الشرعية وصعود الثوار إلى السلطة. والثوار في غالبيتهم ألعوبة في أيدي التلموديين ويعملون حسب أوامرهم وتحت رقابتهم وبذلك يتم تنفيذ شرائع «موسى» ويصبح مصير الغرب مثل مصير بابل.

وتبين أحداث القرن العشرين بوضوح أن حكماء التلمود هم بالذات من اجتهد على تنفيذ تلك الخطة وعلى مدار المرحلة الثالثة من تاريخ صهيون، أي منذ عام /٧٠م/ وحتى عام /١٨٠٠م/. لذلك لا بد وأن تملك كلمة مساواة معاني مختلفة بالنسبة للمسيحيين الأوربيين وبالنسبة لليهود التلموديين.

بالنسبة للشعوب الأوربية كانت المساواة تعني نهاية العبودية والاستغلال، أما بالنسبة للطائفة المتسلطة فهي فقط وسيلة للوصول إلى الهدف المعاكس تماماً وهو وضع سلاسل عبودية جديدة أكثر قسوة على الناس. ولكن الأمر حمل في طياته بذور خطر كبير، فمع تحطيم الحواجز بين الناس يمكن أن تتحطم الحواجز بين الغرباء والعبرانيين وهو ما يمكن أن يهدد خطط التلمودين ويعرضها للانهيار. وهو ما حدث تقريباً في المرحلة الرابعة من تاريخ صهيون: مئة سنة من المساواة ما بين /١٨٠٠-١٩٠٠م/ جلبت معها خطر الانتشار والاختفاء العبراني بين بقية الناس حيث حاول الكثير من العبرانيين في أوربة الغربية وأمريكا التخلص من سلاسل الشرائع اليهودية والانخراط في حياة الشعوب الأخرى ولهذا السبب بالذات يُعد المؤرخ الصهيوني «كاستين» أن القرن التاسع عشر هو الأكثر ظلاماً في التاريخ العبري وبالفعل كان هناك خطر مميت هدد بانخراط اليهود في التيار الإنساني العام. ولكن لحسن الحظ- حظ «كاستين» - اختفى هذا الخطر وتم القضاء عليه بفضل الأيديولوجية الصهيونية التي عدها «كاستين» منقذة العبرانيين من الانحلال.

بدأت المرحلة الخامسة من تاريخ العبرانية مع بداية القرن العشرين حيث صمد الساتر التلمودي وتخطى بنجاح المرحلة الرابعة حيث بقي العبرانيون في حقيقة الأمر منعزلين ولم يسمح لأحد منهم الخروج من تحت مظلة شريعتهم الخاصة على الرغم من أن الغرب كان يُعدهم أحراراً في تصرفاتهم.

وتحت شعار المساواة وبواسطتها تمكنت الطائفة من السيطرة على الحكومات الغربية وتمكنت أيضاً من تحقيق العودة الثانية إلى «أرض الميعاد» وبذلك عاد إلى الظهور قانون /٤٥٨ق.م/ مع مهمته ورسالته التخريبية ضد الشعوب الأخرى.

لقد ضخت الطائفة المسيطرة في شرايين الجاليات العبرانية سموماً من «الشوفينية» سيظل مفعولها يزيد مع الزمن وحتى لحظة كتابة هذا الكتاب كان قد مر على المرحلة الخامسة من تاريخ العبرانية فترة نصف قرن. ويجدر القول بأن النتائج كانت مذهلة. لقد أجبرت شعوب الغرب على تبني «شرائع موسى» وعملياً تعيش الآن هذه الشعوب تحت رقابتها، حيث تطغى الشرائع وتدير البلاد هناك بدلاً من القوانين المحلية، وتجدر الإشارة إلى أن ظروف الحربين العالميتين بكل معاركها السياسية والعسكرية جرت بشكل يخدم المصالح الصهيونية التي قتل في سبيلها الملايين من سكان العالم.

أربعون عاماً من المذابح والمجازر في فلسطين هي فقط البداية. والحرب العالمية الثالثة يمكن أن تشتعل في أي لحظة هناك وتنتشر إلى بقية أرجاء العالم ولكن حتى لو اشتعلت هذه الحرب في جزء آخر من العالم فهي حتماً ستكون لخدمة مصالح صهيون التي لن يهدأ لها بال حتى يسيطر العبرانيون على مساحات أكبر من الأراضي في الشرق الأوسط وحتى تسقط الآلهة الأخرى وتستعبد الشعوب الأخرى.

ويرى «كاستين» أن المرحلة الخامسة هي المرحلة الذهبية والتي «سيستعاد فيها المسار الطبيعي للتاريخ».

وبتصفية عصر المسيحية العديم القيمة التاريخية سينفتح الطريق أمام الصهيونية والذي أغلق تعسفاً حسب رأي «كاستين» وبالذات عام /٧٠م/ وستسيطر في النهاية على العالم وتغلق الصهيونية أخيراً الثغرات والفجوات التي كانت في التاريخ وتحصل على حقها القانوني من الميزات حسب العهد المقطوع لها.

ولكن نحن في كتابنا وصلنا هنا إلى المرحلة الثالثة فقط وهي الأطول من بين جميع المراحل في تاريخ العبرانية، وفي هذه المرحلة تمكن علماء الشريعة والكتبة التلموديون من توسيع الشبكة العنكبوتية «للشرائع» مع تفسيراتها وتعديلاتها الكثيرة والتي لم يعد بإمكان أي عبراني الهروب منها دون أن يعرض نفسه لمخاطر جسيمة.

لقد توصلوا إلى الهدف الصعب المنال والذي اعتبر تحقيقه شبه مستحيل، وأمسكوا بخناق الشعب المشرد والمنشور خلال سبعة عشر قرناً وأجبروه على الانعزال عن بقية الشعوب وجهزوه أفضل تجهيز ليقوم بمهمة التدمير الملقاة على عاتقه في القرن العشرين بعد ميلاد المسيح.

نحن سندرس لاحقاً وبشكل أوسع هذه المرحلة المثيرة مرحلة التحضير والإعداد حيث جهز خلالها الستار العازل حول القانون اليهودي حتى لا تستطيع أي حرية مهما كانت أن تغري الشعب المختار وتبعده عن طريقه أو تؤثر على قوته المدمرة.

الفصل الرابع عشر

الحكومة المتنقلة

وضع حكماء الفريسيين بعد رحيلهم من أورشليم إلى «يامينيا» هدفاً أمام أعينهم وهو تفعيل المركز الجديد للسلطة ومراقبة الشعب لضمان خضوعه التام لتعليماتهم، وقد كانت لديهم خبرة غنية في ذلك من أورشليم وبابل بالإضافة إلى خبرة العمل السري المتراكم على مدى عقود طويلة من السنين، وظهر لديهم بالتالي ما يشبه الحكومة المتنقلة والتي منذ ذلك الحين وحتى يومنا هذا تدير شؤون اليهود وتسيطر عليهم. وقد كتب «كاستين» حول هذا الموضوع قائلاً: «وبينما كانت المعارك دائرة ضد الرومان انتقلت مجموعة من المعلمين والعلماء والمربين إلى «يامينيا» ووضعت على أكتافها مصير شعب كامل وحملت المسؤولية عنه على مدى القرون القادمة.. وظهرت من «يامينيا» الأجهزة المركزية لقيادة الشعب العبراني وهو شعب كان مهزوماً إلى درجة كان عليه أن يموت معها ويختفي. ولكن الشعب العبراني لم يمت.. لقد تعلم من قبل وفي ظروف السبي البابلي التكيف مع الظروف.. وفي هذه المرة سار على نفس الطريق»..

وفي «يامينيا» أعيد تشكيل المجلس الأعلى للحكماء وهو ما يدعى «سيندريون» وأصبح المصدر الرئيسي للسلطة الشريعة والإدارية والقانونية وأنشئت أكاديمية خاصة لمتابعة دراسة الشرائع والأحكام وإعدادها ومن هناك تابع الكتبة وعلماء الشريعة التعرف على أفكار «يَهْوَه» واجتهدوا في تغيير الشرائع والأحكام والتي كان قد أعلن سابقاً عن وصولها إلى شكلها النهائي.

وبما أن العقيدة اليهودية اقتضت أن تنظم الشريعة كل نواحي حياة اليهود بلا استثناء ولذلك كان عليها «أي على الشريعة» إن تتكيف باستمرار مع الظروف المتغيرة، ولذلك كان من البديهي أن لا تصل أبداً إلى شكلها النهائي. وإضافة إلى ذلك برزت مسألة جديدة وهي المسيحية وكان على الشريعة أن تحدد موقفها من هذا الدين الجديد. وهكذا ظهر للتوراة ملحق جديد واسع وهو التلمود والذي أصبح فيما بعد أكثر شهرة وسطوة من التوراة.

وخلق القانون الصادر عن «يامينيا» «ستاراً عازلاً ضد العالم الخارجي يصعب عبوره». وبصرامته المميتة أجبر كل من دخل على الدين من جديد على الطاعة والنظام، وكان الهدف الأساسي من ذلك خلق طابع جديد لحياة العبرانيين يختلف تماماً عن حياة بقية الشعوب الأخرى.

وكل قانون يتخذه المجلس الأعلى بأكثرية الأصوات يصبح ملزماً لجميع الجاليات العبرانية في الشتات: «والعقاب على عدم الالتزام كان الطرد والنبذ وهو يعني فصل المذنب وعزله تماماً عن الجالية».

وبهذا الشكل حدد مركز الدائرة والمركز نفسه كان على شكل قانون وشريعة ترتفع كالستار حول الشعب المُسير».

وخلال فترة هذه المرحلة «وقبل أن تصبح المسيحية الدين الرسمي لروما» أصدر المركز في «يامينيا» أمراً سرياً سمح فيه للعبرانيين بالتكيف مع الظروف الجديدة وفي حال الضرورة الدخول في «الديانات الوثنية» والتظاهر بترك الدين الأصلي.

استمرت القيادة في «يامينيا» نحو /١٠٠/ سنة ثم انتقلت إلى «أوشا» في الجليل حيث أعيد تفعيل المجلس الأعلى من جديد. «وانعزلت اليهودية أكثر فأكثر مستجيبة لخصائصها المميزة». وفي هذا الوقت وضعت صيغة خاصة لإسقاط اللعنات على رؤوس العبرانيين المسيحيين

وفي عام /٣٢٠م/ اعتنق القيصر «قسطنطين» المسيحية وأصدر قانوناً خاصاً منع الزواج بين المسيحيين والعبرانيين ومنع اليهود من امتلاك العبيد من المسيحيين. وقد فسرت رده الفعل الطبيعية هذه على التمييز العنصري اليهودي واستعبادهم للغرباء على أنها اضطهاد جديد لليهود ولتجنب هذا الاضطهاد انتقل المركز مرة أخرى إلى بابل حيث عاشت جالية يهودية كبيرة منذ أيام السبي البابلي.

وتمركزت الحكومة التلمودية في بلدة سورا أما الأكاديمية فاستقرت في «بومبيدت» وهناك انتهت كتابة التلمود.

وأصبح العبراني أينما كان محاصراً بحلقة عظيمة الأبعاد وشديدة المرونة وأخذت دوائر الخوف والاعتقادات تضيق حوله أكثر فأكثر.

وصعد إلى الحكم في سورا ما دعي بأمير السبي «ايكزي لارخ» من «بيت داوود» ولكنه مع الوقت تحول إلى شخصية صورية شكلية. وبعد ذلك وضع رئيس الأكاديمية وهو عملياً الكاهن الأول جميع قواعد الحياة والسلوك لليهود وليس فقط في بابل بل وفي كل مكان، واعترف العبرانيون في جميع أرجاء العالم بأكاديمية بابل كمركز رئيسي أعلى وتقيدوا بكل القوانين والإشارات التي أصدرتها. وهكذا ظهرت حكومة داخل حكومات وشعب داخل شعوب.

وبقيت أسس العقيدة كما هي عندما وضعها «عزرا» و «حزقيال» وأجبروا الناس على العمل بها، ولكن الآن استبدلت التوراة بالتلمود كما في حينها استبدلت التعاليم الشفهية بالتوراة. وأطلق على قادة الأكاديمية في «سورا وبومبيدت» اسم «غاوناتا» وأخذوا يمارسون

سلطاتهم كاملة على الشعب المشرد في أنحاء الأرض، وأما ما دعي بـ «ايكزي لارخ» فقد كان كالشبح لا وجود له يعين ويفصل من قبل قادة الأكاديمية وأجبر المجلس الأعلى على التخلي عن صلاحياته لهم.

وفي حال ظهور شك لدى أي عبراني حول نصوص الشريعة أو طلب فتوى ما في الأمور اليومية الاعتيادية كان الأمر يرسل إلى «غاوناتا» ومن بابل البعيدة كانت الفتاوى تصدر باسم «يَهْوَه» وكانت أجوبة «غاوناتا» إجبارية التطبيق على الجميع من عبرانيي العالم. وعدم الالتزام بها كان عقابه الطرد.

وسبحت العبودية التلمودية فوق رؤوس العبرانيين في الشتات «كشبكة متقنة النسج.. فوق أعيادهم وأيامهم العادية. فوق أعمالهم وصلواتهم. فوق كل حياتهم فوق أي خطوة من خطواتهم... ولم يكن في حياة اليهود مكان للمصادفة ولا مكان لاختياره الذاتي» كانت عبودية مطلقة والفرق بينها وبين الأنواع الأخرى من الاستبداد هو أن في حالتنا هذه المسافة بين المستبد وضحاياه بعيدة.

وفي حال وجود حسن نية فإن مجتمعاً يدار بهذا الشكل يمكن أن يؤثر إيجابياً على الشعوب المجاورة أما في حال وجود نية شريرة وسيئة فإن تأثيره على تلك الشعوب التي تعيش ضمنها شبيه بتأثير الديناميت داخل الصخور والذي يُفَجَر عن بعد.

وبقيت الحكومة التلمودية على مدى /٦٠٠/ سنة في الشرق. في «يامينيا» و «أوشا» و «سورا» وهي أراضٍ اعتادوا عليها واعتادت عليهم وعرفت طبيعتهم جيداً. أجل لقد عرفت شعوب المنطقة اليهود جيداً واعتادت إما الخضوع للعقيدة القبلية وإما الوقوف ضدها إذا سمحت سلطات الاحتلال الغريبة بذلك ولم تقمعهم، وعلى أي حال كان إيجاد الحلول الوسط ممكناً دوماً.

بعد ذلك حصل حدث كانت نتيجته هزة عصفت حتى بعصرنا الحالي بشكل كبير. لقد انتقلت الحكومة التلمودية إلى أوربة المسيحية واستقرت وسط شعوب جهلت عقيدتها وأساليبها ولم تستطع أبداً استيعابها. وأدى ذلك وعلى مدى مئات السنين إلى صدام مستمر بين العقيدة الغريبة المتغطرسة مع مصالح السكان المحليين، وهو أمر لا يزال قائماً حتى اليوم. ذلك لأن طبيعة الطرفين كانت مختلفة تماماً، إذ كان الناس في الغرب «وبخاصة في الشمال» في طبيعتهم منفتحين لا يخفون أهدافهم ويتحدثون عن خططهم بانفتاح، وقد قامت المسيحية بتثبيت هذه الصفات الموروثة فيهم. أما الطرف الغريب فكان، على العكس تماماً، مملوءاً بالمكر والتملق الشرقي، وسلاحه السرية والكتمان ويحب استخدام الكلمات المعسولة

لإخفاء وتمويه الهدف الحقيقي. وهذا كله أعطى الطرف الغريب بالمقارنة مع سكان الغرب المحليين امتيازاً أكبر.

ورحيل اليهود إلى أورية جاء نتيجة للفتوحات الإسلامية، فبعد طرد العرب للرومان من فلسطين انتقلت السلطة هناك إلى أيدي سكانها الطبيعيين الذين عاشوا هناك نحو /٢٠٠٠/ سنة قبل ظهور أي مستوطن يهودي، واستمرت دولة العرب نحو /٩٠٠/ سنة حتى عام /١٥١٧/ حين احتل الأتراك فلسطين. ويثير الاهتمام الكبير المقارنة بين معاملة العرب المسلمين للأسرى مع معاملة اليهود لهم.

قال الخليفة العربي لجيوشه الفاتحة عام /٦٣٧م/: لا تكونوا قساة ولا عديمي شرف. لا تؤذوا الأسير ولا تقتلوا الأطفال والشيوخ والنساء. لا تقطعوا الأشجار والنخيل ولا تقتلوا المواشي ولا تلمسوا أحداً يصلي لربه».

أما أوامر «يَهْوَه» في كتاب «التثنية» «٢٠: ١٦» فتقول: «أما المدن التي سيسلم الرب شعوبها لك فلا تترك فيها أي شيء حياً يتنفس».

وانتشر الإسلام في شمال أفريقيا وأصبح الكثير من اليهود تحت سلطته ووصل العرب إلى أسبانيا ومعهم وصل ظل الصهيونية التلمودية وأخذ يطوف فوق الغرب.

ومن المعروف أن اليهود دعموا الفتوحات المغربية بالمال والرجال وساروا خلف الفاتحين الذين عاملوهم أفضل معاملة. وأخذت البلاد مدينة بعد مدينة تقع تحت سيطرة اليهود وقد ساعدتهم جيوش الإسلام وإلى حد كبير في ذلك على الرغم من أن القرآن كان قد أشار إلى أن هدف اليهود سيكون زرع الشقاق في الأرض.

واختفت المسيحية من أسبانيا وخلق ذلك جواً ملائماً جداً للتلموديين الذين نقلوا مركزهم من بابل إلى أسبانيا وبدأ الحدث الكبير الذي لازلنا نحن نعيش آثاره حتى اليوم. وقد كتب «كاستين» عن ذلك قائلاً: «تحاول العبرانية دائماً خلق حكومة ومركز قيادة بدلاً من الذي ضاع، والآن تقرر أن نقل هذا المركز إلى أسبانيا هو أمر مفيد، وقد نقلت الإدارة الوطنية من الشرق إلى أسبانيا مثلما نقلت سابقاً من فلسطين إلى بابل التي لم تعد تصلح كمركز لليهودية.

لقد أدى الشرق خدمته وأعطى كل ما يمكن أن يعطيه، وهناك صنعت السلاسل التي كان بإمكان أي كان أن يرتديها حتى لا يبتلعه الوسط المحيط».

وتجدر الملاحظة على أن الناس نادراً جداً ما تقوم طواعية بربط نفسها بالسلاسل المجهزة لها خصيصاً. مهما يكن فإن السبي اليهودي هذه المرة كان ضيقاً جداً ولربما أضيق من كل المرات الفائتة ولكن ذلك كان كالعادة أمر اليهود الخاص ومن صنع أيديهم.

وأصبح انتقال اليهود من الشرق إلى أوربة، بالنسبة للغرب أمراً فائق الأهمية. فقد دخلت إلى القارة الآن فكرة الدمار مع المركز الموجه لها. وتابع الشعب داخل الشعب والمركز التلمودي الموجه له، عملهما انطلاقاً من أسبانيا وأصدر «غاوناتا» قراراته باستمرار واستقرت الأكاديمية في قرطبة ومن وقت إلى آخر كان يظهر «ايكزي لارخ» يترأس اليهود. وجرى كل ذلك تحت حماية الإسلام وقد نظر المغاربة بعين الرضا كما نظر إلى ذلك قبلهم البابليون والفرس، إلى وجود اليهود بينهم وعاملوهم أفضل معاملة إلى درجة أن الأسبان أخذوا مع الزمن يُعدون أن اليهود هم الفاتحون وليس العرب.

نعم كان المغاربة هم الفاتحون ولكن السلطة أصبحت في قبضة اليهود. ومرة أخرى وأمام عيون الجميع تكرر ما حدث في بابل والأمر يتكرر ولا يزال يتكرر في أكثر دول الغرب على مدى المئة سنة الأخيرة.

استمر الحكم المغربي لأسبانيا نحو /٨٠٠/ سنة بعد ذلك حدثت حروب تحريرية أدت إلى تخليص أسبانيا من نيرهم عام /١٤٩٢/ بعد ذلك طرد اليهود مباشرة مع المغاربة من هناك. أجل اعتبر اليهود مثل الغرباء الذين قدموا إلى هناك وعندما رحل الغرباء طرد اليهود معهم. وانتقل مركز الإدارة التلمودية إلى بولونيا وقد حدث ذلك قبل نحو /٤٠٠/ سنة من الآن. ومنذ ذلك الحين تغطى تاريخ صهيون بالأسرار: لماذا اختاروا بولونيا مركزاً للحكومة المتنقلة؟ التاريخ لم يتحدث من قبل عن هجرات واسعة للعبرانيين إلى هناك. ومن المعروف أن اليهود غادروا أسبانيا بعد خروج المغاربة منها إلى شمال أفريقيا ومصر وفلسطين وتركيا وإيطاليا وجزر اليونان، وكانت لهم جاليات من قبل في فرنسا وألمانيا وهولندا وإنكلترا وكبرت هذه الجاليات على حساب المهاجرين اليهود من أسبانيا ولكن لا يوجد أي معطيات حول هجرة ملحوظة من أسبانيا، إلى بولونيا أو عن هجرة واسعة سابقة لليهود إلى بولونيا. «بلغ عدد السكان العبرانيين هناك عدة ملايين» هكذا ذكر «كاستين» ولكن ملايين الناس لا تخرج فجأة إلى الوجود وتبدأ العيش في مكان ما. ولا شك أن «كاستين» يعلم ذلك حق المعرفة ولكنه لسبب ما لا يقدم أي شرح أو تفسير لذلك بل على العكس يحاول طمس هذه الحكاية ويقول في جملة عابرة إن عدد الجالية هذه والتي لم تكن معروفة سابقاً ارتبط على ما يبدو بالهجرة من فرنسا وألمانيا و «بوهيما» أكثر من ارتباطه بالأسباب الأخرى ولكن «كاستين» لم يذكر الأسباب الأخرى التي قد يعنيها وهو أمر غريب لمؤرخ محترف ومحنك مثل «كاستين». ولكن يكفي دراسة الأمر بعمق لتظهر الحقيقة على السطح. لقد حاول «كاستين» إخفاء واقعة مهمة جداً في تاريخ صهيون وهي أن مركز الإدارة اليهودية انتقل إلى منطقة تجمع فيها شعب كبير لم يكن معروفاً حتى

ذلك الوقت كشعب عبراني، وهو في الحقيقة لا يملك أي علاقة مع العبرانية لا من بعيد ولا من قريب، ولم تجر في عروقه أي دماء يهودية. «وتجدر الإشارة أن الدم اليهودي في ذلك الوقت أصبح نادر واختفى تقريباً حتى في أوساط العبرانيين الغربيين».

وحتى أجداد هذا الشعب لم يعرفوا «يهودا» أبداً لأنهم خلقوا وترعرعوا في أراضي التتار. هذا الشعب هو الخزر- أقوام أصلها تركي- منغولي اعتنقت اليهودية في القرن السابع الميلادي- وهي الحالة الوحيدة في التاريخ عندما اعتنقت اليهودية مجموعة ضخمة من الناس لا تملك صلة قرابة مع اليهود من ناحية الدم. ويمكن فقط التكهن لماذا سمح حكماء التلمود بل وشجعوا دخول الخزر إلى اليهودية. لأن المسألة اليهودية كانت ستنقرض من دون هذا الدم الجديد. «سنبحث ذلك بالتفصيل في أحد الفصول القادمة».

اعتادت أوربة غريزياً على أن الخطر الرئيسي يأتيها دائماً من جهة أسيا. وفي هذه المرة مع وصول المركز العبراني إلى بولندا أخذ الآسيويون بالتحرك نحو الغرب، وفي النهاية أوصلوا أوربة إلى الوضع الحرج الذي تقع فيه الآن.

اعتنق الخزر الدين اليهودي منذ زمن بعيد وعاشوا على بعد كبير عن أوربة لدرجة أن العالم الغربي لم يكن يعرف شيئاً عنهم لولا انتقال المركز التلمودي إلى هناك ولو لم يجمعهم حوله. عند ذلك أصبحوا معروفين في أوربة باسم «العبرانيين الشرقيين» وتغيير كلمة يهودي إلى عبراني ساعد كثيراً على طمس الأمر لأن أحداً لم يكن ليصدق أن أصولهم يهودية.

ومنذ اللحظة التي سيطر فيها هؤلاء على القيادة العبرانية أصبح مبدأ العودة إلى فلسطين آمراً يدعو إليه شعب لا يمت بصلة إلى الموضوع ولا يملك أصلاً فلسطينياً وليس لديه ولا نقطة دم سامية. ومن ذلك الحين أصبحت الحكومة التلمودية تقود شعباً آسيوياً أصله غريب عنها تماماً.

وجرى في بولندا مرة أخرى تأسيس دولة داخل دولة واستغلت العلاقة الطيبة وحسن الضيافة التي أبداها البولنديون نحو القادمين الغرباء.

وكما جرى سابقاً وكما سيجري لاحقاً ضمر العبرانيون التلموديين الشر نحو السكان الأصليين الذين احتضنوهم ويذكر «كاستين» الحكومة العبرانية المستقلة في طورها البولندي وكيف سمح لليهود بوضع دستور خاص بهم. وفي القرن السادس عشر والسابع عشر عاش العبرانيون تحت قيادة حكومة تمتعت بحكم ذاتي له منظومة إدارة حديدية وانضباط ديني قاسٍ صلب «نرى تشابها مع الانعزال الشديد والانضباط الحديدي لدى الثوار الصهاينة والشيوعيين». وسميت الحكومة التلمودية باسم «كاغال» وكان لها صلاحيات مطلقة في مناطقها وتحت

غطاء بولوني. وكانت تجمع الضرائب من «الغيتو» والجالية وتدفع جزءاً منها إلى الدولة البولندية. وأصدرت «كاغال» قوانين وأحكاماً تنظم جميع نواحي الحياة من دون استثناء بدءاً من العلمليات التجارية والمالية بين العبرانيين، وكانت توجه التهم وتنظم المحاكمات وتصدر الأحكام والعفو. فقط كانت شكلياً لا تملك الحق بإصدار أحكام إعدام. ولكن وكما كتب المؤرخ العبري المعاصر والشهير «سالو بارون»: «في بولندا حيث لم تملك المحاكم العبرية الحق بالحكم بالإعدام انتشرت بكثرة المحاكم الصورية الخارجة عن القانون وهو أمر شجعه الحاخامات وبخاصة الحاخام «سلمون لوريا». هذا الكلام يوضح معاني كلمات «كاستين» الحذرة حول «الانضباط الحديدي» «والانضباط الذي لا رحمة فيه» و «انضباط قاس مميت» وغيره.

وعملياً أعيد في بولندا تأسيس الدولة العبرية تحت قيادة التلموديين وحول ذلك كتب «كاستين»: هكذا كان دستور الدولة العبرية المزروعة على أرض غريبة والمحاطة بأسوار من القوانين الغريبة وكانت تركيبته في قسم منها غريبة والقسم الآخر خاص بها.

وكان لدى الدولة هذه قوانينها العبرانية الخاصة بها ورجال دين خاصين بها بالإضافة إلى مدارسها ومؤسساتها الاجتماعية عملياً كانت توجد كل العناصر التي تسمح بخلق دولة.. والأمر هذا أصبح ممكناً فقط بفضل التعاون والتفهم الكبير من الدولة البولندية»..

في عام /١٧٧٢م/ تقسمت بولندا وانقسمت الجالية العبرانية المتماسكة وأصبحت الحدود تفصل بينها وأصبح قسم كبير منها داخل حدود روسيا. وفي هذه اللحظة ولأول مرة منذ ألفين وخمسمائة عام اختفى مركز الإدارة العبرانية وبشكل مفاجيء عن الأنظار. لقد كان موجوداً قبل عام /١٧٧٢م/ بشكل دائم: في اليهودية وفي بابل ومن جديد في اليهودية ومن ثم في الجليل بعد ذلك في بابل وأخيراً في أسبانيا وبولندا. وقد ذكر «كاستين» أن المركز المذكور أوقف وجوده وحاول الإيحاء للقراء بأن المركز العالمي للإدارة العبرانية قد اختفى منذ ذلك الوقت.

ولكن في الحقيقة فإن كل التاريخ الماضي والقوي للمركز وكذلك الأحداث القادمة المهمة على مدى القرون، كلها تؤكد عدم صدق تأكيدات «كاستين». و «كاستين» نفسه يؤكد ذلك حين يقول إن القرن التاسع عشر شهد «تكّون الأممية العبرانية». لذلك لا يوجد أي شك أن المركز تابع وجوده سراً بعد عام /١٧٧٢م/. وتفسر الأحداث القادمة لماذا أختار المركز نمط العلم السري.

كانت القرون التالية بعد عام /١٧٧٢/ هي عهد المؤامرات الثورية الشيوعية والصهيونية- القوتان السياسيتان الأساسيتان في ذلك الزمن ولاشك بأن المركز التلمودي كان في الوقت نفسه مركزاً لتلك المؤامرات لذلك فإن بقاء عمله علنياً كان سيكشف دور العبرانيين الشرقيين فيها.

وانكشف الأمر فقط بعد قيام الثورة البلشفية عام /١٩١٧م/ حيث تشكلت حكومة غالبيتها العظمى من العبرانيين. ولكن في ذلك الوقت كانت سيطرة اليهود على الحكومات الأوربية عظيمة إلى درجة جعلت تلك الحكومات تغض النظر عن الوجود العبراني في الحكومة الروسية.

وجرى تغطية الأمر بصمت عظيم ولو أن المركز بقي علنياً ومكشوفاً كانت الشعوب الأوربية ستفهم أن الإدارة العبرانية التلمودية تناضل فقط بالكلام من أجل المساواة في الوقت الذي حضرت فيه لثورة حطمت كل ما كانت تلك الشعوب ستحصل عليه نتيجة المساواة. وفقط الروس الذين استضافوا أكبر جالية عبرانية كانوا هم من استوعب بشكل جيد ما حدث. يقول «كاستين»: «استغرب الروس دائماً عدم رغبة العبرانيين في الاختلاط مع الوسط المحيط. ومن ثم خرجوا باستنتاج بأن «كاغال» عبراني سري كان موجوداً عندهم ولديه أهدافه الخاصة والتي عمد إلى تنفيذها، وبأن هناك («كاغال» عالمي أيضاً). ولدى حديثه عن الأممية العبرانية في القرن التاسع عندما أكد «كاستين» بنفسه صحة استنتاج الروس.

وخلاصة القول: إن الإدارة العبرانية استمرت بالعمل ولكن سرياً ولربما غيرت من شكلها بعض الشيء وهو ما يلمح به «كاستين» بكلمة «الأممية».

أما الآن فيوجد أساس للاعتقاد بأن المركز لم يعد يستقر في مكان واحد محدد، وعلى الرغم من قوته الهائلة في الولايات المتحدة فإن سلطته تنفذها إدارات متعددة في معظم دول العالم تنسق مع بعضها بعضاً ومن فوق رؤوس حكومات وشعوب الدول المضيفة لها. والأمر ليس سراً أن هذه الإدارات تنفذ مهماتها وتسيطر على الحكومات الغربية وقد نُشرت خلال نصف القرن الماضي بحوث كثيرة ومقالات عديدة حول هذا الموضوع سنقوم باستعراضها بالتفصيل. ويبقى الأمر الأصعب هو فهم عبودية شعب كامل منتشر في أرجاء العالم وعلى مدى قرون عديدة، وكيف استطاعت مجموعة صغيرة أن تسجن هذا الشعب في حدود شرائع بدائية قبلية ولفترة خمسة وعشرين قرناً.

وسنحاول في الفصل القادم إيضاح الطرق التي استعملت في أطول مراحل تاريخ صهيون، المرحلة التلمودية، التي بدأت عام /٧٠/ وانتهت عام /١٨٠٠م/ وفي هذه الطرق الكثير من الأمور الشرقية والآسيوية الخالصة والتي لا يستطيع العقل الأوربي استيعابها. وبالطبع يستوعب هذه الأمور من اصطدم معها وتعرض في حياته وسط «اليهود الشرقيين» قبل الحرب العالمية الثانية أو لمن عاش في بلدان تقع السلطة فيها بأيدي البوليس السري وتقوم على الرعب والإرهاب.

الفصل الخامس عشر

التلمود والغيتو [1]

يمكن الجدل في موضوعات كثيرة ولكن أمراً واحداً لا يجوز الشك فيه وهو أن الشريعة التي تمكنت من إخضاع شعب بكامله متناثر في أصقاع الأرض هي شريعة تتمتع بقوة داخلية هائلة. والشريعة هذه هي التلمود وقد كتبت «الموسوعة العبرانية» حول ذلك تقول: «بالنسبة لأغلب العبرانيين يُعد التلمود في المقام الأول.. وحتى «العهد القديم» أزيح إلى المرتبة الثانية».

ويورد «الأرشيف الإسرائيلي» كلمات «المونسيور» الكاثوليكي «لا ندري» «Landrieux» «على الجميع الاعتراف بالتفوق المطلق للتلمود على شرائع موسى» وأما التلمود نفسه فيقول: «كلام الحكماء والوجهاء أهم من كلام الأنبياء».

والتلمود بدئ بكتابته في «يامينيا». أول الأمر أخذ «عزرا» و «حزقيال» إعادة النظر في الشرائع في بابل وبعد ذلك تابع تحريفها في «يامينيا» الحاخام المعروف باسم «يهودا ناسي». وكان ذلك عبارة عن إضافات سميكة إلى الشرائع والأحكام الواردة في «التثنية» و «اللاويون» و «الأعداد» واعتبرت جميع قرارات المركز قوانين يجب العمل بها، وأضيفت إلى التوراة على شكل توراة شفهية أعطيت أصولاً ربانية، ومن ثم أدخل كل ذلك في محتويات ما يدعى بـ «ميشنا» وبعد فترة «وتحت ذريعة أن العمل يجب أن ينتهي» أضيفت كتابات كثيرة عن نقاش رجال الدين والشريعة وعن قراراتهم ودعي كل ذلك بـ «غيمارا». و «غيمارا» هذه كانت نتيجة لجهود جاليتين يهوديتين هما الأورشليمية في القرن الخامس والبابلية في القرن السابع قبل الميلاد، ولذلك يوجد تلمودان الأول يعرف بالتلمود الفلسطيني والآخر بالتلمود

١- الموسوعة العبرانية الجديدة: (The New Jewish Encyclopedia) نيويورك ١٩٣٢/ تشرح، وبوقاحة لا مثيل لها حتى في الأدبيات العبرية، كلمة غيتو (ص ١٦٧) (هو حي مسور ومنفصل عن بقية أحياء المدينة حيث أجبر العبرانيون على العيش. وظهر الغيتو بشكل قسري في أوربة ما بين القرن السادس عشر والقرن الثامن عشر كوسيلة لاضطهاد اليهود وبهدف منع أي احتكاك بين اليهود وغير اليهود).

البابلي. وأما التلمود الذي وضع في العصر المسيحي فهو الذي أعطاه الكهنة مضموناً وأصلاً ربانياً كما حصل في حالة التوراة.

تذكر الكتب المقدسة المسيحية بأن الكنائس على اختلاف طوائفها تقبل وتعترف «بالعهد القديم» ككتاب ذي أصول ربانية وترى فيه إشارة الرب إلى نمط الحياة الصحيح ـ والدين الحق.

وهنا يحق لنا طرح سؤال، ما الفرق بين محتويات التوراة والتلمود؟ إن لم يكن هناك فرق أفلا يجب إضافة التلمود أيضاً «المعادي للمسيحية» إلى الكتاب المقدس المسيحي. لو حصل ذلك لامتلأت رفوف المكتبات بأجزاء هذا المؤلف الكثيرة وعندها يكون الإنجيل بالمقارنة معها عبارة عن نشرة صغيرة تضيع في هذا الحشد التلمودي، كما آن محتويات الإنجيل لا تتوافق مع محتويات التلمود والتي يوضحها العالم التلمودي «دراخ» «Drach»: «لا يجوز تطبيق مفهوم العدالة والمساواة والعطف على المسيحي والشذوذ عن ذلك يُعد جريمة .

يمنع التلمود منعاً باتاً إنقاذ غير العبراني من الموت.. أو إعادة ممتلكاته المفقودة إليه أو حتى مواساته والعطف عليه».

وقد أدى منح القدسية للتوراة «على نفس قدر قدسية الإنجيل» إلى تعقيدات و «الخبطة» في العقيدة المسيحية وإلى درجة سيكون التخلص منها صعباً جداً في المستقبل.

والعبارات التي أوردناها من التلمود لا تختلف تقريباً بشيء عما جاء في كتاب «التثنية» التي أعلنت كشريعة ثانية قبل ألف سنة من تأليف التلمود الفلسطيني والذي منح العبارات المذكورة أعلاه فقط مضموناً معادياً للمسيحية.

ما الحاجة التي دعت إلى التلمود ولماذا كتبوه؟ الجواب على هذا السؤال يبدو واضحاً جداً. لقد كان اليهود مبعثرين وبشكل كامل في جميع أنحاء العالم ومرة بعد مرة جرى جمع المشردين حول الهيكل. وفي بلدان الشتات وقف ضدهم الدين الجديد الذي وصف الفريسيين بالهراطقة: «وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ».

وبما أن الشريعة اليهودية أصبحت معروفة للغرباء بفضل التراجم، تطلب الأمر قانوناً جديداً خاصاً يبقي الشعب المختار معزولاً عن الآخرين. كان يجب إيجاد حاجز حول التوراة يحميها ويكون قوياً لدرجة يمنع العبرانيين المنتشرين من الانحلال والانخراط في الشعوب الأخرى ويمنعهم من الصلاة «لرب آخر».

جاء التلمود جواباً معادياً للمسيحية وخطة جديدة للطائفة المتسلطة في وجه العدو الجديد.

ولكن الموسوعات الحديثة، والتي لا يجوز الثقة بها عندما يدور الحديث حول اليهود، تخفي ذلك الأمر عن القراء غير اليهود. وعلى سبيل المثال نقرأ في واحدة ما يلي: «غالباً ما يتهم المسيحيون- وبشكل جائر تماماً- التلمود بأنه معاد للمسيحية».

هذه الكلمات تشوه الحقيقة وتحول ما كتب إلى دعاية، فالمعاداة للمسيحية والتجني الواضح عليها هو ما يمنح التلمود طبيعته المميزة. وغير ذلك لا يوجد في التلمود أي شيء جديد. كل ما جاء فيه بخلاف ذلك هو تكرار لكلمات «حزقيال» والفريسيين.

وقد كتبت الموسوعة العبرانية قائلة: «في الحكايات العبرانية وفي التلمود وفي «المدراشا» «الوعظ في الكنيس والمدارس الدينية» وفي «توليدوت إيشوع» «حياة يسوع» يوجد منحى ملحوظ أخذ بدايته منذ القرون الوسطى ويهدف إلى التقليل من أهمية المسيح وتقزيم شخصيته وذلك بإلصاق تهمة «ابن الزانية» وكذلك ممارسة السحر والشعوذة والوقوع في الموت المخزي».

وتراهم يدعونه «هذا الذي لا اسم له» أو «الدجال» أو «ابن الزنا» ويجدر الذكر أن تهمة الولادة غير الشرعية تقصد وضع «يسوع» في مكان ما جاء في الفصل /٢٢/» من كتاب «التثنية»: «لا يمكن لابن الغاوية أن يدخل إلى مملكة الرب».

بالإضافة إلى ذلك كله حرم ذكر اسم «يسوع المسيح» في البيوت اليهودية. وتقول «الموسوعة العبرانية» إن أهمية «حياة يسوع المسيح»، المكتوبة في القرون الوسطى، ليست كما يصورونها رواسب بسيطة من الماضي بل هي إنتاج حاخامي من المرحلة التلمودية وتستخدم في المدارس العبرية حتى يومنا هذا. وهي مع تحوير بسيط تُكرر كل الإهانة والاستهزاء الذي تعرض له المسيح في طريقه إلى الصلب.

وتقول «أهجوة» عن المسيح بأنه ابن غير شرعي لعلاقة بين زوجة حلاق تدعى ماري وجندي روماني اسمه «بانتيرا» والذي يشيرون إليه بلقب غريب يمكن ترجمته على أنه «مهوس العذارى» ومن ثم تتابع الأهجية القول بأن «يسوع» الذي رافق زوج أمه إلى مصر تعلم هناك الشعوذة والسحر. وتُعد هذه الأهجوة المعلومة الوحيدة المسموح للعبرانيين معرفتها عن المسيح.

وأكثر ما يلفت النظر في هذا التلفيق القذر هو التأكيد بأن «يسوع» لم يصلب من قبل الرومان، بل تزعم الأهجوة بأنه جاء إلى أورشليم حيث اعتقل بسبب ثرثرته وشعوذته ثم سلمه الرومان إلى المجلس اليهودي حيث أوقف أربعين يوماً عند عمود الذل والعار ثم رجم بالحجارة وشنق في يوم عيد الفصح العبراني. هذا الشكل من الموت يطابق ما جاء في كتاب «التثنية» «٢١ : ١١» و «٢٢ : ٥» بينما لا يطابق الصلب متطلبات الشرعية اليهودية. ثم تتابع الأهجوة القول

بأن «يسوع» سيعذب في جهنم في وحل يغلي. أما التلمود فيطلق على المسيح ألقاب «المخبول» و «المشعوذ» و «الكافر النجس» و «عابد الأصنام» و «الكلب» و «ابن الزنا» وغيره. ولا يزال تدريس هذا النوع من «البورنوغرافيا» مستمراً حتى اليوم وعلى مدى القرون.

وقد ظهر الكثير من الكتب على هذا المنوال مثل ما كتب اليهودي الأسباني «موسى دي ليون» وقد أعيدت طباعتها عام /١٨٨٠م/ حيث يوصف المسيح بأنه «كلب فاطس مقبور في تلة من الروث والزبالة». ويستعرض «لايبل» في كتابه «يسوع المسيح في التلمود» ترجمة هذه الإبداعات التلمودية عن النصوص العبرانية القديمة. ويقول هذا العَالِم بأن كره المسيح في المرحلة التلمودية أصبح أقوى تعبير للملامح القومية اليهودية، وأنه مع ظهور المسيحية أصبح هذا الكره المسعور يشبه الجنون وأخذ يسيطر على العبرانيين أكثر فأكثر. وإن «الكره والاحتقار أُرسل في المقام الأول ضد شخصية المسيح» وإن «كره العبرانيين للمسيح هو واقعة وأمر مؤكد على الرغم من محاولتهم الدائمة إخفاء ذلك».

وأدت الرغبة إلى إخفاء ذلك عن عيون الناس، إلى قيامهم في القرن السابع عشر بحذف المقاطع المذكورة وبشكل تعمدوا إظهاره للجميع. ولكن إلى ذلك الحين أصبحت محتويات التلمود معروفة بشكل واسع وبشكل خاص بعد أن فضحها اليهود البروتستانت وآثار ذلك سخطاً واستياءً عاماً إلى درجة أجبرت علماء الشريعة والتلمود على إصدار الأمر التالي (صدر الأمر باللغة العبرية القديمة وترجم في كتاب خريج المدارس التلمودية المدعو «ل. ب. دراخ» الذي ترك اليهودية واعتنق الديانة المسيحية): «.. لذلك نأمركم نحن وتحت تهديد الطرد والنبذ العظيم، بعدم الطباعة في المستقبل في مؤلفات «ميشنا» أو «غيمارا» أي شيء جيد أو سيئ عن «يسوع الناصري» وفقط عند الحاجة توضع علامة O للفت انتباه الحاخام أو معلم المدرسة بأن هذه النصوص يجب إلقاؤها على التلاميذ الجدد فقط شفهياً وبذلك نحرم العلماء النصارى أي إمكان لمهاجمتنا في هذا المجال». «قرار السنودس اليهودي الصادر في بولندا عام /١٦٣١م/. والأمر يتكرر الآن حيث منع الكثير من الحكومات الغربية أي جدل أو نقاش حول هذا الموضوع على الرغم من أن المعلومات تشير إلى أن النصوص المذكورة أعيدت طباعتها من جديد وباللغة العبرية القديمة».

وتجدر الإشارة إلى أن السعي الدائم إلى التشهير بأعلام الديانات الأخرى هو ما يميز بشدة الديانة اليهودية عن بقية الديانات الأخرى ويميز التلمود عن بقية الكتب الدينية الأخرى. فالمسلمون والبوذيون وأتباع «كونفوشيوس» والمسيحيون، لا يكنون أي كره للديانات الأخرى أو لمؤسسيها، وعلى الرغم من أن طرق الإيمان لدى كل منهم تختلف عن الآخر إلا أنهم يأملون

أن الطرق هذه ستتوحد يوماً بإرادة المولى. فعلى سبيل المثال يذكر القرآن أن المسيح كان أحد أنبياء الرب ويذم اليهود لرفضهم إياه ولكتابه المقدس الإنجيل. وأما عن أمه مريم فيقول القرآن:

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾[1]

والتلمود كأحدث القوانين الجديدة يعرض أفكاره الأساسية بشكل واضح جداً: ووسع الشرائع خصيصاً لكي تشمل المسيحية أيضاً وبحيث لا تترك أي شك في كيفية موقف العبرانيين منها. وبعد ظهور ترجمات للتوراة وحصول الغرباء عليها خافت الطائفة الحاكمة أن يحصل هؤلاء الغرباء على أمور مفيدة منها. لذلك تطلب الأمر إدخال تعديلات جديدة على كتب الشريعة.

في الحقيقة لم يتصور الكتبة وعلماء الشريعة اللاويون القدماء أن التوراة ستترجم إلى اللغات الأخرى. لذلك برزت الحاجة إلى شريعة جديدة لا تصلها العين الغريبة وتبرهن للعبرانيين أن الالتزام بالشريعة العرقية- الدينية لا يزال واجباً حتمياً على الرغم من إدخالها إلى الكتاب المقدس المسيحي. لقد ذكرنا سابقاً أن التوراة تكلمت مع العبرانيين بلسان يختلف عن اللسان الذي تكلمت به مع الغرباء.

فمثلاً في المقطع «٣٢، ٢١» من كتاب «التثنية» تصف الترجمة الغرباء غير العبرانيين بكلمات غير قاسية مثل «قوم جهلاء» بينما تورد الموسوعة العبرانية في مقالتها حول «التميز العنصري ضد غير العبرانيين» النص الأصلي باللغة العبرية القديمة حيث يطلق على الغرباء غير العبرانيين تعبير شعب «فاسد ورذيل وسافل» ومن الواضح الاختلاف الصارخ في المعنى في النص المترجم والنص الأصلي.

ويبقى التلمود المترجم أكثر سلاسة من التلمود المتداول بين العبرانيين «للاستخدام الداخلي». وتجدر الإشارة إلى المقاطع الواردة أعلاه في التثنية مستنتجة من كتاب «حزقيال» الفصل «١٢» حيث يوصف الغرباء بأنهم «أناس لهم أبدان الحمير وشبق الخيول». ومن الواضح أن كل سنن وأحكام التلمود لها أهداف واحدة. فالشريعة حسب التلمود تصر على إعادة المفقود إذا كان صاحبه «أخاً أو جاراً» ولكن لا يجوز أبداً إعادته إلى الغريب. ويجب حرق الكتب غير العبرانية وهو أمر يوضح أن حرق الكتب كان من الأساس موضة تلمودية تماماً

١- سورة آل عمران: الآية ٤٢.

كما كانت مطاردة السحرة والمشعوذين» اختراع توراتي بحت وكان على العبراني يومياً أن يشكر «يَهْوَه» لأنه خلقه يهودياً.

ويشير التلمود إلى أن كسوف الشمس هو كارثة تهدد الغرباء فقط. وأما اليهودي الذي يبيع الغريب أرضاً تجاور أرضاً لعبراني فيستحق الطرد. كذلك لا يجوز لغير العبراني الشهادة في المحاكم الجنائية والمدنية لأن شهادته لا تستحق الثقة مثل شهادة العبراني.

ولا يجوز للعبراني أن يكون الشاهد الوحيد ضد عبراني آخر في المحاكم وإلا كان مصيره الطرد. وبالطبع لا يدخل غير اليهود إلى الحياة الآخرة.

وأما بالنسبة للقانون الأساسي الأخلاقي في الكتاب المقدس «أحبوا الرب إلهكم بكل قلبوكم» فيفسره التلمود ليس بأكثر أو أقل من أنه دعوة للإنسان لمتابعة دراسة الكتب المقدسة و «الميشنا» ومجالسة أهل الحكمة والدين. أي بكلام آخر لو كنت تحب الرب حقاً فعليك دراسة التلمود وأخذ العلم منه ولا تعاشر أناساً غرباء من عقيدة أخرى. ولنوضح كيف شوه التلمود أفكار البشر على مدى القرون نستعرض مثالاً صغيراً عرضه المدعو «فرانك خودوروف» عام /١٩٥٢/ : «في ليلة من ليالي الشتاء القارسة جداً قرع باب بيتنا حاخام أخذ منه البرد مأخذا وكان منظره بسبب ذلك يثير الشفقة. وبعد شرب الكثير من أقداح الشاي الساخن وعندما أحس بالدفء قليلاً روى لنا أن أحد الغرباء عطف عليه وعرض عليه قفازات ليديه ولكن الحاخام رفض ذلك، وبرر رفضه بأن العبراني لا يملك الحق بإعطاء الغريب آي فرصة للحصول على البركات من السماء، وكانت هذه هي المرة الأولى التي أتعرض فيها لعقيدة الشعب المختار وقد بدت لي غبية وحقيرة إلى أبعد الحدود» تبين هذه الحكاية القصيرة المدى الذي وصل إليه السور التلمودي الفاصل بين العبرانيين والعالم الآخر. وهو الذي أوحى لليهود بشعور الكراهية والاحتقار نحو بقية الناس الغريبة.

ولكن ما هي مهمة التلمود وما هو معناه بالنسبة للعبرانيين بالذات؟ الموسوعة العبرانية كتبت حول هذا الموضوع تقول: «حوّل التلمود التوراة إلى قانون جنايات» ولكن على الرغم من أن الموسوعة المذكورة تتميز بالدقة فإن معنى الأخيرة ليس مفهوماً تماماً: فالتوراة كانت دائماً قانون جنايات. ونظرة دقيقة إليها اليوم تؤكد ذلك من جديد وقد نفذت العقوبات الواردة في التوراة من قبل «نحيميا» و «عزرا» «على سبيل المثال» أو من قبل الرومان بعد صدور حكم المجلس اليهودي كما في حالة «يسوع المسيح».. وعلى ما يبدو أن الموسوعة العبرانية أرادت القول بأن التلمود جعل من استخدم قانون الجنايات أمراً حتمياً وأعطاه شكلاً دورياً وقاسياً. وهذا طبعاً لا يثير أي شك، وكما أشرنا سابقاً فإن الحاخامات شجعوا المحاكم الميدانية كوسيلة

احترازية خارج نطاق المحاكم الرسمية». لأن قوانين بلد الإقامة لم تسمح لهم بإصدار أحكام إعدام. وهذا الشيء بالذات يوضح كم كان استخدام التلمود كقانون جنايات أمراً حقيقياً وواقعياً. وبالطبع تتخلف الوصايا القديمة القليلة عن الكتلة الهائلة لأحكام التلمود والتي غالباً ما تتعارض مع قوانين السلوك والأخلاق.

لقد بحثت أحكام التلمود وقوانينه في أي أمر يمكن حدوثه مع العبراني في أي مكان أو أي زمان بدءاً من أمور الزواج والطلاق وعمليات البيع والشراء المختلفة. وهي تشمل كل أطراف الحياة الخاصة حتى التفاصيل الصغيرة منها في الطعام والملابس والنظافة. وبما أن الحياة مملوءة بالمفاجآت الصغيرة والكبيرة لذلك الحكم بما هو الصحيح وما هو الخطأ يؤدي كل مرة إلى نقاشات ومجالات تخرج نتيجتها مجموعة جديدة ضخمة من القرارات الحاخامية.

أين الجريمة الأكبر: أن تذبح جملاً أو آن تفرك برغوثاً يوم السبت؟ سمح حاخام واسع العلم والمعرفة بفرك البرغوث ولكن بحذر، وأضاف حاخام آخر بأنه يعتقد بجواز قطع أطرافه.

كم من الشعرات البيضاء يجوز أن يكون على البقرة الحمراء لتبقى حمراء ولا تصبح بيضاء؟

ما الذي يجب على الحاخام أن يرتدي أولاً القميص أم السروال؟.

كذلك تطرق الأمر إلى وسائل تنفيذ أحكام الإعدام وحسب رأي علماء الشريعة يجب أن يتم ذلك عن طريق خنق المحكوم عليه حتى يفتح فمه عند ذلك يجب صب الرصاص المصهور فيه. وقد أضاف حاخام نبيل طيب القلب إلى ذلك بأن فم المحكوم يجب إن يبقى مفتوحاً بواسطة ملاقط خاصة حتى لا يختنق المذكور قبل وصول الرصاص المصهور إلى الأعماق وبالتالي يحرق روح المحكوم داخل جسده.

وعلى الفور يخطر على البال سؤال لو طرح في مجمع ثقافي لأثار اهتماماً ومتعة وهو: هل كان الناقد والشاعر الإنكليزي في القرن السابع عشر الدكتور «صموئيل جونسون» مطلعاً على التلمود أم أنه كان يجهل محتواه؟.

وجونسون هذا وجد ذات مرة حلاً لأحد النقاشات بقوله: «لا يوجد معنى للجدل حول الأقدمية والأفضلية بين القملة والبرغوث»..

ولكن بالنسبة للتلموديين فالأمر محير تماماً وحاز على اهتمام واسع من قبل المتناقشين: هل يجوز قتل برغوثه أو قملة يوم السبت؟ وقد جاء الحل فيما بعد وهو أن قتل القملة في يوم السبت جائز أما البرغوث فقتله يوم السبت يُعد ذنباً عظيماً. «التلمود كالقشرة القاسية حول النواة المتعطشة للحياة، وهي تغطي قلب العبراني بعقيدة باردة كالجليد ولكنها قاسية مثل

الفولاذ.. والتلمود الذي حمله العبرانيون معهم في كل مكان أصبح ملاذهم ومأواهم». هكذا وصف «كاستين» التلمود: ملاذ وبيت من جليد وفولاذ وحوله سور عال ضخم له نوافذ مغلقة بإحكام وأبواب موصودة.

واليهودي من بيته هذا «ومع أخذه بالحسبان فكرة الشعب المختار والخلاص المحتوم مستقبلاً.. أصبح قادراً على فهم ما يحدث فقط إذا وضع نفسه في المركز»..

وكوكبنا كله يمضي في مساره بين النجوم التي لا تحصى فقط لكي يجلس العبرانيون على العرش في الهيكل حيث الجثث الغريبة تحيط به من كل مكان».

لقد فصلتهم الشريعة بحاجز لا يخترق عن العالم الخارجي وبالطبع لا يقدر أي عبراني ما عدا علماء التلمود، أن يستوعب هذا الكم الهائل من القوانين والأحكام، وأما الغريب فيطلع فقط على ما يجري عبر الرقابة الحاخامية من النسخ، وحتى لو تمكن الغريب من الحصول على الأصل فقط لكي يقارنها مع النص المترجم يلزمه مساعدة مجموعة كاملة من المختصين الذين يوافقون على العمل مدى الحياة.

توجد شكاوى دائمة حول عدم وجود ترجمة أمينة للتلمود ولكن لا يوجد سبب يدعونا إلى الانضمام إلى هذا الرأي، لأن ما هو معروف عن التلمود «بفضل العبرانيين الذين دخلوا المسيحية» يكفي تماماً لفهم طبيعة الحقيقة وبالتالي فالبراهين الجديدة لن تأتي بجديد.

بالنسبة للمصادر الجديرة بالاحترام نذكر «الموسوعة العبرانية» والترجمة الألمانية للتلمود الأورشليمي والبابلي «زيورخ عام /١٨٨٠م/ ولا يبزغ عام /١٨٨٩م/» وكذلك الأعمال التالية:

William Rubin (Der Alte Und Der Neue Glaube Im Judentum)
Starch (Einleitung In Den Talmud)
Haible (Jesus Christus In Talmud)
Drach (De L,Hamonie Entre I,Eglise Et La Synagogue) Geschichte Der Juden

ومن الملاحظ عدم وجود أي اعتراض على أن التلمود هو إنتاج بشري بينما تنتسب التوراة إلى صوت «يَهْوَه» الذي نسخه «موسى».

ولذلك الأمر أهمية كبيرة والأمر شديد الوضوح: فمن الصعب جداً العثور مرة أخرى على كتابات لـ «موسى» غطتها أوساخ وغبار القرون الطويلة» ولذلك اضطر علماء الشريعة إلى أخذ المسؤولية على عاتقهم على أساس مزعوم يعطيهم الحق المطلق بتفسير صوت الرب وبذلك كشفوا الحقيقة والتي تبدو واضحة تماماً. إنهم يُعدون أنفسهم رباً على الناس. و «كاستين» مصيب تماماً حين يقول: «ليس الرب من خلق هؤلاء الناس وخططهم بل على العكس هؤلاء

الناس هم من خلقوا الرب لأنفسهم وخلقوا معه خططهم». وفقط كان من الأدق على «كاستين» القول هؤلاء الكتبة بدلاً من القول هؤلاء الناس. فالجيل القديم من الكتبة ألف ما جاء في التثنية أما الجيل اللاحق منهم فقد ابتدع الرب التلمودي وعند اكتمال كتابة التلمود ظهر سؤال طرح نفسه وهو هل ستتمكن الطائفة الحاكمة من إجبار يهود العالم على القبول مرة أخرى بقانون جديد.

وعلى مثال ما فعل «عزرا» و «نحيميا» عام /٤٤٤ق.م/ عندما آجبرا يهود أورشليم على الخضوع للاتفاق الجديد بفضل المساعدة الفارسية، فقد نجحت الطائفة هذه المرة أيضاً بحل هذه المسألة.

وفي المؤتمر الصهيوني العالمي الثاني في «بال» عام /١٨٩٨م/ صرح صهيوني من كييف اسمه «ماندل شتام»: «يرفض العبرانيون فكرة الانخراط في الشعوب الأخرى رفضاً قاطعاً وهم أوفياء دوماً لأملهم التاريخي في إنشاء إمبراطورية عبرانية عالمية». والقرن العشرون هو شاهد حي على الجهود الضخمة التي تبذل لتحقيق هذا الأمل. وقد ساعدت منظومة «الغيتو» وبشكل كبير على تحقيق ذلك. لقد نجح التلموديون وساعدت الدعاية القوية في القرن العشرين على الزرع في رؤوس الناس فكرة تقول بأن «الغيتو» هو ما يشبه المعتقل يحشر اليهود فيه بضغط من مضطهدهم الغرباء. وقد تعرض كل تاريخ الظلم والاضطهاد، الذي مرت به شعوب مختلفة في الغرب، إلى التشويه والتزوير ولم يبق فيه إلا ما يحكي عن اضطهاد اليهود.

وعلى مدى الـ /١٩٠٠/ سنة الأخيرة تعرضت شعوب وأقوام كثيرة للاضطهاد ومن ضمنهم اليهود طبعاً. ولكن في نهاية الأمر كانت نسبتهم قليلة بالمقارنة مع النسبة العامة، فعلى سبيل المثال أيام الحكم السوفييتي في روسيا حدث اضطهاد مخيف ولكنه لم يشمل اليهود لأن اليهود كانوا على رأس من اضطهد الآخرين، وكاتب هذه السطور عرف ذلك من تجربته الخاصة والتي من دونها لم يكن بإمكانه إلقاء الضوء على ذلك.

«الغيتو» لم يخلقه الغرباء لليهود لقد كان «الغيتو» ضرورة منطقية برزت من قوانين التلمود وبداياته كانت من التجربة اليهودية في بابل. لقد قرر التلمود منع الغرباء من مجاورة اليهود وحرم على اليهودي بيع أملاكه للغريب إذا كانت تجاور أملاك يهودي آخر. والهدف من ذلك واضح جداً وهو عزل العبرانيين عن بقية الناس عن طريق حشرهم في «الغيتو».

لقد ظهر آول «غيتو» في بابل على أيدي اللاويين وبمبادرة من السلطات المحلية، وأما «الغيتو الثاني» في التاريخ فقط ظهر في أورشليم حين قام «نحيميا» وبمساعدة جنود الفرس بطرد الغرباء من المدينة وأحاطها بأسوار عالية. وعلى نفس المنوال ظهرت في ما بعد في أوربة.

ولا شك بأن «الغيتو» هو أثقل الموروثات المعنوية بالنسبة للعبراني المعاصر وقد كتب أحد الشعراء العبرانيون قائلاً: «غيتو، يا صديقي، حيث تموت كل الآمال مع الولادة»..

وعلى الرغم من أن اليهودي المعاصر لم يعرف «الغيتو» ولم يعان منه إلا أنه يظل يشعر بالرعب عند التفكير به. لقد ابتدع التلمود «الغيتو» ليخضع أجداده وكان «الغيتو» في ذلك الوقت وسيلة مثالية لعزل اليهود المبعثرين في أرجاء العالم وإغلاقهم في حظائر وإبقائهم بذلك تحت الرقابة الدائمة.

وكان طلب تنظيم «الغيتو» يخرج من الطائفة ومن التلموديين أنفسهم وأما الادعاء المعاصر بأن «الغيتو» يعني اضطهاد اليهود فهو جزء من أساطير الاضطهاد الهادفة إلى إخافة اليهود وإجبارهم على عدم الاعتماد على النفس خارج نطاق الجالية. ونفس الهدف تخدمه الأساطير الحالية عن «معاداة السامية».

ففي الإسكندرية القديمة والتي يمكن اعتبارها مثل نيويورك في عصرنا وكذلك في القاهرة وقرطبة في القرون الوسطى جرى حشر اليهود في أحياء خاصة بناء على إصرار الحاخامات الذين رغبوا على إبقاء مواطنيهم في عزلة.

وفي عام /١٠٨٤م/ وجه العبرانيون في مدينة «شبيرا» التماسا إلى العاهل الحاكم طلبوا فيه السماح لهم بإنشاء «غيتو» خاص بهم.

وفي عام /١٤١٢م/ صدر في البرتغال قانون ثبت فيه حق العبرانيين بإنشاء أحياء خاصة بهم في أرجاء الدولة كافة وذلك بناء على طلبهم.

وقد احتفل العبرانيون سنوياً بمناسبة إقامة أسوار لأحيائهم في مدن «فيروني» و «مانتوي» والذي صادف الاحتفال بالعيد اليهودي «بوريم».

وأما في روسيا القيصرية وبولندا فقد كانت الأحياء العبرانية المغلقة هي إحدى الأسس التي تقوم عليها المنظمات التلمودية ولذلك اعتبرت أي محاولة للمساس بهذه الأحياء، اضطهاداً صارخاً.

وفي الثلاثينيات عندما هدم «غيتو» روما بأمر من «موسيليني» تباكت عليه الصحافة العبرية بالكلمات التالية: «لقد اختفى واحد من أروع صروح الحياة العبرانية هناك حيث وفقط منذ أيام قليلة كان يعج بالحياة وبقي فقط عدة أبنية مدمرة تقريباً لتذكر بـ «الغيتو» الذي اختفى.

لقد وقع ضحية لحب الفاشية للجمال «لأنه يشوه منظر المدينة» وبأمر من «موسيليني» أزيل عن وجه الدنيا».. وكما نرى فقد اعتبر تدمير «الغيتو» عملاً فاشياً. ويفسر المؤرخون

العبرانيون المعاصرون «الغيتو» كمظهر لاضطهاد اليهود «على الرغم من أنها أنشئت برغبة منهم».

واختفى «الغيتو» عن الوجود في عصر المساواة لأن الإصرار على بقائه كان سيفضح زعماء العبرانية ويبين أنهم لا يرون في المساواة إزالة الفوارق بين البشر. وقد كتبت «الموسوعة اليهودية» الصادرة عام /١٩٠٣م/: «في الوقت الحاضر لا يوجد في مكان في العالم المتحضر أي «غيتو» بمعناه التقليدي» والكلمات الأخيرة لها معنى خاص ذلك لأن العبرانيين لا يزالون في الكثير من الدول يعيشون بشكل أو بآخر بالقرب من بعضهم بعضاً. بالطبع اختفت الأسوار التي كانت تحيط بـ «الغيتو» ولكن «القانون» الذي يمنع بيع الأرض للغريب إذا كانت تجاور أرض عبراني آخر، لا يزال ساري المفعول وعلى سبيل المثال نذكر مدينة مونتريال في كندا حيث أدى هذا «القانون» إلى جعل القسم الواقع إلى الشرق من الجبل المركزي يعج فقط بالسكان العبرانيين.

وكان اختفاء «الغيتو» في عصر المساواة ضربة موجهة للدعائم الأساسية للسلطة التلمودية. وتطلب الأمر إيجاد بديل له على وجه السرعة. لأنه مع الاختفاء الملموس «للغيتو» كان هناك خطر اختفاء ما يسمى بروح «الغيتو» ووجد البديل بسرعة وظهرت الصهيونية وهي طريقة جديدة للوصول إلى الهدف القديم وهو جمع اليهود في زرائب تجبرهم على الانعزال عن بقية الناس وإليكم أحد التعليقات حول ذلك: «يطالب الكثيرون برقابة أقوى من العبرانيين على العبرانيين ويأسفون كثيراً لاختفاء «الغيتو» من روسيا بعد أن كان موجوداً في كل مكان وهو أمر سهل الرقابة كثيراً». «الحاخام ايلمير برغر». (المخبول فقط لا يدرك بأن الدعوة إلى الحياة الجماعية على أساس التقاليد القبلية القديمة هو عودة إلى «الغيتو».. وسخيف كل من يحاول تخليد «الغيتو».. وحتى المعرفة السطحية للتاريخ تبين بوضوح أن العبرانيين هم بأنفسهم من خلق «الغيتو»). «بيرنارد براون».

ومن الأقوال التي وردت أعلاه على لسان العارفين بهذه الأمور يتضح أن الصهيونية هي البعث الحقيقي «للغيتو» التلمودي وأن هدفها هو تدمير كل ما جاءت به المساواة ومن جديد عزل اليهود عن الغرباء.

إن الدعوات «الشوفينية» إلى الاحتلال وإنشاء الإمبراطورية العبرانية في الشرق الأوسط هي عبارة عن قناع يغطي الأهداف الحقيقية لهذا العمل.

ولو لم تقم الصهيونية بتشويش دماغ العبرانيين ولو أنها لم تحصرهم، من جديد، داخل الأسوار الجماعية لولا ذلك، لكان لهم طريق مختلف تماماً يمكن استقراؤه في مقالة «موقف

اليهودية المعاصرة» المطبوعة عام /١٩١٦م/. في «الموسوعة العبرانية» حيث تقول: «اليهودية المعاصرة جرى تجسيدها في قرارات المؤتمرات الحاخامية. ومن مواعظ الحاخامات نرى أن أساس اليهودية هذه هو الاعتراف بالمساواة بين كل أعراق وأجناس الإنسانية، وأن قوانين العدل والحق هي العليا لكل الناس بغض النظر عن الفروق الدينية أو العرقية بينهم، والإنسان لا يكون تقياً منذ لحظة ولادته. وغير العبراني يمكن أن يصل إلى نفس درجات التقوى النقية تماماً كالعبراني.. وفي الكنيس المعاصر عندما يقال «أحب قريبك كما تحب نفسك» فالقصد من ذلك كل البشر»..

ومن الواضح أن الكثير قد تغير منذ عام /١٩١٦م/ وفي عام /١٩٥٥م/ أصبحت هذه الكلمات تتحدث فقط عما كان يمكن أن يكون. ومن الممكن جداً أن يتابع بعض الحاخامات بإلقاء مثل هذه المواعظ حتى في المستقبل. ولكنهم على أي حال لن يتمكنوا من الاستمرار طويلاً في ذلك وإلا عليهم أن يكونوا أبطالاً مستعدين للعذاب حتى يستطيعوا الوقوف ضد رعاياهم المشبعين بالصهيونية منذ فترة طويلة. وبما أن الصهاينة قد تمكنوا من السيطرة على الجموع العبرانية كافة بالإضافة إلى الحكومات الغربية، فلن تستطيع احتجاجات بعض الناس على تغيير أي شيء.

لقد أعاد الصهاينة القانون اللاوي إلى شكله الفريسي التلمودي، وبنفس قوته السابقة القديمة، ولا شك بأن كل ما قاموا به وما سيقومون به ضد الشعوب الأخرى ينطلق من هذا القانون.

وفقط بعد عام واحد من نشر المقالة المهذبة «للموسوعة العبرانية» وبالضبط في عام /١٩١٧/ حدثت في العالم تغييرات ضخمة جداً. لقد سيطرت تقاليد وأعراف التلمود على عقول العبرانيين ولن يكون بمقدور أي «مواقف يهودية معاصرة مهما كانت مهذبة أن تصمد في وجه الضغط القوي المفضوح لحكماء صهيون المتطرفين الذين سيطروا على الساحة السياسية الدولية.

الفصل السادس عشر

انتظار المسيح المرسل

عاشت الجاليات العبرانية في «الغيتو» وتحت رقابة النظام التلمودي بوسائله الإرهابية المباشرة: بدءاً من الوشاية. وإطلاق اللعنات والطرد والنبذ ووصولاً إلى الحكم بالموت، ومن الواضح أن منظومة البوليس السري والمعتقلات في الدول الشيوعية بنيت على هذا الأساس المعروف جيداً من قبل مؤسسي هذه الدول التلموديين.

وقد أفرزت منظومة الإرهاب والعقائد الجامدة وعلى مدى مئات السنين، نتيجتين جديدتين: الأولى هي الظهور المتكرر للممسوحين والمرسلين المزعومين وهي إن عبرت عن شيء فإنما تعبر عن رغبة عارمة في المجتمع العبري في التحرر من الإرهاب المعنوي.

ومن ناحية أخرى كانت تظهر احتجاجات متفاوتة وسط اليهود أنفسهم ضد العقائد الجامدة. ومن المعروف أن التلمود حرم على اليهود القيام بأي عمل إلا جمع المال «حسب تعابير «كاستين» حيث يقول: «لقد سمحوا للناس فقط بتلك الحرية التي كانت ضرورية للعمل الاقتصادي..» وكذلك سمحوا بدراسة التلمود «بالإضافة إلى جميع التفسيرات التي مست كل أحوال وظروف الحياة والتي قدمها الكهنة باستمرار».

ووجهت طاقة شعب كامل لشد الشباك التي كان واقعاً فيها هذا الشعب بشكل أقوى وكان على أفراده إن يفكروا جيداً قبل ان يتنفسوا أي نفس أو قبل إن يقوموا بأي حركة «هل يمنع التلمود ذلك. أم يسمح به» والجواب بالطبع كان دائماً عند الكهنة من الطائفة المسيطرة. ولكن حتى عند أكثر الناس خنوعاً وطاعة كانت تظهر مع الزمن بوادر الشك في صلاحية شريعة كهذه: «هل يمكن أن تكون كل قاعدة سلوك أو تحريم قد جاءت من عند الرب على جبل سيناء؟»

وطبعاً كان الكهنة والحكماء يصرون دائماً على صحة ذلك: «حسب العقائد اليهودية أعطى الرب لـ «موسى» على جبل سيناء جميع الشرائع المكتوبة والشفهية مع كل التفسيرات اللازمة لها وكيفية تطبيقها».. هذا ما كتبه «ألفرد ايدرغسيم».

ولكن الشعب على الرغم من خضوعه الظاهري لكل ذلك فقد كان داخلياً يرفض في أغلب الأحيان هذه المطالب السياسية مما أدى في أحيان أخرى إلى نتائج ملفتة للانتباه.

فمثلاً، الماران البرتغالي «أوريل دي كوستا» «الماران هم اليهود الذين تظاهروا باعتناق المسيحية» ارتد إلى اليهودية ولكنه فيما بعد صدم بما جاء في التلمود. ونشر في عام /١٦١٦م/ في هامبورغ «مقالات ضد التقاليد» وفضح فيها الفريسيين عندما أكد أن التلمود من صنع أيديهم وليس للرب علاقة به وبقوانينه. وقد وجه في عمله هذا إشارة إلى عبرانيي البندقية ولكن حاخامها المدعو «ليومودينا» وبأوامر من الأعلى، أطلق على «كوستا» لعنات رهيبة وطرده من اليهودية ولكن بعد موت الحاخام اتضح من الأوراق التي تركها خلفه بأنه كان موافقاً تماماً مع «دي كوستا» ولكنه لم يجرؤ على التصريح بذلك.

و «ليو مودينا» هذا كان يمكن أن يكون شيوعياً نموذجياً في عصرنا الحاضر، يحكم على شخص ما بالموت المدني بسبب أرائه في الوقت الذي يؤمن هو نفسه بهذه الآراء ولكن خفية عن الآخرين.

«دي كوستا» لم يستسلم ونشر في عام /١٦٢٤م/ «دراسة في التعاليم الفريسية عن طريق مقارنتها مع الشرائع المكتوبة».. بعد ذلك اشتكاه تلموديو أمستردام «وهي مكان إقامته» إلى المحكمة بحجة أنه بأبحاثه هذه ينسف أسس المسيحية وقد أقرت السلطات غير العبرانية هناك حرق أعماله. وأخذ يضيق الخناق على «دي كوستا» حتى دفع إلى الانتحار عام /١٦٤٠م/.

ويمتلئ التاريخ العبراني بالكثير من هذه الأمثلة لذلك يقلب المؤرخون صفحات التاريخ اليهودي بخوف كبير. ولا شك بأن ما دعي بالنبذ العظيم هو على مساواة الحكم بالإعدام أو أشد وفي الحقيقة كان ذلك هو الهدف من إطلاق اللعنات على رأس الضحية. وكانت النظرة إلى تلك اللعنات نظره جدية جداً ولا يزال الأمر كذلك إلى هذا اليوم.

وفي مقالتها عن اللعنات كتبت الموسوعة العبرانية: «تكشف الأدبيات التلمودية عن الإيمان بالقوة الفعالة للكلمات والتي تصل إلى حد الخرافة الواضحة.. واللعنات التي يطلقها الحاخام العالم واقعة لا محالة حتى ولو كانت ظلماً..

وفي بعض الأحيان يلعن من غير أن ينطق بأي كلمة وفقط يلقي الحاخام نظرة حادة على الضحية ويكون ذلك كافياً ليؤدي إلى الموت المفاجئ أو على الإفلاس والفقر».

وحتى يومنا هذا لا يزال هناك من يعتقد ويؤمن «بالعين التي تصيب» وتقول الموسوعة عن هذا الاعتقاد: «هذا الاعتقاد القديم كان معروفاً عند جميع الشعوب والأعراق وهو لا يزال حياً بين الجهلاء والمتخلفين حتى الآن».

وحسب «الموسوعة العبرانية» تتعادل هذه اللعنات حسب الشريعة اليهودية مع حكم المحكمة.

وقد ذكر مترجم التلمود الإنكليزي «م. ل رودكينسون» أن «سطراً واحداً في التلمود لم يتعرض للتغيير» وبالتالي فالتلمود يتابع فقط تقاليد وأعراف اللاويين المذكورة في كتاب «التثنية».

وتؤكد الأمثلة المستعرضة أن اللعنات سواء جاءت عن طريق الكلمة أو «الإصابة بالعين» فهي لا تزال جزءاً من الشريعة. وكمثال على قوة ضربة العين يذكر «واي تكر تشامبرس» «Whittoker Chambers» لقاءه مع أحد المحامين اليهود المدافعين عن الجاسوس السوفييتي «آلجير هيس». وبعد أحد هذه اللقاءات أراد «تشامبرس» الانتحار وفقط المصادفة أنقذته من ذلك. وكان الطرد والنبذ سلاحاً رهيباً ويشهد على ذلك «م. ل رودكينسون»:

«من السهل فهم كم كان مرعباً انتقام الحاخامات من الإنسان العادي أو حتى العالِم الذي تجرأ على النطق برأي يخالف أي شيء من رأيهم الخاص، أو على سبيل المثال مخالفته شريعة يوم السبت باستخدام منديل أنف أو تناول قليل من الخمر الغريب «غير العبراني» وهو حسب رأيهم إخلال بالشريعة. من يتجرأ على الوقوف ضد سلاح طردهم المخيف والذي يحول الإنسان إلى حيوان مسعور يهرب الناس من طريقه. لقد بلعت القبور الكثير ممن شربوا من هذه الكأس أو أصيبوا بالجنون»..

وهذا المصير أصاب الكثير من العلماء المشهورين ومنهم «موسى الميموني» المولود في قرطبة مركز التلمودية وهو الذي وضع في عام /١١٣٥م/ قانون أسس اليهودية وتجرأ على كتابة ما يلي: خلال عقد الصفقات يمنع خداع أو غش أي شخص ويجب معاملة الغريب غير اليهودي تماماً مثلما يعامل اليهودي.

يتخيل البعض أنه من المسموح خداع الغريب- هذا خطأ كبير أساسه الجهل... إن أي خداع أو نفاق أو مكر تجاه الغريب غير اليهودي- هو أمر لا يقبله الرب العظيم ولا يسامح من يقوم به.

ولكن كلام «الميمون» لم يرق للتلمودين واشتكوه إلى محاكم التفتيش وكانت التهمة الموجهة له: «يوجد في صفوفنا بعض الهراطقة والكفار وقد ضللهم «موسى بن ميمون»... أنتم تطهّرون صفوفكم من الهراطقة. طهروا صفوفنا أيضاً»..

وقد حرقت كتب «بن ميمون» في باريس على أساس هذه الشكوى وأما على قبره فقد كتبوا لوحة نقش عليها «هنا يرقد يهودي منبوذ».

وفي العصور السابقة نفذت محاكم التفتيش وكذلك الحكام الغرباء كل مطالب اليهود كما ينفذ الآن هذه المطالب السياسيون كافة من مختلف الدول والاتجاهات.

وعلى الرغم من ذلك يجري تزوير التاريخ لإقناع الناس بأن هدف محاكم التفتيش الأساسي كان «اضطهاد اليهود» ومرة أخرى نأخذ مثالاً على ذلك من كتاب «كاستين» الذي يذكر أول الأمر آن محاكم التفتيش طاردت الهراطقة وكذلك كل من اعتنق ديناً آخر ثم يضيف: «أي اليهود على وجه الخصوص». وبعد ذلك يأخذ بتصوير الأمور وكأن اليهود فقط هم من تعرض إلى الاضطهاد وعلى غرار ذلك قسموا في أيامنا الاضطهاد الهتلري إلى أربع مراحل بغرض التشويه الدعائي وهي: «في البداية دار الحديث عن اضطهاد «هتلر» للخصوم السياسيين ومن ثم اضطهاد الخصوم السياسيين واليهود بعد ذلك اضطهد «هتلر» حسب أحاديثهم اليهود والخصوم السياسيين وأخيراً تكلموا فقط عن اضطهاد اليهود».

أحياناً قامت محاكم التفتيش بحرق التلمود على الرغم من أننا نعتقد أن الأجدر هو كان ترجمتها والإشارة إلى أكثر الأماكن إثارة فيها وهو أمر بلا شك مفيد حتى في أيامنا هذه.

ولكن ليس التلمود فقط هو الذي أحرق بل وكذلك الكتب التي انتقدته وفضحت ما فيه وجرى ذلك بناء على طلب الطائفة العبرانية المتسلطة.

وفي باريس لم تتجاوب محاكم التفتيش عام /١٢٤٠م/ مع شكاوى الطائفة ضد «نيكولاي دونين» الذي ترك الدين اليهودي واعتنق المسيحية ولكنها تجاوبت قبل ذلك وحرقت كتب «بن ميمون» المعادية للتلمود عام /١٢٣٢م/.

وكذلك شكل خطراً على التلمود الفيلسوف «باروخ سبينوزا» من مواليد أمستردام وقد نبذ وطرد من قبل حاخامات أمستردام وألقيت اللعنات «على دماغه» المأخوذة مباشرة من كتاب «التثنية»: بناء على حكم الملائكة وأوامر القديسين نحن نطرد ونلعن «باروخ سبينوزا» أمام هذه الكتب المقدسة بكل ما فيها من كلام مقدس وبكل اللعنات التي أطلقها «يشوع بن نون» على أريحا.

نحن نلعنه كما لعن «إيليسي» الأطفال. نحن نلعنه بكل اللعنات الموجودة في التوراة. ليكن ملعوناً ليلاً ونهاراً. لتحل عليه اللعنة عندما يخرج وعندما يعود ولا يناله سماح الرب أبداً. ليحل على هذا الإنسان عقاب الرب وغضبه ولتصيبه كل اللعنات المكتوبة في التوراة. وليشطب الرب اسمه من قائمة سكان السماء وليفرزه للموت من بين أبناء إسرائيل مسربلاً بلعنات السماء المذكورة في التوراة.

ليقاطعه الجميع ولا يحدثه أحد أو يكتب له. ولا أحد يعطف عليه ولا يقف معه أحد تحت سقف واحد ولا يدنو منه قريباً.

بعد ذلك طرد «سبينوزا» من أمستردام وحسب كلام الموسوعة: تعرض للاضطهاد الذي هدده بالموت.

وبالفعل كلفه هذا الاضطهاد حياته ومات على نفس طريقة «ل. م رود كينسون» «ذكر ذلك سابقاً». فقد مات في فقر مدقع بعد أن هجره الجميع وعمره فقط /٤٤/ سنة، بعد أن عاش في مدينة مسيحية بعيداً عن التلموديين «ولكن كما يبدو ليس البعد الكافي الذي يمكن أن يحميه من الموت المقدر له».

وبعد ذلك بمئتي سنة اتهموا «وفي عهد المساواة» العبراني الألماني «موسى مندلسون» بالهرطقة لأنه تجرأ ودعا اليهود إلى الانخراط في الإنسانية مع المحافظة على دياناتهم. وحيث ذلك يعني فيما يعني التحرر من قيود التلمود والعودة إلى أفكار الدين القديمة الأصيلة والتي شعر بنورها الأنبياء الإسرائيليون القدماء.

وقد كانت الفكرة الأساسية التي طرحها هي: «يا أخوتي منذ الآن سيروا على درب المحبة كما سرتم حتى الآن على درب الكراهية»..

وقام بترجمة التوراة لأطفاله إلى اللغة الألمانية ومن ثم نشر هذه الترجمة لتستخدم وسط العبرانيين. ولكن حاخامات التلمود أعلنوا بأن «ترجمة التلمود تصلح لتعليم الشبان اليهود اللغة الألمانية ولكنها لا تصلح لدراسة التوراة»..

ومن ثم جاء بعد ذلك الأمر الأهم: «على جميع المؤمنين اليهود وتحت طائلة عقوبة النبذ، الامتناع عن استخدام هذه الترجمة». بعد ذلك جرى حرق كل نسخ هذه الترجمة أمام عيون الجميع في برلين.

وطبعاً كانت مسألة تطوير الدين اليهودي تثير على الدوام اهتمام المجتمع العبراني إلا أنها لم تحرز أي نجاح أبداً ضد سطوة الجماعة المتسلطة وكان لذلك سببان اثنان:

الأول وهو أن السلطات الغربية كانت تقف دائماً إلى جانب الجماعة المتسلطة.

والثاني هو اعتياد الجمهور العبراني على الطاعة التامة والخضوع الأعمى.

وفي عصرنا الحالي يخطئ بعض الإصلاحيين اليهود عند اعتقادهم بأن ذلك الإرهاب قد فقد سطوته وقوته، فعلى سبيل المثال كتب «برنارد براون» عام /١٩٩٣/ «Bernard Brown»: «لقد فقد التهديد بالنبذ سطوته وقوته... وبإمكان الناس الآن وبحرية الاعتقاد بكل ما يريدون»..

وفي عام /١٩٤٦/ كذلك أعتقد الحاخام «آمير بيرغر» بأن «العبراني العادي لم يعد لديه ما يخاف منه من عقوبة النبذ»..

ولكن هذين الرأيين كانا سابقين لأوانهما تماماً حيث أثبتت الأعوام القادمة أن الطائفة المتسلطة لا تزال قوية وقادرة على إخضاع اليهود لسلطتها أينما كانوا. وعلى الرغم من التفسيرات التي حصلت على مدى القرون إلا أن جدران «الغيتوات» بقيت مغلقة ومن خلفها يسمع صوت النواح والبكاء.

وهذا الأمر بالذات دفع الحاخامات نحو اتخاذ إجراءات بدت أول الأمر وكأنها تخفف من القسوة الحزم. وكان ذلك في عام /٩٠٠م/ حيث سمح «بمناقشة التلمود والعقائد الدينية الأخرى» وهو أمر ذكره «كاستين».

وظاهرياً بدا الأمر وكأنه ضد الدين والعقيدة نفسها والتي حرمت كما هو معروف أي تغيير أو تشكيك في كتابات الحاخامات ولو بحرف واحد. أجل حُرم أي شك بالمصدر الرباني «الذي جاء على جبل» سيناء لهذه التعاليم. وكان النقاش المقترح كفيلاً بأن يظهر «الغيتو» كالريح النقي ولكن لو كان ذلك مسموحاً به حقاً لما اضطهدوا «بن ميمون وسبينوزا». لقد سمحوا فقط وفي داخل المعابد والمدارس الدينية بنقاشات جدلية هدفها الوحيد دعم الشرائع وتقوية الأحكام وسمح لأطراف النقاش إثبات وبرهان أن كل ما في حدود التلمود صحيح وشرعي وكان أحد الأطراف يطرح رأياً ويقوم الطرف الآخر بطرح العكس تماماً ولكن في الوقت نفسه يؤكد الطرفان على صحة الشريعة والأحكام في كلتا الحالتين وسميت هذه الطريقة بالتضليلية وهي تشرح المقدرة الفائقة للصهاينة بتبرير مواقفهم أمام مواطنيهم وشطارتهم في التغرير بالآخرين وهو أمر لا تقدر عقول الغرباء على استيعابه.

يقوم أحد المتجادلين المتمرس في التضليل وبسهولة بإثبات عدالة الشرائع اليهودية التي تصر على تحويل الخدم الغرباء إلى عبيد وفي الوقت نفسه يصور القوانين الرومانية التي تحرم ذلك على أنها اضطهاد لليهود، وعلى نفس المنوال يتم تصوير وتفسير القانون اليهودي المحرم للزواج المختلط على أنه «عزل طوعي» أما التحريم المسيحي المماثل له فيصور على لسانهم على أنه «تمييز متحامل متعمد» «الكلام لـ «كاستين»، ومن الطبيعي أن يُعدوا القانون الصهيوني، المبيح لاضطهاد وضرب العرب، أمراً عادياً مسموحاً به أما التعرض للعبرانيين فهو جريمة الجرائم تعاقب عليها كل الشرائع والقوانين. وكمثال واضح على التضليل يمكن اعتبار تعريف «كاستين» لهذا المفهوم بالذات: «هو مثال للتمارين الذهنية التي غالباً ما يلجأ إليها عندما يهدد الضغط الخارجي بخنق الإدراك الإنساني ولا يسمح له بالظهور الإبداعي إلى العالم الحقيقي»..

والكلمات هذه هي بحد ذاتها تضليل حقيقي. فلا أحد يضغط على الذهن والإدراك العبراني إلا الظروف السائدة داخل ملتهم وجماعتهم ومن قبل الطائفة ذاتها المعزولة مطلقاً عن العالم بفضل الشريعة والتلمود.

ويوجد هدف إضافي آخر لهذه النقاشات المضللة. لقد خلقوا داخل الطائفة شعوراً وهمياً عن اشتراك الناس هناك بعض الشيء في إدارة شؤون الطائفة. تماماً كما يهدف إلى ذلك في عصرنا الحديث التصويت على مرشح وحيد للرئاسة تابع للحزب الحاكم في بعض الدول. كان الهدف السياسي من النقاشات التلمودية هو إخماد وإطفاء العطش الشديد للحرية وسط الطائفة. وقد سمعت أحياناً كثيرة داخل هذه الطائفة أصوات محتجة تقول: «لقد نفذنا كل الشرائع والأحكام أين هي النهاية المجيدة؟» ولهذا السبب بالذات ظهر الكثير من المرسلين المزيفين والذين أثار ظهور كل منهم هستيريا جنونية داخل الطائفة بسبب الرغبة بالخلاص والفوز الموعود. ولكن الحاخامات كانوا كل مرة يتهمونهم بالكذب والجنون ويطلقون عليهم اسم المسوح الدجال. وكانت الجماعة المتسلطة مضطرة إلى ذلك لعدم قدرتها على تنفيذ ما وعدت به ومن المرسلين المزيفين ويمكن ذكر:

«أبو عيزه» من أصفهان في القرن السابع الميلادي وذو ناريا وهو سوري من القرن الثامن ميلادي و «يسعدي بن يوسف» من القرن العاشر. ولكن الأكثر شهرة بينهم كان «ثباطاي تسيفي» من «أزمير» والذي تلفظ في ذلك الحين في الكنيس عام /١٦٤٦م/ باسم الرب الرهيب الممنوع لفظه هناك وقد طردوه ونبذوه مما اضطره للهرب والاختفاء سنين طويلة ولكن تأثيره على ملة اليهود كان عظيماً، وعاد إلى «سميرنا» عام /١٦٦٥/ رغم أنف التلموديين وأعلن نفسه المسوح المنتظر.

وكانت الرغبة عارمة لدى جماهير اليهود بخلع قيود التلمود واستبدالها بنصر عظيم في أورشليم مما دفع الناس في «سميرنا» بالإضافة إلى العبرانيين في الكثير من دول العالم إلى الاعتراف به.

لقد أعلن «ثباطاي» أن عام/١٦٦٦م/ هو عام المسوح المنتظر وأعلن الانتفاضة ضد السلطان التركي في القسطنطينية «فلسطين كانت تابعة له» وأخذ الكثير من اليهود في مختلف أرجاء العالم، ببيع أملاكهم وحزم أمتعتهم استعداداً للعودة المظفرة إلى أورشليم ومن ثم السيطرة على العالم وجرت المراهنات بين يهود لندن عام /١٦٦٦م/ هل سيصبح «ثباطاي تسيفي» سلطان العالم أم لا.؟ «ورد ذلك في مذكرات صاموئيل بيبسا» ولدى وصوله إلى أورشليم اعتقل وزج في السجن وهو أمر زاد من شعبيته وحاصرت الجماهير الثائرة السجن مما

اضطر الأتراك إلى نقله إلى قلعة غالي بولي والتي تحولت إلى قصر فخم بفضل تبرعات أتباعه اليهود السخية.

وسيطرت هيستريا جماعية على شعب كامل متناثر في العالم أخذ يعد «ثباطاي» ملكاً على العالم بحق جاء ليحرر اليهود ويرفعهم فوق كل الشعوب.

وقام «ثباطاي» بفعل كل ما يقوم به حكماء صهيون دائماً وهو توزيع الوعود المستحيلة التحقيق- وهي علة أساسية في عقيدتهم ولا محالة ستقتلها في المستقبل. - ولكن «ثباطاي» وبخلاف الحكماء الحذرين ارتكب خطأً قاتلاً حين حدد موعد تحقق ذلك: آخر يوم من عام /١٦٦٦م/.

(في ذلك الوقت بدت نهاية هذه القصة واضحة، وقام المركز التلمودي في بولندا عن طريق مرسل خاص بإعلام السلطان التركي عن «المرسل الدجال») ولكن «ثباطاي» وجد الحل لوضعه الصعب: لقد أعلن في احتفال مهيب أقيم في سجنه الفخم عن اعتناقه للإسلام وعاش بعد ذلك في البلاط العثماني. وقد هزت هذه الفضيحة المركز التلمودي ولكن بعد فترة التقط أنفاسه وأعلن النبذ العظيم لكل أتباع «ثباطاي».

ولا يزال أتباع «ثباطاي» القلة ينتظرون عودته ويؤيدونه في كل ما فعل وما سيفعل بما في ذلك دخوله الإسلام.

ومن الواضح أن الصهيونية هي تواصل لما ذكر أعلاه وهي أحد أشكاله ومما لا شك فيه أن المصير ذاته ينتظرها. فبعد اختفاء «ثباطاي» عادت الجماهير العبرانية إلى عبوديتها المعهودة داخل «الغيتو» وعاد اليهود إلى حفظ الشريعة وأحكامها التدميرية.

الفصل السابع عشر

مهمة التخريب والدمار

إن دراسة عميقة لمئات الأجزاء من تاريخ صهيون تمكن من فهم المهمة الأساسية له والواضحة تماماً في الكلمات القليلة للكاتب العبراني «موريس صموئيل»: «نحن العبرانيين مخربون وسنبقى إلى الأبد مخربين... ومهما فعلت الشعوب الأخرى فلن يرضي ذلك أهدافنا ومتطلباتنا»..

في بادئ الأمر يبدو أن صاحب هذه الكلمات متكبر ومغرور ولكن الدراسة المعمقة للمسالة توضح أن كلامه صادق ونزيه، وهي تعني أن الإنسان الذي ولد عبرانياً وبقي على ذلك تقع على عاتقه مهمة الدمار ولا يملك الحق بالتخلي عنها أو التقاعس في تنفيذها.

والإنسان الذي ينحرف عن درب الشريعة لا يصبح في نظر القيادة عبرانياً جيداً وأما إذا أراد أو أجبر على أن يكون كذلك فعليه الانصياع للشريعة وتطبيقها. وذلك وحده يفسر ويشرح الدور التاريخي للقيادة العبرانية وهو التخريب والدمار.

وفي جيلنا في القرن العشرين وصلت مهمة التخريب إلى أقصى قوة لها وأعطت نتائج من الصعب حتى الآن استيعابها تماماً، وهذا ليس رأي مؤلف الكتاب فقط. فحول ذلك يتحدث الكتاب الصهاينة والحاخامات الذين كفروا باليهودية وخرجوا عليها بالإضافة إلى المؤرخين غير العبرانيين والجميع متفقون فيما بينهم على الدور التخريبي للعبرانية وهو كما ذكرنا أمر لا يشك فيه أي باحث يتمتع بأي قدر من الاستقلال والجدية.

ويروي اليهود تاريخ البشرية دائماً بشكل يتضح منه أن التخريب والدمار كانا دوماً مقدمة لا بد منها لتحقيق الشريعة اليهودية وتحقيق نصرها النهائي.

ويعني تاريخ البشرية بالنسبة للعبرانيين معنى يختلف تماماً عن معناه لدى المسيحيين الذين يعدون التاريخ هو أسفار تاريخ المسيحية وما كان قد حدث قبلها حتى الوصول على الأساطير.

أما بالنسبة للعبراني فالتاريخ مكتوب في التوراة والتلمود ومواعظ الحاخامات ويبدأ في عام /٣٧٦٠ق.م/ وهو تاريخ يزعم أن العالم تكوّن فيه ولا يوجد أي فرق بين الشريعة والتاريخ

وتجري جميع الأحداث أمام عيون العبراني كأحداث دمار وانتقامات عبرانية متكررة، ولا فرق إن حدث ذلك في العصر الحديث أم قبل ثلاثة آلاف سنة. وفي هذا السرد تفقد الشعوب الأخرى أي معنى أو أهمية، ولذلك من المفيد جداً للغرباء غير العبرانيين النظر إلى تاريخ العالم بعيون يهودية: عند ذلك سيرون أن جميع الأمور التي اعتزوا بها أو خجلوا منها ومن حدوثها ستصبح في عيونهم سخيفة لا معنى لها. باهتة اللون في إطار تاريخ صهيون الباهر.

وبالنسبة لليهودي المؤمن لا يزال العالم مسطحاً تماماً كما كان يُعد في القرون الوسطى واليهود هم سادته في المستقبل وهم في مركز الكون.

والمدهش أن الجماعة العبرانية الحاكمة استطاعت أن تفرض وجهه نظرها هذه على شعوب الغرب تماماً كما فرضت سابقاً «الشريعة» على اليهود.

ولا شك بأن أمر «اهدموا» هو الأساس في «الشريعة» التي ألفها اللاويون وفيه يتحول الدين بكاملة إلى قضية ثانية تماماً: الخضوع لأمر: خرب واهدم- وهو الطابع المميز له «أي للدين» ولم يكن اختيار هذه الكلمات عفوياً فقد كان من الممكن وضع كلمات أخرى مثل «انتصر أو احتل» أو «أخضع» الخ... ولكنهم اختاروا كلمة «دمر» بالذات وهي كلمة ابتدعها اللاويون الكتبة وعلماء الدين ووضعوها على شفاه الرب ليقولها، وهذا التزوير والتحريف في العهد القديم هو بالذات ما أراد فضحه «يسوع» عندما قال للفريسين: «أنتم... تعلمون قوانين البشر»..

ويبدأ تزوير التاريخ منذ البداية عندما ينسب اللاويون للرب كلمات زعموا أنه قالها عندما وعدهم بأرض الميعاد: «... ستفني كل الشعوب التي سيعطيها الرب إلهك لك»..

وحتى قبل ذلك عندما نسب أول عمل انتقامي كذلك إلى الرب: «وسأمد يدي واضرب مصر وأصيب جميع الأبكار على الأرض المصرية»..

ومنذ ذلك الحين يبدأ أمر «اقتل ودمر» يتجول في صفحات الشريعة كلها. وهو دائماً يقف في المقام الأول وفقط بعده يجري سرد الأحداث التاريخية. وفي بعض الأحيان يصور فعل الإفناء والتدمير على أنه صفقة تحدث بين الرب والشعب المختار: ففي بعض الأحيان يعرض الرب ويأخذ على عاتقه مهمة التدمير والإفناء وأحياناً يطلب الشعب المختار منه القيام بذلك. وفي الحالتين يصور فعل الإفناء والدمار كحدث مثير ورائع.

«وإذا قمت أنت بتنفيذ ما سأقول لك فسأكون عدواً لأعدائك... وستدمر جميع الشعوب التي سيعطيها الرب إلهك لك». «الخروج».

وكما نرى يعرض الرب هنا صفقة، التدمير مقابل «الالتزام» والأمر الأهم في جميع الشرائع والأحكام هو: «دمروا كل أماكن العبادة لدى الشعوب التي ستملكونها». «التثنية»

وأحياناً يكون العرض معاكساً: «ونذر إسرائيل للرب وأعطاه وعداً وقال: إذا أوقعت هذا الشعب في يدي فسأقيم اللعنة على مدنهم وسمع الرب صوت إسرائيل وأطلق يديه على الكنعانيين وأقام هو اللعنة عليهم وعلى مدنهم».. «الأعداد». والوعد بالتدمير والقتل يصور كشرط يتعلق بخدمات مقابلة ينفذها الشعب أو الرب.

وأمر «اهلكهم تماماً» - هو أحد العقائد الأساسية في الشريعة وأي ميل للرحمة والشفقة لا يعد خطأ بل يُعد إخلالاً شنيعاً بالشريعة.

وعلى هذه الجريمة بالذات «وحسب الشريعة كان ذلك جريمة ولم يكن ذنباً» عوقب «شاوول» أول وأخر ملك للدولة الموحدة بين إسرائيل و «يهودا».

وقد خلع «شاوول» عن العرش ونصبوا بدلاً منه على العرش «داوود» ورفعوا شأنه كثيراً بحيث سيكون «ملك وسلطان العالم كله في المستقبل من نسله»..

وتحتوي كتب الشريعة على دعوات متكررة لسحق وإفناء الشعوب المغلوبة ومثال ذلك القصة المجازة عن ضرب المدياني الذي نظم رواية عن «موسى» «الأعداد».

هذه هي القاعدة التي بنيت عليها كامل الشريعة وعلى أساسها سرد التاريخ القديم كله وثم تاريخ العصور التالية.

ومنذ تلك اللحظة التي رفضت فيها إسرائيل اليهود وتركتهم وحدهم مع اللاويين وقع هؤلاء تحت السيطرة التامة لكهنتهم الذين علموهم بأن الطلب الأساسي لـ «يَهْوَه» هو تدمير كل ما هو «غريب» وأنهم هم اليهود من اختارهم الرب لتنفيذ هذا الهدف.

وهكذا تحول اليهود إلى الشعب الوحيد في التاريخ الذي انحصرت مهمته في التخريب والدمار.

والدمار كملحق للحرب- هي إحدى ميزات التاريخ البشري المعروفة جيداً. ولكن لا أحد يدعو صراحة إلى الدمار كهدف معلن إلا التوراة والتلمود.

ونحن علينا شكر «موريس صاموئيل» على إشارته إلى ذلك التي ذكرت أعلاه.

في الفترة ما بين /٤٥٨-٤٤٤ق.م/ تمكن اللاويون وبمساعدة الفرس من تقييد الشعب الباكي بقيود عقيدتهم وعند ذلك ولدت أمة لعبت منذ تلك الفترة وعلى مدى العصور دور الوسائط: هي نفسها لم تتغير أبداً ولكنها كانت وبشكل دوري تقوم بتغيير طبع والظروف الحياتية للشعوب المحيطة بها.

وأصبح العبرانيون وسطاء عالميين يؤدون تفسيرات مميتة تجلب الحزن والتعاسة للشعوب الأخرى. «والسبب الأساسي هو خوف وتملق حكام هذه الشعوب لليهود».

ولكن كل ذلك لم يقدم أي شيء مفيد لليهود أنفسهم ولم تجلب هذه المهمة الكئيبة التي توارثوها أي خير أو سعادة لهم. وعلى الرغم من كل الأذى فقد بقيت الشعوب الأخرى حية ترزق وستستمر في ذلك على الرغم من كل «دانيالات» و «موردوخايات» «جمع مردوخاي» الماضي القديم والحاضر الساري.

ولقد فرضت الشريعة على الشعب المختار التدمير المريع للشعوب المضيفة لهم على الأخص «على الرغم من أن «يَهْوَه» هو الذي شرد اليهود وقذف بهم وسط هذه الشعوب عقاباً على عدم الالتزام بالشريعة». وبالطبع من الصعب النظر بجد إلى كل الخروج التوراتي. فلا شك بأنه أسطورة ألفها اللاويون في أورشليم وبابل بعد قرون كثيرة من الوقت الذي قد يكون جرى فيه شيء من قبيل ما ذكر في هذا الخروج. لذلك لم يضطر الكتبة اللاويون إلى التنويه إلى أي تخوف أو حذر مصري مفترض من الغرباء الذين سكنوا وسطهم من أن يكون لديهم نوايا دموية معينة. وأما ما ذكر في الفصل الأول من الخروج والذي جاء فيه: «انظروا كيف صار بنو إسرائيل... تعالوا نحكم القبضة عليهم لئلا يكثروا فإذا وقعت الحرب ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويسيطرون على أرضنا»..

فقد ذكر فقط لتخويف اليهود أنفسهم وإعدادهم للقيام بمهمة الدمار. وهنا جاء ولأول مرة في التاريخ المبدأ القائل بأن شعباً عليه مساندة ومساعدة أعداء الشعب الذي استضافه واحتواه. وعندما وصلت الروايات إلى الحد التاريخي المعروف والمدروس نسبياً «على سبيل المثال سقوط بابل» فإن هذه الروايات رويت بشكل يشير إلى هذه الناحية بإصرار ملفت للنظر. فقد جرى تصوير اليهود كقوة مساعدة لأعداء بابل، حيث استقبلت ببهجة الفاتحين الفرس. وصوّر تدمير بابل على أنه انتقام «يَهْوَه» الموعود بسبب اضطهادها لليهود وفقط لأجلهم ونفس الأمر ينطبق على مقتل الملك البابلي والطريقة التي مات بها «وهو أمر غير ثابت تاريخياً ولا شك بأنه ابتداع «لاوي» ولكن مثل هذا الابتداع مهم جداً بالنسبة لنا كسابقة ابتدعت عن سابق إصرار وتصميم». والأحداث كما صورت في العهد القديم انتهت بحادثة انتقام أخرى وقعت هذه المرة على رأس الفاتحين الفرس.

وفي القرن العشرين غالباً ما يشعر قادة الغرب بالفخر عندما يقارنهم الصهاينة بالملك الفارسي الطيب «قورش» محرر اليهود، ومما لا شك فيه أن هؤلاء القادة لم يطلعوا على الشريعة بشكل جيد ولم ينتبهوا جيداً لما حدث بعد ذلك مع الفرس الذين دفعوا الثمن غالياً لأن اليهود عاشوا وسطهم.

ولمنح القصة المجازية المطلوبة ابتدع اللاويون شخصية جديدة وهي الوثني الذي كره اليهود واضطهدهم وهو «هامان» وزعموا أنه نصح الملك «ارتحشستا»: «فقال.. بين الشعوب

المتشتتة في المسكونة يعيش شعب ميال للأذى يتصرف بخلاف شرائع جميع الشعوب ويستخف بأوامر الملك، وأصبح عائقاً لتماسك المملكة وهو لا ينفذ قوانين الملك ولا يجوز للملك غض النظر عن ذلك».. «كتاب استير».

وعلى نفس المنوال وعلى مدى العصور وحتى يومنا هذا، فكر وتكلم الكثير من الساسة وأهل الحكم عن الشعب العبراني المختار وعن شرائعه الغريبة. ولكن كلمات «هامان» هذه حسب كتاب «استير» تبعتها كلمات أخرى: «وإذا رغب الملك فإن الخلاص منهم هو تدميرهم».. ويوافق الملك ويصدر أمراً بذلك. «ومن الواضح أن نصيحة «هامان» وكذلك أوامر «ارتحشثتا» كانت لازمة فقط لكي يتبعها الانتقام العبراني». وأرسلت إلى الحكام رسائل قالت: «يجب إن يباد كل اليهود بأيدي أعدائهم، هم ونساؤهم وأطفالهم ويجب أن يقتلوا جميعهم في يوم واحد في أول شهر في اليوم الحادي والثلاثين منه»..

ولاشك بأن مؤلفي كتاب «استير» كانوا بحاجة ماسة إلى قصة مبتدعه قديمة عن المستشارين اليهود الأقوياء المتنفذين في قصور الحكام الأجانب، ولذلك ابتدعوا شخصية «استير» التي أخفت أصلها اليهودي وأصبحت الجارية المحبوبة للملك الفارسي ومن ثم زوجته، وبعد تدخل «استير» المباشر والمثير ألغى الملك أوامره السابقة وأمر بإعدام «هامان» وعشرة من أولاده على مشنقة أعدت قبل ذلك لشنق «مردخاي» «وهو ولي أمر استير» بالإضافة إلى ذلك منح الملك لـ «مردخاي» حرية التصرف على هواه فقام «مردخاي» بإرسال الرسائل إلى حكام «مئة وسبعة وعشرين إقليماً» من الهند وحتى أثيوبيا يأمر اليهود فيها: «التجمع والوقوف لحماية حياتكم وإفناء كل الأقوياء من الشعب... والأطفال والنساء».

وعند وصول الأمر المعاكس هذا تملك اليهود فرح عظيم وأقيمت الحفلات الكبرى ودخل الكثير من الشعوب إلى اليهودية «- أمر مثير-» لأن خوفاً عظيماً من اليهود وقع عليهم»..

أما في اليوم المحدد فقد «ضرب اليهود كل أعدائهم وأسلموهم للسيف قتلاً وتدميراً وقتلوا في ذلك اليوم من الأعداء خمسة وسبعين ألفاً».

وأمر «مردخاي» الاحتفال سنوياً بيوم /١٤-١٥/ آذار كيوم «الفرح والبهجة». وهو أمر متبع حتى يومنا هذا.

«هامان»، «مردخاي»، «استير» - اختلاق واضح والتاريخ لا يعرف ملكاً بهذا الاسم كما جاء في الترجمة الإنكليزية للتوراة «اغاسفير»[1].

١- والذي تدعوه الترجمة العربية باسم ارتحششتا كما جاء في الكتب المقدسة -المترجم.

ولكن إحدى الموسوعات تكتب «على الأغلب لتنفخ الحياة في القصة المذكورة أعلاه». بأن «اغاسفير» عرف تاريخياً باسم «كسيركس». وإذا كان الأمر كذلك فهو إذاً كان والد «ارتحششتا» الذي أرسل جنود الفرس مع النبي «نحيميا» إلى أورشليم لزرع «القانون الجديد» العنصري. وحسب هذا الاحتمال نرى أن «ارتحششتا» الذي قتل اليهود خمسة وسبعين ألفاً من رعاياه الفرس هو الذي دعم وأرسل اليهود إلى القدس!

ولكن كل هذه الرواية لا تملك أي إثبات تاريخي وهي عبارة عن ابتداع مختلق معتاد للدعاية «الشوفينية». ولكن حتى لو كانت هذه الرواية مختلقة، في أيامنا هذه يمكن أن تصبح حقيقية بسبب خضوع الغرب الواضح للشرائع التي تقوم على مثل هذه التفاهات.

وبالطبع في أيامنا هذه لا يستطيع أحد أن يتحول إلى يهودي وعبراني ولكن الكلمات القائلة: «إن الكثير من الشعوب دخل اليهودية لأن خوفاً عظيماً من اليهود وقع عليهم». هذه الكلمات ترسم صورة معهودة ومألوفة من صور أيامنا الحالية، فالكثير من أبناء جيلنا يعجب بالصهاينة انطلاقاً من هذا السبب بالذات. ونحن نرى أمام أعيننا الصورة الحقة لساسة ورجال الحكم في القرن العشرين في لندن وواشنطن عندما نقرأ العبارة التالية: «وقف جميع حكام الأقاليم والقادة والأمراء إلى جانب اليهود وأيدوهم لأن الخوف من «مردخاي» وقع عليهم»..

وعلى الرغم من «موردخاي التوراتي» والملك الذي كان في عهده لم يكونا أمراً واقعياً. فإن «مردخاي» عصرنا هو موجود فعلاً وقوي جداً وأمامه ترتعد من الخوف حشود وأجيال من ساسه الغرب وحكامه. لذلك أيامنا هذه بالذات تجعل كل هذه الشخصيات القديمة المزعومة أمراً واقعياً ملحاً.

وليكن «دانيال» و «ارتحششتا» و «مردخاي» «الجالس عند بوابة الملوك» هي شخصيات مزعومة صورية خلقت لأهداف سياسية في برنامج اللاويين وليست شخصيات حقيقية لأناس عاشوا في الماضي، ولكن قتل القيصر الروسي وعائلته، وهي جريمة من الماضي القريب نفذت كما جاء في المقطع /٣٠/ من الفصل الخامس من كتاب «دانيال». وأما إعدام قادة النازية فكانت على طريقة الطقوس المذكورة في «استير» في الفصل السابع والتاسع.

وخلاصة هذه الحكايات، حقيقة كانت أم خيالاً في الماضي، أصبحت واقعاً في زمننا الحاضر. وليس غريباً أن يصبح أهم عيدين لليهود في الوقت الحاضر، العيد الذي يمجد أسطورة انتقام اليهود من المصريين وقتل جميع أبكارهم وكذلك عيد ذكرى انتصار «مردخاي» على أعدائه.

ومن يدري ربما يكون الأمر كذلك. وبعد خمسين عاماً من سيطرة بابل على اليهود ساعد هؤلاء الفرس بتدمير بابل. ومن ثم خلال الخمسين سنة المقبلة وقع المحررون الفرس تحت سيطرة

من قاموا بتحريرهم. وإن طغاة الملك الفارسي من الهند إلى إثيوبيا وخوفاً من اليهود سمحوا بقتل /٧٥٠٠٠/ شخص وإن كل من أشار إليه اليهود على أنه عدوهم كان يقتل على الفور.

ويكرر «برنارد دي براون» أقوال الحاخام «سلمون فيرغوف» وهو من شيكاغو والذي حسب رأيه فإن قصة «هامان» و «مردخاي» و «استير» «هي بالذات صلب ومحتوى تاريخ الشعب العبراني».

وأما «برنارد» نفسه فيُعد أن ذكرى «عيد بوريم» وإحيائه حالياً يجب أن تشطب ويلغى هذا الاحتفال السنوي لأنها تحولت إلى تقليد لتلك الاحتفالات التي كانت تثير القرف الشديد» لدى الأنبياء الإسرائيليين القدماء «ظهر «عيد بوريم» بعد فترة طويلة من محاربة النبي «هوشع» و «آشعيا» للاحتفالات والطقوس الفصلية» لقد كتب «بارون» عمله هذا عام /١٩٣٢/. ولكن زعماء النازية أعدموا في عام /١٩٤٦م/ في يوم عيد الغفران مما يوضح عدم جدوى اعتراضات «بارون» واحتجاجاته.

ويؤكد الاحتفال «بيوم بوريم» على الملامح الأساسية لتاريخ صهيون المتكررة باستمرار منذ قديم الزمان إلى يومنا هذا: وهي استخدام الحكام الغرباء لتحطيم الشعوب الغريبة وبالتالي تنفيذ الانتقام اليهودي.

وبعد «مردخاي» لم يعد العهد القديم يحتوي على أي معلومات تاريخية، مما يضطرنا إلى اللجوء إلى المصادر العبرانية الموثوقة للتأكد هل صورت لليهود الأحداث اللاحقة على نفس المنوال السابق وعلى أن مسلسل المآسي اليهودي سببه الغرباء، وأن العقاب والدمار للدولة الغريبة محتوم ولا مفر منه من الانتقام اليهودي. ويؤدي بنا ذلك إلى الاستنتاج بأن كل التاريخ وحتى يومنا هذا صور للجمهور العبراني، وعلى هذا الأساس. وبأن مصر وبابل وبلاد الفرس ذكرت في العهد القديم فقط من خلال علاقتها مع العبرانيين كعلاقة محتل ومضطهد، وفقط ليأتي بعد ذلك انتقام «يَهْوَه». وسار الأمر على هذا المنوال في تدوين التاريخ اللاحق وأهمل كل ما ليس له علاقة بهذا الموضوع الأساسي.

ومن خلال كتابات حكماء العبرانيين يتضح أن روما واليونان وغيرها من الامبراطوريات قامت وعاشت فقط من خلال علاقتها باليهود أو علاقة اليهود بها.

وكانت مصر الدولة التالية التي تحملت عبء القوة التدميرية لليهود بعد بابل وبلاد الفرس. فمن المعروف أن جالية اليهود في الإسكندرية كانت من أكبر وأقوى الجاليات العبرانية في العالم في ذلك الوقت، تماماً كما كان وضع الجالية العبرانية في روسيا في فترة /١٩١٤-١٩١٨م/ ووضع الجالية العبرانية في الولايات المتحدة حالياً. وكانت علاقة اليهود أو على الأقل علاقة قادتهم بمصر شبيهة بعلاقتهم ببابل وبلاد الفرس.

وكما كتب «كاستين» كانت «مصر ملجأ تاريخياً لليهود» وهي كلمات تبدو بداية الأمر وكأنها إظهار لشعور الامتنان والشكر، ولكن سرعان ما تنفي الكلمات التالية ذلك الشعور ويصبح واضحاً منها أن مصير هذا الملجأ هو الدمار.

وحسب «كاستين» «عاش اليهود في مصر منعزلين في تجمعات مغلقة فيها معابد خاصة بهم... ولا شك بأن المصريين شعروا بأن اليهود ومن خلال انعزالهم الديني كانوا يحتقرون دين المصريين ويرفضونه».

ثم يضيف قائلاً بأن العبرانيين كانوا طبعاً إلى جانب الفرس في حربهم ضد المصريين لأن الفرس ساعدوهم في العودة إلى أورشليم.

أي أن مصر لم تستحق وجهة النظر اليهودية لا الشكر ولا الوفاء من اليهود على الرغم من تقديمها الملجأ التاريخي لهم.

وساعد اليهود أعداء مصر ضدها وهو أمر خلق لدى المصرين شعوراً بعدم الثقة نحو اليهود. «والسبب الآخر للعدوانية كان حرص اليهود على عدم الانخراط والمحافظة على انعزاليتهم وبالتالي عدم مقاسمتهم للدولة المضيفة لهم ما يصيبها من مصائب...

الضرورة الحادة المعنوية للحفاظ على روابط مع كل فرع من فروع الأمة، الوفاء والإخلاص نحو جميع فئات الشعب من دون تفريق أثرت ومن دون شك على وفائهم كمواطنين لأي دولة من الدول المضيفة»..

«... وكما في بابل القديمة»، ينهي «كاستين» حديثه فإن اليهود المصريين استقبلوا الفرس بالورود على الرغم من أنهم لم يلاقوا من المصريين سوى حسن الضيافة والمعاملة الحسنة.

بابل، بلاد الفرس، مصر والآن جاء دور الإغريق في عام /٣٣٢ق.م/ احتلت اليونان بلاد الفرس ومن ضمنها مصر وأصبحت الإسكندرية عاصمة إغريقية ومما لا شك فيه أن الكثير من يهود المدينة أرادوا العمل بقول «آراميا» عن «العيش بسلام في المدينة». ولكن الجماعة الحاكمة وعقيدتها المدمرة كانت أقوى من ذلك.

و «كاستين» كإنسان صهيوني مؤمن بعقيدته يعد الثقافة اليونانية وعلى الرغم من أنها «كانت رائعة فكرياً وذهنياً» ألا أنها في الوقت نفسه كانت مثالاً للكذب والقسوة والنفاق والخداع والكسل والفساد والغرور وكذلك الظلم»..

وينهي «كاستين» حديثه عن الحقبة الإغريقية في التاريخ والعديمة الأهمية في نظره بقوله وهو يتفاخر: «كان يهود الإسكندرية السبب في تفسخ الثقافة الهيلينية..»..

بابل، بلاد الفرس، مصر، اليونان،... وهكذا على مدى التاريخ منذ خلق الكون وحتى بداية العصر المسيحي ذكر على لسان الكتبة اليهود والحكماء الصهاينة على أنها أمور يهودية بحتة، وأما الغرباء الوثنيون فيذكرون فقط عند اصطدامهم باليهود أو عند اقتراب حدوث دمارهم المحتوم من قبل اليهود في أوقات السلم والحرب.

هل يمكن اعتبار تصوير من هذا النوع للأحداث ما قبل المسيحية هو أمر صحيح؟ وهل يستمر الأمر نفسه في أيامنا هذه؟ وإذا احتكمنا إلى أيامنا فالأمر كذلك ولا شك بأنه كان كذلك في السابق أيضاً. ففي أيامنا يتشابه تضارب الشعوب فيما بينها مع الحروب الفارسية-البابلية في القديم والتي في البداية بدت وكأنها لا تمت بصلة إلى اليهود أبداً ولكنها انتهت بانتصارهم وانتقامهم.

أما الدمار والقتل الذي أتت به الحرب فتم تصويره على أنه تحقيق للشرائع اليهودية كما حدث في حالة قتل أبكار مصر وتدمير بابل ومذابح «مردوخاي».

وبعد اليونان جاء دور روما. وسيسرون الذي عاش في عصر ازدهار روما فهم على ما يبدو دور اليهود في قتل الحضارة اليونانية، الذي أشار إليه «كاستين»، لذلك فقد تلفت حوله خائفاً، عندما تحدث في اجتماع قضية فلاكّا، عن اليهود وقال بأنه على علم بالتفافهم على بعضهم بعضاً وإنه يخاطر جداً بوقوفه ضدهم ونصح كل من يتعامل معهم بالحذر الشديد.

وقد كرر كل من «عويدي» و «برسي» نفس التحذيرات، وأما «سينيكا» المعاصر للمسيح فقد كتب: «عادات هذا الشعب المجرم تنتشر بسرعة كبيرة ولديهم أنصار في جميع الدول وهم بذلك يمثلون المهزوم الذي يفرض شريعته على المنتصر».

وفي نفس ذلك الوقت تقريباً قام «سترابون» وهو جغرافي من روما بدراسة توزع اليهود وأعدادهم «وهي في وقتنا أكبر بكثير مما يسمح بذكره في الإحصاءات الرسمية». وقد كتب مؤكداً بأنه لا يوجد مكان على الأرض لا يتواجد فيه العبرانيون.

بالنسبة للشعوب المسيحية فإن روما واليونان هما صانعتا القيم الدائمة التي تقوم عليها الحضارة والثقافة الأوربية. فمن اليونان جاء الجمال ووضع الإغريق أسس الشعر كله وكذلك الفنون. أما روما فأعطت العدالة والقانون والحقوق وعلى أساسها قامت وثيقة الحرية العظمى Habeas Corpus وحق الإنسان بالمحاكمة المحايدة والمفتوحة وهي من أعظم منجزات الغرب.

أما بالنسبة للمؤرخين الصهاينة فإن اليونان وروما هما ظاهرتان عرضيتان مارقتان من ظواهر الوثنية مقرفة في شكلها ومحتواها وعن ذلك يكتب «كاستين» بازدراء: «اليهودية ومنذ البداية شاهدت في روما فقط القوة الفظه الغبية».

وبعد ظهور المسيح وخلال ثلاثمئة سنة طاردت روما المسيحيين واضطهدتهم وبدعم من اليهود الذين حرضوا سلطات روما على ذلك.

وبعد التعميد واعتناق المسيحية عام /٣٢٠م/ منع القيصر «قسطنطين» اليهود من ختان عبيدهم بالقوة أو امتلاك العبيد من المسيحيين، وكذلك منع الزواج المختلط وعلى الرغم من أن كل ذلك جاء كرد فعل على أفعال الشرائع اليهودية فإن «كاستين» اعتبر ذلك «اضطهاداً للعبرانيين».

وبعد انقسام الإمبراطورية الرومانية أصبحت فلسطين قسماً من بيزنطة وسمح لليهود بدخول أورشليم بعد أن ظلت فترة طويلة نظيفة منهم. ولكن عندما احتل الفرس فلسطين عام /٦١٤م/. خلال حربهم مع بيزنطة «اندفع اليهود من كل الجهات للانخراط في الجيش الفارسي. تابع «كاستين» قائلاً، «قاموا وبعنف يحركه رغبة الانتقام على الاضطهاد الذي دام /٣٠٠/ سنة» وأقاموا «المذابح الجماعية للمسيحيين». إن تحريم استعباد اليهود للمسيحيين هو اضطهاد واضح حسب رأي المؤرخ العبراني.

ولكن سرعان ما اختفى الشكر والحمد للفاتحين الفرس وبسرعة كبيرة بعد انتهاء المذابح اليهودية للمسيحيين وبعد /١٤/ عاماً من ذلك أخذ اليهود بالتفاوض مع إمبراطور بيزنطة هرقل وعرضوا عليه المساعدة في استعادة أورشليم من الفرس.

بعد ذلك جاء عصر الإسلام. وكان تشخيصه لليهود لا يختلف عن رأي سيشرون بهم وقد ذكره القرآن وقال إن اليهود سيكونون أقسى الأعداء للدين الجديد ولكن على الرغم من ذلك فإن الإسلام مثله مثل المسيحية لم يبطن ولم يظهر العداء نحو العبرانيين، لذلك نرى أن «كاستين» كان وديا نسبيا نحوه: «وأعطى الإسلام لغير المسلمين حرية اقتصادية كاملة ومنحهم إمكان إدارة أنفسهم... لقد كان الإسلام متسامحاً إلى حد كبير مع الأديان الأخرى... ولم تحصل اليهودية أبداً على إمكان الازدهار في ظل المسيحية كما كان ذلك في ظل الإسلام».

وقد منح المسلمون اليهود إمكان الازدهار على أرض أوربة في أسبانيا. وفتح المسلمون أبواب الغرب على مصراعيها وسمحوا لألد أعدائه بالدخول إلى هناك. ومع الجيوش الإسلامية انتقلت حكومة التلمود إلى أسبانيا وقبل ذلك كانت علاقة ملوك الأسبان باليهود المتواجدين بينهم لا تختلف كثيراً عن علاقة «سيسون» نحوهم. ففي الاجتماع الكنائسي الثاني عشر في طليطلة طلب آخر ملوك الأسبان من القساوسة: «اقتلاع هذا الطاعون العبراني من جذوره»..

وحصل ذلك عام /٦٨٠م/ وبعد ذلك بقليل انتهى عهد الملوك الأسبان وتمركز الفاتحون العرب في جنوب ووسط أسبانيا عام /٧١٢م/. وكتب «كاستين» يقول: «أقام اليهود نقاط تفتيش وحراسة في الأندلس». وأما المؤرخ العبراني المعاصر لنا «غريتس» «Groetz» فيصف لقاء العبرانيين الأول مع أوربة بتفصيل أكثر من «كاستين»: «قام اليهود القادمون من إفريقيا وأبناء جلدتهم المتواجدين في «شبه جزيرة البرنية» بدعم الفاتح العربي «طارق» وبعد المعركة الفاصلة في «خير سوم» في حزيران /٧١١م/ حيث سقط آخر ملوك الأسبان «رودريك».

واستمر العرب المنتصرين بالزحف وحصلوا على دعم اليهود في كل مكان. وفي المدن التي فتحها العرب أبقى قادة الجيش المسلمون حراستها على عاتق اليهود وتابعوا هم فتح البلاد وهكذا تحول اليهود من خدم إلى سادة في مدن قرطبة وغرناطة وملاقة وغيرها من المدن وعندما وصل «طارق» إلى العاصمة طليطلة كان يحرسها مجموعة قليلة من المسيحيين الذين دخلوا المعبد للصلاة فانتهز اليهود الفرصة وفتحوا الأبواب ورحبوا فرحين بالعرب المنتصرين وانتقموا بذلك من المسيحيين الذين اضطهدوهم فترة طويلة... وسلم «طارق» العاصمة كذلك لليهود. وعندما جاء حاكم إفريقيا «موسى بن نصير» إلى أسبانيا على رأس الحملة الثانية وفتح مدناً أسبانية جديدة كذلك سلم اليهود أمور مراقبتها وإدارتها».

وهنا نرى مرة أخرى تكراراً للمشاهد والأحداث الحقيقة والمختلفة التي اشترك فيها اليهود ومرة أخرى انتهت الأزمة بين شعبين غريبين إلى نصر عارم لليهود وانتقام شديد لهم. ومرة أخرى وكما حدث في بابل وفي مصر فقد انحاز اليهود إلى الغريب ووقفوا ضد الشعب المستضيف لهم «وفتحوا بوابات» المدن للغازي المحتل، وقام هذا المحتل بدوره بمنح اليهود المدن التي فتحها، ووقعت بالتالي العاصمة والمدن الكبرى تحت نفوذهم «أي نفوذ اليهود» في أسبانيا.

وعلى الأغلب لم ينتبه قادة الخليفة الإسلامي إلى تحذيرات «القرآن» تماماً كما أهمل الساسة المعاصرون لنا تحذيرات «العهد الجديد».

وأما بالنسبة للحرمان والذي انتقم اليهود بسببه بشراسة فإن أكثر ما فيه من قسوة، حسب كلمات «غيرتس»، كان منع اليهود من اقتناء عبيد مسيحيين: «وكان الأكثر ظلماً بينها هو التحديد بالنسبة لاقتناء العبيد. فقد حرم على اليهود شراء عبيد مسيحيين أو الحصول عليهم عن طريق الهدايا»..

ولكن لو ظن العرب أن اليهود سيشكرونهم فقد اخطأوا خطأ كبيراً «على العاصمة والمدن الأخرى». وإليكم ما كتبه الشاعر العبراني «يهودا هاليوي» من قرطبة في إحدى أغانيه:

كيف سأوي في بنذري المقدس

وأحصل على البركات

وصهيون لا يزال تحت وطأة الرومان

وأنا فقط محبوب العرب

بالنسبة لي كنوز وخيرات أسبانيا الأوساخ

أما غبار الأرض التي كان عليها هيكلنا

فهي كالذهب بالنسبة لي

وقد أقلقت مثل هذه التصرفات والكلمات الكثير من المسؤولين العرب، وها هو أحد المستشارين المدعو أبو عشاق يخاطب الخليفة في قرطبة محذراً بكلمات لا تختلف كثيراً عن كلمات سيسرون: «أصبح اليهود وجهاء كباراً ولم يعد صلفهم ووقاحتهم تعرف الحدود... لا تعين هؤلاء الناس وزراء لك... ذلك لأن الأرض كلها تشتكي منهم... ولن يمضي الكثير وستهتز بشدة ونموت جميعاً. لقد كنت في غرناطة وشاهدت كيف يحكمون هناك. لقد تقاسموا فيما بينهم جميع أقاليم البلاد وعاصمتها وفي كل مكان يجلس ويدير واحد من هذه القبيلة الملعونة.

هم يجمعون الضرائب ويغتنون ويلبسون أفخر اللباس في الوقت الذي ترتدي فيه آنت أيها المسلم الملابس البالية. هم على اطلاع على كل أسرار الدولة وفي ذلك ضرب من الجنون لأنه لا يجوز الوثوق بالخونة..».

ولكن الخليفة لم يعر أي اهتمام لذلك وتابع اختيار وزرائه من أتباع الحكومة التلمودية في قرطبة: وفي المرحلة الأسبانية يتضح أكثر من المراحل الأخرى أن الصورة اليهودية للأحداث، هي على الغالب كانت أقرب إلى الحقيقة عن السرد غير العبراني لها.

ومما لا شك فيه أن فتح أسبانيا كان يهودياً أكثر منه عربياً. أجل لقد استمرت السيادة الاسمية للمغاربة فترة /٨٠٠/ سنة وحتى نهايتها ظل اليهود أوفياء لعاداتهم وقاموا بمساعدة الأسبان على طرد العرب المغاربة. ولكن الحقد الشعبي العارم كان قوياً جداً على اليهود ولذلك كان التخفيف منه أمراً مستحيلاً، وكان الحقد بالدرجة الأولى منصباً ضد اليهود المتمسحين أو ما سمي بـ «المارانين» حيث لم يصدق أحد قصة اعتناقهم للمسيحية، وهنا كان الأسبان على قدر كبير من الحق لأن «كاستين» نفسه يقول إنه كان هناك اتفاق سري بين العبرانيين والداخلين الجدد على المسيحية. وكما هو معروف سمح التلمود بذلك في بعض الظروف الاستثنائية. وقد استخدم هذا السماح بشكل كبير.

وعلى الرغم من حقد السكان الكبير على اليهود وعلى «المارانين» فقد استخدمهم ملوك أسبانيا في المناصب المالية والوزارات. فعلى سبيل المثال عُين المدعو «إسحق ارابانيل» في منصب مسؤول المالية الحكومي وكانت مهمته تأمين الموارد المالية لانتزاع غرناطة. وأما وجهاء اليهود في هذه الفترة فقد ظلوا أوفياء للمبدأ القائل: «سلّف الجميع مالا ولكن أنت لا تستلف من أحد»..

ويؤكد «كاستين» على أن اليهود قدموا «معونة مالية» للشمال المسيحي في حربه مع الجنوب المسلم. وبعد سقوط أسبانيا ظهرت على السطح المشاعر المعادية لليهود والتي تراكمت على مدى ثمانية قرون وطرد اليهود من أسبانيا في عام /١٤٩٤م/ وفي عام /١٤٩٦م/ من البرتغال، ولا يستطيع حتى الآن المؤرخون الصهاينة غفران ذلك وهم على ثقة تامة بأن انتقام «يَهْوَه» سيصيب أسبانيا لا محالة. وجاءت الحرب الأهلية في أسبانيا بعد /٥٠٠/سنة من طرد اليهود من هناك ولكن العبرانيين اعتبروها الدفعة الأولى من مسلسل الانتقام الذي سيحل بأسبانيا. ولم يخجل الصهيوني العتيد وعضو المحكمة العليا للولايات المتحدة «برانديس» «Brandeis» أن يقول لحاخام عموم أمريكا المدعو «ستيفن عوزي» «Stephen Wise» عام /١٩٣٣/: «لتحصل ألمانيا على مصير أسبانيا».

ولا شك بأن مقاطعة أسبانيا من قبل «الديمقراطية العالمية» وعدم السماح لها لفترة طويلة بدخول الأمم المتحدة، يجب اعتباره دفعات أخرى من مسلسل الانتقام.

وحتى لحظة طرد اليهود من أسبانيا كان عمر المسيحية قد وصل إلى ألف وخمسمئة سنة وسارت أحداث هذه المرحلة على نفس الطريق المرسوم قبل المسيحية.

وتابع اليهود أعمالهم التخريبية في حياة الشعوب الأخرى وظلوا يُعدون أنفسهم «أسرى» ومضطهدين أينما كانوا. وكان دورهم ينتهي في النهاية إلى الدمار والقتل. لقد استخدمهم قادتهم كبذور للفتنة والشقاق كما قال القرآن عنهم. ومن المدهش أن قادة التلمود كانوا يصلون في الدولة الغريبة إلى أعلى المناصب وينتقمون من «المضطهدين» ويساعدون الأعداء الغزاة ومن ثم يقدمون المال لطردهم. هذه المطالب الملحة للطائفة الحاكمة والتي استمرت قروناً عديدة.

وعلى الرغم من أصوات الاحتجاج القوية التي كانت تسمع من وسط الطرف العبراني إلا أن الغلبة والنصر كان في النهاية دائماً للجماعة المتسلطة.

وكما ذكرنا لم يعط تنفيذ هذه المهمة الكريهة لليهود أي نوع من أنواع السعادة أو الاستقرار ولكنهم مع ذلك لم يستطيعوا الانحراف عن ذلك الدرب.

وهكذا انتهى اللقاء الأول بين العبرانيين مع أوربة حيث «بصقوهم» من هناك.

وهنا كان يمكن لقوة الدمار الوسيطة أن تجد نهايتها لولا ذلك السر المخفي في أعماق روسيا وبولندا.

لقد كان الطرد من أسبانيا درساً قاسياً لليهود الذين طالهم. وكانت هناك ولا شك دلائل كثيرة تشير إلى أن الكثير منهم فهم معنى الدرس الأسباني وأنهم مع الوقت سينخرطون في التيار البشري العام مع الحفاظ على عبرانيتهم. ولكن ذلك كان سيعني نهاية فكرة الدمار مع الطائفة التي ابتدعتها.

ولكن ذلك لم يحصل وبقيت فكرة الدمار حية وأخذتها مجموعة من البشر ودخلت فيها إلى العالم، ومن المدهش أن هذه المجموعة لا تملك أي صلة مشتركة في أصولها العرقية مع العبرانيين «أبناء إسرائيل» أو مع القبائل الإسرائيلية. وقد دعوا أنفسهم عبرانيين فقط لأهداف سياسية بحتة وحتى نستعرض بإسهاب هذا الشعب الجديد علينا أن نحيد قليلاً عن موضوعنا المباشر.

كما هو معروف فإن العبرانيين في أسبانيا ومنذ بدء مرحلة وجودهم هناك «دامت ثمانية قرون» لم يكونوا يهوداً أقحاحاً من نسل «يهودا بن يعقوب» أو حتى من سلالة الأجداد الفلسطينيين. وقد كتب «هيرتس» عن ذلك: (يلف الغموض الاستيطان العبراني لـ «غسبيريا الجميلة») ويضيف بقوله: «على الرغم من ذلك يصر العبرانيون هناك على أصولهم القديمة» ويدعون بأنهم «انتقلوا إلى هناك بعد تدمير «نبوخذ نصر» للهيكل».

وعلى مدى القرون الطويلة أدت الأعمال الاعتيادية في الطبيعة وفي الحياة إلى اختلاط البشر. وقد لفت انتباه الكثير من الناس، الكلام الدائم عن الشعب المميز المختار من قبل الرب لقيادة الكون على أشلاء الغرباء وسادت الرغبة الكثير منهم «الغرباء» للإنضمام إلى صفوف هذا الشعب وفي الحقيقة كان بإمكان العربي المختون وبسهولة أن يتحول إلى عبراني، وقد تساهل الكهنة في الصحراء وشمال إفريقيا في هذا الأمر وقاموا عن طريق ذلك بإكثار أتباعهم.

وعندما طارد الرومان الديانات الوثنية لم يتعرضوا لليهود ونتيجة لذلك دخل الدين اليهودي الكثير من «اليزيديين» وأتباع «بعل» و «أدونيس». ومختصر القول لا يمكن بأي حال من الأحوال اعتبار العبرانيين، الذين رافقوا العرب إلى أسبانيا، يهودا ذوي دماء صافية. لقد كان لهؤلاء الناس دماء مختلطة إلى حد كبير. ولكن في أسبانيا كانت رقابة المركز التلمودي أقوى، وبالتالي كان الإخلال بالشريعة معدوماً وظهر على مدى القرون الثمانية ما يدعى بالعبرانيين السفارديم على شكل نمط قومي محدد.

ولكن ما الذي حدث مع هؤلاء السفارديم بعد سقوط أسبانيا وطرد اليهود منها؟ «هم وحدهم كان بإمكانهم الادعاء بوجود أصول يهودية فيهم».

حول ذلك كتبت «الموسوعة العبرانية» بتحديد كبير: «السفارديم هم أحفاد العبرانيين المطرودين من أسبانيا والبرتغال وقد استقروا في جنوب فرنسا وإيطاليا وشمال أفريقيا وآسيا الصغرى وهولندا وإنكلترا وأمريكا الشمالية والجنوبية وألمانيا والدانمارك والنمسا وهنغاريا». ومن بين كل الدول المذكورة لا يوجد أي ذكر لبولندا حيث استقرت الحكومة التلمودية. لقد تحركت جموع السفارديم إلى الغرب وليس إلى الشرق، وافترقت الحكومة عن شعبها وأخذت الجماهير العبرانية تذوب وتتلاشى في الشعوب الأخرى التي عاشت معها. وقد كتبت الموسوعة العبرانية عن السفارديم في الشتات تقول: «وكان الكثير من المستوطنين الجدد من عوائل غنية وكانت ذات سلطة ولها جاه كبير في الدولة التي غادرتها...

لقد اعتبر هؤلاء أنفسهم طبقة عليا ووجهاء العبرانية وكانوا دائما ينظرون إلى أبناء عمومتهم الآخرين نظرة استعلاء، واعترف أولئك بهم كذلك، ولم يمارس السفارديم أبدا الربا والتجارة المتواضعة ولم يخالطوا الطبقات الدنيا ولكن في الوقت نفسه عاشوا في سلام مع بقية العبرانيين ولكنهم لم يتزاوجوا معهم...

وقد فقد السفارديم في الوقت الحاضر سلطتهم التي تمتعوا بها على اليهود الآخرين على مدى قرون طويلة. أي يفهم من ذلك أن السفارديم بعد مغادرة أسبانيا لم يذهبوا إلى بولندا ولم يخالطوا اليهود الآخرين واستقروا في غرب أوربة. وهم تكبروا على العبرانيين الآخرين ولم يختلطوا بهم ولكنهم سرعان ما فقدوا تأثيرهم ونفوذهم السابق.

ومما يثير العجب أن المصادر العبرانية تصدر معلومات غير دقيقة عن تقلص عددهم من أقلية كبيرة إلى عدد بسيط وهو أمر يعارض قوانين البيولوجيا مما يثير الشك في صحة هذه المعلومات.

وبعد رحيل «المركز» الذي حكم باسم الشعب كله على مدى ألفي عام، قام هذا الشعب وبقدرة قادر وفي لحظة واحدة بتغيير طبائعه.

واليهود الذين كانوا معروفين لكل العالم وعايشوا صراع شريعتهم مع أوربة فجأة أخذوا يفقدون مواقعهم ويتناقص عددهم. وبدأت الحكومة التلمودية تجهز نفسها نحو لقاء جديد مع أوربة بعد استقرارها في مقر جديد وسط شعب آسيوي هو الخزر، الذين اعتنقوا اليهودية قبل قرون عديدة.

وسارت الجماعة الحاكمة إلى هدفها القديم ولكنها استخدمت مطية جديدة، استخدمت هذه المرة شعباً جديداً من الآسيويين المتوحشين الذين يجهلون التجربة الأسبانية.

ومن المفيد أن نذكر أنه في عام /١٩٥١م/ أراد أحد أصحاب دور النشر أن يطبع أحد مؤلفات كاتب هذه السطور ولكن إحدى الجمعيات السياسية العبرانية نصحته بإلحاح بالعدول عن ذلك، لأن «دوغلاس ريد» هو من ابتدع واختلق الخزر.

ولكن المصادر العبرانية المحترمة توافق تماما على وجود الخزر وتؤكد على اعتناقهم للدين اليهودي، ويبين الأطلس التاريخي بوضوح تطور مملكة الخزر التي امتدت في فترة ازدهارها بين البحر الأسود وبحر قزوين عام /٦٠٠م/.

والخزر شعب تعود أصوله العرقية إلى التتار وإلى العرق التركي - المنغولي وتشير الموسوعة العبرانية إلى أن زعماءهم اعتنقوا اليهودية عام /٦٧٩م/ ويدل ذلك على الرسائل المتبادلة بين «حاسادي ابن شابنت» وزير الخارجية لدى سلطان قرطبة «عبد الرحمن» من جهة والملك «الخزري يوسف» من جهة أخرى وذلك في عام /٩٦٠م/ وحسب الموسوعة العبرانية فإن المؤرخين اليهود على ثقة كبيرة من صحة هذه المراسلات وأصالتها والتي فيها تظهر ولأول مرة كلمة «أشكناز» ويقصد بها مجموعة من العبرانيين الشرقيين كانت مجهولة حتى الآن. وعلى هذا الأساس يمكن القول بأن الأشكناز الترك - المنغولين لم يكن لديهم أي علاقة مع العبرانيين سوى الدين المشترك. وقد ضعفت سلطة الحكومة التلمودية على الجاليات العبرانية المتناثرة في أوربة الغربية ولكنها في الوقت نفسه حكمت يهود الشرق بيد من حديد.

ومع مرور الزمن أصبح العبرانيون من الجنس السامي أمرا نادرا في أوربة وفي وقتنا هذا يسود على العبرانيين النمط «تيب التوركي» وهو أمر طبيعي جداً.

ولا أحد من الغرباء يعلم السبب الذي يدفع القيادة التلمودية إلى السماح قبل ثلاثة عشر قرنا من الآن بهذا الدخول الجماعي الكبير للوثنيين إلى الدين اليهودي التلمودي. هل الأمر كان محض مصادفة أم أن حكماء صهيون في ذلك الوقت تنبأوا بكل النتائج المحتملة؟

ومهما كان الأمر فأنه في الوقت الذي تناثر فيه السفارديم في أرجاء العالم وتلقت مهمتهم التخريبية ضربة موجعة في أسبانيا في ذلك الوقت بالذات كان هناك جيش احتياطي هائل يقف مستعدا لدخول المعركة ويحتوي في داخله أفضل مادة بشرية لتحقيق أهداف الدمار والتخريب.

ولقد كان الخزر قبل دخولهم الدين اليهودي على عداء مستفحل مع جيرانهم الروس في الشمال.

وقد هزمهم الروس في النهاية وشكلوا إمارة في كييف واعتنقوا المسيحية.

وفي فترة دخول الخزر إلى اليهودية كان التلمود قد انتهى تأليفه. وبعد تحطم مملكة الخزر عام /١٠٠٠م/ وقع الخزر تحت السيطرة السياسية للحكومة التلمودية، وأخذ صراعهم

مع الروس يجري تحت راية الشريعة التلمودية المعادية للمسيحية. وبعد ذلك حدثت هجرة كبيرة للخزر إلى روسيا ولا سيما إلى كييف وروسيا الصغرى ولكن القسم الأكبر اتجه إلى ليتوانيا وبولندا.

وعلى الرغم من عدم وجود قطرة دم عبرانية واحدة فيهم، فقد تحولوا وتحت قيادة المركز التلمودي إلى دولة داخل دولة في روسيا وبولندا. وبدأت تظهر في أماكن تجمعاتهم، وتحت قيادة المركز التلمودي، بؤر ثورية معادية للروس وتحولت مع الزمن إلى ثورة أممية. وعلى أيدي هؤلاء الناس بالذات أعدت أدوات دمار جديدة لتحطيم أوربة المسيحية.

وعاش هؤلاء المتوحشون القادمون من أعماق آسيا البعيدة، تحت سلطة التلمود كما عاش قبلهم عبرانيو بابل وقرطبة ملتزمين بالشريعة لكي يعودوا إلى أرض الميعاد التي لم يسمع أجدادهم عنها أي شيء. وليحكموا العالم من هناك.

وفي القرن العشرين حيث ساعد الكثير من الساسة الغربيين على تحقيق هذه العودة، لم يكن أحد منهم يملك أي تصور عن الخزر، وعرف ذلك فقط العرب والذي مس الأمر حياتهم وأرضهم وقد حاول العرب إعلام مؤتمر السلام عام /١٩١٩م/ بذلك وهيئة الأمم المتحدة /١٩٤٩م/ ولكن من دون جدوى.

وعلى هذا الأساس وبعد عام /١٥٠٠م/. عاش في العالم مجموعتان عبرانيتان تختلفان عن بعضها بعضاً: مجموعة أصولها سفارديم تعيش متناثرة في الغرب، ومجموعة متماسكة من عبرانيي الشرق التلموديين. وكان الزمن وحده كفيلا ببيان مقدرة المركز التلمودي على خلق قوة تدمير عظيمة كالسابق من هؤلاء الأشكناز.

وهل بإمكانه أن يبقى على سيطرته على جاليات العبرانيين في أوربة على الرغم من تقاليدهم المختلفة وبعد أن عاشوا تجربة الطرد من أسبانيا.

نحو عام /١٥٠٠م/ انتقلت الحكومة التلمودية من آسبانيا إلى بولندا واستقرت وسط تجمع «العبرانيين الجدد والمجهولين حتى ذلك الحين في الغرب»

وضعفت سيطرة المركز التلمودي على السفارديم الذي كان عددهم يتناقص بسرعة مع الزمن ولم يعودوا يمثلون قوة متماسكة - على الأقل في عيون القيادة التلمودية.... وهذه المرحلة يفصلها عن زمننا الحاضر فقط /٤٥٠/ سنة ولكن هذه الفترة كانت كافية ليجيب التاريخ على السؤالين المطروحين أعلاه. وكان الجواب واضحا لقد اختفى المركز التلمودي

العلني خلال فترة الـ ٤٥٠/ سنة هذه - على الأقل على حد زعم «كاستين» - ولكن القوة التدميرية ظهرت في أوربة على شكل جديد اسمه «الثورة»[1].

وخلال الفترة المذكورة واجه العالم ثلاث ثورات كبيرة كل منها كانت أكثر تدميرا من تلك التي سبقتها، على الرغم من وجود علائم مشتركة لدى الثورات الثلاث وهي علائم تتطابق في الوقت نفسه علائم الشرائع اليهودية المذكورة في التوراة والتلمود. وفي جميع الحالات كانت الضربة الأساسية موجهة ضد الحكومة الشرعية وضد روح الشعب والمسيحية.

وتعترف الشريعة اليهودية بسلطة شرعية واحدة هي سلطة «يَهْوَه» وبشعب واحد فقط متميز وهو الشعب المختار من قبل «يَهْوَه».

وتشير التعليقات التلمودية للشرائع إلى أن العدو الأساسي بين «الآلهة الغريبة» هو الدين المسيحي والتي يحرم على الشعب المختار عبادتها تحريما قاطعا. وأما الدمار والتخريب فهي وكما ذُكر سابقاً العقيدة الأساسية لهذه الشرائع.

وفي بداية كل ثورة كان يُقال أنها موجهة ضد الملوك والكهنة «وهم علامات الظلم والعبودية والاستغلال». وبعد اختفاء سلطة الملوك والكهنة لا تزال الثورات تقوم باستمرار ومن

١ـ الأصل الخزري لليهود الشرقيين- هو افتراض لم يحصل بعد على برهان كامل. واهم اعتراض عليه هو أن هجرة واسعة لشعب كامل عبر أراضي روسيا لا يمكن أن تمر من دون ملاحظتها. ولكن على السطح واقعة لا تقبل التشكيك لهجرة أخرى جرت تقريباً في نفس الفترة أي في القرن العاشر والحادي عشر وهي تتعلق بالهنغار: فقد غادر هؤلاء وطنهم في الأورال والطاي تحت ضغط المغول من الشرق وتوجهوا على شكل موجتين عبر روسيا. الأولى باتجاه الخليج الفلندي واستقرت في فلندا الحالية واستونيا. أما الموجة الثانية فعبرت جنوب روسيا واستقرت في المجر الحالية. ولكن حتى هذه الهجرة ليس لها أي ذكر في التاريخ الروسي. ولكن ماذا تعني الكنية (اللقب) والأسماء البولندية والألمانية لدى أغلب اليهود الشرقيين.. إنها ظاهرة أكثر حداثة وقد يكون الخزر قد حصلوا عليها بعد وصولهم إلى بولندا، وقد يكون قسم منهم هاجر إلى المانيا ثم عاد إلى بولونيا بأسماء والقاب المانية. اما في روسيا فلم يكن فيها يهود قبل تقسيم بولندا على الرغم من وجود مجموعات صغيرة منهم (على الأغلب اصلها خزري ايضاً) في الأقاليم والمدن الروسية، ولكنهم كانوا يطردون من هناك باستمرار بسبب عدم تعايشهم مع السكان الأصليين. والفرضية الخررية كأي فرضية (في حال عدم وجود براهين مؤكدة) يمكن اعتبارها قانونية إلى حد كبير حتى يتم نفيها بمعلومات جديدة أو حتى تظهر فرضية جديدة تشرح هذه المسألة المتناحر عليها بشكل أفضل، وهو أمر لم يحدث بعد. واما الاحتجاجات من الطرف العبراني فلا يمكن القبول بها لأنها لا تعتمد على الحقائق التاريخية. ويعد الكثير من اليهود المعروفين أن هذه الفرضية صادقة (انظر إلى بنيامين فريد مان Freed Man) ولكن اي نقاش حول هذه القضية يتم إخماده بسرعة من قبل القيادة الصهيونية.

ذلك يصبح واضحاً أن مثل هذه الشعارات هي فقط لخداع وتضليل الجماهير. أما الضربة في الحقيقة وجهت إلى كل من كان يُمثل الأمة... «الملك المقتول في كل مرة كان يمثل وجه الأمة.». وأما الدين «هدم الكنائس وقتل الكهنة» فكان المعنى رمزياً. كل ذلك وجه أصابع الاتهام إلى المجرم الحقيقي كان المصدر الطبيعي لكل هذه الأفكار هو التوراة والتلمود ولا يمكن العثور عليهما في أي مكان آخر.

«وسيضع ملوكهم بين يديك وستمحو أنت أسماءهم من تحت السماء... وستدمر أنت كل المعابد حيث صلت الشعوب المغلوبة لآلهتها فيها». وبالذات في اللحظة التي اختفت فيها الحكومة التلمودية عن الأنظار بعد أن ثبتت نفسها وسط الشعب الآسيوي البربري في ذلك الوقت بالذات اتخذ مبدأ الدمار شكلاً جديداً وأخذ يسير في أوربة بخطوات منتصرة. والثورات الثلاث وكذلك جميع الأحداث التاريخية التي سبقت المسيحية المذكورة في العهد القديم ومن ثم أحداث العصر المسيحي وحتى لحظة طرد اليهود من آسبانيا تؤكد وتطبق الشرائع اليهودية. والنتيجة النهائية لكل حدث منها كان النصر النهائي العظيم لليهود.

هل التلموديون هم من حرض على هذه الثورات بشكل مباشر أم أنهم خططوا لها ونفذوها؟ في هذا المجال تختلف الثورتان الأوليتان بشدة عن الثورة الأخيرة.

لم يستطع علم التاريخ الحديث حتى الآن أن يبرهن على اشتراك التلموديين في الثورة الإنكليزية والفرنسية أو على قيادتهم لها. ولم يستطع مؤلف هذه السطور العثور على دليل مادي مباشر على ذلك. ولكن النتيجة النهائية للثورتين كانت انتصاراً لليهود.

عودة اليهود إلى إنكلترا «طردوا من هناك في القرن الثالث عشر». ومساواة اليهود في فرنسا على الرغم من أنه في بداية الثورتين لم يكن أحد يتصور أن المسألة اليهودية لها علاقة بالموضوع.

والآن وبعد مرور فترة طويلة على تلك الأحداث يمكن القول بأن المسالة اليهودية برزت إلى السطح ومن ثم احتلت أحد الأماكن الأساسية في اهتمامات الثورتين ولكن على الرغم من ذلك لم يكن اليهود هم المفجرون لهاتين الثورتين.

ولكن الثورة الثالثة- الروسية- تختلف تماماً عنها. وانتهت بنصر عظيم لليهود وانتقام يهودي شنيع لم يعرف له التاريخ مثيلاً لا في العهد القديم ولا في التاريخ اللاحق.

لقد جرى الإعداد لهذه الثورة والتخطيط لها وتوجيه عملياتها من قبل العبرانيين ممن نموا وترعرعوا بين جدران «الغيتو» التلمودي- كل هذا الكلام هو وقائع تاريخية مؤكدة لا يمكن دحضها وهي الأعظم في تاريخ صهيون الطويل والذي يمكننا من فهم ما حدث في الماضي ويعطينا مفتاح فهم المستقبل.

تلك الأحداث في القرن العشرين أعطت كلمة «ثورة معنى جديداً أو بالأحرى أعطتها معناها الحقيقي: الدمار بلا نهاية وحتى التنفيذ الكامل لشرائع اليهودية. سابقاً كان لهذه الكلمة في أوربة معنى محدد ومحصور: كانت تعني انتفاضة مسلحة تسببها ظروف خاصة في مكان محدد وزمان محدد. ونتيجة لاضطهاد مزعوم كان يتم الانفجار كما يفجر البخار في المرجل غطاءه الأعلى الخارجي. هذا ما كان يوحى به عادة لغالبية الشعب القادة الحكماء الذين على علم بحقيقة ما يجري بالفعل.

ولكن الثورة الروسية بينت أن الثورة الآن أصبح يخطط لها كقوة دمار دائمة مستمرة ذات قيادة عليا دائمة لها أهداف عالمية. ولم تملك أهداف الثورة أي علاقة بالظروف المحلية ولم يدخل في مجال أعمالها تصحيح أي ظلم محلي. إنها فقط تود التدمير. تدمير كل الحكومات الشرعية وزرع مكانها سلطات جديدة وحكام جدد. وكان من الواضح أن الحكام الجدد يجب أن يكونوا تلموديين وهو أمر توضح من جوهر الثورة الروسية ومن الأهداف التلمودية الواضحة للثورة العالمية والتي في الحقيقة تضمنت التنفيذ الحرفي للشريعة: «... وستسيطر وتسود أنت على جميع الشعوب... وسيضعك الرب إلهك فوق جميع شعوب الأرض»..

ومن دون هذه الأهداف الخفية لم يكن للثورات الثلاث المجرى والطريق المعهود الذي نعرفه عنها. لقد كانت في الحقيقة فقط عبارة عن مراحل نحو تنفيذ الشريعة ومن جديد نرى أن الذي كان يبدو وكأنه ملكاً جبار لا يقهر «كما كان يبدو الملك «قورش» أو الملك الغامض ارتحشستا» يصور الآن لنا دمية لا حول لها ولا قوة في الدراما العظيمة التي ألفها وأخرجها على الدوام اليهود والتي نهايتها الرائعة في أورشليم.

وكان «أوليفر كرومويل» إحدى هذه الدمى والآن كل ما يعرفه التلاميذ الإنكليز عنه هو أنه بتر رأس الملك وأنه أعاد اليهود المطرودين إلى إنكلترا.

ونضيف نحن إلى ذلك قيامه باضطهاد رجال الدين المسيحي في «دور غهيد» وهو أمر أعتز به «كرومويل» بشكل خاص.

وكان «كرومويل» الأول من بين الكثيرين من بعده والذين سموا أنفسهم مسيحي العهد القديم وهو أمر بحد ذاته يوضح الفحوى المعادية للمسيحية لهذه الحركات لأنه كما نعرف لا يمكن عبادة ربين في وقت واحد.

ومنع «كرومويل» الاحتفال بعيد ميلاد المسيح وقام بحرق الكنائس وقتل القساوسة لدرجة أن اليهود أرادوا في وقت من الأوقات إعلانه ممسوحهم المنتظر.

وتجدر الإشارة إلى «كرومويل» حيث صعد إلى السلطة في الوقت الذي هز فيه «شباطاي تسفي» أسس المجتمع العبراني بوعوده حول النصر القريب لصهيونية. لذلك ليس من المستعبد أبداً أن يكون حكماء التلمود قد استخدموا «كرومويل» «لتنفيس» «شباطاي» وإبطال مفعوله. وقد أرسل المبعوثون العبرانيون على وجه السرعة من أمستردام إلى لندن لينقبوا عن أصل وفصل «كرومويل»: هل هو عبراني وفي حال إثبات ذلك يمكن إعلانه الممسوح المنتظر. ذلك لأن إحدى صفاته الشخصية أثارت الإعجاب الشديد لدى حكماء التلمود وهي ولعه وإصراره الشديد على التدمير حتى النهاية.

«يمكن الافتراض بأن المرسل اليهودي المنتظر لو جاء فعلاً لكانت أعماله المنتظرة معروفة تماماً: مؤلف هذا الكتاب كان في براغ عام /١٩٣٩/ وهناك أشار حاخام من اليهود في إحدى مواعظه إلى أن «هتلر» هو المرسل المنتظر لليهود وقد أثارت هذه الكلمات قلق معارف المؤلف العبرانيين وسألوه عن رأيه في ذلك».

ولكن شجرة آصول «كرومويل» لم تشر إلى جذر يعود إلى «داوود» وإلا كان سيوافق بسرور على لعب دور الممسوح المنتظر. ولكن على الرغم من ذلك اعتبر أتباعه أنهم وتحت شعار «السيف والتوراة» إنما ينفذون بأعمالهم الدموية النبوءات التوراتية وأن عودة اليهود إلى إنكلترا هي خطوة على طريق العودة المجيدة. ونصح «كرومويل» على تأليف مجلسه الحكومي من سبعين شخصاً على مثال السندريون «المجلس الأعلى اليهودي»، وفي الحقيقة نظر «كرومويل» إلى آتباعه المهووسين بنوع من الاحتقار ولكنه كان «سياسياً واقعياً» من نفس النوع الذي يزدهر في زماننا لذلك أخذ يثرثر كثيراً عن «الحريات الدينية» وتنفيذ النبوءات ولكنه في الوقت نفسه كان يقتل رجال الدين.

وفي حقيقة الأمر فإن المهمة الأساسية التي كانت أمام «كرومويل» هي حاجته إلى المساعدات المالية من الجالية اليهودية في هولندا «كل تاريخ الغرب يسير حسب القاعدة الأساسية للشريعة اليهودية: اقرض الجميع ولا تستقرض من أحد».

وقد كتب «جون بوكان» عن اليهود الأمريكان يقول: «كانت التجارة مع آسبانيا في أيديهم.. وكانوا هم من يوجه تيار الذهب إلى أوربة وكانوا على استعداد لمساعدة «كرومويل» في صعوباته المالية»..

وقد سافر الحاخام «مانسيا بن ايزابيل» من أمستردام إلى لندن وتمت الصفقة. ولا شك بأن العريضة التي أرسلها «بن ايزابيل» إلى «كرومويل» تذكر كثيراً بالرسائل التي بعث بها «حاييم وايزمان» إلى الرؤساء الأمريكان ورؤساء الوزراء الإنكليز.

وقد طلب «بن ايزابيل» المساعدة في عودة اليهود إلى إنكلترا ولمح بشكل مبهم إلى عقاب «يَهْوَه» القاسي لكل من يحاول عرقلة ذلك. وتحدث في الوقت نفسه عن المكافآت السخية لمن يمد يد العون في ذلك.

عملياً طُلب من «كرومويل» الخضوع التام للشريعة اليهودية وليس فقط عودة اليهود، وذلك لأن اليهود في الحقيقة لم يغادروا إنكلترا أبداً وكان طردهم من هناك قد حصل على الورق فقط. أما في الواقع فقد تابعوا العيش بسلام حيث كانوا يعيشون دوماً. لذلك أراد «بن ايزابيل» فقط إضفاء الشرعية من جديد على وجود اليهود هناك. ولكن «كرومويل» تباطأ في تنفيذ ذلك بسبب وعوده بعدم القيام بذلك والمعارضة الشعبية الواسعة لذلك.

وحسب أحد المصادر العبرانية «Margolouth» فقد عرض عليه أن يبيع لليهود كنيسة القديس «بولص» مقابل نصف مليون جنيه. وبعد فترة قصيرة انتهى عهد «كرومويل» ولكنه بقي في ضمير الشعب على أنه الإنسان الذي سمح بعودة اليهود إلى بريطانيا. ولكن تجدر الإشارة إلى أن هذا الهجوم التلمودي الأول على أوربة لم يأت بنتائج كبيرة.

واستطاعت إنكلترا تخطي عواقب الثورة وعادت إلى البلاد حكومتها الشرعية وكان الدين هو الذي خسر كثيراً ولكن ليس من الهجوم الغريب بل بسبب اللامبالاة التي أخذت تنتشر بين الناس.

وانحشر موضوع الثورة الجديد في السياسة الأوربية وبعد /١٥٠/ سنة من طرد اليهود من أسبانيا احتلت المسألة اليهودية المركز الرئيس في هذه السياسة.

ويثير في عهد «كرومويل» الانتباه أيضاً لأن إعادة الملك إلى العرش استخدمت أيضاً من قبل اليهود بنجاح. فبعد موت «كرومويل» قدم اليهود مساعدات مالية لـ «كارل الثاني» الذي وبعد صعوده العرش مباشرة قام بإضفاء الشرعية القانونية على وجود اليهود في إنكلترا. ولكن ذلك لم يجلب الخير له ولعائلته فقد مول يهود أمستردام حملة «وليام أورنسكي» ضد شقيق «كارل الثاني» المدعو «ياكوف الثاني» والذي فقد أيضاً عرشه وهرب إلى فرنسا وكان ذلك نهاية لملكية عائلة «ستيورات» الكاثوليكية. لذلك الجواب على سؤال من انتصر في صراع «كرومويل» مع عائلة «ستيورات» هو: اليهود وبعد /١٥٠/ سنة من ذلك أشعلت ثورة أخرى هذه المرة في فرنسا. وقد تصور المعاصرون بأن هذه الثورة مختلفة تماماً عن التي سبقتها ولكن هل كانت كذلك في الواقع؟

لقد كانت ميزتها الأساسية كما في الثورة الإنكليزية وكذلك في الثورة الروسية وهي أن الضربة الرئيسية وجهت ضد الوطنية وضد الدين تحت شعار النضال

ضد الطغاة- «الملك ورجال الدين» - ولكن حتى بعد تدمير هؤلاء الطغاة. جاء طغاة غيرهم أقسى بكثير.

وفي ذلك الوقت وبعد تقسيم بولندا اختفت الحكومة التلمودية عن الأنظار، على الأقل حسب تأكيدات «كاستين»، ولكنها في الحقيقة تابعت عملها في السر والخفاء لأنه من الصعب جداً التصور أنه بعد /٢٥٠٠/ سنة من الجهد والفعالية المؤثرة أن تقوم فجأة بالاختفاء ومن تلقاء نفسها ومن دون أي سبب خارجي. الحقيقة أنها فقط اختبأت وابتعدت عن عيون الناس ولذلك من الصعب جداً الآن التحدث عن الدور الذي لعبته في تنظيم الثورة الفرنسية أو التحريض عليها عن طريق عملائها هناك.

ولكن الثورة الروسية بعد مرور /١٢٠/ سنة على ذلك أعطت دليلاً واضحاً لا شك فيه عن الاشتراك المباشر للقيادة التلمودية وبمقدار لم يكن يتصوره أحد في التخطيط والقيادة والتنفيذ. لذلك يمكن الافتراض بأن الطائفة اليهودية الحاكمة لعبت دوراً كبيراً. لم تذكره المصادر التاريخية» في التحضير للثورة الفرنسية.

وقامت الثورة الفرنسية تحت شعار النضال من أجل حقوق الإنسان لكل الناس من دون استثناء ولكن مع بدء الثورة وبقدرة قادر ظهرت المسألة اليهودية على السطح وانتصبت في المقام الأول وكان أحد أول القرارات الثورية هو قرار المساواة التامة لليهود في عام /١٧٩١م/ «تماماً كما كان قانون مكافحة معاداة السامية في روسيا هو أول قانون أصدرته الثورة».

وتجدر الإشارة إلى أن قرار مساواة اليهود كان القرار الوحيد الثابت والدائم للثورة في حين كانت المنجزات الأخرى الباقية مرحلية غير دائمة وقد تركت فرنسا أسيرة لعدم المبالاة الروحية وهو أمر لم تستطع التخلص منه لفترة طويلة.

وكان تاريخ فرنسا في ما بعد الثورة عبارة عن صراعات على الحكم حيث اختبرت هناك جميع أنواع الحكم والسلطة المعروفة ولكنها لم تجلب لفرنسا الاستقرار والسعادة.

ويتضح أن الجماعة التلمودية عملت في الفترة ما بين سقوط بابل والثورة الفرنسية كقوة مدمرة بين الشعوب: «حيث أرسلناكم».

وكان ذلك الأمر حتمياً نظر للعقيدة السائدة بينهم والتي كانت أيضاً القانون الذي ينظم مجرى حياتهم اليومية من سلوك وأخلاق وأعمال. لذلك لم يكن باستطاعتهم التصرف بخلاف ذلك وكان بالتالي محكوماً عليهم البقاء «مخربين على الدوام» لقد وضعتكم في هذا اليوم فوق الشعوب والممالك لكي تدمروا وتخربوا وتقتلوا وتبيدوا»..

وتحت رقابة من هذا النوع كان تاريخ اليهود متشابهاً في كل مكان. من بابل إلى بلاد الفرس إلى مصر واليونان وروما وأسبانيا. ولم يكن بمقدورهم ومقدور تاريخهم أن يكون غير ذلك لأن الشريعة كانت تقوده دائماً.

ولكن لم يكن جميع العبرانيين مشتركين في تكوين ذلك التاريخ وكما ذلك التاريخ لم يشمل جميع العبرانيين ولا يجوز أبداً عدم ملاحظة هذا الأمر أو عدم الإشارة إليه تماماً كما لا يجوز اعتبار جميع الألمان مسؤولين عما اقترفت النازية أو جميع الروس عما فعلته الشيوعية. ولقد ذكرنا أن الكثير من اليهود رفضوا الخضوع لشريعة التدمير الدوري ويجدر القول بأن أصوت الاحتجاج اليهودي على ذلك كان أقوى من أصوات احتجاج الغرباء الذين تواجد اليهود بينهم والذين كان الخطر المحقق يهددهم بالذات. هكذا كان الأمر على مدى القرون.

وخلال الثلاثمئة سنة التي مضت بعد طرد اليهود من أسبانيا ظهر الموضوع العبراني مرتين كموضوع أساسي في الهزات الاجتماعية القسرية التي حصلت على الرغم من أن بدايتها ظهرت وكأنها أمور سببها تناقضات داخليه محلية بحقه: هكذا كان الأمر في الثورتين الإنكليزية الفرنسية.

فيما بعد سنحاول التطرق بالتفصيل لقضية من أهم قضايا التاريخ العالمي وهي الثورة الروسية ودور العبرانية فيها.

وصل «نابليون» أعلى سلم السلطة في فرنسا فيما بدا كرد فعل على الثورة الفرنسية وقد حاول هو أيضاً حل «المسألة اليهودية» تماماً كما حاول الكثيرون من قبله وعلى مسار التاريخ حل هذا الموضوع وبمختلف الطرق بدءاً من القوة والضغط ووصولاً إلى التسامح والتراجع والاستسلام. ولكن لم يجد كل ذلك نفعاً ولا يزال هذا الموضوع قائماً حتى الآن مثل القروح على جسد الشعوب غير العبرانية. ولكن العبرانيين أنفسهم ليسوا أكثر حظاً أو سعادة. إنهم أشبه بالإنسان الذي خلق وتحت جلده شوك.

و «نابليون» الذي حاول وبضربة واحدة حل المسالة العبرانية نهائياً أختار أسهل الطرق الممكنة لذلك، ولهذا السبب بالذات لا يزال على ما يبدو يثير لدى أتباع الصهيونية شعوراً ممزوجاً مختلطاً: ولقد تبين أن هذا الإنسان «الحشري» كان أذكى حتى منهم ولكن على الرغم من كل ذلك انتهت محاولته بلا نتيجة. وعلى ما يبدو أن حل هذه المسالة ليس في طاقة البشر والرب وحده يملك القدرة على حلها عندما يرى أن الوقت قد حان لذلك.

وسنخصص الفصل القادم لدراسة محاولة «نابليون» هذه ومن ثم نعود لتحليل الثورة التي أفرزته.

الفصل الثامن عشر

أبحاث نابليون ودراسته

بعد النجاحات العظيمة التي حققها «نابليون» وبعد وصوله على قمة السلطة آراد أن يقوم بعمل عظيم لرفع جاه وقيمة فرنسا والفرنسيين، وفي الوقت نفسه يعود بالنفع الشخصي له ولعائلته.

وهو بعد أن أصبح إمبراطوراً، وربما قبل ذلك، رأى أن إحدى أصعب القضايا التي تتطلب الحل ليست فرنسية بل غريبة وهي المسألة اليهودية. هذه المسألة التي شغلت الناس منذ مئات السنين ومن ضمنهم «نابليون» الذي انشغل بهذه المسألة «بعد توليه السلطة مباشرة» التي برزت فجأة وكأنها خيال له وأخذت تؤثر، وعلى عادتها بشكل مباشر وحاسم، وكما يقول المثل أمسك «نابليون» بالثور من قرنيه وذلك ببحثه عن الجواب للسؤال الدائم: هل فعلاً يود اليهود أن يصبحوا جزءاً من أمة أخرى كالأمة الفرنسية وأن يعيشوا حسب قوانينها أم أنهم وبالخفاء يخضعون لشريعة أخرى تفرض عليهم إفساد الشعوب الغريبة واستعبادها.؟

وتجدر الملاحظة أن أبحاث «نابليون» الشهيرة هذه كانت محاولته الثانية لحل اللغز اليهودي. أما المحاولة الأولى فقليل من يعرف عنها ولا بد من الكشف عنها قليلاً.

كان «نابليون» في بداية صعود نجمه الوظيفي واحداً ممن حاولوا وفكروا في إعادة اليهود إلى أورشليم لتحقيق «النبوءة» وسار منذ ذلك الحين الكثير من قادة الغرب على دربه هذا، ولكنهم وبلا شك لن يكونوا سعداء إذا ما قورنوا بـ «نابليون»، «بلفور»، «لويد جورج»، «ويلسون»، «روزفلت»، «ترومان»، «تشرشل» وغيرهم. وقد انتهت المغامرة النابليونية بسرعة كبيرة لدرجة أن أحداً لم يلحق بالتكلم عن دوافعها.

في ذلك الحين كان «نابليون» قائداً للجيش ولكنه لم يكن على رأس الدولة، وعندما بدأ حملته على الشرق الأوسط كان ولا شك ينتظر المساعدة الحربية من يهود تلك البلاد وكان رجل الدولة الأوربي الأول الذي بحث عن رضا الأغنياء اليهود بعد أن وعدهم بأورشليم.

وكان هذا المقطع التاريخي قصيراً ولكنه مؤكد، ففي الجريدة الباريسية Monitenr وفي عام /١٧٩٩/ حيث قاد «نابليون» حملته الشهيرة نشر خبران لا يتركان أي شك في طبيعة حملته والسبب الداعي لها: الخبر الأول من القسطنطينية في /١٧/ نيسان «ابريل» /١٧٩٩م/ ونشر في /٢٢/ أيار «مايو» وجاء فيه «بونابرت نشر إعلاناً يدعو فيه كل يهود آسيا وأفريقيا للوقوف تحت راية حملته ليعيد المجد القديم لأورشليم. وقد تمكن من تسليح عدد كبير من اليهود وها هي كتائبهم تهاجم حلب».

ومن هذا الخبر يتضح أن بونابرت أخذ على عاتقه مهمة تنفيذ النبوءة حول عودة اليهود إلى أورشليم.

أما الخبر الثاني فظهر في الجريدة نفسها بعد عدة أسابيع من الخبر الأول: «واحتل «نابليون» سوريا ليس فقط ليقدم أورشليم لليهود. إن خططه أبعد من ذلك بكثير». ولا شك بأن «نابليون» أبلغ بأن الخبر الأول ترك في فرنسا أثراً سيئاً حيث فهم الناس أن الهدف من الحرب ضد إنكلترا هو إرضاء اليهود. كما قد يكون السبب هو أن الخبر الأول دفع الكثير من العرب للوقوف ضده مع إنكلترا.

وتلاشت حملة «نابليون» مثل فقاعة الصابون ولم يستطع الوصول إلى أورشليم، وعندما وصل الخبر الأول إلى الجريدة كانت الهزيمة قد نالت منه بالقرب من عكا على يد الإنكليز. ولكن لو قدر لخطط «نابليون» الصهيونية بالنجاح فلم يكن من المستبعد أن تقوم الجماعة العبرانية بالبحث عن أصول في نسبه توصله على «داوود» «كما فعلوا مع «كرومويل» لكي يعلنوه المرسل المنتظر.

وقد علق السياسي العبراني «فيليب غيدالا» في عام /١٩٢٥م/ على حملة «نابليون» بكلمات تستحق الانتباه: «لقد أعتقد هذا الشخص أن القدر لم يبتسم له في ذلك الحين. ولكن جنسنا «عرقنا» الصابر انتظر بهدوء، وبعد مئة سنة جاء غزاة جدد مرغوا أقدامهم بغبار الطريق نفسه واتضح حين ذلك أن القدر ابتسم لنا بالذات».

ونرى هنا عرضاً تقليدياً صهيونياً لأحداث عام /١٩١٧م/ حيث كان الجيش الإنكليزي فقط أداة لتحقيق الهدف اليهودي الذي أخفق «نابليون» في تحقيقه. والممتع في الأمر أن كلمات «غيدالا» المذكورة أعلاه جاءت في حضور «لويد جورج» وهو نفس رئيس الوزراء الذي أرسل عام /١٩١٧م/ الجنود الإنكليز إلى طريق الغبار وكما يذكر «كاستين» فقد بدا «لويد جورج» زاهياً مبتهجاً في ذلك الاجتماع تحت نظرات الرضا من الحشد اليهودي الحاضر للاجتماع والذي شاهد فيه «أداة في يد الرب العبراني».

واعتلى «نابليون» العرش عام /١٨٠٤/ وأصبح إمبراطوراً على فرنسا وفي عام /١٨٠٦م/ استفحل الموضوع العبراني مما اضطر «نابليون» إلى القيام بمحاولة أخرى لحله ولكن بطريقة مختلفة تماماً.

فبعد فشله في إعادة اليهود إلى أورشليم حاول أن يدفع اليهود إلى الاختيار بين العيش كشعب منفصل أو الانخراط في الشعب المضيف لهم. وقد اهتزت سمعة «نابليون» كثيراً في عيون الفرنسيين بسبب ميله وتعاطفه الزائد مع اليهود حسب رأيهم. وكان يصله الكثير من الشكاوى التي تطلب منه مساعدتهم وحمايتهم من اليهود إلى درجة أنه قال ذات مرة في مجلس الدولة: «العبرانيون مثل الجراد والدود يلتهمون فرنسا... إنهم أمة داخل أمة».

وتجدر الإشارة إلى أن مثل هذا القول كان ينفيه حتى اليهود المتعصبون. وانقسم الرأي داخل مجلس الدولة حول الموضوع اليهودي واضطر «نابليون» إلى استدعاء /١١٢/ شخصاً من وجهاء اليهود في فرنسا وألمانيا وإيطاليا وطلب منهم الإجابة على عدد من الأسئلة.

وعادة يصعب على غير العبراني تفهم ذلك العالم الغريب الذي اصطدم به «نابليون» الآن وللإيضاح بعض الشيء نورد اقتباسين من أعمال مؤلفين أصبحوا معروفين جيداً بالنسبة لنا: «بفضل اعتبار العبرانين أنفسهم شعباً مختاراً ينتظره الخلاص فإن العالم العبراني كان دائماً متهوداً إلى أقصى حد يصبح العبرانيون معه على مقدرة لرؤية الأحداث التاريخية فقط عندما يضعوا أنفسهم في مركز تلك الأحداث».. «كاستين».

«لقد كوّن العبرانيون تاريخاً عالمياً خاصاً بهم ووضعوا أنفسهم في مركزه، ومنذ تلك اللحظة التي أقام فيها «يَهْوَه» العهد مع إبرام فإن مصير إسرائيل تحول إلى تاريخ العالم بل وإلى تاريخ كل الكون وهو كل ما يهم الخالق. وتضيق الدوائر وحتى تبقى نقطة واحدة في المركز هي إسرائيل». «Houston Stewart Chamberlain» والكلام الأول كان لعبراني صهيوني متمرس، وهو بلا شك كان سيتهم الرجل الثاني بمعاداة السامية لو سمع كلامه. ولكن كما يرى القارئ فإن وجهات نظرهم فيما يخص صلب القضية اليهودية متطابقة تماماً. ويعرف كل من علم القضية جيداً بأنه لا توجد اختلافات جذرية في صلب هذا الموضوع بين التلموديين المتعصبين من جهة والطرف المناهض لهم من جهة أخرى.

والشيء الوحيد الذي يصيب المتعصبين اليهود في عقلهم ويفقدهم اتزانهم هو أن النقد يأتي من أناس خارج الشريعة وهو أمر غير مقبول تماماً من وجهة نظرهم.

وتبين الأسئلة التي طرحها «نابليون» بأنه، وبخلاف رجال السياسة الإنكليز والأمريكان المعاصرين لنا، كان يفهم جيداً طبيعة اليهودية والقواعد الإنسانية التي أقامتها

ولم يكن خافياً عليه بأن تعاليم الشريعة تقول إن العالم خلق وفي وقت محدد خصيصاً للعبرانيين فقط وإن كل ما جرى ويجري «ومن ضمن ذلك انتصاراته المجيدة وصعوده العرش» كانت أموراً محسوبة مسبقاً وهي تحدث فقط لتنتهي بالنصر لليهود.

لقد قدر الإمبراطور الفرنسي النظرية العبرانية بشكل لا يختلف عن تقدير العبراني «كاستين» لها في الوقت الحاضر عندما يتكلم عن الملك «قورش» واحتلاله لبابل في عام ٥٣٨/ق.م/: «وإذا كان أعظم الحكماء في عهده فقط أداة في يد الرب العبراني. فإن ذلك يعني أن هذا الرب العبراني لا يدبر فقط مقادير الشعب العبراني بل وكل الشعوب الأخرى ومصير العالم كذلك»..

في البداية كان «نابليون» على استعداد أن يجعل من نفسه أداة في يد الرب العبراني عندما حاول احتلال أورشليم ولكنه انهزم أمام الإنكليز في عكا. وعندما أصبح إمبراطوراً لم يعد يرغب أن يكون أداة في أيدي أحد كائناً من كان. وهو يحاول الآن إجبار اليهود على الاعتراف بالقوانين والشرائع الملزمة لهم.

وقد وضعت أسئلته بشكل ماكر أجبرت من أجاب عليها إما أن يتنكر للأفكار التي يحملها أو أن يعترف بذلك بصراحة. وكان يمكن لمن يتهرب من الإجابة أن يتهم بالخداع. وبالطبع قال «كاستين» إن هذه الأسئلة: «شائنة ومثيرة للسخط».. ولكن كما ذكرنا سابقاً فإن أي تعرض لهذه القضية أو نقد لها من قبل الغرباء كان مثيراً للسخط.

ولكن في مكان آخر من كتابه يعترف «كاستين» وبإعجاب لا إرادي أن «نابليون» في أسئلته «فهم بشكل صحيح صلب المسألة»..

ومن الملاحظ أن أي حاكم غريب آخر بخلاف «نابليون» لم يحصل على مديح من هذا الكاتب والمؤرخ العبراني. ويمكن تلخيص الكلام بالقول بأن «نابليون» اقترب أكثر من أي شخص آخر من حل المسألة اليهودية لأن دراسته استطاعت المساس بجوهر القضية ذاته حيث وضعت الناس النزهاء أمام الاختيار بين التعهد العلني بالولاء أو بعدم الولاء المفضوح.

وجاءت الوفود العبرانية المنتخبة من قبل الجاليات العبرانية إلى باريس ووقعت فور وصولها في وضع صعب جداً. فمن جهة تربى هؤلاء الناس على تعاليم العقيدة القديمة التي فرضت عليهم أن يكونوا دائماً شعباً منفصلاً اختاره الرب «ليهين ويدمر» الشعوب الأخرى ويعود في نهاية الأمر إلى أرض الميعاد.

ومن جهة ثانية حصل هؤلاء من مكاسب عظيمة من الثورة وطارح الأسئلة أحد أبطال هذه الثورة البارزين الذي أراد منذ فترة قريبة إعادة أورشليم لهم وهو الآن فجأة يسألهم، هل

يعتبرون أنفسهم جزءاً من الأمة التي يحكمها هو أم لا؟ وأصابت أسئلة «نابليون» جوهر التوراة التلمودي كالسهام عندما تصيب الهدف. وأهم الأسئلة كان: هل تسمح الشريعة العبرانية بالزواج المختلط. هل يُعد العبرانيون الفرنسيين غرباء أم أخوة لهم. هل يُعدون فرنسا وطنهم وأن قوانينها ملزمة لهم. وهل تفرق الشريعة اليهودية بين المديون اليهودي والمسيحي؟

وكانت كل هذه الأسئلة تصب ضد الشرائع العرقية والدينية العنصرية التي أثقل اللاويون بها كاهل الوصايا الأخلاقية مما أدى عملياً إلى خنق هذه الوصايا.

لقد طرح «نابليون» على ممثلي اليهود نفس الأسئلة التي طرحتها البشرية على اليهود على مدى قرون طويلة وكان أمام النواب اليهود خياران لا ثالث لهما: إما مرة وإلى الأبد يرفضون شريعتهم العرقية وبشكل نزيه وحقيقي وإما أن يتظاهروا برفض هذه الشريعة ويبقوا في الحقيقة أوفياء لها «وهي مناورة يسمح بها التلمود».

وكما كتب «كاستين» فإن «العلماء العبرانيين» وقعوا في وضع حرج جداً لأن كل كلمة من التلمود كانت مقدسة بالنسبة لهم بما في ذلك الأساطير والحكايات «وبهذه الكلمات يعترف المؤرخ العبراني أن اليهود كان يمكن أن يتهربوا من الجواب فقط عن طريق الكذب على الرغم من أن القصد من جمعهم كان فقط الحصول على جواب صادق.

وكما كان متوقعاً أجاب النواب اليهود والمسؤولية تملأ صدورهم أن الأمة العبرانية لم تعد موجودة وأنهم لم يعودوا يرغبون في العيش في مجموعات مغلقة وأنهم يُعدون أنفسهم فرنسيين أقحاحاً في جميع الأمور والقضايا وكان اعتراضهم الوحيد على الزواج المختلط الذي هو ممكن فقط حسب رأيهم في «القانون المدني».

وكانت خطوة «نابليون» التالية عبقرية إلى درجة اعترف بها حتى «كاستين» واستطاع الإمبراطور بواسطتها ومن دون قصد أن يرصد حقيقة لا غبار عليها، وهي أن الممثلين الرسمين لليهود وعند إجبارهم على الإجابة على سؤال حيوي «حيوي بالنسبة للشعوب المستضيفة لهم» فإنهم إما أن يتعمدوا الكذب عن سابق إصرار أو أنهم يعطون وعودا يعلمون سلفاً باستحالة تنفيذها.

وبعد عشرات السنين من ذلك تبين أن زعماء العبرانية لم يكن لديهم أبداً أي نية بالتخلي عن وضعهم «أمة داخل أمة». ولكن حتى فشل «نابليون» هذا تحول إلى انتصار تاريخي للحقيقة لا يزال معناه حياً حتى يومنا هذا.

وأراد «نابليون» إعطاء الأجوبة التي حصل عليها وضعاً رسمياً قانونياً يجبر اليهود على الالتزام بها في كل مكان وزمان.

ومن أجل ذلك طلب عقد اجتماع لأعلى هيئة عبرانية وهي السندريون الأعظم وقدم إلى باريس لحضور الاجتماع أعضاؤه الدائمون من جميع أنحاء أوربة وكان عددهم واحداً وسبعين عضواً. وافتتح الاجتماع في شباط «فبراير» عام/ ١٨٠٧م/ في جو احتفالي عظيم.

وذهب السندريون إلى أبعد مما وعد به النواب اليهود. «بدئ الاجتماع بتوجيه الشكر إلى الكنائس المسيحية لحمايتها لليهود في الماضي. وهنا نلفت النظر إلى الشكاوى الصهيونية المستمرة من الاضطهاد القاسي لليهود المساكين في العصور المسيحية».

واعترف رسمياً بأن اختفاء الأمة العبرانية كأمة منفصلة هو أمر واقع قطعي. وهكذا انحلت المشكلة التي كانت تقف أمام كل اليهود وهي أن قانونهم لا يعترف بالفارق بين الدين والجنسية.

وبما أن الأمة لم تعد موجودة فإذن أصبحت قوانين التلمود غير نافذة المفعول وبقيت فقط التوراة كقانون ديني ثابت من دون تغيير. هذه كانت قرارات السندريون. وفي حال حدوث أي تناقض فإن القانون الديني يخضع لقانون الدولة المدني.

وظهر إنجاز «نابليون» هذا كانتصار لم يسبق له مثيل من قبل «ومن يدري ربما كان هو أحد الأسباب التي أدت على سقوطه».

لقد تحرر اليهود من سلاسل التلمود وانفتح الطريق أمامهم للانخراط في التيار الإنساني العام وانفتحت من جديد الطريق التي أغلقها اللاويون قبل /٢٠٠٠/ عام وأصبح مبدأ التمييز وروح الكره مرفوضة بشكل رسمي. ودخلت قرارات السندريون في أساس الحريات المدنية التي يستخدمها اليهود منذ ذلك الحين في جميع الدول الغربية وقد أيدت ذلك جميع المجموعات العبرانية المعروفة في ذلك الحين في الغرب.

ومنذ ذلك الحين قامت اليهودية الأصولية المؤمنة- هي أدارت وجهها إلى الغرب بشكل منافق متظاهرة بالولاء- بإنكار حتى أي تلميح بأن اليهود يمكن أن يكونوا «أمة داخل أمة». ومع مرور الزمن أخذ اليهود الإصلاحيون بإزالة كل ما يمكن أن تتضمنه الصلوات من أثر أو تلميح إلى البعث القومي اليهودي «الحاخام موسى ياكنسون».

وسحب ذلك البساط من تحت أقدام أعداء تحرير اليهود في البرلمان الإنكليزي الذين أكدوا «بأن اليهود ينتظرون قدوم المخلص العظيم وعودتهم إلى فلسطين إعادة بناء هيكل «سليمان» وبعث الدين القديم ولذلك فهم سينظرون دائماً إلى إنكلترا كمكان طردوا إليه وليس كبلدهم الدائم». «اقتباس برنارد براون».

ولكن هذه الأصوات المحرضة كانت على حق. وبعد أقل من /٩٠/ سنة أصبحت كل قرارات السندريون النابليوني بحكم الملغاة. مما أجبر «بروان» ذاته على كتابة ما يلي: «والآن وعلى الرغم من أن الحقوق المدنية «لليهود» هي مثبتة بالقانون في غالبية دول العالم فإن القومية العبرانية أصبحت الفلسفة الرسمية لإسرائيل ولا يجوز الاستغراب إذا اتهمتنا الشعوب الآخرى بأننا حصلنا على المساواة بفضل تصريحات كاذبة وأننا لا زلنا كما في السابق أمة داخل أمة. ولذلك فإن الحقوق الموكلة لنا يجب أن تسحب وتلغى».

لقد أعطى «نابليون» الأجيال المقبلة خدمة لا تقدر عندما تبين أن الأجوبة التي قدمت له من قبل اليهود ليس لها أي قيمة عملياً. وفي نهاية القرن التاسع عشر سقط من جديد على رأس اليهود القانون القاسي والوحيد وخضعت له جميع أعمالهم وأمورهم اليومية وأفكارهم ومن جديد حصل حكام التلمود على مساعدة الحكام الغرباء لتحقيق ذلك تماماً كما ساعد «ارتحشتا» في وقت السابق النبي «نحيميا».

هل كانت أجوبة اليهود لـ «نابليون» صادقة أم أنها كانت كذباً مسبق التصميم عليه.

لا شك بأن الرأي حول ذلك سينقسم تماماً كما كانت اليهودية دائماً وكما ستبقى وتكون ازدواجية المضمون ومن الواضح أن النواب اليهود عندما قدموا أجوبتهم أخذوا بالحسبان تأثيرها الإيجابي من حيث منحها اليهود مساواة كاملة في جميع الدول المستضيفة لهم.

ومن جهة أخرى لا شك بأن الكثير من هؤلاء النواب كان جدياً في أمله بانخراط اليهود في التيار الإنساني العام ومن دون أي أفكار مبطنة أو استنتاجات خفية.

ولا شك بأن الرغبة باختراق أسوار المحرمات القبلية كانت دائماً موجودة وحية وسط اليهود على الرغم من أن الطائفة المتسلطة كان لديها القدرة على إخمادها.

ولا شك بأن قسماً من النواب كان صادقاً في أجوبته بينما (أخل الآخرون بسرية بالولاء الموعود» «حسب تعابير «كاستين»).

ولا شك بأن أكثر نواقص السيندريون النابليوني كانت في أنه اقتصر في تركيبته على العبرانيين الأوربيين وغالبيتهم من السفارديم الذين تبخرت سلطتهم ونفوذهم القديم بين اليهود ، وفي الوقت الذي عاش أغلب العبرانيين الشرقيين «أشكناز» وكذلك المركز التلمودي في بولندا الروسية وفي روسيا ، وهو أمر قد يكون خفي على «نابليون» أو أنه لم يعطه أهميته الكافية. ولم يمثل التلموديون في سندريون «نابليون» ولذلك لم يلتزموا بقراراته واعتبروها هرطقة انطلاقاً من كونهم حملة وحراس التقاليد الفريسية واللاوية.

وبصدور القرارات العلنية للسندريون انتهت المرحلة الثالثة من تاريخ صهيون وهي المرحلة التلمودية والتي بدأت في مقاطعة اليهودية في عام /٧٠م/ حيث انتقلت التقاليد الفريسية إلى التلموديين.

مع نهاية القرن السابع عشر بدا وكأن القضية اليهودية «الخالدة» اقتربت من نهايتها مع صدور أجوبة وقرارات السندريون، وقد أبدى العبرانيون استعدادهم للانضمام إلى باقي البشرية عملاً بنصيحة العبراني الفرنسي «إسحق بيك» حيث دعاهم إلى الانفصال عن «روح التعاضد الضيق في كل الأمور السياسية والمدنية التي لا تتعلق مباشرة بشريعتنا الدينية. وفي تلك الأمور يجب أن نكون فقط أعضاء في المجتمع وفرنسيين أقحاحاً توجههم روح الوطنية الحقيقة فقط وقانون الرخاء الشامل لكل الشعوب».

وكانت هذه الكلمات هي نهاية للتلمود كستار وسور حول الشريعة». ولكن أتضح فيما بعد أن كل ذلك عبارة عن خيال وأوهام. ومن وجهة نظر الإنسان المعاصر غير العبراني فقد ضاعت فرصة لا تعوض. أما من وجهة نظر اليهودي المؤمن فقد نجحوا في صد خطر عظيم «وهو الانخراط في التيار العام للبشرية غير العبرانية».

وهكذا بدأت المرحلة الرابعة من تاريخ صهيون وهي قرن التحرر القرن التاسع عشر. وخلال هذه المرحلة قام التلموديون الشرقيون وقبل كل شيء بإلغاء وتصفية قرارات السندريون النابليوني، ومن ثم تمكنوا من استخدام الحرية الممنوحة لهم لكي يضعوا اليهود على نفس الدرجة مع الآخرين، ولكن فقط بقصد دفعهم من جديد إلى حظيرة «الشريعة» والتأكيد على انعزاليتهم وتقوية إصرارهم على تواجد قوي خاص، والذي يعني عملياً ليس فقط «أمة داخل أمة» بل يعني أيضاً أمة فوق كل الأمم الأخرى وتمكن التلموديون من تحقيق ذلك.

أما نتائج انتصارهم فنشهدها نحن المتواجدين في المرحلة الخامسة من تاريخ صهيون ولا يمكن فصل تاريخ هذا الانتصار التلمودي عن تاريخ الثورة العالمية والذي سنعود إليه الآن.

الفصل التاسع عشر

الثورة العالمية

ومع أجوبة السندريون على أسئلة «نابليون» انتهت المرحلة الثالثة وبدأت المرحلة الرابعة من تاريخ صهيون والتي بدأت مع الامتناع الرسمي لليهود في أن يكونوا أمة مستقلة «ومنفصلة» وانتهت بعد /٩٠/ عاماً بتأكيد علني من نفس العبرانية بأنها أمة منفصلة عن الأمم الأخرى وكان ذلك في أكثر الأشكال «الشوفينية» تطرفاً.

وقبل أن نتابع استعراض المرحلة الرابعة علينا أن نعود عشرين عاماً على الوراء إلى بداية الثورة العالمية في فرنسا ونستعرض دور اليهود فيها إن كان لهم فعلاً هناك أي دور.

لقد تميز القرن التاسع عشر للميلاد عن القرون الثمانية عشر التي سبقته بظهور حركتين عالميتين فيه لهما هدف واحد مشترك والذي أصبح في نهاية هذا القرن العامل الطاغي والمسيطر في السياسة العالمية.

إحدى هاتين الحركتين هي الصهيونية التي حاولت من جديد جمع الشعب المبعثر في كل الدنيا وخلق أمة واحدة منه وتوطينها في الأرض الموعودة من قبل «الرب العبراني».

أما الحركة الثانية- الشيوعية- فهدفها كان تحطيم مفهوم القومية والأمة وسط جميع الشعوب غير العبرانية.

ويبدو في أول الأمر أن أهداف هاتين الحركتين متعاكسة فأحدها جعلت من القومية ديناً لها بل ورباً لها بينما أعلنت الأخرى الحرب الضروس على القومية حرب حياة أو موت. ولكن في حقيقة الأمر كانت هذه التناقضات والخصومات ظاهرية فقط، أما في الواقع فقد تطورت الحركتان وسارتا على طريقين متوازيين ولم تتعارضا قط، لأن الرب الذي وعد الشعب المختار بأرض الميعاد وعده أيضاً بأن يضعه فوق كل الشعوب في الأرض وأن يضرب الشعوب الأخرى «ويهلكها بالكامل». وقامت الثورة العالمية بتنفيذ الوعد الثاني للرب العبراني وفي الوقت نفسه جهزت الظروف اللازمة للوعد الأول. ومهما كان الأمر مصادفة أم عن سابق قصد وتخطيط مسبق فهو في جميع الأحوال يخدم إرادة «يَهْوَه».

ومهمة المؤرخ أن يبحث ويتقصى ليتأكد هل توجد علاقة بين مؤسسي الصهيونية ومنظمي الثورة العالمية.

ولو كانت هذه العلاقة معدومة والصلة مقطوعة وكان التوازي في الأهداف هو محض مصادفة فإن جميع أحداث عصرنا هي عبارة عن سخرية التاريخ. ولكن لو كانت العلاقة فعلاً موجودة فإن أحداث الـ /٢٠٠/ سنة الأخيرة تنبئنا بالمستقبل. وفي هذه الحالة يمكن اعتبار الثورة العالمية خادمة لدى الصهيونية العالمية.

وعلى ما يبدو فإن الـ /٢٠٠/ سنة الأخيرة كانت الأكثر جنوناً والأقل وقاراً وكرامة في كل التاريخ الأوربي، فمع بداية القرن التاسع عشر كان خلف ظهرها سبعة عشر قرناً من التقدم المسيحي حيث تمكن البشر من تحسين أنفسهم وعلاقاتهم المتبادلة بشكل لم يسبق له مثيل من قبل. وحتى الحروب أصبحت تخضع للقوانين والأحكام الحضارية وبدا للجميع بأن مسيرة التقدم مستمرة لا محالة. ولكن في منتصف القرن العشرين ضاع الكثير من هذه المكتسبات ووقع نصف أوربة تحت حكم الآسيويين وساد الشك: هل يستطيع بقايا الغرب أن تحيا وتحافظ على المثل والقيم العليا فيه. والجواب على هذا السؤال يمكن أن تقدمه العقود الأخيرة من قرننا الحالي.

ويتطابق التدهور الأوربي مع تعاظم التأثير اليهودي على الحياة في الغرب والتي وصلت إلى قمم لم يصلها ملك أو أمير من قبل.

وصورة هذه القوة المتعاظمة والقادمة نحو أوربة من الشرق كالغيوم السوداء يمكن أيضاً إيضاحها باقتباس من القرن التاسع عشر. فقد كتب المؤرخ الفذ «يوغان فون هيردر» في عام /١٧٩١/ واصفاً القرن الذي مضى: «لقد أضحت شعوب أوربة البسيطة طواعية عبيداً لدى المرابين اليهود... كان الشعب العبراني وسيبقى في أوربة شعباً آسيوياً غريباً على قارتنا يخضع لشرائع قديمة حصل عليها في مناخ غريب علينا، وهي شرائع لا يقدر، وحسب اعترافه، التخلص منها والتحرر من قيودها. اليهود يقودهم قانون غريب ومعاد لكل الشعوب الأخرى»..

والإنسان المعاصر الذي قرأ في الصحف الوعود الرنانة للسندريون عام /١٨٠٧م/ سيُعد «هيردر» منافقاً متعصباً «أو حتى معادياً للسامية». ولكن السنين القادمة بينت أن «هيردر» كان يفهم ويعي ما يقول.

وبعد مئة سنة عاد عالم آخر وهو «هوستن ستيوارت تشمبرلن» إلى ما كتب «هيردر» مشيراً إلى ازدياد اغتصاب اليهود للسلطة: «حصلت تغييرات جدية جداً. فاليهود يلعبون اليوم في أوربة وفي الأماكن التي تسيطر عليها أوربة دوراً يختلف تماماً عن الدور الذي كانوا يلعبونه قبل

مئة سنة، وكما قال «فيكتور هون» «Hohn»: «نحن نعيش اليوم في العصر اليهودي». ويمكن أن نفكر بأي شكل من الأشكال عن التاريخ العبراني السابق ولكن في الوقت الحاضر يحتل هؤلاء مكاناً كبيراً في تاريخنا الذاتي وهو أمر لم يعد من الممكن السكوت عليه...

العنصر الغريب الذي لاحظه «هيردر» يزداد نفوذاً وقوة يوماً بعد يوم... إن النفوذ المباشر لليهودية في القرن التاسع عشر بدأ ولأول مرة باختراق تاريخ الثقافة وأصبح القضية الملتهبة للعصر. وأصبح هذا الشعب الغريب علينا، خلال القرن التاسع عشر كبيراً بشكل لا يتناسب مع عدده، وفي الكثير من المجالات أصبح عاملاً مسيطراً في حياتنا... لقد ذكر «هيردر» بأن الشعوب البسيطة في أوربة أصبحت بمحض إرادتها مستعبدة عند المرابين اليهود، واليوم لو كان موجوداً لقال نفس الشيء عن القسم الأعظم من العالم المتحضر... إن حكومتنا وقوانيننا وعلومنا وتجارتنا وأدبنا وفنوننا وعمليا جميع مجالات حياتنا أصبحت بشكل أو بآخر مستعبده طواعية لدى اليهود وتجر قيودها وإن لم يكن على كلا القدمين فعلى قدم واحدة على الأقل... إن التأثير المباشر لليهودية على قرننا التاسع عشر أصبح مشكلة لاذعة في حياتنا.

والقضية هنا ليست قضية الوقت الحاضر فقط بل هي قضية مستقبل كل العالم... ولو انتصر النفوذ اليهودي في أوربة في مجال الثقافة والإدراك الذهني فسيكون علينا من جديد الوقوف في وجه قوة التدمير السلبية».. هكذا جرت الأحداث خلال مئة سنة من «هيردر» حتى «تشمبرلين». ولا شك بأن العبارات الثلاث الأخيرة هي نبوءة رائعة ولكن «تشمبرلين» لم يتمكن من رؤية إثباتات ما توقع به: الانتصار الأسطوري على مستوى عظيم في تشرين الأول «اكتوبر» /١٩١٧م/. في السنين التي تلتها ولا يزال الآمر مستمراً ولكن بقوة أعظم. والآن يدور الحديث ليس فقط حول «التأثير على المستقبل العالمي». هذه العملية ترافقنا في كل مكان وكل واقعنا الحالي يحمل بصماتها ولقد غيرت طبيعة عالمنا بشكل كبير وكذلك كل مصير الإنسانية.

إن «رجال حكومتنا» وخلال القرن المنصرم أصبحوا عبيداً بمحض إرادتهم للطائفة المتسلطة حيث يمكن القول إنهم عملياً عملاء لهذه الطائفة. ووصلت أوربة إلى هذه الحالة بعد أن أنهكتها تماماً الشيوعية والصهيونية.

من الواضح الآن ومن استعراض الـ /٢٠٠/ عام الأخيرة أن كل مرحلة من مراحل تحطيم أوربة رافقتها مرحلة إعداد وتحضير «للعودة» إلى أرض الميعاد. وهذا يشير بوضوح إلى وحدة القيادة في تلك الأحداث وهو أمر لا يمكن التغاضي عنه.

أما بالنسبة لجماهير الشعب أي المسيحيين «الوثنين» «إذا ما استخدمنا تعابير التلمود» فإن هذه المرحلة التاريخية التي بدأت بثورة /١٧٨٩م/ كانت عبارة عن عاصفة هوجاء ليس لها معنى عميق آخر.

ولكن المؤرخ الجاد يسمع فيها إيقاع الشريعة المقلق والذي يتم خلاله تحقيق نبوءات الأنبياء اليهود.

كان القرن التاسع عشر قرن المؤامرات التي ظهرت نتائجها في القرن العشرين وقد أفرزت تلك المؤامرات، الشيوعية والصهيونية. وعاشت الاثنتان كالقُراد الملتصق على جسم مستقبل أوربة. أين كانت البداية؟ ولماذا ظهرتا في القرن التاسع عشر وفي الوقت نفسه تقريباً؟ هل كان لها جذور مشتركة؟.

للإجابة على هذه الأسئلة يجب البحث والتعمق في جذور كل من هاتين الحركتين على حدة ومن ثم النظر هل يوجد شيء مشترك. وسنقوم في هذا الفصل والفصل القادم بمتابعة الجذور العقائدية والفكرية للثورة العالمية.

كانت الثورة الفرنسية عبارة عن اختبار للثورة العالمية على أرض الواقع ولم تكن قط ثورة فرنسية بحته ولم يبق شك في ذلك منذ اللحظة الأولى للأحداث في فرنسا. قبل ذلك كان من الممكن الثرثرة عن الفلاحين المقهورين على أمرهم من قبل الأرستقراطية الاستغلالية. مما أجبرهم على النهوض ضد الاضطهاد. أو عن أي شيء آخر من ذلك القبيل.

ولكن أي نظرة عميقة إلى الأحداث تبدد هذا الوهم على الفور. لقد كانت الثورة نتيجة لخطة مسبقة لمنظمة سرية ولم تكن أبداً انفجاراً للقسوة الفرنسية سببته ظروف فرنسية.

خطة الثورة كانت نفس خطة شيوعية اليوم. وشيوعية اليوم تُعد حاملاً لمشعل الثورة العالمية المستمرة والمنبعثة من تلك المنظمة التي ابتدعت تلك الخطة.

والثورة الفرنسية عام /١٧٨٩/ تعطينا المفتاح الذي يكشف السر. إنها حلقة الوصل بين الثورة الإنكليزية عام /١٦٤٠م/ والروسية عام /١٩١٧م/ وهي تبين أن هذه الثورات الثلاث عبارة عن مراحل لتحقيق خطة موحدة تمر عبر هذه الدرجات الثلاث وتنطلق بوضوح إلى نصرها النهائي في المستقبل غير البعيد. وهو يصور كنصر تام للثورة في كل العالم لخلق حكومة أممية تحت سيطرة المنظمة التي حركت كل تلك الثورات منذ البداية وينتهي كل ذلك بإخضاع الشعوب الفاقدة الوجه والهوية على أيدي الطبقة الحاكمة الجديدة «أو باستعمال كلمات «كاستين»: «وهذا ما سيقرر مصير العالم كله»..» وبالتدريج تتضح معالم هذه العملية على مدى ثلاثة قرون، واليوم، المستقبل واضح تماماً إذا ما نظرنا إلى كل ثورة منها عبر موشور الثورة التالية لها:

١- يقال عن الثورة الإنكليزية للمعاصرين بأنها كانت مقطعاً من التاريخ الإنكليزي موجهة ضد ادعات الأسرة الملكية الحاكمة والكنيسة الكاثوليكية ضد ما سمي «بالبابوية» ولم يخطر على بال أحد من المعاصرين في ذلك الحين بأنها من الممكن أن تكون بداية الثورة

العالمية ضد جميع الأديان وضد كل الحكومات الشرعية «اليوم نحن نعلم أن الطائفة العبرانية المتسلطة كانت قد زودت ديكتاتور الثورة الإنكليزية بالمال، وعن طريق هذا التحريض التقليدي حصلت على أكثر المكاسب نتيجة لتلك الثورة ومن المحتمل جداً أن تكون تلك الطائفة من ضمن من خطط للثورة، ولكن لم يبق الآن أي دليل موثوق يشير على ذلك.

٢- تبين لنا طبيعة الثورة الفرنسية ما حدث في إنكلترا بشكل آخر تماماً. ففي ذلك الحين أصبح مفهوماً تماماً بالنسبة للمعاصرين بأن الثورة الفرنسية ليست مرحلة تاريخ فرنسي خاصة سببها الظروف الفرنسية بل على العكس جرت الثورة الفرنسية بخطة مسبقة لثورة شاملة وقد كشف ذلك قبل بدء الثورة بعدة سنوات وكان للمنظمة الثورية السرية التي كشف عنها أعضاء في مختلف دول العالم وفي مختلف طبقات المجتمع هناك، ولذلك فإن قتل الملوك ورجال الدين على الرغم من تكراره لما حدث في إنكلترا لم يبد حدثاً عرضياً وانتقاماً جرى بشكل عفوي في زخم الانتفاضة. بل كان عملاً مخططاً له معنى رمزي عميق هدفه تحطيم كل الأديان والحكومات الشرعية.

والكشف عن هذا الأمر يدفعنا إلى التفكير بأن الثورة الإنكليزية كانت أيضاً من إعداد نفس المنظمة السرية التي هدفها تدمير أمم الأرض كلها «الرابح الأعظم من الثورتين الإنكليزية والفرنسية كان اليهود وجماعتهم المتسلطة. التي حصلت على المساواة العامة لليهود واستخدمت ذلك كغطاء لعملياتها السرية في العقود اللاحقة. ولكن حتى هنا من الصعب الإثبات المباشر لاشتراك اليهود في الإعداد لهذه الثورة. والمعلومات التي لدينا لا تشير إلى ذلك».

ولكننا نرى أن الثورة الفرنسية وبخلاف سابقتها الإنكليزية أشارت إلى وجود خطة عالمية لها جذور عميقة. ومنذ ذلك الحين أصبحت طبيعة الخطة الثورية واضحة وهو أمر لا ينطبق على المتآمرين أنفسهم والذين في حال القبض على البعض منهم كان يقال بأنهم زمرة من الأفراد ولا يجمعها أي شيء سوى الهوس نحو التخريب. أجل كان الهدف واضحاً تماماً ولكن المخططين له ظلوا لغزاً غير معروف.

المؤرخ الإنكليزي اللورد «أكتون» وهو مصدر موثوق وعلى اطلاع في هذا المجال /١٨٣٤-١٩٠٢/ وصف هذه المشاهد التاريخية المبهمة بكلمات أصبحت شهيرة: «إن أبشع ما في الثورات ليس القتل والسلب والإساءة بل تنظيمها. فمن خلال الدم والنار نحن نلاحظ وجود تنظيم مدروس. ولكن يبقى القادة في خفاء تام وتحت مختلف الأقنعة ولكن منذ البداية لا يوجد شك في وجودهم».

أي إن الثورة الفرنسية فضحت وجود خطة منظمة مدروسة وراء الأحداث الثورية وهذه الخطة على مستوى عالمي.

وبعد ذلك يمكن النظر إلى الثورة الإنكليزية على أنها نتيجة خطة مسبقة معدة بإحكام ولكن لم يتمكن أحد من نزع الأقنعة بالكامل لا في الثورة الأولى ولا في الثانية. الأسرار كشفت فقط جزئياً.

٣- سمحت الثورة الروسية بالنظر نظرة جديدة إلى كل من الثورة الفرنسية والثورة الإنكليزية. إن عمليات قتل القيصر الروسي وعائلته وكذلك ذبح رجال الدين هي بلا شك تدل على وجهها الحقيقي تماماً كما تدل تحية المسلم على الدين الذي ينتمي إليه[1]. لقد أظهروا لكل من أراد رؤية ذلك بأن الدمار لا يزال يجري حسب الخطة التي ظهرت بوضوح في أحداث الثورة الفرنسية والآن لم يعد سراً هذا الأمر.

فمنذ عام /١٩١٧/ اعتبرت الثورة العالمية مستمرة وهدفها هو النصر في كل العالم وانقلب الأمر وما كان يُعد في السابق مؤامرة خفية، أصبح حزباً سياسياً يعمل في مختلف الدول وأما القيادة فكانت في موسكو. وهكذا أوضحت الثورة وبجلاء مصدر ومنبع الثورة الفرنسية وأصبح الآن من الممكن التكهن عن أصول القادة المتخفين للثورتين السابقتين. لقد كانت الغالبية العظمى من قادة الثورة الروسية من اليهود الشرقيين وبعد إعدام القيصر وعائلته بكل ما في ذلك من رموز صدر على الفور قانون حرم أي تلميح أو نقاش يشير على دور اليهودي في الثورة.

وهكذا جاءت الأجوبة على الأسئلة الحيوية وما كان سراً عام /١٧٨٩م/ أصبح أمراً معروفاً عام /١٩١٧م/ وقد أثبتت الثورة الروسية وجود خطة للثورة العالمية ووجود منظمة خططت لذلك ونفذته، وقد حولت أعمال هذه المنظمة القرن العشرين إلى قرن المؤامرة العظمى. وحتى الناس الذين لم يفهموا أو يعوا ما يجري بشكل صحيح تراهم قلقين خائفين من شيء ما يدور في الظلام له نوايا عدوانية. وحتى الهواء الذي يحيط بنا تحس به مشبعاً بأنفاس المؤامرة.

ومنذ الثورة الفرنسية كانت البشرية تحس غريزياً بأن شيئاً ما عدوانياً يعيش في صفوفها وأما نحن وبعد أن قاسينا من نتائج المؤامرة فإننا نرى بوضوح من هو خصمنا بصفاته المخيفة المطابقة للشيطان.

وكانت أسوأ الخدمات التي قدمها «نابليون» للإنسانية بانتصاراته وحروبه هو أنها ألهت الشعوب بحيث أغفلت رؤية الخطر الذي هددها ولولا «نابليون» لانتبه العالم إلى مؤامرة الثورة العالمية.

١- تحية الإسلام: السلام عليكم.

الفصل العشرون

خطة المؤامرة

في عام /١٧٨٦/ صادرت الحكومة «البافارية» أوراقاً لمنظمة سرية تعود للمدعو «أدام واي سخاوبت» «أخوية المنورين» ونشرت هذه الأوراق في عام /١٧٨٧/ وتضمنت خطة الثورة العالمية وكشفت عن وجود منظمة قوية يحتل بعض أعضائها مناصب حكومية رفيعة. وأصبح واضحاً منذ ذلك الوقت وجود أناس في جميع الدول والطبقات الاجتماعية هدفهم تدمير الحكومات الشرعية في هذه الدول وتدمير كل الأديان وبعد انكشاف أمر المنظمة انتقلت إلى العمل السري وظهرت إلى السطح بشكل علني بعد مئة وخمسين سنة عام /١٩١٧م/ وأصبحت تدعى المنظمة الشيوعية الأممية ولم تعد تخفي أهدافها.

وقد كشفت وثائق «واي سخاوبت» عن طريق مصادفة غريبة تماماً مثل تلك المصادفة التي حفظت وثائق «ويتكر تشامبرس» «Whittaker Chombers» وهو شاب أمريكي يافع جنده الشيوعيون عندما كان طالباً في جامعة كولومبيا وأصبح عميلهم عام /١٩٢٥م/ وأخذ يزودهم بالوثائق الحكومية التي يحصل عليها، وفي عام /١٩٣٨م/ أصابه القرف والرعب من تحالف «هتلر» و «ستالين» فترك الحزب وحاول إعلام الرئيس الأمريكي «روزفلت» عن وجود عملاء شيوعيين في الدوائر الحكومية الأمريكية، إلا أنه لقي رفضاً فظاً وقد نصحه موظف في البيت الأبيض بأن ينتحر غرقاً في البحيرة خيراً له.

على أثر ذلك أخفى «تشامبرس» ما كان لديه من الوثائق «صور طبق الأصل لمئات الوثائق السرية للدولة» في أحد المصاعد الكهربائية المهجورة وبعد ذلك نسي الأمر تماماً حتى عام /١٩٤٨م/ حين ورد اسمه كشاهد في إحدى قضايا التجسس. وهناك في المحكمة أتهم «تشامبرس» موظفاً حكومياً كبيراً هو «الجير هيس» «Alger Hiss» بالتعامل مع الشيوعيين وتسليمهم وثائق سرية للغاية. «هيس» أنكر ذلك واشتكى «تشامبرس» إلى المحكمة بتهمة تشويه سمعته، عند ذلك تذكر «تشامبرس» الوثائق وقام بتقديمها إلى المحكمة التي أذهلتها كمية وقيمة الوثائق من حيث المعلومات والسرية. واعتقل «هيس» أثر ذلك وانكشفت جزئياً شبكة تجسس شيوعية في أمريكا.

وبخلاف أوراق «تشامبرس» فإن أوراق «واي سخاوبت» نشرت جزئياً أما القسم الأكبر منها فقد اختفى بعد فضح المنظمة عام /١٧٨٦م/ وقد كان السبب في ذلك تبجح بعض أعضائها وتباهيهم، وكذلك لأن أعضاء آخرين فهموا أهدافها الحقيقة وقرروا هجرها والابتعاد عنها. وفي عام /١٧٨٣/ قام بعض «المنورين» السابقين بإطلاع الدوقة «ماريا» - «آنا البافارية» على نشاط هذه المنظمة وأبلغوها بأن الأخوية هذه تدعو إلى نبذ الدين «الشيوعية تقول بأن الدين هو أفيون الشعوب» لأنه تافه لا معنى له. وإن الوطنية هي «زعرنه» وإن الانتحار مبرر ويمكن فهم أسبابه. وإن الإنسان يجب أن يتعلق بشهواته وأحاسيسه وليس بعقله فقط. وإن القتل بالسم أو الخنق آمر وارد ومسموح به.

بعد ذلك أصدر حاكم «بافاريا» عام /١٧٨٥/ قانوناً ضد «المنورين» واعتبرت الأخوية فرعاً من فروع الماسونية ومنع الانتماء إليها على موظفي الدولة والعسكريين والمدرسين والطلبة، ومنعت كذلك كل المنظمات السرية غير المسجله رسمياً. ولكن هذا التحريم بقي غير فعالٍ ولكنه أقلق أعضاء المنظمة فقاموا بحرق الوثائق والأوراق الثمينة أو آخفوها جيداً وانتقلت الأخوية إلى العمل السري التام، وأما ما كشف في عام /١٧٨٤م/ فكان جزءاً قليلاً من نشاطها وكتب «فوريستي»، وهو مؤرخ اهتم بنشاط «المنورين»، وقال إن نشاط المنظمة عام /١٧٨٤م/ امتد من «بافاريا» إلى كل أوربة الوسطى. ومن الراين وحتى ويسلي ومن الألب حتى بحر البلطيق وكان بين أعضائها الكثير من الشباب الذين عملوا فيما بعد وفق الأفكار التي استقوها من الأخوية وكذلك الكثير من موظفي الدولة الذين استخدموا سلطاتهم الحكومية لمساعدة الأخوية وكذلك رجال الدين الذين تربوا على الاعتدال والذين استفادت الأخوية من نفوذهم وعلاقاتهم.

ويرى القارئ آن هذه هي صورة الشيوعية اليوم باستثناء الأمراء الذين تقلص عددهم كثيراً منذ عام /١٧٨٤م/.

ولكن حتى الوثائق القليلة التي نشرت تبين المستوى الضخم الذي وصلت إليه هذه المنظمة من حيث عدد الأعضاء والنفوذ وبشكل خاص في فرنسا وإنكلترا وأمريكا ولكنها لم تكشف تماماً عن طبيعة هذه الجماعة الخفية وعن أهدافها التدميرية.

وفي عام /١٧٨٥/ ضرب البرق آحد السعاة «المنورين» في «سيليزي» وعثر في حوزته على آوراق أشارت إلى شخصيتين مهمتين في «أخوية المنورين» وأدت إلى أعمال تفتيش في منزليهما. وكانت ضمن الأوراق مراسلات بين «سبارتاك» «أدام واي سخاوبت» و «اريو باغت» «أحد المقربين جداً إليه» وفيها الخطة الكاملة للثورة العالمية.

ومن الصعب جداً في الوقت الحالي إن يصدق أحد بأن خطة كهذه ولدت في رأس شخص واحد «برفسور مجهول من بافاريا» وقد كتبت «نيستا ويبستر» «Nesta Webster» في «World Revolution» بأن «واي سخاوبت» وأتباعه لم يؤسسوا ولم يكونوا مؤسسين بل فقط على أيديهم انطلقت قوة هدامة كانت راقدة على مدى مئات السنين في انتظار ساعة البدء.

لقد أسس «واي سخاوبت» «أخوية المنورين» في أول أيار «مايو» عام /١٧٧٦م/ عندما كان عميداً لكلية الحقوق في جامعة «اينهول شتاد» «في العصر الحديث يعشعش الكثيرون من الأساتذة الشيوعيين في كليات الحقوق» وكان في البداية من أنصار اليسوعين وخاب آمله فيهم فيما بعد ولكنه تعلم منهم أسرار منظمتهم وقام بتحويرها وتوجيهها إلى أهداف معاكسة تماماً.

وقد ذكر أحد أتباعه من الثورين الفرنسين الكونت «ميرابو» بأن طريقته في العمل تتلخص في «وجود الكثير من الناس المنتشرين في أنحاء متفرقة من العالم والخاضعين لقيادة واحدة ولهم هدف واحد». هذه الفكرة توحد أناساً مختلفين بواسطة منظمة سرية للوصول إلى أهداف يجهل معظمهم فحواها ولكنها تملأ الأوراق والوثائق التي صادرتها الحكومة البافارية وهي تطرح الفكرة المشار إليها بحماس مشهود. وأما طرق تحقيق ذلك فهي مثيرة ومختلفة ومن دون أي شك تستخدم هنا تجارب التخفي المتراكمة على مدى القرون والمؤرخة الإنكليزية «نيستا ويبستر» وخلال بحثها عن جذور هذه العقيدة الشاذة اضطرت على العودة إلى بداية العصر المسيحي أو حتى إلى الفترة التي سبقتها. وأما البارون «سلفستر دي ساسي» وهو مستشرق فرنسي شهير /١٧٥٨-١٨٣٨م/ فقد كتب عن الإسماعيليين «وهي طائفة إسلامية» يقول: «بأنهم كذلك حاولوا إيجاد أنصار لهم في جميع طبقات المجتمع لتخريب الدين الذين ادعوا التبعية له والحكومة التي تحكمهم.

وقد وضع زعيم الإسماعيليين «عبد الله بن ميمون» نصب عينيه «تأسيس جماعة توحد في صفوفها ما يدعى بالعقلاء الأحرار والذين يرون في الدين فقط لجاماً للناس البسطاء والمتخلفين والمتعصبين.

وحسب شهادة باحث آخر يهتم بهذا الموضوع وهو «رينهارت دوزي» «Reinlart Dozy» فإن «عبد الله ين ميمون» باستعماله مثل هذه الطرق تمكن من دفع الكثير من الناس إلى العمل المشترك لتحقيق أهداف يعرفها فقط عدد قليل منهم».

هذا- وصف دقيق لأهداف وطرق ونجاحات «أدام واي سخاوبت» وكذلك الشيوعيين المعاصرين. ولم يشك أحد في دقة وصحة وثائق «واي سخاوبت» وقد توقعت حكومة بافاريا

إمكان الحديث عن التزوير «وهي موضة سائدة في أيامنا هذه» لذلك دعت كل من يود إلى الاطلاع على هذه الوثائق في أرشيف ميونخ الحكومي.

ولقد كشفت هذه الوثائق ما يلي:

أولاً- هدف الأخوية.

ثانياً- طرق عملها.

وثالثاً- أسماء الكثير من أعضائها وسنتطرق إلى كل من هذه المسائل بالتدريج:

عرضت الفكرة الأساسية بوضوح في مراسلات «سبارتاك» مع رفاقه الآخرين «وكان لهم جميعاً أسماء حركية مستعارة» وتضمنت تدمير السلطة الشرعية بالكامل وكذلك القومية والدين مما يفتح الطريق أمام «المنورين» لاغتصاب السلطة. ويضيف المؤرخ الفرنسي «هنري مارتن» «Henri Martin» على الشكل التالي: «إلغاء كل أنواع الملكية وجميع الضوابط الاجتماعية وكذلك الدين والقومية وعودة البشرية إلى الوضع السعيد عندما كانت أسرة واحدة بلا احتياجات مصطنعة وعلوم لا نفع منها وعندما كان أب كل عائلة قاضياً ورجل دين في آن واحد.

ومن غير المعروف عن أي دين يدور الحديث لأنه على الرغم من التوجه المتكرر إلى رب الطبيعة فإن كل شيء يشهد بأن («واي سخاوبت» لم يكن لديه رب غير الطبيعة فقط).. ويؤكد ذلك كلمات «واي سخاوبت» نفسه: «ستختفي القوميات ويختفي الملك... والقانون الوحيد للإنسان هو العقل والإدراك». ويرفض «واي سخاوبت» في كتاباته أي طرح لفكرة السلطة الربانية خارج نطاق الإنسان.

ولا شك من أن مهاجمة «الأمراء والملوك» هو ستار وقناع للحرب على كل ما هو وطني وقومي «وقد تأكد ذلك كلياً فيما بعد: حيث لم يبق في عهدنا للملوك والأمراء أي أثر. على الرغم من ذلك يقوم الشيوعيون بقتل رؤساء الدول والوزارات والآخرين من صفوف الكادحين» أما الهدف من مهاجمة القساوسة فكان بالطبع تدمير كل الأديان.

وأما الأهداف الحقيقة فتظهر في مراسلات «واي سخاوبت» مع أتباعه المقربين. وكان يوحى بالأهداف المخادعة المزيفة إلى الأعضاء البسطاء وإلى المجتمع ككل في حال عرفَ هذا المجتمع شيئاً ما عن «المنورين». وقد برع «واي سخاوبت» في إغراء أصحاب القرار والمتنفذين ورجال الدين إلى منظمته.

وآحسن مثال على ذلك وعلى براعة «واي سخاوبت» بالتكيف مع الظروف هو حربه ضد الدين. ففي ذلك الوقت كانت مهاجمة الدين أمراً غير مألوف يتطلب جسارة أكبر من الوقت الحاضر.

في البداية كانت فكرته الأولى جعل عبادة النار دين «المنورين» ولكنه وعي وفهم بأن ذلك لن يجذب رجال الدين إلى جانبه. ووجد أن أفضل فخ لهم هو التأكيد بأن «يسوع المسيح» كان لديه عقيدة سرية لم يعلن عنها صراحة أبداً، ولكن عند قراءة الإنجيل تبدو واضحة بين السطور، وزعم أن أساس هذا الدين الخفي هو إلغاء أي دين واستبداله بالإدراك: «وعندها، يصبح الإدراك ديناً وتحل المشكلة».

وطبعاً، أغرى كون المسيح هو المؤسس المزعوم، الكثير من رجال الدين إلى دخول الباب المفتوح أمامهم واستهزأ وسخر الزعماء «المنورين» خفية من هؤلاء، وقد كتب أحد زعماء المنظمة المدعو «فيلون» «في الحقيقة كان البارون كينغي»: «إذن نحن سنقول إن «يسوع المسيح» لم يود أبداً تأسيس دين جديد وهو فقط أراد إعادة الدين الطبيعي والإدراك في شكلهما القديم، وللشرح من الممكن الإشارة إلى الكثير من نصوص الكتاب المقدس وعلى هذا الأساس تختفي كل الخلافات بين الطوائف عند العثور على شرح عقلاني معقول لتعاليم المسيح، صحيحاً كان أم لا...

وبعد ذلك نستطيع أن نفعل أكثر ضد القساوسة والأمراء. لقد جعلت الأمر كذلك بشكل يمكن بعده اطلاع الملوك والأحبار في هذه الدرجة. ومن ثم وبأعلى سرية علينا:

أ- كشف هذا الخداع الفضيل «العفيف».

ب- أن نفضح كذب كل الديانات والعلاقة المتبادلة بينها».

وقد أصاب السرور «سبارتاك» من هذا الكلام ولذلك أجاب قائلاً: أنتم لا يمكن أن تتصوروا المفاجأة والضجة التي ستثيرها صيغتنا الكهنوتية وأروع ما في ذلك كون البروتستانت والإصلاحيون الدينيون الذين اتبعونا لا يزالون يعتقدون بأن عقيدتنا الدينية تحتوي على روح المسيحية الحقة.

آه..! أيها الإنسان. بأي أمر لا يمكن إقناعك. أنا لم أتوقع أبداً بأنني سأصبح مؤسساً لدين جديد»..

وبعد أن أقنع «واي سخاوبت» الكثير من رجال الدين بآن هذه الهرطقة هي الدين الحق، تابع الرجل نجاحاته في بافاريا. وتشير وثائقه إلى أنه طرد الكثير من أساتذة الكليات من جامعة «اينهول شتاد» بسبب عدم انتمائهم للأخوية. وإن الأخوية أمنت موارد جيدة ومعابد

ومناصب في البلاط لأعضائها من رجال الدين «وإن المدارس أصبحت في أيدي «المنورين» وقريباً نفس المصير ينتظر المدارس الدينية بعد ذلك» سنقدر على تأمين رجال دين مناسبين لبافاريا كلها»..

وكان الهجوم على الدين هو الميزة المميزة لمبدأ «واي سخاويت» وعقيدته. وكانت نظريته عن «رب الإدراك ورب الطبيعة» قريبة جداً من اليهودية في علاقاتها نحو الغرباء. وهو أمر تجدر الإشارة إليه لأن حركة «المنورين» تطورت فيما بعد إلى الشيوعية التي وقعت تحت سيطرة العبرانية. و «الشريعة اليهودية» أيضاً تذكر بأن الغرباء يحق لهم فقط ديانة الإدراك والطبيعية وهو ما دعا إليه «واي سخاويت».

ويقول «موسى مندلسون» «/1729-1786/ Moses Mendelsohn» في مذكراته: «يتفق جميع الحاخامات على أن كل شرائعنا المكتوبة والمحكية والمكونة لديانتنا هي ملزمة فقط لشعبنا، «موسى» أعطانا الشريعة وتركة «أبناء يعقوب».

نحن نؤمن بأن الرب أمر جميع الشعوب الأخرى باتباع قوانين الطبيعة. وكل من يتبع في حياته تعاليم ديانة الإدراك والطبيعة هذه يُعد عند الشعوب الأخرى من الأناس الطيبين الخيرين». وقد كتب «موسى مندلسون» ذلك قبل /٢٠٠/ سنة تقريباً وحدد بشكل صحيح علاقة العبرانية نحو من أسماهم «كيب لنغ» ذات مرة «أمم صغيرة خارج الشريعة»..

وبدأت العبرانية في الوقت الحالي /١٩٥٥/ تناقش إمكان الاقتراب، شكلياً، من الأمم الصغيرة ولكنها في واقع الأمر والحقيقة تحذفهم «أي الأمم الصغيرة» إلى الأبد كبشر ناقصين.

نحن نعرف أن اليهود قبل ظهور المسيحية كانوا يقبلون دخول الغرباء إلى دينهم بشكل أو بآخر، ولكن بعد المسيح لم يسمح العبرانيون بذلك «باستثناء دخول الخزر الجماعي إلى اليهودية».

وفي عام /١٩٥٥/ دعا الحاخام الإصلاحي الشاب «ياكوف بتخوفسكي»، المولود في ألمانيا والمقيم في أمريكا، إلى بدء الحملات التبشيرية بين الجماهير غير العبرانية. وقامت دعوته على نفس مبادئ «موسى مندلسون» وفقط اجتاز هو الصعوبة التي ظن «مندلسون» عدم إمكان تخطيها «وحسب مبادئ ديانتي لا يجوز لي إدخال أحد إليها ممن لم يولد في شريعتنا... والدين العبراني يحرم ذلك تماماً»..».

وعملياً حسب خطة «بتخوفسكي» فإن الداخلين الجدد إلى الدين غير العبرانيين سيكون وضعهم بالنسبة إلى اليهود الأقحاح «اليهود بالولادة» تماماً كوضع الزنوج الأمريكان بالنسبة لأسيادهم البيض في عهد العبودية في أمريكا.

ولقد فرض على الداخلين الجدد «أو بالأحرى سمح لهم فقط» الخضوع «لقوانين نوح السبعة» «على ما يبدو واستناداً إلى الفصل التاسع من التكوين» وليس إلى مئات التحريمات والأحكام التي أعلن «موسى» أنها من الرب. وبذلك تحصل الأمم الصغيرة على «دين» «الإدراك والطبيعة» المناسب لها قبل فترة من ذلك وبذلك يمكن للداخل إلى الدين الجديد أن يسمي نفسه عبرانياً تماماً كما يمكن للزنجي العبد حمل كنية سيده الأبيض.

ويمكن شرح هذا العرض الحذق بأن سلطة العبرانيين في الوقت الحاضر بلغت درجة من العظمة أصبح من الضروري معها إيجاد حل ما لمشكلة «الأمم الصغيرة» حتى تأخذ الشريعة مجراها الحرفي، كما كتب «بتخوفسكي» نفسه «يُعد العبرانيون المتدينون أن خطط مملكة الرب على الأرض هي في أيديهم... وأما غير العبرانيين الذين يفكرون بذلك الخلاص العظيم المقبل فيجب اطلاعهم عما تستطيع العبرانية أن تفعل لهم وتعطيهم، وعليهم أن يسلموا أقدارهم إلى دار إسرائيل».

وما يعرض هنا على الغرباء غير العبرانيين هو عملياً ديانة «الإدراك والطبيعة» ومن دون أن يفهموا أن الرب الحقيقي الموجود هو سهل المنال فقط للشعب المختار ويفهم مما جاء أعلاه أن الرب نفسه شطب هؤلاء الغرباء غير العبرانيين من قائمة من سيدعوهم إلى جانبه وأمرهم «أي الغرباء» فقط بالعيش حسب قوانين الطبيعة والإدراك. أي أن «واي سخبوت» رسم لهم أمراً لا يختلف عما أعده لهم الرب العبراني.

وحتى إذا لم يكن حاخامات التلمود هم من أوحى بفكرة «المنورين» «لم نستطع إيجاد ما يشير مباشرة إلى ذلك» فإنه من السهل تفسير السبب الذي جعلهم يلعبون الدور الرئيسي في الحركة الشيوعية.

أما عن أهداف «أخوية المنورين» فيكفي القول بأنها ومن دون أي تغيير تتطابق مع أهداف الشيوعية اليوم. وأما فيما يتعلق بطرق التجنيد فقد برعت في استخدام أكثر الخصائل البشرية سفالة.

وقد عثر وسط الوثائق المصادرة على مغلفين أثارت محتوياتها الرعب في الرأي العام في ذلك الوقت وذكر فيها حق الأخوية بتقرير حياة أو موت أعضائها وكذلك وثائق تحيي الإلحاد

وتدعو إليه وتعليمات حول كيفية إجراء عمليات الإجهاض وتزوير الأختام وتحضير العطورات السامة والحبر السري وغيره. وقد أذهلت هذه الأمور بافاريا الكاثوليكية في عام /١٧٨٧م/.

وتضمنت وثائق «واي سخاويت» على مخطط بيّن النظام المستخدم في مراقبة وتسيير المنظمة وهي تشبه خلايا النحل وفي أيامنا هذه تبنى خلايا الأحزاب الشيوعية على هذا المنوال. ولا شك بأن من وضع هذا النظام كان يتمتع بقدرة عقلية كبيرة وذكاء حاد وهو وبلا شك اعتمد على تجارب مرت عبر القرون لأن مثل هذه الطرق تظهر فقط عن طريق التجارب الطويلة التي تتخللها الأخطاء والعثرات.

ويتميز هذا النظام بأن أي خلل أو فشل فيه يكون له نتائج محدودة لا تصيب البنية الأساسية بضرر مما يسهل إصلاح الخطأ وإزالته ولا يؤثر ذلك على عمل المنظمة ككل. وقد جلس «واي سخاويت» في مركز هذه الشبكة ممسكاً بكل الخيوط في يديه وعلى المخطط كان مكتوباً: «يجب إن نبين كيف تستطيع رأس واحدة ذكية أن تحرك بسهولة المئات والآلاف من الناس». وأضاف في الأسفل: «وفي الأسفل مني يقف اثنان الهمتهما بأفكاري وأسفل كل منهم يوجد اثنان آخران وهكذا دواليك. وبالتالي بإمكاني أنا تحريك الآلاف من الناس بهذا الشكل بالذات يجب إن يكون العمل والقيادة في السياسة».

وفقط بعد نشر هذه الوثائق عرف الكثير من الأعضاء أن «واي سخاويت» يقف على رأس الأخوية لأن كلاً منهم كان يعرف فقط أقرب رفاقه لا غير.

قبل ذلك كانوا يعرفون فقط أن فوقهم يقف «الزعيم المحبوب والأخ الأكبر» حكيم يعلم كل شيء. طيب القلب ولكنه حازم وهو بمساعدتهم سيغير العالم.

وبالفعل حقق «واي سخاويت» نجاحات باهرة غير عادية نسبت في السابق أيضاً لـ «عبد الله بن ميمون»: «تمكن من دفع الكثير من الناس من مختلف الآراء على العمل المشترك لتحقيق أهداف يعرفها فقط القليل منهم».

ولكن كون كل واحد من المخدوعين كان يعرف فقط شخصين آخرين من أمثاله لا يمكن أن يعطي مثل هذه النتائج: كيف استطاع «المنورين» السيطرة على هذه الكمية والعدد من الناس؟ فأما «واي سخاويت» قد اكتشف هذا السر بنفسه وأما قد يكون أطلع عليه ممن هو أعلى درجة منه. الثورة العالمية استطاعت أن تدك أعضاءها في سلسلة واحدة فقط بمساعدة الإرهاب.

كان لكل واحد من «المنورين» اسم حركي مستعار يستخدمونه في اتصالاتهم ومراسلاتهم. وموضة الألقاب الحزبية لا تزال مستخدمة إلى هذا اليوم وقد عرف العالم قادة ثورة /١٩١٧/ في روسيا بألقاب لا تزال الأجيال تدعوهم بها حتى اليوم[1].

وكذلك تشير الفضائح الجاسوسية ما بين /١٩٤٥-١٩٥٥/ إلى أن العملاء الشيوعيين في أمريكا وإنكلترا وكندا واستراليا استخدموا أيضاً ألقاباً وأسماء مستعارة تماماً كما فعل «واي سخاويت» وأتباعه.

وكانت الأخوية تتكون من عدة درجات أو دوائر في الخارجية منها كان الأعضاء الجدد والبسطاء، وكان تسلق درجات المنظمة يرافقه دائماً اطلاع جديد على أسرار جديدة للمنظمة. وقد فضل «واي سخاويت» تجنيد الشباب من سن /١٥-٣٠/ سنة وكلما تطور الإنسان في مجال الخدمة الوظيفية أو في المجتمع كلما انتقل إلى درجة أعلى في الأخوية. وقد ذكرنا كيف جرى سابقاً تجنيد رجال الدين. وإذا كان الشيوعيون اليوم يطلقون شعارات مثل «يسوع» كان أول شيوعي منهم فقط يقلدون «واي سخاويت» وبتبديل كلمة منور بكلمة شيوعي.

وكان على العضو الجديد أداء القسم في اجتماع مهيب مخيف أعد خصيصاً لذلك وتضمن بعض السخرية والاستهزاز من بعض الطقوس المسيحية، مثل سر المناولة وغيرها، بعد ذلك يطلب منهم فتح صفحة لأهاليهم يذكرون فيها أهم «أهوائهم وهواياتهم» وكذلك التجسس على بعضهم بعضاً وعلى الآخرين، وهذان الأمران يدخلان في قواعد الأحزاب الشيوعية المعاصرة. وتمتد بدايتها إلى «شرائع موسى» التي أوجبت أيضاً التجسس والوشاية على الأقرباء المشتبه في هرطقتهم. «ويجب وضع جواسيس على الجواسيس» هذا ما جاء في الشرائع والأحكام. وكان يوحى للعضو الجديد بأنه لن يعرف أبداً كم من رؤسائه يراقبونه. كان يعرف رئيساً واحداً فقط. وتعلم الوشاية بكل من يحيط به. هذا هو المبدأ الأساسي في الإدارة عبر الإرهاب. وللنجاح الكامل لا تكفي السجون والتعذيب والقتل. فقط الإدراك بعدم جواز الوثوق بأحد كائناً من كان «الأب أو الابن أو الصديق أو الأخ» هو الذي يجبر الضحية على الخضوع والانصياع التام. وقد دخل هذا الإرهاب السري منذ ذلك اليوم إلى الحياة السياسية في أوربة وحتى من لم يلسع بناره يشعر اليوم بسلطته ولو كانت على بعد آلاف من الكيلومترات.

١- (لينين) و (ستالين) القاب مستعاره -المترجم

وبنيت الوثائق على أن «أخوية المنورين» وبعد عشر سنوات من ظهورها ضمت في صفوفها أكثر من ألف عضو. كان من بينهم من شغل مناصب رفيعة في الجهاز الحكومي وأثروا على القرارات الحكومية المهمة بل كانت صفوفهم تحتوي حتى على بعض الحكام. وقد كتب عن ذلك الماركيز «دي لوشي» وهو باحث في «المنورين» وعاصرهم وقال بأن نحو ثلاثين من الأمراء في الحكم وخارجه دخلوا من دون تردد إلى الأخوية التي أقسم زعماؤها على تدميرهم، وبالإضافة إلى السفراء وأساتذة الجامعات والسياسيين المختلفين، ودخل الأخوية كذلك، الكاتب الذي اشتهر فيما بعد عند كتابته، بعد عشرين عاماً، رواية عن شاب باع نفسه للشيطان: وعندما نقرأ «فاوست» لا يمكن إلا أن تفكر بأن الكلام هناك يدور عن غوتة نفسه وعن «المنورين» والموضوع في صلبه يشبه كتاب «الشاهد» وغيره من الكتب الكثيرة التي كتبها أناس قطعوا علاقاتهم مع الشيوعية.

وكما ذكر أعلاه لم تحتو القائمة على جميع الأسماء وذلك بسبب التدبيرات الاحترازية التي اتخذتها الأخوية قبل أن تقوم سلطات بافاريا بتفتيش بيوت زعماء الأخوية في عام /١٧٨٦م/ ولهذا السبب بالذات كشفت الوثائق فقط عن بعض المناطق التي نشطت فيها المنظمة.

ومن المحتمل جداً أن يكون «واي سخاوبت» فقط عبارة عن قائد محلي لمجموعة أو لمنطقة، وأما القيادة العليا لهذه المؤامرة العالمية فبقيت غير مكشوفة. ولا يوجد أي شك بأن الثورة التي اشتعلت في فرنسا بعد ثلاث سنوات وتحولت إلى هجوم مفضوح على الدين والدولة جرت حسب خطط «واي سخاوبت» وأتباعه على الرغم من عدم وجود أي أسماء أو إشارات تدل على عمل المنظمة في فرنسا.

وكما يحدث في عصرنا فإن اتخاذ قرار جديد بمنع منظمة شيوعية لا يعني أنها ستختفي. وكذلك الأمر في عام /١٧٨٦م/ فلم يؤد منع «المنورين» إلى اختفائهم من الوجود ولقد منح عملاؤهم الثورة الفرنسية صفات أشارت مباشرة إلى أنها وليدة الثورة العالمية وليست حدثاً محلياً سببه عدم رضا الشعب الفرنسي عن أوضاعه الحياتية. وبالطبع لا يمكن تصور تأثير عصر الإرهاب قبل أن يتم هذا الإرهاب. ولكن على الرغم من ذلك فقد كان موجوداً قبل ذلك بكثير في خيال «المنورين» المختلفين. من الذي يخطر على باله تنظيم موكب علني يسير في مقدمته حمار يحمل أوعية ومواد كنيسة مقدسة. لقد تشربوا تقاليد السخرية القديمة ضد المسيحية.

وفي رأس من تأتي فكرة تتويج فنانة كملكة للإدراك في كنيسة «نوتردام» في باريس إلا في رأس «واي سخاوبت» وأمثاله. «لكي نطلب روح جهنم... من الضروري علينا تدنيس تقاليد الدين والدوس على أهم رموزه المقدسة». بهذه الكلمات يتكلم «آ. ي ويت» عن السحر الأسود. وكما هو معروف فإن السحر الأسود وعبادة الشيطان هي أمور أساسية في عقيدة «المنورين».

لقد أراد «واي سخاوبت» وأتباعه وعلى الأغلب وزعماؤه التسلل إلى فرنسا بواسطة عملائهم السريين أصحاب الوظائف والنفوذ العالي. واختار «واي سخاوبت» أفضل طريق لكي يمسك في أيديه كل ما يدور في فرنسا من أحداث. لقد تمكن من استخدام منظمة أخرى سرية اخترقها وحصل على طرقها وأدواتها المذكورة في وثائقه المصادرة: هي المنظمة الماسونية أو ما يدعى بمحفل الشرق العظيم.

وأما عن كيفية السيطرة على الماسونية بواسطة العملاء «المنورين» وعن النجاح في هذا المجال فقد جاء ذلك بوضوح في وثائق «واي سخاوبت». فقد كتب في البداية: «لقد تمكنت من التوغل بعمق في أسرار الماسونية وأصبحت أعرف أهدافها وسأستخدمها عند الضرورة وأدخلها «أي الأهداف» إلى أعلى درجات أخويتنا».

ومن ثم يعطي أمراً عاماً بالانتساب إلى المحافل الماسونية «عند ذلك سيكون لنا محفل ماسوني خاص بنا... وسنعتبرهم حين ذلك مثل المفرخة... وعند الضرورة سنختبئ وراء ظهورهم». «واستخدام منظمة لمنظمة أخرى كغطاء يستخدم اليوم بشكل واسع من قبل الشيوعيين.»

ويتابع «واي سخاوبت»: «المهم الوصول إلى الهدف وليس مهما أي غطاء استخدم لهذا الغرض. الغطاء ضروري دائماً. أغلب قوتنا تكمن في التخفي والتستر. لذلك علينا أن نختبئ وراء يافطة منظمة أخرى ما. في الوقت الحاضر أهدافنا العليا تتطلب منا التستر وراء رواد المحافل الماسونية. عند ذلك ستكون منظمتنا صعبة المنال وفي حال الخيانة أو الملاحقة سيكون من الصعب اكتشاف زعمائها. وسيفصلنا ظلام دامس عن جواسيس ومبعوثي المنظمات الأخرى». وفي هذه الطرق لا توجد صعوبة من رؤية الشيوعية المعاصرة. حيث يحتل أعضاؤها الأحزاب والمؤسسات والجمعيات من دون أن يغيروا في اليافطة حرفاً واحداً. ويشهد على عظمة إنجازات «واي سخاوبت» الشكوى التي قدمها «دون براون شفيغ» إلى المسؤول الماسوني الأول في ألمانيا والذي كان عضواً سابقاً في «أخوية المنورين» بعد خمس سنوات من بدء الثورة الفرنسية. وقد كتب عن حل المحفل الماسوني عام /١٧٩٤/ كلمات بين المرارة والذهول: «نحن نرى كيف تحطم ما بنيناه «أي الماسونية» وتتطاير الشظايا مغطية الأرض ونحن نرى الدمار ولكن أيدينا عاجزة عن إيقاف ذلك... لقد نهضت طائفة قوية والتي تحت

شعار الخير والسعادة البشرية تقوم بأعمال سوداء تحول سعادة الناس إلى غنائم لها وهي طائفة معروفة جيداً وأخوتها معرفون وكذلك اسمها. إنهم هم من حفروا تحت أساس أخويتنا حتى دمروها بالكامل. إنهم هم من سمم البشرية كلها وأرسل قدرها بطريق الضلال ولعدة أجيال قادمة...

لقد بدأ عملهم بتشويه الدين والتجني عليه. ومن أعمالهم وأقوالهم تبدو واضحة خطة تدمير العلاقات الاجتماعية والنظام المعهود وهم يجندون أتباعاً لهم في جميع الطبقات الاجتماعية لقد خدعوا أكثر الناس حذاقة وأخفوا عنهم بالكذب دوافعهم الحقيقية.. ويريد زعماؤهم ليس أكثر أو أقل من التربع على عروش الأرض كلها بعد ذلك ستتصاع حكومات الشعوب لرغباتهم السوداء.

هذا ما حدث وما يحدث الآن ولكن نحن نرى أن الشعوب والحكام لم يستوعبوا بعد كيف وبأي الطرق تجري هذه الأمور. لذلك علينا أن نخبرهم عن ذلك بكل صراحة.

أدى الاستغلال السيئ لأخويتنا «الماسونية»... إلى تلك الكوارث السياسية والأخلاقية التي يعج بها العالم اليوم. أنتم عقلانيون وعليكم الانضمام إلينا ليرى الناس والحكام أن المتآمرين هم مرتدون عن أخويتنا. وهم فقط كانوا من ابتدع هذه الثورة وغيرها من الثورات المقبلة. ولكي نقتلع جذور الخطأ والاستغلال البشع علينا أن نحل كل أخويتنا على الفور»..

وبإيراد هذا الاقتباس ركضنا خمس سنوات إلى الأمام مستبقين الأحداث التي بحثنا فيها لكي نوضح كيف اتهم أحد قادة الماسونية في ذلك بعد توبته، «المنورين» بتدبير الثورة الفرنسية وكل الثورات اللاحقة. ومن يملك الحق أكثر من زعيم الماسونية الألمانية بالشهادة على الإنجازات التي اعترف بها «واي سخاوبت» نفسه الذي أراد احتلال الماسونية لقيادة الثورة.

والماسونية التي كانت ذات قوة كبيرة في فرنسا. اتجهت وتحت تأثير من دخلوا فيها إلى أقصى التطرف وذلك بتأسيسها نادي «اليعاقبة».

وتحت تأثير «المنورين» أيضاً توطدت سلطة الإرهاب في عهد نزع فيه قادة الثورة الأقنعة وأظهروا طبيعتهم الحقيقية، وقد بينت الثورة الفرنسية بوضوح كما بينت الثورة الروسية بعدها بـ /١٣٠/ سنة أن الفقراء والمحرومين والضعفاء تكرههم الثورة أكثر حتى من الأغنياء.

وهي تكره الفلاحين أكثر من مضطهديهم المزعومين الملاكين والإقطاعيين وكذلك تكره الجمال والمعابد والدين وكل ما يرفع روح الإنسان فوق مستوى الرغبات والاحتياجات الحيوانية.

ولقد أصبح «أدام واي سخاوبت» ماسونياً في عام /١٧٧٧/ وبعد مرور سنة على تأسيس «أخوية المنورين» وأصبح عضواً في محفل ميونخ. وكان الكونت «ميرابو» على علم برغبة «واي سخاوبت» بالانضمام إلى الماسونية وفي السبب الحقيقي الخفي وراء ذلك وفي مذكراته بتاريخ /١٧٧٦م/ حيث سرد برنامجاً يشبه أو يطابق برنامج «المنورين».

وقد كتب «ميرابو» في عمله «تاريخ الملكية البروسية» متذكراً «واي سخاوبت» و «المنورين»: «في محفل «تيودور» ذي الأثر الطيب في ميونخ كان هناك بعض الأخوة بقلب وحكمة والذين اتعبتهم الذبذبات المستمرة والنقاشات والخلافات في المحافل الماسونية. وقررت القيادة إضافة رابطة أخرى سرية إلى فروعها وأعطتها اسم «أخوية المنورين» وقد أنشئت على غرار أخوية اليسيوعين على الرغم من أن أهدافهما متضاربة تماماً».

وهذه تماماً نفس الطرق والأهداف التي تحدث عنها «واي سخاوبت» في وثائقه الخاصة وما يشهد به هو أن «ميرابو» القائد الثوري المستقبلي كان في ذلك الوقت أي في عام /١٧٧٦م/ على علم بهذه الأهداف والطرق. وإضافة إلى ذلك تؤكد كتابات «ميرابو» بأن منظمة «المنورين» السرية آنشئت خصيصاً لكي تستولي على إدارة الماسونية ثم تعد للثورة وتقودها. وعلى اشتراك «ميرابو» في العملية منذ البدء تشهد واقعة أنه في كتابات /١٧٧٦/ «سنة تأسيس أخوية المنورين» أطلق عليه الاسم الحركي «المستعار» «ارخيسلاس» ومن ذلك يمكن الاستنتاج بأنه كان من المؤسسين للأخوية مع «أدام واي سخاوبت» وبقي فيما بعد أحد قادتها. ولا يمكن إنكار أو إهمال دور «ميرابو» كصلة وصل بين الثورة الفرنسية و «واي سخاوبت».

ويقول «م. باراتو» «Barthou» في مذكراته بأن «خطة الإصلاح» التي عثر عليها بين أوراقه عام /١٧٧٦م/ يذكر في الكثير من تفاصيله الوثيقة التي اعتمدت فيما بعد الجمعية التشريعية «البرلمان الباريسي الثوري /١٧٨٩م/» أي بكلمات أخرى يوجد تشابه كبير بين نشاط البرلمان الثوري الباريسي عام /١٧٨٩م/ وبين خطه «واي سخاوبت» لعام /١٧٧٦م/ عندما أسس مع «ميرابو» «آخوية المنورين» بهدف السيطرة على الماسونية.

المرحلة التالية من الاغتصاب السري للماسونية من قبل «واي سخاوبت» أيضاً معروفة.

في المؤتمر العالمي الماسوني عام /١٧٨٢م/ أي قبل سبع سنوات من الثورة. تم تجنيد عدد كبير من الأتباع «للمنورين» هناك لدرجة أن أخوية «الالتزام الحازم» وهي فرع من الفروع القوية اختفى من الوجود. وتأمن وانفتح طريق النصر الكامل على الماسونية بعد دخول اثنين من كبار الألمان الماسونيين وأكثرهم نفوذاً إلى معسكر «المنورين» وهما الأمير «فرنارد براون

شفنغ» «والذي تاب فيما بعد» والأمير «كارل غينسكي». وفي عام /١٧٨٥م/ اشترك «المنورين» في مؤتمر ماسوني في باريس.

ومنذ ذلك الوقت أصبح التخطيط الدقيق للثورة حسب كل المؤشرات من اختصاص محفل «الأصدقاء المتحدين» والذي كان عبارة عن غطاء «للمنورين» وبعد ذلك تضيع الخيوط والآثار بسبب فضيحة وانكشاف المنظمة في بافاريا التي أدت إلى منع المنظمة من العمل وتدمير وثائقها عام /١٧٨٦م/.

وفي عام /١٧٨٧/ زار وفد من «المنورين» باريس سراً بدعوة من اللجنة السرية للمحفل. وفي الحقيقة كان معروفاً حتى قبل تطور الأحداث الثورية أن «المنورين» حرضوا على الثورة وقادوها وقد شاهدنا ذلك في تحذيرات واتهامات ماركيز «دي لوشي». «Luchet» ونحن نرى اليوم تنبؤاً مذهلاً في وقته وليس فقط كيف ستسير الثورة في فرنسا بل وحتى الطريق المستقبلي للثورة العالمية وحتى عصرنا الحاضر. ولقد كتب في عام /١٧٨٩/: «اعلموا آن هناك مؤامرة الاستبداد ضد الحرية وعدم الموهبة ضد الإبداع والخطيئة ضد الفضيلة والجهل ضد التنوير.

وهدف هذه الجماعة السرية- السيطرة عل كل العالم... إن هدفها هو السيادة العالمية ولم يتعرض عالمنا لكارثة من مثل هذا النوع سابقاً».

وقد حدد «دي لوشي» بدقة الدور الذي أجبر الملك على لعبه في فترة المرحلة «الجيروندفيه» من الثورة: «وسترون بأنه سيصبح عبداً لأهواء كل المحيطين به وأنه سيمنح السلطة لمن لا يستحقها مناقضاً بذلك أراءه الشخصية ومسبباً العار لنفسه».

وعن الوضع المخزي الذي ستصل إليه فرنسا بسبب الثورة: «نحن لا نقول بأن الدولة التي يحكمها «المنورين» ستختفي من الوجود ولكنها ستصل إلى مستوى من الذل إلى درجة لن يأخذها أحد بالحسبان في السياسة وستقلص عدد سكانها»..

وقد حذر «لوشي» بأنه لو بقيت كل تحذيراته من دون اهتمام فستأتي «مجموعة من الكوارث نهايتها بعيدة تضيع في غياهب الزمن وستظل النار تعسّ من تحت الأرض لتخرج النار دورياً إلى السطح في انفجارات مدمرة ومميتة»..

و لا شك بأنه لا يمكن كتابة أحداث الـ /١٦٥/ سنة القادمة بدقة أكثر من ذلك. لقد تنبأ لوشي أيضاً عن أهل الثورة الليبراليين والتقدميين والذين بسببهم ستحدث الانفجارات المميتة والمدمرة في المئة والخمسين سنة تلك: «أهواء ورغبات كثيرة لها مصلحة في دعم نظام

«المنورين». والكثير من الحكام المخدوعين يصورون أنفسهم مثقفين متنورين ولكنهم في الواقع يجرون شعوبهم نحو الهاوية»..

وتنبأ أيضاً بتعاظم قوة وصرامة المؤامرة: «لن يتخلى زعماء المنظمة أبداً عن السلطة التي وصلوا إليها ولا عن الموارد والخيرات التي تحت تصرفهم».. ودعا «دي لوشي» المنظمة الماسونية بتطهير ديارها منهم ما دام الأمر لم يفت بعد: «ألم يعد ممكناً توجيه الماسونية ضد «المنورين» وإعلام الجميع بأن هناك من يزرع بذور التفرقة ويعد العدة لتدمير أخويتهم تماماً في الوقت الذي يعملون هم فيه على الحفاظ على النظام والهدوء في المجتمع»..

وبعد /١٦٥/ سنة قام الكثير من الناس في إنكلترا والولايات المتحدة أيضاً بدعوة وتحذير حكوماتهم، بنفس الكلمات، من «المنورين» الذين أصبحوا شيوعيين ولكن من دون أن يأتي ذلك بأي نتيجة.

ويوضح المدى الصحيح الذي تنبأ به «دي لوشي» كونه كتب كلماته في عام /١٧٨٩/ عندما لم تكن الثورة الفرنسية قد أصبحت ثورة حقيقية بعد. لقد اعتقد الجميع بأن الأمر سينتهي بإصلاحات معتدلة تصحح الوضع وتترك للملك سلطة معتدلة محددة وتزيل الاستغلال الواضح وتؤمن لفرنسا الحرية والعدالة. وظل الناس يؤمنون بذلك حتى عام /١٧٩٠م/ عندما فهم متنبئ آخر يعيش على الطرف الآخر من «المانش» الجوهر الحقيقي لتلك الثورة والذي قال عنه بعد مرور /١٠٠/ سنة «جون موريل» بأنه «تنبأ بتطور سير الأحداث بدقة متناهية». هذا الشخص هو «ايدموتد بريك» «/1729-1797/ Edmund Burke» وهو سياسي وفيلسوف إنكليزي من أصل أيرلندي كان يُعد من أبرع الخطباء في البرلمان الإنكليزي في وقت من الأوقات، ويُعد الزمن أفضل حكم يحكم على مناقب إنسان مثل هذا ومع مرور الزمن تصبح كلماته عن الثورة الفرنسية أكثر نبلاً. ومن المدهش أنه وعلى غرار «دي لوشي» كتب ذلك في عام /١٧٩٠/ عندما كانت أسماء «روبسبير» و «دالتون» مجهولة تقريباً وعندما لم يسمع أحد بعد بكلمة «جمهورية» وكان الملك لا يزال يستعد لسنين طويلة من الحكم الدستوري وأما فرنسا فقد فرحت كثيراً للإنجازات التي تحققت من دون مشكلات تذكر.

وها هو «جون موريل» يكتب: «عندما هبت العاصفة وتحققت التنبؤات الرهيبة لم يكن غريباً أن يتوجه الناس إلى بريك».. ولكن للأسف لم يكن هذا الكلام الأخير يطابق الواقع تماماً لأن الكثير من الناس أخذ يحارب «بريك» في الوقت الذي أخذت تنبؤاته تتحقق. أجل حاربوه لأنه قال الحقيقة، ولأن وسائل الإعلام والرأي العام في ذلك الوقت كان قد أصبح وإلى درجة كبيرة تحت سيطرة المتآمرين، ويتوضح ذلك من إن

المديح له انقلب فجأة على ذم وقدح مباشرة بعد أن نشر أفكاره «عن الثورة الفرنسية» «E. B». Reglections on the Revolution in France» /1790/» ومن الواضح أن «المنورين» وكل المنظمات الخاضعة لهم نظرت في البداية إلى «بريك» كحليف لها. لأنه على مدى عشرات السنين كان يدافع عن المستوطنين الأمريكان. والآن يسودهم الذهول كيف يدعم «بريك» ثورة ويقف ضد أخرى.

واتحد الجميع ضد «بريك» مثلما تتحد وسائل الإعلام الموجهة من جهة واحدة ضد كل من يتجرأ على طلب التحقيق في الدسائس الشيوعية في أيامنا هذه[1].

ولو اتبع «بريك» الخط التقدمي وكتب بأن الثورة الفرنسية هي لأجل الفقراء، لكان المديح له استمر كما في السابق. ولكن كلماته كانت ستموت قبله ولكان منسياً من زمان ولكن كلماته التي فضحت الثورة لا تزال تلمع كالذهب الخالص: «اختفى كل شيء: إحساس المبدئية وعفاف الشرف والتي بالنسبة لهما أي بقعة صغيرة تكون كالجرح العميق... لقد انتهى عصر الفروسية وجاء بدلاً منه عصر الثرثارين والاقتصاديين والمحاسبيين وانطفأ مجد أوربة إلى الأبد».

وكلمات النبوءة هذه لا تزال حقيقية أكثر مما كانت عليه في عام /١٧٩٠م/. ووجدت أوربة المسيحية في «ايدمون بريك» متباكياً نبيلاً بليغ اللسان. لقد فهم المعنى الحقيقي لأحداث فرنسا وعرف بوضوح الفرق بين «الثورات» ولم تخدعه يافطة تحمل اسم الثورة علقوها ووضعوها على الحرب الاستعمارية لمزارعين محليين من أجل استقلالهم. وهو كصديق صادق للحرية أيد المستوطنين في طلب الإدارة الذاتية ورغبتهم في أن يكونوا أصحاب القرار في أراضيهم. ولكنه لم ير أي تشابه بين دوافع هؤلاء وأهداف أولئك الذين بقوا يقودون الثورة الفرنسية من الظل والخفاء.

وفي هذا الوقت خدع الناس في أمريكا بما يجري في فرنسا ووقعوا ضحية لشعور مزدوج وهو ما أشار إليه «بريك»: لقد ساد هناك رأي بأن فرنسا تشهد ثورة نبيلة تشبه في شكلها العام «الثورة الأمريكية». لذلك ساد لفترة من الوقت ولع هسيتري بكل ما هو فرنسي. عند ذلك ارتدى الأمريكان شارات الرأس وطواقي «اليعاقبة» ورقصوا وابتهجوا وساروا تحت الأعلام الأمريكية والفرنسية وهم يصرخون «الحرية، المساواة، الأخوة». ومع بداية الإرهاب في باريس حل مكان هذه الأوهام، الرعب والقرف.

١- يقصد المؤلف فترة الخمسينيات من القرن الماضي -المترجم.

وقد حمل زعماء «اليعاقبة» «قادة نظام الإرهاب» أسماء مستعارة وألقاباً تاريخية على غرار «واي سخاوبت» الذي كان «سبارتاك». واتبع هؤلاء الإرهابيين خطط «المنورين» وطبقوها بأمانة ودقة. وعبرت عن أهدافها السياسية بقتل الملك وتدنيس المعابد والكنائس - تدمير السلطة الشرعية والدين- ولكن كان واضحاً جداً أنهم كانوا أداة في أيدٍ غريبة. وقد كتب معاصرهم «لو مبار دي لانفر» «Lombard De Langres» عن «جماعة شديدة السرية قادت كل الأحداث بعد /٣١/ أيار «مايو» وبقوة سوداء مخيفة والتي كان «كونفيت» عبداً لها وقد تكونت من «المنورين» المطلعين. ووقفت هذه القوة فوق «روبسبير» وفوق كل اللجان الحكومية... واستولت على كل خيرات الأمة ووزعتها على الأصدقاء والأخوة الذين ساعدوها في عملها»..

تلك كانت صورة الناس في أعلى قمة السلطة. كانوا ينفذون إرادة طائفة خفية تقف فوق الجميع وحولت كل الثورة إلى كوميديا في مسرح دمى شيطانية جرى تمثيلها في إطار ألسنة النار الحمراء ورائحة الكبريت. وكانت تلك ثورة كثورة فقط وليس ثورة فرنسية.

كان لا يزال من الممكن الجدل حول طبيعة الثورة الإنكليزية ولكن بعد /١٧٨٩م/ نرى أن ما يجري هو ثورة واحدة مستمرة، ولم تكن أحداث /١٨٤٨/ وعام /١٩٠٥م/ أحداثاً منفصلة بل هي تكرار لوميض «تلك النار الكامنة إلى الأبد والتي تنبأ بها «لوشي». و «بريك» حتى قبل بدء الأحداث ذاتها.

وتكمن القيمة التاريخية للثورة الفرنسية في أنها بينت كيف يمكن استخدام بعض الناس لتحقيق أهداف هم أنفسهم يجهلونها ولا يعلمون شيئاً عنها. وبالذات هذا الأمر هو الذي يحدد الآن وحدد في الماضي الطابع الاعتيادي الشيطاني لطبيعة الثورة. والذي اسماه «لومبار فلانغر» بـ «رمز جهنم».

وعندما أخذت الثورة تخبو في فرنسا وأمريكا وإنكلترا خرج ثلاثة أشخاص كانوا على علم بثلاثة أمور وهي: إن كل مجرى الثورة سار على حسب الخطة المكتشفة في وثائق «المنورين» /١٧٨٧/ وأتضح بأن المنظمة السرية لديها القدرة على تفجير الثورة مستخدمة في ذلك الماسونية وقيادتها.

إن التجمع السري لمتآمريها لا يزال حياً يحمل خطة الثورة العالمية الدائمة ويعد «لانفجارات قسرية مميتة» في المستقبل تنبأ بها «دي لوشي».

من هؤلاء الناس كان الأب «القس» «بارويل» وهو يسوعي كان شاهداً على الثورة. والبرفسور «جون روبيسون» وهو عالم اسكتلندي و «جيديديا مورس» وهو جغرافي ورجل دين

أمريكي. والثلاثة كانوا من الناس المشهورين. وقد نشرت لمرات عديدة كتب القس «باروبل» والبرفسور «روبيسون» وكذلك مواعظ «مورس» في فترة /١٧٩٧-١٧٩٩/ ولا تزال دليلاً لكل من يدرس تلك الفترة التاريخية وقد حصلت أعمالهم على تأييد واسع ومن ضمنها كتابات «وليام كوبت» «William Cobbett /1763-1835/» والذي كتب تحت اسم مستعار وهو Peter Porcupine وكان صحفياً موهوباً ومعادياً للديمقراطية و «لليعاقبة». وقد أجبرته على الهجرة نفس القوى السوداء التي حاربت «باروبل» و «ربيسون» و «مورس».

وكتابات «الأب باروبل» عن الأحداث التي عاصرها تتطابق تماماً مع توقعات «دي لوشي» ومع التحليل اللاحق للورد «اكتون». لقد قال «باروبل»: «ونحن سنوضح للقارئ بأن كل ما جرى في الثورة الفرنسية بما فيها أفظع الجرائم المرتكبة كان أمراً مخططاً له ومقرراً ومحسوماً سابقاً. وأنها كانت نتيجة لخطط عميقة متوغلة في الشر أعدها ونفذها أناس في أيديهم مفاتيح المؤامرات والدسائس التي وضعت في أوكارهم المظلمة... على الرغم من أنه قد يبدو أن الأحداث اليومية ليست مترابطة مع بعضها بعضاً ولكن على الرغم من ذلك يقف وراء كل منها قوة واحدة سرية وتوجهها نحو الهدف وضعت منذ زمن بعيد...

إن السبب الحقيقي للثورة وخصائصها المميزة وجرائمها البشعة- كل ذلك سلسلة مستمرة لجرائم شريرة مخطط لها منذ زمن طويل».

وقد توصل الثلاثة إلى استنتاجات متطابقة:

(إنها مؤامرة ضد المسيحية... إنها مؤامرة ليس فقط ضد الملوك بل وضد أهل السلطة وضد كل المجتمع وحتى ضد كل الممتلكات «الأب باروبل»).

«لقد ظهرت منظمة هدفها الأساسي المطلق اقتلاع كل العقائد الدينية والإحاطة بكل الحكومات الموجودة في أوربة» «روبيسون».

«الهدف الأساسي هو تدمير واقتلاع المسيحية والإحاطة بكل السلطات المدنية» «موريس».

وقد اتفق الثلاثة على أن كل ما جرى لم يكن أمراً فرنسيا محدداً سببته الظروف الفرنسية الداخلية بل كان عمل منظمة ذات خطة دائمة شاملة خطة عالمية.

وهم كذلك كانوا على ثقة تامة بأن هذه المنظمة كانت منظمة «المنورين» السرية وإنها هي بالذات من نفخ الروح في مرحلة الإرهاب في الثورة وفي قادتها وإن هذه المنظمة احتفظت بقوتها العظيمة في إنكلترا والولايات المتحدة وهو ما شدد عليه «باروبل» بالذات.

وقد أيد الكثير من رجال المجتمع في ذلك الحين هذه الاستناجات وأما الأحداث المقبلة فقد أكدت ذلك ولا سيما في عصرنا حيث ظهور الثورة العالمية وتطورها المستقبلي منذ لحظة ظهورها الثانية في أوربة.

ومحاولتهم إيقاف الكارثة التي ستحدث نتيجة المؤامرة كانت عديمة الجدوى وهذا الأمر بالذات هو الذي أعطى مصيرهم إثارة خاصة. وقد أكد مصيرهم ذلك بوضوح أكثر حتى من الذي كتبوه بأن هناك فعلاً منظمة خفية قوية تقوم بنشاط تدميري دائم في جميع الدول. وانصب على «برويل» و «روبيسون» و «مورس» سيل من الاتهامات الكاذبة التي في نهاية الأمر تمكنت من التخلص منهم.

في تلك الأيام كانت الصحافة في المرحلة الأولى من تطورها وكانت الصحف عادة يملكها شخص واحد وهو في الوقت نفسه المحرر والناشر. لذلك كانت السيطرة على الصحافة أصعب في ذلك الوقت منها في وقتنا الحاضر.

وتتابعت الحملة المركزة على هؤلاء الثلاثة وبينت أنه حتى في عام /١٧٩٧م/ كان «المنورون» يسيطرون على الصحافة في أمريكا وإنكلترا وكان ذلك اكتشافاً غير متوقع حصلنا عليه عند تجميعنا لمواد هذا الكتاب. وقد شعر كاتب هذه السطور نفسه بأن كل الصحافة والإعلام تخضع للرقابة وأن أي مؤلف يحاول أن يكتب عن الثورة العالمية على غرار «ادمون بريك» سيجد كل الطرق مغلقة أمام نشر أعماله.

وتشهد على ذلك أيضاً الكاتبة الإنكليزية المؤرخة «نيستا ويبستر» «Nesta Webster». فعندما حاولت في بداية العشرينيات الكتابة عن الثورة قام ناشر لندني معروف بتحذيرها: «وتذكري بأنه فور اتخاذك موقفاً معادياً للثورة ستجدين كل عالم الأدباء يقف ضدك»..

وقالت «ويبستر» بأن ذلك أدهشها في البداية ولكنها سرعان ما تحققت من صحة كلامه. ونفس الأمر حدث مع مؤلف هذا الكتاب ولكنه في البداية ظن أن مثل هذا الأمر ممكن في ظروف الثلاثينيات من عصرنا ولكن عندما تعرف على قصة «بارويل» و «روبيسون» و «مورس» اكتشف أن كل العالم الأدبي وقف يداً واحدة ضدهم عام /١٧٩٨م/ في الوقت الذي كان الإرهاب «اليعاقبي» قد انتهى لتوه.

وكل ذلك يبين بوضوح عن وجود خط مستقيم يوصل ما بين «المنورين» /١٧٨٩م/ وبين شيوعية اليوم. نفس المبادئ ونفس الشعارات ونفس الطرق.

واتهمت الصحافة المؤلفين الثلاثة بالتلفيق و «مطاردة الأشباح» وبأنهم متعصبون ويثيرون الفزع وبأنهم يطاردون حرية الرأي وحرية العلوم ويشوهون الأفكار الليبرالية والتقدمية وغير

ذلك الكثير. ومن ثم أخذت الصحافة تتدخل في حياتهم الشخصية ويتهمونهم بالانحلال والعلاقات المالية المشبوهة وفي النهاية ظهرت أقوال تشير إلى عدم اتزانهم العقلي وهي كلها أمور معروفة جيداً في العصر الحديث.

وهذه الطريقة تُعد وسيلة ناجعة في تشويه السمعة وتستخدم ضد أي معادٍ للشيوعية. ومن الصعب عدم الملاحظة أن المصدر الأساسي والأول لمثل هذه الطرق هو التلمود حيث استخدمت لأول مرة ضد «يسوع المسيح»: «الموسوعة العبرانية» في مقالة عن «يسوع» ترسل القارئ إلى أعمال الكاتب العبراني «الذي لا يشك بأن أساس سلوك وأقوال «يسوع» يقوم على أسس بسكولوجية غير طبيعية».

مختصر القول يمكن الإشارة إلى أن الغوغاء والضجة حول «برويل» و «مورس» و «روبنسون» قامت باستعمال نفس كلمات القاموس السياسي الضيق والذي يسهل التعرف عليه في العصر الحاضر من الديمومة غير المتغيرة لكلمات الثورة ورجالها وهو أمر يشير على أصولها التي تعود إلى مركز تنظيمي واحد.

وكانت هذه الحملة ناجحة إلى درجة جعلت تحذيراتهم كما وتحذيرات «بريك» أمراً منسياً بالنسبة للجمهور. ولكن الزمرة السرية ظلت تخاف منهم وترتعد لأنها كانت تخاف من الحقيقة كما يخاف الشيطان من البخور.

وقد استمر الافتراء والشتم المبتذل حتى بعد انتقال الثلاثة إلى العالم الآخر. ففي عام /١٩١٨م/ خصص في جامعة كولومبيا- نيويورك، صندوق خاص لا بأس به للبحث عن البراهين التاريخية التي أثبتت أن «أخوية المنورين» اختفت من الوجود بعد أن منعت رسمياً عام /١٧٨٦م/ ولذلك لم يكن بإمكان هذه الأخوية لعب أي دور في الثورة الفرنسية وكما أنها لن تستطيع الاستمرار بعد هذه الثورة. وقد جاءت مواد بحوث هذا الصندوق وكأن المذكورين الثلاثة أعلاه لا يزالون أحياء ويتابعون «تصيد الأشباح».

وفي عام /١٩١٨/ المذكور كانت الثورة الروسية في بداياتها وكان من المهم جداً على ما يبدو الإشارة إلى أن الثورة الفرنسية كانت حدثاً محلياً محدداً لم يترك أي جذور وخصوصاً ما يمكن إن يكون له علاقة بالثورة الروسية. ولو كان بإمكان «بريك» و «روبيسون» و «مورس» مراقبة ما يجري من مكان ما لكانوا لا حظوا بأنه في عام /١٩١٨/ وفي السنوات التي تلتها كانت جامعة كولومبيا مكاناً مناسباً استطاع الشيوعيون تجنيد العملاء فيه. ومن بين التعساء الفاشلين الذين وقعوا في شباكهم كان «تشامبرس» المذكور سابقاً ولو استمع الرئيس «روزفلت» لتوبته وتحذيراته المتأخرة عام

/١٩٣٩/ لكان من الممكن إن تتغير نتائج الحرب العالمية الثانية إلى الأفضل وبالتالي الزمن الذي نعيش فيه.

وعلى الرغم من أن أول رئيسين لأمريكا لم يقوما بأي أعمال فعالة ضد المنظمة الخفية. ألا أنهما كانا قلقين جداً من نشاطها وقد فهما جيداً أن «برويل» و «ربيسون» و «مورس» كانوا قد قالوا الحقيقة. وقد كان أحد آخر أعمال «جورج واشنطن» رسالة وجهها إلى «مورس» يعرب فيها عن أمله في أن يحصل عمله «على انتشار أكبر.. وذلك لأنه يحتوي على معلومات شديدة الأهمية يعرفها عدد محدود من البشر بينما الانتشار الواسع لها في المجتمع كان سيكون شديد النفع»..

«لا شك بأن الجنرال «واشنطن» لم يكن ليقترح على «تشامبرس» الانتحار غرقاً في البحيرة.». وقبل فترة قصيرة من ذلك كتب «واشنطن» إلى مراسل آخر بأنه «أي واشنطن» على قناعه تامة «بأن عقائد «المنورين» و «اليعاقبة» منتشرة بشكل واسع في الولايات المتحدة». وحقاً لم يكن هناك أي شك في ذلك. فقد ظهرت الجمعية الخفية في الولايات المتحدة في عام /١٧٩٣/ أي بعد عشر سنوات من ولادة الجمهورية وراء المحيط. وقد تنكرت تحت اسم «النوادي الديمقراطية». ولكن حقيقة هذه النوادي كانت واضحة من علاقة المبعوث الفرنسي جين «Genet» بها. والذي أبدى تعاطفاً واضحاً نحو هذه النوادي «يشبه التعاطف الذي أبداه السفراء والقناصل السوفييت نحو المنظمات الشيوعية أو بالأحرى التي تستخدم كغطاء للشيوعية. «وقد توطدت علاقات السفارات السوفييتية والأحزاب الشيوعية في دول تواجد هذه السفارات، من التحقيقات التي أجريت في كندا عام /١٩٤٥-١٩٤٦/ واستراليا /١٩٥٤-١٩٥٥/».

وفي عام /١٧٩٤م/ اتهم الرئيس «واشنطن» هذه المنظمات التي زعم بأنها ظهرت من «تلقاء نفسها» بالتحريض على العصيان في بنسلفانيا بسبب تدهور الأمور هناك بعد زيادة الضريبة على الكحول.

وكانت هيبة «واشنطن» قوية جداً لدرجة لم يستطع أحد معها اتهامه بتصيد الأشباح. واضطرت النوادي إلى الاختباء في أوكارها. ولكن منذ تلك اللحظة بدا واضحاً وجود منظمة ثورية عالمية في أمريكا لكل من لم يسمح بغسيل دماغه عن طريق الصحف.

وأدى انفضاح دور محفل الشرق العظيم الماسوني المخترق من «المنورين» في الثورة الفرنسية إلى ظهور شكوك حول دور الماسونية الأمريكية. ولكن كون «واشنطن» نفسه كان رئيساً للأخوية الماسونية الأمريكية أعاق كثيراً ظهور نقاش مفتوح وحر حول ذلك.

ولم يتعب المدافعون عن الماسونية من تكرار وترديد هذه الحقيقة وأقاموا خلال مراسم دفن «واشنطن» استعراضاً ماسونياً كبيراً في عام /١٧٩٩م/ ولكي يبرهنوا على حبهم للفقيد البطل وقد توقفت أي مناقشات ومحاولات في هذا المجال فقط بسبب الاحترام الكبير له وليس لعدم توافر اهتمام شعبي.

ولكن اثنين من الماسونين المشهورين في ذلك الوقت وهما «موسى ستود دارو» و «سيت بايسون» وعلى غرار الدوق «براون شيغيغ» في أوربة صرحا بشكل مفتوح بأن «المنورين» اخترقوا الماسونية الأمريكية وأخذوا يعملون تحت ستارها.

وفي عام /١٧٩٨م/ قام خليفة «واشنطن» الرئيس «جون ادامس» بالتوجه بتحذير حدي إلى الماسونية «... جمعية الماسونين اتقنت علوم الإدارة وفن السيطرة على المجتمع وهي معروفة فقط لها ولا أحد يعرفها غيرهم من الفلاسفة ورجال التشريع في العالم. وأنا أقصد ليس فقط أنهم يستطيعون التعرف على بعضهم بعضاً بواسطة إشارات وحركات يجهلها الآخرون ولكنني أقصد منظومتهم الفريدة التي تلزم جميع الرجال وعلى الأغلب النساء على كتم أسرار المنظمة وإذا وجدت هذه الطريقة استخداماً قد يؤدي إلى شطب قواعد السلوك السائدة في المجتمع وتدخل إليها السياسة وعدم الخضوع للدولة فإنه سيكون واضحاً بأن هذه المعارف وهذه الجمعيات يمكن أن تستخدم الأهداف الشريرة التي كان يشتبه بأن هذه الجمعيات تضمرها»..

بعد هذا اللوم المكشوف كان فقط موت «واشنطن» هو الذي ساعد على كبح الإصرار الشعبي المطالب بتحقيق شامل لنشاط الجمعيات السرية.

ولكن الشك لم يخب على مدى العقود الثلاثة التالية وأدى إلى ظهور ما دعي بـ «الحزب المعادي للماسونية عام /١٨٢٧/ والذي صرح في مؤتمره في ولاية «ماساتشوس» في عام /١٨٢٩م/: «على السطح ظهرت البراهين عن العلاقة بين محافل الماسونية العليا و «المنورين» الفرنسيين». وكان ذلك المحاولة الشعبية الأخيرة للحصول على تحقيق علني. وفي المؤتمر التالي للحزب في فير مونت عام /١٨٣٠م/ طرح موقف الحزب في كلمات أصبحت اعتيادية في العصر الحديث:... ولأسباب غير معروفة كان الإصرار على التحقيق أخذ يختفي بسرعة وبدت الصحافة خرساء تماماً كصوت الحارس المخنوق وأما الجماهير الشعبية فتبقى جاهلة بكل إشارات التحذير فيما يخص الأمور الماسونية»..

وبكلمات أخرى يمكن القول أنه تم إسكات جميع المطالب بالتحقيق تماماً كما يجري إسكاتها في العصر الحديث أيضاً بفضل الصراخ عن «تصيد الأشباح».

ومنذ ذلك الوقت وحتى أيامنا هذه لم يتمكن الشعب الأمريكي من إجبار أي حكومة أمريكية لتجري تحقيقاً شاملاً حول الماسونية وقد تتابع اختراق عملائها «عملاء الماسونية» لكل المؤسسات الحكومية بقوة كبيرة. وأما النتائج فقد توضح جزء منها في عام /١٩٤٨م/. وفي إنكلترا كان الوضع شبيهاً بذلك تماماً. ولقد استبقنا قليلاً الأحداث بذكرنا قلق الرأي العام الأمريكي بشأن الماسونية ووصولاً إلى إخماد مثل هذه الميول «عملياً اختفى حزب معاداة الماسونية من الوجود /١٨٤٠/».

ونعود الآن إلى الثورة الفرنسية- نتائجها وتأثيرها على مصير العالم كله. وكما تبين «مجموعة أعمال» الرئيس «أدامز». فقد كان هو على اطلاع كامل وعلم تام بوجود مؤامرة عالمية مستمرة ضد السلطة الشرعية والديانات. وكان الخطأ المبرر الذي ارتكبه هو اعتباره ذلك مؤامرة فرنسية خالصة.

وكما يتحدثون في العصر الحديث ومن دون أي مبرر عن الشيوعية الروسية على الرغم من الطبيعة الدولية الواضحة للثورة الروسية ومنذ زمن بعيد وبشكل لا يشوبه أي شك.

وكان الهدف الرئيسي لقانون «ادامز» «حول النشاط التخريبي» عام /١٧٩٨م/ هو حماية الجمهورية الأمريكية من الهزات في المستقبل. ولكن كما ذكرنا سابقاً لا يمكن لأي قوانين ضد المنظمات السرية أن تعطي أي نتيجة فعالة «على الرغم من أن هذه القوانين ضرورية لحرمان هذه المنظمات من الشرعية». والسبب الرئيس في ذلك لأن المنظمة السرية تملك خبرة قرون عديدة في التهرب من مثل هذه القوانين وخرقها. والوسيلة الناجعة الوحيدة ضد المؤامرات السرية هي الملاحقة القانونية التي تتضمن محاكمة مفتوحة. ولكن حتى الآن لم يحصل ذلك أبداً.

وكان «الكسندر هاملتون»، وهو سياسي أمريكي وثق به الرئيس «واشنطن»، ذلك السياسي الذي تنبأ أكثر من الآخرين في أي أشكال سيأتي المستقبل. وقد عثر على مذكرة بين أوراقه كتب فيها في الفترة ما بين /١٧٩٧-١٨٠٠/ ميلادي: «عصرنا هو أكثر عصور التاريخ غرابة «ولا اعتيادية». وعلى مدى فترة طويلة انتشرت آراء تهدد أسس الدين والأخلاق والمجتمع، والضربة الأولى وجهت إلى تعاليم المسيحية وعرض على الناس بدلاً منها «ديانة الطبيعة» ووضع وجود الرب ذاته موضع الشك أو حتى انكروه في بعض الأحيان واستهزؤوا بالفضيلة. وجرى تعظيم طبيعة الإنسان وأما أمانيه وآماله فجرى ربطها بمرحلة وجوده الأرضية القصيرة وأعلن الموت كمرحلة سبات دائم. وأما خلود الروح فاعتبر خدعة ابتدعت لتعذيب الحاضرين من أجل الأموات... وفي نهاية الأمر شكلت جمعية الرسل المعادين للدين وتلاميذهم. وتم دمغ الدولة والدين بدمغه الاستغلال...

ولقد رأينا وشاهدنا الاستخدام العملي لهذه المنظومة الفاسدة في فرنسا لقد كانت آلية لتخريب كل المؤسسات الفرنسية العريقة الدينية منها والمدنية بالإضافة إلى كل ما كان يخفف من صرامة وقسوة السلطة. ورميت فرنسا في دوامة كاملة من الهزات المرعبة حطمت الأملاك والفنون ودمرت المدن والمقاطعات. لقد صبغوا أرض فرنسا بالدم وأغرقوا البلد بالجرائم والفقر والتعاسة... وقد بدا في وقت ما بأن هذا النظام المخيف يهدد وجود كل المجتمع المتحضر ويدفع الإنسانية نحو الغموض والفوضى الكاملة وعلى الرغم من أن الشر وهو ثمرتها الأولى والوحيدة قد خففت بعض الشيء من تطورها فلا يزال الحذر من أن يكون السم قد انتشر بشكل واسع وقد تغلغل إلى مستوى عميق إلى حد لم يعد يمكن اقتلاعه من جذوره.

نشاط هذه المنظمة أوقف عن العمل ولكن كل عناصرها ومكوناتها حافظت على نفسها وبقيت مستعدة لانفجارات جديدة في اللحظة المناسبة.

وأكثر ما يجب الاحتياط منه هو أن البشرية لا تزال بعيدة كل البعد عن نهاية صعوباتها ومآسيها والتي لا تزال يُعد ويخطط لها دورياً وتشير إلى قدوم الهزات والثورات والمذابح والبؤس والفقر. وأكثر ما يثير الخوف هو دلائل ومؤشرات تعاظم هذه القوى في الولايات المتحدة. وهم يريدون تحت تأثيرها دفع دولتنا إلى الوقوف بجانب فرنسا في بداية هذه الحرب الحالية.

يريدون استفزاز حكومتنا لكي تساهم وتساعد في نجاح مبادئها القذرة مقابل دم وحياة وأموال مواطنينا.

وتحت تأثير هذه القوى يجري تبرير أو حتى دعم كل ثورة تحصل أو ستحصل. ويجري التغاضي عن المذابح أو التقليل من أهميتها. وحتى الاغتصاب الأخير للسلطة تم قبوله بارتياح وأما الدستور الاستبدادي المختلق لها فقد عُرض بنفاق كوثيقة ومثال يستحق التقليد من قبلنا.

ويسير انتشار نظام العار والكفر بخطوات عملاقة والجرائم المروعة التي لم تكن معروفة حتى الآن أخذت تظهر وسطنا»..

ونحن أناس القرن العشرين نعرف جيداً النتائج التي ذكرت هنا ولكن من الصعب تصور مستوى الذكاء اللازم لطرحها بهذا الشكل المفهوم في عام /١٧٩٠م/.

«دي لوشي» الذي كتب قبل مرحلة الإرهاب: «مجموعة من الكوارث نهايتها بعيدة تضيع في غياهب الزمن... وستظل النار من تحت الأرض وتخرج دورياً إلى السطح في انفجارات مدمرة ومميتة».

و «ألكسندر هاملتون» الذي كتب بعد «لوشي»: «ولكن كل عناصرها ومكوناتها حافظت على نفسها وبقيت مستعدة لانفجارات جديدة في اللحظة المناسبة.

... وأكثر مما يجب خشيته والخوف منه أن البشرية لا تزال بعيدة كل البعد عن نهاية صعوباتها ومآسيها.. وعن الهزات الثورية والمذابح والفقر والبؤس».

وتنبأ الاثنان بدقة وحددا ملامح زمننا الحاضر هذه التحذيرات لم يكن لها أي نتائج ملموسة. وقد قام آخرون كذلك بقذف سيل من التحذيرات على الرغم من أنه لم تعد حاجة لذلك ومنهم «بريك» و «برويل» و «روبيسون» و «مورس».

ولكن أوربة تابعت السير على الألغام التي زرعت ضدها. وأغلقت أفواه الأنبياء وكممتها وسيطر الرعاع على الثورة «بجعيرهم» في الساحة وقوبلوا بالتصفيق الحاد.

وساعدت حروب «نابليون» على صرف نظر الناس عن المؤامرة ومنظمتها. وبعد عشر سنوات نسي الجميع وثائق «المنورين» والثورة نفسها. والناس إما قد ابتلعوا القول بأن المنظمة الخفية اختفت وصدقوه وإما أنهم لم يلعبوا في الثورة أي دور أو أنهم فقدوا نحو الأحداث كل اهتمام.

بعد عشرين سنة من الثورة أصبح «المنورين» أكثر فعالية ونشاطاً من أي وقت مضى. ولم يتغير أي شيء، فقط استطاع أنصار الجماعة الثورية في أمريكا وإنكلترا وباستخدام نفوذهم على الصحافة، أن يهدئوا الرأي العام بواسطة الخداع وأن يشوهوا كذباً سمعة كل من حذر بوجود الخطر.

وأخر المعلومات عن «المنورين» تعود إلى تاريخ ليس ببعيد، وأصبحت معروفة بفضل جهود المؤرخة والكاتبة الإنكليزية «نيستا ويبستر». لقد وجدتها في أرشيف شرطة «نابليون» وتشير هذه المعلومات بأنه بعد عشرين سنة من الثورة ومع اقتراب سقوط «نابليون» نفسه كانت «أخوية المنورين» لا تزال حية ترزق ومارست نشاطها بفعالية.

وكان «فرانسوا شارل دي بيركهم» رئيساً للشرطة في مدينة «مايتس» المحتلة من قبل الفرنسيين.

وذكر رئيس الشرطة الماسوني هذا عام /١٨١٠م/ بأن «المنورين» كان لهم عيون في جميع دول آورية وأنهم جهدوا بقوة في حشر مبادئهم في المحافل الماسونية: «أصبح «المنورون» قوة كبيرة وسيتأذى بقسوة منهم الملوك والشعوب إذا لم تحطم هذه الآله المخيفة بالذكاء واستباق الأمور».

وآخر إخبارية كانت في عام /١٨١٤م/ وهي تؤكد تماماً تحذيرات «باريول» و «روبيسون» في فترة /١٧٩٨-١٧٩٩م/. حول وضع ونشاط المنظمات السرية.

«أكثـر المنظمـات خطـورة وفظاعـة تلـك المعروفـة عـادة تحـت اسـم «المنـورين» والـتي تشكلت في أواسط القـرن الماضـي. ومبدؤها يقـوم على الإطاحـة بكـل أنـواع الملكيات، وأما عقيدتها السياسية- فهـي الحريـة الـلا محـدودة وتـسوية جميـع الأشـياء والنـاس وهـدف كـل أعمالها- تخريب كل علاقات الملك مع شعبه».

وبعـد عـشرين سـنة مـن نـشر توبـة الـدوق «بروانـشفغ»، كتـب رئـيس الـشرطة المـذكور: «وبين الزعماء للمنظمة الكبار يوجد أناس شديدو الغنى ونبلاء الأصل ولهم المنصب الرفيع في الدولة والمجتمع».

وحـسب رأيـه فـإن بعـضهم: لم يكـن ألعوبـة بـسيطة ذات أحـلام ديماغوجيـة». ولكـنهم «كانوا يأملون بأن إشعال الأهواء لدى الشعب سيمكنهم من القبض على زمـام الأمـور أو على الأقل مضاعفة أموالهم وأملاكهم. ولكـن غالبيـة أتبـاع هـذه الجماعـة يؤمنـون وبحـق وبـشكل أعمى بكل ما يقال لهم»..

والصورة المرسومة بهذه الكلمات «وهـي تشبه إلى حد كبير ما كتب «دي لوشـي» قبـل ذلك بعشرين عاماً» يجب إن تكون معروفة لجيلنـا حيـث نـرى كيـف يـدفع حـب الـسلطة والمـال الكثير مـن النـاس المشهورين إلى التعامـل مـع منظمـات وحركـات سياسـية معاديـة لمركـزهم ولغناهم ولكن هـؤلاء النـاس على ثقـة بـأنهم بهـذا التعامـل سيجمعون مـالاً أكثـر وسيـصبحون أكثر نفوذاً.

ويـصف «بيركهـم» بعـد ذلـك منظمـة «المنـورين» وطـرق عملـها وهـي تكـرر مـا ذكـر في وثائق «واي سخاوبت» عام /١٧٨٦م/ وكـذلك يمكـن أن تكـون صـورة طبـق الأصـل عـن طـرق الشيوعيين في عصرنا.

والمقـاطع التاليـة مـن إخباريـة رئـيس الـشرطة الفرنـسي تـصف مـا اعتـدنا أن نـشاهده في سياسيي الوقت الحاضر وبشكل يمكن أن نتعرف فيه على الكثير من الموجودين بيننا ونشير إلـيهم بالاسـم علـى الـرغم مـن أن كـل ذلـك كتـب عـام /١٨١٣/: «بمـا أن القـوة الأساسـية «للمنورين» تتركـز في تأثيرهم على الـرأي العـام. لـذلك حـاولوا منـذ البدايـة جـذب النـاس الـذين وبحكم عملهم يؤثرون على عقول البشر مثل الأدباء والعلماء وأساتذة الجامعات والمعاهد حيث يقوم كل منهم في عمله بالدعوة إلى مبادئ المنظمـة. ويجـري تمويـه الـسم الـذي يبثونـه في مئات الأشـكال المختلفـة. وفي أغلـب الحـالات لا يتعـرف النـاس البـسطاء علـى هـذه المكروبـات الـتي تتكـاثر فيمـا بعـد في مجـالس يزورهـا أعـضاء الطائفـة وتـدخل أكثـر الكلمـات ثرثـرة في أقـل الرؤوس حذاقة.

ولذلك عثر «المنورون» في الجامعات بالذات على الأكثرية من اتباعهم. حيث يدرس الأساتذة من أعضاء المنظمة طبائع طلابهم، وعلى الفور يصبح الطالب الذكي والحذق هدفاً يحاولون الحصول عليه وتجنيده. وتبدأ عملية حشو الرأس بالحديث عن «الطاغية والاستبداد» و «حقوق الإنسان» ويزود الطالب بكتب اختيرت خصيصاً له ويدخلونه في نقاشات مثيرة ويقومون بتطوير الجنين المزروع في المخ الفتيّ ومع الوقت تبدأ عملية التخمر هناك... وأخيراً وعندما يصبح نهائياً طوع أيديهم يقومون باختباره عدة سنوات لضمان ولائه للمنظمة وحفظه لأسرارها، ويوحى إليه بأن ملايين الناس في مختلف الدول هم رفاق له في هذه المبادئ والآمال وأن خيوطاً سرية تربط كل هذه الأسرة الكبيرة. وإن الإصلاحات التي يحلم بها ستحصل عاجلاً أم آجلاً.

وساعد على نجاح هذه الدعاية وجود اتحادات طلابية حيث يلتقي الشباب في المحاضرات الأدبية والتسلية وغيرها، وقد تسلل «المنورون» إلى جميع هذه الاتحادات واستخدموها لنشر مبادئهم.

وبهذه الطريقة تمكنت «الأخوية» من النمو باستمرار منذ بداية تكوينها وحتى وقتنا هذا وهي تنفث السموم عن طريق الشباب إلى الطبقات العليا والرفيعة من المجتمع. ويوحى للطلاب بأفكار تعاكس تماماً كل ما سيقابلونه في الحياة. ويجري الإصرار على أن يقطعوا «أي الطلاب» كل علاقة بالملكية. وبهذه الطرق يجند «المنورون» أكبر عدد ممكن من الأتباع»..

وهكذا عاشت وتطورت حركة «المنورين» في الظلام وتمكن عملاؤهم المتواجدون في دور النشر وفي أقسام الجامعات من خنق كل المحاولات الهادفة إلى القضاء على هذه المنظمة.

ومنذ ذلك الحين وعلى مدى خمسة أجيال تكرر الأمر نفسه. حيث قام عدد معروف من الناس ذوي النفوذ وعدد معروف من الشباب في الجامعات بالوقوع في شباك المنظمة، والطريق الوحيدة التي يمكن أن توقف الكبار وتفتح عيون الشباب هي نشر معلومات واسعة عن الثورة العالمية وطرقها وأهدافها. ولكن ذلك كان محرماً تماماً من جيل إلى جيل وتمكنت الطائفة بذلك من المحافظة على سلطتها.

والشرح الوحيد لرفض الحكومات التام القيام بالملاحقة القانونية للمنظمة وأعضائها، هو أن الكثير من أعضاء الحكومات في العصر الحديث كما كان الأمر في أيام «واي سخاوبت» هم أعضاء في المنظمة أو متعاطفين معها.

ما هو المصير الذي وصل إليه «واي سخاوبت» بعد عشرين عاماً من انكشاف وثائقه وبعد أن منعت أخويته وحرم نشاطها؟

في عام /١٨٠٨م/ أستفسر «واي سخاويت» عن بعض الطقوس الماسونية ووصل هذا النبأ إلى المركيز «دي شيب ديبان» العضو البارز في محفل «الشرق العظيم» وقد كتب هذا المركيز فيما بعد إلى أحد أصدقائه حول انتماء بعض الناس ممن سببوا الانتفاضات وأعمال القتل والنهب إلى «أخوية المنورين».

وعند موت «واي سخاويت» عام /١٨٣٠م/ كانت أخويته أقوى من أي وقت مضى وقد غيرت بعد فترة اسمها حيث ظهرت منظمة أخرى لها نفس الأهداف ونفس طرق العمل وكان اسمها المنظمة الشيوعية وكان ذلك في عام /١٨٤٠م/. وسنستعرض هذا الأمر بالتفصيل في الفصول القادمة. أما الآن سنترك «أدام واي سخاويت» والذي سيظل اسمه على مر العصور مرتبطاً بظهور الثورة العالمية كهدف وكفكرة تنثرها منظمات سرية خفية تعمل باستمرار في جميع أنحاء العالم وهي لا تملك أي قاسم مشترك مع النضال ضد الاستغلال والاضطهاد والتي تقوم هي فعلياً بزيادته.

وبغض النظر عن ملهمي «واي سخاويت» وكذلك بغض النظر عن مصدر معرفته العميقة لنقاط ضعف الإنسانية فإنه وكما كتبت «نيستا ويبستر» كان «قد ركز في يديه جميع الخيوط لكل المؤامرات وأستطاع أن ينسج منها خطة رهيبة لتدمير فرنسا والعالم»..

وإذا كان هناك في الماضي أقنية من عدم الرضا والغضب فإن «واي سخاويت» نجح في تجميعها في مجرى عظيم. وقام هو و «المنورون» «بخلق ثورة فعالة من بدايات مشبوهة».

وفتحت هيئة أركان عامة أبوابها ووضعت خطة عمليات حربية لها أهداف واضحة ومحددة.

والآن وبعد مرور /٢٠٠/ عام تبدو النتيجة والاستنتاج بوضوح: إما أن تنتصر الثورة على أوربة وعلى المسيحية وتحولها إلى خراب وإما ستُهزم وتسحق».

وفي الوقت الحالي لا يوجد حل ثالث ولا طريق ولا حتى نهاية لتلك الأزمة التي افتضح أمرها في عام /١٧٨٦م/ وهذا ما أحس به وشاهده أهل السياسة والحكم وكذلك أتباع الطائفة منذ البداية.

وقد كتب الكاردنيال «ديل لون» وبكلمات قليلة واصفاً القضية في عام /١٨٠٥م/ بشكل لا يمكن وصفها أفضل من ذلك: «لو لم يكن «واي سخاويت» موجوداً ولولا نفوذه كانت الماسونية على الأغلب ستفقد قوتها نتيجة لرد الفعل الطبيعي على الثورة الفرنسية ولكن «واي سخاويت» أعطى الماسونية شكلاً ومزايا سمحت لها بتخطي ردة الفعل هذه وشحنها بطاقة جديدة تكفيها حتى يومنا هذا، وهي ستدفعها إلى الأمام حتى يُحسم الأمر في آخر معركة مع المسيحية ويبدو بعدها من سيحكم الأرض أخيراً المسيح أم الشيطان».

وعملنا هذا المخصص لدراسة «القضية اليهودية» كواحدة من أهم القضايا العالمية في عصرنا ولكن هذا الفصل «على الرغم من أنه الأطول في الكتاب» الذي هو عن الثورة العالمية لم يتعرض للمسالة اليهودية ولا حتى لليهود والسبب في ذلك أنه لم يكن من الممكن إثبات اشتراك اليهود في الثورة الفرنسية على الرغم من أنه بعد خمسين سنة من ذلك بدا واضحاً اشتراك اليهود في الثورة العالمية.

وعلى الغالب قد تكون الثورة العالمية في بدايتها لم تكن شأناً يهودياً ولكن الطائفة المتسلطة استطاعت وفي الوقت المناسب من السيطرة عليها. ولكن كل ذلك لا يمكن إثباته أو دحضه في الوقت الحاضر، والمعروف أن تمويه النتائج وإخفاء الأثر وطمس البقايا هو أحد أهم تكتيكات الثورة العالمية.

وعلى ما يبدو أن اليهود لم يلعبوا أي دور أو لعبوا دوراً ثانوياً في المؤامرة الأساسية «أي مناورة «واي سخاوبت» والمنورون» أما في الثورة الفرنسية فكان دورهم متناسباً مع عددهم تماماً كما هو الحال بالنسبة لمن اشترك بها من الآخرين.

وعن الحالة الأولى تذكر «نيستا ويبستر» الخبيرة بهذه الشؤون: «على ما يبدو أن اليهود وفي حالات نادرة سُمح لهم باحتلال مناصب مهمة في الأخوية».

و «ليوبولد أنغل» وهو شخصية غامضة أعادت تنظيم الأخوية عام /١٨٨٠/، يذهب إلى أبعد من ذلك ويؤكد بأن باب الانتساب إلى الأخوية كان مغلقاً أمام اليهود.

ومن ناحية أخرى نرى أن «ميرابو» وهو ثوري وواحد من «المنورين» البارزين، كان يدعم دائماً كل المطالب اليهودية وأما الخطر المعلن على دخول اليهود إلى الأخوية فقد يكون ستاراً وخدعه كان «واي سخاوبت» يصر على تنفيذها ويُعدها مهمة جداً.

ويؤكد ألمع العارفين بهذا الموضوع في ذلك الزمان بأن «المنورين» كانوا المحرضين الأوائل على الثورة وأنهم كانوا ينتمون إلى جميع دول أوربة: وقد كتب «شيفاليه دي مالي» يقول: «كان المحرضون على الثورة ألماناً وطلياناً وإنكليزاً أكثر مما هم فرنسيون. لقد شكلوا أمة مميزة ولدت وترعرت في الظلام وسط شعوب متحضرة. وكان هدفها هو سحق هذه الشعوب والتسلط عليها».

ومثل هذا الاستنتاج يمكن أن يولد لدى أي باحث معاصر لنا بعد اطلاعه على أدبيات الثورة الفرنسية وهو أمر لا يمكن قوله عن الثورة الروسية /١٩١٧م/ والتي كانت مختلفة تماماً.

ففي الثورة الفرنسية لم يلعب اليهود دوراً أساسياً وكانوا فقط زراعي الفتنة والشقاق كما دعاهم القرآن سابقاً.

وفي ذلك الوقت كان من الصعب فرز اليهود عن غيرهم في كتابات وأدبيات ووثائق ذلك الوقت لأن المؤلفين والكتاب في ذلك الوقت لم يميزوهم عن غيرهم.

بالإضافة إلى أن الثورة في طورها الفرنسي بدت وكأنها ضد جميع الأديان والقوميات. فعندما سُلمت معابد باريس إلى «عقيدة الإدراك» وجلب الرعاع الصلبان والكؤوس الكنسية إلى اللجان الثورية، قام اليهود بالأمر ذاته وأحضروا من معابدهم أدوات وأواني مقدسة وجعلوها محط الهزء والسخرية.

وهاجم علناً اليهودي «ألكسندر لامبرت» العبودية التلمودية: «الغدر الذي يتهم الفرنسيون الشعب اليهودي به أساسه أيها المواطنون ليس نحن بل رجال ديننا.؟ إن ديننا يسمح لهم بتحصيل من أبناء جلدتهم فقط خمسة بالمئة عن المبلغ المستقرض وهو يفرض عليهم تحصيل أكثر من ذلك بكثير من الكاثوليك، ونحن في صلواتنا الصباحية عادة ما نطلب من الرب مساعدتنا على الإثراء على حساب المسيحي، وليس ذلك كل شيء أيها المواطنون. أكثر ما يثير القرف هو أنه إذا حدث خطأ في صفقة بين اليهود فعلى اليهودي تعويض الضرر لابن عمومته. أما إذا دفع الغريب /٢٥/ «لوي دروف» مقابل المئة فاليهودي غير ملزم بإعادتها له. يا لها من سفالة! يا للهول! ومن مصدر كل ذلك؟ طبعاً الحاخامات. ومن سبب التمييز والتحديد الذين أصابنا؟ إنه بسبب رجال ديننا! أيها المواطنون علينا رفض الدين أكثر من أي شيء آخر في العالم... إنه يجبرنا على العيش في حياة العبودية حياة غير سعيدة ويمنعنا أن نصبح مواطنين صالحين».

ونود أن نشير للقارئ أنه عندما قال «لامبرت» الكلمات المذكورة أعلاه كانت المرحلة الحاخامية في التاريخ العبراني في بدايتها. وقبل تقسيم بولندا عام /١٧٧٢م/ كان يوجد مركز معروف يقود العبرانية: في البداية كان هناك اللاويون في أورشليم وبابل وفي المرحلة الرومانية كان هناك الفريسيون وهم كانوا القوة السياسية الأساسية وعملياً كانوا عبارة عن حكومة تقود الشعب.

وبعد سقوط أورشليم أصبح المركز بيد الحكومة التلمودية المنتقلة في فلسطين وبابل وأسبانيا ومن ثم بولندا، ولكن هذه الحكومة اختفت عن الأنظار في عام /١٧٧٢م/ وبدأت مرحلة الحاخامات وكانت خلالها إدارة التجمعات العبرانية في أيدي الحاخامات وطبعاً كان هؤلاء أناساً مختلفين في طباعهم وفي شدة تعلقهم بالتعاليم الدينية اليهودية بدءاً من المتعصبين وحتى المعتدلين والإصلاحيين. ولكن وكما يبدو من التاريخ الحديث والقديم فإن معظم الحاخامات كان يتقيد حرفياً بالشريعة اليهودية. والتي هي حسب رأي الغرباء غير العبرانيين عبارة عن تطرف قاسٍ في أقصى درجاته.

وإذا أشرنا إلى اليهود وفي بعض الأحيان كمصدر للشر في الثورات والأزمات فإننا في الدرجة الأولى ننطلق من افتخار وتبجح بعض الأطراف العبرانية وليس على الاتهامات من الأطراف الأخرى.

فعلى سبيل المثال الكاتب «ليون كاهان» «Leon Kahan» حاول بأقصى جهده استعراض المشاركة الفعالة لليهود في النضال ضد الملك والكنيسة- وذلك بعد مرور مئة عام على تلك الحوادث وهذا المثال الاعتيادي غالباً ما نصادفه في الأدبيات العبرانية والتي تحاول دائماً التأكيد على أن كل ما يحدث في العالم يحدث برغبة وإرادة «يَهْوَه» أو إذا استخدمنا الكلمات في محلها برغبة وإرادة اليهود.

و «ليون كاهان» كان على ما يبدو في حالة لم يقدر فيها أن يتصور الثورة الفرنسية بشكل آخر يمكن أن يختلف عن تعابير «دانيال» و «التسارا». ولولا الثورة الروسية لكان من الممكن نسيانه ولكن في أيامنا هذه بالذات يأخذ هذا التصوير للأحداث التاريخية شكلاً يشبه الحقيقة إلى حد كبير.

بعد الثورة الفرنسية استطاعت القيادة العبرانية أن تقلب الأحداث لمصلحتها وهو بالطبع أمر تملك هذه القيادة الحق فيه ولكن في ضوء الأحداث اللاحقة يصبح واضحاً أن اليهود الشرقيين «شعب غير سامي اعتنق الديانة اليهودية» هم من كسب من ذلك إلى حد كبير. في الوقت الذي كان فيه معظم يهود فرنسا من السفارديم أحفاد يهود أسبانيا والبرتغال والذين كان لديهم الحد الأدنى من الجذور التي يمكن أن تربطهم بفلسطين.

لقد ازال قانون /١٧٩٠م/ كل التعقيدات التي كانت مفروضة على المهاجرين اليهود وساوتهم في الحقوق مع الفرنسيين. وفي ذلك الوقت تشكلت في «الإلزاس» جالية من العبرانيين الأشكناز من يهود الشرق ولم يتحمل السكان المحليون هؤلاء القادمين من روسيا الذين طالبوا بمساواتهم في الحقوق مع الفرنسيين وهو أمر أثار نقاشات حادة في المجلس الثوري وأدى إلى انتفاضة فلاحية في «الإلزاس».

ومن جديد سمعت أصوات التحذير التي سُمعت سابقاً مرات عديدة في الغرب. وتوجه «الأب موري» «Moury» إلى النواب بالكلمات التالية: «تواجد اليهود سبعة عشر قرناً ولم يختلطوا مع الشعوب الأخرى... لا يجوز ملاحقتهم بل يجب حمايتهم كأفراد منفردين... ولكن ليس كفرنسيين لأنهم لا يمكن أن يكونوا مواطنينا... ومهما فعلنا فسيظلون غرباء في وسطنا»..

وأضاف هذا القس من نانسي قائلاً: «يجب تأمين الحماية والأمن والحرية لهم ولكن كيف يمكن أن ندخل إلى عائلتنا قبيلة غريبة عنها والتي تفكر دائماً في الأرض الخاصة بها وتريد مغادرة بلدنا الذي يعيشون فيه؟ هذه الاعتراضات تقال من أجل اليهود أنفسهم»

وقد احتج كذلك السفارديم أنفسهم: «نحن نعتقد أن وضعنا في فرنسا لم يكن ليصبح مادة للنقاش لو لم يعرض يهود «الإلزاس» مطالبهم الخاصة مما خلق متاهات في المفاهيم وهي الآن تنعكس علينا... وحسب المعطيات الرسمية يختلف هذا الشعب عنا اختلافاً كبيراً وهو يتطلع للعيش في فرنسا في ظروف متميزة. إن لديهم قوانينهم الخاصة وهم يؤلفون طبقة من المواطنين منعزلة عن الآخرين».

هذا الاحتجاج العبراني «وهو يتكرر دائماً على مدى قرون طويلة ولغاية يومنا هذا ولكنه كان دائماً يصطدم باللامبالاة من قبل الحكام الغرباء» كان أيضاً عديم الفائدة تماماً مثل احتجاج التجار الباريسيين قبل ثلاثين عاماً من ذلك على السماح لليهود بدخول مجال التجارة في باريس: «يقوم كل تاجر فرنسي بتجارته منفرداً وحده وكل شركة معزولة إلى حد ما عن الأخرى في الوقت الذي يعمل فيها اليهود تماماً مثل نقاط الزئبق، في حال ظهور أي فرصة تتحد مع بعضهما بعضاً»..

ولكن وعلى الرغم من كل المعارضة ظهر في عام /١٧٩١م/ قانون مساواة اليهود في «الإلزاس» ومع وصول «نابليون» إلى السلطة أصبحت القضية اليهودية المشكلة الرئيسية للبلاد وبعد أن فشل في حلها أصبحت مشكلة عالمية.

ومنذ ذلك الحين حاولت الطائفة المتسلطة جاهدة التخفيف من نفوذ السفارديم وأن تقوي نفوذ الأشكناز الذين قاموا بهجرة جماعية إلى أوربة الغربية ومن ثم إلى أمريكا حيث وقعت في أيدهم قيادة الثورة العالمية.

وكانت الثورة الفرنسية الطور الأول في الثورة العالمية وفتحت الباب أو بالأحرى حطمت سداً مائياً ضخماً وفتحت الطريق أمام الهجوم. في البداية بالنسبة لعلاقة اليهود بالثورة كان يمكن القول بأنهم فقط اشتركوا فيها مع الآخرين على الرغم من أنهم كانوا يبدون هناك أكثر من الآخرين. ولكن الأحداث القادمة كشفت فيما بعد ليس فقط اشتراك اليهود الفعال في الثورة بل وقيادتهم لها.

خلال نصف قرن مر بعد اكتشاف «المنورين» وخططهم في الثورة العالمية وبعد تفجيرها في فرنسا لم يعد المصير التاريخي للعبرانية وللثورة أمر يخص كلاً منهما على حدة بل انخرطت إحداهما في الأخرى مشكلة ومكونة حدثاً واحداً، وتحولت المؤامرة من جهة واليهود من جهة أخرى «يقصد هنا الجماعة المتسلطة عليهم» إلى وحدة واحدة ولم يعد يجوز النظر إليهما بشكل منفصل.

ومنذ منتصف القرن التاسع عشر استلم اليهود قيادة الثورة العالمية. والشاهد الجدير بالثقة في هذه المسألة والذي أكدت الأحداث فيما بعد كل ما قاله من كلمات رئيس الحكومة البريطانية «بنيامين ديزرائيلي» /١٨٠٤-١٨٨١م/.

الفصل الحادي والعشرون

تحذيرات ديزرائيلي

لقد حذر «بنيامين ديزرائيلي»، العالم الغربي المسيحي مرات عديدة من خطر الثورة العالمية، كما فعل ذلك من قبله «دي لوشي» و «هاملتون» و «بريك». وقال بوجود مخطط للثورة.

وقد تحدث اللورد «اكتون» بعد مرور نصف قرن على ذلك عند زعمائها الخفيين ولكن «ديزرائيلي» وبخلافه أشار إلى اليهود وبشكل لا يقبل الشك على أنهم المخططون لها.

وقد أكدت السنون الكثيرة التي مرت بعد ذلك على أنه كان تماماً على حق. وأياً كانت مصادر الثورة في البداية فإنه من الواضح أن الثورة العالمية المنظمة كانت في منتصف القرن التاسع عشر تحت قيادة اليهود وظلت كذلك حتى عام /١٩٢٠م/ على الأقل. وحسب رأي كاتب هذه السطور لا يزال الأمر مستمراً حتى هذه الأيام بكل ما في هذه الكلمة من معنى.

كيف تمكنت الجماعة التلمودية من السيطرة على قيادة المنظمة الثورية التي أسسها «واي سخاوبت»، وهل كانت هذه الجماعة تقف على رأس العملية الثورية منذ بدايتها- لا يمكن لأحد في الوقت الحاضر الإجابة على هذا السؤال.

كان التلمود وعلى مدى مئات السنين هو الذي أوحى بفكرة السيادة العبرانية على العالم وقد شاركه في ذلك وإلى درجة كبيرة كتاب «القبالات»[1].

ولا شك بأن الطريق الأفضل لاستعباد الغرباء الوثنين من قبل الشعب المقدس هو عبر منظمة عالمية ثورية تخريبية من نوع منظمة «واي سخاوبت».

ويجدر بالذكر أنه من الصعب جداً تصديق القول بأن «واي سخاوبت» أسس «أخوية المنورين» مصادفة وفي الوقت نفسه الذي اختفى فيها المركز التلمودي في بولندا عن عيون

١- كما جاء في الموسوعة العبرانية فإن القبالات (وهي تعاليم شفهية بخلاف التوراة المكتوبة) نمت واكتملت بعد القرن الثالث عشر للميلاد وتحولت إلى أدبيات واسعة موازية للتلمود ومناهضه له. وسمح فقط للقليل من المتنورين اليهود بالاطلاع على القبالات ولكن المؤرخة (نيستا) و (يبستر) تنقل لنا مقتطفات أخرى من (الموسوعة العبرانية) حيث يذكر بأن (القبالات في واقع الأمر لا تقف ضد التلمود).

الناس بعد أن ظل يعمل بفعالية وعلانية أكثر من ألفي عام وغالب الظن أن الجماعة المتسلطة العبرانية تمكنت من السيطرة على قيادة تلك المنظمة العالمية التخريبية التي أسسها غرباء غير يهود لتحقيق أهداف مغايرة تماماً للأهداف التي ناضلت من أجلها فيما بعد.

لقد طرح «ديزرائيلي» تحذيرين من أهم تحذيراته قيمة وكان ذلك قبل وبعد الانفجارات الثورية التي هزت أوربة عام /١٨٤٨م/ والتي جرت على غرار الثورة الفرنسية. وقد خططت لها منظمة ثورية عالمية. وفشلت محاولات الانقلاب في جميع الأمكنة التي وقعت فيها، ولا شك بأن السبب في ذلك هو أن صدى الثورة الفرنسية والذكريات المرعبة الكئيبة التي خلقتها كانت لا تزال طازجة في الأذهان، ولذلك وقفت الشعوب والحكومات بحزم ضد هذه الهزات وأفشلتها. ولكن «ديزرائيلي» حذر من استمرار المؤامرة وتكرار الهزات.

وكتب «ديزرائيلي» الكثير من الروايات «وهو في ذلك أفضل بكثير من اثنين حاولوا تقليده في المستقبل وهما «الكولونيل» «هاوز» من تكساس الذي كان مستشاراً غير رسمي للرئيس «ويلسون» أما الثاني فكان «ونستون تشرشل» في شبابه» وقد صور «ديزرائيلي» نفسه في هذه الروايات، فهو مثلاً في رواية «كونينغسبي» يصور نفسه في هيئة وكيل أعمال بارد الطبع وقاس وساخر بعض الشيء وواسع المعرفة ويتلاعب بأقدار الناس. وحمل اسم «سيدوني» وهو عبراني من إسلام أسبانيا. وكان ممولاً مالياً يقف ويلعب من وراء كواليس السياسة وكان تخلصه من الاعتقادات والخرافات عاملاً أساسياً ساعده في كل ذلك.

ويقول «ديزرائيلي» على لسان «سيدوني» «في عام نشر الرواية سنة /١٨٤٦م/»: «إنها لثورة عظيمة وقوية طُبخت وجهزت في ألمانيا وهي لا تزال مجهولة حالياً في إنكلترا والآن تتطور بشكل كامل تحت قيادة العبرانيين».

وبعد هزات عام /١٨٤٨م/ عاد «ديزرائيلي» إلى هذا الموضوع في عام /١٨٥٢/ عندما خطب في مجلس العموم قائلاً: «يبدو واضحاً تأثير العبرانيين من انتشار واندلاع مبدأ الدمار الهادف إلى زعزعه التقاليد والأرستقراطية. وهو ضد الدين والملكية الخاصة.

إن المساواة بين الجميع وإلغاء الملكية الخاصة هو ما تدعو إليه المنظمات السرية والتي شكلت حكومات مؤقتة وعلى رأس كل منها يقف أشخاص من العرق اليهودي».. «من الصعب عدم ملاحظة تكرار ذلك في عام /١٩١٧/ في روسيا أي بعد سبعين عاماً من الهزات الثورية عام /١٨٤٨م/».

وأضاف «ديزرائيلي» قائلاً: «ويتحالف مع الشيوعيين الكثير من المتحايلين وأبرع المتلاعبين والمضاربين بالأملاك، أي أن هناك أناساً محترمين متميزين يسيرون يداً بيد مع

أكثر الناس سفالة في أوربة» وهدف هؤلاء الأشخاص حسب كلام «ديزرائيلي» هو تحطيم المسيحية.

وفي الحقيقة يمكن القول بأن دراسة تلك الكتب عمل صعب ولا يبشر بأي مكافأة. ولكن الأمر الذي يطمئن النفس هو التعرف على «ديزرائيلي» من خلالها.

ومن تجوالنا في الماضي استطاع القارئ أن يتعرف على أنبياء أحقاء وسط الكثير من الدجالين، ولكنه وبلا شك لم يشاهد أحداً له قيمة «بنيامين ديزرائيلي» الذي وبعد تحرره من سلاسل التلمود حصل على «الحرية الكاملة والخلاص التام من كل الخرافات والمعتقدات الخاطئة الضالة».

وحتى اسمه يثير الإعجاب وكأنه يعود إلى أولئك الأنبياء الإسرائيليين القدماء الذين فضحوا في وقت ما اليهودية واصطدموا معها.

وعلى الرغم من اعتزاز «ديزرائيلي» بأصوله إلا أنه كان يحب إنكلترا أكثر بكثير من غالبية الإنكليز الأقحاح.

ولا شك بأن قراءة كتاباته الساخرة حول الأحداث الاجتماعية والأمور الإنسانية تثير شعوراً عطراً في أيامنا هذه. ولا سيما عندما ترى كيف يخشى سياسيو هذه الأيام الحقيقة أكثر مما يخشى إبليس البخور.

ولا يوجد عند «ديزرائيلي» أي شك «بأن العالم لا يحكمه أولئك الذين يطلق عليهم الناس لقب الحكام والذين لا يعرفون عما يدور خلف الكواليس».

وفي ذلك إشارة واضحة إلى أن الإدارة والحكم تقودها أيادٍ خفية لا تراها عيون الناس ويعلم أي إنسان مُطلع على أن الأمور تجري بهذا الشكل بالذات ولكن على الرغم من ذلك فإن أي رئيس أمريكي سيدعو مثل هذا الكلام «تصيدا للأشباح».

ويقول «ديزرائيلي» على لسان بطله «سيدوني»: «أنا أعتقد بأنه لا يوجد خطأ أغبى من التصور بأن دوافع الثورة هي الأسباب الاقتصادية»..

هكذا فكر واعتقد «ديزرائيلي» ولكن في العصر الحديث يتظاهر أمثال «لويد جورج» و «روزفلت» و «ترومان» وغيرهم بأن الثورة في فرنسا وروسيا وغيرها من الدول كانت انتفاضات عفوية للشعب الغاضب على الطغاة.

ومن الواضح إن «ديزرائيلي» لم يكن فقط عبرانياً جرى تعميده، بل هو استند بحق إلى المسيحية ووقع تحت تأثير تعاليمها. ولذلك فلا شك بأن إنساناً مثله لم يكن ليسمح أبداً بأن يكون اسمه أو اسم بلده مرتبطاً بانتقام العهد المقدس في «نيورنبيرغ».

في عام /١٨٥٧/ وبعد الانتفاضة في الهند عم إنكلترا شعور بالسخط يدعو إلى الانتقام ولكن «ديزرائيلي» رفض ذلك وقال: «من دون أي تردد أعلن بأنني لا أوافق مع كبار المسؤولين الداعين إلى الانتقام بدلاً من ترك العدالة تأخذ مجراها.... واحتج بقوة ضد كل من يدعو إلى الإجابة على القسوة بالقسوة.

لقد قرأت وسمعت في الوقت الحاضر أشياء دفعتني إلى الظن بأن المعتقدات الدينية في إنكلترا قد أصابها تغيير غير متوقع وأنه بدلاً من الخشوع والسجود أمام المسيح، نود السجود أمام رب مزيف. آنا لا يمكن آن أوافق على تكرار مثل هذا المزاج أبداً»..

والغمز هنا والإشارة في هذه الكلمات تخص العبرانيين وغير العبرانيين. اليهودية التلمودية هي في حقيقة الأمر عبارة عن «عبادة رب مزيف» و «ديزرائيلي» عرف ذلك حق المعرفة ولذلك اختار كلماته بهذا الشكل. وذلك كان سبب الخلاف بين الأنبياء الإسرائيليين واليهود اللاويين، وفيه أيضاً جذور الخلاف الدائم حول صهيون منذ ثلاثة آلاف عام وحتى الآن وكل ذلك واضح في مقطعين من العهد القديم: قال النبي «آراميا» بأن الرب لم يطلب أبداً من آبناء إسرائيل أن «يقدموا أبناءهم للنار إرضاء لرب مزيف... أنا ما أمرت بذلك ولم يخطر أبداً ببالي أنهم سيقومون بهذه القباحة وكما فعل «بنو يهودا» الشر أمام عيني»..

ويجيبه «حزقيال» زاعماً أن الرب هو الذي آمره «حزقيال» بهذه الأوامر غير الطيبة الذكر طالباً منه التضحية بالأبكار.

هل هو رب الحب والعطف والحنان. أم هو رب الكراهية والانتقام والتضحية بالبشر؟

هذا هو صلب الجدال منذ البداية وحتى الزمن الحاضر ولو عاش «ديزرائيلي» بعد /١٠٠/ سنة منذ زمنه الذي عاش فيه فقد كان من الممكن أن يساعد ذلك المسيحية في التخلص من العار الذي لحق بها جراء اشتراكها في أهداف «نيورنبيرغ» والانتقام التلمودي الذي حصل هناك. وكذلك لم يكن «ديزرائيلي» ليرضى بوضع منصبه وقوة بلاده في خدمة الثورة العالمية كما فعل حكام إنكلترا وأمريكا في الحرب العالمية الأولى والثانية. ذلك لأن «ديزرائيلي» حذر الشعب الإنكليزي دائماً طوال حياته من تلك المؤامرة المدمرة.

لقد صرح اللورد «صاموئيل» وفي البداية كان فقط «هربرت صاموئيل» لكن بعد تنقله المستمر في المناصب الوزارية حصل على لقب لورد الأرستقراطي» بافتخار عام /١٩٥٥م/ بأنه أول عبراني يصل إلى منصب الوزير الإنكليزي. وكان في ذلك يغمز إلى اعتناق «ديزرائيلي» للدين المسيحي. ولكن يمكن القول بأن القرن العشرين كان سيكون آفضل بكثير مما هو عليه الآن لو كان فيه أناس أكثر من نوع «ديزرائيلي». وحتى الآن عندما تقرأ ما كتبه يذهلك

توقيت وصراحة كتاباته التي كتبت قبل مئة سنة وكذلك نبوغه ومعارفه الفطرية والمكتسبة وحبه العميق لإنكلترا ورقة قلبه المسيحية الخالصة.

وفي كل مرة كان على حق عندما كان الأمر يتعلق بالوقائع. وقد احتقر «ديزرائيلي» الليبرالية كثيراً ولكنه على الرغم من ذلك لم يكن يسمح لنفسه بالفظاظة عندما كان يحادثهم. ويعتقد مؤلف هذا الكتاب بأن خطأ «ديزرائيلي» الوحيد كان ثقته بأن تعاليم المسيح جاءت لتتمم التعاليم اليهودية وتكملها وليس لتتناقض معها وتشير إلى أخطائها ونحن على ثقة بأن الأمر كان على العكس تماماً وأن اليهودية كانت بالذات تلك الهرطقة التي قرف منها «ديزرائيلي» والتي جاء «يسوع» ليحطمها.

كان «ديزرائيلي» حصيلة لخليط من العبرانية السفاردية مع الإنكليزية «إنكلترا ذلك الزمان» وفقط تحت تأثير هذين العاملين المذكورين تمكن هو وبالكامل من التخلص من جميع الخرافات الباطلة. وقد كتب والده «إسحق ديزرائيلي» يقول: لا يجوز تحمل الديانة التي تدعو إلى التفرقة والكراهية ولا سيما إذا كان واضحاً تأثيرها الخطر على السياسة «وتشرح الموسوعة البريطانية سبب هجرة الأب الكنيس اليهودي أنه كان على ثقة بأن قسوة الشرائع التلمودية اليهودية» تبتر اليهود وتعزلهم عن بقية العائلة الإنسانية.

وقد ذكر كاتب سيرة ابنه، «هيسكيث بيرسون» «Heskrth Perapson» قائلاً بأن «إسحق ديزرائيلي» كان قد عوقب من قبل وجهاء الجالية العبرانية ودفع غرامة قدرها أربعون جنيهاً إسترلينياً لرفضه أن يكون رئيسها المنتخب؛ ولتصريحه بأنه لن يستمر بعد ذلك بممارسة الطقوس الدينية العبرانية. «لأنها تُجرى بشكل يُهمش الأحاسيس الدينية بدلاً من أن ترفعه» ولكن في الحقيقة لم يكن «ديزرائيلي» الأب ليتجرأ على رمي مثل هذا التحدي في وجه كبار الجالية لو كان يعيش في تجمعات العبرانيين في روسيا أو بولندا. هناك كان سيُعلَن أنه خارج على الشريعة وكان الأمر سيكلفه حياته.

وبهذا الشكل قام الأب والابن «الأخير اعتنق المسيحية «الانغلكان» في سن الثانية عشرة» باستنشاق روح إنكلترا في ذلك الوقت.

واستطاع «بنيامين ديزرائيلي» الحصول على المساواة التامة للعبرانيين في إنكلترا بعد أن تمكن من إلغاء آخر القوانين التي حددت حقوقهم وقلصتها.

ولكن ذلك لم يمنعه من القول بأن اليهود وبفضل هذه المساواة بالذات استولوا على قيادة الثورة العالمية في كل مكان.

وبالنسبة لشخص تحرر من الخرافات تماماً فإن النضال من أجل مساواة اليهود في الحقوق ومن ثم الاعتراف الصريح بالنتيجة السلبية لهذا النضال كان واجباً متساوياً في حديهِ على الرغم من أن نتائج المساواة بررت تحذيرات كل من كان يقف ضد هذه المساواة التي ناضل هو لأجل تحقيقها.

وقبل الانتهاء من سرد تحذيرات «ديزرائيلي» علينا رسم صورة لتطور الأحداث في الثورة العالمية في زمانه وعلى مدى المئة عام التي أعقبت الثورة الفرنسية.؟

عندما مات «واي سخاوبت» عام /١٨٣٠/ وترك خلفه منظمة الثورة ومخططها والتي كشفت في عام /١٧٨٦/ لأول مرة بعد مصادرة وثائق «المنورين». في ذلك الوقت كان «ديزرائيلي» قد بلغ سن السادسة والعشرين. وقد تميز نصف القرن التالي بصراع حاد بين أتباع «واي سخاوبت» على تركته الفكرية والمادية. وخلال تلك الفترة حذر «ديزرائيلي» العالم عدة مرات من الخطر المتعاظم، وفي نهاية الخمسين سنة هذه أصبحت قيادة الثورة العالمية كلياً في يد اليهود. واكتسبت في ذلك الملامح المميزة لليهود الشرقيين والخزر المنغوليين وحاخاماتهم التلمودين.

وكان يمكن، نتيجة للصراع أن تكون مغايرة ومختلفة لأن الكثير من غير اليهود رغبوا بالاستيلاء على تركة «واي سخاوبت». وفي ذلك الوقت على ما يبدو لم تكن موجودة بعد منظمه عامة موحدة للثورة العالمية، وفقط تواجدت منظمات سرية منفصلة في الكثير من الدول وكان الأهم بينها المحفل الماسوني Alta Vendita الإيطالي والذي امتدت جذوره إلى «منورين» «واي سخاوبت». وقد صادرت سلطات الفاتيكان البابوية وثائق هذه المنظمة ونشرتها، وتبين بعد هذه الفضيحة وحدة أهداف هذا المحفل الماسوني مع أهداف «المنورين» وكذلك تطابق طرق عملهما. وقد كشفت ذلك بوضوح المؤرخة الإنكليزية «نيستا ويبستر» وعلى أساس أعمال الباحث الفرنسي «كريتينو جولي» «Crtineau- Joly» وقد تخفت قوى الثورة في فرنسا وكما في الماضي تحت غطاء المحفل المدعو «اتحاد الفضيلة» «Tugend Bund» وتحت قيادة معاوني «واي سخاوبت».

وحاول زعماء الثورة توحيد هذه المنظمات الوطنية في كتلة واحدة وتزعمها وكان من ضمنهم الفرنسي «لوي بلان» «Louis Blanc» -على القارئ أن يحفظ اسم هذا الشخص جيداً لأهميته وروده فيما بعد-. والروسي «باكونين» والألماني «كارل ماركس».

واشتد الصراع بين الشخصين الأخيرين لأن «لوي بلان» غادر بعد ذلك بفترة قصيرة مسرح الأحداث. وكان «باكونين» و «ماركس» متضادين تماماً و «باكونين» «أبو الفوضوية»

كان على حسب زعم الثوري الاشتراكي الفرنسي «بينوا مالون» تلميذاً نشيطاً لزعيم «المنورين» «واي سخاوبت». وكان «باكونين» أحد الثوريين المثاليين الثلاثة الأوائل الواثقين من أنهم وجدوا الحل الناجع ضد الطغيان، وقد تنبأ «باكونين» بإمكان ولادة دولة تقوم على أنقاض الملكية الخاصة المصادرة. ولكنها فقط ستعيد الخصائص المستبدة للرأسمال الخاص ولكن بمقاييس عملاقة. لذلك قام هو بالبحث عن طرق تسمح بالملكية العامة للأرض وللرأسمال مع إضعاف كبير لدور الدولة وسلطتها وحتى الوصول في النهاية إلى إلغائها «إلغاء الدولة».

أي بكلمات أخرى كان هو معاكساً تماماً لـ «كارل ماركس» الذي، وعلى الرغم من دعوته إلى الملكية العامة للأرض ولرأسمال المال، كان يرى في ذلك فقط وسيلة لخلق طاغية ومستعبد كامل كبير جداً بدلاً من الطغاة الصغار المتناثرين هنا وهناك.

وكان الدافع الأساسي لـ «باكونين» هو كرهه القوي للاستبداد أما «ماركس» فقد أراد تحطيم الطبقة الحاكمة السابقة فقط لكي يخلق استبداداً جديداً لم تعرفه البشرية قبل ذلك.

ويدفعنا الاختلاف العميق بين هذين الرجلين إلى طرح سؤال لا جواب له وهو كيف كان سيكون شكل العالم لو أن قيادة الثورة العالمية وقعت في أيدي الفوضوي «باكونين» بدلاً من الشيوعي «ماركس»؟. الفوضوية هي عدو لدود لأي عنف أو قسر وبالدرجة الأولى هي ضد الدولة التي تمثل في نظرهم السلطة على المجتمع. أما الشيوعية فعلى العكس تماماً. إنها تمثل في حد ذاتها الدعوة إلى سلطة حكومية قوية عظيمة. لذلك. فإن «باكونين» كان كل شيء لديه صادقاً. نضاله كان صادقاً، عذابه وموته كان صادقاً.

أما حياة «ماركس» فكانت كلها زيفاً في زيف. ثلاثون عاماً من التحريض ولكن ليس من الشوارع بل من مكتبة المتحف البريطاني الفاخرة.

وكذلك حياة هادئة رغيدة العيش على حساب «أنجلز» الخاص وزواج موفق من أرستقراطية ألمانية وحتى جنازته كانت مهيبة تخللتها الخطابات.

وهكذا يبدو «ماركس» عبارة عن برجوازي صغير طماع يصرخ بحسد ضد «البرجوازية». والأكثر زيفاً يبدو «بيانه الشيوعي» حيث وضع تشخيص المرض: «لا يوجد لدى الشغيله أي أملاك» ويطرح الدواء ولكن على شكل انتحار واضح: «نظرية الشيوعية يمكن تلخيصها في جملة واحدة: إلغاء الملكية الخاصة».

وبهذه الكلمات قالوا بوضوح للشغيله «للبرولتياريا» بأنهم لن يحصلوا على شيء من الشيوعية سوى القيود. وبعد عدة أسابيع من نشر البيان حدثت مصادمات وتظاهرات في جميع

أنحاء ألمانيا والنمسا وهنغاريا وإيطاليا وفرنسا والدانمارك. وفي ذلك دليل واضح على أن الكثير من «المنظمات السرية» المنفصلة عن بعضها بعضاً أخذت تتوحد. وإنه قد تم إيجاد الموارد اللازمة لتنظيم وتسيير الهزات الثورية. وبهذا الشكل ظهرت ولأول مرة الثورة العالمية على الملأ وعلى شكل انتفاضات في وقت واحد وفي عدة دول.

وفي ذلك الزمن كان هناك منظمة واحدة تملك إمكان تنظيم وإجراء مثل أعمال العنف هذه في وقت واحد. وهي تجمع الحاخامات التلمودية ومركزه شرق أوربة.

طبعاً يمكن من الناحية النظرية اتهام الكنيسة الكاثوليكية كذلك لأنها أيضاً تمتلك فروعاً كثيرة في دول عديدة. ولكن المؤرخين على ثقة تامة بأن الكنيسة بعيدة كل البعد عن ذلك لأن الثورة هي عدو مميت لها.

ومن المؤكد تاريخياً أن «ديزرائيلي» كان يعرف وقد نبه وحذر قبل سنتين من اندلاع الأحداث: «... إن الثورة القوية التي يعد لها في ألمانيا... تطبخ وتتطور بالكامل تحت قيادة اليهود». وكان «كارل ماركس» وبيانه الشيوعي هما الملامح الظاهرة لواقعة تاريخية مهمة: أصبحت الثورة العالمية كلياً أداة في أيدي اليهودية التلمودية.

ومن زعماء الثورة الثلاثة الذين تصارعوا فيما بينهم على قيادتها. خرج لوي بلان من المعركة خاسراً.

فقد أصبح بعد ثورة /١٨٤٨/ عضواً في الحكومة المؤقتة في باريس وبدا للعيان أنه وكوزير يقدر على تنفيذ نظرياته على أرض الواقع. لقد اعتبر أن الفردية والمنافسة هي عبارة عن سرطان في جسم المجتمع وكان هدفه مثل «ماركس» تأسيس دولة قوية مستبدة «ولو على مثال «Welfare State» للاشتراكيين البريطانيين بعد قرن من الزمان».

لقد كان هو الداعية إلى «حق العمل» المشهور وخلال الفترة القصيرة في السلطة حاول «أن يضمن للكادحين العمل الذي يؤمن لهم العيش الكريم».

وقد كُلف بتنظيم مؤتمر لنواب العمال لوضع خطة «العمل للجميع». وكانت هذه المحاولة في شكلها هي عبارة عن بداية لمجالس نواب العمال في روسيا السوفييتية فيما بعد. ولا شك بأنها كانت الهدف الأساسي عند لوي بلان وهو أمر على القارئ أن لا ينساه.

وبعد القضاء على الانتفاضة هرب المذكور أعلاه إلى إنكلترا وعاد فقط بعد مرور ثلاثة وعشرين عاماً. ولكنه كان قد فقد أي قوة أو تأثير في الحركة الثورية، أما المتصارعان الباقيان على قيادة الثورة فكانا «ماركس» و «باكونين».

بعد عام /١٨٤٨/ طرد «ماركس» من بروسيا وفرنسا ولكنه وكالعادة استطاع ضمان العيش الرغيد لنفسه في لندن حيث عاش هناك أربعة وثلاثين عاماً حتى موته.

واشترك في معارك الانتفاضة «باكونين» فقط هو ابن النعمة والأرستقراطي بالولادة وضابط جيش القيصر الروسي الذي ترك الخدمة بعد سحق انتفاضة بولونيا عام /١٨٣٠م/. ولقد خلفت أحداث بولونيا المذكورة في قلب الضابط الشاب كراهية شديدة للاستبداد والطغيان مما دفعه إلى نذر حياته للنضال ضدها.

وقد التقى مع «ماركس» لأول مرة في عام /١٨٤٨م/ وقد كتب بعد هذا اللقاء: «ماركس» اعتبرني مثالياً حالماً وكان على حق في ذلك. أما أنا فاعتبرته متلاعباً مغروراً وغداراً وكنت أيضاً على حق في ذلك»..

واشترك «باكونين» في معارك انتفاضة باريس عام /١٨٤٨/. وكان في أيار /١٨٤٩/ عضواً في الحكومة الثورية المؤقتة في «ساكسونيا» وقاد الدفاع عن مدينة «درسدن» وحاول الهرب بعد انتصار القوات «البروسية» «مع ريخارد فاغنر» ولكنه وقع في الأسر وحكم عليه بالإعدام ولكن العفو شمله من الحكومة الساكسونية والحكومة النمساوية. وبعد مرور سنة على سجنه هناك سلموه إلى الحكومة الروسية وبعد سجن ست سنوات سمح له بالإقامة الجبرية في سيبيريا.

وفي عام /١٨٦١م/ هرب من سيبيريا إلى اليابان ومن ثم إلى أمريكا وأخيراً إلى إنكلترا وقام بعد ذلك بالدعوة مرة أخرى إلى أفكاره الفوضوية وأسس عام /١٨٦٤/ في سويسرا أممية عالمية خاصة به. «Alliance Internationale Sociale Demacratique».

تقريباً في نفس الفترة أسس «كارل ماركس» أمميته في لندن تحت اسم «الرفاقية العالمية للعمال» «الاتحاد العالمي للعمال» وبدأت بعد ذلك فترة من الصراع بين «باكونين» و «ماركس» على قيادة الثورة. ويجدر بالذكر إن «ماركس» استطاع أن يجمع في يديه كل المنظمات الثورية العالمية ووضع على رأسها أشخاصاً مقربين له بينما كان «باكونين» قابعاً في السجن الطويل ما بين النمسا وروسيا. ولكن شخصية «باكونين» كانت قوية جداً ولم يقدر «ماركس» على السيطرة على المنظمة الثورية إلا بالمكر والخداع.

وفي عام /١٨٧٢م/ عقد مؤتمر الأممية العالمية في هولندا ولكن الحكومة الهولندية لم تسمح لـ «باكونين» بالدخول إلى هناك. وساد جو مشحون بالعدائية ضد «باكونين» في المؤتمر وتمكن «ماركس» من طرده من المجلس العام للأممية.

بعد ذلك تدهورت صحة «باكونين» ومات بعد فترة من ذلك. ومعه ماتت كل الآمال «إذا كانت مثل هذه الآمال قد وجدت فعلاً في وقت من الأوقات» فإن الثورة العالمية ستقوم فقط بالقضاء على الاستبداد وفقط لمساعدة المحرومين والمظلومين».

و «باكونين» المثالي كان هدفه خوض النضال ضد الاستبداد والاضطهاد، وكان المستبد الأكبر في عيونه هو الدولة والتي كتب عنها: «الدولة ليست مجتمعاً. إنها فقط شكله التاريخي وهي قاسية وعديمة اللزوم.

وهي «أي الدولة» خلقت تاريخياً في جميع الدول من خليط من القسر والنهب والكذب. أي باختصار من الحرب والنهب... والدولة كانت دائماً وتبقى تبريراً ربانياً للقوة الفظة وللظلم واللامساواة السائدة.

الحكومة هي النفوذ. إنها متعة وسرور للقوة والسلطة». وهذه هي بالذات الدولة التي أراد «ماركس» بناءها مستعملاً الحركة الأممية الثورية. لقد أراد بالذات دولة أممية.

وكما «ديزرائيلي» في حينه في عام /١٨٤٦م/ وعام /١٨٥٢م/ أشار «باكونين» إلى اليهود كقادة للثورة العالمية في عام /١٨٦٩م/. عندما كان يحسم صراعه مع «كارل ماركس» واعتبر أن وجود اليهود في القيادة هو سبب انحراف الثورة وضلالها وابتعادها عن المفهوم الذي كان لديه. إن مقالته المنشورة تحت عنوان «مجادلة ضد اليهود» المنشورة عام /١٨٦٩/ «Polemgue Conre Les Juifs» كانت تهاجم بشكل خاص اليهود المسيطرين على الحركة الأممية وحسب ما أصبح معلوم لنا يمكن القول بثقة بأن طرد «باكونين» من الحركة الأممية بقرار من المجلس العام للأممية الماركسي الاتجاه في عام /١٨٧٢/ كان قراراً من وراء الكواليس جرى اتخاذه مباشرة بعد نشر المقالة المذكورة عام /١٨٦٩م/.

مات «ديزرائيلي» في عام /١٨٨١م/ بعد ثلاثين عاماً من تحذيره الإنكليز والعالم من خطورة نشاط «المنظمات الخفية»: «لم يسقط «لوي فيليب» عن عرشه بواسطة البرلمان ولا عن طريق الشعب ولا لأي سبب طبيعي ولا بسبب السير الاعتيادي للأحداث...

لقد هوجم عرشه فجأة من قبل المنظمات السرية التي كانت دائماً مستعدة لتدمير أوربة...

وهي تعمل باستمرار مع الحركات الشعبية بهدف تدمير المجتمعات كلها..». «١٨٥٢ م». «توجد في إيطاليا قوة سياسية نادراً ما تذكر في هذا المجلس... أنا أعني منظمة خفية سرية وأصبح الوضع الآن لا يمكن السكوت عنه ولذلك لا توجد فائدة من الإنكار بأن معظم أوربة مُغطى بشبكة من هذه المنظمات تماماً كما هو مغطى سطح الكرة الأرضية بشبكة من الخطوط الحديدية...

إنهم لا يريدون حكومات دستورية ولا يودون تحسين وتسهيل مهماتنا... إنهم يريدون تغيير القوانين الخاصة بالأراضي لطرد ملاكيها الحاليين منها ولتحطيم كل القيم والمفاهيم الكنائسية..».. «١٨٥٦م» «لقد عرف «ديزرائيلي» منذ البداية حقيقة الليبرالية» المزيفة وكشف وكذب ادعاءاتها: «الكثير من مواطني إنكلترا المحترمين الحريصين والمتدينين يحيوّن مناورات أولئك الذين يهاجمون الملكية الخاصة و «يسوع المسيح» ويرون في ذلك ليبرالية تقدمية».

لو قدرت التحذيرات العقلانية في وقت ما أن تمنع حدوث الكوارث فإن التحذيرات المتكررة لـ «ديزرائيلي» بهيبته التي لا يرقى الشك إليها كان بإمكانهما أن تخلص العالم من فظائع الثورات التي سقطت على رؤوس الملايين في السنوات المئة اللاحقة. ولكن للأسف غالباً ما تمنع الغرائز الفطرية الناس من رؤية الخطر القادم.

وإهمال تحذيرات «ديزرائيلي» وضح بشكل لا يقبل الشك ما أكدته تجارب القرون السابقة: لا تقدر أي تحذيرات أو نصائح طيبة أن تحمي الناس من الأخطار أو توقظهم من السبات المميت.

وفقط التجربة المرة يمكن أن تجبرهم على بدء العمل ضد ذلك. وفقط في القرن العشرين اكتسبت البشرية الخبرة والتجربة المذكورة. وضاعت عبارات «ديزرائيلي» في أواسط القرن التاسع عشر هباء ومن دون أي فائدة.

ولقد كان من الصعب اتهامه «بتصيد الأشباح». فقط كان من الممكن الاستهزاء به واتهامه بالغباء. ويقول مؤرخ سيرة «ديزرائيلي» المدعو «هيسكت بيرسون»: «كان الجميع يُعده غريب الأطوار بعض الشيء ولا سيما عندما كان الحديث يدور عن المنظمات السرية حيث أنكر الجميع وجودها.

ولكننا نرى الآن فيها بذور تلك الحركة التي وجدت الشعارات المناسبة واتحدت مع بعضها بعضاً وشكلت القروحات الشيوعية»..

وهذا الاستنتاج الذي كتب في عام /١٩٥١م/ لا يمكن الشك في صحته وهو يطابق تماماً رأي المدعو «بنوا مالون» الذي عاصر الثورة في عام /١٨٤٨م/: «انتشرت الشيوعية بسرعة وخفية بواسطة المنظمات السرية في القرن التاسع عشر»..

ومع موت «ديزرائيلي» حصل الأمر الذي حاربه بقوة في جميع مراحل حياته وهو اتحاد المنظمات السرية مع بعضها بعضاً وتشكيلها منظمة عالمية ثورية موحدة يقودها اليهود وهذه المنظمة جهزت نفسها لتوجيه ضربتها القاضية ضد أسس مجتمعنا في القرن العشرين.

لقد حدد «ديزرائيلي» بروعة لا تتكرر هذه المنظمة بقوله: «شبكة تغطي أوربة كما تغطي سكك الحديد الكرة الأرضية»..

ومنذ ذلك الحين استخدم الباحثون تعبير «شبكة» وأخذوا يتحدثون عن الأيدي الخفية التي توجهها دولياً.

وقبل عدة سنوات من ثورة /١٨٤٨م/ قام الحاخام السابق «دراخ» وعلى غرار «ديزرائيلي» بالتحذير من الأحداث القادمة واتهم في حدوثها التلمود وأشار إليه كسبب رئيس في هذه العملية الهدامه.

وخلال وصف عملية مطاردته قال الكاتب العبراني «موريل»: «أكثر عمليات السلطة حذاقة ومهارة في معظم الدول تكون عديمة الفائدة في الصراع ضد المؤامرة العظمى المستمرة: لأن هذه المؤامرة مثل شبكة ضخمة تلتف حول العالم وتستطيع في أي لحظة توجيه قوتها للوصول إلى أي هدف تحتاجه إسرائيل»..

ومن الصعب عدم رؤية الاستمرارية في شبكة الأحداث التي نبحث فيها.

في عام /١٧٧٢م/ وبعد تقسيم بولندا اختفى فجأة المركز العبراني بعد عمل فعال وعلني استمر أكثر من /٢٥٠٠/ سنة- هذا حسب رأي الدكتور «كاستين» - أما حسب رأي السلطات الروسية القيصرية فإن المركز اختفى عن العيون فقط وانتقل إلى العمل السري.

في عام /١٧٧٦/ أنشئت «أخوية المنورين» الثورية وهي التي خططت وحضرت للثورة في فرنسا وقادتها.

وفي عام /١٨٤٦/ أكد «ديزرائيلي» بأن «الثورة الجديدة» التي يعد لها تتطور بسرعة تحت القيادة الكلية لليهود.

وفي عام /١٨٦٩م/ قام تلميذ «واي سخاوبت» المدعو «ميخائيل باكونين» بفضح دور اليهود في الحركة الثورية وبسبب ذلك جرى طرده من الحركة الأممية في عام /١٨٧٢م/ وبعد ذلك أصبح اليهودي «كارل ماركس» قائداً للحركة الشيوعية.

في عام /١٩١٧م/ سيطر البلاشفة على روسيا وشكلوا حكومة معظم أعضائها من اليهود.

ولقد أشار «ديزرائيلي» إلى أن ذلك حصل نتيجة لإلغاء القانون الذي حدد حقوق اليهود في إنكلترا والقانون الذي بعده ساوى اليهود في الحقوق. حيث لم يؤد إلغاء تحديد الحقوق إلى انخراط اليهود في الشعوب الأخرى.

وحصلت «أكثر الطوائف قوة ورهبة» (حسب تعبير «باكونين») على الحرية الكاملة لكي تقضي على الشعوب الأخرى وتدمرها.

وأجوبة السندريون العبراني على أسئلة «نابليون» في بداية القرن التاسع عشر، فقدت في منتصف ذلك القرن كل معانيها ولم تسمح قيادة اليهود لرعاياها اليهود بالعيش مع بقية الشعوب في وئام وسلام، وحسب قانون الدولة المضيفة لهم. بل على العكس فصلتهم عن بقية الشعوب بشكل أكبر. أما عبارة معاداة السامية- فهي حسب رأي «كاستين» ولدت في القرن التاسع عشر.

وبما أنه لم يعد بالإمكان الحديث عن أي اضطهاد لليهود بعد المساواة، كان من الضروري اختراع عبارة جديدة يمكن أن تفزع اليهود وترعب المسيحيين، وطبعاً كان إرهاب المسيحيين هو الأهم في هذا الأمر. ومعها ظهر بعبع جديد اسمه «معاداة السامية» على الرغم من أنه كان من الأفضل انتقاء أي كلمات أخرى غير معاداة السامية لأن معاداة السامية هي عبارة فارغة المعنى لا سيما لدى استعمالها نحو قبيلة لم تكن في يوم من الأيام ضمن القبائل السامية وهي قبيلة تفرض شرائعها إبادة الساميين الحقيقيين، أي تبيح قتل العرب من سكان فلسطين وطردهم من أراضيهم من قبل المحتلين الصهاينة عام /١٩٤٨/. ولكن الغريب والمدهش أن أي تضامن أو تعاطف مع العرب منذ ذلك الحين كان يدمغ بخاتم معاداة السامية.

ولا شك بأن الهدف الأساسي لمن اخترع هذه العبارة كان حذف كلمات «يهودي» أو «عبراني» أو «معادي لليهودية» من الاستعمال اليومي والهدف من كل ذلك تخويف الجماهير والناس بكلمات وشعارات غير مفهومة.

لقد أرادت الجماعة المتسلطة على اليهود من هذه العبارة الكثير. أرادت أن يتم استيعابها والنظر إليها كإهانة لعظمة الشعب المختار وجريمة أمام السلطة الموجودة بحيث يمكن القول أن هذه العبارة أصبحت تعادل الهرطقة.

وقد أطلقت عبارة «معاداة السامية» في الاستعمال الواسع في الوقت الذي سيطرت فيها «جماعة اليهود» (حسب تعابير «باكونين» و «ديزرائيلي») على قيادة الثورة العالمية والهدف السياسي من هذا الاختراع «عبارة معاداة السامية» هو خنق أي محاولة جادة للنقاش المفتوح للأحداث المذكورة أعلاه وذلك عن طريق الإرهاب والتخويف.

منذ فترة ظهر كتاب للكاتب العبراني المشهور «برنار لازار» «بعنوان معاداة السامية» وفيه أعطى المؤلف مفهوماً جديداً لهذه العبارة وهي لا تملك أي علاقة مع النبي سام وقبيلته ولا مع الدم السامي ولا مع اللغات السامية ولا مع أي شيء سامي آخر.

لقد حدد لازار معاداة السامية بأنها على الإطلاق أي رأي ينتقد دور اليهود في الثورة.

وكتب حول ذلك يقول: «يجب التمييز بين العرض غير المتحيز للتاريخ ومعاداة السامية...

يقول: «معادي السامية» إن «العبراني هو المخطط والمحضر والمهندس السياسي لكل الثورات». أما المؤرخ غير المتحيز فيكتفي بدراسة الدور الذي لعبه اليهود في الحركة الثورية على الأخذ بالحسبان طباعهم وخصوصية عقيدتهم وفلسفتهم الدينية»..

أي باختصار حسب رأي لازار لا يجوز اتهام اليهود بأكثر من المشاركة فقط في العمليات الثورية، أما كل من يقول بأن اليهود هم «المخططون والمهندسون للثورة» فهو مذنب في إهانة الشعب العظيم وبالهرطقة أي «معادٍ للسامية».

ولكن كل ذلك أشار إليه وأكده «ديزرائيلي» وهو شخص كان يملك قطرات من الدم السامي بخلاف اليهود الشرقيين - الأشكناز- الذي كان كلامه موجهاً إليهم عندما قال إن تلك «الثورة القوية تتطور كلياً تحت قيادة اليهود». وكذلك قوله. «يمكن تحديد تأثير اليهود في الومضات الأخيرة من مبدأ التدمير».. و «في أساس كل المنظمات الثورية السرية يقف أشخاص من الجنس اليهودي»..

وعلى الرغم من كونه يهودياً لم يود «ديزرائيلي» التحدث حول وجود الكثير من اليهود مثله وقفوا بحزم ضد «الثورة القومية مبدأ الدمار».

لقد كان ذلك واضحاً في زمانه وهو لم يكن بحاجة للدفاع عن نفسه أمام الديماغوجين الذين لو حدث الأمر اليوم لهاجموه صائحين بأنه يلحق العار بكل اليهود عندما يتحدث عن قيادة اليهود للثورة. وحسب تعابير لازار كان يجب اعتبار «ديزرائيلي» إنساناً معادياً للسامية.

بعد الثورة الفرنسية حذر يهود فرنسا على الدوام من خطر القادمين من الشرق وهم اليهود الأشكناز والذين اختلقوا المشكلات واصطدموا مع السكان الأصليين في الإلزاس، كان السفارديم دائماً ضد هذا الخطر القادم من الشرق. لقد ألغت المساواة كل العوائق التي كانت تقف في وجههم ولذلك لم يريدوا فقدان كل ما حصلوا عليه بسبب مبادئ الدمار القادمة من الشرق على ظهور الأشكناز التلموديين.

ومما لا شك فيه بأن تحذيرات «ديزرائيلي» كانت موجهه في الدرجة الأولى إليهم «أي إلى السفارديم» قبل أن تكون موجهه إلى المسيحيين. ولذلك كانت ردة فعل اليهود السفارديم على هذه التحذيرات أقوى من ردود فعل الجمهور غير اليهودي المحيط بهم.

وقد عوقب السفارديم على ذلك وحكم عليهم بالاندثار والضياع. وبطريقة غريبة فريدة قام بها الإحصائيون وبذلك اختفى شعب كامل من الوجود خلال قرن واحد «تماماً كما ضاعت بهذه الطريقة قبل ذلك بكثير القبائل الإسرائيلية العشر والتي اختفت إلى الأبد».

هذا ما سنجده في الفصل القادم بالتفصيل.

الفصل الثاني والعشرون

القيـادة العبرانيـة

أصبحت القيادة العبرانية للثورة العالمية أمراً واضحاً في منتصف القرن التاسع عشر وكان معظم قادتها من اليهود الشرقيين- الأشكناز- أما يهود الغرب الأسبان- السفارديم فكان معظمهم ضد الثورة. لأن الثورة لم تكن فقط ضد المسيحيين لوحدهم بل وضد السفارديم لأنهم «آي السفارديم» كانوا ، ونتيجة للمساواة في أوربة ، قد اختلطوا إلى حد كبير بالشعوب الأخرى وخرجوا من تحت تأثير حكماء اليهودية الذين أخذوا يفقدون نفوذهم. كذلك كان الانعزال ضرورة حيوية جداً لليهودية التلمودية أما الانخراط في الشعوب الأخرى فكان يعني الموت لها.

في هذه الفترة ظهر على مسرح الأحداث اليهود الشرقيون وكان ظهورهم هذا كمجموعة عبرانيين متميزة متطابقاً مع ظهور الثورة العالمية.

قبل ذلك كان الغرب يعرف نوعاً واحداً من العبرانيين وهم السفارديم ولكن مع بداية الثورة العالمية أصبح الحديث يدور عن يهود شرقيين ويهود غربيين وقد عاشت هاتان المجموعتان المختلفتان عملياً بشكل منفصل تماماً أكثر من ألف سنة.

قبل ذلك كان لدى يهود الغرب معلومات ضئيلة عن يهود الشرق وأما الغرب المسيحي فلم يكن يعرف عنهم أي شيء تقريباً.

ولقد تمكنت السلطة اللا محدودة للحاخامات في غيتوات اليهود المحلية أن تصهر اليهود في كتلة واحدة تكمن فيها طاقة هائلة.

وعلى الفور ولدى وصولها إلى الغرب تحولت هذه الكتلة إلى قوة هائلة أعظم من كل القوى التي عرفها القرن العشرين.

أجل لقد كان يهود الشرق مادة مثالية لتحقيق أهداف التلمود ذلك لأن هؤلاء البرابرة الآسيويين كانوا قد خضعوا لتدريب تلمودي على مدى قرون عديدة وفي ظروف الاستبداد الشرقي القاسي.

لقد استخدمتهم الجماعة المتسلطة لتحقيق هدفين استراتيجيين متناقضين فيما بينهما تماماً. الهدف الأول كان كجبهة واحدة صلبة ضد أي محاولة للمساواة. لأن المساواة كانت

تمثل خطراً كبيراً على القيادة التلمودية وفي حال شمولها لأوربا الشرقية كان سيصبح مستحيلاً إعادة اليهود الغربيين إلى حضن التلمود بعد أن شملتهم المساواة وانخرطوا إلى حد كبير في المجتمعات التي عاشوا في وسطها.

أما بالنسبة للعالم الخارجي ولا سيما لأوربا الغربية فكان يجب أن يبدو يهود الشرق كضحايا للاضطهاد الروسي القاسي «المعادي للسامية» والزعم بأن هذا الاضطهاد بالذات هو ما يعيق ويمنع مساواة اليهود في أوربة الشرقية على الرغم من أنه في حقيقة الأمر لا يوجد ما يعيق هذه المساواة إلا اليهود الشرقيون أنفسهم.

وكما هو معلوم، تعطي السيطرة على وسائل الإعلام إمكانات كبيرة لخداع الأكثرية العظمى من الناس في الدول الأخرى حول ما يجري في الدول الثانية المجاورة والبعيدة، ويتم إقناع الناس هناك بأمور كاذبة وبتصور مزيف لكل ما يدور ويجري. بل وحتى التحريض على الحرب في بعض الأحيان.

ولقد تعود ساسة الغرب على التباكي على اليهود وعلى مصيرهم البائس في روسيا منذ فترة طويلة وفي الوقت الذي بذل فيه يهود روسيا وبولندا المستحيل لمنع حدوث أي مساواة بينهم وبين السكان الأصليين وبالتالي عدم الاختلاط بهم.

ولكي نبدد أي شكوك يمكن أن تظهر لدى القارئ حول هذا الموضوع نقوم فيما يلي باستعراض شهادات المؤرخين العبرانيين أنفسهم ومن بينهم «كاستين» الذي كتب: «أبدت الغالبية العظمى من العبرانية مقاومة خاملة سلبية ولكنها قاسية ضد أي محاولات جرت لتحسين أحوالها»..

ولكن «كاستين» كما هو معروف أخفى جزءاً من الحقيقة لأن المقاومة هذه لم تكن دائماً خاملة وسلبية،بل كانت في بعض الأحيان تأخذ شكلاً قاتلاً مميتاً. لقد أجبروا الأشكناز على مقاومة محاولات تحريرهم وبكافة الوسائل ومن ضمنها القتل إذا لزم الأمر ذلك. وفي الوقت نفسه وبهدف التخويف جرى حشو رؤوس اليهود الغربيين بقصص مرعبة عن الاضطهاد والذي تعرض له يهود الشرق، وكذلك الأمر في رؤوس المسيحيين بهدف الحصول على الدعم والمساعدة.

وقد قدم سياسو الغرب كل هذه القصص المختلقة إلى شعوبهم على أنها الحقيقة التي لا غبار عليها.

وكان اليهود يقدمون المساعدة المالية والمعنوية إلى أحزاب الغرب وإلى السياسيين المختلفين هناك، وتضمن الأمر الدعم الإعلامي وأصوات الناخبين وبالمقابل طلبوا المساعدة ليهود روسيا المساكين في النجاة من الاضطهاد والعودة إلى فلسطين.

وعملياً كان ذلك يعني خضوع المصالح القومية الغربية لهدفين يعملان في النهاية من أجل تدمير شعوب ودول الغرب، وهذان الهدفان هما الثورة والاستيلاء على أراضي الغير من قبل شعب يرغب في السيطرة العالمية. وعن هذه الأحداث بالذات كتب «ديزرائيلي» في روايته الأولى «Lothair» «في عام /١٨٧٠م/»: «لقد خفضت الديمقراطية مستوى أهل السياسة إلى حد التهريج السياسي» وهكذا كان يتم إعداد «الرأي العام» الجماهيري «وهو أمر مُنعَ أي تصحيح أو نفي له» حول اضطهاد اليهود الدائم والمزعوم. والذي بدا في فترة من الفترات كمرض مزمن لا علاج له. وأما في حالة روسيا فقد بدا مثل الوباء الشديد وكان اسمه «معاداة السامية».

في الماضي كان الاعتقاد السائد وكانت الجماهير تصرخ بأن الأرض مسطحة ولذلك كان أي رأي حول كروية الأرض يحمل الخطر العظيم على من يقوله.

ولقد تمكنت الدعاية التلمودية من إجبار الناس على التفكير بهذا المستوى حتى في القرن التاسع عشر وأما نتائج ذلك فقد ظهرت في القرن العشرين.

ويجدر القول بأن يهود الغرب أظهروا ضد هذا الضغط القادم من الشرق مقاومة عنيفة أكبر بكثير من مقاومة حكام الغرب أو شعوبه.

لقد حافظ هؤلاء العبرانيون الأقحاح على التقاليد السفاردية ومضوا قدماً لملاقات التكامل والانسجام مع الشعوب الأخرى أو على الأقل حاولوا الاشتراك في الحياة العامة للإنسانية والتخفيف من التناقض الموجود بينهم وبين السكان الأصليين. لقد كان لديهم خوف فطري من الضغط المتزايد من روسيا ولا شك بأنهم تذكروا النهاية البائسة لعيشهم الرغيد على مدى قرون في أسبانيا.

لقد كان مؤلف هذا الكتاب فترة طويلة في أوربة وهو يتذكر جيداً كيف كان يهود الغرب ينظرون إلى يهود الشرق بقرف ويقولون «Diese Ostjuden» وأما يهود الشرق الذين استوطنوا في ألمانيا قادمين من روسيا وبولندا فكانوا يسمون أبناء عمومتهم من الألمان باحتقار زائد: «Diese Berliner»! وقامت القيادة الحاخامية للعبرانية بتجنيد الخزر المتهودين من روسيا ضد تحرير ومساواة اليهود في الغرب وضد الغرب كله وفعلت ذلك بإصرار آسيوي حاد.

وبسبب انعدام وجود أي أرقام موثوق بها، تمكنت القيادة المتسلطة من القيام بعملية إحصائية بيولوجية مثيرة، وبدأت هذه العملية قبل قرن من الزمان وانتهت في وقتنا الحاضر: وكانت نتيجتها تحول معظم يهود العالم إلى أشكناز على الرغم من أن الغرب وحتى نهاية القرن الثامن عشر كان يعرف فقط اليهود السفارديم وهم حافظوا بشكل أو بآخر على التقاليد التي كانت ومروراً بأسبانيا وشمال إفريقيا يمكن أن تصل بهم ولو بشكل ضعيف إلى أصول كنعانية ما.

ولكن حكماء صهيون وفي أواسط القرن العشرين أعلنوا عن اختفاء هذه الطائفة السفاردية واندثارها.

في عام /١٩٥٤م/ عقد في نيويورك المؤتمر العالمي لليهود السفارديم ونشر إحصائية تقول بأنه من أصل /١١٧٦٣٤٩١/ يهودي في العالم يوجد فقط /١٧٤٤٨٨٣/ يهودي سفارديم «نسبة /١٥٪/» وفقط /٥٢٠٠٠/ واحد منهم يعيش في أوربة «في السابق لم تعرف أوربة يهودا غير السفارديم» بل وفي كل العالم الغربي. هذه العملية السحرية لا يمكن تفسيرها بأي تطورات ديموغرافية اعتيادية.

لقد اعتبر السفارديم في عداد المفقودين واختفوا تماماً كما حصل مع قبائل الإسرائيليين العشر قبل /٣٠٠٠/ عام وفقط لأنهم لم يعودوا يؤمنون بالدور المتميز لهم والمختلف عن جيرانهم.

وحصل اليهود الأشكناز على ورثة «يهودا» وتركته واعتبروا مخلوقات تختلف تماماً عن الجيران ولم يعد من الممكن الحديث عن أي مساواة مع الآخرين. إنه تمييز مطلق. وأعلن جميع يهود العالم من أتباع هذه الطائفة من اليهود المدعوة أشكناز[1].

١- في السنوات الأخيرة لا بد أن القارئ الحاذق قد لاحظ وجود منحى خاص في الصحف ووسائل الإعلام الأخرى توجهه وبلا شك جهة واحدة وهدفه قلب المفاهيم المعروفة رأساً على عقب فيما يخص أصول اليهود الغربيين (الأسبان) واليهود من أصول أفرو آسيوية وحسب المفهوم الجديد فإن أحفاد السفارديم، الذين استوطنوا في أوربة الغربية بعد الطرد من أسبانيا أطلق عليهم اسم أشكناز وأما اليهود الأفرو آسيويين المتخلفون ثقافياً (نسبتهم في الدولة العبرية /٦٥٪/) فأصبح اسمهم سفارديم وأما أولئك الذين شكلوا في وقت من الأوقات أشراف العبرانيين وذوي الخبرة منهم في أسبانيا أي السفارديم الأصليون والذين خرج منهم سبينوزا وديررانيلي وغيرهم لم يبق لهم قيمة أو أي مكان وظاهرة (الإفناء الإحصائي) المدهشة التي ذكرها (دوغلاس ريد) وعلى الرغم من أنها لم تكن ملحوظة بوضوح في زمنه (الخمسينيات من القرن العشرين) إلا أنها في وقتنا الحاضر وجدت تأكيداً قوياً لها في الممارسات الصهيونية، وبالطبع، فإن مثل التحايل والتلاعب العرقي- الديموغرافي هو عبارة عن تزوير واضح لا يمكن إيجاد تفسير آخر له إلا ما أشار إليه (دوغلاس) وهو وجود أسباب سياسية وقد قيل إن سيفاراد هي منطقة آسيوية هاجر إليها قسم من اليهود بعد التدمير الأول لهيكل (سليمان) عام /٥٨٦ق.م/ ومن دون أي مبالاة من قبل الحاخامات للجغرافيا (هذا العلم ليس عبرانياً ولذلك لا يستحق أي اهتمام) ألصقوا نفس الاسم على منطقة تقع في الطرف الآخر من العالم الذي كان معروفاً في ذلك الوقت في أسبانيا حيث هاجر عدد كبير من اليهود بعد التدمير الثاني للهيكل في عام /٧٠م/ وتشير الموسوعة الألمانية الشهيرة (Dergrosse Herder) باقتضاب ولكن بوضوح في المجلد الثامن من طبعه /١٩٥٦/: (سيفارديم وكذلك سبانولي- هو اليهودي الذي طرد من أسبانيا والبرتغال عام /١٤٩٢م/). وبنفس الدقة تكتب الموسوعة الأميركية: (Encyclopedis Americana) المجلد الرابع والعشرين لعام /١٩٦٨م/: (السيفاردي هو اسم أطلق على اليهود المطرودين من أسبانيا وعلى أحفادهم الذين اختلطوا في أوربة وقد عثروا

ومرة أخرى وبجرة قلم بسيطة قام حكماء اليهود وبكل بساطة بشطب شعب كامل من الوجود على الرغم من أنه في الحقيقة لا يزال حياً يرزق بعض أفراده انخراط في الشعوب الأخرى والبعض الآخر ظل يعيش في العبرانية المنعزلة. ولا تزال مستمرة حتى اليوم الإدارة الحاخامية لليهود «وعلى أساس الشرائع اليهودية» في أمريكا وإنكلترا والدول الغربية الأخرى.

وفي عام /١٩٥٥م/ وقع الشك على أحد التجار اليهود من ليدس في إنكلترا «Leeds» واتهموه ببيع بعض الدبابات لمصر عن طريق طرف ثالث. وتجدر الإشارة إلى عدم وجود أي شكوى من أي طرف بهذا الخصوص، وإلى أن الشخص المذكور لم يخرق حتى لو فعل ذلك أي قانون محلي إنكليزي في ذلك الوقت. ولكن على الرغم من كل ذلك قامت محكمة عبرانية خاصة هناك بالنظر في القضية.

وقد ذكر رئيس المحكمة للصحافة، أن الجالية اليهودية ستنسى الموضوع تماماً «إذا ثبتت براءة المتهم. ولكن في ثبوت التهمه عليه فإننا كجالية نملك كل الوسائل والإمكانات اللازمة لمعاقبة المخالف».

وكلمة مخالف «خارج عن» «بالإنكليزية Ransgrassor» هي أحد تعابير الشريعة الحاخامية اليهودية.

مختصر الكلام لقد جرى الإعلان على الجميع بأن الشخص الذي يثبت خروجه على الشريعة سينال عقابه بغض النظر عن وجود ذنب له أم لا حسب قانون الدولة المضيفة التي هو مواطن فيها.

على الرغم من أن تدخل المحكمة اليهودية في هذه الحالة كان عبارة عن خرق واضح للصلاحيات الحكومية للدولة وعلى أعلى المستويات: وبالذات في شؤون السياسة الخارجية والدفاع الوطني لأن مثل هذا الأمر يضر بمصالح البلد في حال حصول فئة ما معينة من الناس

على الملجأ في البداية في البرتغال ومن ثم في مراكش وشرق المتوسط وإيطاليا والبلقان وكانت هولندا إحدى مراكزهم الثقافية وقد انتشروا أيضاً في كل أوربة الغربية وكذلك كان كل المستوطنين اليهود الأوائل في أمريكا من أصول سيماردية) وبعد ذلك تضيف الموسوعة بشكل عارض: (ولكن يسود استعمال هذا المصطلح بعض الغموض (Same Confusion) لأنه في بعض الأحيان يلصق هذا المصطلح بكل اليهود غير الأشكناز ونسبتهم ١٥/% من مجموع يهود العالم وفي العصر الحديث نقرا مقالة عنوانها (الغالبية الجديدة في إسرائيل) (Israel,S New Majority) نشرتها المجلة الأميركية الشهرية Commentary التي يصدرها المجلس اليهودي الأمريكي (أذار١٩٨٣). وهي تقول: (تعبير سيفاردي- يطلق اليوم في إسرائيل على يهود شمال أفريقيا والشرق الأوسط بخلاف الأشكناز اي يهود شمال اوربة ودول الغرب وعادة يطلق على الأشكناز اسم اليهود الغربيين أما السفارديم فيطلق عليهم اليهود الشرقيون). ولو نهض (ديزرائيلي) اليوم من قبره لرأى نفسه قد أصبح أشكنازياً

على حق تقرير لمن يمكن بيع السلاح ولمن لا يجوز بيعه، وكذلك الحق بمعاقبة من يخرق ذلك. والحالة الواردة أعلاه فقط مثيرة لأنها نشرت في الصحف وأصبحت معلومة للناس ولكنها على الرغم من ذلك لم تثر أي احتجاج أو حتى أي اهتمام خاص، وحتى لو وجد مثل هذا الاحتجاج فلم يكن ليسمح له بالظهور العلني على صفحات الجرائد أو في الإذاعات. ▬

ونعود إلى موضوعنا الأساسي حيث علينا الإثبات فيما بعد بأن الدخول الجماعي لليهود الشرقيين إلى معسكر الثورة لم يكن أمراً عرضياً أو مصادفة بل كان واقعة سياسية شجعتها الحكومة العبرانية التي انتقلت من بولندا بعد الطرد من أسبانيا واختفت عن الأنظار بعد فترة من تقسيم بولندا عام /١٧٧٢م/ وعند النظر إلى هذه الأحداث تتوضح ثلاثة أهداف للمؤامرة الكبرى والتي أكدتها جميع الأحداث اللاحقة. قبل كل شيء كان يجب وبمساعدة الثورة إيقاف عملية المساواة التي سارت في الغرب بخطوات سريعة وأدت إلى انخراط الكثير من اليهود في المجتمعات الغربية التي كانوا ضمنها.

وفي نجاح ذلك «أي إيقاف المساواة» ستعود سلطة الطائفة المتسلطة على اليهود إلى وضعها السابق.

ثانياً كان على الثورة، مع الضحايا والدمار التي ستجلبها لا محالة، أن تساعد على تطبيق الشريعة الداعية إلى تدمير وتشريد الوثنين مما يسهل النصر العظيم للشعب المختار أو على الأقل إلى نصر عظيم للطائفة المتسلطة على اليهود التي تستخدم هذا الشعار المخادع.

ومن الممكن جداً لو أن هذه الغطرسة كانت قد حصلت في /٥٠٠/ قبل ميلاد المسيح ووسط القبائل الشرق أوسطية البدائية وعلى مساحة محددة ومحدودة من العالم المعروف في ذلك الحين، فإنها لم تكن لتبدو بهذا التطرف الزائد. ولكن عندما تجلب إلى عالمنا الواسع الحاضر فإنها تبدو كمرض جنون العظمة والهدف منه إرغام العالم كله على القبول باطماع قبلية قديمة ولدت في ظروف صراعات القبائل الصغيرة في الماضي القديم. وقد يتصور الغرباء غير اليهود في بعض الأحيان بأن الشريعة التي تشكل نواة هذه الخطط يمكن العثور عليها في «العهد القديم» المعمم على المسيحيين ولكن هذا القول غير صحيح. العهد القديم يحتوي على قوانين متزنة عن العدل والحق وحسن الجوار وقد شطب اليهود كل ذلك وأدخلوا إلى نصوص التوراة إضافات ألغت تماماً كل تلك القوانين.

ومهما يكن الأمر فإن التوراة تحتوي على هذا وذاك وهي في حقيقة الأمر ليست كتاباً واحداً بل كتابين وعلى كل إنسان إن يقرر لنفسه أين تقع كلمة الرب الحق. وعلى هذا الاختيار بالذات أقدمت المسيحية وأخذت من العهد المقدس ذلك الجزء من التوراة الذي يصلح للبشرية كلها.

وأهملت كل الاختلافات والتعليقات اللاوية، تلك التعليقات التي ألغت كل الوصايا الأخلاقية الإنسانية.

الشريعة اليهودية «وبسلطتها أرسل الحاخامات الشرقيون يهودهم إلى معسكر الثورة» ليست شرائع التوراة بل هي شرائع التلمود «والذي يُعد العبراني المعاصر ناتجاً له».

«ولقد أوردنا كلمات رود كينسون بهذا الخصوص سابقاً». والتلمود هو كتاب واحد «وليس كتابين» معادٍ للمسيحية بشكل لدود «مبادئ العدالة والرحمة والعطف نحو الجار ليس فقط لا تستخدم نحو المسيحي «بل يُعد استخدامها جريمة. ويحرم التلمود تماماً إنقاذ الغريب من الموت أو حتى إعادة إليه ما ضاع منه من متاع أو حتى الشعور بالعطف نحوه».. «ما ذكرناه سابقاً من كلمات الحاخام راخ» هذه كانت شرائع الخزر الأشكناز في غيتواتهم المحلية ولقد خلقت قيادتهم منهم وقوداً للثورة العالمية. وتشير المصادر العبرانية الموثوقة بأن /٨٥٪/ من يهود العالم هم من الأشكناز.

وهكذا تمكنت الجماعة الخفية المتسلطة ومن خلال عملها في مقاطعات روسيا المجهولة للكثيرين أن تجند كتلة متجانسة متعاضده قوية وأرسلتها إلى القرن التاسع عشر لتدمر أوربة المسيحية.

وعلى مدى أكثر من قرن ونصف انتشرت القوى الثورية في أماكن جديدة مختلفة وجلبت معها الدمار لأوربا حسب المخطط الذي اكتشف أول مرة في وثائق «واي سخاويت». وعلى رأس هذا الجيش القوي من المخربين «كان هناك دائماً أناس من العرق اليهودي» («ديزرائيلي» عام /١٨٥٢م/).

وأخذ مبدأ الدمار الذي تحدث عنه «ديزرائيلي» يطرق كل الأبواب في جميع أرجاء العالم. ومن الممكن مرور قرن كامل آخر قبل أن تفقد القوة السوداء المسعورة، التي تهاجم أوربة، طاقتها ويفهم الأشكناز كما فهم ذلك من قبلهم السفارديم بأن الوقوف ضد البشرية جمعاء هو أمر يفوق طاقتهم، وعند ذلك ستندثر من ذات نفسها أحلام «القبالة لستين» «أحلام القبالة» حول السيطرة على العالم.

وحسب قانون التلمود، والدمار ليس هدفاً بحد ذاته بل هو فقط وسيلة للوصول إلى أهداف يحددها هو «أي التلمود».

واختفاء الحكومات القومية الوطنية يجب أن يكون مقدمة لتأسيس إمبراطورية «الشعب المختار» على أرض الميعاد، ولهذا الهدف النهائي جرى في أواسط القرن التاسع عشر وفي أواسط روسيا وأوربة الشرقية تجنيد الجيش الثاني.

جيش الصهيونية- ووضعت أمام الصهيونية مهمة إعادة اليهود إلى فلسطين ووضع أساس الإمبراطورية العبرانية العالمية فيها.

ولقد سارت فكرة السيادة على الشعوب الأخرى بخطى متوازية مع أفكار الثورة العالمية خلال المئة سنة الأخيرة. وكان نجاحها واضحاً للعيان. وأصبحت العودة حقيقة واقعة وكذلك دولة القبيلة المختارة، ومن جهة أخرى جرى تحطيم الكثير من الدول القومية أو اختفائها تماماً.

لقد جهدت قوى السيطرة اليهودية من الأعلى لتدمر حكومات هذه الدول وأما قوى الثورة فدمرت من الأسفل أسس وجود تلك الدول.

ويعترف «كاستين» أن الحكومة العبرانية أو المركز وعلى الرغم من تاريخه المستمر العلني لأكثر من ألفي عام فقد اختفى من الوجود وفجأة بعد تقسيم بولندا عام /١٧٧٢م/ ولكن بعد مئة سنة من ذلك ظهرت إلى الوجود «الأممية العبرانية» وهذا الأمر فقط يعني أن المركز تخلى عن سلطته على اليهود وأبدلها بتسلط اليهود على الدول والحكومات.

وقد كتب «ديزرائيلي» عن شبكة المنظمات الثورية التي تغطي الكرة الأرضية مثل شبكة سكك الحديد. وهو تحديد ووصف رائع لآلة الدمار والتخريب والتي ابتدعت للوصول إلى أهداف كبيرة في السيطرة على العالم.

وكان من الواضح وجود شبكة أخرى في الأعلى، وعلى الرغم من «ديزرائيلي» لم يكتب عنها بشكل مباشر إلا أنه ولا شك كان يقصدها عندما قال: «العالم لا يحكمه أولئك الذين يُعدهم الناس حكاماً. لأن الناس يجهلون ما يدور وراء الكواليس». على الأغلب هذه هي الأممية العبرانية التي تحدث عنها «كاستين»: نخبة من الناس لهم النفوذ القوي والغنى الطائل من دون شك وتحت نفوذهم وقع في البداية الملوك والأمراء ومن ثم الرؤساء والزعماء الديمقراطيين.

وتجدر الإشارة إلى انسجام عمل المنظمتين مع بعضهما ومساعدة كل منهما الأخرى في تحقيق أهدافها.

ويضطر الحكام الغرباء غير اليهود إلى تسليم المواقع واحداً تلو الآخر تحت ضغط الجماهير وتهديد الثورة من الأسفل. ويصل الأمر بهم في آخر الأمر إلى فقدان أي سلطة أو نفوذ، وتقع علاقاتهم عند ذلك تحت سلطة رأس المال بسبب الحروب التي تضعفهم وتعرضهم للإفلاس.

ويحتار الغرباء غير اليهود في سبب دعم الأغنياء للثورة وهو سؤال طرحه «ديزرائيلي» وأجاب عليه: الهدف الرئيس من كل ذلك تحطيم المسيحية لقد كان يدرك تماماً عما يتكلم ولم يرم كلماته عبثاً ولا شك بأن الغريب كان سيفهم أكثر لو قيل له بأنهم ينفذون شرائع التلمود التي تصر على تدمير الشعوب الأخرى كمقدمة «للعودة المظفرة».

في الفصل الثاني سنستعرض ظهور الصهيونية من غيتوات روسيا والتأثير المتبادل لقوتين إحداهما تسيطر على حكام الغرب والأخرى تدمر الأسس الأساسية للحكومات الوطنية لغير اليهود.

الفصل الثالث والعشرون

النبي

أدت أحداث القرن التاسع عشر إلى إلغاء جميع الالتزامات التي تعهد بها السندريون العبراني أمام «نابليون» وبالتالي إلى انعزال جديد لليهود وظهور جديد للدولة اليهودية التيوقراطية في وسط الشعوب الغربية وهو خطر حذر منه منذ وقت بعيد وقبل ظهور المسيحية، الإمبراطور الروماني «تتيبري».

والحديث هنا لا يدور عن صراع بحت بين اليهود وغير اليهود. الأمر يتعلق بصراع بعض اليهود مع بعض من غير اليهود. ضد بعض اليهود ومعهم غير اليهود.

وكان الحاكم غير اليهودي دائماً يقف إلى جانب الجماعة اليهودية المتسلطة وضد جموع اليهود وضد جماهير شعبه ورعاياه.

وقد وصل هذا الأمر في القرن التاسع عشر إلى طوره الحرج وفي عصرنا الحاضر انغمست جميع شعوب الأرض في هذا الصراع.

وأختار حكام الغرب وأهل السياسة هناك طريق خدمة الغير، تماماً مثل الحرس السويسري في الفاتيكان، وهم بذلك خانوا وباعوا مصالح يهود الغرب المتسامحين ومصالح شعوبهم ومصالح البشرية كلها.

ونود التوقف قليلاً عند نشاط ما يسمى بالليبرالية في القرن التاسع عشر لأن مساعدة الليبراليين للصهيونية أدت إلى تمكينها من «لخبطة» حياة الشعوب ودفع سياستهم في الطريق الخاطئ.

ونبدأ ذلك بالتعرف على مؤسس هذا التيار واسمه «هنري مونك» وأدعى في حينه النبوءة، واليوم فقط قليل من الناس يعرف ذلك الرجل أو سمع عنه شيئاً، على الرغم من أنه كان صورة تقليدية للرؤساء الأمريكان ورؤساء الحكومات الإنكليزية. إنه نموذج حقيقي لمعظم أهل السياسة والحكم المعاصرين. وحتى نفهم هذا الرجل، علينا أن نتذكر الأفكار التي كانت سائدة في القرن التاسع عشر وهو أمر ليس بالصعب لأن الفترة التي تفصلنا عن ذلك الزمن ليست بالبعيدة.

ويجدر الذكر أن نتائج المساواة الأوربية العامة وانتصار الأفكار الديمقراطية هناك أدى إلى فتح الطريق أمام أي متبجح نحو امتطاء الأحداث وبالتالي الشهرة ذلك لأن الأفكار الخطرة أصبحت تنتشر بسرعة بواسطة الصحف وسرعة انتقال الأخبار.

وسادت موضة من العطف الزائف على كل ما يجري بعيداً وأخذ البعض يتهم الآخرين بعدم الاهتمام بأقدار الناس في الأصقاع البعيدة مثل مصير اليتامى في الحبشة، على الرغم من أنهم في واقع الأمر لم يكونوا أنفسهم على علم بأي شيء عن هؤلاء اليتامى. ولكن ذلك كان طريقاً جديداً للحصول على سمعة أو وزن مرموق في المجتمع.

وكان الإغراء بذلك شديداً بحيث لم تعد أي انتقادات تقدر على إيقاف من كان يلهث وراء لقب «ليبرالي» وامتلأ الهواء بالثرثرة الفارغة عن «الإصلاحات» بدلاً من الدفاع عن «حقوق الإنسان». وأما النواقص فمن الأسهل دائماً إيجادها عند الشعوب البعيدة، وكلما كانت تلك الشعوب أبعد كلما كان الأمر أفضل لذلك أصبح القرن التاسع زمن ازدهار الرياء والنفاق وانقلب إلى جنة لكل من كان يصرخ عن العيش الرغيد للآخرين ولم يكن يهتم في حقيقة الأمر كم من الشرور كانوا فاعلين.

ولد «هنري مونك» في كندا عام /١٨٢٧م/ في أحد الأرياف على ضفاف نهر «أوتاوا». وفي سن السابعة أرسل إلى لندن إلى مدرسة «البزات الزرق» وهي مؤسسة كئيبة لطفل وحيد أسسها الملك «إدوارد السادس» وكان على الأولاد ارتداء الملابس السائدة في عهد ذلك الملك.

وعاش التلاميذ وكأنهم في دير عبادة، حياة تقشف تخللها الكثير من العقوبات. وكان خبزهم الروحي اليومي هو الكتاب المقدس. واندفع الطفل في الأمر وأراد استخدام العهد القديم في الظروف المعاصرة له.

وقرر لنفسه أن الحيوانات السريعة» عند النبي «أشعيا» هي- سكك الحديد اليوم- وأما «الرسل السريعون» فهم- السفن البخارية-.

وتطور الطفل وقرر ذات يوم بأن لديه مفاتيح «النبوءة وأنه الآن على مقدرة من فهم أفكار الرب وشرحها» في ضوء العصر الحديث. وكان أكثر ما أعجبه في العهد القديم هو التعاليم اللاوية عن اليوم السعيد القادم حيث يتم فيه تدمير «الوثنيين» وحيث سيجتمع «الشعب المختار في دولته العظيمة في «أرض الميعاد».

ويجدر القول بأن الكثير ممن كان لهم شأن ونفوذ كانت تشغلهم في تلك الأيام فكرة تقول بأن الوقت حان لكي يأخذوا على عاتقهم تنفيذ إرادة الرب تلك.

فحين كان عمر «مونك» إحدى عشرة سنة قام اللورد «شيفتسبيري» «Shaftsbury» بدعوة الدول الكبرى إلى شراء فلسطين من السلطان التركي وإعادتها إلى اليهود. ولكن السلطات البريطانية لم تعط الأمر أي اهتمام وبقيت الدعوة من دون نتيجة: ولكنها أثرت في «مونك» اليافع وكونت فيه فكرة النبي الجديد وبعد ذلك أصبحت حياته كلها- والتي استمرت فترة //٦٠/ سنة أخرى- ملكاً لهذه الخطة.

وفي الرابعة عشرة من عمره استمع إلى محاضرة ومواعظ أول قس إنكليزي في أورشليم «وكان يدعى سلمون الكسندير» وعاد الطفل إلى المدرسة وعيونه تلمع من الإثارة وقرر بعد ذلك تكريس حياته لقضية إعطاء فلسطين إلى شعب لم يكن هو يعرف أي شيء عنها، وقد أهمل في الوقت نفسه تماماً ذلك الشعب الموجود على تلك الأرض منذ زمن بعيد.

بعد ذلك لم يرجع «مونك» إلى كندا وأصبح معاوناً لكاهن في أحد المعابد ولكن فكرة عودة اليهود وقفت بينه وبين واجبه في المعبد المسيحي. ووقع بذلك في هرطقة واضحة وهو أمر يحدث عادة مع من يُعد نفسه مسيحياً وفي الوقت نفسه يحفظ عن ظهر قلب كل الكتابات اللاوية ويهمل العهد الجديد.

وبعد الاقتناع بحدوث التنبؤات التوراتية لا محالة. يقع هؤلاء الناس تحت تأثير الشرائع اليهودية وتصبح بالنسبة لهم فقط عبارة عن اتفاق سياسي وعلى الرب فقط تحديد موعد حدوث هذا الاتفاق ليس أكثر. ومن ثم يسودهم الاعتقاد بأن هذا الموعد أصبح معلوماً لهم لأن الرب على ما يبدو قد نسي الموضوع. وفي ذلك الطور يبدأ هؤلاء الناس بالهذيان بأنهم هم الرب. ولا شك بأن المحصلة النهائية لكل ذلك واضحة: وهي إنكار المسيحية الحقيقة وكل ما يتعلق بالرب الحقيقي وهذا كفر أكيد ولكن فيه يقع أكبر الزعماء ورجال السياسة في عصرنا.

فقط كان «مونك» الأول بين الكثيرين من بعده وحتى في وطنه كندا كان هناك «أنبياء آخرون». فالعبراني الأمريكي «مردوخاي نوح» أراد بناء مدينة عبرانية تكون ملجأ على أحد جزر نهر «نياغارا» وذلك كتمهيد للعودة».

ويبقى لغزاً ممن أراد نوح الاختباء هو واليهود الآخرون قبل «العودة». ولا شك بأن الجواب يعرفه هو وحده.

أيضاً كان هناك متحمس آخر «للعودة» وهو القنصل الأمريكي في أورشليم المدعو «واردر كريسون». «Warder Cresson» والذي بعد عودته من هناك اعتنق اليهودية وآلف كتاباً عنوانه «أورشليم مركز العالم وسعادته» وبعد ذلك هجر زوجته الأمريكية غير اليهودية

وأبدل اسمه وأصبح «ميخائيل بواس ازرائيل» وعاد مرة أخرى إلى فلسطين وبحث عن زوجة يهودية على الرغم من أنه كان سيحدثها فقط عن طريق الإشارات.

وأصاب الهوس «مونك» واتبع تقاليد وأعراف العهد القديم ولم يعد يهتم بمظهره الخارجي أو يقص شعره، وأقسم أن لا يقوم بذلك إلا بعد عودة صهيون ومع الزمن أصبح كثيف الشعر غريب الشكل والمنظر وأخذ يعيش على حساب الآخرين. وفي سن السادسة والعشرين قصد أورشليم ووصل إلى هناك بعد صعوبات جمه ولكن مع وصوله لم يكن لديه ما يؤكد صحة أقواله إلا منظره الخارجي الرث والمخيف، ولم يتبع النبي المزعوم منفوش الشعر إلا عدد قليل من الأتباع وعلى هذا الشكل كان يمكن لقصته أن تنتهي لولا مصادفة واحدة جلبت له شهرة غير منتظرة.

على الرغم من أن القرن التاسع عشر كان قرناً هادئاً نوعاً ما بالمقارنة مع القرن العشرين إلا أن الكثير من الناس المتحضرين والمثقفين في ذلك الوقت «القرن التاسع عشر» كانوا يعيشون في خوف دائم من الموت وكأنه وراء الباب وكان الخلاص الوحيد في نظرهم هو عودة زمرة من الناس إلى أراضي العرب.

وقد تقاطعت طرق أحد هؤلاء مع طريق «نبينا» المذكور أعلاه. فقد حضر إلى آورشليم فنان إنكليزي شاب اسمه «هولمان هانت» «Hilman Hant» وكان قد أصابه فشل أكاديمي في وطنه فأصبح على استعداد لتكريس نفسه لأجل هدف سامٍ عظيم. وكانت صحته في وضع سيئ دفعه إلى التفكير الدائم بالموت القريب ولكن ذلك لم يمنعه من العيش فترة /٨٣/ سنة.

ووضع النبي وتابعه الجديد خطة موحدة أراد لها أن تهز ذلك العالم غير المكترث. وطرح «مونك» على «هانت» فكرة تيس الفداء «كبش الفداء» كرمز لاضطهاد البشرية لليهود.

وقرر الاثنان بأن على «هانت» تصوير تيس الفداء في لوحة عظيمة في الوقت الذي يكتب «مونك» كتاباً عن ذلك يشرح فيه للجميع بأن الوقت قد حان لعودة المضطهدين لتحقيق النبوءة.

«ومن المعروف أن طقس تيس الفداء كان ابتداعاً لاوياً بحتاً أعطاهم «أي للاويين» الحق لغسل الذنوب للجماعة والقبيلة لقاء أجر معين. وكان يضحى لأجل ذلك بجدي صغير مقابل الذنوب، ويطلق واحداً آخر في الصحراء لكي يكفر بعذابه عن كل ذنوبهم التي تسقط على رأس هذا الحيوان الصغير. وقلب النبي «مونك» ورفيقه «هانت» الأمر رأساً على عقب بحيث إن كبش الفداء الذي عليه غسل ذنوب اليهود أصبح يرمز لليهود أنفسهم وأما معذبوه اللاويون فأصبح يرمز لهم بالحكام القساة الغرباء».

وأخذ «هانت» يرسم لوحته بنشاط وجد حيث كانت تمثل بالنسبة له انتقاماً من الأكاديمية التي اضطهدته وفي الوقت نفسه بدت له كخدمة لهدف عظيم.

وكان على لوحته أن تقول الكثير. أقوى من أي كلمات. بالإضافة إلى أن كتاب «مونك» كان سيلحق بها.

اللوحة والكتاب- رمز وتفسير، بشير ونبي: وما أن يشاهد العالم تيس الفداء هذا حتى يسرع الناس، والهلع في عيونهم، وراء «مونك» ويتبعوه ويدركوا عند ذلك فداحه ذنوبهم ويكونوا على استعداد لتكفير عنها.

وقد أصاب الذهول البدو سكان الصحراء عندما شاهدوا «هانت» في الجلابية والعباءة العربية وإحدى يديه تحمل السلاح وفي الأخرى أدوات الرسم وهو يركض وراء تيس أبيض باتجاه البحر الميت. وفطس التيس الأول مما أدى إلى إبداله بواحد آخر. وللحصول على إثارة أكبر. أحضروا من سيدوم هيكلاً عظمياً لجمل وكذلك حطموا جمجمة أحد التيوس وزينوا بها خلفية اللوحة. ولا شك بأن اللوحة أثارت شعوراً موحشاً وأوحت بأن اللاويين كانوا أناساً قساة «لأن آلام الحيوان كانت مرسومة بشكل مثير وواضح» وعديمي الإيمان والتقوى لأنهم تصوروا بأن عذاب التيس يمكن أن يكفر عن الطغيان الذي يقترفه شعبهم. وأحضر «هانت» اللوحة إلى إنكلترا ونذر مع «مونك» نفسيهما لقضية إعادة مملكة الرب إلى الأرض.

وأما «مونك» فقد كتب من جهته كتاب «تفسيرات مبسطة للهزات العظمى».. لندن /١٨٥٧م/. «Simple Interpretation of The Revelation» وبذلك اعتبرت المهمة الثنائية قد تمت وبقي على العالم المذنب والمسربل بالخطايا التوبة فقط. وحاول «مونك» في كتابه الأول التوفيق بين تعاليم المسيحية وهراء اللاويين.

وقد كان يقف على أرض صلبة من الناحية التاريخية عندما لاحظ وبحق أن: «القبائل الإسرائيلية العشر المختفية» لم تكن لتختفي من دون أثر. لذلك هي لا تزال تعيش في الكتلة البشرية العامة، ومن هنا استنتج «مونك» بأن الإسرائيليين الأقحاح الحقيقيين هم- المسيحيون والعبرانيون وعليهم الهجرة إلى فلسطين وتأسيس دولة نموذجية هناك «وهو في هذه النقطة الأخيرة يختلف حتماً وبشكل كلي مع الصهاينة ولو عاش في العصر الحاضر لألصقوا به تهمة معاداة السامية».

وأما استنتاجاته الأخرى فكانت مملوءة بالديماغوجية مثل... إن هذه الدولة لو ظهرت فستوقف جميع الحروب على الأرض.

ولكن الأهم من كل ذلك «ومن يعلم من أين أتاه الوحي بذلك» إنه يجب إنشاء حكومة عالمية في أورشليم وهذا بالذات كان سيسر مزاج الصهاينة وفقط عن طريق الوساطة والمعارف تمكن «مونك» من نشر كتابه وعاد الفضل في ذلك إلى «هانت» حيث تمكن أحد معارفه وهو الناقد الفني الشهير «روسكين» «Ruskin /1819-1900/» من إقناع الناشر المعروف «كونستي بليا» من نشر الكتاب ولكن اللوحة والكتاب لم يحققا أي نجاح. على الرغم من ذلك ساعد «روسكين» النبي العتيد مادياً ومعنوياً وأنقذه بذلك من الضياع والنسيان.

و «روسكين» نفسه عاش فترة شباب قاسية وصادف خيبة الأمل. فعلى الرغم من شهرته في مجال الفنون لم يكن محظوظاً في مجال النقد الاجتماعي وهو بذلك يذكرنا بابن بلده المدعو «ويلكي كولنيس» «Wilkie Collin /1824-1889/» والذي كتب قصصاً بوليسية جيدة ولكنه لم يقدم شيئاً يذكر في مجال النقد الاجتماعي. ولم يرض كل من «روسكين» و «كولنيس» بالنجاح الذي حققاه في مجال أبدعا فيه.

كان «روسكين» على استعداد دائم للدفاع عن القيم الأخلاقية ولكنه لم يتعب نفسه ويبحث في صلب هذه القيم.

وقد أجبر في طفولته- على غرار «مونك» - على تعلم العهد القديم وحفظه عن ظهر قلب وكانت أمه شديدة القسوة معه وسحقت شخصيته بشخصيتها القوية، لذلك نما الفتى تعيساً معقداً ولم يحالفه الحظ فيما بعد في الحب. وكان خائفاً من الحياة ومن المستقبل ولهذا السبب أثرت فيه بعمق كلمات النبي المزعوم عن اقتراب ساعة العقاب المحتوم وأثارت الرعب في قلبه مما ساعد على ازدياد كرمه نحو «مونك» ووقع الرجل وعلى غرار «مونك» و «هانت» في خطيئة الخيال الكافر.

وقد ذكر كاتب سيرة حياته المدعو «هاسكت بيرسون» بأنه «وكجميع المتمسحين وقع في الغلط وأخذ يُعد كلماته الذاتية على أنها كلمات الرب»..

وفي نهاية الأمر أضاع «روسكين» صواب الرأي. ولكن بعد أن مكن «مونك» من التجوال وإلقاء المواعظ. وبعد الفشل الذي أصاب كتاب «مونك» قام «هانت» بمحاولة أخرى لرسم «يسوع» في معبد يهودي والكتاب في يده، وحتى لا يبقى أي شك في ذلك كله. قام «مونك» بأداء دور المسيح أمامه وقد حُفظت المخطوطة الأولى للوحة في معرض أوتاوا القومي وفيها ظهر «مونك» وفي يده التوراة وأما الأخرى فكانت تحمل أحد أعداد التايمز اللندنية. «مؤلف هذا الكتاب كان في «مونتريال» مراسلاً للتايمز ولدى رؤيته المخطوطة المذكورة انفجر ضاحكاً مما قطع حبل الهدوء التام السائد في القاعة وأثار بذلك دهشة الحاضرين».

ولكن في نهاية الأمر باع «هانت» لوحته المذكورة بمبلغ كبير في تلك الأيام وقدره خمسة آلاف وخمس مئة «جنيه استرليني». وتقلص خوفه من الحياة وكذلك حقده على أكاديمية الفنون وأساتذتها. وأخذ الخجل يصيبه لدى مرافقته النبي المعتوه إلى البيوت الأرستقراطية. وفي ذلك الوقت انشغل «راسكين» بقصة حب جديدة أدت إلى إهماله للنبي المزعوم بعض الشيء.

ولكن على الرغم من كل ذلك لم ينسَ الاثنان الهلاك القادم الذي حذر منه النبي في حال توطين اليهود في فلسطين.

ولكي يزيل أي شك حول ذلك أشار النبي إلى الحروب المندلعة هنا وهناك «والتي لم يكن هناك نقص فيها» في أفريقيا وآسيا الصغرى أو البلقان على أنها إشارة من السماء على اقتراب موعد الساعة.

وفي نهاية الأمر وجد الاثنان مخرجاً هدأ من خوفهما وفي الوقت نفسه ساعدهما على التخلص من النبي المُملل: لقد نصحاه بالسفر إلى أورشليم والإعلان من هناك عن اقتراب اليوم المنشود. واستعد النبي للرحيل ولكن حرباً أخرى اندلعت أذهلته إلى حد كبير لأنها وقعت ليس كما تنبأ بل على العكس تماماً في آمريكا حيث ذكر الخلاص في موعظته السابقة. ولكن النبي تدارك الخطأ وأعلن أن حساباته السابقة حصل فيها زلة بسيطة وأن الحرب الأهلية الأمريكية هي فقط عبارة عن مقدمة للحدث العظيم ولذلك وفي هذا الوقت بالذات ومن دون آي تأجيل، يجب فعل شيء ما لفلسطين.

ولبى «جون روسكين» النداء على الفور وقال له إن كنت نبياً فعلاً فعليك السفر إلى آمريكا قبل أورشليم والقيام هناك بعمل سماوي ما يوقف الحرب الأهلية. وتعهد «روسكين» بتمويل الرحلة وسافر النبي إلى هناك.

وفي ذلك الوقت كان هناك تقليد في أمريكا يسمح لكل مواطن بزيارة رئيس البلاد ونتيجة لذلك كان على «أبراهام لينكولن» استقبال الزوار ثلاث مرات في الأسبوع وفي واحد من تلك الأيام ظهر نبينا في قاعة الاستقبال الرئاسية وسمح له شكله الغريب بأن يكون من أوائل الزائرين.

وسأل الرئيس زائره عن سبب زيارته. وبعد أن عرف أنه كندي جاء لإيقاف الحرب. سأله عن كيفية الحل في رأيه. فأجاب «مونك» بأن على الجنوب عتق العبيد ولكن مقابل تعويض مالي وآما الشمال فعليه ترك الجنوب ينفصل ويذهب لشأنه.

وأثار الجواب الرئيس وعده مسلياً «حسب اعتراف «مونك» نفسه». وسأل الرئيس «مونك»: (ألا تعتقد أيها الكندي أن وثيقتي عن الحرية هي خطوة نحو التقدم الاجتماعي والأخلاقي).

فأجابه «مونك» بأن ذلك جيد ولكنه لا يكفي وأضاف «لماذا لم تتخذوا بعد قراراً وخطوة ضرورية أخرى وهي مساواة اليهود بعد مساواتكم للزنوج؟».

أصابت الدهشة «لينكولن» لأن اليهود كانوا أحراراً دائماً في أمريكا ومتساوين في الحقوق، لذلك سأله «اليهود... لماذا اليهود؟ أليسوا أحراراً إلى الآن؟».

أجاب «مونك»: «بالطبع يا سيادة الرئيس. اليهود الأمريكان أحرار وهم أحرار في إنكلترا ولكننا في أمريكا بعيدين كل البعد ولا ندري بما يحدث في روسيا وبروسيا وتركيا. لا يمكن أن يقوم سلام ثابت على الأرض ما لم تقم الأمم المتحضرة وأتأمل أن يكون في طليعتها بريطانيا العظمى والولايات المتحدة بالتكفير عما فعلوه مع اليهود. يجب التكفير عن ألفي عام من الاضطهاد والملاحقة وأن يعيدوا اليهود إلى وطنهم الأصلي في فلسطين ويجعلوا من أورشليم عاصمة المسيحية المتحدة».

وتجدر الإشارة هنا إلى أن «مونك» لم يزر روسيا ولا بروسيا ولا تركيا مرة من المرات. وقد جسد بذلك «الليبرالي» المعهود من النوع الذي ذكرناه سابقاً. ففي روسيا منع الحاخامات التلموديون وبكل قواهم أي محاولة لمساواة اليهود وبعد عدة سنوات من لقاء «مونك» مع «أبراهام لينكولن»، تم قتل القيصر المتسامح «ألكسندر الثاني» قبيل إعلانه لدستور برلماني جديد.

أما في بروسيا فقد حصل اليهود على المساواة منذ زمن بعيد ولهذا السبب بالذات تعرضوا لانتقادات شديدة من اليهود الروس.

أما الحكومة التركية فقد اضطهدت كل الشعوب الخاضعة لها من دون أي تفريق في ذلك. على الرغم من أن يهود الدولة العثمانية عاشوا في فلسطين كما يحلو لهم ولم يكن هناك أي داعٍ لعودة أخرى إلى هناك.

وفي حقيقة الأمر لم يتصور أحد في أيام «لينكولن» أن أي حرب تقوم أينما كانت عليها مساعدة اليهود في «العودة» وفي قيام دولتهم في فلسطين. «على الرغم من أن ذلك أصبح قانوناً في أيامنا المعاصرة كما بينت نتائج الحربين العالميتين».

ولا شك بأن «لينكولن» اعتبر ذلك أمراً مسلياً أيضاً لأن اهتمامه الأول كان منصباً على الحرب الأهلية في أمريكا وهي الأقسى من بين كل الحروب التي عرفها الغرب في ذلك الحين.

وكان الرئيس بطبيعته إنساناً ذكياً استطاع بمهارة دائماً التخلص من الزوار المزعجين ولذلك تخلص من النبي المزعوم بمزحه طريفة: «هل تدري بأن طبيب أقدامي يهودي وقد ساعدني مراراً عديدة بالوقوف على قدمي وأنا بكل سرور سأساعد شعبه على الوقوف على أقدامهم».

وبعد ذلك ذكر الرئيس بأن هناك حرباً جارية في أمريكا وطلب من «مونك» انتظار نهايتها وأضاف: «بعد ذلك نستطيع من جديد الغوص في الأحلام وتفسيراتها».

وجواب الرئيس هذا يمكن أن يصبح موضوعاً شيقاً للنقاش. هل كانت عبارته الأخيرة مصادفة أم أنه قصد قولها؟ لأن الرئيس كان يعلم بلا شك أي عقوبات فرضها العهد القديم على الأنبياء المزيفين ومفسري الأحلام الدجالين.

وعاد «مونك» إلى لندن ودفع «روسكين» نفقات رحلته إلى فلسطين ولكنه طرد من هناك فور وصوله عام /١٨٦٤م/ لخرقه النظام العام. وتمكن بجهد جهيد وهو في حالة فقر مدقع من العمل بحاراً على سفينة مبحرة إلى بوسطن ألا أنها غرقت قبالة الشاطئ مما أجبره على متابعة الرحلة سباحة وجرفته الأمواج إلى الشاطئ وهو عارٍ تقريباً والجروح تغطيه. وفي الظلام ظنه أحد الفلاحين دباً متوحشاً فأطلق النار عليه وأصابه وأدى ذلك إلى فقدان ذاكرته وهلوسة في عقله. وبمساعدة البعض تمكن من العودة إلى منزله ولكن بعد أن شفي بعد /٥/ سنوات عاد إلى هلوسته السابقة. وفي تلك الأيام لم يكن الوقت قد حان بعد لتنتهي الأرض كما تنبأ منذ زمن بعيد. وتابع كوكبنا دورانه كالمعتاد.

ومن جديد راجع النبي نبوءته واكتشف فيها غلطة جديدة وهي في دعوته إلى توحيد اليهود والمسيحيين في دولة عالمية عاصمتها أورشليم.

الآن أتضح له أن الرب يريد قبل كل شيء إعادة فلسطين لليهود ومن ثم بعد ذلك إنشاء منظمة عالمية لها سلطة تجبر جميع شعوب الأرض بالخضوع لشريعتها. أي أن «مونك» وصل أخيراً وفي نهاية عمره إلى صلب الخطة اللاوية عن السيادة العالمية المذكورة في العهد القديم وتابع جهوده كالسابق معتقداً بأنه يساعد في تحقيق النبوءة والفرض الرباني.

وفي عام /١٨٧٠/ اندلع حريق غابات هائل في كندا وفي تلك اللحظات كان اسم النبي قد أصابه الكثير من النسيان ولكنه قام على الفور واعتبر ما حدث إشارة ربانية إلى اقتراب النهاية. ولدى وصوله إلى لندن عام /١٨٧٢م/ زار صديقيه «روسكين» و «هانت» واللذين اعتبراه ميتا منذ زمن بعيد. وكان «روسكين» في ذلك الوقت أسير قصة حب جديدة لذلك لم يعد يعطي أي اهتمام لتحذيرات «مونك» عن الهلاك القادم، وقد أجابه ذات مرة: «أنا اعترف

بروعه الكثير من أقوالكم ولكنني لم أعد أصدق بأنكم تعرفون الكثير عن الرب لأنكم تعرفون الناس بشكل سيئ. وأنا أعتقد الآن بأنكم فقط إنسان غير طبيعي ولكن من يدري ربما كنت أنا أيضاً غير طبيعي»..

ولم تكن هذه الانتقادات جديدة على النبي «مونك» فقد اعتاد عليها. وكم حاول أهله وأصدقاؤه إقناعه بالنضال من أجل حل المشكلات القريبة منه إذا كان ولا بد عليه من حل مشكلات إنسانية. فهناك مشكلات هنود «كندا» بل وحتى مشكلات الكنديين أنفسهم. ولكن «مونك» لم يعر ذلك أي اهتمام ونشر الكثير من المقالات والكتيبات ثم أنشأ «صندوق إعادة بناء فلسطين». ولأجل ذلك استعار إحدى أفكار «روسكين» الذي حاول في وقت ما مساعدة إنكلترا واقترح لأجل ذلك جمع عُشر موارد الأغنياء في البلد واستخدامها في استصلاح الأراضي المهجورة في إنكلترا.

أما «مونك» فقرر أن هذه التبرعات يمكن أن تخدم هدفاً أفضل وأكثر سمواً وهو «العودة» وفي ذلك الوقت أضاع «روسكين» مرة أخرى اتزانه النفسي بسبب موت حبيبة قلبه «روزا لاثوشا» وكذلك بسبب خطر وقوع حرب أخرى بين إنكلترا وروسيا لذلك أعتقد بأن النبي على ما يبدو وفي نهاية الأمر على حق.

أجل العالم يقف على حافة النهاية. لذلك وقع «روسكين» على بيان كتبه «مونك» وتبرع بعُشر موارده لصندوق شراء فلسطين من الأتراك. لأن أراضي إنكلترا المهجورة يمكن أن تنتظر لفترة أخرى.

وبالطبع بعد انتهاء صفقة البيع والشراء كان يجب عقد مؤتمر عالمي في فلسطين ليؤسس هناك اتحاداً أممياً. ومرة أخرى شعر النبي بصلابة الأرض تحت قدميه وحصل على مساعدات أخرى من أحد فرسان الصالونات الفيكتورية في ذلك الحين، المدعو «لورنس أولغانت» والذي تعرف عليه عن طريق المصادفة في أمريكا.

وكان «أولغانت» إنساناً شجاعاً مغامراً ووقحاً ويحب الأمور المتهورة الخطرة ولذلك أعجبته فكرة شراء فلسطين على الرغم من قناعته بعدم جدواها. وكتب لـ «مونك» يقول: «يمكن جمع من أجل ذلك أي مبلغ من المال لأن الناس على ثقة بأنهم بتبرعهم هذا يساعدون على تحقيق النبوءة وبتقريب يوم النهاية.

ولكنني لا أدري لماذا يريدون هذا الأمر الأخير بقوة ولكن ذلك يسهل كثيراً الجانب التجاري للموضوع».

وكما نرى من ذلك لم يخفِ «أولغانت» احتقاره لمواعظ «مونك». وتجدر الإشارة بأنه لمس هنا موضوعاً مثيراً للغاية. فأحد التفسيرات الكثيرة للنبوءة تقول بأن نهاية العالم ستأتي مباشرة بعد «عودة» اليهود إلى فلسطين أي أن من يساعد على تنفيذ تلك العودة يحدد في الوقت ذاته موعد الهلاك الذي سيصيبه «يَهْوَه» على كوكبنا.

وبعد مرور سنين كثيرة على ذلك. أذهل هذا الموضوع أحد السياسين الفرنسيين في مؤتمر فرساي للسلام عام /١٩١٩/ فتوجه إلى اللورد «بلفور» يسأله لماذا هذا الاستعجال في إعادة اليهود إلى فلسطين إذا كان ذلك يدفع نحو تحقيق النبوءة وبالتالي إلى نهاية العالم المحتومة بعد تلك العودة. فأجابه «بلفور» بفتور: «إن ذلك بالذات يجعل الأمر مثيراً للغاية».

وفي عام /١٨٨٠/ اعتلّت صحة «هانت» مرة أخرى وأخافته المشكلات العسكرية الصغيرة في مصر وأفريقيا لدرجة أنه أعتقد بأن نهاية العالم قادمة من وراء الأفق. لذلك قام مع «مونك» بإصدار بيان عنوانه: «إنهاء الحروب الوطنية والقومية». حيث دعا جميع الناس الطيبين إلى التبرع بعشر مواردهم لبناء «مملكة الرب على الأرض» وعلى شكل حكومة أممية في فلسطين وتحت اسم «الأمم المتحدة». «United Nations» وبالطبع المال المخصص لشراء فلسطين كان يجب أن يُدفع لـ «مونك». وعلى هذا المستوى انتهت القضية.

اقترب موت «روسكين» ورفض متابعة الاشتراك في كل هذه الهلوسات واختفى كذلك «اولغانت» وأما «البنك الإسرائيلي» فلم ينتج عنه شيء.

وحتى «هانت هولمان» فقد صبره في نهاية الأمر ونصحه قائلاً: بأن هناك رباً في السماء وهو الذي سيحاسب جميع الناس- لذلك كفاك تظاهراً بأنك الرب. ولم يسمع «مونك» من اليهود كلاماً أفضل من ذلك.

وقد كتب إليه أحد اليهود قائلاً: «لقد مات وطن أجدادنا وفلسطين هي مقبرته. وأي محاولة لبناء آمة من فلول شتات اليهود سيصيبها الفشل التام». ولكن إقناع «مونك» كان مستحيلاً. وعاد في عام /١٨٨٤/ ولآخر مرة إلى أوتاوا حيث بقي حتى مماته يلقي المواعظ.

لقد أضاع «مونك» حياته هدراً ولا يمكن أن يبرر ذلك لا الإيمان العميق ولا الهدف المنشود. ولقد تحدثنا بكل هذا الإسهاب عنه فقط لكي نبين في إطار القرن التاسع عشر المنصرم سخافة وغباء مشاريعه بالإضافة إلى جنون أولئك الذين حاولوا تنفيذ هذه المشاريع، ويتضح زيف وفساد ورذالة الأفكار الصهيونية حول الحكومة الأممية الاستبدادية لكل من يتخيل «مونك» وأصدقاءه على الساحة. ويبدو كل ذلك مهزلة احتيالية مراوغة وزيفاً رخيصاً وليس فقط لأنها فشلت بل لأنها لم تكن تحتوي على أي شيء جدي. فكل ما كانوا

يطرحونه لم يكن من الممكن أخذه على محمل الجد ولم يفكر أحد منهم بالنتائج الوخيمة المترتبة على ذلك. في تلك الأيام عندما كان النقاش لا يزال فعلاً حراً وكانت الآراء تبنى على المعلومات الموضوعية وكان بإمكان الناس لمس الفحوى الحقيقية للأمور.

وظهر هؤلاء كالمهرجين وخلفوا وراءهم فقط صدى ضعيفاً لضجة مضحكة في ممرات التاريخ.

ولكن المذهل أنه بهذا الضحك المتعجرف في عصرنا هذا ، أجبروا الشعوب على الأخذ به كأمر جاد يفوق في ضرورة تنفيذه كل الأمور الأخرى. وأصبح أي نقد له يُعد كفراً لا يُغتفر. وشكل حوله سوراً من القوانين غير المكتوبة عن الهرطقة والتي منعت عملياً أي إمكان لنقاش مفتوح وحر. وتحت حماية هذه القوانين يُمثل أهل الحكم في الغرب ويكررون مهزلة «النبي» الذي أصبح منسياً منذ زمن بعيد.

لو عاش «مونك» في عصرنا فلا شك بأنه كان سيشغل منصباً عالمياً عالياً جداً لأن دعم مثل هذه الخطط يُعد الشرط الضروري واللازم لأي نجاح سياسي مهم.

وبينما كان «مونك» مشغولاً ومنهمكاً في رحلاته بين أمريكا ولندن وفلسطين قام أناس آخرون بتأسيس قوة الصهيونية الحقيقية وفي روسيا بالذات.

وفي عام /١٨٩٦/ بالذات وهو عام موت «مونك» جرى حشر الصهيونية في عمر الشعوب وألصقت بها.

الفصل الرابع والعشرون

ولادة الصهيونية

عندما بدأت الشيوعية والعبرانية هجومهما المشترك على أوربة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كانت الحكومات الأوربية لا تزال قوية وعلى ثقة كبيرة بمستقبلها ولم تكن تخيفها المشكلات والاضطرابات الداخلية ولا الحروب الخارجية.

واستطاعت ومن دون صعوبات كبيرة التغلب على الهزات الثورية عام /١٨٤٨م/. ولم تؤد انتصارات بروسيا على الإمبراطورية النمساوية- الهنغارية عام /١٨٦٦/ ولا على فرنسا عام /١٨٧١م/ إلى إضعاف الوجود الوطني للمهزومين. وبعد توقيع معاهدة السلام تابعت هذه الدول العيش مع المنتصرين بوئام كما يحصل عادة على مدى قرون عديدة.

وتخلصت شعوب البلقان من احتلال تركي دام خمسمئة سنة وانطلقت في ظروف الحرية نحو مستقبل أفضل. وأما في الشرق فبدأت روسيا المسيحية بعملية التقدم الوطني الذاتي.

ولكن هذه الصورة الجذابة كانت مخادعة بقدر ما كانت جميلة. كانت عبارة عن تفاحة نخرتها دودتان. واليوم نحن نرى النتيجة النهائية لذلك. خلال الثمانية عشر قرناً الماضية من العصر المسيحي وعلى الرغم من كل النجاح والفشل الذي تخللها فإن البشرية حصلت على تقدم في نهاية الأمر لم يحدث أبداً في السابق. والآن وصل الأمر إلى رحلة إما أن يتوقف فيها هذا التقدم وإما ينتهي تماماً وأما النتيجة فلا نزال نجهلها، على الرغم من أن الناس المؤمنين لا يشكون في انتصار الخير ولكن السؤال فقط: متى؟.

ولكن، حتى بين الناس المؤمنين في ذلك الوقت ظهر إنسان كان يمكن رؤية الإيمان عنده بانتصار الخير فيه. ولكنه أيضاً توقع إلى أين ستؤدي أحداث القرن العشرين وتوقع بقدوم النهاية وليس فقط مرور مرحلة كئيبة من تاريخ البشرية.

هذا الإنسان كان «هنري إدوارد فانينغ» وهو كاهن مسيحي إنكليزي انتقل فيما بعد إلى الكاثوليكية وأصبح «كاردينالا لويسبمينستر». ولو سمح هو في حينه لزملائه الكبار بترشيحه، كان من الممكن إن يصبح بابا الفاتيكان.

وقبلـه بفـترة أدرك كـل مـن «ادمـون بـيرك» و «جـون ادامـس» و «ألكـسندر هـاملتون» الأهداف العالمية للثورة وتنبأوا بانتشار هزاتها.

وبعد ذلك بنصف قرن شهد «ديزرائيلي» و «باكونين» على استيلاء اليهود على قيادة الثورة وحذروا من العواقب الوخيمة لذلك. وضم «مانينغ» صوته إلى كل هذه التحذيرات ولكنه بالإضافة إلى ذلك توقع ظهور الصهيونية وأشار إلى دورها في الهجوم الثنائي على المسيحية.

أما عن الثورة فقد كتب في عام /١٨٦١/: «المنظمات السرية في جميع أنحاء العالم والتي أنكر وجودها باستهزاء وسخرية الكثير من الناس المتعجرفين، تبرهن الآن على وجودها بأعمالها الفعلية ولكل من كان حتى الأمس لا يصدق بوجودها».

وانتظر هذا الرجل النجاح التام لخطط «واي سخاوبت» وأعتقد بأنه هو يعيش في بداية مرحلة قاتمة معادية للمسيحية والتي خلالها ستفقد المسيحية وزنها ويصيبها الانحطاط بشكل نهائي ويسود العالم مجتمع عديم الإيمان».

اليوم انتصرت الثورة المعادية للمسيحية وتوطدت في نصف أوربة بالإضافة إلى آسيا وانقرض الصليب كشعار للمسيحية من رايات الكثير من الدول الأوربية الصغيرة والكبيرة لذلك تبدو الكلمات التي قيلت قبل مئة سنة كنبوءة رهيبة تحقق قسم كبير منها.

بعد ذلك «وهنا ارتفع «مونينغ» إلى مستوى أعلى من الكثيرين» قام بتصوير الدور الذي ستلعبه الصهيونية في تلك الأحداث: «كل من فقدَ الإيمان بـ «يسوع المسيح»، كل أولئك الإنسانيين والمعتقدين بألوهية الكون والعقلانيين. كل هؤلاء يمكن أن يخدعهم أي سياسي موهوب ذو نفوذ يريد إعادة اليهود إلى أرضهم الخاصة... وفي الوضع السياسي لعالمنا لا يوجد شيء يمكن أن يمنع حدوث مثل تلك الخطط».

«مانينغ» انتهى إلى القول بأنه ينتظر وصول أعداء المسيح بحق وأن أولئك سيكونون من اليهود وبهذا انتقل هو من مجال التحليل السياسي- حيث بين المستقبل بأنه كان بارعاً في ذلك- إلى مجال تفسير التنبؤات. وتعود كلماته إلى الرسالة للقديس «بولص» إلى «تسالونيكي» حول ما سيأتي من أيام. ويضيف «مانينغ» قائلاً: «إذا تنبأت الكتب المقدسة بأمور وأحداث ستجري يوماً فإن ذلك سيتم. - هذا الأمر قانون صحيح»..

وهكذا وبينما سارت أوربة- كما بدا- نحو المستقبل الأفضل وعلى طريق أثبتت صحته ثمانية عشر قرناً مرت، اتحدت الصهيونية بالشيوعية في غياهب روسيا التلمودية النائية. وشكلت القوة الثانية التي كان عليها قطع استمرار عملية سير أوربة المذكورة أعلاه.

كانت مهمة الشيوعية خداع الجماهير وكانت هي تلك «الحركة الجماهيرية العظيمة» التي توقع بها «ديزرائيلي» والتي بواسطتها قامت المنظمات السرية بتخريب أوربة.

وأما الصهيونية فكان دورها السيطرة على الحكام والقادة في أعلى مستوى في المجتمعات. ويجدر بالذكر أن إحدى هاتين القوتين لم تكن لتنجح من دون الأخرى.

لقد جاءت الصهيونية رداً حاسماً من المركز التلمودي في روسيا على عملية تحرير ومساواة يهود الغرب. وفرضت عليهم عدم الانخراط بالشعوب الأخرى والبقاء منفردين منعزلين.

ومنذ العصور البابلية لم تتجرأ الجماعة المسيطرة على اليهود على لعب ورقة العودة إلى أرض الميعاد وهي بلا شك لن تستطيع لعبها في المستقبل لو فشلت محاولتهم الحالية هذه. ويشير إلى ذلك حذر التلموديين الذين اضطروا إلى استخدام هذه الورقة فقط عندما هددت عملية مساواة اليهود وجودهم ووجود مركزهم وهددت سلطتهم ونفوذهم على العبرانية.

حتى ذلك الحين فقط كانوا يتهمون بالدجل والكذب كل من يقول باقتراب يوم الخلاص. ولو تمكن «تسيفي» أو «كرومويل» أو «نابليون» إعطاءهم فلسطين لأعلنوه المسوح المنتظر. وأما الآن فقد أصبحوا هم ممسوحين منتظرين.

وبما أن خطوة في مثل هذه الخطورة لا يمكن تكرارها في المستقبل فلا شك إذن بأننا اقتربنا من نهاية خطة الدمار والتخريب الصهيونية لأنها ومن الواضح عقيمة ومستحيلة التنفيذ ولكن ولا شك بأننا نحن والأجيال القادمة بعدنا سندفع الثمن غالياً لأننا دعمنا مثل هذه الأعمال أو سكتنا عليها.

وأكثر المعلومات قيمة عن جذور القرابة للتوأم- الشيوعية والصهيونية وكذلك أهدافهما النهائية- نجدها في كتاب الدكتور «حاييم وايزمان» الذي حضر ولادة الصهيونية وكان لسنين عديدة ممثلها المعتمد في الكثير من الدول وعلى مدى أربعين عاماً كان محبوب الملوك والرؤساء والزعماء ثم أصبح فيما بعد أول رئيس للدولة الصهيونية وقد كتب واستعرض كل ذلك بصراحة مذهلة. لقد بين كيف تم قبل مئة عام تقريباً وضع استراتيجية أدت نتائجها «لخبطه» شعوب أوربة وكأنها وقعت في دوامه مائية عنيفة. وشملت هذه الأحداث الأمريكان والإنكليز والألمان والفرنسيين والطليان والبولنديين والروس والاسكندنافين وشعوب البلطيق والبلقان وشعوب أخرى غيرهم.

وانهمرت الأموال وجرت الدماء سيولاً لكي تساعد الشيوعيين والصهاينة في الوصول إلى أهدافهم. وقد ذكر «وايزمان» أن روسيا كانت تحتوي على ثلاث فئات من اليهود.

الفئة الأولى: هم اليهود الباحثين عن «السلام في المدينة» والراغبين في الهدوء وحسن الجوار وهم من أراد أن يكون مواطناً صالحاً لروسيا تماماً كما فعلت أغلبية يهود الغرب حيث أصبحوا مواطنين صالحين إنكليز أو ألمان أو طليان... الخ...

لقد أرادت هذه الفئة المساواة وكانت تتألف معظمها من أناس عاملين بجد في مجال أعمالهم ولكنهم كانوا يخافون من سلطة التلموديين ولو سمحت لهم الظروف لتحرروا بسرور من استبداد الحاخامات. ولكن بالنسبة لـ «وايزمان» فهذه الفئة قليلة العدد وغير جديرة بالذكر.

وكما يهملها هو سنهملها نحن أيضاً لأن الفئتين الأخريين سيطرتا عليها وبناء على أوامر الحاخامات التلموديين حذفت هذه الفئة من الوجود أو بالأحرى حُرمت ونُبذت.

أما باقي يهود روسيا فقسموا إلى فئتين بخط دخل عمودياً في كل أسرة وفي كل بيت ومن ضمنها أسرة «وايزمان» نفسه. وعلى الرغم من أن الفئتين ثوريتان وعملتا على تخريب روسيا إلا أنهما اختلفتا فقط بعلاقتهما بالصهيونية.

الفئة الأولى فئة الثورين الشيوعيين اعتبرت أن المساواة التامة لليهود وتحريرهم سيتم عندما تحطم الثورة العالمية كل الحكومات الوطنية وتحل هي في مكان هذه الحكومات.

أما فئة الثوار الصهاينة ومع اعترافها الكامل بالثورة العالمية وبفائدة هذه الثورة للقضية الصهيونية فإنها اعتبرت بأن المساواة ستحل فقط عندما تعيد الأمة اليهودية بناء دولتها الخاصة بها.

ومن الواضح أن الفئة الصهيونية كانت أقرب إلى التلمودية الأرثوذكسية، لأنه حسب الشريعة لم يكن الدمار والتخريب هدفاً بل كان فقط وسيلة للوصول إلى السيطرة والسيادة وأما الأمة المختارة فكانت أورشليم مكانها.

واتهم الشيوعيون الصهيونية بتخريب الثورة التي نفت ورفضت في طروحاتها «العرق والدين» فأجاب الصهاينة بأن الثورة يجب إن تؤدي إلى إعادة تكوين الشعب المختار وفيه يتوحد العرق والدين. وفي الواقع قد يكون الأفراد والبسطاء من هذه الأسرة اليهودية أو تلك آمنوا حقاً بالشيوعية أو بالصهيونية ولكن الحقيقة كانت تكمن في أن الفئتين استطاعتا الظهور في التجمعات اليهودية فقط بعد أن سمح لها الحاخامات بذلك. لو أعلن هؤلاء بأن الصهيونية هي «التزام» وأما الشيوعية فهي «خروج وخرق» فإن جميع اليهود كانوا سيتبعون الصهيونية ولم يكن أحد منهم ليقترب من الشيوعية.

ولكن الجماعة المتسلطة على اليهود ارتأت بأن الفئتين مفيدتان وضروريتان للقضية ولتحقيق الهدف النهائي. وكما أشار «ديزرائيلي» فإن تاريخ الثورة منذ أواسط القرن التاسع

عشر هو عبارة عن خليط من الشيوعية والصهيونية يتم توجهيه من مركز واحد وإلى هدف نهائي واحد.

ويروي «وايزمان» مثالاً على الاختلاف بين أعضاء الأسرة الواحدة ويشير أن أم «حاييم وايزمان» وهي مثال للأم اليهودية لاحظت بهدوء بأنه لو أتضح أن ابنها الثوري الشيوعي على حق فإنها ستعيش في بحبوحه وهناء في روسيا وأما إذا بدا أن ابنها الثوري الصهيوني على حق فإنها ستعيش حياة رغيدة في فلسطين.

وأتضح في النهاية أن الشابين كانا على حق وعاشت الأم حياة جيدة في موسكو البلشفية ومن ثم انتقلت لتعيش آخر آيامها في فلسطين الصهيونية وحدث ذلك بعد انتصار المؤامرتين في أسبوع واحد عام /١٩١٧م/.

والشيوعية كانت منظمة منذ وقت بعيد «ولكن بشكل سري» حين اتخذت الصهيونية شكلاً منظماً «أيضاً بشكل سري» في الحركة العبرانية تحت اسم «تشبات سيون» «حب صهيون».

وقد ظهرت في مدينة «بينسك» حيث كان «وايزمان» لا يزال تلميذاً في إحدى المدارس الروسية، أي أن طريقه إلى الجناح الثوري- الصهيوني من المؤامرة ابتدأ وهو فتى يافع. وأصبح في ذلك الوقت شاهداً على حدث كان بإمكانه تحطيم أسطورة «اضطهاد اليهود في روسيا» والتي قامت عليها كل الدعاية التلمودية في العالم الخارجي. وحدث ذلك عندما قام الإمبراطور الروسي «ألكسندر الثاني» بتحرير ثلاثة وعشرين مليوناً من الفلاحين الاقنان ومنذ تلك اللحظة انفتح الطريق إلى الحرية والتقدم أمام سكان روسيا من جميع القوميات والأديان «على غرار ما جرى في أوربة الغربية» وكان اليهود يشكلون نسبة /٤٪/ منهم.

ولكن خلال السنوات العشرين التي تلت قانون التحرير المذكور، قاوم اليهود بعنف وبتوجيه من المركز التلمودي جميع «المحاولات المبذولة لتحسين ظروف حياتهم» «كاستين».

وفي آذار /١٨٨١/ أراد القيصر الروسي نفسه متابعة أعماله الإصلاحية بإصدار دستور برلماني للبلاد. ونورد هنا تعليقاً لـ «كاستين» يفضح نفسه بنفسه: «ولم يكن غريباً أن المؤامرة، التي انتهت باغتيال وقتل «ألكسندر الثاني»، كان بين أعضائها امرأة عبرانية».

«ملاحظة الترجمة- في المؤامرة اشتركت مجموعة من اليهود وأما إلقاء القنبلة على القيصر فقد قام به اليهودي «غولدن برغ»، وفقط لإبعاد الغضب الشعبي المحتمل ضد اليهود زعم بأن الاغتيال نفذه شخص روسي وبعد مقتل القيصر سادت روسيا أعمال عنف ضد اليهود بشكل واسع لم يكن معروفاً من قبل».

وكانت عملية الاغتيال نجاحاً كبيراً للثوريين الذين قاوموا علمية التحرير والمساواة. ولحق بالعملية المذكورة عمليات أخرى مماثلة، وأعادت بشكل مثالي الصورة التي رسمها «موسى هس» «Moses Hess» - وهو من أوائل مروجي الصهيونية- بعد تحرير الفلاحين الروس: «سنبقى نحن اليهود دائماً غرباء بين الشعوب الأخرى. وفقط ولاعتبارات العدالة والإنسانية تقوم هذه الشعوب بمنحنا كل الحقوق المدنية. ولكنها «أي الشعوب» لم تكن تحترمنا في وقت من الأوقات ما دمنا نهمل ماضينا العظيم ونعيش حسب المبدأ القائل- وطني هو المكان الذي أعيش فيه سعيداً».

وفي الوقت نفسه قام مروج آخر للصهيونية يدعى «ليف بينسكر» بإصدار كتاب بعنوان: «المساواة الآلية» والعنوان بحد ذاته عبارة عن تهديد مبطن يفهمه فقط المطلعون. وهو يعني: «نحن لن نقبل أبداً أي تحرير أو مساواة من يد أحد. نحن سنحرر أنفسنا بأنفسنا وسنعطي التحرير والمساواة المفهوم الذي نرغبه».

وقد كتب «بينسكر» متابعاً: «يوجد خلاف وتناقض دائم وحتمي بين أناس معروفين باسم اليهود من جهة وبقية الناس من جهة أخرى».

وبعد ذلك شرح خطته عن «المساواة الذاتية» وعن «إعادة ترميم الأمة العبرانية». للوصول إلى هذا الهدف يقول: «علينا الدخول في الصراع ونحن نملك إرادة صلبة في فرض ضغط يستحيل تجاوزه على السياسة العالمية الحالية».

وعلى القارئ أن يتذكر جيداً هذه الكلمات المكتوبة في عام /١٨٨٢م/ لأنها تبين أن هؤلاء الناس عرفوا المستقبل بكل هذه الدقة. وهو أمر يسهل فهمه عن طريق المقارنة على سبيل المثال مع بولندي وطني مهاجر يتشدق من وقت إلى آخر بكلمات «الضغط على السياسة العالمية».

عادة ينتظر اللاجئون السياسيون بلهفة تحقيق أمانيهم وهم يتسكعون في مقاهي المهاجرين ويسودهم الفرح الشديد في حال رضي مقابلتهم السكرتير الثاني لمساعد الوزير ولو لمدة نصف ساعة.

عندما كتب «بينسكر» هذه الكلمات كان عبارة عن مهاجر في برلين مجهول تماماً خارج الحلقات الثورية وكان يمكن أن تبدو كلماته عبارة عن أمنية أو احتجاج لا قيمة لها لولا أن الأحداث في السنوات السبعين القادمة لم تبين أنه كان يعرف تماماً عما كتب.

ومن الواضح أنه عرف لماذا وكيف ستنتصر الصهيونية أي نحن نود القول بأن المؤامرة «وحتى قبل أن يبدأ العالم الخارجي بالشك فيها» كانت تملك تأييداً هائلاً بعيداً وراء حدود

روسيا. وكان واحد مثل «بينسكر» - مجهولاً من قبل الناس- يعرف تماماً الطرق التي بواسطتها ستتغير مصائر البشرية والعالم كله.

وفي الوقت الذي نمت فيه المؤامرة ذات الرأسين وقويت في روسيا، شب وكبر «وايزمان» وأخذ يلعب فيها دوراً ملحوظاً. ونود الإشارة هنا إلى أن كلمة «مؤامرة» ليست من اختلاق مؤلف هذا الكتاب. لقد استخدمها «وايزمان» بشكل واضح ومفضوح.

وكان «وايزمان» يكره روسيا كرهاً شديداً وهاجر منها إلى ألمانيا وطبعاً كانت هجرة سهلة من دون أي صعوبات.

ولكن منظر اليهود «المتساوين» أثار غضبه لدرجة دفعته لزيارة أماكن معينة في روسيا خلال إجازته وفي أيام الأعياد. وخلال ذلك عاد للاشتراك في المؤامرة «كما كتب هو بنفسه». وبعد ذلك تزعم «وايزمان» صراعاً مفتوحاً في جامعات الغرب بهدف إلغاء مساواة يهود الغرب الأوربيين الذي شعروا بسرعة بالخطر وابتعدوا بقرف عن «Diese Ostijuden».

وقد رفض العبراني الألماني «كبرئيل ريزير» جميع الثورين من الشرق البعيد بقوله: «نحن لم نأتِ إلى هنا كمهاجرين. لقد ولدنا هنا، وبالذات لأننا ولدنا هنا فإننا لا نطالب بوطن في مكان آخر. نحن إما أن نكون ألماناً أو نكون أناساً مشردين بلا وطن».

وعلى نفس المنوال فكر حاخامات اليهود الإصلاحيون: «علينا أن نذكر «موسى» دائماً في صلواتنا ولكن يجب أن نحذف منها كل الطلبات والتضرعات بالعودة إلى أراضي أجدادنا وكذلك إنشاء الدولة العبرانية».

لقد ظل هؤلاء اليهود أوفياء لالتزامات السندريون النابليوني. وتسامحوا مع البشرية ودخلوا ضمنها ولم يستطع أحد التصور أبداً بمقدرة التلموديين على إعادتهم إلى حظائر العبودية تماماً كما فعل في الماضي البعيد «نحيميا» مع أجدادهم.

ويكتب «كاستين» وشعور القرف يسوده بأنه في نهاية القرن التاسع عشر كان «كل خامس يهودي متزوج بامرأة غير يهودية».. وكذلك أثار سخط «كاستين» الحاد كون «اليهود قد حاربوا في الحرب العالمية بعضهم بعضاً على جميع الجبهات وإن ذلك مأساة ستتكرر ما دام اليهود مجبرين على تنفيذ مهمات مواطني الدول المضيفة لهم».

وطاف خيال الخطة التلمودية الجديدة فوق رؤوس يهود الغرب وكان خطرها أقرب بكثير مما تصوروا.

لقد قام حكماء صهيون في روسيا بأعمال تحضيرية على مدى عشرات السنين ومع اقتراب نهاية القرن التاسع عشر كانوا على استعداد «لفرض ضغط يستحيل تجاوزه على

السياسة العالمية حالياً». وكان أبرع المعلمين في هذا المجال الحاكم الصهيوني الشاب المتنقل «حاييم وايزمان».

وزار «وايزمان» الكثير من المدن والكثير من الجامعات في أوربة متنقلاً من دار مشتادت إلى برلين ومن برلين إلى جنيف وكان يترك وراءه في كل مكان ألغاماً موقوتة للمستقبل.

ومع نهاية القرن أخذت الأحداث تتسارع بشكل مفاجئ وكأنها آلة كانت تجهز منذ زمن طويل وأصبحت الآن جاهزة للعمل وأقلعت بأقصى طاقة لها. وقد شعرت العبرانية كلها بنبض عمل هذه الآلة، في حين لم تشعر الجماهير غير العبرانية كعادتها بأي شيء.

وظهر على المسرح عبراني آخر من روسيا وهو «آشير غينسبورغ» وحمل أيضاً اسم «اخاد- هعام». وأعلن هذا الرجل بأن اليهود شكلوا أمة خاصة وعليهم الآن الحصول على فلسطين لتأسيس دولة خاصة بهم.

وبالنسبة ليهود غرب أوربة كان صوت «آشير» هذا فقط صوت آخر من روسيا البعيدة. أجل كانت نقطة الضعف الأساسية ليهود الغرب هي عدم تقديرهم الكافي لتلك القوة المنظمة للكتلة المتماسكة للعبرانية البعيدة في الشرق. ولم يكن في مقدور يهود الغرب التصور بأن هذه القوة يمكن أن تُحدد مصير أوربة. على الرغم من وجود تحذير واضح لم يلفت نظرهم وهو كتاب لـ «تيودور هرتزل» نشر في عام /١٨٩٦م/ بعنوان «الدولة العبرانية» ومع ظهور هذا الكتاب تسلل القط إلى عش الحمام وبعد فترة أصبح الحمام كله في أحشاء القط واهتزت وحدة يهود الغرب لأن «هرتزل» لم يكن شرقياً ولا من أصل روسي. لقد كان «هرتزل» واحداً منهم «من يهود الغرب» وعلى الرغم من أنه بدا كنموذج لليهودي الغربي المتساوي فقد وقف إلى جانب الصهاينة.

وسرت في أوصال العبرانية كلها رعشة القلق والخوف بينما بقي العالم المسيحي محافظاً على سكونه على الرغم من وجود أسباب كثيرة للقلق لديه.

الفصل الخامس والعشرون

المنظمة الصهيونية العالمية

إذا كان ظهور أناس مثل «ماركس» أو «هرتزل» - وهم في حد ذاتهم بشر عاديون ولكن في اللحظة اللازمة بإمكانهم التسبب بهزات عظيمة- هو عبارة عن مصادفة بسيطة، فإننا يمكن أن نعتبر أن المصادفة أيضاً جندت وأصبحت عميلة للمؤامرة المعادية للمسيحية منذ زمن بعيد.

ولكن التفسير الأكثر عقلانية هو أن الأمور تطورت تحت تأثير ومراقبة مركز قيادي اختار، وإن لم يخترَ فقد استخدم «هرتزل» في الدور المرسوم له.

ويؤكد هذا الافتراض بأن مدة شهرته القصيرة كانت مثل الشهاب الساقط من السماء وكذلك أكدت ذلك الطريقة المحتقرة التي قُذف بها بعد الانتهاء من القضية بل وحتى نهايته السريعة والكثيرة الغموض.

وللتعرف على «هرتزل» ونجاحه يجب التعرف على فيينا وجو فيينا ومحيطها في بداية القرن العشرين.

كان هناك ملكية متراخية وأرستقراطية مهتزة وطبقة من اليهود صعدت فجأة وبسرعة مذهلة على درجات سلالم المجتمع. كل ذلك بهر الجمهور العبراني بشكل كبير. وقد شرح لهم الدكتور «هرتزل» على صفحات الجريدة العبرانية «Neue Freie Presse» إلى أين يتجه العالم وأشار إلى ما يجب عليهم فعله.

وأما في مقاهي السياسة في فيينا فكان الشغيله هناك يسرعون دائماً لخدمة السيد الدكتور «Herrn Doktor» وكان كل ذلك جديداً ومثيراً، وأما المغرورون أمثال «هرتزل» و «دي بلوفيتش» تلك الأيام فكانوا يبدون أشخاصاً في غاية الأهمية.

وعندما أعلن «هرتزل» نفسه بوقاً لصهيون أخذ عدم الثقة عند يهود الغرب يتبدل إلى خوف تبجيلي.

وإذا كان باستطاعة الدكتور «هرتزل» التحدث بهذه البساطة مع أناس عظماء ومع دول عظيمة فهل يمكن أن يكون هو على حق في حقيقة الأمر وليس السندريون النابليوني. وهل حقاً كانت السياسة تصنع في مكتب الدكتور «هرتزل» وليس في مبنى وزارة الخارجية في «Ballhaujplatz».

ولو كان من كتب «الدولة العبرانية» هو يهودي روسي حاول تأسيس تجمع صهيوني لأهمله يهود الغرب ولم يعيروه أي اهتمام لخوفهم من المؤامرة القادمة من الشرق ومن عواقبها الوخيمة. ولكن إذا كان الداعي إلى ذلك هو الدكتور «هرتزل» اليهودي الغربي النمساوي. فإن القضية تصبح في غاية الجدية.

والأمر الذي أقنع «هرتزل» في حقيقة وجود «معاداة للسامية» كان- حسب قوله- قضية «دريفوس» الشهيرة[1]. وهذا التعبير ظهر إلى الوجود منذ فترة غير بعيدة على الرغم من محاولة «كاستين» الإثبات بأن «معاداة السامية» موجودة منذ زمن بعيد جداً: «ومنذ احتكاك اليهودية مع الشعوب المجاورة وليس فقط على أساس المعاداة».

وحسب هذا التعبير تصبح الحرب الدفاعية أيضاً «معاداة للسامية» على الرغم من أن الجيران أي القبائل المتخاصمة مع اليهود في القدم كانت أيضاً سامية العرق.

ومهما يكن فإن كلمات من طراز «ليس فقط على أساس المعاداة» هي مثال رائع للتضليل الصهيوني الذي ذكرناه سابقاً أي المقدرة على إخفاء وتغيير المعنى لما قيل وذلك بواسطة الاختيار الذكي للكلمات. وتأكيد «هرتزل» بأن قضية «دريفوس» هي التي أوصلته إلى الصهيونية يفتقد إلى أي منطق. فلقد أثبتت قضية «دريفوس» لليهود بأنهم وبفضل المساواة حصلوا على حيادية تامة في القضاء حيث لم يكن أبداً الدفاع بهذه الشفافية والانفتاح ولم يكن رد الاعتبار بمثل هذا الكمال في أي وقت من الأوقات كما كان في قضية «دريفوس».

١- لا شك بأن (البروتوكولات) تشير إلى قضية دريفوس التي أثارت ضجة كبيرة في تلك الأيام في فرنسا. دريفوس كان ضابطاً يهودياً فرنسياً خدم في هيئة الأركان العامة للجيش الفرنسي وبعد محاكمتين عسكريتين أدين بتهمة الخيانة للدولة وحكم عليه بالمؤبد. ولكن اثر ذلك قامت حملة يهودية دعائية لم يعرف التاريخ لها مثيلاً وشملت بالإضافة إلى فرنسا دولاً كثيرة مما اضطر رئيس جمهورية فرنسة إلى العفو عنه (رفضت المحكمة ذلك) وجرى ترفيعه عسكرياً ومنح وساماً حربياً وتحول من خائن إلى بطل قومي.

ولكن حتى اليوم تأخذ الدعاية الصهيونية قضية «دريفوس» كمثال على الظلم والاضطهاد على الرغم من أنها في حقيقة الأمر اعتبرت مثالاً كلاسيكياً للعدالة.

ومهما يكن فإن «هرتزل» طالب بأن «يعطونا حقوقاً مطلقة على قدر من الكرة الأرضية لكي نلبي ونحقق المتطلبات القانونية الطبيعية للأمة». «وهو هنا لم يحدد منطقة محدودة ولم يطالب بفلسطين بالذات».

وهكذا ظهرت فكرة إعادة بناء الدولة العبرية ولأول مرة في النقاش العلني لدى يهود الغرب.

«وآما بالنسبة للغرباء غير اليهود في جميع أنحاء العالم لم تكن هذه المشكلة موجودة بعد. وفي عام /١٨٤١م/ في مؤتمر لدول أوربة جرت مناقشة مسألة سورية ودعا خلال ذلك القنصل الإنكليزي في «سميرنا» الكولونيل «تشرشل» إلى تأسيس دولة يهودية في فلسطين ولكن أحداً لم يعر هذا الطرح أي اهتمام». وقد وصفت الصحيفة العبرانية اللندنية «Jewish Chronicle» كتاب «هرتزل» على أنه «واحد من أغرب الاقتراحات الفريدة التي طرحت في يوم من الآيام» ولا شك بأن ذلك شجع «هرتزل» وسافر إلى لندن التي كانت مركزاً للسياسة العالمية في ذلك الحين.

وحاول هناك بعث الحياة في فكرته وبعد عدة اجتماعات ناجحة في «ايست ايند» العبرانية قرر «هرتزل» الدعوة إلى مؤتمر عبراني عام. وفي آذار /١٨٩٧م/ عرض على يهود العالم كله إرسال مندوبين عنهم إلى المؤتمر الصهيوني وفي شهر آب من العام نفسه في ميونخ.

ويحدر القول بأن يهود غرب أوربة وقفوا بحزم ضد هذه الفكرة وانهمرت الاحتجاجات من حاخامات ألمانيا ومن يهود ميونخ مما دفع «هرتزل» إلى نقل المؤتمر إلى مدينة «بال» السويسرية.

أما جالية أمريكا الجنوبية المعتدلة التي أصابها الإصلاح فقد صرحت بأنها لا «تنتظر العودة إلى فلسطين ولا إعادة أي شرائع وقوانين تخص الدولة العبرية»..

وعندما حاول «ستيفن عوزي» «Stephen Wise» «والذي آصبح فيما بعد مستشاراً مقرباً من الرئيس «روزفلت» أن ينشر في عام /١٨٩٩/ كتاباً عن الصهيونية رفضت دور النشر اليهودية في آمريكا ذلك وأعلنت بأنها لن تقدم على مثل هذه المخاطرة.

وحضر مؤتمر «هرتزل» /١٩٧/ مندوباً غالبيتهم من شرق أوربة وأعلن هؤلاء عن تأسيس «المنظمة الصهيونية العالمية» وأعلنت المنظمة أن اليهود أمة منفصلة عن الأمم الآخرى وأن

المنظمة ترى من واجبها الحصول على اعتراف بهذه الأمة وضمان حقوقي بوطن لها. «وأعلن «هرتزل» أن الدولة العبرانية ظهرت إلى الوجود».

وفي حقيقة الأمر كان مؤتمر «بال» عبارة عن اجتماع لمجموعة غير كبيرة من اليهود طمحت إلى تمثيل كل اليهود مع رفضها القاطع للمنظمات اليهودية الغربية الكثيرة.

وعلى الرغم من الشكل الوقح الذي بدت فيه هذه المتطلبات فإنها عملياً ظهرت إلى مسرح التداول اليومي في السياسة العالمية. وفي حقيقة الأمر كان مؤتمر «بال» عبارة عن سندريون جديد الهدف منه إلغاء كل الالتزامات التي اتخذت أمام «نابليون» قبل تسعين سنة.

لقد رفض السندريون الأول اعتبار اليهود أمة أو شعباً مستقلاً وأنكر أي رغبة في تأسيس دولة عبرانية. وأما السندريون الجديد فقد أعلن اليهود أمة مستقلة منفصلة تطلب دولة خاصة بها.

وقد وصف الحاخام «آلمير برغير» الأحداث التي جرت قبل نصف قرن بقوله: «لقد زرعوا إسفيناً من القومية العبرانية بين اليهود والشعوب الأخرى. لقد خلقوا أشكالاً «للغيتو» وحشدوا فيها اليهود غير المحررين لكي يعيقوا ويمنعوا العملية الطبيعية للمساواة والتكامل».

وكان ينقص سندريون «نابليون» نقطة واحدة لم يلاحظها «نابليون» ولكنها واضحة في أيامنا وهي أن ذلك السندريون كان يمثل يهود الغرب فقط وبالطبع لم يكن الإمبراطور على علم بقوة الكتلة المتماسكة لجماهير يهود روسيا النائية. لأن «هرتزل» ذاته لم يلاحظها في البداية حيث اكتشف ذلك فجأة في اجتماع «بال» الذي دعا هو إليه وحيث يعتقد بوجود دعم كبير له هناك: «وعندما.... نهض فجأة أمامنا يهود روسيا والذين لم نكن نتوقعهم بهذه القوة. لقد حضر المؤتمر سبعون مندوباً من روسيا وأصبح واضحاً لنا جميعاً بأنهم يمثلون أفكار ومشاعر خمسة ملايين يهودي روسي. وكان ذلك إهانة ولطمة لنا نحن الذين لم نشك قبل ذلك، بتفوقنا».

وهكذا وقف «هرتزل» فجأة وجهاً لوجه أمام أسياده وأمام المؤامرة التي توجب عليه نشرها في الغرب وأعلن مع الكثيرين الحرب على المساواة ولكنه كان بلا شك يجهل عظمة القوة التي تبرع ليساعدها.

وسرعان ما بقي «هرتزل» وحيداً وكأنه جلاد قام بعمله ولم يعد لازماً.

بعد ذلك خرج على المسرح السادة الحقيقيون. لقد صنع لهم «هرتزل» السلاح الذي بواسطته هاجموا أوربة. وجاء بدلاً منه الزعيم الحقيقي «حاييم وايزمان» الذي ذكر ذلك بوضوح:

«خدمة «هرتزل» هي تكوينه لسلطة برلمانية مركزية للصهيونية.... ولأول مرة في تاريخ الشتات العبراني قامت حكومات الدول العظمى بالتباحث رسمياً مع مندوبين منتخبين للشعب العبراني. وبذلك عاد الوجه الحقوقي القانوني للشعب اليهودي واعترف بوجوده».

ولا شك بأن «وايزمان» ضحك في سره عندما استخدم كلمات «برلمانية» و «منتخب». ولكن العبارة الثانية في أقواله المذكورة أعلاه تحدد واقعة مثيرة ومذهلة. وفقط اعتراف دولة عظمى بمؤتمر «بال» ووثائقه كان يمكن أن يمنح المؤتمر القيمة والاحترام وهو أمر كان يبدو مستحيلاً. ولكن هذا الأمر المستحيل حصل فعلاً بعد عدة سنوات من المؤتمر حينما طرحت الحكومة البريطانية أوغندا كمكان لتوطين اليهود. وإلى ذلك بالذات لمح «وايزمان».

ومنذ تلك اللحظة اعترفت الدول العظمى الغربية بشكل عملي بتلمودي روسيا كممثلين لكل اليهود في العالم.

ومنذ تلك اللحظة دخلت الثورة الصهيونية إلى تاريخ الغرب. ومع ذلك انتهت عشرات العقود من المساواة التي كانت في البداية أملاً مضيئاً في ضم اليهود إلى بقية الإنسانية.

وأما الكلمات التنبؤية لـ «هوستن تشامبرلين» «كتبت قبل مؤتمر «بال» بقليل» فأصبحت الآن واقعاً حياً. لقد كتبَ معلقاً على كلمات «هيردر» قبل مئة عام منه «Johann Gottfried Von Herder /1744-1803/»: «شعوب أوربة غير المتطورة أصبحت عبيداً طوعيين للمرابين اليهود»..

و «تشامبرلين» «Houston Stewort Chamberlain» «وهو كاتب وفيلسوف ألماني من أصل إنكليزي- ملاحظة الترجمة-» أكد أنه خلال القرن التاسع عشر «حصلت تغييرات كبيرة... اليوم «هيردر» كان يمكنه القول نفس الشيء عن القسم الأعظم من العالم المتحضر. إن التأثير المباشر لليهودية على كل القرن التاسع عشر أصبح واحداً من المشكلات اللاذعة في العصر الحديث. نحن هنا في قضية تمس ليس فقط أيامنا هذه بل ومستقبل العالم بأسره».

ومع ظهور المنظمة الصهيونية العالمية، والتي سرعان ما اعترفت الدول العظمى الغربية بها كسلطة تقوم حتى فوق تلك الدول، أخذت «المشكلة اللاذعة» تقود مسار كل الأحداث التاريخية.

وأصبح واضحاً أن المستقبل مرتبط بها في عام /١٩٥٦م/ عندما اكتمل هذا الكتاب في بداية تلك السنة أقر القادة السياسيون لأمريكا وإنكلترا بأن الحرب العالمية المقبلة يمكن أن تبدأ في مكان قيام الدولة الصهيونية وأخذوا يتطايرون إلى هنا وهناك في إرجاء مختلفة من العالم في محاولة لمنع حدوث «الانتهاء».

الفصل السادس والعشرون

هرطقة الدكتور هرتزل

خلال ست سنوات. من عام /١٨٩٧/ وحتى /١٩٠٣م/ أصبح الدكتور «هرتزل» شخصية عالمية فريدة من نوعها بعد أن كان موظفاً عادياً في جريدة عبرانية في فيينا اسمها «Neue Freie Presse» وأسس «هرتزل» الصهيونية وجعل منها قوة سياسية منظمة.

وأصبح ذلك الحدث هو قدره المحتوم وكذلك قدر الكثير من اليهود الذين حذوا حذوه. وحشر «هرتزل» الصهيونية في حياة الغرب على الرغم من أنه نفسه كان خلال ذلك خيالاً لا أهمية له ونتاجاً لمقاهي فيينا ذات «Sacher Torte و Koffee Mit Schlagober».

لقد بدا في دور رجل استخدمه مدرب بارع فقط لأجل علاقاته ومعارفه وبعد ذلك قذفه بعيداً عندما انتهت الحاجة منه ووقفت القضية على قدميها.

لذلك يمكن القول إن «هرتزل» لم يكن في وقت من الأوقات زعيماً حقيقياً للصهيونية وقد فهم ذلك بنفسه في المؤتمر الأول عام /١٨٩٧م/ عندما قال بخوف وقلق: «وفجأة نهض أمامنا يهود روسيا والذين لم نتوقعهم بهذه القوة».

وحتى في عام /١٩٠٤م/ فهم «هرتزل» وضعه المتضائل والحقير وبأنه كان ألعوبه في أيدي الآخرين ولا شك بأن ذلك قتله فيما بعد.

وقد كتب ذات مرة في «بال» /١٨٩٧م/:

لقد أسست أنا الدولة العبرانية... وأجبرت أبناء جماعتنا أن يشعروا أنهم مواطنون وأن يشعروا أنهم مجموعة قومية».

وأوضحت السنوات الست القادمة ما قصده «ليف بينسكر» عام /١٨٨٢م/ عندما تحدث عن «فرض ضغطاً لا يحتمل على السياسة العالمية حالياً».

ويجدر الذكر أن «تيودور هرتزل» المولود في بودابست مارس الصحافة في عواصم أوربة حيث استقبله الملوك والزعماء على أنه ممثل لجميع اليهود.

إلا أن الحقيقة كانت غير ذلك تماماً ونشير هنا إلى قول أحد أقرب مساعديه «ماكس نوردجوا» بعد موت «هرتزل»: «شعبنا كان لديه «هرتزل» ولكن «هرتزل» لم يكن لديه أي شعب».

لقد احتقره حاخامات التلمود في الشرق ونظروا إليه كمسيح دجال جديد ومنعوا ظهور أي أتباع له.

وكان العالم الذي تواجد فيه «هرتزل» يملك أرضاً صلبة وأسساً قاسية وكان الملوك والزعماء محبوبين من شعوبهم وساد القانون والمحكمة العادلة للجميع في كل مكان. وكانت ظروف العمل إنسانية. ولكن في الوقت نفسه عرف الحكام والسياسيون في كل مكان أن النجاح الكامل يحتاج إلى الوقت وسادهم خوف عميق من أن توقف الثورة العالمية هذه العملية، واستطاع «هرتزل» بمهارة استغلال هذا الخوف العام لتمرير طريقته في التعامل وتحقيق أهدافه وأولها تأسيس الدولة العبرية.

وقد وعد «هرتزل» بالسلام والأمان الداخلي لكل بلد يدعم هذه الفكرة، وفي حال العكس كان يهدد بالثورة وأكد خلال ذلك بأنه يتحدث باسم جميع اليهود، وكان في كلامه هذا اعتراف صريح بأن قيادة الثورة العالمية تقع في أيدي اليهود، وتأكد مرة أخرى ما ذكره «ديزرائيلي» و «باكونين» وقد عبر «هرتزل» عن إيمانه في حقيقة هذه الطريقة بقوله: «عندما نغرق نحن نصبح على الفور بروليتاريا ثورية وأما عندما تكون أمورنا في صعود تصعد معها وتكبر قوة أموالنا القادرة على كل شيء»..

وذات مرة وعد «هرتزل» من جانبه «دوق بادن» أن يضعف الدعاية الثورية في أوربة في حال لبت السلطات متطلباته. بعد ذلك استقبله المستشار الألماني عند بوابات أورشليم في خوذة حديدية وعلى حصان أبيض وتباحث معه ووعده بالضغط على السلطان التركي ليقبل بعرض «هرتزل» حول فلسطين. وعندما فشلت المحاولة هدد «هرتزل» بإشعال الثورة: «إذا فشلت قضيتنا فإن مئات الآلاف من أتباعنا سيخرجون كرجل واحد ويشتركون في الثورة».. واستقبل القيصر الروسي «هرتزل» وتباحث معه على نفس المنوال.

وفي نفس الفترة تقريباً انعقد المؤتمر الصهيوني العالمي الثالث والذي جاء في قراراته أن كل يهودي عضو في المنظمة الصهيونية يعترف بالسلطة المستقلة للدولة العبرية المزعومة.

وقد لاحظ الحاخام «آلمير برغير» في هذا الخصوص بأنه بذلك «أصبح «الغيتو» المتكاتف والمتماسك ومن جديد حقيقة واقعية وبشكل أوسع من أي وقت مضى سابقاً»..

وكان الزعيم التالي الذي تباحث مع «هرتزل» هو السلطان التركي. وكل رحلاته لم تعط أي نتائج مثمرة وفقط عندما نقل نشاطه إلى إنكلترا حالفه النجاح الكبير.

ولا شك بأنه ملك هناك مفاتيح على أعلى المستويات وقد أدت مباحثاته «غير المؤرخة» هناك إلى تحديد مصير ليس فقط الأطفال الإنكليز في ذلك الوقت بل وأبنائهم وأحفادهم.

والسؤال الذي يطرح نفسه: من الذي ساعد الدكتور «هرتزل» على الوصول إلى أبرز الشخصيات العالمية في الدول العظمى الأوربية حيث استمعوا بصبر إلى تهديداته وطلباته الوقحة؟

ومن الواضح أن «الأبواب الملكية» انفتحت أمامه ليس فقط لأنه استطاع في «بال» جمع /١٩٧/ شخصاً مجهولاً من أمثاله، بل لأن هناك ومن دون شك كان يوجد من هو أكثر نفوذاً بكثير. وهم بالذات وضعوا أيديهم في هذه القضية وفتحوا أمامه «الأبواب الملكية» «حسب تعبيره».

وهنا تدخل روايتنا في مجال الأسرار والتي عادة يجري حمايتها بشراسة غير ملحوظة. فالكثير من الوثائق والمصادر بينت من أين هي مصادر الثورة العالمية وما هي أهدافها. وأثبتت بشكل قاطع قيادة اليهود لها. وأصبح معروفاً لدى الجميع وجود «شبكة» تغطي الكرة الأرضية، تلك الشبكة التي تحدث عنها «ديزرائيلي».

كذلك كانت معروفة وواضحة طبيعة «البيروليتاريا الثورية» ولكن بالإضافة إلى كل ذلك توجد شبكة أخرى يجهلها الكثيرون وهي شبكة لذوي النفوذ على أعلى المستويات هناك حيث بإمكان كيس النقود خلق «ضغط لا يحتمل على السياسة العالمية».

وبالذات شبكة هؤلاء الناس المنتشرين في جميع دول العالم والهادفين إلى هدف واحد مشترك، هي بالذات التي سمحت لـ «هرتزل» وابتزازته بالوصول إلى أعلى المستويات.

ولا شك بأن المراقبين المحنكين في السياسة الدولية على علم بهذه القوة التي لا تزال تعمل حتى اليوم على أعلى المستويات في السياسة الدولية.

وتتظاهر الدعاية الصهيونية أن المعارضة القوية للصهيونية تأتي دائماً من جهة الأثرياء اليهود فقط. (هذه التعابير نصادفها في كتابات «حاييم وايزمان»). ولكن حقيقة الأمر تبين أن الانقسام بين اليهود حدث شاقولياً ومس الأغنياء منهم والفقراء.

وعلى الرغم من أن معظم يهود الغرب كانوا وبقوة ضد الصهيونية ألا أن أقلية مؤيدة للصهيونية هناك كانت تتألف في معظمها من اليهود الأغنياء وأصحاب النفوذ هناك. وهم فقط

من كان بإمكانه إعطاء ذلك الشبح الصهيوني المتمثل في «هرتزل» مفاتيح مكاتب الشخصيات العالمية وأبواب القصور.

ولا شك بأن حماة «هرتزل» كانوا على علاقة وثيقة مع قوة الصهيونية المنظمة وهي تجمعات اليهود التلمودية النائية في روسيا.

وقد كتب «كاستين» بأن «اللجنة التنفيذية» التي شكلت في «بال» من قبل /١٩٧/ مندوباً كانت التجسيد الأول الحقيقي «للأممية العبرانية».

أي بعبارة أخرى يمكن القول ما كان موجود سابقاً في الخفاء حصل الآن بشكل علني وملموس.

أجل كانت الأممية العبرانية موجودة منذ زمن بعيد وهي على قدر كبير من القوة لدرجة أنها استطاعت أن تؤمن لـ «هرتزل» الخلوات مع الملوك والزعماء والوزراء.

هذه الشبكة العالمية السرية في أيام «هرتزل»، يمكن للمؤرخ تكوين تصور عنها لنفسه فقط عن طريق البحث الدقيق وبالمقارنة وبتجميع قطع الموزاييك للأحداث المختلفة «في أيامنا هذه أصبح وجود هذه الشبكة معروفاً جيداً وهو ما سنستعرضه في الفصول القادمة».

وقد ذكر «حاييم وايزمان» أنه ذات مرة وخلال الحديث مع «هرتزل» وصف السير «فرنسيس مونتي فيوري»، وهو يهودي إنكليزي له نفوذ، بالغباء فاعترض على ذلك «هرتزل» بقوله: «ولكنه يفتح أمامي أبواب القصور الملكية». وبعد ذلك بفترة حصل «هرتزل» على دعم يهودي رأسمالي معروف من فيينا اسمه «بارون غيركش». وقد كتب عنه المؤرخ النمساوي «كارل لونياي» يقول بأنه دفع مبلغاً كبيراً من المال «مئة ألف غولدين» لأمير نمساوي عرفه على أمير ويلز «أصبح فيما بعد الملك ادوار السابع» وبعد هذا اللقاء أصبح «بارون» مستشاراً مالياً للملك المقبل وأحد أصدقائه المقربين. وكان في الوقت نفسه عديل الرأسمالي الإنكليزي «بيشو فسيفم» أحد أصحاب المؤسسة المالية اليهودية الإنكليزية الحاملة لنفس الاسم. أما الشريك الآخر في هذه المؤسسة المالية فكان ثري يهودي من أصل ألماني هو «سير ارنست كاسيل» وقد تعرف «كاسيل» عن طريق «غيرش» على «ادوار السابع» وأصبح من أصدقائه المقربين وكان آخر من شاهد الملك قبل وفاته. لقد أصر الملك في يوم وفاته على مقابلة «ارنست». وقد كتب المؤرخ الإنكليزي «بايرن كونل» حول ذلك: «كان هناك أخوية أممية صغيرة من نخبه المجتمع. «وعلى ما يبدو كان «كاستيل» عضواً فعالاً فيها» وكانت تحتوي على «ماكس فاربورغ» رئيس أحد أضخم البنوك في هامبورغ و «ادوارد نينس» رئيس بنك

باريس وهولندا الموجود في باريس. و «فرانتس فيليبسون» وهو رأسمالي من بروكسل. وكذلك «فرتهيم» و «غومبيربس» من أمستردام وبالإضافة إلى «ياكوف شيف» من شركة «تون ليب» وشركائهم في نيويورك.

وعلى ما يبدو جمعت هؤلاء وحدة العرق والدين والمصالح وكانت خيوط عنكبوتية رفيعة تربطهم وتتأثر بأي لمسة. وكان لديهم شبكة استعلامات دقيقة في الاقتصاد والسياسة والمال على أعلى المستويات وكان بإمكانهم قطع الدعم عن جهة ما وتقديمه إلى طرف آخر.

وكان بإمكانهم بسرية تامة وبسرعة البرق تحويل مبالغ مالية ضخمة من أحد أطراف إمبراطوريتهم المالية إلى طرف آخر، ومؤثرين بذلك على القرارات السياسية الحاسمة في العشرات من الدول المختلفة»..

وحدة العرق والمصالح والدين... خيوط عنكبوت رفيعة... شبكة... استعلام على أعلى المستويات... نقل كميات ضخمة من المال... التأثير على القرارات السياسية الحاسمة.

لا أعتقد من الصعب الشك بأن المقصود هنا هو «الأممية العبرانية» التي تبجح «كاستين» بها مرات عديدة. إنه الجهاز الذي كان يعمل فوق كل حدود الدول ليدعم «هرتزل» ويدفع به إلى الأمام.

وما ذكر أعلاه يفسر لنا سلوك الحكومة البريطانية. وإذا كان يوجد سابقاً أي شك بالنسبة للتنسيق في الأعمال بين هذه القوى ومن فوق رؤوس كل الشعوب. فإن أحداث منتصف القرن العشرين بددت نهائياً كل تلك الشكوك.

ومن الواضح أن الدكتور «هرتزل» طرح طلباته الوقحة على الزعماء والملوك لشعوره بدعم مثل هذه القوة الدولية.

ولكن حتى ضمن أعضاء هذه المجموعة كان هناك وبلا شك من لم يؤمن بالصهيونية، ولكن حتى هؤلاء الناس كانوا يخشون الوقوف ضدها أو عدم تقديم الدعم لها وللسياسة التي وضعها وجهاء طائفة حكماء صهيون.

وبدأت رحلات «هرتزل» في الخفاء تعطي ثمارها وتابع رحلاته وجولاته وقد افتخر كثيراً هذا اليهودي الهنغاري الصغير بالعزة والشهرة المفاجئة التي هبطت عليه وتمتع كثيراً بمصاحبه كبار القوم في كل مكان في بدلة «سموكن» سوداء وقميص وقفازات بيضاء.

ولكن حكماء التلمود من مناطق روسيا النائية القذرة بجلابيبهم وطواقيهم السوداء احتقروا «هرتزل» ممثل «المساواة الغربية» ولكنهم استخدموه حتى النهاية وفي الوقت نفسه استعدوا للتخلص منه.

وفي عام /١٩٠٣/ حصل في حياة «هرتزل» أمر ذكرنا بما حدث مع «تسيفي» عام /١٦٦٦م/. فقد سافر «هرتزل» إلى روسيا واستقبل بحرارة وتصفيق من قبل أبناء عمومته البسطاء الذين اعتبروه تقريباً مبعوثاً من السماء.

وحاول هو إقناع الحكومة الروسية بالضغط على السلطان التركي لإقناعه بخطة «هرتزل» حول فلسطين. وقد خلق «هرتزل» بعض الانطباع لدى وزير الداخلية الروسي «بليفي» حيث أخبره بأنه يمثل كل اليهود الروس. وحتى لو كان «هرتزل» نفسه يصدق ذلك فإن خيبة الأمل أصابته سريعاً.

لقد قام بحركة مفاجئة تدل إما على أنه جريء إلى حد التهور وإما على أنه يجهل تماماً ما حدث حوله. فخلال حديثه مع بليفي طرح مرة أخرى أطروحاته المعهودة- إما الصهيونية وإما الثورة- ولإعطاء كلامه وزناً بالغاً دعا «هرتزل» اليهود الروس بالكف عن ممارسة النشاط الثوري. وناقش في الدوائر الحكومية الروسية مسألة مساواة اليهود. ولم يكن يعلم أنه بذلك كتب لنفسه ورقة بإعدام حاضره ومستقبله السياسي. وبعد فترة من الوقت مات هو نفسه.

لقد وقع الدكتور «هرتزل» في الهرطقة في عيون حكماء صهيون عندما تجاوز الحدود الممنوع عليه تجاوزها. كان عليه أن يعرف مدى مقاومتهم لأي محاولة لمساواة اليهود في روسيا لأنها كانت تعني بالدرجة الأولى فقدانهم لنفوذهم على العبرانية. بالإضافة إلى أن نجاح مباحثاته مع الحكومة الروسية كان سيأتي بالهدوء والوئام وهو أمر يقضي على كل أساطير اضطهاد اليهود في روسيا.

وعندما عاد ليشترك في المؤتمر السادس للمنظمة العالمية الصهيونية وقف القدر الرهيب في وجهه على شكل الكتلة الصلبة لليهود الروس ولم يعد ذلك فقط أمراً مهيناً كما كتب هو سابقاً. بل أصبح خطراً مميتاً. ولكن حتى في تلك اللحظة الحرجة أعتقد بأن في جيبه ورقة رابحة أخرجها وألقى بها على الطاولة عندما قال بأن الحكومة البريطانية وعدته بأرض كاملة في أفريقيا في أوغندا.

ولو أن أمراً ما حدث في وقت ما في التاريخ يشبه في غرابته الأمر الذي حدث مع «هرتزل» فلا شك بأنه سقط وفلت من انتباهنا. لقد أتضح أن ورقة «هرتزل» الرابحة لا تساوي شيئاً على الإطلاق.

لقد صوت /٢٩٥/ مندوباً مع العرض البريطاني ولكن صوت ضده /١٧٥/ مندوباً. وأتضح على الفور بأن «هرتزل» لا يمثل كل اليهود. وكانت الأغلبية الساحقة مع الواقفين ضد المشروع من اليهود الروس. ومع المئة وخمسة وسبعين صوتاً ألقيت على رأس «هرتزل» لعنات حاخامات روسيا البعيدة لأن أوغندا كانت ستصبح مقبرة لمخططاتهم. وتمدد المعارضون للقرار وبشكل استعراضي على أرض قاعة المؤتمر تماماً كما يجري في الجنازات أو عند هدم الهيكل.

واتهمت إحدى اليهوديات في المؤتمر الدكتور «هرتزل» بالخيانة. وبعد مغادرته القاعة مزقوا خارطة أوغندا إلى قطع صغيرة.

ولو صدقنا ما قاله «هرتزل» فإنه لم يفهم أبداً لماذا رفض مندوبو اليهود الروس أي مكان لتوطين اليهود غير فلسطين. ولو كان فعلاً صادقاً في أقواله فلا شك بأنه كان متميزاً بسذاجة مذهلة.

لقد بنى كل أعماله على ضرورة تأمين «وطن ملجأ» «لليهود المضطهدين» - وهم بالطبع يهود روسيا لأن يهود الدول الأخرى كانوا منذ زمن بعيد متساوين مع أهل البلد المضيف لهم.

وبما أن الأمر كذلك فكان يجب أن يسود الفرح يهود روسيا لظهور فرصة إقامة الوطن الملجأ حصل عليها الدكتور «هرتزل»، وأما من أراد البقاء في روسيا فقد حاول «هرتزل» بمباحثاته مع الروس تأمين وضع أفضل لهم.

ولكن حسب رأي حاخامات التلمود في روسيا فإن الأمر يختلف عن ذلك تماماً. لقد نشروا الأساطير حول اضطهاد اليهود الروس، ولم يسمحوا بأي تحرير أو مساواة على الواقع وكان كل ذلك ضرورياً لتنفيذ «الشريعة القديمة» التي طالبت باحتلال كل فلسطين مع كل ما ينتج عن ذلك من عواقب.

ويسرد «وايزمان» وقائع الإهانة الأخيرة لـ «هرتزل». فبعد التصويت أراد «هرتزل» التكلم مع يهود روسيا وقصد قاعة اجتماعهم «ولم يقف أحد لتحيته بل استقبلوه بصمت تام وعندما انتهى من كلامه لم يصفق أحد له. لقد كانت المرة الأولى عندما قابلت مجموعة صهاينة قائدها ومحبوبها بهذا الشكل».

وكانت بالفعل تلك المرة الأولى والأخيرة. فبعد أقل من سنة من ذلك مات «هرتزل» في سن /٤٤/ سنة ومن الصعب قول أي شيء عن موته، وتذكر الأدبيات العبرية ذلك الموت بسرعة مبهمة ومن دون تفاصيل. الموسوعة العبرانية كتبت بأنه قاسى في حياته كثيراً وأن ذلك كان سبب موته.

ولكننا أصبحنا نعرف أن كل من حرم أو طرد أو نبذ أو لعن- على مدى العصور- من قبل الجماعة المتسلطة على اليهود كان يموت بعد ذلك بسرعة، ويحدث ذلك في أغلب الأحيان في ظروف غامضة جداً. «في آخر القرن العشرين كان مقتل «إسحق رابين» مثالاً ساطعاً على ذلك- ملاحظة الترجمة-» ويدرك أي باحث في هذا المجال أنه يقف أمام أمور محيّرة غير مفهومة لا تخضع للبحث الاعتيادي، ومن المثير أن صديق «هرتزل» ويده اليمنى الكاتب الصهيوني الشهير «ماكس نوردوا» كان قد فهم ما يحدث في ذلك الحاضر وتوقع ما سيحدث في المستقبل.

وفي المؤتمر حيث أصاب الفشل والإهانة «هرتزل» اتخذ «ماكس نوردوا» «اسماً مستعاراً واسمه الحقيقي هو زيود فيلد» تنبأ مؤكداً الأحداث. «اسمحوا لي القول وأن أبين لكم بعدة كلمات درجات السلم التي سترفع قضيتنا إلى الأعلى: «هرتزل»، المؤتمر الصهيوني، العرض البريطاني بأوغندا، حرب عالمية مقبلة، بعدها مؤتمر سلام حيث سيتم بمساعدة الإنكليز إنشاء فلسطين عبرانية مستقلة». هذا الكلام جاء في عام /١٩٠٣/ ولا شك أبداً بأن المتكلم كان يعلم ما يقول. أجل لقد تحدث أحد «المنورين» وكان يعرف تماماً هدف وقوة «الآممية العبرانية».

و «ماكس» ذاته ساعد على نجاح سير الأحداث التي تنبأ بها. وقد نشر في التسعينيات من القرن التاسع عشر الكثير من الكتب حاز بعضها على شهرة كبيرة ومنها: «الانحطاط» «Degeneration» وفيها وصف الغرب المسيحي بالفساد المستمر والدائم.

ولكن «ماكس نوردوا» لم يصل باستنتاجاته إلى النهاية المنطقية وقد فعل ذلك بدلاً منه مندوب آخر إلى المؤتمر وهو الدكتور «نعوم سكلوف» الذي قال بأنه: «سيأتي يوم تصبح فيه أورشليم عاصمة العالم». واليوم في عام /١٩٥٦/ تبدو محاولة جعل أورشليم عاصمة للعالم واضحة جداً لدرجة أن الحكومات الغربية تخشى من استيلاء الدولة الصهيونية على المدينة بالقوة[1].

١- وهو ما حدث فعلاً في عام ١٩٦٧ -المترجم.

ولكن هل ستصبح أورشليم عاصمة العالم- فهو أمر مثير للشك [1].

وبعد موت «هرتزل» تزعم «وايزمان» الهجوم على العرض الإنكليزي بأوغندا واستطاع في المؤتمر السابع عام /١٩٠٥/ إلغاء الموافقة التي أعطاها المؤتمر السابق على العرض البريطاني. ومنذ تلك اللحظة بالذات أصبحت الصهيونية أداة في أيدي حاخامات روسيا التلموديين.

وقد بين عرض آوغندا والرفض المهين له من قبل الحاخامات، على عدم اهتمام الجماعة المتسلطة على اليهود باحتياجات هؤلاء اليهود وآمانيهم.

ومن يدرس القضية اليهودية بإمعان سيرى أن الجماعة الحاكمة لليهود ليس فقط لا يهمها أمال الجماهير اليهودية بل تقف هي ضد هذه الأماني والآمال. ويصبح ذلك واضحاً جداً عند تحليل عرض أوغندا وردّ الفعل عليه من قبل الفئات العبرانية الأساسية الثلاث: يهود الغرب ويهود روسيا بالإضافة إلى يهود فلسطين والذين لم يأت ذكرهم في جميع الأحداث الكبيرة في النقاشات الصاخبة التي ذكرناها سابقاً.

وكما بينت تحليلات الوقائع فإن جموع هؤلاء اليهود الحقيقيين في فلسطين أرادت وبلهفة الاستيطان في أوغندا ولهذا السبب بالذات حقد عليهم خزر روسيا المتهودين واتهموهم بالخيانة. ولنقرأ ما قالته عنهم في عام /١٩٤٥م/ المنظمة الصهيونية في تل أبيب: «كانت رؤية هؤلاء الناس تثير الأسى وتجلب العار... لقد كانوا في يوم من الأيام أول من بنى فلسطين العبرانية ولكنهم الآن أول من يتخلى عن ماضيه القديم الخاص به. لقد اتحدت لديهم الرغبة في أوغندا مع الكره القاتل لفلسطين.

وفي المراكز الاجتماعية في المستعمرات العبرانية الأولى كان الشباب خريجو مدارس «الاتحاد الإسرائيلي» «Allcance Israelite» يُعدون فلسطين بلد الأموات والقبور- بلد الملاريا وأمراض العيون التي تهلك سكانها. وهذا لم يكن رأي الأقلية... على العكس فقط القليل هنا وهناك ظلوا آوفياء... إن كل فلسطين في حالة هيجان. لقد جاء رفض أوغندا من الخارج.

آما في صهيون نفسه فقد كان كل شيء ضد صهيون». كل ما رغبت جماهير الناس- يهودية أو غير يهودية لم يعد له أي معنى بعد عام /١٩٠٣/ لم يعد رفض أو قبول آي عرض يلعب آي دور.

١- والآن وبعد ثلاثين عاماً من كتابة الكتاب وعشرين عاماً من احتلال أورشليم، لا توجد أي حاجة إلى أي تعليق على ما قاله الكاتب وباستطاعة القارئ أن يرى وعلى ضوء هذه الأمثلة كم كانت صحيحة استنتاجات (دوغلاس ريد).

وعرض أوغندا لليهود كان يعني بحد ذاته أن أوربة قد انزلقت في تلك المسألة التي كان محتوماً عليها في المستقبل التسبب بكارثة.

وكما ذكر «حاييم وايزمان» فإن الحكومة البريطانية بعملها المذكور أعلاه اعترفت بالتلموديين الروس كزعماء لكل اليهود. وبهذا ربطت مستقبل كل الأجيال الإنكليزية وبعد عشرات السنين ارتبط مستقبل الأمريكان كذلك.

وبهذه الواقعة في عام /١٩٠٣/ بدأت مآسي القرن العشرين ومنذ ذلك الحين أصبح تاريخ صهيون تاريخ ساسة الغرب والذين «تحت الضغط الخارق» خضعوا لطلبات الجماعة المتسلطة القوية. لقد كان عام /١٩٠٣/ عام انتصار المؤامرة العالمية وكان بالنسبة لأوربا عاماً قاتماً مثل عامي /١٩١٤ و١٩٣٩/ اللذين كانا أيضاً تحت شبح تلك المؤامرة.

الفصل السابع والعشرون

بـروتـوكـولات
حكمـاء صهيـون

بينما نضجت الصهيونية على مدى القرن التاسع عشر في مناطق أوربة النائية ومن ثم تحولت إلى قوة جديدة على الساحة الدولية في الفترة التي عرضت عليها الحكومة الإنكليزية أوغندا. جرى في تلك المناطق المذكورة التحضير للانفجار الثالث للثورة العالمية.

وسارت هاتان القوتان معاً إلى الأمام وساعدتا بعضهما بعضاً. ولقد أشرنا سابقاً كيف كانت الصهيونية تبتز الآخرين بالتهديد بالشيوعية وتجبر بذلك الحكومات الأوربية على تنفيذ مطالبها وأطماعها بأراض غير أوربية.

وكما أشار «ديزرائيلي» و «باكونين» أصبحت قيادة الثورة العالمية في منتصف القرن التاسع عشر في أيدي اليهود ومنذ ذلك الحين تغيرت الأهداف الاستراتيجية لها. وأبعد أنصار «باكونين» عند الثورة لرغبتهم بإلغاء الدولة ولافتراضهم بأن حكومة الثورة ستكون أكثر استبداداً من الحكومات السابقة لها. بعد ذلك ارتدت الثورة العالمية رداء البيان الشيوعي الماركسي وأصبح هدفها تأسيس دولة خارقة الاستبداد تقوم على مصادرة الحريات الإنسانية وعلى الاستغلال الفظيع للجهد والعمل الاستعبادي والمجاني تقريباً «توكفيل في عام /١٨٤٨/».

وأدى تبديل القيادة والأهداف في الثورة العالمية إلى تحديد مجرى سير الأحداث في القرن العشرين. ولكن الطرق التي كانت ستدمر النظام القائم لم تتغير. لقد بقيت كما وفي السابق طرق «واي سخاوبت» المكتشفة في وثائقه المصادرة عام /١٧٨٧م/.

وأشارت مصادر عديدة في القرن التاسع عشر إلى أن خطة «المنورين» بقيت وعلى مدى الأجيال القادمة وسيلة تعليمية توضيحية للثوار من جميع الاتجاهات والتيارات. وكشفت هذه المصادر خطة التدمير بطرق مختلفة ولكنها كانت جميعها متشابهة مع الخطة الأولى خطة «واي سخاوبت».

وقد ألقى «كريتينو جولي» «Cretineoy Joly» في عام /١٨٥٩/ اتهاماً ثقيلاً على اليهود بتزعم المنظمات السرية ونشر في كتابه وثائق المنظمة السرية الإيطالية المدعوة «Haute Vente Romaine» وقدمها للبابا «غيورغي السادس عشر» في الفاتيكان. وكان زعيم هذه المنظمة أمير إيطالي وهو أحد أقرب المقربين لـ «واي سخاوبت» وكانت الدائرة الخارجية للأعضاء البسطاء على ثقة تامة بأن أهداف المنظمة هي نبيلة وعالية، وأن الأخوية هي أخوية من يطمح إلى الأخلاق الحميدة النقية ويصبو إلى الفضيلة وإلى وحدة واستقلال إيطاليا. ولكن مع صعود الأعضاء إلى درجات أعلى في الأخوية كانوا يتعرفون على أهدافها الحقيقية شيئاً فشيئاً. وكان عليهم عند ذلك تقديم القسم على تدمير كل الأديان والحكومات الشرعية ومن ثم يجري تدريبهم على فنون القتل والاغتيال والتسمم وشهادة الزور وكل ما ذكر كشف عنه سابقاً في وثائق «واي سخاوبت».

وفي عام /١٨٦٢/ أسس «كارل ماركس» أول أممية له وبرنامجها سماه «بالبيان الشيوعي» وتدل نظرة واحدة إليه على أن مصدره يعود إلى «المنورين».

وفي تلك الفترة أسس «باكونين» «الاتجاه الدولي للديمقراطية الاشتراكية» وقد أشارت المؤرخة «نيستا ويبستر» بعد استعراضها لمقاطع من برنامج منظمة «باكونين» بأنها حركة «منورين» خالصة.

وفي عام /١٨٦٤م/ نشر الصحفي الفرنسي المعارض «موريس جولي» «Mourice Joly» أهجوة ضد «نابليون» الثالث الماسوني حيث اتهمه باستعمال مثل هذه الأساليب لهدم النظام الاجتماعي في فرنسا «الأهجوة كتبت على شكل مجازي» وفي عام /١٨٦٨/ تعرض الكاتب الألماني «غيدشي» «Gaedsche» لهذا الموضوع وهاجم بقوة في كتاباته القيادة العبرانية للثورة. وفي عام /١٨٦٩/ قام الواقعي الفرنسي «غوجينو موسو» «Gougeot Des Mousseau» بنفس العمل.

وفي نفس السنة نشر «باكونين» كتابه «نقاش ضد اليهود» والأعمال المذكورة كلها تكشف أو تفضح بشكل أو بأخر توارث الفكرة السياسية التي فضحت في وثائق «واي سخاوبت» وهي تدمير السلطة الشرعية والأديان والقوميات وتوطيد الاستبداد العالمي لقيادة الشعوب المستعبدة بواسطة الإرهاب والقسر وقد اتهمت بعض الأعمال المذكورة أعلاه اليهود بشكل مباشر على قيادة الثورة العالمية.

وبعد ذلك وخلال فترة طويلة لم تصدر أي مواد أو دراسات عن وثائق «واي سخاوبت». وفقط في عام /١٩٠٥/ صدر كتاب للبرفسور الروسي «سيرغي نيلوس» «وهو موظف في قسم الأديان في السينود المقدس الروسي». وتوجد نسخه عن بعض الفصول من الكتاب في المتحف البريطاني مؤرخة

في آب «أغسطس» /١٩٠٦م/ ولا شك بأن معلومات مفصلة عن المؤلف وعمله تثير الاهتمام الكبير. ولكن كتاب «نيلوس» لم يترجم إلى لغات أخرى ولذلك كان البحث في الكتاب صعباً جداً.

وفقط تمت ترجمة فصل واحد إلى الإنكليزية عام /١٩٢٠/ وعند ذلك أثار الكتاب ضجة كبيرة وقد نشر هذا الفصل في أمريكا وإنكلترا تحت عنوان «بروتوكولات الوجهاء العلماء لصهيون». «The Protocols Of The Lornd Elaers Of Zion» ولم يتمكن مؤلف هذا الكتاب من التأكد هل هذا هو العنوان الأصلي للكتاب أم لا أم أنه ظهر مع الترجمة[1].

وكذلك لا يوجد أي برهان على أن كتاب «نيلوس» هو بالفعل «بروتوكولات» الاجتماعات السرية لوجهاء اليهود. وبالتالي الكتاب من وجهة النظر هذه عديم القيمة.

ولكن من وجهات النظر الأخرى يملك الكتاب قيمة فريدة ويرى المؤرخ المتمرس مباشرة بأن الكتاب هو عبارة عن وثائق أصلية للمؤامرة الدولية المكتشفة أول مرة في وثائق «واي سخاويت». وقد جاءت بعد ذلك وثائق وبراهين عديدة.

ولكن العمل المذكور أعلاه يتفوق عليها لكونه شاملاً يعطي تصورا كاملاً عن المؤامرة والدوافع إليها والأهداف التي تصبو إلى تحقيقها.

وعلى الرغم من أنها لا تضيف الكثير إلى ما كان معروفاً سابقاً فإنها تضع كل شيء في مكانه وتبين الصورة الكاملة.

ويروي الكتاب ما الذي حدث بالضبط خلال فترة نصف قرن التي تلت نشر الكتاب وما سيحدث في النصف القرن القادم «وهي فترة تقترب من نهايتها وقد حدث فيها الكثير مما جاء في «البروتوكولات» - ملاحظة الترجمة» وفقط إذا لم تسبب المؤامرة رد فعل عليها يمنع من

١ـ الطبعة الروسية /١٩٠٥/ كانت بعنوان (العظمة في الصغر وبالقرب من عدو المسيح القادم). وفي عام /١٩١٧/ في كانون الثاني (يناير) ظهرت الطبعة الرابعة تحت عنوان (عن ما لا يرغبوا في تصديقه على الرغم من قربه الشديد) ومن هذه الطبعة بعنوانها التنبؤي لم يبق منها إلا عدة نسخ أما الباقي فقد دمر خلال فترة الحكومة المؤقتة ومن قبل أناس مجهولين. أما النسخ الباقية فهي نادرة ويصعب الحصول عليها. ولكن (دوغلاس ريد) (مثله مثل الكثير من مترجمي ونقاد (البرونوكولات)) يخطئ عندما يعد أن عام /١٩٠٥/ هو عام ظهور كتاب سيرغي نيلوس. واما فيما يخص النسخة في المتحف البريطاني المذكورة اعلاه فقد كُتب على الصفحة الخارجية (ملاحظات أرثوذكسي الطبعة الثانية، إضافات وتعديلات، تسار سكوية سيلوة/١٩٠٥/) اما الطبعة الأولى فظهرت عام /١٩٠٢/ وذكر البروفسور نيلوس بأن النص الأصلي للبروتوكولات باللغة الفرنسية حصل هو عليها عام /١٩٠١/ وهذا الأمر مهم لأن ذكر تاريخ /١٩٠٥/ قد يسرح بالقارئ إلى أحداث ثورة /١٩٠٥/ ويتصور بالتالي الأمر وكأنه صدى لها. بينما في عام /١٩٠١/ لم يكن احد يتصور بما سيحدث عام /١٩٠٥/ في روسيا.

حدوث ذلك. ويحتوي الكتاب على معارف قيمة جداً «خصوصاً نقاط ضعف الطبيعة الإنسانية». ومصدر هذه المعارف يمكن أن يكون فقط تجارب ودراسات كدست على مدى قرون طويلة. وهذه المعارف مكتوبة بغطرسة متكبرة وكأن من كتبها مخلوقات تجلس بكبرياء على قمة الحكمة القديمة وتنظر باحتقار تام إلى قطعان الناس التي تسرح بعيداً في الأسفل. («رعاع»، «حيوانات ثملة»، «وحوش متعطشة للدماء») وهي تحاول الإفلات من ملاقط أمسكت بها بإحكام وهذه الملاقط هي سلطة الذهب من جهة والقوة الفظة للجماهير الهائجة والمهاجمة لمن بإمكانه حمايتها والدفاع عنها «أي الطبقات المسيحية العليا في أوربة» من جهة أخرى.

وجاءت فكرة الدمار والخراب على شكل نظرية علمية لعمل دقيق تقريباً. ولدى قراءة «البروتوكولات» تذكر مؤلف هذا الكتاب دائماً «ديزرائيلي» الذي استند إلى أقواله مرات عديدة فيما سبق. لقد انتقى «ديزرائيلي» العبارات بدقة عندما تحدث عن «مبدأ التخريب والدمار» «لم يذكر كلمة فكرة، أو مفهوماً أو خطة أو مؤامرة...» وتدفع «البروتوكولات» نظرية التخريب إلى درجة الحقائق الأساسية، القانون الأساسي، وقواعد السلوك الأساسية.

«هكذا تحدد المعاجم مفهوم المبدأ» وفي الكثير من «مقاطع» «البروتوكولات» يجري تصوير الدمار والتخريب على أنه أمر في حد ذاته إيجابي. وتبرر بذلك كل الطرق الخادمة لهذا الدمار «الشهوة والفسق والابتزاز والدعارة والتخريب والتفرقة والشقاق والتحريض والخصام والإرهاب والقسوة» وقد أعطيت كل هذه الأمور طابعاً إيجابياً. ولكن عند دراسة النص باهتمام يتبين أن الأمر ليس كذلك.

في واقع الأمر التعليل والتبرير يبدأ من الهدف النهائي- السيادة العالمية ومن ثم يعود إلى الوراء إلى الطرق التي تعرض لأفضل وصول إليها. والأهداف مطابقة لتلك التي كشفت أول مرة في وثائق «واي سخاوبت». ولا يوجد أي شك بأن تلك الأهداف كلها تعود إلى مصدر أكثر قدماً بكثير. «على الرغم من أن «البروتوكولات» هي بالنسبة لأوراق «واي سخاوبت» مثل الحفيد والجد».

والهدف النهائي لكل هذه الأهداف هو تدمير الأديان كلها والأمم وخلق دولة عظمى خارقة تدير العالم بواسطة الإرهاب الذي لا رحمة فيه.

ومع ظهور «البروتوكولات» باللغة الإنكليزية بدأ هجوم حاد يهودي عليها وعلى الوثائق وتم التركيز على المؤلف على الرغم من أن الأمر هذا لا يملك أي أهمية. وعلى الرغم من الإشارة إلى قيادة اليهود للثورة العالمية لم يكن أمراً جديداً. وكما شاهد القارئ فلقد أشار إلى ذلك ومنذ زمن بعيد كل من «ديزرائيلي» و «باكونين» وآخرين غيرهم.

وفي هذه الحالة بالذات فإن الإشارة إلى اجتماع قادة المؤامرات اليهود لم يرافقه عرض أي وثائق ولذلك كان يمكن إبقاؤه من دون اهتمام.

فمثلاً في عام /١٩١٣/ نشرت اتهامات مشابهة لليسوعين في التحضير لمؤامرة دولية تذكر بـ «البروتوكولات» وبوثائق «واي سخاوبت» «من الواضح أنها طرحت بهدف التضليل». وأجابت الأخوية اليسوعية على ذلك ببيان هادئ أوضح عدم صحتها ومعه انتهت الضجة على الفور.

ولكن ردة فعل العبرانية في عام /١٩٢٠/ كانت مغايرة تماماً ولحق ذلك نفي شديد لكل ما جاء في «البروتوكولات» وتم نفي ليس فقط المؤامرة اليهودية بل أي مؤامرة كانت على الرغم من أن ذلك لم يكن صحيحاً. فوجود مؤامرة ضد المجتمع والنظام الأوربي المسيحي هو أمر واضح وقد أكد ذلك الكثير من الوثائق والشعارات بدءاً من «ادموند بريك» و «جورج واشنطن» وحتى «ألكسندر هاملتون» و «ديزرائيلي» و «باكونين» وغيرهم.

بالإضافة إلى أنه عند ظهور ترجمة «البروتوكولات» كانت الثورة الروسية قد أثبتت صحة هذه المؤامرة على أرض الواقع وفي واقع، الأمر كانت الاحتجاجات اليهودية عبارة عن تكرار لتلك الاحتجاجات التي اسكتت أصوات «روبيسون» و «بارويل» و «مورس» الذين طالبوا في حينهم بالتحقيق في نشاط المنظمات السرية. وهؤلاء الثلاثة لم يتطرقوا أبداً إلى موضوع قيادة اليهود للمؤامرة، وعلى الرغم من ذلك فقد تجنوا عليهم وفقط لأنهم لفتوا انتباه الرأي العام إلى الطابع المستمر لهذه الثورة على مدى السنين وإلى أن الثورة الفرنسية كانت فقط الانفجار الأول.

والهجوم على «البروتوكولات» في العشرينيات من القرن العشرين يبين قبل كل شيء صحة ما ذكرته هذه «البروتوكولات» وأوضح وجود آله قمع لكل محاولة نقاش علني لموضوع المؤامرة وأن هذه الآلة قد تطورت وقويت على مدى الـ /١٢٠/ سنة الماضية ولم يذكر التاريخ أبداً أموالاً وجهوداً بهذه الكمية صرفت لسحق وثيقة ما مثل التي صرفت لسحق هذه الوثيقة.

وقد تعرف الرأي العام الإنكليزي على «البرتوكولات» بواسطة أحد المراسلين الإنكليز المشهورين في روسيا، حيث عمل المذكور مراسلاً لجريدة «مورنينغ بوست» وهو «فيكتور مارسدين» وكان خبيراً بأمور روسيا وقد هز الإرهاب البلشفي أعماقه ولا يوجد أي شك بأنه أصبح ضحية لمؤامرة حدثت بعد انتهائه من ترجمة «البروتوكولات» إلى الإنكليزية. وقد أثار صدور الترجمة الإنكليزية ضجة واهتماماً كبيراً في أنحاء العالم كلها.

في تلك الأعوام «١٩٢٠ وما تلاه» حلت نهاية الزمن الذي كانت المسالة اليهودية تناقش بحرية ومن دون قيد، فيما مضى كان النقاش حاداً ولكنه حراً. ولكن الطرف اليهودي تمكن من إعطاء هذه المسألة طابع «إهانة عظمة الأمة». وحتى في أيامنا هذه لا يتجرأ أي

سياسي أو رجل مجتمع معتبر أو أي دار نشر بالتذكير بـ «البروتوكولات» وفي حال الإشارة إليها كان يشار إليها «كتزييف مهين».

وكانت ردة الفعل الأولى للرأي العام اعتيادية واعتبرت «البروتوكولات» دليلاً مهماً على وجود مؤامرة عالمية ضد الدين والقومية والسلطة الشرعية والملكية بخاصة واتفق الجميع على أنه ليس من المؤكد تأليف اليهود لها.

ولكن محتوياتها شديدة الجدية ومقنعة وأكدتها الوقائع التاريخية بعد ظهور الطبعة الأولى لها «الطبعة الروسية» لذلك من الضروري جداً قيام تحقيق وبحث دقيق في هذا الموضوع. وكما ذكرنا سابقاً قبل ذلك بـ /١٢٠/ سنة جرت المطالبة بالتحقيق. وهوجم ذلك الطلب في حينه والآن هدف الهجوم أصبح أيضاً المطالبة بالتحقيق وليس فقط الإشارة إلى نشاط «حكماء صهيون».

في /٨/ حزيران /١٩٢٠/ نشرت التايمز اللندنية مقالة كبيرة قالت فيها: «التحقيق الحر العادل وغير المتحيز لما يدعى بالوثائق ومصدرها هو أمر مرغوب فيه للغاية... هل يمكن ترك هذه القصة بلا بحث وتحقيق دقيق ونهمل التأثير الذي تركه هذا الكتاب؟»..

ونشرت جريدة «مورنينغ بوست» ثلاثاً وعشرين مقالة حول هذا الموضوع تطالب بالتحقيق. وقد طالب بذلك أيضاً اللورد «سايدنهايم» «Sydenhom» وهو سياسي إنكليزي مرموق في ذلك الوقت وجاء ذلك في مقالة كتبها على صفحات جريدة سبيكيتور»: «الأمر الأهم هو معرفة المصدر الذي حصل منه «نيلوس» على «البروتوكولات». فلا شك بأن البلاشفة لم يتمكنوا من قتل كل معارف نيلوس وكل من كان على اطلاع على عمله المذكور. إن كتابه لم يترجم كلياً على الرغم من أن ذلك كان يمكن أن يخبرنا عن أي معلومات عنه...

ولكن ما هو السؤال الذي يحيّر القارئ ويشغله أكثر من غيره؟ الجواب يقول- إنها المعرفة النادرة الفريدة الشاملة لمجالات واسعة. ولحل هذا اللغز علينا إن نعرف من أين أتت هذه المعارف الخفية التي تدخل في صلب التنبؤات والتي تتحقق الآن حرفياً».

«هنري فورد» لم يكن فقط مصمم سيارات ورجل صناعة شهير في أمريكا ولكنه كان أيضاً كاتباً اجتماعياً. وقد كتب يقول: «تتطابق هذه «البروتوكولات» تماماً مع كل ما حدث في العالم حتى هذا الوقت وهي تتطابق مع كل ما يحدث الآن» وقد نشر في جريدة Dearbon Independent مجموعة مقالات جُمعت فيما بعد في كتاب بيع منه نصف مليون نسخة.

ولكن فيما بعد حدثت أمور كثيرة مثيرة للغاية. فقد أعتبر صاحب التايمز عاجزاً عقلياً وأبعد بالقوة عن رئاسة التحرير، والغريب في الأمر أن القرار الطبي حول مرضه صدر في بلد

آخر أجنبي وظل اسم الطبيب مجهولاً «سنستعرض الأمر لاحقاً». بعد ذلك ظهرت على صفحات التايمز مقالة أعلنت أن «البروتوكولات» المذكورة هي عبارة عن انتحال وسرقة أدبية لأهجوة لـ «موريس جولي» «جاء ذكرها فيما سبق» وأنها فاشلة لا تستحق أي اهتمام من القراء.

وتعرض صاحب جريدة «مورنينغ بوست» إلى هجوم شديد أجبره على بيع جريدته، وبعد ذلك اختفت من الوجود، وأما «هنري فورد» فقد قدم اعتذاراً علنياً إلى أحد اليهود المعروفين في أمريكا في عام /١٩٢٧م/.

وقد علم مؤلف هذا الكتاب من مصادر موثوقة بأن «فورد» اضطر إلى ذلك بعد أن هددته البنوك وشركات التمويل ودور بيع السيارات بمقاطعة أحد الموديلات الجديدة لشركته.

ولم تهدأ الحملة ضد «البروتوكولات» حتى الآن. وأتلفت جميع نسخ الكتاب المتوفرة في روسيا بعد الثورة مباشرة وأصبحت حيازة الكتاب جريمة يعاقب عليها القانون «كمعاداة للسامية» وبعد خمسة وعشرين عاماً من ذلك سارت على هذا المنوال السلطات الأمريكية والإنكليزية المحتلة لألمانيا وأجبرت حكومة ألمانيا الغربية على اتخاذ عدة قوانين ضد «معاداة السامية».

وفي عام /١٩٥٥/ صودرت دار نشر تجرأ صاحبها على إعادة طبع «البروتوكولات». ومنعت السلطات الإنكليزية بشكل مؤقت نشر هذا الكتاب. وأما في سويسرا وفي فترة ما بين الحربين رفع اليهود هناك قضية على الكتاب بتهمة أنه «منشورات مبتذلة» وربحوا القضية ولكن المحكمة العليا ألغت قرار المنع.

مختصر القول إن الوضع المتوتر الذي خلقه الكتاب لا يزال مستمراً حتى اليوم. وهو أمر تنبأت به «البروتوكولات» نفسها في عام /١٩٠٥/ / «عام /١٩٠٢/- ملاحظة الترجمة-»: «ويمكننا عبر وسائل النشر تأمين الضغط اللازم وفي الوقت نفسه نبقى في الخفاء... إن شرط النجاح الأساسي في المجال السياسي هو السرية. ولا يجوز أن تتطابق كلمات الدبلوماسي مع أفعاله وعلينا إجبار الحكومات على العمل وفق خطتنا العريضة الواسعة والتي اقتربت من نهايتها المطلوبة.

وبواسطة ما نطرحه على أنه رأي عام والذي نخلقه نحن بالسر والخفاء وبواسطة القوة العظمى وهي وسائل الإعلام والتي أصبحت في أيدينا كلياً وباستثناء بعض الاستثناءات التي لا تستحق الذكر... علينا أن نعمل مع وسائل الإعلام على الشكل التالي- علينا أن نسرجها «نخضعها» ونشد الرسن والعنان بقوة، ونفس الأمر نقوم به مع المطبوعات الأخرى وإلا

ما الفائدة من مقاومة هجوم وسائل الإعلام إذا بقينا هدفاً للمنشورات والكتب؟... ولا يجوز أبداً أن يفلت من العقاب كل من يتجرأ على لمس هالة نزاهتنا وعصمتنا عن الخطأ. والحجة في منع أي منشورات هو أنها تثير وتهيج العقول من دون أي مبرر أو أساس...

نحن سننتصر دائماً على أعدائنا وخصومنا لأنهم لن يملكوا وسائل نشر وبالتالي لن يستطيعوا عرض أفكارهم بالكامل». «هنا يدور الحديث عن «الدولة الخارقة المستقبلية» بزعامة اليهود ولكنه يمس أيضاً وسائل التأثير في المرحلة الانتقالية- ملاحظة الترجمة-» هذه هي قصة «البروتوكولات» حتى الوقت الحالي والتي لم يثبت أحد حتى الآن أنها من تأليف اليهود وهو أمر يمكن الاعتراض عليه والتجادل فيه. ولكن ذلك لا يلغي كل الشهادات التي تشير إلى قيادة اليهود للثورة العالمية.

هدف الحملة اليهودية ضد «البروتوكولات» ليس أبداً تبرئه الذمة العبرانية. بل منع نشرها تحت ذريعة أن هذا الكتاب «يثير ويهيج العقول من دون مبرر أو أساس لذلك». ولكن الحجج المقدمة كانت كلها مزيفة وكاذبة وتدور كلها حول أن «البروتوكولات» تُذكّر إلى حد ما بما نشر من قبل. لذلك فهي «انتحال وسرقة أدبية» أو أنها «زائفة». ولكن في الواقع ذلك فقط يبين بأنها عبارة عن مقاطع وتتمات لأدبيات واسعة عن المؤامرة.

وهي يمكن أن تكون نتاج الثوار غير اليهود أو حتى المعادين لليهود وهو أمر ثانوي غير مهم. المهم آن «البرتوكولات» تؤكد أن المنظمة التي فضحتها وثائق «واي سخاوبت» هي وعلى مدى /١٢٠/ سنة حية ترزق وأنها لا تزال تستخدم نفس الوسائل وتصبو إلى نفس الأهداف تماما كما في لحظة تأسيسها. وتجدر الإشارة إلى «البروتوكولات» عندما ظهرت في الترجمة الإنكليزية كانت الثورة الروسية قد أكدت على آرض الواقع كل ما جاء فيها.

ويُعد مؤلف الكتاب بأن «البرتوكولات» هي كراسة ووسيلة تعليمية مهمة لكل من يدرس عصرنا الحاضر وكذلك الموضوع المطروح في هذا الكتاب. وإذا كان اللورد «سايدنهايم» في عام /١٩٢١/ قد ذهل من مستوى «المعرفة الخفية» الموجودة فيها والتي قامت عليها النبوءات التي تتحقق الآن حرفيا ، فكم كان سيكون ذهوله أكبر في عصرنا الحاضر عندما أخذت هذه النبوءات تتحقق أكثر فأكثر وبشكل حرفي. وكل من يقرأ «البروتوكولات» يتعرف فورا على سبب الهزات التي حصلت في آخر /١٥٠/ سنة وسيفهم مقدما كيف سيكون التباين بين كلمات وأفعال من سينتخب ديموقراطيا.

واستطاع مؤلف الكتاب وبتجربته الخاصة أن يمر عبر الرقابة على وسائل الإعلام تماما كما ذكرت «البرتوكولات» ذلك: «لا يجوز لأي خبر أن يصل إلى القراء إلا بعد أن يمر عبر

رقابتنا. الآن وصلنا إلى هذا الأمر لأن جميع الأنباء أصبحت محصورة في قلة من وكالات الأنباء والتي تجمع هذه الأنباء من مختلف أطراف الأرض وهذه الوكالات تصبح فيما بعد ملكاً لنا وعند ذلك ستقوم بعرض ما نراه مناسباً فقط». ونحن نلاحظ من طرفنا بأن وسائل الإعلام في ذلك الوقت كانت لا تزال بعيدة عن الوضع التي هي عليه الآن ولم تكن في حالة الخضوع الحالية. لا في عام نشر «البروتوكولات» أول مرة ولا في أيام اللورد «سايدنهايم» ولا حتى في عام /١٩٢٦م/ عندما بدأ مؤلف هذا الكتاب عمله كصحفي وكان الوضع أخذ يتطور نحو الأسوأ حتى وصل إلى حاله الحالي وأصبح واقعة منتهية. وبالفعل فإن الأنباء التي تُحقن في عقول الناس تأتي من وكالات قليلة معدودة. واليد التي تراقب الوكالات تراقب الأخبار أيضا. وباستطاعة القارئ بسهولة أن يلاحظ بنفسه الشكل المفلتر التي تصل فيه هذه الأنباء إليه.

ولدى مقارنة «البروتوكولات» مع وثائق «واي سخاويت» نصل إلى استنتاج بأن هذه وتلك تعود إلى مصدر واحد أكثر قدما وحتما مؤلفها لم يكن شخصا أو أشخاصاً من ذلك الزمن الذي ظهرت فيه. ولا شك بأن «المعارف الخفية» الموجودة فيها قد تراكمت على مدى العصور.

وهذا الأمر بالذات يخص معرفة نقاط الضعف في الإنسان المذكورة بدقة تحليلية ويشار إلى طرق استخدام واستغلال كل واحدة من هذه النقاط باحتقار وشماتة.

والأداة التي ستحطم الدول المسيحية ودينها هي «الجموع» أو «الرعاع» وتستخدم هذه الكلمة باستمرار مع احتقار واضح للإشارة إلى الجماهير (التي تدعى علنا بكلمة «شعب»). «الناس ذوو الفطرة السيئة أكثر بكثير من الناس الطيبين لذلك يمكن الوصول إلى أفضل النتائج في قيادتها عن طريق التخويف والقسر... قوة الرعاع عمياء وجاهلة وهي على استعداد دائم للخضوع لتأثير من أي طرف».

ومن هنا الاستنتاج بأنه من الضروري لقيادة «الرعاع» وعلى غرار «المتوحشين»، يجب استخدام استبداد مطلق. وأن «دولتنا» ستستخدم «الإرهاب الذي سيأتي بالخضوع الأعمى». ومن الواضح آن هذه الكلمات لقيت في روسيا الشيوعية تطبيقا كاملا. وهذا الاستبداد المطلق هو الذي سيميز الدولة الأممية الخارقة والتي هي الهدف النهائي للبرنامج.

وفي المرحلة الانتقالية وقبل الوصول إلى الهدف النهائي فإن الأداة المهمة الضرورية لتدمير النظام في الدولة وكذلك كأن الحواجز الشرعية هي الدمية والألعوبة المحلية - الديكتاتور: ويتحمل الشعب من الديكتاتور الحديث الشرور الكثيرة في حين بسبب خطايا أقل منها بكثير كان هذا الشعب سيقطع رؤوس عشرين ملكا. ما هو تفسير ذلك؟....

التفسير هو أن الديكتاتور وعبر عملائه يهمس للشعب بأن كل ما يحدث فقط يجري للوصول إلى الهدف الأعلى وهو تأمين الرخاء للشعب وتعميم الأخوة العالمية والتضامن والمساواة. وبالطبع لا يعلم هذا الشعب بأن هذه الوحدة ستحصل تحت رقابتنا وقيادتنا».

ونود لفت الانتباه إلى هذا المقطع. ففي عام /١٩٠٥/ كانت عبارة» حاكم - ديكتاتور» مجهولة لأغلبية الناس وكانت شعوب الغرب تؤمن بأن الحكومات المنتخبة هناك فعلا تُراعي رغباتهم وتسير وفق إرادتهم وتنفذ طلباتهم. وأصبحت العبارة المذكورة أعلاه معروفة خلال الحرب العالمية الأولى والثانية عندما تحول رؤساء أمريكا وزعماء بريطانيا إلى حكام - ديكتاتوريين وحصلوا على صلاحيات استثنائية تحت ذريعة «خير الشعب وصالحه» ومن أجل «الأخوة الأممية» و «المساواة العامة»... الخ...

أضف إلى ذلك أن هؤلاء الحكام أعلنوا لشعوبهم بأن الهدف النهائي للحربين هو «الاتحاد» تحت مظلة حكومة عالمية ولم يقدم أحد أي جواب على السؤال: من سيقود هذه الحكومة الموحدة؟ ولكن بما أن الكثير من البرتوكولات وجدت طريقها نحو التطبيق فعلينا أخذ أقوالهم عن الحكومة الأممية التي ستحكم العالم بواسطة القسر والإرهاب مأخذ الجد.

وأكثر ما يثير الاستغراب هو أن الحربين العالميتين لم تأتيا بأي نتيجة للشعوب التي خرجت منها منتصرة.

وتشير المعطيات إلى أن «المعارف الخفية» ذاتها نفخت الروح في مقولة أخرى من «البروتوكولات» عام /١٩٠٥/ أو حتى قبل ذلك بكثير: «وبدءاً من هذا التاريخ «الثورة الفرنسية» قمنا بدفع الشعوب من خيبة أمل إلى خيبة أمل أخرى». ثم تضيف قائلة: «وبعد أعمالنا تلك ضعفت كل الدول واستنفدت قواها وأصبحت ترغب في السكون والهدوء ومستعدة لأجل السلام أن تضحي بأي شيء. ولكننا لن نعطيهم السلام إلا إذا اعترفوا علنا وبخنوع بحكومتنا الأممية الخارقة». هذه الكلمات التي كُتبت قبل عام /١٩٠٥/ تبين بوضوح سير الأحداث في القرن العشرين بكامله.

وتتابع تقول: «ومن الضروري لنا وخدمة لأهدافنا أن لا تعطي الحروب أي مكاسب على الأرض». وهذه العبارة غير المفهومة تماما عام /١٩٠٥/ أو قبله أصبحت الشعار الأساسي بل وحتى المبدأ الأخلاقي المعلن للقادة السياسيين في أمريكا وإنكلترا في الحربين العالميتين.[1]

١- ليس فقط الأمريكان والإنكليز. لنتذكر شعار الاشتراكيين الأوربيين حول (السلام من دون قضم أو ضم أراضي الغير)- المترجم

وأوضحت الحرب الفرق بين أقوال وأفعال هؤلاء السياسيين، وظهر على مسرح الأحداث بعد الحرب العالمية الأولى قوتان جديدتان - الصهيونية الثورية والشيوعية الثورية. وحصلت الأولى على وعد بوطن على أرض الغير وأما الثانية فقد حصلت على دولة كبيرة كقاعدة لأعمالها. وأما النتيجة الأساسية للحرب الثانية فكانت استمرار هاتين القوتين بقضم الأراضي. فقد حصلت الصهيونية على دولة كقاعدة لاستمرار نشاطها وأما الشيوعية فقد ابتلعت نصف أوربة. وواضح للعيان وبدقة قاتلة كيف حدث كل ما جاء في «البروتوكولات».

وأما العبارة المشار إليها أعلاه فأصبحت العبارة الدارجة لزعماء أمريكا وإنكلترا في فترة /١٩١٤-١٩١٨/ و /١٩٣٩-١٩٤٥م/. وأما السبب الذي دفع مؤلفي «البروتوكولات» إلى اعتبار هذا الشعار على ذلك القدر من الأهمية فيشرحه أيضا نص من هذه «البروتوكولات».

يقول النص بأنه إذا لم تحصل الشعوب المنزلقة في الحرب على أي مكاسب أو أراضي الغير فإن المنتصر الوحيد سيكون «عملاءنا الأمميين... وستبني الحقوق والقوانين الدولية التي وضعناها قوانيناً وطنية محلية بكل ما في هذه الكلمة من معنى. وستقود الشعوب كما تقود الحقوق المدنية داخل الدول علاقات المواطنين هناك مع بعضهم بعضاً».

وللوصول إلى ذلك من الضروري وجود سياسيين مطيعين خانعين والذين تصفهم البرتوكولات: «وأما الإداريون الذين نختارهم انطلاقا من العلاقة بين قدرتهم على العمل مع خنوعهم المطلق وهم لن يكونوا ممن تعلموا فن الإدارة، ولذلك يتحولون بسهولة إلى ألعوبة في أيدي المستشارين الأذكياء المقتدرين الذين سنقوم نحن بتدريبهم وتربيتهم منذ طفولتهم لكي يديروا أمور العالم كله».

ونترك القارئ ليقرر بنفسه إلى أي حد تتطابق هذه الأقوال مع وضع «الإدارات» الديموقراطية لدول الغرب في عصرنا الحديث. وحسب رأينا فإن «الدقة القاتلة» هي في الإشارة إلى دور المستشارين وهنا نصطدم نحن مرة أخرى مع «المعارف الخفية» التي اكتشفت في بداية القرن العشرين.

إن شخصية المستشار تملك نفوذاً واسعاً على الرغم من أن أحداً لم ينتخبها. وهي في عام /١٩٠٥/ لم تكن معروفة للجمهور على الرغم من أن العارفين القلة مثل «ديزرائيلي» كانوا على علم بأن «العالم يحكمه ليس أولئك الذين يُعدهم الناس حكاما. الناس الذين لا يدرون بما يدور وراء الكواليس». ولكن بالنسبة للجمهور العريض عام /١٩٠٥/ بقيت هذه العبارة «البروتوكولات» غير مفهومة.

وفي الحرب العالمية الأولى أصبح المستشارون معروفين من قبل الجمهور الواسع ومن قبل الرأي العام «شخصيات مهمة على الرغم من أن أحدا لم ينتخبها». وقد مارس المستشارون أعمالهم بعلنية تامة على أساس الصلاحيات الاستثنائية الممنوحة لهم.

ولم يعر الرأي العام آي اهتمام لظهور هؤلاء المستشارين وأتضح آن احتقار «البروتوكولات» «للعامة» و «للرعاع» كان في محله وبرره خضوع «الجمهور» الأعمى للإدارة من وراء الكواليس.

وتجدر الإشارة إلى أن «المستشارين في الأمور اليهودية» في البيت الأبيض أصبحوا مندوبين مقيمين دائمين ووكلاء سياسيين في قيادات القوات الأمريكية المحتلة لأوربة.

ويوجد رأسمالي معروف شغل منصب المستشار للعديد من الرؤساء الأمريكيين لدرجة أن الصحافة هناك أطلقت عليه اسم «رجل الدولة العتيق» «Elder State Man» وكان الزعماء السياسيون الإنكليز ورؤساء الحكومات هناك عند حضورهم إلى الولايات المتحدة يزورونه على الفور وكأنه هو حامل السلطة العليا»[1].

ونود أن نشير إلى أن «البروتوكولات» سردت كيفية عمل «نظام عمل» هؤلاء المستشارين في وقت لم يكن أحد يفهم عن ماذا يدور الحديث حيث لم يكن يوجد في ذلك الوقت آي مستشارين ولم يكن أحد يعلم متى سيظهرون في مجالات الدولة وعلى أعلى المستويات.

١- المؤلف يقصد هنا (برنارد باروخا) /١٨٧٠-١٩٦٥/ وهو ابن طبيب اشترك في الحرب الأهليه إلى جانب الجنوب و (برنارد باروخا) كما تكتب الموسوعة الأمريكية بدأ حياته المهنية في (وول ستريت) بمرتب أسبوعي قدره /٣/ دولارات ولكن اول مليون كان في جيبه عندما بلغ الثلاثين. وبين سن الثلاثين والأربعين كان لديه من الملايين ما يعادل عمره. وفي الحرب العالمية الأولى جعل الرئيس (ويلسون) منه عملياً رئيساً للصناعات الحربية الأمريكية ومسؤولا عن المشتريات العسكرية للحلفاء وهو أمر جلب له مليارات من الدولارات ورافق (ويلسون) إلى أوربه عام /١٩١٩/ واصبح المستشار المالي لمعاهدة (فرساي) للسلام ومسؤولاً عن موضوع التعويضات الألمانية. وما بين الحربين رفض منصب وزير المالية ومناصب دبلوماسية أخرى. واستمر (باروخا) يعمل مستشاراً لـ (روزفلت) و (ترومان) و (ايزنهاور). ومن المثير أن (تشرشل) في منصب رئيس الوزارة البريطانية كان يقيم عنده عند زياراته الرسمية لأمريكا. و (باروخا) كان معروفاً كنصير للاتحاد السوفييتي وكل تنازلات الغرب للسوفييت كان يؤيدها. وقد عينه (ترومان) بشكل عملي مسؤولاً عن السياسة الذرية الغربية وبقيت خطة (باروخا) البرنامج الرسمي لأمريكا وحتى لحظة حصول الاتحاد السوفييتي على سلاحه النووي وتشير الإشاعات في الغرب ان (باروخا) لعب دوراً مهماً في ذلك.

وعادت «البروتوكولات» لتكرر بأن الهدف الأول لها هو تدمير الطبقة الحاكمة «الأرستقراطية تعبير كان لا يزال مناسبا لظروف /١٩٠٥/» واغتصاب الممتلكات عن طريق تحريض الرعاع العديمي الشعور والحياء.

ولقد أثبتت الأحداث المقبلة «الدقة القاتلة» لهذه التنبؤات وظهر ذلك بشكل خاص في الإرهاب الشيوعي في روسيا. «في السياسة يجب امتلاك القدرة على الاستيلاء على أملاك الغير من دون أي تردد، إذا كان ذلك يضمن لنا خضوعهم ويبسط سلطتنا الكاملة.... كلمات «الحرية»، «المساواة» و «الأخوة» جلبت إلى صفوفنا وعن طريق عملائنا حشوداً وجموعاً رفعت راياتنا بحماس. وعلى مدى الزمن المنصرم كله كانت تلك الكلمات عبارة عن سوس ينخر في خيرات ورخاء الشعوب ويدمر السلام والهدوء والتضامن ويخرب أسس الدول... ويخدم كل ذلك انتصارنا المظفر ويعطينا بالإضافة إلى ذلك كله إمكان الاستيلاء على الورقة الأساسية الرابحة وهي تدمير الامتيازات. أو بمعنى آخر تدمير أسس الأرستقراطية... تلك الطبقة التي كانت الدرع الوحيد للشعب والدولة ضدنا.... وعلى أنقاض الأرستقراطية الطبيعية الأصيلة، زرعنا نحن أرستقراطية من طبقة شكلناها وتحت قيادة أرستقراطيتنا المالية. وقد انتقينا الأهلية والصلاحية لهذه الأرستقراطية الجديدة وهي الغنى والمال المتعلق بنا وكذلك المعرفة....

وبالذات إمكان تبديل ممثلي الشعب هذه سمحت لنا بوضعه تحت تصرفنا وعمليا أعطتنا السلطة والقدرة على تعيين هؤلاء ممثلين.... وسنطلق إلى الساحة من سيدعي بأنه منقذ العمال من الظلم ويعرض عليهم الانضمام إلى صفوف جيوشنا من - الاشتراكيين والفوضويين والشيوعيين...

وبمساعدة الحاجة الماسة والحسد وما تولدانه من كراهية سندفع بحشود الرعاع وسنمحي بأيديهم كل من يقف في طريقنا... وسيقوم الشعب بثقته العمياء بالكلمة المطبوعة بالحقد حقدا أعمى على كل من يُعده أعلى وأفضل منه ولن يفهم أبدا ضرورة وجود الطبقات والفروق الاجتماعية....

وستقوم حشود الرعاع وبسرور على سفك دماء كل من حسدوه منذ طفولتهم وبالتالي سنستولي على أملاكهم ولكنهم «الرعاع» لن يمسوا «جماعتنا» بسوء لأن وقت الهجوم معلوم لنا وسنتخذ الإجراءات اللازمة لحماية أتباعنا...

وتقود كلمة «الحرية» مجتمع الناس لمحاربة أي سلطة أو نفوذ وحتى ضد الرب وقوانين الطبيعة. ولذلك عند قيام مملكتنا علينا إلغاء هذه الكلمة وحذفها من قاموس الحياة باعتبارها مبدأ الدفع الحيواني الذي يحول حشد الرعاع إلى حيوانات متعطشة للدماء...

ولكن حتى الحرية يمكن أن تكون عديمة الضرر وتحصل على مكان لها في أعمال الدولة من دون أن تسبب الأذى لغير الناس في حال وقوفها على أساس الإيمان بالرب....

لهذا السبب بالذات علينا تدمير أي إيمان وأن نقتلع من عقول الناس حتى مبدأ الروح والربانية ونستبدلها بعملية حسابية وبالاحتياجات المادية، ويجب أن تتضارب المصالح الشخصية مع المصالح الوطنية للشعوب. ويجب أن تسود الكراهية والفرقة الدينية والقبلية التي سقيناها وربيناها على مدى عشرين قرناً حتى وصلت إلى مستوى هائل.

ولهذا السبب لن تحصل أي دولة تقف ضدنا على أي دعم من أي مكان وعلى كل منها أن يفهم أن أي عمل ضدنا سيكون مضراً لها نفسها. إننا أقوياء إلى درجة لا يمكن معها إهمالنا أو عدم أخذنا بالحسبان ولا يمكن لأي دولة من الدول أن تتفق مع دولة أخرى في أي مجال وعلى أي درجة مهما كانت عادية من دون مشاركتنا الخفية بذلك.

ولكي نسيطر على الرأي العام علينا إيصاله إلى حالة الشقاق والفرقة التامة وعلينا أن نسمح للجميع بطرح الآراء وبشكل متضارب إلى درجة يضيع الشعب معها رشده في هذه المتاهة وبالتالي يفضل عدم امتلاك أي رأي في الأمور السياسية، والتي لا يقدر المجتمع على تفهمها لأن فهمها محصور فقط على من يدير الأمور ويقودها وهذا هو السر الأول».

أما الثاني فهو يلزم لنجاح قيادتنا ويتلخص فيما يلي: يجب وبأقصى حد مضاعفة نقاط الضعف والخطايا وإشعال الأهواء في الشعب ونشر أشكال الحياة الجماعية لدرجة أن الناس لا يعود باستطاعتهم إيجاد مكان لأنفسهم في هذه الفوضى، وفي نهاية الأمر لا يعود أحد يفهم الآخر. وبهذا كله سنمزق الشعوب مما يضطرها إلى أن تعطينا السلطة الدولية وبشكل يمكننا معه ومن دون أي قسر أن نمتص قوة كل دول العالم.

وبالتالي نؤسس دولتنا الخارقة. وفي مكان الحكام الحاليين سنضع فزاعات شيطانية والتي ستكون إدارات فوق الحكومات وسوف تمد أيديها إلى جميع الاتجاهات مثل الملاقط وسيكون لها أجهزتها الضخمة للغاية إلى حد تغطي فيه كل أنحاء العالم.

وتشير «البروتوكولات» إلى وحدة مصير الصهيونية والشيوعية ويدل ذلك أيضا التشابه التام في طرق عملها المذكورة في نصوص «البروتوكولات».

ولقد أشارت «البروتوكولات» عدة مرات إلى تحريض الرعاع ضد الطبقات الحاكمة واعتبرتها أفضل طريقة لتدمير الدولة والأمة مما يوصلها بالتالي إلى السيادة العالمية. ولقد أوضحنا في الفصول السابقة كيف هدد «هرتزل» باستخدام هذه الوسائل ضد الدول الأوربية.

وأما بالنسبة للشيوعية ولـ «ماركس» فإننا نشير إلى أن «البروتوكولات» قد كتبت: «بالنسبة للأرستقراطية فهي الآن ميتة كقوة سياسية ولكنهم كملاكين للأراضي لا يزالوا مضرين لنا بسبب استقلالهم الاقتصادي وبسبب وجود مصادر عيش مستقلة لديهم ولذلك علينا مصادرة أراضيهم هذه. وفي الوقت نفسه علينا دعم التجارة والصناعة.

يجب أن تمتص الصناعة اليد العاملة ورأس المال من الريف. ويجب أن نحصل عن طريق المضاربات على جميع الأموال اللازمة للحصول على الأراضي».

و «كارل ماركس» سار تماما على هذه الخطة في بيانه الشيوعي وعلى الرغم من تصريحه بأن الشيوعية يعبر عنها بجملة واحدة وهي «إلغاء الملكية الخاصة». ولكنه يؤكد فيما بعد بأن المصادرة تشمل فقط الأراضي مما يدل على أن الملكيات الأخرى لن تمس «بالطبع في روسيا البلشفية جرى مصادرة كل الملكيات الخاصة ولكننا رغبنا فقط الإشارة إلى الاستراتيجية المعتمدة والمشتركة في «البروتوكولات» ومن قبل «ماركس» قبل أحداث روسيا». ويثير الانتباه في الوقت الحالي قسم من «البروتوكولات» كتب بلا شك قبل /١٩٠٥/ بكثير: «في الوقت الحالي إذا احتجت دولة ما ضدنا فإن ذلك يجري فقط Proforma «شكليا - ملاحظة الترجمة» وبإشارة منا. لأن معاداتهم للسامية تلزمنا لكي ندير ونسيّر أخوتنا الصغار».

ونود الإشارة إلى أن سمة العصر الآن هي الاتهام بمعاداة السامية لهذا الطرف أو ذاك. وعلى الفور تصبح الدولة المتهمة عدوة في الحرب المقبلة.

والتشابه الواضح بين «البروتوكولات» ووثائق «واي سخاوبت» يظهر في المقاطع المتعلقة بتسرب المتآمرين إلى الجهاز الحكومي وإلى الأحزاب والنقابات والمهمة المختلفة: «ويصدر عنا إرهاب شامل للجميع ولكل شيء. ويقف في خدمتنا أناس من جميع الآراء والاتجاهات، ملوك وديماغوجيون واشتراكيون وشيوعيون وحالمون طوباويون من جميع الأصناف. الكل يعمل لخدمتنا وكل منهم ينخر من طرفه ما تبقى من السلطة. ويعمل على قلب النظام السائد. وبعد هذه الأفعال تقوم الدول المنهمكة بطلب الهدوء والسكينة وتكون لأجل ذلك مستعدة للتضحية بأي شيء ولكننا لن نعطيهم السلام إلا إذا اعترفوا علنياً وبخنوع بحكومتنا الأممية الخارقة».

والإشارة إلى اختراق عملاء المؤامرة لنظام التعليم الشعبي ولا سيما الجامعات يعود كذلك إلى وثائق «واي سخاوبت» أو إلى مصادر أكثر قدما استقى هو ذلك منها: «نحن سنعالج ونصقل كل الدراسات الجامعية... وكل من يقف عليها وكذلك الأساتذة سيكونون معبئين ببرامج خفية مختارة لا يمكن الحياد عنها أبدا من دون عقاب... وسيتم تعيينهم بحذر خاص وسيكونون مرتبطين تماما بالحكومة»..

وهذا التسلل «وقد نجح «واي سخاوبت» كما بينت الوثائق نجاحا تاما في التسرب إلى الجامعات» الخفي أصبح أكثر انتشارا في عصرنا الحديث، المثال النموذجي لذلك هو ما جرى لموظفين كبيرين من موظفي الدولة في بريطانيا حيث هربا إلى موسكو وقدمتهما السلطات هناك إلى المراسلين الأجانب في عام /١٩٥٦م/ حيث ذكرا أنهما أصبحا شيوعيين في الجامعة بالذات. ومن الصعب هنا عدم رؤية ذلك النجاح في الطرق المذكورة أعلاه في «البروتوكولات» وطرق «واي سخاوبت».

وتذكر وثائق «واي سخاوبت» الماسونية كغطاء استخدمه المتآمرون. وأما «البروتوكولات» فتنصح باستخدام «الليبرالية» كغطاء أيضا: «بعد أن نفثنا سم الليبرالية في الجسم الحكومي تغير كل الشكل السياسي لهذا الجسم، ومرضت الدولة مرضاً عضالاً مميتاً وبقي فقط انتهاء سكرات الموت»..

وغالبا ما تطلق «البروتوكولات» على الليبراليين اسم «الحالمون الطوباويون» وهذه العبارة يعود أصلها إلى «واي سخاوبت» ووعده حول «الحالمون ومفسرو الأحلام» والذين هم ومثل «الأنبياء الدجالين» يتم قتلهم ولذلك فإن نهاية الليبرالية يجب أن تكون مفهومة للجميع وحتى ولو لم تشر «البروتوكولات» إلى ذلك بوضوح: «عندما نصل إلى الحكم سنقتلع الليبرالية التي تتميز بها قياداتهم والتي بها يتعلق اختيار وتربية العاملين لنظامنا الاجتماعي».

وكذلك تنبأت «البروتوكولات» بوضوح بظهور أنظمة تابعة «للأخ الأكبر» في القرن العشرين: «وسنعطي إدارتنا شكل وصاية أبوية من جانب الحاكم».

وكذلك كان على الجمهورية آن تلعب دور الغطاء للمؤامرة و «البروتوكولات» تحتقر بعمق كل أنواع الجمهوريات وترى فيها «وكما في الليبرالية» أداة تدمير الذات تُخلق من الرعاع: «وهكذا أصبح ممكنا ظهور عصر «الجمهوريات» وعند ذلك سنضع في مكان الحكام حكومات كاريكاتيرية - ورؤساء مأخوذين من الرعاع من وسط ألعوباتنا وعبيدنا وهي ألغام وضعناها تحت كل الشعوب».

ومن ثم تتابع قائلة: «في المستقبل غير البعيد سنؤسس مسؤوليات ومناصب الرؤساء». وفيما بعد سنوضح الفرق بين المسؤولية الذاتية والمسؤولية التي يحددها الدستور وتقع تحت رقابته.

وفي الحرب العالمية الأولى والثانية أصبح الرؤساء الأمريكيون ديكتاتوريين وتحت ذريعة الظروف الاستثنائية وتحت قول أن «مهمة النصر» تتطلب فرض سلطة قوية وتحت المسؤولية الخاصة. وهذه «السلطة ستعاد إلى الشعب» بعد انتهاء «الظروف الاستثنائية».

ثم تتابع «البروتوكولات» قائلة: «مجلس النواب سيغطي ويحمي وينتخب الرؤوساء ولكننا سنأخذ منه «من المجلس» حق وضع القوانين الجديدة أو تغيير القوانين الموجودة لآن هذا الحق سيكون ممنوحا من طرفنا شخصيا إلى الرئيس المسؤول الألعوبة في أيدينا. وسنمنح الرئيس الحق في إعلان الحرب وسيبرر ذلك بأن الرئيس هو القائد الأعلى للقوات المسلحة ويجب أن يملك هذا الحق «إعلان الحرب» في حالة الضرورة.

ومن السهل فهم أنه في هذا الوضع سيكون المفتاح المقدس في أيدينا ونحن فقط سنقود البرلمان وكذلك وضع القوانين.... وسيفسر الرئيس حسب إرادتنا القوانين التي تتطلب تفسيرا. وسيلغي القوانين عندما نشير إليه بذلك. وسيكون للرئيس الحق بفرض قوانين مؤقتة وكذلك التغيير في البناء الدستوري للحكومة ويبرر هذا وذاك بمتطلبات مصلحة الدولة العليا. وهكذا نحصل نحن على إمكان خطوة وراء خطوة تدمير وتخريب كل ما نضطر في البداية إلى إدخاله إلى دستور الدولة والتحضير إلى الانتقال أي إلغاء كل الدساتير، وعند ذلك يأتي الوقت لإلغاء كل الحكومات واستبدالها باستبدادنا العلني»..

هذه التنبؤات في عام /١٩٠٥/ «أو حتى قبل ذلك بكثير» تؤكد أقوال اللورد «سايدنهايم» حول «الدقة القاتلة» لأقوال «البروتوكولات». فزعماء أمريكا خلال الحربين العالميتين عملوا تماما كما أشارت عليهم الوصفة المذكورة أعلاه. لقد اغتصبوا لأنفسهم الحق بإعلان الحرب واستخدموا هذا الحق في كوريا. وكل المحاولات من الكونغرس أو من خارجه لحرمانهم من هذا الحق كان يقابلها مقاومة حادة.

وكما كتبت «البروتوكولات» لا تحصل الشعوب على نفس أو راحة وهي تسير من خيبة أمل إلى أخرى.

وأي دولة «تتجرأ على معارضتنا» ستتعرض للحرب. وأما أي معارضة جماعية لليهود فستجلب للجميع حربا عامة شاملة.

ولن يُسمح للشعوب بالوقوف «ضد العصيان» ومن هنا كل تلك الاحتجاجات على أي طلب بالتحقيق سواء كان ذلك في عام /١٧٩٠/ أو في عام /١٩٢٠/ أو حتى في العصر الحديث ويتبع ذلك على الفور اتهام «باصطياد الأشباح».

وفي دولة المستقبل اليهودية الخارقة على أي عضو في العائلة الوشاية بأعضاء العائلة الآخرين المشتبه في تفكيرهم المستقل أو المغاير «وهو أمر ورد ذكره في العهد القديم أيضا».

ولن يطول انتظار حدوث تحطيم المسيحية النهائي وستقوم التسالي العادية ودور الترفيه بإلهاء الجمهور عن الشك باقتراب الخطر. ويجب كتابة التاريخ من جديد لخداع الجمهور

بشكل نهائي «وهو أمر حدث في روسيا السوفييتية». «وسنمحو من ذاكرة الناس كل الوقائع غير المناسبة لنا من التاريخ ونبقي فقط على تلك التي تشير إلى أخطاء حكامهم السابقين وهذا ما حدث بالفعل في الدول الاشتراكية. أما دول الغرب الحديثة فلا تزال في وضع المعالجة. وكما تكتب «البروتوكولات» فإن «جميع عجلات وآليات الدولة الحديثة في جميع الدول سنقوم بتدويرها وتحريكها عن طريق محرك واحد وهو يقع في أيدينا وهذا المحرك هو - الذهب»..

وأما النهاية فهي معروفة مسبقاً: وعلينا أن نصل إلى مستويات تكون فيها كل جماهير الدول - باستثنائنا- عبارة عن بروليتاريا فقط مع بضعة مليونيريين وعساكر وشرطة أوفياء لنا

وسيأتي ملكنا عندما تصيح الشعوب المنهكة والمغلوبة بأعلى صوتها: ليسقط الحكام. نريد ملكاً واحداً لكل الأرض والذي يوحدنا ويقضي على الفرقة والحدود والقوميات والأديان وديون الدولة ويعطينا الحرية والسلام والهدوء والتي لم نحصل عليها خلال حكم حكامنا.

لقد استبدل المؤلف بعض الكلمات التي يمكن أن تشير إلى أصل من كتب «البروتوكولات» وفعل ذلك لأنه لا يود خلط الأمور. يجب البحث عن أصول مؤلفي «البروتوكولات» في مكان آخر. ومؤلفها يمكن أن يكون يهودياً أو غير يهودي أو حتى معادٍ لليهود. ولكن ذلك ليس أمراً ذا أهمية.

عندما نشرت «البروتوكولات» كانت عبارة عن سيناريو لمسرحية لم يتم إخراجها بعد. أما الآن فهي دراما تجري أحداثها خلال خمسين سنة «كتاب «دوغلاس» ظهر في عام /١٩٥٥/» واسمها «القرن العشرين» وتلعب على المسرح الحديث الشخصيات المذكورة أعلاه دورها المرسوم لها ويبقى انتظار النهاية: هل هو الفشل أم الانتصار المظفر للمؤلفين ولخطتهم. وهي خطة فعلاً عظيمة وضخمة وحسب رأي مؤلف هذا الكتاب فإن تنفيذ هذه الخطة مستحيل ولكن هذه الخطة يجري تنفيذها على مدى /٢٠٠/ سنة ويمكن حتى قبل ذلك. و «البروتوكولات» هي عبارة عن حلقة في سلسلة البراهين الطويلة والتي تزداد يوماً بعد يوم.

إن مخطط السيادة العالمية عن طريق إنشاء دولة العبيد، موجود ووصل إلى مرحلة لا يمكن إيقافه فجأة أو القضاء عليه. لقد أصبح لديه قوة كامنة خاصة به وعليه السير قدماً إلى النهاية. إلى النصر أو الفشل. وفي هذه المرحلة سيكون الدمار مرافقاً هنا وهناك وأما في لحظة الحسم فسيدفع الحاضرون لها الثمن غالياً.

الفصل الثامن والعشرون

هذيان بلفور

في العقود الأولى من القرن العشرين نمت علائم اقتراب أحداث رهيبة. في عام /١٩٠٣/ عرضت الحكومة البريطانية أوغندا على الصهاينة ولكن «ماكس نوردا» توقع بحدوث حرب عالمية قادمة «تقوم إنكلترا على أثرها بمنح الصهاينة فلسطين».

في عام /١٩٠٥/ / «/١٩٠٢/- ملاحظة الترجمة-» تنبأت «البروتوكولات» بالنشاط الهدام للشيوعية في روسيا. وأخيرا في عام /١٩٠٦م/ قام المدعو «أرتور جيمس بلفور» ومنصبه رئيس وزراء بريطانيا بمقابلة «حاييم وايزمان» في جناح في الفندق وعرض خلال ذلك بسخاء منح اليهود فلسطين التي لم تكن في ذلك الوقت ملكا له ولا تابعة لدولته والتي كان من الصعب من دون حرب انتزاعها من أصحابها الشرعيين. وقد حددت هذه المقابلة طابع الحرب العالمية القادمة.

وكان «بلفور» يقف في بداية القرن الجديد وقام بتحويله إلى الاتجاه المطلوب. ومن المحتمل لو كان هناك أحد آخر مكانه لأراحنا من العواقب ولكن على الأغلب حتى هذا الآخر كان سيقوم بنفس الأمر لأنه في عام /١٩٠٦م/ كانت الآلة السرية «للضغط على الأحداث الدولية إلى حد لا يمكن تجاوزه» قد تطورت إلى حد كبير. وقد كتب الحاخام «آلمير بيرغر» «استندنا إلى أقواله سابقا» بأنه في هذا الوقت استوعبت مجموعة من اليهود الأفكار الصهيونية وأخذت تقوم بجولات دبلوماسية إلى البرلمانات والحكومات مستغلة العلاقات الدولية المعقدة في تلك المناطق من الكرة الأرضية حيث ازدهرت الألاعيب السياسية والصفقات من وراء الكواليس أي بعبارات أخرى أخذ اليهود بممارسة السياسة العملية».

وبدأت حقبة الإدارات الطيعة ورؤساء الوزراء الخدومين وكل منهن ساعد بالقدر اللازم على تنفيذ الخطة العملاقة الموضوعة منذ زمن.

ولا شك بأن أي سياسي آخر وضع في مكان «بلفور» في ذلك الزمن كان سيقوم بنفس العمل ولكن على الرغم من ذلك سيبقى اسمه مرتبطا بأول خطيئة على هذا الدرب. ومن

الصعب جدا فهم الدوافع التي دفعت شخصاً فيه طباع مثل طباع «بلفور» ويملك مؤهلات وأصلاً مثله. ولا يمكن الوصول إلى مصدر آخر غير «الليبرالية» التي دوخت رأسه بفكرة لم يكلف، هو نفسه الغوص فيها انطلاقا من منصبه بل وحتى انطلاقا من الفكر السليم المستقيم. ومن الصعب التصور أن «السياسة الواقعية» كانت دافعه، أي أنه تصور بأن دعم الصهيونية سيجلب له المال والنفوذ وأصوات الناخبين. ذلك لأنه كان ينحدر من أسرة أرستقراطية عريقة عملت في مجال خدمة الدولة والعرش على مدى قرون طويلة، وبالتالي فإن مصلحة الدولة كانت تجري في عروقهم مع الدماء، وبالتالي فإنهم كانوا يفهمون بالفطرة ظروف العمل الحكومي وظروف السياسة الدولية. لقد كانوا بحق أفضل طبقة تولت دفة الحكم على مدى التاريخ وكانوا مستقلين دائما بفضل ثراء العائلة. إذن السؤال المحيّر هو لماذا تخلت عنهم الخبرة والفطرة الوليدة والتقاليد في هذا الموضوع بالذات وفي الوقت الذي لم يغير فيه بعد حزب، المحافظين شكله القديم؟

هل أخافتهم التهديدات بأن «الرعاع» سيتم تحريضهم على الحكم والدولة في عدم الطاعة من قبل الأرستقراطية؟ لقد كانوا بلا شك على علم بأن الأصل والامتيازات لم تعد تكفي لوحدها للبقاء عند دفة الحكم. لقد تغير العالم بقوة في القرن المنصرم وقد عرفوا تماما بأن هذا التغيير سيستمر فيما بعد.

وانطلاقاً من التقاليد البريطانية فقد أرادوا أن تكون التغييرات بالتدريج ومن دون أي قسر في السياسة. وعن طريق الاتفاق بين جميع الأطراف. لقد كانوا على قدر كافٍ من الخبرة ليعرفوا بأنه من الصعب الوقوف ضد التغييرات ولكنهم حاولوا الحفاظ على القيادة لأنفسهم: ومن الممكن أنهم فقط استعجلوا بعض الشيء في مصافحتهم لما يدعى «بالتقدم» عندما قرع بابهم فجأة ولم يتعبوا أنفسهم في البحث في صلاحيات أولئك الذين ادعوا الكلام باسم التقدم. وكان قائدهم «بلفور» متعجرفاً ومتجبراً بعض الشيء وعالي الثقافة وأعزب. طويل القامة بارد الأهواء متشائم بطبيعته وتعابير وجه جليدية ولكن وكما أكد أصدقاؤه كان طيب القلب وأما ولعه بالصهيونية فقد يكون سببه عدم زواجه.

لقد قام عدة مرات بتأجيل زواجه حتى خُطبتْ حبيبة قلبه إلى شخص آخر ولكنها لم تتزوج لأن عريسها مات قبل ذلك وعندما رغب «بلفور» تصحيح الأمر والزواج، ماتت الحبيبة نفسها. وبعد ذلك عفت نفسه عن الزواج. ومن المشكوك فيه أن تستطيع امرأة ما الحكم على أعزب عالي المنصب مُحطم القلب. ولكن ما العمل فالكثير من الشهادات عنه جاءت بالذات من النساء وسيدات المجتمع المعاصر له ونحن سنستعرض أقوال اثنتين من ملكات الجمال في

ذلك الوقت الأولى «كونسويلا فانديبلت» «أمريكية أصبحت دوقة مالبورو فيما بعد». وقد كتبت تقول: «كانت أقواله وآراؤه مثالا للمنطق الخالص... كان يملك القدرة على الفهم الواسع للأمور ولم أقابل أحدا في حياتي يضاهيه في ذلك».

وأما الليدي «سينتيا اسكويت» فقالت عنه: «وأما بالنسبة لما ينسب له من عدم المقدرة على تأنيب الضمير الأخلاقي فإنني أؤكد أنني شاهدته مرات عديدة شاحبا من الغضب عند رؤيته للظلم الواضح»..

ولكن ما ذكر أعلاه يرسم صورة مزينة لـ «بلفور» إذا ما قورنت مع أفعاله. لأن المنطق هو أقل ما كان يمكن أن يقوده ويدفعه حين وضع بلاده في خدمة الصهيونية. ذلك لأنه وحسب المنطق لم يكن ذلك ليخدم لا دولته بريطانيا ولا سكان فلسطين الأصليين ولا حتى «وهذا حسب رأينا» جماهير اليهود العريضة الواسعة التي لم تكن راغبة في الاستيطان هناك. وأما فيما يتعلق بالظلم «وفقط إذا لم تُميّز الليدي المذكورة بين الظلم الشخصي والظلم الجماهيري». فإن الملايين من الناس الذين لا ذنب لهم والمطرودين في أيامنا هذه من أوطانهم في الصحراء العربية[1] هم الجواب الواضح على علاقة «بلفور» وموقفه من الظلم الواضح. ولكن مهما يكن فإن «بلفور» كان الرجل اللازم وجوده في ذلك المنصب في ذلك الوقت.

و «بلفور» بعد أن أصبح خليفة «للعم العزيز روبرت» «اللورد سولسبيري من عائلة سيسلي الشهيرة».

كان من الواضح أن فكرة أوغندا وإعطاءها لليهود لم تأت من نفسها إلى ذهنه وبالتالي فإن «الضغط المستحيل تجاوزه» والمعروف جيدا بالنسبة لنا هو الذي وبلا شك فعل فعله ومنذ زمن بعيد حتى قبل أن يصبح «بلفور» رئيساً للوزراء. ولكن كل الذي جرى قبل ذلك يلفه غموض وظلام شديد وهو أمر مفهوم ويحدث في حالات المؤامرات عادة.

ولما صعد «بلفور» إلى السلطة كان اللغم قد جرى زرعه منذ زمن وعلى ما يبدو أن «بلفور» وحتى نهاية أيامه لم يلاحظ وجود ذلك اللغم. وبعد خيبة الأمل من القيصر الروسي والمستشار الألماني والسلطان التركي أطلق الدكتور «هرتزل» تصريحات قال فيها:

«إنكلترا. إنكلترا العظيمة إنكلترا الحرة. حاكمة العالم والبحار ستفهم أهدافنا وطلباتنا». «ولاشك بأن القارئ يفهم لماذا أصبحت إنكلترا فجأة محبوبة «هرتزل» وعظيمة وحاكمة البحار».

١- يقصد من فلسطين المحتلة -المترجم.

وعندما فهمت طغمة التلمود في روسيا فداحة خطأ «هرتزل» بعد عرض أوغندا فقامت بإرسال «حاييم وايزمان» إلى لندن وكانت مهمته الأولى تنحصر في إزاحة «هرتزل» عن طريق الصهيونية. ومنذ تلك اللحظة أصبح «وايزمان» بالنسبة لنا الشاهد الأساسي لأحداث ما وراء الكواليس في ذلك الوقت.

إن أي شاب إنكليزي يود لأمر ما مقابلة وزير بريطاني عليه أن يجتاز حاجزا رهيبا من الحراس والمستشارين والسكريتاريا، أما «حاييم وايزمان» الشاب والذي رغب ليس أكثر أو أقل من الحصول على فلسطين فقد انفتحت أمامه أبواب مكتب اللورد «بريسي» رئيس قسم أفريقيا».

واللورد «بريسي» كان كذلك سليل أسرة إنكليزية عريقة في خدمة العرش والدولة، ومع ذلك فإن «وايزمان» كتب بأن «بريسي» عبر عن دهشة كبيرة وتعجب كيف رضي اليهود وحتى مناقشة موضوع أوغندا لأنه اعتبر أن ذلك أولا - غير عملي وثانيا هو نفي كامل للدين اليهودي. وهو كإنسان مؤمن بعمق أصابه الذهول كيف يمكن حتى التفكير بوطن غير فلسطين لليهود ولبعث وجودهم. وقد استمع إلي بفرح شديد بأن غالبية اليهود كذلك ترفض بحزم عرض أوغندا. وأضاف قائلا: «لو كنت يهودياً فإنني لم أكن لأعطي «نصف بنس» مقابل مثل هذا العرض».

ويجدر بنا الاعتقاد بأن الدكتور «وايزمان» لم يبلغ اللورد «بريسي» عن رغبة غالبية يهود فلسطين بالاستيطان في أوغندا وإذا صدقنا مذكرات «وايزمان» فقد عُرض عليه هناك التخلص من «هرتزل» وتلقى وعدا بدعم مطالبه في الحصول على فلسطين. وسافر «وايزمان» ليجهز على «هرتزل» ويهزمه.

وهو بالطبع لم يسافر خالي اليدين. لقد أخذ «وايزمان» معه من وزارة الخارجية أوراقاً فارغة بيضاء تحمل شعار وزارة الخارجية البريطانية وكتبَ عليها «وايزمان» تقريره وأرسله إلى رفاقه في روسيا. ولا شك بأن التقرير المكتوب على أوراق رسمية إنكليزية أذهل التلموديين اليهود في روسيا وأصبح واضحاً تماما بأن الحكومة البريطانية لم تعد ترغب في أي علاقة مع «هرتزل» وأنها ستفعل ما بوسعها من أجل إعطاء فلسطين للصهاينة.

وسارت الأمور بعد ذلك كما في الدراما الإغريقية القديمة برغبة الآلهة: انتصر الصهاينة من روسيا على «هرتزل» وسقط البائس ومات بعد ذلك. ورفض عرض أوغندا بعد ذلك وانتقل «وايزمان» للعمل في إنكلترا والتي هي «الدولة الوحيدة التي تنظر بعطف واضح إلى حركتنا».

وأختار «وايزمان» مانشستر مقرا له وادعى بأن ذلك محض مصادفة ولكنه كان يخادع في ذلك، فقد كانت مانشستر الدائرة الانتخابية لـ «بلفور» وكان قائد حزب المحافظين في مانشستر صهيوني معروف. «لا يزال حزب المحافظين البريطاني حتى اليوم مقيدا بنفس الشباك».

واستمرت الدراما القديمة وفشل حزب «بلفور» في انتخابات /١٩٠٦/ وفقد الحزب في مانشستر ثمانية مقاعد من تسعة كانت له واضطر «بلفور» مؤقتاً إلى مغادرة الساحة السياسية وظهر عليها في تلك اللحظة شخص جديد وهو أحد المنتصرين العماليين «من حزب العمال» في الانتخابات الشاب «وينستون تشرشل». وهو أيضا اشترك في دائرة مانشستر الانتخابية وحاز على دعم المنظمة الصهيونية هناك بسبب وقوفه ضد مشروع قانون الحكومة «بلفور» يحد من الهجرة إلى بريطانيا «ومن المعروف أن الهجرة كانت أكثرها من روسيا ولا أحد غير اليهود هاجر من هناك إلى بريطانيا».

ونعود الآن إلى «بلفور» والذي كان مهتماً ومبهورا كثيرا بالصهيونية. وكما تشير الوثائق الموجودة فإنه لم يكن يفكر أبدا في مصير سكان فلسطين الأصليين والذي يعود إليه فضل طردهم إلى الصحراء.

وبفعل المصادفة كانت المبارزة الانتخابية عام /١٩٠٦/ في مانشستر تتركز حول ما زعم عن المعاملة القاسية والسيئة لبعض الناس المستضعفين في أحد أصقاع الأرض البعيدة. «وعلى طريقة «هرتزل» و «البروتوكولات» في تهييج أهواء ومشاعر «الرعاع».».

في تلك الفترة عام /١٩٠٦م/ لم يسمع الناخبون عن الصهيونية أي شيء وعندما عرفوا بعد ذلك عنها لم يهتموا أبدا بمصير العرب المتعرضين لتهديدها لأن الصحافة التي أصبحت في ذلك الوقت «خانعة ومطيعة» لم تخبرهم أي شيء يذكر عن ذلك.

لقد هيجت مشاعرهم في عام /١٩٠٦م/ حول «العبودية في الصين» ودفعتهم إلى سخط مقدس «of All Places كما يقول الإنكليز في مانشستر حيث كانت أوضاع العمال أسوأ بكثير من جميع أنحاء إنكلترا».

في ذلك الوقت جرى استئجار بعض سكان الصين للعمل بعقد لمدة ثلاث سنوات في مناجم الذهب في جنوب أفريقيا. وطبعاً كان الصيني الحاصل على العمل في غاية السعادة ولكن بالنسبة للديماغوجية الانتخابية في مانشستر كان ذلك «عبودية» دارت حولها كل الحملة الانتخابية. ولكن بعد الفوز نسي حزب العمال المنتصر الموضوع الصيني بأسره وبعد استلامهم للسلطة أظهروا حماساً للصهيونية فاق كثيرا حماس المحافظين. وبينما ساد الصياح

والصراخ الشوارع حول «العبودية الصينية» التقى «بلفور» مع المرسلين الصهاينة من روسيا وأخذ يُحضر للعرب الفلسطينيين أمراً أقسى وأمر من العبودية.

لقد كان مسحوراً تماماً بهذه المشكلة «وكما كتبت ابنة أخته وأحد أكثر المقربين له السيدة «داغديل» قبل هذا اللقاء بوقت طويل: «إن الأمر الذي أثار اهتمامه وجذبه إلى هذه القضية كان رفض الصهاينة لعرض أوغندا. لقد أثار فيه موقفهم هذا حب المعرفة ولم يستطع إيجاد طريقة لإرضاء ذلك...

لقد طلب من قائد حزبه في مانشستر «وهو الصهيوني المعروف» أن يشرح له سبب رفض الصهاينة والدافع في موقفهم... إن اهتمام «بلفور» باليهود وبتاريخهم له أسبابه وجذوره التي تعود إلى التربية الدينية التي تلقاها عن طريق أمه وتربيته على ضوء العادات والتقاليد الاسكتلندية. وعندما شب وكبر أخذ يكن احتراما كبيرا لليهود ولتاريخهم ولدورهم في العالم الحديث.

إنني أتذكر كيف حاول هو إقناعي في طفولتنا بفكرة تقول بأن المسيحية ديناً وثقافة تدين إلى حد كبير لليهود، وإن هذه المديونية لم تدفع على الرغم من استحقاقاتها منذ زمن بعيد». وتحت تأثير هذه الأفكار التقى «بلفور» مع «وايزمان» في عام /١٩٠٦م/ في أحد أجنحة «الفندق الملكي» في ضباب ورطوبة مانشستر.

والعرض الذي عُرضَ عليه هناك جعل من تركيا بشكل أوتوماتيكي عدوة إنكلترا في أي حرب عالمية مقبلة. وفي حال الانتصار عليها «على تركيا» تصبح إنكلترا في حالة حرب دائمة مع العالم العربي كله. ولكن وانطلاقا من الكلام المذكور أعلاه فإن فكرة المصالح القومية والمبادئ الأخلاقية والتفكير على مستوى حكومي، كل ذلك لم يجد مكاناً في رأس «بلفور» الذي كان محشوا كليا في تلك اللحظات بفكرة إشباع حب اطلاعه نحو القضية اليهودية والذي كان يشبه حب شاب لفتاة أكثر من أن يكون تفكير السياسي المحنك. لقد انتخبوه إلى البرلمان ليس ليقرر كم هي مديونية المسيحية لليهود. وحتى إذا كان هذا الدين موجودا فليس الذي يدفعها عليه أخذها من جيوب الغير. لقد قرر وحده ولنفسه أن هذه المديونية موجودة ومستحقة وأنه يملك الحق في اختيار الورثة من أصحاب المديونية في شخص اليهود القادمين من روسيا. على الرغم من أن يهود إنكلترا لم يريدوا سماع أي كلمة عن مثل هذه المديونية. بالفعل من الصعب العثور في تاريخ البشرية على شيء أغرب من ذلك. وبعد أربعين عاما من ذلك كتب «وايزمان» يقول بأن «بلفور» كان يملك فقط «تصوراً ساذجاً وبسيطاً ومتواضعاً عن حركتنا».

وهو لم يكن يعرف حتى اسم «هرتزل» بشكل صحيح وحاول أن يتذكره ولكنه دعاه «دكتور هرتز». وباختصار طار «بلفور» في الأعالي في السحاب بسبب حماسه لموضوع كان يجهله تماما. لقد قام بإبداء عدة اعتراضات شكلية ولكن من الواضح كان قصده منها هو الحصول على النشوة من خلال دحض هذه الاعتراضات من قبل نظيره. وأثار فيه انطباعا هائلا لا يُنسى سؤال الضيف «حسب تعبير «وايزمان» نفسه»: «مستر «بلفور» هل تأخذون باريس بدلا من لندن لو عرضتها عليكم؟»

- «ولكن يا دكتور «وايزمان» لندن لنا منذ زمن بعيد».

قال «بلفور» معترضا ولكن «وايزمان» أجابه على الفور: «ونحن كانت أورشليم لدينا منذ زمن بعيد عندما كانت لندن لا تزال مستنقعات مهجورة». وكانت هذه الحجة كافية لـ «بلفور» ليقرر توطين اليهود الأشكناز من روسيا في فلسطين.

ولكن المجموعة اليهودية الوحيدة التي كان «بلفور» يملك الحق القانوني برعاية مصالحها والحرص عليها هم يهود إنكلترا، لذلك حاول «بلفور» محاولة أخيرة خجولة وقال معترضا: «غريب يا دكتور «وايزمان» ولكن اليهود معارفي يختلفون عنكم تماما».

وهنا جاءه جواب لا يقل مكرا عن الأجوبة السابقة: «مستر «بلفور» معارفكم أولئك ليسوا هم اليهود الواجب التعرف عليهم».

بعد ذلك لم يعد لدى «بلفور» أي شك بأن اليهود الحقيقيين هم فقط الصهاينة من روسيا: من هذا الحديث مع «وايزمان» فهمتُ بأن الشكل اليهودي للوطنية هو شكل لا مثيل له. وأكثر الانطباعات التي أثرت بي هو رفض «وايزمان» حتى التفكير بذلك العرض «عرض أوغندا»

وتقول السيدة «داغديل»: «وكلما فكر «بلفور» أكثر في الصهيونية كلما ازداد حبه واحترامه لها وزاد إيمانه بقيمتها وعظمتها. لقد تشكلت تصوراته نهائيا قبيل هزيمة تركيا في الحرب العظمى التي غيرت مستقبل الصهيونية». ولكنه غيَّر أيضا مستقبل الغرب ومستقبل جيلين منهُ. في الحديث الذي دار في الجناح الملكي من الفندق تحققت نبوءة وتوقعات «ماكس نوردا» عام /١٩٠٣م/ حول شكل الحرب العالمية المقبلة.

ومع اقتراب تلك الحرب استعجل معظم السياسيين إلى تأييد الصهيونية في الخفاء وتحولوا عمليا إلى شركاء في المؤامرة وأخفوا عن الرأي العام ما كانوا يودون فعله بفلسطين.

اللقاء الأخير بين «وايزمان» و «بلفور» حدث في كانون الأول «ديسمبر» عام /١٩١٤/ «وهنا تظهر أمامنا مرة أخرى مشكلة صعوبة تحديد الوقائع بالضبط في هذه القضية. فالسيدة

«داغديل» تكرر أقوال «وايزمان» - «أنا لم التقِ به بعد ذلك حتى عام /١٩١٦م/». ولكنها نفسها تكتب فيما بعد بأنه في «/١٤/ كانون الأول «ديسمبر» عام /١٩١٤/ تم لقاء الدكتور «وايزمان» مع «بلفور». و «وايزمان» نفسه أكد اللقاء الثاني هذا عندما كتب بعد لقائه مع «لويد جورج» في /٣/ كانون الأول «ديسمبر» /١٩١٤م/: «وعلى الفور نصحني «لويد جورج» بمقابلة «بلفور».

وبدأت الحرب العالمية الأولى وتقريباً جرى تدمير الجيش الإنكليزي في فرنسا التي وقفت نفسها على حافة الكارثة. ووحده الأسطول الإنكليزي أنقذ بريطانيا من الهزيمة. وخسرت بريطانيا وفرنسا في الحرب ثلاثة ملايين من سكانها. وصاحت الدعاية عن ضرورة تحطيم «العسكرتاريا البروسية» و «تحرير الشعوب الصغيرة» و «إعادة الحرية والديموقراطية».

ودخل «بلفور» مرة أخرى إلى الحكومة وعندما التقى مع «وايزمان» مرة أخرى لا شك بأن أفكاره كانت بعيدة تماما عن مسارح القتال مع فرنسا ولا شك بأنه لم يفكر بدولته ولا بشعبها. لقد كان شغله الشاغل هو الصهيونية وفلسطين وبدأ حديثه مع «وايزمان» بكلمات: «لقد تذكرت حديثنا مرات عديدة» «في عام /١٩٠٦/» «وأعتقد بأنه عندما تصمت المدافع سيكون بإمكانكم الحصول على أورشليمكم».

ومن عاش في تلك الفترة يمكنه أن يتذكر وأن يفهم كم كان «بلفور» بعيدا عن الأحداث التي اعتبروها هم أساسية.

في شخص «بلفور» ولد من جديد «النبي مونك» ولكن هذه المرة كان يمسك في يده كل سلاح السلطة والذي سمح له التصرف بمصائر الشعوب على هواه وتحول الضغط الذي لا يقاوم «إلى قوة جبارة كانت قمتها في عام /١٩١٤م/».

وفي تلك الأيام التفّت نفس الشبكة الجبارة حول الشعب الأمريكي على الرغم من أن الأمريكان في ذلك الوقت لم يتخيلوا حتى وجودها وهم فقط خافوا من الانزلاق في حرب غريبة عليهم. ووعدهم رئيسهم بأن تلك الحروب لن تمسهم أبدا ولكن في حقيقة الأمر كان الأمريكان قد انزلقوا إلى تلك الحرب لأن «قوة الضغط» كانت قد أخذت تعمل في واشنطن بنجاح.

الفصل التاسع والعشرون

«إدوارد مانـدل هـاون»
و
دوره

بينما كان «بلفور» مع شركائه في المؤامرة السرية يسير بخطى حثيثة نحو السلطة في إنكلترا خلال الحرب العالمية. كان هناك مجموعة من الناس مشابهة وأيضا بشكل سري تمركزت في الولايات المتحدة بالقرب من السلطة وشكلت آلية سياسية جاءت نتائج عملها بعد خمسين سنة من ذلك عندما شكل الرئيس «ترومان» الدولة الصهيونية في فلسطين.

في بداية القرن لم يزل الأمريكان خاضعين «المثلهم الأمريكية العليا» والتي تلخصت في عدم الانزلاق والاشتراك في مشكلات أو تعقيدات خارجية غريبة.

ولكن الهجوم الأمريكي على أسبانيا في كوبا عام /١٨٩٨م/ بدد هذه الآمال عند الشعب الأمريكي لذلك فإن تلك الحرب ما تزال تثير الكثير من التساؤلات. فالأمر الذي أثار الهستريا الحربية لدى الأمريكان وحرض الرأي العام كان خبر انفجار السفينة الحربية الأمريكية «ميين» بلغم بحري أسباني. - إنه مثال اعتيادي للاستفزاز. ولكن عندما رفعت تلك السفينة بعد سنوات طويلة من قاع البحر أتضح بأنها فجرت من الداخل وليس من البحر. «ولكن في ذلك الوقت كان الرأي العام قد نسي الأمر ولم يعر الخبر أي اهتمام.».

وكنتيجة للحرب الأمريكية الأسبانية ظهر إلى السطح سؤال بالغ الأهمية وهو. من الذي سيتسلم السلطة الفعلية في أمريكا. وعلى هذا السؤال أثرت حرب أخرى تأثيرا حاسما وهي الحرب الأهلية الأمريكية «وهو أمر لم يتصوره الطرفان المتخاصمان» هو تغيير ملموس في تركيبة وطبيعة السكان وبالتالي في حكومة الجمهورية.

قبل الحرب الأهلية كانت غالبية سكان أمريكا من الايرلنديين والاسكتلنديين- ايرلنديين وإنكليز وألمان واسكندنيافيين ومن هذا الخليط ظهر نوع خاص متميز من الأمريكان. ولكن بعد الحرب الأهلية بدأت هجرة واسعة جلبت إلى البلاد ملايين عديدة من المواطنين الجدد من أوربة الشرقية والجنوبية ومن ضمنهم كان الكثير من اليهود من مناطق روسيا النائية ومن بولونيا الروسية. ولم يسمح لهم حاخامات التلمود في روسيا على الاختلاط حتى في أمريكا. وفي بدايات القرن العشرين ظهر سؤال طرح نفسه بقوة ما هو الدور الذي ستلعبه العبرانية وقادتها في الحياة السياسية الأمريكية وفي سياستها الخارجية.

وأظهرت الأحداث اللاحقة بأن الهجرة الجماعية الواسعة جلبت إلى أمريكا معها المؤامرة الأوربية الشرقية وفي شكليها المعروفين- الصهيوني والاشتراكي.

وبدأت عملية استيلاء اليهود على السلطة السياسية تدريجيا ومن وراء الكواليس في عام /١٩٠٠م/. ووصلت العملية إلى قمتها في منتصف القرن. وكان أول من أدخل أمريكا إلى هذه العملية هو المدعو «ادوارد ماندل هاوز» «عُرِفَ تحت اسم «الكولونيل هاوز» على الرغم من أنه لم يكن عسكريا في يوم من الأيام»[1]. وهو أمريكي من الجنوب أصله هولندي بريطاني ترعرع في تكساس في فترة صعبة تلت نهاية الحرب الأهلية. - وهو إحدى الشخصيات المثيرة في حكايتنا هذه. وكان «هاوز» مولعاً باستخدام السلطة بواسطة أيدي غريبة وهو أمر أقره هو بصراحة في يومياته المكتوبة.

وكما لاحظ ناشر تلك اليوميات المدعو «تشارلز ميمور» فقد تجنب «هاوز» العلانية وكان يملك روح دعابة ماجنة أذكاها إيمانه بأنه على الرغم من تواضع أموره المالية والوظيفية، وعلى الرغم من عدم شغله لأي منصب رسمي وعلى الرغم من عدم ملاحظة أحد له وعلى الرغم من كل ذلك استطاع عمليا أن «يحرف ويحور سير الأحداث التاريخية» حيث لم يعرف التاريخ أحداً كان يملك مثل هذه السلطة ولم يتحمل أي مسؤولية. وكما كتب «هاوز» نفسه: «لم يكن صعبا أبدا ومن دون أي مسؤولية الجلوس مع سيجار وكأس من الخمر وتقرير ما يجب فعله».

1ـ من صلاحيات الرئيس الأمريكي منح رتبة عقيد (كولونيل) للأشخاص المدنيين لقاء خدمات غالباً ما يجهلها الراي العام و (روزفلت) منح رتبة جنرال للمدنيين مقابل مثل هذه الخدمات على سبيل المثال حصل المدعو دافيد سارنوف ملك التلفزيون الأمريكي (١٨٩١-١٩٧١) وهو من مواليد روسيا البيضاء على هذا اللقب.

و «هاوز» في حقيقة الأمر لم يكن يقود الدولة الأمريكية بل هو فقط دفع بسياستها إلى جهة الصهاينة ودعم الثورة العالمية وخلق الحكومة الخارقة. وقد ثبت تماما بأنه كان يملك سلطة سرية خفية.

وأما معرفة الدوافع التي دفعته إلى توجهيها إلى تلك الجهة فكانت شبه مستحيلة لأن أفكاره كانت متناقضة وغير مفهومة، وبالتالي من الصعب على أساسها وضع أي تصور واضح.

وتبين مذكراته بوضوح كيفية قيامه بعملية القيادة الخفية ولكنها لا تعطي الجواب على السؤال: ما الذي كان يبغيه ويريده في نهاية الأمر وهل كان هو نفسه يعلم بما يريد؟. في هذا المجال تكشف روايته عن عقل مملوء بالأفكار الديماغوجية غير الناضجة والتي لا تعرض بوضوح كافٍ.

وفي بداية كتابه توجد مقدمة مكتوبة بفخفخة معهودة واضحة: «هذه الكتابة مهداة إلى أولئك التعساء الكثيرين من الناس الذين عاشوا وقاموا ولم يحصلوا على ما أرادوا، لأنه منذ البداية كانت البنية الاجتماعية للعالم موضوعة بشكل سيئ»..

على ما يبدو هذا الكلام يجب أن يفهم منه بأن أحداً ما في الأعالي أنجز عمله بشكل غير مقبول وهو الذي يشار إليه بكلمات «في البداية خلق الرب السماء والأرض».

وفي البحث عن الأفكار السياسية لـ «هاوز» وعالمه نصطدم بتفاصيل مثيرة للغاية. فقد اكتشف ناشره إحدى الكتابات المبكرة لـ «هاوز»: «وهي تذكر كثيراً «بلوي بلان» و «ثوري» عام /١٨٤٨م/». ونحن سابقا لفتنا نظر القارئ إلى لوي بلان الثوري الفرنسي الذي أراد عام /١٨٤٨م/ لعب دور «لينين» عندما دعا إلى مؤتمر نواب العمال بشكل يشابه مجالس العمال في روسيا عام /١٩١٧م/. ولكن وجود مثل هذه الآراء عند تكساسي من نهاية القرن التاسع عشر هو أمر غريب وغير متوقع تماما مثل غرابة البوذية لدى سكان الأسكيمو. ولكن يبقى الواقع في أن «هاوز» خلال شبابه وتحت تأثير ما أُعجب بتلك الأفكار الثورية.

الاسم الثاني لـ «هاوز» هو «ماندل» وفي هذا الخصوص يذكر كاتب سيرة حياته المدعو «أرتور هاودن» «Howden» بأن «هاوز» الأب أطلق على ابنه اسم «ماندل» تيمناً بصديق يهودي اسمه «ماندل» ولكن في الحقيقة كون الأب أعطى ابنه اسماً يهوديا بحتاً إنما يدل على الانتماء إلى العرق اليهودي.

في قصة كتبها «ماندل هاوز»، يرفض بطل القصة كل المنافع وأسباب الراحة ويعيش في غرفة حقيرة في نيويورك مع يهودي بولندي هاجر إلى أمريكا هربا من الأعمال المعادية لليهود في وارسو، والتي كان السبب فيها اغتيال ابن أحد المسؤولين الحكوميين هناك على يد شاب يهودي لم يعد يحتمل الاضطهاد».

وفي السنوات التالية كان مستشاره وزوج أخته يهوديا أيضا وهو الدكتور «سيدني ميزيس» وهو أحد الداعين الأوائل لتأسيس دولة أممية خارقة. «ما يدعى برابطة الإكراه على السلام». ذلك كل شيء تقريبا يمكن معرفته عن الجو الفكري الذي تكونت خلاله آراء «هاوز» ومعتقداته.

وفي أحد أكثر كتاباته صراحة ذكر «هاوز» كيف يمكن الإيحاء بالأفكار إلى الناس الآخرين وأشار إلى أنه يُعد نفسه جبارا عظيما ولم يلاحظ أنه في حقيقة الأمر كان عاجزا تماما: «وعن محاولتي التأثير على الرئيس مثل ما هو الحال عند محاولتي التأثير على الآخرين، كنت أحاول دائماً الإيحاء له بأن الأفكار التي يستقيها مني هي أفكاره الذاتية..... ولكن لو اعترفنا بالحقيقة فهذه الأفكار لم تكن أبدا تعود إلي... إن أصعب أمر في الوجود هو متابعة مصدر أي فكرة كانت... وغالبا ما نعتبر نحن بأن بعض الأفكار تعود لنا على الرغم من أننا في الحقيقة وفي حالة ما تحت الوعي نأخذ تلك الأفكار من الآخرين»..

بدأ «هاوز» يطلع على السياسة ويحتك بها في سن الثامنة عشرة من عمره في تكساس في فترة الانتخابات الرئاسية عام /١٨٧٦/ وبسرعة فهم أن الدولة في الواقع تدار «فقط من قبل الرئيس واثنين أو ثلاثة من النواب وكذلك من قبل اثنين أو ثلاثة من مجلس الشيوخ. أما البقية فهم عبارة عن شخصيات صورية لا حول لها ولا قوة.... لذلك لم أحاول قط الحصول على منصب رسمي ولم أود أبدا أن يبح صوتي بالخطابات».. «والأمر نفسه يكرره سياسي من روايته عام /١٩١٢م/: «في واشنطن شاهدت أنا بأنه في السلطة يقف فقط عدة أشخاص وأما البقية فتقف خلف هذه الدائرة الضيقة ولا أحد منهم يملك أي قيمة، لذلك حاولت وجهدت لأدخل إلى تلك الدائرة. وأنا الآن لا أود فقط البقاء ضمنها بل وأريد أن أكون الدائرة نفسها...

لقد طلب مني الرئيس قيادة حملته الانتخابية... لقد نجح وأعيد انتخابه بأغلبية الأصوات. ووجدت نفسي داخل الدائرة السحرية وليس بعيدا عن الهدف التالي وهو اختفاء المنافسين لي. أنا تقريبا رميت لفة حبال حول الناس وهي تمسك بهم بقوة»».

وبمثل هذه الغطرسة والتعجرف دخل إلى الحلبة السياسية في تكساس: «لقد بدأت من فوق وليس من الأسفل.... وعادة كنت أجعل من أي شخص واجهة، حتى لا تعيقني عن العمل تلك الأمور التي على الرئيس الالتزام بها.

إن أي رئيس للحملة التي أقودها تسره وتمتعه الإعلانات والدعاية والتصفيق الحار من الجمهور ومن الصحافة... ولكن بعد فترة ينساه الجميع.

وعند بدء حملة انتخابية جديدة تقوم الصحافة والجمهور برفع شخصية معتبرة جديدة». واستخدم «هاوز» تكساس كما يستخدم الفنان المبتدئ الريف للصعود والشهرة. وكان منظما حزبياً بارعاً لدرجة أنه في نهاية القرن أصبح الحاكم الفعلي والوحيد للولاية، وكان يجلس يوميا في مكتب حاكم الولاية «الذي عينه هو» في مقر الحكومة ومن هناك يختار النواب في الكونغرس المحلي وهو من كان يصدر القرارات والتوجيهات.

بعد ذلك أخذ يجهز نفسه للظفر بالعاصمة وفي عام /١٩٠٠/: «مللت من الوضع الذي كنت عليه في تكساس». وأصبح جاهزا لممارسة الأعمال الحكومية العالية.

وفي عام /١٩١٠/ وقبيل الحرب أخذ يبحث عن شخصية تصلح كمرشح للحزب الديموقراطي في انتخابات الرئاسة وهكذا وفي سن الخمسين أصبح «هاوز» وبحق «President Maker» وقبل أن يقرأ مؤلف هذا الكتاب ما كتبه «هاوز» من «ملاحظات خاصة» أثار ذهوله ذلك الاطلاع العميق الذي لا تفسير له والذي تمتع به الصهيوني الأمريكي الشهير الحاخام «ستيفن عويز» «عوزي» الذي قال حرفيا في عام /١٩١٠/ في أحد الاجتماعات في نيويورك «يوم الثلاثاء سينتخب المستر «فورد ويلسون» حاكماً لولايتكم ولكنه لن ينهي فترة خدمته كحاكم للولاية لأنه سينتخب في تشرين الثاني «نوفمبر» عام /١٩١٢م/ رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية. ومن ثم سيعاد انتخابه مرة أخرى لهذا المنصب».

لقد كان ذلك معرفة دقيقة لما سيجري في المستقبل تماما كما عرفت المستقبل «البروتوكولات» وكذلك «ليف بينكسر» و «ماكس نوردا».

ومع البحث التالي العميق في هذه القصة أتضح بأن «عوزي» حصل على هذه المعلومات من «هاوز» وعلى ما يبدو بأن «ويلسون» كان في ذلك الوقت هدفا لبحث دقيق من قبل أناس اتفقوا فيما بينهم «وهم غير معروفين بالنسبة له وللآخرين لأن «هاوز» و «عوزي» لم يلتقيا مع «ويلسون» حتى ذلك الوقت ولا مرة.»

وعلى الرغم من ذلك فقد كتب «هاودين» «Howden وهو كاتب سيرة «هاوز» بأن «هاوز» «لم يكن لديه أي شك بأنه عثر على الشخص المطلوب على الرغم من أنه لم يكن يعرفه قبل ذلك أبدا «بعد ذلك يسرد «هاودين» كلمات «هاوز» نفسه»: «لقد وقع اختياري على «فورد ويلسون» لأنه كان الوحيد الذي يصلح لهذا المنصب من كافة النواحي». وبعد ذلك يشرح «هاوز» نفسه أي من الخواص كانت الحاسمة: «والمشكلة مع مرشحي الرئاسة تتلخص في أن الشخص الجيد لا يمكن ترشيحه وحتى لو حصل ذلك فلن ينتخبه أحد. الشعب نادرا ما يختار الأفضل. لذلك نضطر إلى ترشيح من لديه الفرصة بأن يكون منتخبا. وفي الوقت الحالي أفضل من يصلح لذلك هو «ويلسون». والحاخام «ستيفن عوزي» هو أيضا مثله مثل «هرتزل» و «نوردا» من أصول هنغارية من بودبست. «Stephen Wise مواليد /١٨٧٤م/ ابن حاخام كانت كنيته الأصلية Weiss-ملاحظة الترجمة-» وقد كان المنظم الأساسي للصهيونية في أمريكا مما جعله شخصية غير اعتيادية بين اليهود في أمريكا الذين لم يكونوا في ذلك الوقت يرغبون بأي صهيونية ونظروا بريبة وشك ودائم إلى يهود أوربة الشرقية.

وكما كتب «عوزي» نفسه حتى عام /١٩٠٠م/ كانت الصهيونية منتشرة بشكل خاص وسط المهاجرين اليهود من روسيا. وأما الكتلة الأساسية من اليهود الأمريكان فكانت في ذلك الوقت من أصول ألمانية ولم ترغب حتى في السماع عن الصهيونية. ولكن في فترة /١٩٠٠-١٩١٠م/ وصل مليون مهاجر يهودي جديد من روسيا وأصبحوا تحت القيادة الصهيونية كتلة انتخابية لا يستهان بها. ومن هنا العلاقة بين «هاوز» والحاخام «عوزي» الذي كان في الأساس داعية وخبيراً في الشأن العمالي ولكنه كان يملك المفتاح الحقيقي إلى أصحاب السلطة الحقيقيين «مثل «حاييم وايزمان» في لندن»[1].

١- (عويز) أو (ويس) كان أحد المؤسسين للمنظمة الصهيونية الأمريكية عام /١٨٩٨م/ (هي سن /٢٤/ سنة)،وأصبح رئيساً لها في فترة/١٩٣٦-١٩٣٨م/ وكتبت الموسوعة الأمريكية بأن تأثيره كان كبيراً على الكثير من رجال السياسة والمجتمع البارزين في امريكا ومن ضمنهم الرئيس (ويلسون) وفي عام /١٩١٧/ اسس (عويز) ما يسمى بالكونغرس اليهودي الأمريكي (American Jewish Congress) ومثله في مؤتمر فرساي عام /١٩١٩م/ وأصبح رئيسا له في أعوام /١٩٢٥-١٩٢٩م/ و/١٩٣٥-١٩٤٩م/ وتحول بفضل ذلك إلى الزعيم العالمي لمحاربة (هتلر) (الموسوعة الأمريكية نيويورك /١٩٦٨م/ المجلد/٢٩/ ص/٧٩-٨٠/) واعلن الكونغرس اليهودي العالمي الذي أسسه (عويز) /١٩٣٦/ (World Jewish Congress) الحرب رسمياً على ألمانيا عام /١٩٣٩م/ مما حول اليهود في ألمانيا والبلدان المحتلة من قبلها إلى أبناء شعب معادٍ لألمانيا حسب معاهدة جنيف حول الحرب والتي سمحت بإدخالهم إلى معسكرات الاعتقال.

ولا شك بأن هذه المجموعة من وراء الكواليس كانت تمسك بزمام الأمور بحزم ويظهر ذلك بوضوح من إعلان الحاخام «عوزي» على الملأ بأن «ويلسون» هو الرئيس القادم وتم ذلك مباشرة بعد أن قرر «هاوز» مع نفسه بأن «ويلسون» يصلح لذلك.

وتجدر الإشارة بأن الحاخام «عوزي» كان في البداية من أنصار الحزب الجمهوري ولكنه وبعد أن وقع اختيار «هاوز» على «ويلسون» كمرشح، انتقل «عوزي» إلى معسكر الديمقراطيين.

وكان التناغم والتوافق بين «هاوز» و «عوزي» مثاليا وقد كتب «عوزي» بعد الانتخابات يقول: «لقد حصلنا على دعم حار من طرف أقرب أصدقاء الرئيس من الكولونيل «هاوز»... «الذي» ليس فقط أخذ أهدافنا قريبا من قلبه بل وحتى أصبح حلقة الوصل «Lioson Officer» بين حكومة «ويلسون» والحركة الصهيونية» ولا يوجد أي شك في التوافق التام في العمليات السرية التي جرت في بريطانيا وفي أمريكا.

ويكمن سر نجاح «هاوز» بقيادة الحملة الانتخابية للحزب الديموقراطي في الاستراتيجية التي وضعها والتي ضمنت نجاح الحزب الديموقراطي بعد غياب عن السلطة استمر خمسين عاماً. لقد وضع طريقة سمحت بالفوز في الانتخابات بدقة متناهية.

ونجح الديموقراطيون بفضل «هاوز» في عام /١٩١٢/ و /١٩١٦/ في الانتخابات الرئاسية وكذلك في انتصار «روزفلت» و «ترومان» في أعوام /١٩٣٢/ و /١٩٣٦/ و /١٩٤٠/ و /١٩٤٤/ و /١٩٤٨م/.

وبفضل الخطة العبقرية استطاع «هاوز» أن يمد نفوذه السياسي في أمريكا على الرغم من أنه لم يكن يملك أي أفكار سياسية واضحة وخاصة به، ولكنه خلق أدوات رائعة لتمرير أفكار الآخرين. وفي صلب هذه الطريقة كان يكمن الحصول على أصوات المهاجرين الجدد من بين «الأجانب» لمصلحة الحزب الديموقراطي وعن طريق التأثير على شعورهم القومي والعرقي.

والطريقة كانت موضوعة بتفصيل دقيق وكانت واضحة فيه يد معلم بارع في علوم السياسية.

ويبدو مذهلا جدا أن «هاوز» نشر علنيا خطته بكل أسرارها تحت اسم مستعار في عام /١٩١٢م/ وهي سنة انتخاب «ويلسون» رئيسا. وقد كتب «هاوز» روايته خلال شهر واحد وكان عنوانها «الإداري فيليب دريو» «وهذه الكلمة غير العادية تذكرنا بتلك «البروتوكولات» حيث ذكرت بعض سطورها في ترجمتها الإنكليزية عن «الإداريين الذين

سنختارهم»...» وفصل «كيف يصنعون الرؤساء» من الكتاب يتحول هذا العمل إلى وثيقة تاريخية من الدرجة الأولى.

وفي هذا الفصل من الرواية جرى تصوير سيناتور أمريكي يدعى «سيلفين» أراد إدارة البلاد بيد صلبة ولكن بحيث يبقى هو قوة تُدير من الخفاء». ومن المفهوم أن «هاوز» تقمص بنفسه شخصية «سيلفين» لأنه لم يستطع مقاومة إغراء التلميح إلى نفسه وذلك يبدو واضحا حينما قام «سيلفين» بدعوة الرئيس المنتخب من طرفه والألعوبة في يديه «إلى العشاء معي في شقة «ماندل هاوز» فظل «سيلفين» يبحث عن مرشح». وقبل ذلك قام «سيلفين» وبمشاركة «أحد كهنة رأس المال» المدعو «جون تور» بوضع «خطة قذرة» والتي بواسطتها تتمكن «منظمة متماسكة» وعن طريق استخدام أحقر وسائل الخداع والتمويه بإيصال صنائعهم إلى منصب الرئاسة».

وأما التمويل فكان سهلا جداً: «كان تأثير ونفوذ تور في الأوساط التجارية والمالية الأمريكية مطلقا... واختار تور مع «سيلفين» مجموعة من الأغنياء عددها ألف مليونير كان على كل منهم دفع عشرة آلاف دولار.

وأقنع تور كلاً منهم بأن الأمر يتعلق بازدهار الأوساط التجارية وأن الأمر يتطلب فقط عشرين ألف دولار يدفع منها تور عشرة آلاف أما العشرة الأخرى فيدفعها من كان يتحاور مع تور ومن دون أن يعلم عن «المتبرعين» الآخرين. وقام تور بذكاء بإيداع الأموال العائدة لـ «صندوق الاحتيال العظيم» في عدة مصارف مختلفة وبعد ذلك حولها «سيلفين» إلى بنك صهره، و «نتيجة لذلك لم يعرف الرأي العام أي شيء لا عن الصندوق ولا عن استخدامه».

وبواسطة هذا الأساس المالي قام «سيلفين» باختيار «صنيعته» المدعو «روكلاند» «وعلى أرض الواقع هو طبعاً «ويلسون» وعلى مائدة العشاء عند «ماندل هاوز» يقوم «سيلفين» بإخبار «روكلاند» بأنه مهمته كرئيس ستكون غامضة ومائعة: «على الرغم من أن الدستور يعطي الرئيس حق الإدارة بشكل مستقل إلا أنه لا يملك الحق الأخلاقي بالسير ضد الخط السياسي والتقاليد المتبعة في حزبه أو ضد نصائح القيادة الحزبية لأن الشعب والبلاد تأخذ المرشح والحزب ومستشاريه كوحدة واحدة لا تنقسم». «ونلفت النظر إلى التشابه الكبير لهذه السطور مع الإملاءات المماثلة «للبروتوكولات» حول المسؤولية الرئاسية والدور الحاسم للمستشارين».»

ويخضع «روكلاند» طائعاً لهذه الشروط ولكن بعد الانتخابات تبهره السلطة فيحاول إهمال مستشاريه وإبداء الاستقلالية عدة المرات ويتخذ قرارات مهمة من دون استشارة «سيلفين».... ولكن بعد الهجوم الكاسح من طرف جرائد «سيلفين»... لم يعد «روكلاند» يفكر بأي استقلالية في المستقبل ويشعر بنفسه عاجزاً تماماً في أيدي ذلك الإنسان القوية وهو في حقيقة الأمر كان كذلك».

وتثير المتعة مقارنة السطور السابقة من رواية «هاوز» المكتوبة في عام /١٩١٢م/ قبيل استلام «ويلسون» منصب الرئاسة مع ما كتبه «هاوز» في «ملاحظته الخاصة» عام /١٩٢٦م/ حول علاقته بالمرشح الرئاسي خلال الحملة الانتخابية.

«هاوز» قام بتنقيح خطاب المرشح بالكامل وأعطاه الأوامر بعدم سماع نصائح أحد. وفي الجواب اعترف له «ويلسون» بخرق تلك «الالتزامات ولكنه وعد بأن لا يبدي أي استقلالية في المستقبل».

وفي الرواية يقوم «سيلفين» بإخبار تور عن محاولة «روكلاند» الخروج عن الطاعة: «وعندما سرد محاولة «روكلاند» الخروج عن الطاعة والتحرر وكيف جرت إعادته وباحتقار إلى مكانه المعهود. انفجر الاثنان من الضحك» (هذا الفصل يحمل اسم «غبطة المتآمرين»). وفي فصل آخر يجري الحديث عن الطريق التي بواسطتها تم الوصول إلى انتخاب «الصنيعة».

والطريقة المذكورة وفي هذا الفصل تتحول الحملة الانتخابية تقريبا إلى علم دقيق وهي في حقيقة الأمر السائدة في الحملات الانتخابية الأمريكية منذ ذلك الحين. وهي تقوم على اعتبار أن /٨٠٪/ من الناخبين وخلال أي ظروف سيعطون أصواتهم إلى أحد الحزبين المتنافسين ولا شك بأن النسبة للحزبين المتنافسين ستكون مناصفة. لذلك فإن الجهود كلها والأموال يجب تركيزها على «معالجة» العشرين بالمئة الباقية.

وتتعرض الـ /٢٠٪/ لتحليل طويل وعميق- حتى تبرز بقية غير كبيرة وعلى التعامل معها يجب تركيز جهود عظيمة وتلغى كل المصاريف غير الضرورية حتى آخر سنت وتتركز كل الجهود والطاقات على مجموعة غير كبيرة من الناخبين والتي في واقع الأمر يمكنها التأثير على سير ونتائج الانتخابات. وهذه الطريقة أثبتت نجاحاتها في تغيير سير التصويت إلى الجهة المطلوبة في انتخابات أمريكا وفي أماكن أخرى من العالم مما يدعو إلى البحث فيها بعمق مرة أخرى.

ويبدأ «سيلفين» حملة الترشيح إلى انتخابات الرئاسة بشخص لا يملك أي فرصة للنجاح ويركز انتباهه على اثنتي عشرة ولاية وهي التي تحسم أصواتها نتيجة الانتخابات، ويقسم هذه الولايات إلى مجموعات كل منها تضم خمسة آلاف ناخب ويعين لمراقبة تلك المجموعة شخصاً محلياً وشخصاً آخر في المكتب المركزي للمرشح. ثم يجري حساباته على أساس أن كل أربعة آلاف من الخمسة في المجموعة سيتقاسمها الحزبان المتنافسان بالمناصفة، ولن يخون أحد منهم «من الأربعة آلاف» حزبه في الانتخابات. ويبقى لديه في كل مجموعة ألف ناخب يلف الغموض نواياهم الانتخابية. ألف ناخب من كل خمسة آلاف في /١٢/ ولاية يجب التركيز عليهم. مهمة المندوب المحلي للحزب هي جمع المعلومات الكافية والدقيقة عن «ديانة وعرق وعمل وهواية وأهواء» كل واحد منهم «من الألف» وعليه إبلاغ كل هذه المعلومات إلى المندوب المسؤول عن تلك المجموعة في المكتب المركزي الانتخابي للحزب. بعد ذلك يجب أن يجري التأثير على كل منهم بواسطة «المطبوعات والمعتقدات أو حتى بوسائل أخرى أكثر دقة».

وهذان المندوبان- أحدهما محلي والآخر مركزي يجب أن يؤمنا الأغلبية في الألف صوت المسؤولين عنها. وفي نهاية الأمر تبذل مجموعة «سيلفين» ربع الجهود المادية والمعنوية التي بذلها المنافسون ولكنهم «أي جماعة سيلفين» أرسلوا في ظرف مغلق رسالة حميمة إلى الناخب المقصود والذي لم يقرر بعد لمن سيصوت والذي بصوته سيحسم نتيجة الانتخابات.

وأما المنافسون فيضيعوا الأموال والجهود الكثيرة وأرسلوا الدعاية والناس إلى جميع الولايات وأما «سيلفين» فأرسل المندوبين إلى المجموعات الانتخابية للإقناع الشخصي لكل منهم لدعم «روكلاند».

وبفضل طريقة التحليل الناجحة هذه وعن طريق الحذف وتركيز الجهود انتصر «روكلاند» في الرواية و «ويلسون» في الواقع في انتخابات عام /١٩١٢م/. «هكذا انتصر «سيلفين» وأما «روكلاند» فأصبح حجر الأساس في البناء الذي أشاده «سيلفين».

بقية الرواية لا تثير أي اهتمام ولكنها تحتوي على عدة أماكن ممتعة. يوجد فصل تحت عنوان «تاريخ المستقبل /١٩٢٠- ١٩٣٥/. «بطل الرواية «فيليب دريو» شاب يافع تلميذ الكلية العسكرية في «ويست بوينت» ترأس جماعة من المحتجين الغاضبين بعد افتضاح مؤامرة «سيلفين» مع تور ومن الممتع والمثير الطريقة التي جرى فيها ذلك: في مكتب تور كان يوجد ميكروفون مخفي «وهو شيء لم يكن معروفاً في عام /١٩١٢/ ولكنه الآن

شيء عادي في سياسة أيامنا هذه كروزنامة المكتب». وقد نسي تور إطفاءه وبالتالي استمعت سكرتيرته إلى حديثه البهيج مع «سيلفين» بعد انتصار «روكلاند» وأطلعت السكرتيرة الصحافيين على ذلك «الأمر الذي لا يصدق هو قيام الصحافة بنشر تفاصيل الحديث المذكور». وقام «دريو» بجمع جيش «وكأنه بعصا ساحر جرى تسليح ذلك الجيش بالبنادق والمدافع». وهزم «دريو» الجيش الحكومي في معركة واحدة وحيدة واحتل واشنطن وأعلن نفسه «إداري الجمهورية» وكان أول قرار حكومي له «كما والرئيس «ويلسون» هو الإعلان عن «ضريبة الدخل المتزايدة والتي لا تستثني أي دخل مهما كان». «البيان الشيوعي لـ «كارل ماركس» تطلب فرض «ضريبة متزايدة عالية» وأما «البروتوكولات» فتطلبت- «ضريبة متزايدة على الممتلكات» -».

وبعد ذلك مباشرة هاجم «دريو» المكسيك وجمهورية أمريكا الوسطى وانتصر عليهم في معركة واحدة ومن ثم وحدهم تحت راية العلم الأمريكي الذي يصبح في الفصل التالي «شعار النفوذ الذي لا جدل فيه» بالنسبة لكندا الفرنسية والبريطانية ولكل الممتلكات الأخرى في الهند الغربية. وبالطبع «سيلفين» وكذلك «دريو» يجسدان في الوقت نفسه الكولونيل «هاوز».

«سيلفين» بالطبع منظم حزبي لا مثيل له وهو حامل خفي للنفوذ والسلطة العليا وأما «دريو» فهو «طوباوي حالم» ومشوش الأفكار استولى على السلطة ولا يعرف ماذا يفعل بها. وكما كان متوقعاً فإن «هاوز» نفسه في النهاية لم يكن يعرف ما سيفعل مع الشخصيتين اللتين اختلقهما.

وقام بجعل «سيلفين» رمزاً للشر في الرواية وفي الوقت نفسه صديقاً للبائس «دريو». وأما «دريو» فلم يجد مصيراً أفضل من أن يجعله طعاماً للدب. لقد أركبه هو وفتاة تعشقه اسمها «غلوريا» على ظهر سفينة أبحرت إلى جهة مجهولة.

وأنهى الرواية بالتساؤل: («غلوريا السعيدة»! «فيليب السعيد»! إلى آين يبحران؟ هل سيعودان؟ هذا هو سؤال الجميع ولكن أحداً لم يجب عليه).. وغالباً لم يحاول أحد قراءة الرواية حتى نهايتها. ولم يهتم أحد بمصير «فيليب» و «غلوريا» ولكن يوجد شخص واحد لا بد بأن هذه الرواية كانت بالنسبة له عظيمة الأهمية وهو الرئيس «ويلسون». وفي هذا المجال طبعاً رواية الإداري «فيليب دريو» لا مثيل لها. ويظهر هنا سؤالان يلاحقان أي مؤرخ: الأول: هل قرأ «ويلسون» الرواية؟ والثاني: ما الذي أو من الذي دفع «هاوز» إلى النشر العلني للصورة الدقيقة لما حدث في ذلك الوقت فعلاً عندما أصبح صنيعته في البداية مرشحاً ومن ثم رئيساً؟

وفي ضوء ذلك يصبح طابع الرواية عبارة عن تهكم واستهزاء سار ويصبح مفهوماً للقارئ بأن الناس الذين كانوا حول الكولونيل «هاوز» هم على شبه تام بأولئك الأشرار المذكورين في روايته في فصل «غبطة المتآمرين» هل يمكن التصور بأن «فورد ويلسون» لم يقرأ الرواية المذكورة؟ ولكن أحداً من أصدقائه أو حتى أعدائه في فترة الانتخابات كان ولا بد سيعطيه إياها. وعلى المؤرخ طرح سؤال على نفسه ألم يكن الاطلاع على الرواية هو السبب في الحالة الجسدية والمعنوية المريضة التي حلت على الرئيس بعد انتخابه والتي وصفها بعض من ألتقى معه في تلك الفترة. لقد كتب «هاوز» عن الرئيس «ويلسون» ما يلي: في تلك الفترة /١٩١٤م/ ومن ثم عدة مرات بعد ذلك بدا لي أن الرئيس يبحث عن الموت ويطلبه.

لقد كانت حالته المعنوية وتصرفاته تدل بكل وضوح بأنه لم يعد يجد السعادة في أي شيء في الحياة. وبعد أن أصبح «ويلسون» رئيساً كتب السفير البريطاني السير «غوراتسي بلانكت» إلى «هاوز» يقول: «لقد زرت الرئيس وأذهلني كم كان يبدو متعباً ومرهقاً والتغيير الواضح عليه منذ كانون الثاني «يناير» «شهر استلامه للسلطة - ملاحظة الترجمة-» هو مخيف للغاية. وبعد ست سنوات قال السير «ويليام أويزمن» لـ «هاوز»: «لقد أذهلني منظر الرئيس... لقد بدا وجهه مصفراً وشاحباً ومتعباً وكان واضحاً أن أعصابه مهتزة تماماً /١٩١٩م/». السير وليام كان المبعوث البريطاني الخاص».

و نلاحظ التشابه الكامل بين ما ذكر في وصف الرئيس «ويلسون» مع الوصف اللاحق للرئيس «روزفلت» الذي عده «هاوز» أيضاً صنيعة له. وكما كتب «روبرت شيرفورد» «صحفي أمريكي شهير وكاتب دراما وصديق حميم للسوفييت في الثلاثينيات وخلال الحرب كان المؤلف الرسمي لخطابات الرئيس الأمريكي- ملاحظة الترجمة-» فقد لاحق شبح «ويلسون» الرئيس «روزفلت» وبعد مرور سنتين من الانتخاب الأول لـ «روزفلت» كتب عنه «جيمس فارلي» «أحد إداريي الحزب الديموقراطي»: «لقد بدا لي الرئيس سيئاً ووجهه مرهقاً و رد فعله بطيئاً للغاية «١٩٣٥».

وبعد مرور سنتين كان نفس الشخص «مذهولاً لمنظر الرئيس» «١٩٣٧». وكذلك أذهل شكل الرئيس السيدة «تشان كاي شي» في عام /١٩٤٣م/. وأما «ميريمان سميث» فقد كتب في عام /١٩٤٤م/ بأن «روزفلت» «كان يبدو أكثر شيخوخة من أي وقت مضى وكان حديثه عديم المحتوى تماماً». وفي الوقت الذي «أذهلت صور الرئيس الدولة كلها والشعب» كما ذكر «جون فلين».

أما الآنسة «فرينسيس بيركينس» عضوة حكومة «روزفلت» فقد قالت في إحدى المرات بعد أن غادرته في عام /١٩٤٥م/: «أنا لم أعد أقدر على تحمل ذلك. إن منظر الرئيس مرعب للغاية».

ولاشك بأن أقرب طريق لكي يصبح الإنسان تعيساً هو الحصول على السلطة على شكل أداة تحركها أيدي الذين يقفون في الخفاء. ولاشك بأن «ويلسون» كان يبدو ضئيلاً جداً من خلال قراءة تلك الشهادات التي أصبحت الآن ملك التاريخ.

الكولونيل «هاوز» والحاخام «عوزي» «عويز» وغيرهم ممن كانوا حوله نظروا إليه كمن يحتفظ المحترف بحشرة محنطة.

وعندما كان في سن العشرين قرر «ويلسون» بأنه سيصبح في أحد الأيام الرائعة رئيساً للدولة فإنه ولاشك أقل ما كان يدفعه إلى ذلك هو الإرادة الإلهية.

وفيما بعد أصبح ذلك معروفاً عندما قام «ريبي عويز»[1] بطرح سؤال عليه: «في أي وقت أخذتم تفكرون أو تحلمون بالرئاسة». والحاخام كان يعلم أكثر من «ويلسون» نفسه كيف تم تحقيق حلم هذا الأخير، وهو على ما يبدو طرح السؤال مع فكرة مبطنة ولكن لا شك بأن جواب «ويلسون» آذهله حين قال: «بعد التخرج من كلية «دايفسونوف» في كارولينا الجنوبية لم يمر يوم واحد إلا وحلمت فيه بأنني سأصبح رئيساً». بعد ذلك جاء سؤال ساخر لاذع: وحتى عندما كنت مدرساً في كلية البنات؟».

وأجاب «ويلسون» وكان من الواضح أنه نسي حقيقة الأمور فقال مكرراً: لقد كنت واثقاً دوماً بأنني سأصبح رئيساً وأعددت العدة لذلك».

وبين الاختيار السري لـ «ويلسن» من قبل «هاوز» عام /١٩١٠م/ وترشيحه الرسمي للرئاسة عام /١٩١٢/ اضطر عدة مرات وفي العلن الإعلان عن ولائه للصهيونية. وبذلك انزلق الشعب الأمريكي في القضية اليهودية تماماً كما ارتبط بها الشعب الإنكليزي بعد عرض أوغندا عام /١٩٠٣/.

وخلال حملته الانتخابية تعرض المرشح «ويلسون» لمسألة «حقوق اليهود» وقال ما يلي: «أنا أتحدث هنا ليس لأبدي ميلي وتعاطفي مع مواطنينا اليهود بل لأعرض بوضوح وحدتنا التامة معهم... إن ذلك ليس فقط هدفهم إنه هدف أمريكي».

١- ريبي: هو تدليع لكلمة حاخام في أوربة ـ المترجم.

وهذه الكلمات يمكن أن تحمل معنى واحداً فقط وهو إعلان للسياسة الخارجية واتجاهها في حال اختيار «ويلسون» رئيساً. فلم تكن هناك أي حاجة أو أي داعٍ للحديث عن وحدة بعض الأمريكان مع بعضهم الآخر، وأما اليهود في أمريكا فكانوا على الدوام متساويين في كل شيء مع الجميع وأحراراً تماماً. وهذا الحال كان يمكن أن يتغير فقط نتيجة رفض اليهود أنفسهم الاعتراف بوحدتهم مع أمريكا وعملياً قام «ويلسون» نفسه بإعلان هذا الرفض علنياً وعلى الملأ. وهو رسميا أشار إلى أن اليهود يتمتعون «بانفرادية» خاصة بهم وأن أمريكا تحت قيادته ستفعل ما بوسعها لدعم إصرارهم على الانعزال عن المواطنين الآخرين. وللناس العارفين كان ذلك هو عبارة عن تعبير عن التوافق التام مع الصهيونية. وكان ذلك غمزاً باتجاه روسيا وتهديداً مبطناً لها لأنه بذلك اعترف بالمهاجرين اليهود الروس مواطنين وممثلين لكل اليهود «يهود روسيا كانوا في ذلك الوقت الصهاينة الوحيدين المنظمين». وهكذا أخذ «ويلسون» على نفسه دور «بلفور» في العرض الأمريكي لهذه الدراما.

وفي ذلك الحين كانت الدعاية الصهيونية موجهة ضد روسيا وكان قد مر نحو /٣٠/ سنة على اغتيال القيصر «الكسندر الثاني» والذي كرهه الثوار لمحاولته إدخال النظام البرلماني إلى روسيا «وكما كتب «كاستين» فإن اشتراك اليهود في عملية الاغتيال كان أمراً طبيعياً للغاية». وأما «ألكسندر الثالث» القيصر التالي فقد اضطر إلى محاربة الثوريين بعزم أكبر.

في عهد الرئيس «ويلسون» كرر القيصر «نيكولاي الثاني» محاولة القيصر المحرر لتوحيد البلاد وتهدئتها وأعطى للشعب حق الانتخاب وهو أمر لاقى مقاومة ضارية من قبل الثوريين والصهاينة. وفي غمرة الثورة أصدر القيصر الروسي قانون عام /١٩٠٥/ جعل من روسيا ملكية دستورية وأدخل إلى الوجود هناك حق الانتخاب العام، وهذا الأمر بالذات أخاف الثوريين أكثر من الإعدامات فاستخدموا «الدوما الحكومية»[١] للإساءة والعصيان مما أجبر القيصر على حلها «حل البرلمان» وعين القيصر في منصب رئيس الحكومة رجل الدولة المتنور والمصلح «ستوليبين» الذي على الفور أصدر قانوناً عن الإصلاح الزراعي، وجاءت بعده انتخابات جديدة ونتيجة لذلك استقبل البرلمان الروسي الجديد «ستوليبين» بتصفيق حاد وخرج الثوريون بخفي حنين. «حصل ثلاثة ملايين فلاح محروم على أرض

١- البرلمان الروسي -المترجم

يملكها نتيجة للإصلاح الزراعي». وبدا مستقبل روسيا مضيئاً أكثر من أي وقت مضى وأصبح «ستوليبين» بطلاً قومياً معترفاً به، وقد كتب يقول: «أهم أهدافنا دعم وتقوية فلاحينا وريفنا لأن كل قوة البلاد تكمن فيهم. أعطوا البلد عشر سنوات من الهدوء والسكون الداخلي والخارجي وبعد ذلك لن تستطيعوا التعرف على روسيا». عشر سنوات هادئة هذه كانت يمكن أن تغير العالم إلى الأفضل ولكن المؤامرة تدخلت في الوقت المناسب وجاءت بعشرة أيام هزت العالم.

وفي عام /١٩١١م/ وخلال عرض أوبرا في مدينة كييف أطلق اليهودي الثوري «بوغروف» النار على «ستوليبين» وقتله «في عام /١٩١٧م/ اكتشف «قوميسار» يهودي بين جموع اللاجئين فتاة - كانت ابنة «ستوليبين» فقتلها على الفور».

قتل «ستوليبين» في عام /١٩١١/ في أيلول «سبتمبر» وفي كانون الأول «ديسمبر» عام /١٩١١/ أصبح «ويلسون» مرشحاً لانتخابات الرئاسة وأعلن تضامنه التام مع القضية اليهودية.

وفي تشرين الثاني «نوفمبر» /١٩١١م/ التقى «ويلسون» لأول مرة في حياته مع «هاوز» مع الشخص الذي اختاره في عام /١٩١٠م/. وبعد ذلك بفترة أخبر «هاوز» صهره قائلاً: «قبل ذلك لم أقابل في وقت واحد الرجل المطلوب والإمكانات المطلوبة». ووضع «هاوز» قبل الانتخابات قائمة «الوزراء في الحكومة المقبلة بالاشتراك مع «برنارد باروخ» الذي ظهر الآن لأول مرة على مسرح حكايتنا. ولاشك بأنهما سيكونان أهم شخصيتين على هذا المسرح خلال السنوات الخمسين القادمة.

«باروخ» أصبح مشهوراً كمستشار للعديد من الرؤساء على التوالي وفي عام /١٩٥٠/ أعطى المشورات والنصائح للرئيس «أيزنهاور» ولـ «ونستون تشرشل». على الرغم من أنه في عام /١٩١٢/ كان فقط معروفاً كرأسمالي ناجح.

وفي فترة الحملة الانتخابية عام /١٩١٢/ شعر «ويلسون» باللجام يوضع في فمه. فبعد عدة من التصرفات المستقلة من طرفه أجبر على أن يعد «هاوز» بأنه لن يكرر ذلك مرة أخرى. وفوراً بعد الانتخابات استقبل هو الحاخام «ستيفن عوزي» وأجرى معه حديثاً مطولاً وكما ذكر الحاخام فقد تبادلا خلاله الرأي عن «الأوضاع الروسية ولا سيما فيما يخص أوضاع اليهود في روسيا»

وأما «هاوز» فقد تناول طعام الغداء في ذلك الوقت مع المدعو «لويس برانديس» وهو محامٍ يهودي بارز والذي قال بعد ذلك: «لقد كنا متفقين فيما يخص أغلبية المشكلات المهمة في وقتنا الحاضر». وكما نرى فإن ثلاثة من أربعة من أهم مستشاري الرئيس «ويلسون» المقربين

كانوا من اليهود وقد لعب جميعهم الدور الأساسي في الانعزال الجديد لليهود وبمساعدة الصهيونية وكذلك في المتطلبات الفلسطينية للصهيونية.

وكان «برانديس» والحاخام «عوزي» «عويز» من أبرز الصهاينة في أمريكا و «برانديس» يستحق منا بشكل خاص أن نخصص له بعض السطور.

بالذكاء والشكل والمظهر الخارجي كان يتميز عن الآخرين، ولكن لا هو ولا حتى أي محامٍ آخر لم يكن يقدر أن يذكر ما الذي بالضبط جعل منه «يهودياً». فهو لم يكن ملتزماً بمتطلبات الديانة اليهودية لا بشكلها الأرثوذوكسي المتزمت ولا بشكلها الإصلاحي. وقد كتب ذات يوم يقول: خلال فترة طويلة من حياتي كنت على أقل ارتباط باليهود والدين اليهودي ولم تكن مشكلاتهم تهمني أبداً.

ولكن تحوله هذا كان غير معقول ورومانسي إلى حد كبير ويُذكّر بـ «بلفور»: ذات مرة في عام /١٨٩٧/ قرأ في إحدى الجرائد تقريراً عن خطاب لـ «هرتزل» في المؤتمر الصهيوني الأول وبعد ذلك قال لزوجته «هذه هي القضية التي أستطيع أن أكرس حياتي لأجلها».

وهكذا وفي لمحة بصر تحول يهودي أمريكي متسامح إلى صهيوني متعصب وأخذ يحارب المساواة: «المساواة يمكن التخلص منها فقط بإعادة المركز إلى وطننا والذي منه ستنتشر روحنا اليهودية».

ولكن مع هذا لم يثق الصهاينة الروس بهذا الناتج النموذجي للتحرر والمساواة والذي يحاول الآن وبكل قوة إلغاء تحرره.

لقد احتقروا ثرثرته الدائمة عن الأمركة وأقواله من نوع: «لقد توصلت أنا إلى الصهيونية عن طريق الأمركة وهذا الأمر بالنسبة للتلموديين يعني أنه يمكن الوصول إلى الصهيونية عن طريق «الترّوس» و «الروسنة» التي أرادوا هم تدميرها.

وحقاً لم يكن منطقيا أبداً الدعوة إلى أسوأ أشكال التفرقة العرقية العنصرية وفي الوقت نفسه إلى الافتخار بالمساواة الأمريكية.

وعلى ما يبدو أن المحامي الماكر «برانديس» لم يفهم أبداً الطبيعة الحقيقية للصهيونية وهو بالنسبة للصهاينة الأمريكان «هرتزلهم». «في الوقت نفسه كان «ستيفن عويز» هو «حاييم وايزمان» وقد تم لفظه كذلك ورميه بقسوة شديدة بعد أن لعب الدور المطلوب منه.

هؤلاء كانوا من أحاط بالرئيس وهم من أملى عليه رغبتهم وإرادتهم في تلك السنوات التي استعدت فيها أمريكا للخوض في الحرب العالمية الأولى. وهذا هو الهدف الذي كان يجب الوصول إليه عبره «عبر الرئيس» وعبر اشتراك بلاده في الحرب.

بعد الانتخابات ترأس «هاوز» كل مراسلات الرئيس وكان هو الذي يقرر من يجب أن يستقبل الرئيس أو على العكس من لا يستقبل، وهو الذي كان يملي على الوزراء ما يجب عليهم قوله وفعله. وفي ذلك الوقت كان «هاوز» قد انتهى من روايته العجيبة ونشرها.

لقد رغب في السلطة ووصل إليها ولكنه لم يعرف أبداً ماذا يريد بالضبط. كبرياؤه وغطرسته كانت على هذا الشكل ومن دون هدف. لقد كان يشبه بطل رواية أخرى لسياسي آخر «وينستون تشرشل» والذي قال عنه المؤلف: «الدوافع في أفعاله كانت الغطرسة العظيمة وكان «ساثرول» «اسم بطل قصة تشرشل» عاجزاً عن مقاومتها. وفي النهاية «نهاية حياته» أصبح «هاوز» مهجوراً ومنسياً من الجميع.

ولكن فيما بين عام /١٩١١م/ وعام /١٩١٩م/ اعتبر «هاوز» أن الحياة رائعة. لقد عشق السلطة لأجل السلطة ذاتها. ولم يود أن يكدر صنيعته «روكلاند» في البيت الأبيض: «كان هدفي الدائم أن يعتقد الرئيس وجميع الآخرين الذين أود التأثير عليهم بأن الأفكار التي أوحي لهم بها هي أفكارهم الذاتية». وفي واقع الأمر بإمكاني أنا التفكير في الكثير من الأمور أفضل وأعمق من الرئيس، ولدي القدرة على في البحث فيها أكثر منه. ولكن لا يمكن لأحد أن يكون مسروراً وهو يعرف أن أحداً آخر يوجه قراراته. وفي هذا المجال جميعنا نحن شديدو الغرور. ولدى الكثير من الناس يكون غرورهم الشخصي هو الموجه لتصرفاتهم. ولكن أنا لست كذلك، وأنا لا أبالي أبداً من الذي سينال المديح بعد تحقيق أفكاري. المهم أن تتحقق أفكاري وتدخل حيز التنفيذ. وفي الواقع لو قلنا الحقيقة فإن بداية الفكرة لا تعود حتى لي بالذات».

أي بكلمات أخرى هناك أيضاً من قام بتوجيه «هاوز» والذي بدوره وجَّهَ «ويلسون» والنتيجة لكل ذلك كان يجب أن تعطى فلسطين للزمرة التلمودية في روسيا وذلك بهدف إنشاء هناك مركز دائم لإثارة المشكلات العالمية وعزل يهود العالم كله هناك عن بقية البشرية.

وكما هو واضح فإن تخريب وتدمير روسيا ونشر الثورة العالمية كانت خطوات على هذا الطريق. في الولايات المتحدة الأمريكية وفي تلك الفترة كانت توجد منظمة تدعى «بناي بريت» «Bnai Brith» وهي عبارة عبرية قديمة تعني «أبناء الوعد» والمنظمة فقط لليهود ولها فروع عديدة في مختلف الدول وفي أيامنا هذه تريد تمثيل اليهود وفي كل أنحاء العالم وهي جزء مما أسماه «كاستين» «الأممية العبرانية».

وفي عام /١٩١٣م/ حصل أحد فروع المنظمة على مهمة خاصة وأصبح اسمه «الرابطة المناهضة للافتراء» «Anti Defamation League» والتي وصلت فيما بعد إلى السلطة ونفوذ

ضخم وأصبحت مثل جهاز الأمن والبوليس في أيدي «الدولة اليهودية داخل الدول الأخرى». ومع وصول «ويلسون» إلى السلطة بدئ بالتحضير لأول اصطدام مسلح عالمي.

ولكن الدور الأساسي في الجولة الأولى من المسرحية كان على إنكلترا آن تلعبه ولكن مع بدء الحرب لم يكن قد تحقق تماماً هدف السيطرة على الحكومة البريطانية.

وهكذا تنتقل حكايتنا إلى الطرف المقابل مع المحيط الأطلسي. إلى إنكلترا حيث عاد «بلفور» مرة أخرى ليسير في طريقه إلى السلطة. حتى ذلك الوقت كان زعماء السياسة في إنكلترا لا يزالون يقامون الأهداف الخفية وألعاب ما وراء الكواليس وحاولوا بعد عام /١٩١٤م/. إنهاء الحرب والانتصار فيها بأسرع ما يمكن وبالذات هناك حيث بدأت في أوربة.

وتطلب الأمر بسبب ذلك تأديبهم لكي لا يعيقوا العملية وحتى تنتهي هذه العملية والتي توقع بها «ماكس نوردوا» عام /١٩٠٣م/ بنجاح. أجل كان من الضروري تأديب المشاكسين وإجبارهم على الطاعة أو إزالتهم من الطريق.

و منذ عام /١٩١٤/ وحتى عام /١٩١٦/ جرى في بريطانيا صراع مرير من أجل طرد هؤلاء الناس الخارجين عن طاعة الصهيونية أو استبدالهم بآخرين من أمثال «ويلسون» المطيعين لإرادة غيرهم.

الفصل الثلاثون

المعارك الحاسمة في الحرب العالمية الأولى

كانت حرب /١٩١٤-١٩١٨م/ هي أول حرب للأمم وليس فقط للجيوش. ودخل تأثيرها وعواقبها إلى كل بيت تقريباً في معظم دول أوربة وفي الكثير من الدول غير الأوربية. وكانت تلك الحرب ظاهرة جديدة تماماً ولكنها وردت في توقعات المتآمرين الشيوعيين والصهاينة. وذكرت كذلك «البروتوكولات» عام /١٩٠٥م/ (/١٩٠٢/- الترجمة-) بأن أي مقاومة لمخططاتهم ستجلب «حرباً عالمية شاملة».

وأما «ماكس نوردوا» فقد كان يعرف في عام /١٩٠٣/ بأن مطامع الصهيونية في فلسطين ستتحقق بواسطة حرب عالمية قادمة. وحتى تتحقق تلك التوقعات ويظهروا للجميع معرفتهم الفائقة بخفايا الأمور والأحداث قبل أن تأتي وتحصل بوقت كبير، وحتى يتم كل ذلك كان من الضروري السيطرة على الحكومات من فوق لكي يتم توجيه السياسة الدولية لكل دولة وبالتالي العمليات العسكرية في الاتجاه الضروري لخدمة أهداف المؤامرة وليس المصالح القومية للدولة.

وكما شاهدنا من قبل فإن الرئيس الأمريكي بدءاً من عام /١٩١٢م/ أصبح أسيراً لدى مستشاريه السريين. وإذا كان وصف «هاوز» له صحيحاً في روايته الأخيرة أو في «ملاحظته الخاصة» فإن ذلك يؤكد ما جاء سابقاً في «البروتوكول»: «سنستبدل الحكام بصنائع ورؤساء مأخوذين من وسط الحشد... من وسط عبيدنا».

في بداية الحرب العالمية لم يكن مطلوباً من الرئيس «ويلسون» لعب أي دور فعال لتنفيذ «الخطة الرهيبة». كان عليه لعب ذلك الدور فيما بعد.

المهمة الأولى كانت السيطرة على الحكومة البريطانية وتطلب تنفيذ هذه المهمة سنتين من الزمن وانتهت بانتصار المتآمرين وجرى كل ذلك في الخفاء. لقد جرت تلك المعركة في

متاهات السياسة الدولية. وكانت هي بالذات المعركة الحاسمة في حقيقة الأمر في الحرب العالمية الأولى. وهي بالذات التي غيرت أو حددت مسار أحداث القرن العشرين كله وتابعت عواقبها وحددت سير الأحداث فيما بين الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية.

ولم يكن لأي معركة من حرب /١٩١٤-١٩١٨م/ أهمية مثل تلك الأهمية التي تميزت بها المعركة التي أدت في عام /١٩١٦م/ إلى السيطرة على الحكومة البريطانية، على الرغم من أن كل أحداثها جرت في الخفاء ولم يلاحظها أحد من العامة ومن الشعوب. وكان الإنكليز منذ بداية الحرب وحتى نهايتها على ثقة بأنهم يحاربون العسكريتاريا البروسية «الألمانية».

وكما ذكرنا فقد تم في السنتين الأوائل من الحرب صراع مرير لطرد الرافضين للمخطط الصهيوني واستبدالهم برجال أكثر طاعة وخضوعاً.

قبل عام /١٩١٤م/ لم تتمكن المؤامرة من اجتياز بوابات الوزارات «باستثناء الخطوة المصيرية لـ «بلفور» عام/١٩٠٣م/».

بعد عام /١٩١٤م/ سار في طابور الصهيونية حشد كبير من السياسيين الإنكليز ومن مختلف الاتجاهات السياسية، على الرغم من أنه في ذلك الوقت كان على أي سياسي أن يكون بعيد النظر وأن يتمتع بالمكر والحذاقة السياسية حتى يرى في الصهيونية المتصاعدة مفتاحاً لنجاحه السياسي والمهني. على الرغم من أن دوافع الكثير منهم في الوقوف مع الصهيونية قد تكون فقط شيئاً من رومانسية «بلفور». والمصادر التاريخية لتلك المرحلة تتميز بالغموض ولا يمكنها أن تفسر لنا ذلك، بالإضافة إلى ذلك كان الإنكليز دائماً هواة لتغليف أفعالهم برداء الأفعال الحميدة العالية لدرجة إقناع أنفسهم بذلك.

وفي هذا المجال يقول المؤرخ الإنكليزي «ماكوليو» «Macauley /١٨٠٠-١٨٥٩/» كلمات لا تنسى: «لا يوجد شيء يضحك أكثر من منظر المجتمع الإنكليزي وهو في أحد نوبات الدفق الأخلاقي».

لذلك فقد يكون أن بعض السياسيين اعتقدوا وعن حق بأن دعم الصهيونية هو العمل الصحيح الواجب فعله. وعملية الخداع الذاتي هذه تبدو واضحة تماماً في أحد التصريحات التي عثر عليها المؤلف وهي تشير بوضوح إلى المجموعة الموالية للصهيونية في أعلى المستويات في مجال الحكم في بريطانيا في ذلك الوقت وكذلك إلى دوافع ذلك الطبع الذي سخر منه «ماكاليو».

مصدر تلك المعلومات هو «أوليفر لوكيد لامبسون» عضو البرلمان عن حزب المحافظين في بداية القرن العشرين. وعلى الرغم من أنه لم يلعب أي دور متميز إلا أنه أصبح معروفاً فيما بعد بسبب دعمه المتعصب للصهيونية داخل وخارج البرلمان. وقد كتب هذا الرجل في عام /١٩٥٢م/ في إحدى الصحف البريطانية اليومية: «وينستون» و «لويد جورج» و «بلفور» و أنا وكلنا تربيّنا تربية بروتستانية متعصبة وغيورة وكنا على ثقة وإيمان بأن قدوم المخلّص الجديد سيتم بعد عودة فلسطين لليهود». وهذه هي نفس الفكرة المسيحية لجماعة «كروموبل». وأما كون ذلك بروتستانتية غيورة أو غير غيورة فنترك الحكم بذلك للقراء الإنكليز. لكن لا آحد يمكنه أن يقول مثل هذه الكلمات إلا إذا كان مأخوذا من داخله بفكرة ومؤمناً حقاً بها على غرار «النبي مونك» وأمثاله والتي تقول بأن الرب الإله نسي واجباته، وبما أنه لم ينفذها فيجب القيام بذلك نيابة عنه وبهذا الشكل أو ذاك تكونت مجموعة من الناس يمكن آن ندعوها كما دعت هي نفسها «بروتستانت غيورين»

وبعد بداية الحرب العالمية وضع هؤلاء نصب عيونهم هدفاً هو الوصول إلى السلطة وتحويل العمليات العسكرية الدائرة في أوربة إلى فلسطين لإعطائها للصهيونية. و «حاييم وايزمان» لم يجلس أيضاً مكتوف اليدين، فبعد أن شاهدناه آخر مرة في الفندق مع «بلفور» ، بدأ بالعمل الفوري بعد ذلك: «حان الوقت الآن... إن الوضع السياسي سيكون مناسباً جداً». لقد كتب هذه الكلمات في تشرين الأول «اكتوبر» عام /١٩١٤م/. وقام بالاتصال بالمدعو س. ي. سكوت صاحب الجريدة اليسارية «مانشستر غارديان» والتي لم تتعب «في ذلك الوقت وفي الوقت الحاضر» من التطرق إلى قضايا غريبة بعيدة ولا تمس بلادها. وكان «سكوت» شديد السرور عندما عرف بأن مُحدثه هو «يهودي يمقت ويكره روسيا كثيراً» - روسيا حليفة إنكلترا وهي التي هاجمت من الشرق وأنقذت بذلك الجيش الفرنسي والإنكليزي في الغرب.

وعلى الفور أخذ «وايزمان» لتناول طعام الفطور مع «لويد جورج» - كان وزير المالية في ذلك الحين- وهناك شاهد «وايزمان» أن «لويد جورج» يُعد الحرب في أوربة طائشة إلى حد كبير ولكنه مع ذلك كان يكن وداً كبيراً وحاراً للصهيونية. وقد عرض عليه مقابلة «بلفور» وهو آمر حدث في /١٤/ كانون الأول «ديسمبر» /١٩١٤م/ وتذكر «بلفور» في هذه المقابلة الحديث الذي جرى في عام /١٩٠٦م/ وتساءل بما يمكنه مساعدة «وايزمان» ، فأجابه «وايزمان»: «ليس الآن والمدافع تهدر. سأحضر إلى طرفكم مرة أخرى عندما تتضح الأمور على الجبهات».

و «متّي واغديل» وهو من المؤيدين بحرارة لرأي «وايزمان» يضيف ليخبرنا على لسان «وايزمان»: «آنا لم أقم بمتابعة الحديث الذي دار لأن الوقت والمكان لم يكونا مناسبين» وهذا

هو الحديث نفسه الذي وعد فيه «بلفور» باستهتار بأنه سيعطي أورشليم لـ «وايزمان» وجماعته عندما تسكت المدافع. ومن الملاحظ أن «وايزمان» لم يتعلق كثيراً بهذا العرض المستهتر وهناك سبب وجيه جداً لذلك، لقد كان المركز الرئيسي الأساسي للصهيونية يقع في ذلك الوقت في برلين واعتقد رفاق «وايزمان» بأن النصر هو حليف لألمانيا. لذلك فضلوا الانتظار حتى يتضح تماماً من هو المنتصر. ومن ثم بعد ذلك وضع جميع الأوراق معه «الرهان عليه». وعندما أتضح بأن الغلبة ستكون للحلفاء بدأ «وايزمان» المباحثات على الرغم من أن المدافع لم تسكت بعد ولم يعد يتظاهر بنفاق أمام «بلفور» بأن الوقت غير مناسب. ونود الإشارة إلى أن بعضاً ممن اشتركوا في تلك المباحثات أرادوا البقاء في الخفاء، بل وأرادوا أيضا إخفاء ما حدث عن طريق «لخبطة» تاريخ حدوث ذلك. والسبب في ذلك هو أن الذي كان يجب أن يشغلهم هو مصير إنكلترا في تلك الفترة الحرجة وليس الخطط الصهيونية.

وقد أشرنا سابقا كيف جرى التعتيم أو «الخبطة» تاريخ لقاء «بلفور» الثاني مع «وايزمان». وعلى نفس المنوال كتب «لويد جوروج» فيما بعد بأنه قابل «وايزمان» لأول مرة في عام /١٩١٧/ عندما كان رئيسا للوزراء وزعم بأن اللقاء حصل مصادفة. إلا أن «وايزمان» «صحح» أقوال «لويد جورج»: «عمليا جاء نشاط «لويد جورج» في مصلحة بناء الدولة العبرية مبكراً وقبل أن يصبح رئيسا للوزراء بفترة طويلة. وعلى مدى تلك الفترة التقيت معه عدة مرات».

وكان اللقاء الثالث مع «بلفور» عبارة عن «حديث رائع دام عدة ساعات» وانتهى «بنجاح تام». وخلاله أكد «وايزمان» مرة أخرى كرهه الشديد لروسيا «على الرغم من كونها حليفة إنكلترا الوفية في ذلك الوقت» وأثار ذلك استغرابا لطيفا من «بلفور»: «كيف يمكنك وأنت صديق لإنكلترا أن تكون عدوا لروسيا على الرغم من كل ما فعلته روسيا لمساعدة إنكلترا في الانتصار». وظلت كلماته باردة بلا تعقيب فاضطر لإنهاء الحديث قائلا: «أنتم تخدمون قضية عظمى ولذلك علينا اللقاء معكم مرات عديدة».

وحذر «لويد جورج» «وايزمان» بأنه سيواجه وبلا شك اعتراضات جدية من قبل يهود إنكلترا المعروفين فأجابه «وايزمان» جوابا كان معهودا بقوله «إن اليهود الأغنياء والمشهورين فقط يقفون ضدنا». ومن الغريب أن «البروتستانتي الغيور» لم يجد الجواب معيباً على الرغم من أنهم كانوا أيضا في غالبيتهم أناساً أغنياء ومشهورين. ولكنهم وفي القريب العاجل أخذوا ينظرون إلى أبناء بلدهم- اليهود الإنكليز- تماما كما نظر إليهم ذلك الصهيوني القادم من روسيا.

ولم يكن يهود إنكلترا «في غالبيتهم» هم فقط ضد الصهيونية. كان هناك ضدها أيضا أناس في قمة السلطة في بريطانيا. وهم لم يكونوا يريدون لبلادهم الانزلاق في المغامرة الفلسطينية وضمن هؤلاء كان رئيس الوزراء «هربرت اسكويت» ووزير الحربية لورد «كيتشنر» وكذلك السير «دوغلاس هيغ» والذي أصبح فيما بعد قائدا للقوات البريطانية في فرنسا. والسير «ويليام روبرتسون» قائد هيئة الأركان العامة في الجيش البريطاني.

«اسكويت» كان آخر زعيم للحزب الليبرالي «العمالي» الذي حاول الجمع بين الأفكار الليبرالية مع المصالح الوطنية والمعتقدات الدينية وذلك بخلاف المفهوم الحالي لليبرالية والذي ينطبق مع تفسيره في «البروتوكولات»: «وعندما حقنَّا في الجسد الحكومي سم الليبرالية تغيرت بُنيته السياسية كلها. وأصيبت الدولة بالمرض القاتل- تلوث الدماء»..

ومع إبعاد وعزل «اسكويت» ماتت الليبرالية في شكلها الأولي في إنكلترا وفقد الحزب الليبرالي أي قيمة أو معنى له وأصبح فقط غطاء للشيوعية. وعرف «اسكويت» أول مرة عن المؤامرة عندما عُرض عليه تأسيس الدولة العبرانية في فلسطين وزير حكومته «هربرت صاموئيل» «وهو الذي كان موجودا على مائدة الإفطار مع «لويد جورج» و «وايزمان» في كانون الأول «ديسمبر» /١٩١٤م/». وقد كتب «اسكويت» حول ذلك ما يلي: «نصحني «صاموئيل» باستخدام القوات البريطانية لاحتلال فلسطين وهي بلد الجبال الجرداء ومساحتها تعادل ويلز ومعظم أراضيها محرومة من المياه. إنه يعد بإمكان توطين ثلاثة أو أربعة ملايين يهودي في هذه الأرض القليلة الأهمية... ولكن هذا العرض لم يثر اهتمامي لأنه سيضع علينا التزامات إضافية. إن المؤيد الوحيد لهذا العرض هو «لويد جورج» ولا يوجد أي داعٍ للقول إلى أن «لويد جورج» لا يهمه أبدا لا اليهود ولا دورهم في المستقبل»..

لقد قدر «اسكويت» بشكل صحيح آراء «لويد جورج» وبقي هو «اسكويت» على رأيه حتى النهاية. وقبل سنوات من تقاعده قام بزيارة لفلسطين وكتب بعدها يقول: «إن الثرثرة حول تحويل فلسطين إلى دولة قومية يهودية تبدو لي الآن وهماً وخيالاً كما كانت سابقاً».

ولكن «اسكويت» عندما أعطى جوابا سلبياً لـ «صاموئيل» عرض نفسه ومنصبه إلى ضربة قاضية. لقد فعل كل ما بوسعه حتى لا تتورط بلاده في المغامرة الفلسطينية. وكان رأيه يتطابق مع آراء العسكريين الإنكليز في أن الحرب يجب ربحها على ساحات الحرب في أوربة.

وزير الحربية الإنكليزي «لورد كيتشنر» هو كذلك كان يحمل نفس آراء رئيسه، وكان وزير الحربية يتمتع بنفوذ كبير وشعبية واسعة واعتبر بأن المهمة الرئيسية له هي توسيع

اشـتراك روسـيا في الحـرب (في الوقـت الـذي حـاول الـصهاينة تحطيمهـا وهـو أمـر عَرفـه «البروتستانت الفيوريون»).

وأُرسلَ «كيتشنر» إلى روسيا في مهمة في حزيران «يونيو» عـام /١٩١٦م/ ولكـن الطـراد البحري الذي حمله إلى هنـاك تعرض إلى هجوم ألماني وغرق «هل علمَ الصهاينة في برلين عن طريق «المصادفة» موعد رحلته وخط سيرها؟» ويقول العارفون بأنه كان الوحيد الذي كان يمكن أن يدعم روسيا في تلك اللحظات ومع موته اختفت العقبة الوحيدة والأساسية التي أعاقت الثورة في روسيا وخطط الصهاينة. ومن الممكن جدا أنه لو بقي ذلك الرجل حيا لما تمكن الصهاينة من التغلغل في الغرب.

ويتذكر مؤلف الكتاب كيف استقبل الجنود في الجبهة الغربية خبر موته كمأساة وخسارة عسكرية. بعد ذلك بقيت العقبة الوحيدة في وجه خطط الصهاينة، في أشخاص «اسكويت» و «روبرتسون» و «هيغ» ومعهم يهود إنكلترا. وأخذت حلقات المؤامرة تتسع والتحقت جريدة التايمز والصاندي تايمز بجريدة مانشستر غارديان في الولع بالصهاينة.

وقد قال المدعو «ميلنر» «وهو لوردMilner ماسوني قوي النفوذ وكان أحد المسببين الرئيسيين في الحرب الإنكليزية- البروسية- ملاحظة الترجمة-» في أحد تصريحاته: «إذ ظن العرب وفكروا بأن فلسطين ستكون عربية، فهم على خطأ عميق» وفي تلك اللحظات تمكن الكولونيل «لورنس» من دفع العرب على التمرد والثورة ضد الأتراك بعد أن وعدهم بالاستقلال.

و «فيليب كيرر» (فيما بعد اللورد «لوتيان» ولكن في ذلك الوقت كان السكرتير الشخصي لـ «لويد جورج») أبدى أمله بأنه بعد التغلب على «الكلب المسعور» في برلين «لقب أطلقته الدعاية البريطانية على قيصر ألمانيا على الرغم من كونه حفيد الملكة «فكتوريا» وقريب الملك «جورج الخامس» - ملاحظة الترجمة-» يجب أن تظهر إلى الوجود فلسطين العبرانية.

السير «مارك سايكس» السكرتير الأول للوزارة الحربية (قال «حاييم وايزمان» بأنه «أحد أهم ما عثرنا عليه») جهد هذا الرجل بنشاط «لتحرير اليهود والعرب والأرمن». وبواسطة مثل هذا التزوير والتحوير والخداع يمكن إقناع أغلبية أي شعب كان بأي شيء. وفي الحقيقة كان العرب والأرمن موجودين حيث تواجدوا دائما ولم يطلبوا الاستيطان في مكان آخر. وأما اليهود الأوربيون فكانوا بهذا القدر أو ذاك أحرارا أو غير أحرار كما هو حال بقية الأوربيين

أما يهود فلسطين فقد أبدوا رغبة واضحة في الاستيطان في أوغندا ورغب يهود أمريكا وأوربة في البقاء في أماكن تواجدهم.

وفقط الخزر الروس المتهودون وبتحريض من التلموديين أرادوا الذهاب إلى فلسطين. والطريقة التي ابتدعها «سايكس» كانت مأساة أخرى للأجيال القادمة لأنها أظهرت المغامرة الفلسطينية وكأنها حلقة من مجموعة مشكلات مترابطة مع بعضها بعضاً. وعلى الرغم من أنه «السير سايكس» وبخلاف غيره من «البروتستانت الفيورين» كان خبيراً بشؤون الشرق الأوسط وكان عليه إذن أن يعلم إلى أي نهاية وخيمة يمكن أن ينتهي ذلك.

عمود آخر من أعمدة الصهيونية وهو اللورد «روبرت سيسيل» كذلك استخدم شعارا كاذبا «جزيرة العرب للعرب اليهودية لليهود وأرمينيا للأرمن» «ولكن فيما بعد نسي الجميع تحرير الأرمن». وهذا الأمر أيضا يثير الاستغراب الكبير لأن سيسيل كان من عائلة عريقة عملت في خدمة الدولة والتاج منذ زمن بعيد.

ولكن على ما يبدو أن للصهيونية وسائل معينة تجعل من الناس الأذكياء المثقفين، أغبياء لا يفهمون. ومثال ذلك أيضا «بلفور» «نصف أصله يعود إلى عائلة سيسيل» كان في جميع الأحوال الأخرى يبدي حكمة واتزانا واضحين ونذكر على سبيل المثال وثيقة حول إعادة تركيب أوربة والتي لا تزال تُعد حتى الآن مثالا للحكمة الحكومية. ولكن في موضوع الصهيونية كان سلوكه يشبه سلوك الحشاشين.

ولا يقل الأمر غرابة مع اللورد سيسيل وقد حضر مؤلف الكتاب تقريره في عصبة الأمم في برلين عام /١٩٣٠م/. كان سيسيل طويل القامة محني الظهر بعض الشيء وجهه يشبه النسر وقام حين ذاك بالتحذير من مخاطر المستقبل وبدا للجميع رجلا غامضا. أما «حاييم وايزمان» فقال عنه ما يلي: «بالنسبة له فإن موضوع إعادة الوطن اليهودي إلى فلسطين وتنظيم العالم على شكل فيدرالية كبيرة كانا أمرين يكمل أحدهما الآخر وعدُّهما خطوات متتالية في موضوع إدارة البشرية والعالم. لذلك أعطى موضوع الدولة العبرية أهمية كبرى تماما كما كان موضوع عصبة الأمم بالنسبة له».

ولكن هل كان اللورد «روبرت» يفهم أن احتلال فلسطين وتوطين صهاينة روسيا فيها هو خطوة مرحلية في خطه «إدارة البشرية والعالم» وأن «الفيدرالية الأممية» توجب على الأمم التخلي عن استقلاليتها ومن ثم الذوبان والاندثار. وإذا كان على الأمم الاندثار فلماذا يجب أن تبدأ عملية اندثارها بخلق أمة جديدة. ألا يكمن السبب في أن هذه الأمة الجديدة «العبرانية»

هـي الـتي سـتبقي علـى الـسلطة العالميـة في يـدها وتـصبح هـي الأعلـى في موضـوع إدارة العـالم والبشرية.

ودعم اللـورد «روبـرت» للـصهيونية يبـدو أمـراً خـارج نطـاق الإدراك لأن الحـكمـة المتوارثـة عنـده لم تـترك لديـه شـكاً في خطـر الاسـتبداد العـالمي وقـد كـتب هـو بنفسه إلى الكولونيـل «هـاوز» في أمريـكا عن ذلك يقول: «لا يوجد أي شك بأنه بعد انتهاء هـذه الحـرب سيكون علينـا العمـل بجـد لخلـق أداة لتـأمين الـسلام الـدائم... إن أكـثر أمـر أضـر بقـضية الـسلام هـو فـشل المحاولة في هـذا الاتجاه بعد «واترلو». والآن نسي الجميع بأن الاتحاد المقدس جرى التفكير فيه في البدايـة كـرابطـة لفـرض الـسلام علـى الـشعوب. وللأسـف سمحـت هـذه الـرابطـة بـأن تتبعثـر قواهـا وجهودهـا هنـا وهنـاك وأصبحت عمليا رابطة لدعم الاستبداد وضاعت نتيجة لذلك أي ثقة فيها. بالإضافة إلى أنها جلبت أضرارا فادحة في الأمور الأخرى. وهذا الأمر يـبين كـيف يمكـن لأنبل الأهداف أن تؤدي إلى نتائج كئيبة».

والـكلمات المذكـورة أعـلاه تبين أن اللـورد «روبـرت» كـان يجب أن ينتبـه إلى الخطـر مـن تبعثر القوة والجهـود هنا وهنـاك. وأنـه إذا كـان يؤمن بمـا يقـول فقـد أخطـأ بكـتابتـه لـ «هـاوز» الذي أسس صهره في ذلك الوقت «رابطة فرض الـسلام» لا يصعب على المرء آن يرى فيها «رابطة دعم الاستبداد».

وهـكـذا مـع نهايـة الـسنة الثانيـة مـن الحـرب العالميـة الأولى تـكونـت مجموعـة مهيبـة مـن «البروتـستانت الغيـورين» والـتي انـصب كـل اهتمامهـا علـى فلـسطين ولـيس علـى أوربـة. وإليهـا انـضمت نـواة صـهيونية مؤلفـة مـن الـسادة: «ليوبولـد عمـيري» و «اورمـسبي عـورو» و «رولانـد هـريخمم» وغيرهم. وبواسطتهم توغلت الصهيونية في جميـع مؤسـسات الدولـة وأقـسامها مـا عـدا المؤسسة العسكرية وبدأت عملية استئصال العناصر غير المرغوب فيها «المناهضة للصهيونية» من الحكومة والجلوس بدلا منها. وتمت إزاحة رئيس الوزراء العنيد في نهاية /١٩١٦/ وتم ذلك عن طريق الإيحاء التدريجي للـرأي العـام بـأن «اسـكويت» غير قـدير ولا يـدير الـبلاد بمهـارة في ظروف الحرب. وبعد إقالته قام مـن خلفـه علـى الفـور بإرسـال القـوات الإنـكليزيـة مـن أوربـة إلى فلسطين.

ففي /٢٥/ تشرين الثاني «نوفمبر» /١٩١٦/ اقـترح «لويـد جـورج» أن يتخلـى «اسـكويت» عن مقعده في المجلس الحربي ويتخلى عنـه لـه «لويـد جـورج» وفي الظـروف الاعتياديـة كـان مثل هـذا الطلـب يعـني الانتحـار الـسياسي ولـكـن في تلـك الفـترة كـانـت الحـكومـة ائتلافيـة وتلقـى

«لويد جورج» «وهو ليبرالي» الدعم في طلبه هذا من المحافظين مثل «بونارلو» و «إدوارد كارسون» لذلك أخذ هذا الطلب شكل إنذار.

ويوجد أساس للقول بأن السيدين المذكورين أعلاه كانا على ثقة حقة بقدرة «لويد جورج». ولا شك بأن عملهم هذا لم يكن مكراً من المحافظين وأنهم لم يتوقعوا أن يخرب «لويد جورج» كل الحزب الليبرالي.

وطالب «لويد جورج» كذلك بعزل «بلفور» من وزارة البحرية بذريعة عدم صلاحيته. واستغرب «اسكويت» كل ذلك ورفض مغادرة منصبه وكذلك رفض عزل «بلفور» «٤ كانون الأول «ديسمبر» ١٩١٦» ولكن «بلفور» قدم طلب استقالة من الحكومة وقام «اسكويت» بإرسال نسخة من جواب الرفض «الذي أرسله إلى «لويد جورج» «إلى «بلفور» ولكن «بلفور» وعلى الرغم من مرضه الشديد في ذلك الوقت أرسل طلباً آخر بالاستقالة وأتبعه من «لويد جورج» بطلب بالاستقالة.

وانكشفت اللعبة وبقي «اسكويت» وحيدا واجتمعت القيادة الحزبية في/٦/ كانون الأول «ديسمبر» من نفس العام وقررت بأنها ستتابع خدمة البلاد تحت قيادة «بلفور». ولكن «بلفور» رفض ذلك وأعلن أنه سيخدم البلاد تحت قيادة «لويد جورج» وأصبح «لويد جورج» رئيسا للوزراء وعين «بلفور» «الذي اتهمه منذ قليل بعدم الصلاحية» في منصب وزير الخارجية.

وهكذا شغل هذان الشخصان المؤيدان للصهيونية أهم منصبين في الدولة. ومنذ تلك اللحظة أهملت الحكومة البريطانية بقية القضايا وركزت كل جهودها على احتلال فلسطين.

وفي عام /١٩٥٢م/ قرأ مؤلف الكتاب في مجلة «كومنتاري» الأمريكية اليهودية رسالة بعث بها يهودي من ويلز قال فيها بأن أصوات اليهود هناك هي التي أوصلت «لويد جورج» إلى مجلس العموم.

ومن مصادر موثوقة علمنا أيضا أن مكتب محاماة «لويد جورج» وقف على قدميه وازدهر بفضل زبائنه اليهود. ولكن لا يمكن أن نؤكد أن «لويد جورج» فعل كل ذلك من أجل المصلحة المادية فقط على الرغم من أنه لا يمكن أيضا إهمال هذا الأمر، ونشير أيضا إلى عدم الدقة في تصاريح «لويد جورج» حول علاقته مع الصهيونية والتي كذبها «وايزمان» مرتين.

وهكذا جرى تمركز وتجميع جديد للشخصيات الرئيسية على المسرح السياسي البريطاني. وكان المحامي الضئيل الحجم «لويد جورج» ببذلته القديمة السوداء يبدو بين زملائه الفارعي الطول والأناقة كعصفور صغير بين مجموعة غربان.

وكان «بلفور» إلى جانبه طويل القامة شاحب المنظر وقحاً في إجاباته ومحباً للعبة التنس. ويتذكره المؤلف حينما كان يسير بخطوات بطيئة إلى البرلمان عبر حديقة «سانت جيمس». وكان حول هذين الشخصين جمع كبير من الوزراء ومعاونيهم والموظفين الكبار من «البروتستانت الغيورين» ولا شك بأن بعضاً منهم فقط أخطأ باتباعه للصهيونية ولكن «لويد جورج» كان يعرف تماما من أين تأتي الرياح وكان هو أول سياسي من هذا المستوى وبهذا الحجم سار علنا على تلك الطريق.

وأما فيما يتعلق بتوريط القوات البريطانية بأهداف غريبة فقد بقي أمام ذلك بعد مقتل اللورد «كيتشنر» واستقالة «اسكويت»، عقبة واحدة وهي رئيس أركان الجيش البريطاني الموجود في فرنسا السير «ويليام روبرتسون» والذي وقف برجولة واضحة ضد كل زمرة «لويد جورج». على الرغم من أنه لو انضم إليها لحاز على الألقاب والميداليات الذهبية والشرائط الحريرية ولطبعت ونشرت مذكراته ولأطلق اسمه على أحد شوارع باريس، ولسافر في رحلة مظفرة إلى أمريكا وأوربة، ولوقف أعضاء الكونغرس بالتصفيق عند استقباله، وكان سيدخل أورشليم على ظهر حصان أبيض. ولكن بعد التقاعد لم يحصل الرجل على لقب لورد وهو أمر نادراً ما يحدث مع «فيلد مارشال» بريطاني يتقاعد. وعلى عاتق هذا الرجل الأخير بين ثلة الأبطال وقعت مهمة إعاقة إرسال القوات البريطانية إلى فلسطين. لقد كان هذا الإنسان ينظر إلى أي عرض انطلاقاً من أهميته للحرب والنصر فقط. فإذا كان يساعد على النصر فإن الدوافع لم تهمه أبدا. ولكن إذا كان الأمر يعيق القوات البريطانية فإنه يرفض ذلك بغض النظر عن الأمور الأخرى. وانطلاقا من ذلك رأى أن المشروع الصهيوني يمثل خطر تشتيت القوات البريطانية ويؤخر النصر وحتى يمكن أن يضيعه. ولم تهمه التصورات والدوافع السياسية التي وقفت وراء المشروع الصهيوني ولم يود الخوض فيها.

وفي آب «أغسطس» /١٩١٥م/ قام بإبلاغ «اسكوست» بأن «أفضل وأحسن طريقة للنصر على الأعداء هو بالطبع توجيه ضربة حاسمة إلى قواتهم الأساسية المتواجدة في الجبهة الغربية». ولذلك وقف بحزم ضد «فتح أي جبهات إضافية وضد القيام بحملات لا ضرورة لها وتشتت القوات الموجودة في فرنسا. وأن المحك الوحيد لجميع الخطط والمشاريع يجب أن يكون مدى فائدتها للجبهة وللحرب».

ولكن «لويد جورج» وفور استلامه منصب رئيس الوزارة طالب بإرسال قوات ضخمة في حملة على فلسطين: «بعد تشكيلي للوزارة. وضعت على الفور أمام الوزارة الحربية مهمة الحملة

على فلسطين ولكن السير «ويليام روبرتسون» حاول بكل جهده منع خطر إرسال القوات في فرنسا.... وقد وقف بكل طاقته واستطاع في تلك اللحظة تحقيق ذلك».

وقد أكد «روبرتسون» ذلك بقوله: «حتى كانون الأول «ديسمبر» عام /١٩١٦/ «عندما أصبح «لويد جورج» رئيسا للحكومة». كانت العمليات في قناة السويس تحمل طابعا دفاعيا... واعترفت الحكومة والأركان العامة بالأهمية القصوى للعمليات الحربية في أوربة وبضرورة تقديم الدعم الأقصى لجيوش تلك الجبهات ولكن اتفاق الرأي هذا بين الوزراء والعسكريين لم يعد موجودا اليوم بعد أن تغيرت الوزارة والاختلاف الجذري في الرأي واضح جدا في موضوع فلسطين على الأخص. ومباشرة بعد عدة أيام من ظهور الوزارة العسكرية الجديدة صدرت الأوامر إلى الأركان العامة للجيش لمناقشة إمكان توسيع نطاق العمليات لتشمل فلسطين.

وقدرت الأركان العامة الحاجة إلى ذلك بثلاث فرق يمكن الحصول عليها فقط على حساب الجبهة الغربية... وأشارت الأركان إلى أن هذه الخطوة ستؤدي إلى تعقيدات كبيرة وتقلل من فرص نجاحنا في فرنسا...

هذه الاستنتاجات خيبت أمل الوزراء الراغبين في احتلال فلسطين على الفور. ولكنهم لم يقدروا على دحض هذه الاستنتاجات....

وفي شباط «فبراير» عام /١٩١٧/ قامت وزارة الحربية بالطلب من جديد من الأركان العامة تقديم تقرير حول التحضير لحملة الخريف على فلسطين». من هذه المقاطع يصبح واضحا كيف يمكن للضغوط السياسية من وراء الكواليس أن تحرف سياسة الدولة من جهة إلى جهة أخرى خلال فترة الحرب.

ودعم «لويد جورج» مواقعه بخطوة بينت بوضوح أن الأمر في فلسطين جرى التحضير له منذ زمن بعيد. وتضمن ذلك فيما تضمن الإعداد والاختيار الدقيق» للإداريين» اللازمين لدعم «لويد جورج». قدم «لويد جورج» عرضا طلب فيه من الوزارة الحربية بذل الجهود لجذب المستعمرات البريطانية السابقة والحالية إلى اشتراك أوسع في مناقشة أمور الحرب والاشتراك بها.

ولقيت هذه الخطوة الرضا والدعم الكامل من المجتمع البريطاني وحارب الجنود من كندا وأستراليا ونيوزيلندا وجنوب أفريقيا ببسالة مشهودة.

ورد الفعل الدافئ هذا من قبل المستعمرات على دعوى المساعدة كان له صدى طيب في قلوب الإنكليز.

ولكن كما ذكرنا سابقا تختلف دائما أقوال الدبلوماسي عن أفعاله وأقوال ودعوات «لويد جورج» كانت فقط مناورة بارعة حتى يحصل في لندن على الجنرال «سماتس» «Smuts» من جنوب أفريقيا والذي عده الصهاينة من أفضل أصدقائهم خارج أمريكا وأوربة. وجرى استدعاؤه لكي يطالب باحتلال فلسطين. وكان وضع الناخبين في جنوب أفريقيا مقسوماً إلى قسمين متساويين من أصول هولندية ومن أصول إنكليزية إلى درجة أن الـ٢٠٪ الباقية التي ذكرناها سابقا لعبت هناك دوراً حاسما أكثر حتى من الدور الذي لعبته في أمريكا.

وقد حسبَ الصهاينة- وصدق الجنرال ذلك- بأن باستطاعتهم مساعدته في الانتخابات. وقد كتب أحد رفاقه المدعو «ك. لونغ» «عضو البرلمان عن حزب «سماتس» وعمل سابقا في التايمز اللندنية» بأن المهم في الانتخابات هي أصوات اليهود وقد وقفت مع «سماتس» وحزبه وساعدته على الفوز بالانتخابات وتذكر الأخبار عن تلقيه ورثة كبيرة من «يهودي ثري مدعوم» وكذلك حصوله على منزل وسيارة على شكل هدية من أناس لم يذكر أسماءهم.

مختصر القول إن الدوافع السياسية-الحزبية لـ «سماتس» لا تختلف كثيرا عن دوافع «لويد جورج» و «هاوز». وأن تأثير الدوافع المالية والمادية يلعب دوراً واضحاً. ولكن في سيرة حياته غالبا ما تذكر الدوافع الدينية «أو الدوافع الدينية المزيفة» التي لاحظناها عند «لويد جورج». فعلى سبيل المثال كان «سماتس» يفضل العهد القديم على العهد الجديد وقد نسب إليه القول: «كلما تقدمت في السن كلما ازداد ولعي واهتمامي بالديانة اليهودية» وقد التقى المؤلف مع «سماتس» بعد مرور الكثير من السنوات وكان يعلم «أي المؤلف» بالدور الذي لعبه «سماتس» في ذلك التاريخ وفي تلك القصة. أما الآن في عام /١٩٤٨م/ كان شغله الشاغل هو تأزم الوضع الدولي والدور المتفجر الذي تلعبه فيه فلسطين، وكان عمره قد بلغ الثمانين سنة تقريبا ولكنه كان يبدو في حالة جيدة جدا وكانت عيناه تشعان حيوية وكان له ذقن صغيرة. كان يملك طباعا قاسية وتذكر الصحف والدعايات بأنه بطل الصلح الإنكليزي- البروسي.

ولكنه عندما توفي في مزرعته في ترانسيلفانيا كان الشعبان الإنكليزي والألماني في حالة خصام حاد. وأصبح الصلح الحقيقي من شأن الأجيال القادمة. وهو لم يكن في جنوب أفريقيا شخصية صلح وسلام بل نزاع وتفرقة.

ولكن كان الجميع يعلم بأن القوة الحقيقية التي كانت خلفه لم تكن إنكلترا بل هي الشركات الاحتكارية للذهب والألماس في يوهانسبرغ «هي مؤسسات يهودية صاحبها «هاري أوبيغمر» - ملاحظة الترجمة-». وفي عام /١٩٤٨/ عندما حان وقت كشف الأوراق كان

«سماتس» أول من أيد الصهيونية بصراحة ووقف ضد الحكومة البريطانية التي تعرضت في ذلك الوقت لضغط هائل.

وفي آذار /١٩١٧م/ جاء الجنرال «سماتس» إلى لندن وقوبل هناك بتصفيق حاد- هذا الاستقبال الحافل هو نموذج مبكر لما اعتدنا عليه الآن من تكنيك الدعاية وتقديم من يلزم إلى الناس ووسائل الدعاية المطيعة. وقد كتب «لويد جورج» فيما بعد يقول بأنه قدم في ذلك الوقت «سماتس» إلى اللجنة الحربية الملكية على أنه «واحد من أفضل الجنرالات».

على الرغم من أنه في حقيقة الأمر كان قليل الخبرة وتجربته اقتصرت على حملات بسيطة في جنوب غرب أفريقيا. وفي لحظة استدعائه إلى لندن كان يحارب ضد مجموعة من الأفارقة معها نحو /٢٠٠٠/ جندي وضابط ألماني بقيادة الجنرال «فون ليتوفوريك» «وحطمت هذه المجموعة الإنكليز ولكنها اضطرت إلى الاستسلام بعد استسلام ألمانيا عام /١٩١٨م / - ملاحظة الترجمة-».

وفي ذلك الوقت اعتكف «لويد جورج» مع لجنته الحربية في بناء صغير منعزل بعيدا عن الجنرالات «ماعدا «سماتس» طبعاً». «وهناك كانوا يجتمعون مرتين يوميا وناقشوا خلال ذلك الخطط الحربية على الرغم من أن ذلك ليس شأنهم بل هو شأني، أجل مجموعة صغيرة من السياسيين الجاهلين تماما في شؤون الحرب ومتطلباتها ترغب أن تُسيّر الحرب بمفردها» «روبرتسون».

في نيسان «ابريل» عام /١٩١٧م/ طلب من الجنرال «سماتس» أن يعرض على المجموعة المذكورة أعلاه تصوراته حول كيفية الانتصار في الحرب فكانت كالتالي: «الحملة الفلسطينية مملوءة بالإمكانات الحربية وحتى السياسية المثيرة...

ويبقى علينا فقط مناقشة الأمر الأصعب والأكثر تعقيدا والذي يخص الجبهة الغربية. وأنا دائما أعتبر أن تركيز معظم القوات البريطانية على الجبهة الغربية هو عبء لا مبرر له».

ودعم المجلس هذه المرة «لويد جورج» وأرسلت الأوامر إلى قائد القوات البريطانية في مصر بالهجوم باتجاه أورشليم. واحتج الجنرال «مورّي» بأن القوات هناك لا تكفي للقيام بذلك مما أدى إلى عزله وعين بدلاً منه الجنرال «سماتس» والذي قال عنه «لويد جورج» إنه على درجة من الكفاءة تسمح له بالقيام بالحملة على هذا المحور بنجاح وحزم».

ولكن «سماتس» وبعد نقاش حاد مع «روبرتسون» رفض عرض «لويد جورج» وفضل أن لا يخاطر بما حققه من نجاح سياسي في لندن. وكذلك عدم المخاطرة بمستقبله في جنوب أفريقيا.

وبينت الأمور فيما بعد أن النجاح كان سيحالفه في الشرق الأوسط ولكن حين ذلك لم يكن يتوقع هذا الأمر على الرغم من أنه تأسف كثيرا فيما بعد لضياع هذه الفرصة منه: «فتح أورشليم وإلقاء كلمة حماسية فيها! آه كم كانت الذكريات ستكون رائعة!».

ولكنه في تلك اللحظات عندما رفض عرض «لويد جورج» قال له: «أنا مقتنع تماما بأن وضعنا العسكري الحالي لا يسمح أبدا بالهجوم باتجاه أورشليم واحتلال فلسطين».

ولكن الموقف المفاجئ للجنرال «سماتس» وتحطم روسيا والتهديد الحاصل على الجبهة الغربية لم تكن تقدر على إيقاف «لويد جورج» والتأثير عليه. واتخذ في أيلول «سبتمبر» /١٩١٧م/ قراراً يقضي «بأن القوات الضرورية لحملة أورشليم يمكن سحبها من الجبهة الغربية في شتاء /١٩١٧-١٩١٨/ لكي تتم مهمتها في الوقت المحدد ومن ثم تعود إلى فرنسا للبدء هناك بالعمليات العسكرية من جديد».. وفقط رب العالمين كان بإمكانه إنقاذ المواطنين في بلاد «لويد جورج» من العقاب على مثل هذا التهور. وكان من الواضح أن ربح الحرب العالمية الأولى في فلسطين مستحيلا ولكن خسارتها في فرنسا كان أمرا واردا جداً. وكان هذا الخطر في ذلك الوقت كبيرا جدا. ولكن «لويد جورج» حصل في الوقت المناسب وبقدرة قادر على المساعدة العسكرية اللازمة من طرف شخصية جديدة ظهرت على السطح فجأة وأطلقت شعار «وحول الشتاء» والذي كان يعني ما يلي: الشخصية الجديدة هي سير «هنري ويلسون» وقد وصف نفسه بشكل جيد خلال رحلة إلى روسيا في كانون الثاني «يناير» /١٩١٧م/: «غداء فاخر في وزارة الخارجية. على صدري وسام شرف للضباط على شكل صليب ونجمة وسلسلة ذهبية هي وسام «باني». وكنت أعتمر طاقية شتوية روسية. مختصر الحديث كنت في تلك اللحظات رجلا رائعا للغاية. وأثرت الضجة ولفتُ الانتباه في ولائم الغداء التالية. لقد كنت أطول قليلاً من الأمير «سيرغي» وكما قالوا لي لقد تركت أثراً رائعاً في جميع الأماكن. يا للروعة..!».

كان السير «هنري» طويل القامة فعلاً نحيف الجسم ناعم المظهر وغالبا كان يبتسم وكان دائما أنيق الملبس العسكري الذي تزيّنه الأوسمة والميداليات. أتقن اللغة الفرنسية منذ طفولته مما جعل الضباط الفرنسيين يحبونه. كان ينحدر من أصول أيرلندية ولكنه فيما يخص القضية الايرلندية كان يختلف تماما في الرأي عن بقية الايرلنديين ولهذا السبب أطلق اثنان منهم النار عليه وقتلاه في عام /١٩٢٢/ وأعدما بسبب ذلك. فمن قبل كان السير «هنري» موافقاً تماماً الرأي السائد بين الضباط الكبار حول أولوية الجبهة الأساسية وعدم جدوى تشتيت القوى على الجبهات الفرعية.

وقد قال ذات مرة: «لكي ننهي الحرب علينا ضرب الألمان هنا «في فرنسا» ولذلك فإن كل رطل من عتادنا الحربي يجب جلبه إلى هنا من مختلف أنحاء الدنيا. التاريخ كله يُعلمنا بأن العمليات على الجبهات الفرعية لا تؤثر أبدا على الجبهة الأساسية وعلى العكس تضعف القوات الموجودة فيها». «١٩١٥م».

ولا يمكن لأحد معارضة هذا الرأي أو يشكك فيه مهما كانت صفته جندياً أو ضابطاً أو خريج أكاديمية عسكرية. ومن الواضح أيضا بأن السير «هنري» لم يجد في عام /١٩١٧/ أي أسباب عسكرية تدعوه إلى التخلي عن هذا الرأي والانتقال إلى الرأي المعاكس له. ولكنه قام بذلك ولا يمكن شرح قفزته الطائرة هذه في تلك المسألة بسهولة. لذلك حطم دماغك وابحث عن السبب: لا شك بأنه كان على اطلاع بالنجاحات الصهيونية. وكان على اطلاع أيضا بفحوى حوار قائده المباشر «روبرتسون» مع «لويد جورج» ولا شك بأنه أحس بإمكان الجلوس في منصب «روبرتسون». ولذلك ليس غريباً أن «حاييم وايزمان» في حديثه حول «البحث عن أصدقاء جدد» في تلك المرحلة يذكر «الود» من طرف الجنرال «هنري ويلسون» «الصديق الكبير لـ «لويد جورج». وبأنه «يثق بقوة بأنه في حال وضع خطة جديدة سيكون بإمكاننا تطهير فلسطين من الأتراك. وعلى الأغلب سنحطم تركيا خلال فترة الوحول الشتوية ومن دون أن نعيق عملية الجنرال «هيغ» في الربيع والشتاء «في فرنسا».

كان هذا هو التقرير الذي أعطى «لويد جورج» الدعم الضروري لكي يصدر أوامره المذكورة أعلاه في أيلول «سبتمبر» /١٩١٧/، حيث تعلق بالصيغة المغرية حول «الوحول الشتوية» وهي التي أعطته الذريعة العسكرية، وقد شرح له الجنرال «ويلسون» بأن وحول الشتاء في فرنسا تعيق حركة الجيوش وستغرق القوات في الوحول والأوساخ مما يجعل الهجوم الألماني الكبير مستحيلاً في الفترة ما بين منتصف تشرين الثاني «نوفمبر» وحتى منتصف نيسان «ابريل» «١٩١٨» لأن الأشهر الخمسة هذه هي فترة الثلوج والوحول.

وعلى أساس هذا الكلام بنى «لويد جورج» قراراته بإرسال القوات المسحوبة من فرنسا إلى فلسطين ومن ثم إعادتها إلى فرنسا عندما يتطلب الأمر ذلك من جديد. وقد أكد الجنرال «ويلسون» لـ «لويد جورج» بأن الألمان لن يقوموا بأي هجوم كبير على الجبهة الغربية «كما هو معروف بدأ الهجوم الألماني الكبير في منتصف آذار «مارس» /١٩١٨/».

وانتقد السير «روبرتسون» هذه الخطة. وبالفعل لاقت عملية نقل القوات من فرنسا بالبحر صعوبات جمة. وفي الوقت الذي وصلت فيه آخر فرقة مغادرة من فرنسا إلى فلسطين كان على أول فرقة وصلت إلى فلسطين من هناك أن تغادر وتعود إلى فرنسا.

وفي تشرين الأول «اكتوبر» عام /١٩١٧م/ حذر «روبرتسون» مرة أخرى بأن القوات المسحوبة من فرنسا لن تتمكن من العودة إلى هناك مع بدء المعارك الصيفية: «لا شك بأن الحل العسكري الصحيح هو متابعة العمليات الدفاعية في فلسطين... والبحث عن حلول في الغرب... يجب إرسال كل الاحتياط إلى الجبهة الغربية» في تلك اللحظات الحاسمة قام المتآمر الرئيسي في كل هذه الحكاية وهو «المصادفة» بتقديم العون مرة أخرى وكالمعتاد للصهاينة.

لقد طلبت الحكومة في لندن من الجنرال «روبرتسون» وبإلحاح تقديم فلسطين «كهدية عيد الميلاد». كل ذلك الضغط دفع الجنرال «اللنبي» الموجود في فلسطين إلى شن هجوم على أورشليم واحتلالها من دون أي صعوبات حيث لم يبد الأتراك أي مقاومة تذكر ولم يكن لهذا الانتصار أي قيمة تذكر من الناحية العسكرية، ولكن بعده لم يعد من الممكن أبداً إيقاف «لويد جورج» وبدأ إرسال سيل من القوات المسحوبة من فرنسا إلى هناك. لم يعد من الممكن أبداً إيقاف «لويد جورج» وبدأ إرسال سيل من القوات المسحوبة من فرنسا إلى هناك.

وفي /٦/ كانون الثاني «يناير» اشتكى الجنرال «دوغلاس هيغ» من أن قواته في فرنسا أضعفت بشكل ملحوظ قبيل المعارك الحاسمة هناك. حيث كان ينقصه من المشاة مئة وأربعة عشر ألفا من الجنود. وفي /١٠/ كانون الثاني «يناير» من نفس السنة «١٩١٨م» اضطرت وزارة الحربية البريطانية إلى إصدار أوامر بتخفيض عدد الكتائب في كل فرقة من /١٢/ كتيبة إلى /٩/ كتائب. ولم تتعرض الصحافة إلى هذا الأمر أو تناقشه لأنها كانت قد أصبحت في ذلك الوقت أسيرة للصهيونية. ولم يبق للصحافيين والمؤلفين المعروفين أي منبر حر للتعبير عن آرائهم.

وكان أكثر المعلقين العسكريين شهرة في التايمز هو الكولونيل «ريبنفتون» وقد كتب في مذكراته عن ذلك الوقت ما يلي: «إن كل ذلك مرعب وسيعني تخفيض قوات مشاتنا في فرنسا بمقدار الربع وسيؤدي إلى الفوضى في كل قواتنا مع اقتراب لحظة الأزمة، وأنا لم أشعر أبداً بنفسي في مثل هذه التعاسة التي أنا فيها اليوم وأنا الآن أقدر أن أقول وأذكر القليل فقط لأن ناشر التايمز غالباً ما يصحح ويعدل من انتقاداتي أو حتى يمنعها من النشر... وإذا لم تعد التايمز إلى خطها المستقل السابق وتقف على حماية مصالح المجتمع فسيكون علي غسل يدي والرحيل».

وعندما أخذت تتحقق تحذيرات «روبرتسون» عن اقتراب الخطر، قاموا بعزله من منصبه وطرده من الخدمة وأرسل «لويد جورج» خطته عن المغامرة الفلسطينية إلى المجلس العسكري

الأعلى للحلفاء، وفي كانون الثاني «يناير» عام /١٩١٨/ قام خبراء الحلفاء بالمصادقة على تلك الخطة. ولكن «بشرط تأمين الجبهة الغربية بشكل تام».

وبناء على طلب «كليما نصو» كرر السير «ويليام» تحذيراته حول الخطر المميت لهذه الخطة على الجبهة الغربية. وبعد انتهاء الجلسة وبخه «لويد جورج» بقسوة وعزله من منصبه وعين بدلاً منه السير «هنري ويلسون».

ولكن وقبل تركه لمنصبه قام السير وليام بمحاولة أخيرة لمنع الكارثة المحتملة وسافر في نفس الشهر إلى باريس وقابل الجنرال «بيرشينغ» قائد القوات الأمريكية هناك وطلب منه زيادة القوات الأمريكية «في ذلك الوقت كان قد وصل ربعها فقط إلى فرنسا». وقد كتب «روبرتسون» عن ذلك اللقاء ما يلي: «لقد لاحظ الجنرال بسخرية بأن طلبي حول المساعدة على الجبهة الغربية من الصعب الموافقة عليه مع رغبة المستر «جورج» بالعمل الهجومي في فلسطين. وللأسف لم يكن لدي ما أجيب ولو أن الأمر تعلق بي شخصياً لم يكن ليذهب إلى فلسطين أي جندي أو أي مدفع».

وبعد ذلك لم يعد أي شيء يتعلق بالسير «ويليام روبرتسون» وتختلف مذكراته عن مذكرات «لويد جورج» اختلافاً كبيراً، وعن مذكرات السياسيين الآخرين بكونها لا تحتوي على أسى أو أسف. لقد كان يفكر فقط بالواجب. وقد كتب يقول: «خلال عام /١٩١٧م/ كانت مهمتي المقيتة تنحصر في الاحتجاج ضد العلميات التي أراد رئيس الوزراء تكليف الجيش بها ولا شك بأن معارضتي هي التي دفعته إلى تجربة رئيس آخر لهيئة الأركان الإمبراطورية... ولذلك فإن ما يخص إقالتي لم يعد هناك فائدة من الحديث عنها ولهذا لن أتكلم عنها»..

وهكذا يغادر هذا الإنسان الرائع حكايتنا ويترك مكانه للكثيرين الأقل منه هيبة واحتراماً. ولكن جهوده لم تذهب هباء لأن بفضلها تمكنت الجبهة الإنكليزية عام /١٩١٨م/ من الصمود.

وبعد أن «أجبروه على المغادرة» تابع النضال شخصان من خارج الجيش والحكومة ولا شك بأن جهودهما تستحق الذكر هنا. لقد هدفا إلى المحافظة على مبادئ الصحافة الحرة وأرادا أن تبقى التقارير مستقلة.

الأول هو الكولونيل «ريبينفتون» وهو في السابق ضابط من سلاح الفرسان ومن محبي النساء الجميلات وهو محادث مثقف وذكي وجندي حق. وتعطي يومياته صورة لا تنسى لحياة الصالونات الفارغة في الوقت الذي تحاربت فيه الجيوش في فرنسا، وأما لندن فكانت تعج

بالمؤامرات واللعب من وراء الكواليس. وهو لم يهمل تلك الحياة على الرغم من اعتبارها بأنها ليست في محلها الآن.

وقد اعتبر بأن الأنين وحده لا يساعد القضية وكان نزيها ووطنياً مثل «روبرتسون» ولا يمكن شراؤه أبداً على الرغم من العروض السخية الكثيرة «هدفت إلى شراء سكوته» والتي لم تؤثر فيه. لقد كتب يقول: «نحن نرسل ملايين الناس إلى الجبهات الثانوية ونضعف بذلك جيشنا في فرنسا في الوقت الذي تستعد فيه ألمانيا إلى رمي كل قوتها للهجوم علينا بعد أن تخلصت من روسيا... أنا لم أتمكن من الحصول على دعم صاحب التايمز الضروري واللازم لتوعية البلاد وتحذيرها وأعتقد بأننا سنفترق معه قريباً «اطلع المؤلف على يوميات «ريبينفتون» عندما عمل على تأليف هذا الكتاب واكتشف بأن تجربته هو مع صاحب التايمز وبعد مرور /٢٠/ عاماً على «ريبينفتون» كانت مماثلة».

وبعد مرور شهر كتب «ريبينفتون» يقول: «وبعد حديث عاصف مع «جيفري ووسون» قلت له خلاله إن التملق للوزارة الحربية في هذه السنة كان وإلى درجة كبيرة هو السبب في الوضع الخطير للجيش.. أنا لم أعد أرغب في أي شيء مشترك مع التايمز.

بعد كل ذلك بقي في إنكلترا «شخص واحد استطاع أن يكتب الحقيقة وهو محرر» «مورنينغ بوست» «غ. آ. غوين» وقام بنشر مقاله للعقيد «ريبينفتون» فضح خلالها إضعاف الجبهة في فرنسا قبيل الهجوم الألماني مما عرض الاثنين إلى الملاحقة القانونية ودفع الغرامة المالية.

وقد كتب «روبرتسون» إلى «ريبينفتون» يقول: «وأنا كما أنتم فعلت كل ما بوسعي لمصلحة البلاد وكانت النتيجة تماماً كما توقعت... ولكن الشيء الأهم هو البقاء على الدرب المستقيم وعند ذلك يمكن أن تكون واثقاً بأن ما يوصف الآن بالشر يمكن أن يخدم في نهاية الأمر أمور الخير»..

بعد كل ذلك ترك الوزارة واستقال السيد «إدوارد كارسون» وهو الذي ساعد «لويد جورج» بالوصول إلى رئاسة الحكومة. واتهم صاحب التايمز بأن جريدته هي عبارة عن بوق «لويد جورج» فقط.

وأخبر «غوين» العقيد «ريبينفتون» بأن الحكومة تريد تدمير «مورنينغ بوست» لأنها واحدة من الصحف القليلة التي بقيت مستقلة.

وقبل بداية الحرب الثانية تم بالفعل تدمير تلك الجريدة كما ذكرنا في فصل سابق.

بعد كل ذلك بقي في إنكلترا كلها نشرة أسبوعية دورية تدعى «الحقيقة Truth» وحاولت جاهدة على مدى سنوات طويلة أن تبقى مستقلة. ولكن في عام /١٩٥٣/ بيعت المجلة وانتهى الأمر.

سنتا الحرب حيث ترأس «لويد جورج» الحكومة جلبتا عواقب وخيمة لا تزال آثارها تظهر إلى هذا اليوم ونتأمل بأننا تمكنا التوضيح كيف جاء ذلك الرجل إلى السلطة وأي أهداف كان يخدم. لقد تخطى كل المعارضة خلال سنة ونصف حيث أرسل كتلة ضخمة من القوات التي سحبت من فرنسا إلى فلسطين. وفي آذار «مارس» /١٩١٨/ أمر بالهجوم الحاسم لاحتلال كل فلسطين وأرسل الجنرال «سماتس» إلى الجنرال «اللنبي» يحمل إليه ما لزم من تعليمات. وفي /٢١/ آذار «مارس» /١٩١٨/ بدأ الهجوم الألماني والمتوقع منذ فترة طويلة على فرنسا وشاركت فيه المشاة والمدفعية والطيران «وتم ذلك بعد تخلص ألمانيا من روسيا» وتوقف الهجوم الحاسم على فلسطين وأرسل كل ما يمكن من العتاد والجنود من فلسطين إلى فرنسا. وحتى تشرين الأول «اكتوبر» عام /١٩١٨م/ كان العدد الإجمالي للجيش الإنكليزي في فلسطين حسب معطيات «روبرتسون» هو «١١٩٢٥١١» جندي وضابط.

وكتب العقيد «ريبينفتون» في /٢٧/ آذار «مارس» /١٩١٨/: «إنها أخطر هزيمة في تاريخ جيشنا». وأعلن الألمان بأنهم حتى تاريخ /٦/ حزيران «يونيو» /١٩١٨/ قد أسروا /١٧٥٠٠٠/ عسكري إنكليزي واستولوا على أكثر من /٢٠٠٠/ مدفع وأثبتت الأيام صحة كلمات السير «ويليام» في رسالته للعقيد «ريبينفتون» والتي لا تزال تبعث الأمل في قلوب الناس الطيبين في عصرنا. وبالذات بفضل ثباته على الخط المستقيم تمكن «روبرتسون» من المحافظة على قوات كافية استطاعت الصمود في الجبهة حتى وصول قوات الدعم الأمريكية وبعد ذلك انتهت الحرب بالنصر.

وبالطبع لو جرى دعم روسيا في الوقت المناسب. ولو أن الجنود البريطانيين بقوا في فرنسا بدلاً من الذهاب إلى النزهة الفلسطينية لو تم كل ذلك لانتهت الحرب قبل ذلك بكثير ومن دون ضرورة تدخل الأمريكان.

هنا يكتب المؤلف كشاهد مباشر على الأحداث ويمكن لذلك أن يعطي لونا معينا لما ذكر والذي تعرض جيله لنتائجه والتي لا يمكن وصفها بالإيجابية.

إنني أتذكر جيداً الهجوم الألماني الرهيب في /٢١/ آذار «مارس» /١٩١٨م/. لقد شاهدته على الأرض وفي الجو واشتركت في الشهر الأول بكامله في المعارك حتى انتهى ذلك بإصابتي حيث نقلت بعدها إلى المشفى.

إنني أتذكر أوامر الجنرال «هيغ» بأن على كل جندي القتال حتى النهاية وألاّ يتحرك من مكانه. لقد كان ذلك الأمر معلقاً في مطعم سربنا الجوي. وأنا لست آسفاً على ما عانيته ولا أود شطب ذلك من حياتي حتى لو كان بإمكاني فعل ذلك. ولكن الآن عندما أرى وأشاهد الدوافع الخفية والوسائل التي تم بها تحقيق ذلك أود وأتمنى للأجيال القادمة أن تبقى على «الدرب المستقيم» الذي سار عليه السير «روبرتسون» والآن وأنا أعلم وأعرف أكثر بقليل عما جرى حين ذاك وعما يجري الآن، أريد أن يخدم أمور الخير ما يوصف الآن بالشر ولهذا السبب بالذات قمت بكتابة هذا الكتاب. وبفضل الانتصار في أوربة حصلوا على الأراضي التي رغبوا بها في فلسطين وكان من الضروري في البداية بناء وطن للصهيونية هناك ومن ثم بناء دولتها. «ومن ثم وعلى ما يبدو بناء الإمبراطورية». وإنكلترا بمفردها بالطبع لم تكن قادرة على القيام بذلك كله.

ولم يحدث من قبل في التاريخ أن تُقدم أراضٍ عربية إلى شعب آسيوي بعد أن احتلها الأوربيون. ولحدوث مثل هذه الصفقة كان يجب توريط الكثير من الشعوب والأمم. وكان من الضروري تأمين التدخل الأمريكي وكان ذلك القسم الثاني من الخطة العامة التي جهزت مسبقاً.

«لويد جروج» أتم عمله وإنتهى دوره بذلك. وعلى القارئ الآن أن يلقي نظرة إلى الشاطئ المقابل من المحيط الأطلسي وأن يتفرج على ما يقوم به السادة «هاوز» و «برانديس» والحاخام «عويز».

الفصل الواحد والثلاثون

شبكة الدسائس

إن كلمات «المؤامرة» و «الدسائس» الواردة في حكايتنا هذه لا تعود إلى المؤلف بل هي من المصادر والأدبيات الصهيونية المختلفة ونحن أخذناها من مصادر موثوقة من هناك.

«ارتور هاودن» «Howden» الذي كتب سيرة الكولونيل «هاوز»، قام مع هذا الأخير بالإيحاء لنا باسم هذا الفصل. فقد كتب يصور الأحداث التي جرت في أمريكا خلال/١٩١٤-١٩١٨م/ والتي كان يقف «هاوز» في مركزها: نسجت شبكة الدسائس حول ضفتي المحيط الأطلسي».

وقد وقعت حكومة «لويد جورج» في إنكلترا والرئيس «ويلسون» في أمريكا في الشبكة كل منهما على حدة بشكل منفصل عن الآخر.

وفي عام/١٩١٤-١٩١٧م/ جرى توحيد أجزاء الشبكة «في لندن وواشنطن» عبر المحيط وسقطت فيها الحكومتان ويصف «ارتور هاودن» كيف حدث ذلك.

في فترة رئاسة الرئيس «ويلسون» كان الرئيس الحقيقي للولايات المتحدة هو «هاوز» الذي وصفه الحاخام «عويز» كما يلي: «كان صلة الوصل بين حكومة «ويلسون» والحركة الصهيونية وأما عضو المحكمة العليا الأمريكية «برانديس» والذي كما ذكرنا قرر أن يهب نفسه للصهيونية وكان مستشاراً للرئيس في الأمور العبرانية، وهنا ظهرت بين محيط الرئيس شخصية المستشار والتي لم تكن معروفة سابقاً ولم يرد ذكرها في أي دستور على الرغم من الدور المؤثر لها.

وكان أهم ناشط للصهيونية في أمريكا الحاخام «عويز» على صلة دائمة مع «هاوز» و «برانديس».

وعملياً قام «هاوز» مع «برنارد باروخا» بتعيين الوزراء وذات مرة قام أحد الوزراء بتقديم نفسه إلى الرئيس بالكلمات التالية: «السيد الرئيس اسمي «لاين» وأعتقد بأنني وزير الداخلية».

وعلى الرغم من أن الرئيس كان يعيش في البيت الأبيض في واشنطن إلا أنه كان يظهر باستمرار في شقة صغيرة تقع في الشارع /٣٥/ الشرقي في نيويورك حيث كان يسكن «هاوز» وأثار ذلك التساؤلات الكثيرة لدرجة أن الرئيس قال ذات مرة: («هاوز» - هو الـ أنا الثانية العائدة لي. إنه الـ أنا المجهولة العائدة لي. إن أفكارنا متطابقة تماماً).

وكان «هاوز» دائم التواجد في واشنطن حيث كان يقود مقابلات الرئيس ومراسلاته ويعطي التعليمات للوزراء. لقد قاد أمريكا من شقته في نيويورك ولم يحتّج «هاوز» «لموافقة الرئيس على تعليماته، كان يكفي فقط أن يعارض الرئيس وكنت أعلم بذلك أن الأمر يسير قدماً».

ونحن نعلم أن الرئيس وعد بعد الانتخابات أن لا يتصرف بشكل مستقل. وإذا كان «هاوز» في عام /١٩٠٠م/ قد اتخذ قراره بالتحول من السياسة في تكساس إلى السياسة على مستوى الدولة، فإنه في عام /١٩١٤م/ أخذ يجهز نفسه لممارسة الأمور الدولية: «لقد أراد استخدام طاقاته في مجالات أوسع... ومع بدء عام /١٩١٤م/ أخذ أكثر فأكثر ينذر نفسه لما كان يُعده قمة العمل السياسي وحيث ظهرت مقدرته على أفضل شكل- في السياسة الدولية».

ويجدر القول بأن التجربة التكساسية كانت الأقل فائدة لـ «هاوز» في هذا المجال. وكل ما كان يتعلق بالسياسة الدولية اعتبر في تكساس عملاً قذراً حقيراً وهناك اعتبر الناس بأن أمريكا يجب أن تبقى منعزلة عن العالم القديم ولا تتدخل في النزاعات البعيدة عنها في أوربة، ولكن «هاوز» المتأثر بالأفكار الثورية لعام/١٨٤٨م/، قرر قطع علاقته بهذه التقاليد.

واختلفت طباع «هاوز» بشكل جذري عن طباع «بلفور» الذي تميز بالخمول والانعزالية «الوحدانية» وهو ابن التلال الاسكتلندية الشهيرة، وكذلك عن طباع «لويد جورج» الحذق ابن ويلز المنبطح أمام الصهيونية. ولكن الثلاثة تميزوا بمهارة ممارسة المضاربات السياسية وكأنهم درسوها في أكاديمية خفية لتعليم المضاربات السياسية.

في عام /١٩١٤/ أخذ «هاوز» وحسب اعترافه بتعين السفراء في الدول الأوربية وإقامة العلاقات مع الحكومات الأوربية بصفته «الصديق الشخصي للرئيس». وقد كتب فيما بعد ناشر سيرته «سيمور» يقول: «من الصعب العثور في التاريخ على مثال آخر للدبلوماسية التي لا تتطابق مع الطرق المعهودة والتي في الوقت نفسه تتمتع بهذا القدر من النجاح. لقد كان الكولونيل «هاوز» شخصية غير رسمية ومع ذلك كان يضع الخارطة على الطاولة ويبحث مع سفراء الدول الأجنبية بما يجب على السفراء الأمريكان فعله وما هي التعليمات التي يجب إرسالها إلى السفير الأمريكي في تلك الدولة وإلى وزير خارجية تلك الدولة»..

وأما «هاودين» وهو أحد المقربين لـ «هاوز» فيقول بصراحة أكثر: «في كل ما كان يجري، كانت المبادرة تأتي من «هاوز».

وتحولت وزارة الخارجية الأمريكية إلى مؤسسة مرحلية انحصر عملها في تنفيذ أفكار «هاوز» وإرسال القرارات الرسمية إلى الأرشيف للحفظ. وأما المراسلات السرية المهمة فقد جرت عبر شقته الصغيرة الواقعة على الشارع /٣٥/ الشرقي. وكان سفراء الدولة المتحاربة يراجعونه إذا أرادوا التأثير على قرارات الحكومة أو الحصول على دعم شبكة الدسائس عبر الأطلسي».

أما «هاوز» فقد كتب بتواضع: «إن الحياة التي أعيشها مثيرة وممتعة أكثر من أي رواية... وتتوارد المعلومات من مختلف أنحاء الكرة الأرضية إلى مكتبي المتواضع».

أما «سيمور» فيضيف: «أعضاء الحكومة بحثوا عن الشخصيات الضرورية والشخصيات الضرورية بحثوا عن المكان المناسب، حولوا ذلك المكتب (مكتب «هاوز») إلى ما يشبه دائرة رقابة... وأما الناشرون والصحفيون فكانوا يتوافدون للحصول على النصيحة والمشورة، وأما وكالات الأنباء المخصصة للأجانب فكان يملي عليها ما يراه مناسباً.

كان يستدعي كبار موظفي وزارة المالية والدبلوماسيين الإنكليز ورجال المال في العاصمة إلى مكتبه لكي يبحثوا معه خططهم».

وفي الطرف المقابل من الأطلسي سار نحو السلطة شخص آخر بخطى حثيثة وكان يهمه أيضاً موضوع «رجال المال» وقد كتبت «بياتريسا ويب» الاشتراكية الإنكليزية المعروفة، بأن «ونستون تشرشل» اعترف لها ذات مرة عن الود الذي يكنه «للأطراف المالية المؤثرة التي تقف لحماية العالم، وكان هو ضد الإمبراطورية «البريطانية» المستقلة عن الآخرين لأن ذلك في رأيه يهدم هذه الرأسمالية العالمية، في الوقت الذي يلعب فيه رجل المال «الكسموبوليتي» العالمي وبفضل طبيعية عمله دور صانع السلام في الحياة المعاصرة الحديثة».

ولكن وكما بينت الأحداث اللاحقة من الصعب جداً اعتبار رجال المال صناع سلام مهما كانت صفتهم، من العاصمة أو رجال مال «كسموبوليت».

هكذا كان حال الأمور ما وراء الكواليس في السياسة الأمريكية في عام /١٩١٥-١٩١٦م/ وحيث أصبح الهدف الحقيقي للزمرة الحاكمة التي سيطرت الآن على ضفتي الأطلسي، واضحاً مما جاء فيما بعد.

لقد جرى استبعاد «اسكويت» من رئاسة الوزارة بذريعة عدم الصلاحية حيث زعموا أنها تعيق النصر. وقام «لويد جورج» بمخاطرة سحب القوات من فرنسا وإرسلها إلى فلسطين الأمر الذي كاد أن يؤدي إلى كارثة. وأعيد انتخاب «ويلسون» مرة أخرى بعد أن وعد بعدم

السماح بانزلاق الولايات المتحدة في الحرب ولكن بعد الانتخابات مباشرة دخلت أمريكا الحرب ومن دون تأخير. وذكر مؤرخ سيرته بأن «هاوز» توصل وبشكل شخصي إلى قناعة بأن الحرب مع ألمانيا لا مفر منها «/٣٠ /أيار «مايو» /١٩١٥م/». ولكن هو نفسه طرح بنفاق ورياء شعار الحملة الانتخابية التي قادها: «هذا الرئيس حفظنا من الحرب» وجلبت هذه الكلمات النجاح. وسار كل شيء حسب الخطة وعملت استراتيجية «هاوز» بنجاح رائع وفاز «ويلسون» مرة أخرى.

وعلى ما يبدو أن «ويلسون» نفسه نسي مرة أخرى ما وعد به من عدم التصرف باستقلالية وأخذ بعد الانتخابات يحاول لعب دور صانع السلام، وأرسل إلى الدول المتحاربة وثيقة ذكر فيها أن «أسباب وأهداف الحرب غير واضحة». وكان ذلك نوعاً من الاستقلالية غير مسموح به جعل «هاوز» يبدو مسعوراً، مما دفع الرئيس إلى تعديل الجملة لتصبح» الأهداف المنشودة للسياسيين من الطرفين المتحاربين متشابهة» ولكنها زادت من سعورة «هاوز». بعد ذلك فضلَ الرئيس «ويلسون» الصمت. ولفترة ما على ما يبدو لم يعرف الرئيس «ويلسون» الدور الذي سيقوم به فقام بإخبار «هاوز» في /٤/ كانون الثاني «يناير» /١٩١٧/ بأن «الحرب لن تكون وشعبنا لا يريد الاشتراك بها...

إن الاشتراك في الحرب سيكون جريمة ضد الثقافة». ولكن الزمرة الحاكمة عملت بسرعة على تبديد هذه الأوهام، وعلى آثر استلام الرئيس «ويلسون» لمهماته قام الحاخام «عويز» بإبلاغه بآن الوضع تغير الآن «/٢٠ /كانون الثاني «يناير» /١٩١٧/» «وأنا على ثقة بأن الوقت حان ليفهم الشعب الأمريكي بأن القدر يملي علينا الاشتراك في هذا الصراع».

ومن ثم كتب أيضاً في مذكراته: «إننا ننزلق الآن إلى الحرب بالسرعة التي توقعتها». وفي /٢٧/ آذار «مارس» /١٩١٧م/ سأل الرئيس «ويلسون» السيد «هاوز» هل يجب حسب رأيه «الطلب من الكونغرس إعلان الحرب أم من الأفضل القول بأن حالة الحرب هي موجودة الآن؟».

وكان رأي «هاوز» إنه يفضل الجزء الثاني من السؤال وجرى إعلام الشعب الأمريكي في /١٢/ نيسان «ابريل» بأنه موجود في حالة حرب.

ونودُ هنا قطع سير الأحداث قليلاً ونشير إلى اللورد «سايدنهايم» عندما تحدث عن «الدقة القاتلة للبرتوكولات» في بداية القرن العشرين فإنه كان يقصد أيضاً المقاطع التالية منها: «وسنمنح الرئيس حق إعلان حالة الحرب وسيفسر ذلك بأن الرئيس كقائد عام للقوات المسلحة يجب أن يملك هذه القوات تحت تصرفه في حالة الضرورة».

هـذه الكلمـات هـي الـتي حـددت الممارسـات الـتي جـرت في القـرن العـشرين. ففـي عـام /١٩٥٠/ أرسـل الـرئيس «ترومـان» القـوات الأمريكيـة إلى كوريـا مـن «أجـل الوقـوف ضـد العـدوان الـشيوعي» ولم يسأل حتى موافقـة الكـونغرس علـى ذلـك. وبعـد فـترة أعلـن أن الحـرب تجـري مـن قبل الأمم المتحدة والتحقت بالقوات الأمريكيـة قـوات مـن سـبع عـشر دولـة تحـت قيـادة الجنـرال الأمريكـي «مـاك ارتـور». وكانـت تلـك الحـرب هـي «البروفـة» الأولى لحـروب تقـوم بهـا «الحكومـة الأمميـة» ولكنهـا جـرت بـشكل دفـع في عـام /١٩٥٢م/ الـسيناتور «تافـت» إلى التـساؤل: «هـل ننظـر نحـن بجديـة إلى سياسـتنا المعاديـة للـشيوعية». وطـرد الجنـرال «ارتـور» مـن القيـادة بعـد احتجاجه على قرار منع ملاحقة الطيران الشيوعي إلى مطاراته في الصين.

وفي عـام /١٩٥٣/ أعلـن الـرئيس «ايزنهـاور» انتهـاء الحـرب وتـرك نـصف كوريـا بأيـدي» المعتدين».

فيما بعد أطلق الجنرال «ارتور» وزملاؤه تهمة تسريب المعلومات حول أوامر عدم الملاحقة إلى الأعـداء عـن طريـق منظمـة تجـسس كانـت تـسرق الأوراق الحكوميـة الـسرية مـن واشـنطن «مجلـة «Life» عـدد/٧/ شـباط «فبرايـر» /١٩٥٦/» وقـد أكـد القائـد العـام الـصيني ذلـك في مقابلـة مع: New York Daily News في /١٣/ شباط «فبراير» /١٩٥٦م/.

وفي حزيـران «يونيـو» عـام /١٩٥١/ اختفـى مـن لنـدن موظفـان كـبيران مـن وزارة الخارجية الإنكليزية «وهما بورغيس وماك لين» والتزمت الحكومـة البريطانيـة الـصمت إزاء ذلـك. وفقـط في أيلـول «سـبتمبر» عـام /١٩٥٥/ اعترفـت بأنهمـا في موسـكو وأنهمـا كانـا جاسوسـين لمصلحة الاتحاد الـسوفييتي وأتـضح أنهمـا كانـا وراء تـسريب أوامـر عـدم الملاحقـة إلى الأعداء.

وفي /٤/ نيـسان «ابريـل» عـام /١٩٥٦م/ سـأل أحـد المراسـلين الـرئيس «ايزنهـاور»، هـل يمكن أن يعطي الرئيس أوامره من دون «سؤال الكونغرس» إلى كتيبة مشاة البحرية الموجودة في منطقـة البحـر المتوسـط للبـدء بالعلميـات الحربيـة. «في تلـك الفـترة كـان نـشوب الحـرب في الشرق الأوسط أمـراً وارداً جـداً». أجـاب الـرئيس بغـضب: «لقـد قلـت مـرات عديـدة وأكـرر الآن بأنني لن اتخذ أبداً أي إجراء يمكـن تفـسيره علـى أنـه حـرب مـن دون موافقـة الكـونغرس الـذي يملك الحق الدستوري بإعلان ذلك».

ولكـن بـدءاً مـن /٧/ كـانون الثـاني «ينـاير» /١٩٥٧م/ كـان أول عمـل قـام بـه «ايزنهـاور» بعـد الانتخـاب الثـاني هـو إرسـال مـشروع قـانون للكـونغرس يعطـي الـرئيس الحـق الـدائم وغـير المشروط بالبدء بالعلميات الحربية في الشرق الأوسط «لمنع العدوان الشيوعي».

ونعود الآن إلى حكايتنا ونلاحظ أنه ما بين تشرين الثاني «نوفمبر» /١٩١٦م/ ونيسان «ابريل» /١٩١٧م/ حققت شبكة الدسائس أهدافها الرئيسية وهي إبعاد «اسكويت» من رئاسة الحكومة في بريطانيا ووضع «لويد جورج» بدلاً منه وإعادة انتخاب الرئيس «ويلسون» في الولايات المتحدة الذي تعهد بتقديم الدعم وتوريط أمريكا في الحرب وقد جرى إعلام الكونغرس بأن الحرب جارية وذكرت أهدافها وهي «وضع نظام عالمي جديد». أي أنه أعلن بصراحة ولو بشكل مبهم عن الهدف الجديد للحرب العالمية. وهو بالنسبة للجماهير العريضة يمكن أن يعني أي شيء أو على العكس لا شيء. وأما بالنسبة للعارفين فقط هذه الكلمات تعني التعهد بدعم خطة كانت أداتها الصهيونية والشيوعية في أن واحد: وهي فرض إنشاء «فيدرالية أممية» تفترض ذوبان كل الأديان والأمم إلا أمة واحدة كان يجب تكوينها من جديد ومنذ تلك اللحظة أخذت الزمرة الحاكمة في أمريكا وإنكلترا بالعمل بتوافق تام.

لقد كتب «حاييم وايزمان» في آذار «مارس» /١٩١٥م/ إلى حليفه سكوت من «مانشستر غارديان» يقول له بأن الحكومة البريطانية ستقوم في مؤتمر السلام القادم[1] بدعم المطالب الصهيونية «التي ذكرها «ماكس نوردوا» في عام /١٩٠٣م/» وعلى الرغم من أن الحكومة البريطانية كانت في ذلك الوقت برئاسة «اسكويت» والذي لم يكن يرغب أبداً بدعم المطالب الصهيونية.

إذن «وايزمان» في آذار «مارس» /١٩١٥/ كان يعلم تماماً عن سيطرة أناس خاضعين للصهيونية على الحكومة البريطانية «جرى ذلك في كانون الأول «ديسمبر» /١٩١٦م/» وتمكن «وايزمان» في عام /١٩١٥/ أن يحسب تماماً ما سيجري في عام /١٩١٩/ «مؤتمر السلام» بل وحتى في السنوات العشرين اللاحقة، وكان يعلم أن فلسطين ستخضع للانتداب البريطاني «الضروري لحماية المستوطنين الصهاينة» وقد كتب يقول: «مع احتلال فلسطين سيأخذ اليهود على عاتقهم كل مهمة تنظيم البلاد ولكن سيكون ذلك على مدى/١٠-١٥/ سنة جارياً تحت الانتداب البريطاني المؤقت لفلسطين».

ويضيف «وايزمان» بأن ذلك «هو نظام انتداب رائع». واليوم يفهم المؤرخ أين وكيف ولدت فكرة الانتداب التي وزعتها «عصبة الأمم» المشبوهة. لقد ابتدعها الصهاينة خصيصاً لفلسطين ولا تترك الأحداث اللاحقة أي شك في ذلك: لقد وزعت الانتدابات بعد الحرب العالمية الأولى على دول أخرى من أجل خلق طابع عام وقد تلاشت تلك الانتدابات بسرعة وأخذت

١- بعد الحرب -المترجم

الشعوب تدير نفسها أو تحول الأمر إلى احتلال مباشر. لقد ظهرت الانتدابات واستمرت ما دام الأمر كان ضرورياً للصهاينة لكي يستطيعوا جمع ما يلزم من القوة والسلاح لاغتصاب فلسطين. وهكذا وبعد صعود «لويد جورج» إلى منصب رئيس الوزارة وإعادة انتخاب «ويلسون» أصبحت معالم المستقبل ولفترة بعيدة واضحة تماماً لـ «وايزمان» الجالس في مركز «شبكة الدسائس» وأخذ يعمل بعد ذلك بنشاط ملحوظ وأرسل مذكرة إلى الحكومة البريطانية طالب فيها بالاعتراف رسمياً باليهود الفلسطينيين كأمة يهودية. وبعد ذلك اجتمعت ما أسماه «وايزمان» «أول مؤتمر كامل أدى إلى وعد «بلفور».

والمجموعة التي كان عليها وضع وثيقة رسمية بريطانية اجتمعت في منزل يهودي خاص وتكونت من تسعة صهاينة بارزين وواحد فقط مثل الحكومة البريطانية المعهود إليها بذلك الأمر، وكان السير «مارك سايكس»[1] وكانت نتيجة الاجتماع رحلة «بلفور» إلى أمريكا لبحث الموضوع والموافقة عليه نهائياً.

وكان على «وايزمان» ورفاقه في تلك الفترة التوازن بين عائقين حيث كان يمكن للفشل أن يصيبهم. لولا أن الشبكة المذكورة أعلاه أعطتهم إمكان إملاء ما كان على «بلفور» سماعه في أمريكا.

والحكومة البريطانية على الرغم من حماسها التام للصهيونية لم تكن تريد أن تكون وحيدة في تبنيها للصهاينة، وكانت ترغب في المشاركة الأمريكية في احتلال فلسطين. وعلم الصهاينة بأن مثل هذه الدعوة ستثير في أمريكا رد فعل سلبي واضح. ولذلك أرادوا أن لا يثار أبداً موضوع اشتراك أمريكا في احتلال فلسطين. وازدادت مخاوف «وايزمان» عندما علم من «بلفور» قبل رحيله إلى أمريكا بأنه (أي «بلفور») يؤيد «الانتداب الإنكليزي- الأمريكي» لفلسطين.

وأرسل «وايزمان» على وجه السرعة رسالة إلى القاضي «برانديس» محذراً وأشار إلى ضرورة الوقوف ضد مثل هذه الخطط والتعهد لـ «بلفور» بالدعم الأمريكي للانتداب الإنكليزي الصافي «الرسالة في ٨/ نيسان «ابريل» /١٩١٧م/» ومع وصول «بلفور» إلى أمريكا وصلت الرسالة إلى القاضي الذي أصبح في ذلك الوقت عضواً في المحكمة العليا الأمريكية. ورسمياً كان على «برانديس» اعتزال قيادة الصهيونية في أمريكا كما يتطلب الدستور والأعراف السياسية. لأن عضو المحكمة العليا يجب أن يقف فوق السياسة. ولكن «برانديس»

١- احد من وقع معاهدة سايكس بيكو الشهيرة -المترجم

كمستشار للرئيس في الشؤون العبرانية أوضح للرئيس بأنه مع الانتداب البريطاني وأنه ضد أي إدارة مشتركة. وتشير المعطيات إلى أن «بلفور» لم يناقش موضوع فلسطين مع الرئيس. واقتصر دور الرئيس «ويلسون» على الوعود التي أعطاها للحاخام «عوزي»: «في أي وقت من الأوقات عندما تقرر أنت والقاضي «برانديس» بأن الوقت قد حان لأتكلم أو أقوم بعمل ما فأنا سأكون مستعداً.».

وأما الحاخام فقد أخبر «هاوز»: «إنه مجند كلياً لخدمة أهدافنا ولا يوجد أي شك في ذلك. أنا أعتقد بأن الأمور في واشنطن ستجري كما يجب». «مؤرخة في ١٨/ نيسان «ابريل» /١٩١٧/ أي بعد ستة أيام من إعلان الحرب الدائرة».

والتقى «بلفور» مع «برانديس» والذي كرر عليه ما كتب له حاييم- أي أنه كان بإمكان «بلفور» البقاء هناك وسماع الحديث من حاييم- وفي ذلك اللقاء ذكر «برانديس» «رغبة الصهاينة الصلبة بأن يكون الانتداب لفلسطين إنكليزياً خالصاً».

وأجاب «بلفور» «حسب ما ذكر مؤرخ سيرته» بالتعهد بإعطاء الصهيونية دعمه الشخصي الكامل وكان قد وعد بذلك سابقاً الدكتور «وايزمان» ولكنه الآن في دور «وزير الخارجية البريطانية». وتجدر الإشارة إلى التعليق الأمريكي اللاحق حول دور «برانديس» في هذه القصة. وقد كتب البرفسور «جون بيتي» «Beaty» من الجامعة التطبيقية الجنوبية في أمريكا، بأن يوم تثبيت «برانديس» في منصب عضو المحكمة العليا كان «واحداً من الأيام المشهودة في التاريخ الأمريكي لأنه لأول مرة منذ بداية القرن التاسع عشر لدينا في أحد المناصب العليا في الدولة شخص اهتمامه الأساسي لا يمت بصلة إلى الولايات المتحدة».

وكما كتب «وايزمان» فإن «برانديس» «فعل أكثر مما هو فقط الدعوة إلى فلسطين العبرانية تحت الانتداب البريطاني».

وقام هو مع «هاوز» بتأليف الوثيقة التي حملت توقيع الرئيس «ويلسون» حول التخلي عن الدبلوماسية الخفية السرية وقد أعجبت هذه الوثيقة الجماهير العريضة والتي رأت فيها صوت العالم الجديد الذي أدان العالم القديم المليء بالأخطاء والخطايا.

ورسمت الدعاية صورة الدبلوماسي القديم كشخص في رداء أسود متخفٍ وراء نظاراته يعمل في الخفاء بمكر ودهاء أما الآن وبعد دخول أمريكا الحرب فإن كل شيء يجب أن يكون مكشوفاً وأمام عيون الشعب. ولكن ذلك خيال وأما الخطابات الملتهبة فكان عليها التغطية على المتطلبات الجديدة للصهاينة، وكان من الضروري التغلب على تركيا «مالكة فلسطين في ذلك الوقت» وكانت فرنسا وإنكلترا مشغولتين بذلك «- ملاحظة الترجمة-

الهزيمة الكبرى لحقت بتركيا على جبهة القفقاز حيث احتلت القوات الروسية في عام /١٩١٦م/ كل أراضي ما عرف بأرمينيا الكبرى، ولكن بعد انقلاب شباط «فبراير» /١٩١٧م/ في روسيا تلاشت جبهة القفقاز». وكان من الضروري جذب العرب إلى جانب الحلفاء وتم عقد اتفاق «سايكس- بيكو» الذي تضمن كونفيدرالية عربية مستقلة وفي وسطهم كان على فلسطين أن تكون تحت «الإدارة الدولية». وعلم بذلك «وايزمان» مسبقاً وفهم تماماً بأن الدولة اليهودية ستكون مستحيلة في حال وضع فلسطين تحت الإدارة الدولية. وتطلب ذلك انتداباً بريطانياً خالصاً. ونتيجة ذلك جاءت وثيقة «ويلسون» عن الفضح المزعوم للدبلوماسية الخفية ضربة قاضية للفلسطينيين العرب وحدهم وحطمت آمالهم بمستقبل حر. وطالبت أمريكا بتسليم الأمر لإنكلترا وخرق الوعود المعطاة للعرب لأنها كانت نتيجة «للدبلوماسية الخفية». هذا النجاح الخفي سمح لكاتب سيرة «بلفور» أن يؤكد بأن «الدبلوماسية اليهودية القومية أصبحت الآن واقعاً ملموساً».

وبالفعل سار صيف عام /١٩١٧م/ على طريقة تحضير «وثيقة بلفور» الشهيرة وكانت أمريكا متورطة سراً في المغامرة الصهيونية وكانت المعارضة الوحيدة من طرف الجنرالات ويهود أمريكا وإنكلترا، ولكنها لم تكن لتؤثر على سير الأحداث لأن قادة البلدين السياسيين كانوا عدائيين باتجاه يهود أمريكا وإنكلترا أكثر حتى من الصهاينة. وكما نرى فإن هؤلاء «المسيحيين الغيورين» لعبوا هناك دوراً كبيراً في تلك القصة على الرغم من كونهم في حقيقة الأمر ألعوبة في أيدي الآخرين.

ويجدر بالذكر بأن اللجنة المتحدة لما يدعى بالرابطة الإنكليزية- العبرانية في لندن، أعلنت رسمياً في عام /١٩١٥م/ بأنه «في أعين الصهاينة تُعد المساواة السياسية والمدنية لليهود غير كافية لإنهاء ملاحقتهم واضطهادهم وهم يُعدون بأن النصر النهائي يمكن التوصل إليه فقط عن طريق إنشاء ملجأ قانوني مضمون للشعب اليهودي.

إن اللجنة المتحدة تُعد الشعارات القومية للصهاينة وكذلك الامتيازات الخاصة لليهود في فلسطين هي أمر خطير يمكن أن يحرض ويثير معاداة السامية. - ولن تقوم اللجنة المتحدة بمناقشة الانتداب البريطاني مع المنظمة الدولية التي ستضم عناصر مختلفة ومن ضمنهم حتى أعدائنا».

وفي أي وقت طبيعي اعتيادي آخر كان يمكن للحكومات البريطانية والأمريكية التوقيع تحت هذه العريضة وتضمن بذلك لنفسها تأييد مواطنيها اليهود. وكان «حاييم وايزمان» قد قال قبل ذلك في عام /١٩١٤/ بأنه «يجب إجبار هؤلاء اليهود على أن يفهموا بأن سادة الأمور والأوضاع نحن وليس هم».

وعلى الرغم من أن اللجنة المتحدة مثلت اليهود في إنكلترا إلا أن الحكومة البريطانية لم تكترث بها وارتأت بدلاً من ذلك دعم مطالب المتآمرين الصهاينة من روسيا.

في عام /١٩١٧م/ ومع اقتراب القرار الذي لا يمكن إصلاحه، قامت اللجنة المتحدة مرة أخرى بالتصريح بأن اليهود- هم فقط عبارة عن طائفة دينية وليس أكثر من ذلك ولا يحق لهم المطالبة بأي أراضٍ قومية وأن يهود فلسطين يحتاجون فقط لضمان لحرياتهم الدينية والمدنية وإمكانات معقولة للهجرة..».

وأثارت هذه الكلمات غضب الكثير من الصهاينة ومؤيديهم فمثلاً «فيكهم ستيد» من التايمز أعلن غضبه واستياءه العميق «من مثل هذه المواقف» لليهود الإنكليز» وبعد ذلك التقى مع «وايزمان» لمدة ساعة كاملة وناقش معه «أي من السياسيين المعروفين يمكنه أن يؤثر أفضل ما يمكن على الجمهور الإنكليزي» وشرح بروعة صلب مهمات الصهيونية (حسب تعبير «وايزمان»).

وفي الوقت ذاته وقف الحاخام «عويز» و «براندیس» وغيرهم من الصهاينة كالجدار الصلب ضد يهود أمريكا.

وذات مرة سأل الحاخام «عويز» «المنحدر من أصل هنغاري» الرئيس «ويلسون»: «ما الذي ستفعله لو وصلت احتجاجاتهم إليكم». وبعد صمت غير طويل أشار الرئيس إلى سلة مهملات قرب الطاولة وقال: «أتظن أن هذه السلة لا تكفي لكل احتجاجاتهم؟».

وفي إنكلترا بدا «حاييم وايزمان» مسعوراً من «التدخل الغريب ومن طرف اليهود بالذات». وهو في تلك اللحظات وبلا شك شعر بنفسه عضواً في الحكومة أو حتى أهم أعضائها بمعنى السلطة الحقيقية وحيث كان هو في حقيقة الأمر كذلك بلا شك.

وهو لم يرفض فقط التدخل من طرف يهود إنكلترا بل وأخذ يملي على الحكومة الإنكليزية ما يجب عليها أن تبحثه وطالب بمقعد في غرفة اجتماعات الحكومة عندما كان يتوقع أي اعتراض من وزير يهودي! وبعد ذلك طالب بأن يطرح «لويد جورج» مسألة الانتداب الإنكليزي الخالص لفلسطين على جلسة مجلس الوزراء المقررة في /٤/ تشرين الأول «أكتوبر» /١٩١٧م/.

ولكن في /٣/ تشرين الأول «أكتوبر» أرسل إلى وزارة الخارجية احتجاجاً مسبقاً على الرفض الذي سيقوم به «حسب ما توقع هو» في تلك الجلسة «إنكليزي معروف من أتباع الديانة اليهودية».

وكـان يقـصد بـذلك الـوزير «ايـدوين مونيتفيـو». وطالـب «وايزمـان» ألا يـألوا الـوزراء «مونيتفيو» عن أي شيء لا أكثر ولا أقل. ولكن إذا حصل وأعترض فعليهم دعوة «وايزمان» إلى مكتب الجلسة ليجيبهُ.

وفي يـوم الجلسة حضر «وايزمـان» إلى مكتب سـكرتير رئيس الـوزراء المدعو «فيليب كـير» «وهـو أيضاً مـن أصـدقاء «وايزمـان» الأعـزاء» وأبـدى رغبتـه بحضور الجلسة مـن «آجل الإجابة على أسئلة الوزراء إذا رغبوا بسؤالي عن أمر ما قبل اتخاذ القرارات» فأجابه كير بأنه «منـذ ظهـور الحكومـة البريطانيـة إلى الوجـود لم يـسمح لأي شـخص مـن خارجهـا بحـضور جلساتها»..

واضطر «وايزمـان» للرحيل ولكـن مـا إن غـادر المكـان حتـى أرسـل في أثـره كـلاً مـن «بلفور» و «لويد جـورج» بعد أن ألقـى «مونتيفيـو» خطابه. ولكن على الـرغم من الضغط الذي تعرض له هذا الأخير من طرف زملائه «المسيحيين» فقد تمكن من تمرير بعض التعديلات على مشروع القرار مما دفع «وايزمـان» إلى توبيخ كـير بقولـه: «أنتم ووزاراتكم تعطـون لمن يـسمى بالعبرانيـة الإنكليزيـة قيمـة أكثـر ممـا يـستحق».. وبعـد يـومين مـن ذلـك «/٩/ تـشرين الأول «أكتوبر» /١٩١٧/». أرسل «وايزمان» برقيـة إلى «برانـديس» مفتخـراً بـأن الحكومـة البريطانيـة تعهدت رسمياً بإنشاء ملجأ قومي للعرق اليهودي في فلسطين.

وفي الفترة ما بين /٩/ تشرين الأول «أكتوبر» و/٢/ تشرين الثاني «نوفمبر» عندما نـشر القانون حصلت معه أمور مثيرة. فقد أرسل إلى أمريكا ليدققه ويصححه كل مـن «برانـديس» و «هاوز» والحاخام «عويز» قبل أن يعرض على الرئيس «ويلسون» «للتصديق النهائي».

وقـام «ويلـسون» ومـن دون أي تـدقيق بإرسـاله إلى «برانـديس» (الـذي حـصل عليـه مـن «وايزمان» وقام بإرساله إلى الحاخام «عويز» «لكي يرسله إلى الكولونيل «هـاوز» لكـي يعيـده إلى الحكومة البريطانية»).

وهـكـذا جـرى إعـداد أحـد أهـم قـرارات الحكومـة البريطانيـة وقـام «بلفـور» بإرسـال رسـالة أرفقهـا بالمشروع إلى اللـورد روتـشيلد. ودخلـت إلى التـاريخ تحـت اسـم «وعـد بلفـور». وتميزت أسـرة روتـشيلد كمـا هـو الحـال في أي أسـرة يهودية ثرية أخـرى بـاختلاف واضـح في الـرأي في أعـضائها فيمـا يخـص الـصهيونية، والرسـالة الـتي أرسـلت إلى أحـد أفـراد عائلـة روتشيلد المتعاطف مع الصهيونية، ومن الواضح لكي تثير انطباعـاً لـدى يهود الغـرب ولكـي يبعد الشبهة عن الجذور اليهودية الشرقية للمغامرة. وفي الحقيقة فإن المرسل إليه الحقيقي هو «حـاييم وايزمـان» ذلـك لأنـه كـان دائـم التواجـد في غرفـة الاسـتقبال في وزارة الحربيـة وفعـلاً

أعطاه الوثيقة[1]. باليد السير «مارك سايكس» وقال له: «أيها الدكتور «وايزمان» - إنه صبي». هذا ما يقولونه في دور التوليد للأب عند تهنئته بالحدث السعيد. ومع الوقت كبر الصبي ونحن الآن في أيامنا نشاهد كيف كبر الصبي وطباعه الحقيقية. ولشرح وفهم السبب الذي دفع أشهر السياسيين في الغرب إلى دعم هذه الفكرة الغربية عليهم، علينا فهم الدوافع والتي لم تذكر أبداً. ومن المعلوم أن كل هذه الأمور جرت في الخفاء والسر حتى لحظة إعلان وثيقة «بلفور» ولذلك من الصعب إعطاء أي تفسير مقنع.

أعمال الخير لا تحتاج إلى الإخفاء والتعتيم وتتم في وضح النهار ووجودها نفسه يشير إلى دوافعها.

ولكن عندما قام واحد من الساسة المذكورين سابقاً والمتورطين في هذه القضية بإعطاء تفسير رسمي، فإن أجوبتهم كانت في العادة غامضة وتستند إلى كتاب العهد القديم وهم يُعدون أن هذا التفسير المنافق يكفي لإخافة من لا يزال يشك في الأمر.

ويذكر الحاخام «عويز» بأن «لويد جورج» كان يحبُ أن يقول لأصدقائه الصهاينة «ستحصلون على فلسطين من دان حتى بئر السبع» معتبراً نفسه على ما يبدو منفذاً لرغبات الرب وإرادته. وذات مرة قام هو بدعوة أعضاء البرلمان القلقين من تطور الأحداث إلى مائدة الإفطار «لكي أقنعهم بصحة فهمي واستيعابي للصهيونية». واجتمع في غرفة طعام رئيس الوزراء الـ «مينام» اللازم «العدد اليهودي اللازم والبالغ عشرة مؤمنين» وقرأ «لويد جورج» على الجميع مقاطع من العهد القديم والذي تضمن حسب رأيه توطين اليهود في فلسطين عام /١٩١٧م/. وفي النهاية قال: «والآن أنتم تعرفون أيها السادة ماذا تقول توراتكم وبهذا يمكن اعتبار المسألة منتهية». وكان كلامه في الحالات الأخرى متناقضاً ويتسم بالنفاق.

في إحدى المرات في عام /١٩٣٧م/ قال في اجتماع اللجنة الملكية الفلسطينية بأنه قبل عشرين عاماً وحاول الحصول على دعم العبرانية الأمريكية التي تعهدت بوعود محددة من قبل قادة الصهيونية والتي جاء فيها «بأنه إذا حقق الحلفاء الظروف اللازمة لإقامة وطن لليهود في فلسطين فسيقوم يهود العالم بدعم الحلفاء في الحرب». وكان ذلك كذباً وقحاً أمام التاريخ. عندما سافر «بلفور» إلى أمريكا ليناقش وثيقته كانت أمريكا قد دخلت الحرب ولم يجرِ عقد أي صفقة.

١- وعد بلفور -المترجم

وقد كتب المعلق اليهودي «الميربريغر» بأن الوعد المزعوم عن المساعدة من قبل اليهود «يثير السخط الشديد في نفسي وفي عائلتي وفي نفوس أصدقائي اليهود- اليهود البسطاء.

إنها أكثر الأكاذيب حقارة في التاريخ. وفقط الوقح العديم الإحساس يمكن أن يشك في أن اليهود في دول الحلفاء قاموا بكل ما في وسعهم ليساعدوا في كسب الحرب».

والتأكيد الثالث لـ «لويد جورج» هو الأكثر شهره: «الاسيتون هو الذي جعل مني صهيونياً». ويؤكد «لويد جورج» بأنه سأل ذات مرة «وايزمان» بماذا يمكن مكافأته على اكتشافه المفيد في الكيمياء في فترة الحرب (كان «وايزمان» في أوقات فراغه يعمل في المخبر).

وأجابه «وايزمان»: «لا أريد شيئاً لنفسي ولكن أريد كل شيء لشعبي» وبعد ذلك قرر «لويد جورج» إعطاءه فلسطين. «وايزمان» نفسه يسخر من هذه الحكاية السخيفة: «التاريخ لا تخلقه عجائب مصباح علاء الدين. «لويد جورج» أيد فكرة الوطن القومي لليهود قبل أن يصبح رئيساً للوزراء بفترة طويلة»..

ونود هنا أن نشير إلى أن الحكومة البريطانية منحت «وايزمان» مكافأة سخية لجهوده في الكيمياء والتي زعم بأنه لا يريد مقابلها أي شيء لنفسه. لقد حصل على مبلغ أسطوري في ذلك الوقت قدره /١٠٠٠٠/ جنية استرليني وكذلك حصل على أموال طائلة من جراء بيع الامتياز إلى شركة ألمانية.

ومن الصعب عدم الخروج باستنتاج بأنه لو كان من الممكن إيجاد أي تفسير لائق لسلوك «لويد جورج» لكان هو أول من وجد هذا التفسير.

ولقد فقدت مفاهيم «الانتخابات» و «الوزارة المسؤولة» أي معنى لها مع ظهور شخصيات غير معروفة أملت على الرؤساء والوزراء إرادتها في وقت السلام والحرب. واليوم أصبح هذا الوضع سائداً في كل مكان وفقد الناخبون الأمريكان والإنكليز أي إمكان في الاختيار الحقيقي.

في تشرين الثاني «نوفمبر» عام /١٩١٧م/ انزلقت الجمهورية الأمريكية والمملكة المتحدة إلى الصهيونية التي أظهرت قوتها التدميرية وكانت فقط إحدى أدوات «مبدأ الدمار العام» ويذكر القارئ بأنه في أيام شباب «وايزمان» كان يهود روسيا «المحكومون من التلموديين» منقسمين إلى ثوريين صهاينة وثوريين شيوعيين.

في ذلك الأسبوع في تشرين الثاني «نوفمبر» عام /١٩١٧م/ عندما ظهرت وثيقة «بلفور»، استطاعت مجموعة أخرى من يهود روسيا الوصول إلى هدفها- تحطيم الدولة القومية الروسية.

وهكذا برز المسخ المخيف ذو الرأسين. الرأس الأول هو الصهيونية في الغرب والرأي الثاني هو سلطة الشيوعية التي استولت على روسيا. وأدى الخضوع للصهيونية إلى فقدان الغرب لأسس المقاومة للثورة العالمية لأن الصهيونية أمسكت بخناق الحكومات الغربية ومنعتها من متابعة المصالح الوطنية.

بعد عام /١٩١٧م/ ظهر أمام القرن العشرين كله سؤال: «هل باستطاعة الغرب أن يتحرر بواسطة قواه الذاتية ويحرر قادته السياسيين من العبودية المزدوجة أمام الصهيونية والثورة العالمية.

ولتقدير نهاية مرحلة حكايتنا ، على القارئ أن يتعرف على الأفعال التي أجبر على القيام بها ساسة أمريكا وإنكلترا حتى الحرب العالمية الأولى.

الفصل الثاني والثلاثون

الثورة العالمية تسير قدماً

حدث انتصار البلشفية في روسيا وكذلك الصهيونية في إنكلترا في أسبوع واحد في عام /١٩١٧م/ وفقط ظاهرياً يبدو الحدثان مستقلين عن بعضهما. لقد أظهرت الفصول السابقة بأن مصدرهما الأولي واحد، وأن القوتين عملتا حسب عقائد «الشريعة القديمة»: «حطم دمر... وتسلط على جميع شعوب الأرض» وأكد عام /١٩١٧/ صحة التقدير الذي أعطي للثورة العالمية في طورها لعام /١٨٤٨م/ والذي قاله «ديزرائيلي» حيث أشار إلى أن اليهود وقفوا على رأس جميع المنظمات السرية بلا استثناء وهدفوا إلى تدمير المسيحية. والمجموعة التي حكمت روسيا بعد عام /١٩١٧م/ ساد اليهود فيها إلى درجة يمكن معها تسميتها بالحكومة اليهودية.

وطبيعة القوة المحركة للثورة تحولت في تلك اللحظة، من موضوع جدل لنقاش سياسي إلى واقعة تاريخية واضحة لا شك فيها. وحصل ما يؤكد كل ذلك في أفعالهم التالية: في السخرية والاستهزاء من الدين المسيحي وفي قتل القيصر وأسرته وهي أعمال حملت طابع الانتقام التلمودي الواضح.

وعلى مدى السنين التالية حاولت الجهة ذات العلاقة وعلى شكل دوري أن تخفي عن عيون الرأي العام هذه الوقائع وانتقدت بمرارة أي محاولة للتحليل الموضوعي لسير الأحداث التاريخية.

في عام /١٩٥٠م/ كتب الكاتب العبراني الأمريكي المعروف «جورج ساكولسكي» ما يلي: «عندما قرأت كتاب البرفسور «بتي» «Johon Beaty The Iron Curtion Over America» من الصعب عدم الاستنتاج بأنه «أي البرفسور» أراد إثبات بأن الشيوعية هي حركة يهودية.

وأما عن قيادتهم للشيوعية فإن ذلك كان واضحاً حتى قبل عام /١٩١٧م/.

وأهداف ثورة /١٩١٧م/ بنيت بوضوح بأنها ليست مقطعاً عرضياً حدث مصادفة، بل إنها الانفجار الثالث لتلك القوى التي كشفت منظمتها في وثائق «واي سخاوبت» و «أخوية المنورين». ومرة أخرى من جديد برزت أهم ميزتين لهذه الانفجارات الثورية الدورية وهي- تدمير الحكومات الشرعية أياً كان شكلها وتدمير الديانات.

وبعد ثورة عام /١٩١٧/ أتضح زيف الأسطورة التي أدعت بأن الثورة هي فقط ضد الملوك وضد سلطة رجال الدين، وأصبح هذا الأمر واضحاً للكثيرين ومنهم أكثر سياسيي القرن العشرين شهرة وهو «وينستون تشرشل» والذي كان في ذلك الوقت لا يزال يسير على خطى تقاليد العظماء مثل «ادمون بيرك» و «جون روبينسون» و «جورج واشنطن» و «الكسندر هاملتون» و «ديزرائيلي». وقد كتب «تشرشل» في عام /١٩٢٠م/ يقول: «على ما يبدو أن إنجيل المسيح ودعوات من حاربوه وقتلوه كان محتوماً عليها الظهور في باطن شعب واحد. وإن هذا العرق المتصوف والغامض اختير لإظهار الرؤيا العليا، الربانية منها والشيطانية... ابتداء من «سبارتاك» - «واي سخاوبت» إلى «كارل ماركس» وحتى «تروتسكي» في روسيا و «بيلا كونا» في هنغاريا و «روزا لكسمبورغ» في ألمانية و «ايمي غولد مان» في الولايات المتحدة.

إنها المؤامرة العالمية لقلب الثقافة والإطاحة بها وتغيير المجتمع وإيقاف بداية التقدم وهي مليئة بالحقد والحسد وهي ما تزال تتابع نموها وتقدمها.

وكما بينت المؤرخة المعاصرة لنا «نيستا ويبستر» وبشكل مقنع ومفحم «لا يقبل الشك» فقد لعبت هذه المؤامرة دوراً واضحاً ومشهوداً في مأساة الثورة الفرنسية وكانت «أي المؤامرة» المحرك الأساسي لكل الأعمال التخريبية في القرن التاسع عشر. وأخيراً والآن هذه الزمرة من الشخصيات غير الاعتيادية ومن حثالة المدن الأوربية والأمريكية قبضت على خناق الشعب الروسي وأمسكت به من شعره وأصبح هؤلاء «الحثالة» عملياً سادة لإمبراطورية واسعة عظمى.

ولا يوجد أي مسوغ لتكبير وتهويل دور هؤلاء اليهود، الأممين وفي الغالب العديمي الإيمان، في تكوين وخلق البلشفية وتفجير الثورة الروسية. لأن دورهم وبلا شك عظيم جداً في ذلك وعلى الأرجح يزيد كثيراً عن دور الآخرين». هذه التصريحات وردت في مقالة كتبت في /٨/ شباط «فبراير» /١٩٢٠/ في «Illusrated Sunday Herald» وهي لسياسي بارز جداً في العصر الحديث وكان ذلك آخر تصريح حر ومفتوح له في هذا الموضوع تمكن المؤلف من العثور عليه.

وبعد ذلك جرى منع واضح لأي نقاش علني في هذا الموضوع وبدأ الصمت العظيم.

وفي عام /١٩٥٣/ رفض «تشرشل» السماح للمؤلف بأخذ صورة طبق الأصل عن المقالة المذكورة ورفض أن يبرر ذلك «يمنع القانون الإنكليزي الحصول على سماح من أي مؤلف لتصوير مقالته أو جزء منها».

وحقيقة قيادة اليهود للثورة الروسية كان واقعة لها معنى استثنائي كبير وأدى التعتيم المقصود على هذا الأمر فيما بعد إلى إضعاف الغرب لأن الجدل المفتوح حول هذا الموضوع كان بإمكانه المساعدة على تصحيح الأجواء السياسية هناك.

وبالطبع فلا وجود لأي سياسة حكومية عقلانية وهي غير ممكنة أصلاً إذا حرم النقاش العلني وبشكل مسبق لمثل هذه الوقائع المهمة من الحياة السياسية. ويشبه ذلك اللعب في البلياردو بعصا عوجاء وكرات بيضوية.

ولكن في الوقت نفسه هذا التعتيم الكامل إنما يشير إلى قوة المؤامرة ونفوذها العظيم.

أما في تلك الأيام فكانت الوقائع في متناول الجميع وقد أصدرت الحكومة البريطانية كتاباً أبيض في عام /١٩١٩/ عن روسيا، برقم /١/ وهو يحتوي على مجموعة إخباريات عن البلشفية ومن ضمنها إخبارية للسفير الهولندي «أودينداك» في بطرسبورغ وموجهة إلى «بلفور» في لندن عام /١٩١٨م/: «البلشفية نظمت وتنفذ من قبل اليهود الذين لا قومية لهم وهدفهم الوحيد هو تدمير النظام القائم من أجل مصالحهم الخاصة».

ونفس الأمر كرره السفير الأمريكي في روسيا «ديفيد فرنيسيس»: «قادة البلشفية وأغلبيتهم من اليهود- و /٩٠٪/ منهم منفيون عادوا- لا تهمهم لا روسيا ولا أي دولة أخرى. إنهم أمميون يريدون القيام بثورة اجتماعية أممية».

ولكن تقرير السفير الهولندي اختفى فيما بعد من بين الأوراق الرسمية الإنكليزية وبات من الصعب جداً منذ ذلك الحين العثور على وثائق من هذا النوع ولكن لحسن حظ التاريخ والمؤرخين تمكن أحد الشهود على تلك الأحداث من المحافظة على هذه الوثيقة الرسمية. وهذا الشاهد هو- «روبرت ويلتون Wilton» مراسل جريدة التايمز الذي عايش شخصياً أحداث الثورة في روسيا.

في الطبعة الفرنسية من كتابه يوجد جدول رسمي يحتوي أسماء قادة المؤسسات البلشفية «اختفى الجدول من الطبعة الإنكليزية للكتاب» ومن هذه الوثائق يبدو واضحاً بأن

اللجنة المركزية للحزب البلشفي- أي السلطة العليا في الدولة- ضمت ثلاثة من أصل روسي «من ضمنهم لينين»[1] وتسعة من اليهود.

المؤسسة التالية من حيث الأهمية والنفوذ هي اللجنة التنفيذية المركزية واحتوت على /٤٢/ يهودياً وتسعة عشر شخصاً آخرين من أصول روسية وجورجية ولاتفية وغيرها.

أما مجلس المفوضين الشعبيين[2] كان فيه /١٧/ يهودياً والخمسة الباقين من قوميات مختلفة.

وأما لجنة موسكو الاستثنائية[3] فقد قادها /٢٣/ يهودياً و /١٣/ من القوميات الأخرى[4].

ومن بين/٥٥٦/ شخصية قيادية بلشفية عليا نشرت رسمياً عام/١٩١٨-١٩١٩/ كان هناك /٤٤٨/ يهودي.

وحتى في المعارضة الصغيرة الموجودة، الاشتراكية منها والفوضوية وغيرها «في بداية الثورة سمح البلاشفة بوجود معارضة شكلية بهدف خداع الشعب الذي اعتاد على رؤية المعارضة أيام حكم القيصر» كانت قياداتها تضم /٥٥/ يهودياً وستة من قوميات أخرى.

وجميع الأسماء الواردة في كتاب «والتون» مأخوذة من وثائق رسمية أصلية. «ويلاحظ أن الأمر نفسه تكرر في تركيبة وأسماء القيادة في الثورتين البلشفيتين القصيرتين في كل من المجر وبافاريا».

وقد بذل «ويلتون» جهوداً خارقة «للأسف لم يقدرها أحد كما يجب» لكي يطلع قراء الجرائد الإنكليز عن حقيقة ما دار في روسيا أيام الثورة ولكنه وبعد حملة ضارية شنت عليه

١- تشير المصادر الغربية اليهودية وبعض المصادر السوفييتية غير المنشورة بأن (لينين) كان أيضاً يهودياً ولو عاش فترة أطول لكان بإمكانه الحصول على الجنسية الإسرائيلية لأن امه (ماريا) (ولدت باسم مريام بلانك) كانت ابنة يهودي من أوديسا اسمه (الكسندر دافيدوفتش بلانك) (فيما بعد اصبح ديمتروفتش) واعتنق مع عائلته المسيحية وكان طبيباً في الشرطة وخدم حتى رتبة مقدم وأما والد (لينين) فكان من اصل روسي (مع جذور تترية او كلميكية تبدو واضحة في تقاطيع وجه زعيم البروليناريا العالمي) وكان الأب مسيحياً مؤمناً ومخلصاً لروسيا وللقيصر، وعمل في مجال التعليم وحصل على مناصب عليا في الدولة على الرغم من أصوله الفلاحية

٢- مجلس المفوضين الشعبيين: هو هيئة تشبه او مماثلة لمجلس الوزراء سادت في روسيا من بعد الثورة وحتى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية -المترجم

٣- جهاز المباحث والاستخبارات -المترجم

٤- فرع اللجنة الاستثنائية في كييف (فرع الأمن السري) اشتهر بالفظائع التي ارتكبها وقيادته تألفت من /٢٥/ شخصاً كان منهم /٢٣/ يهودياً.

مات شاباً في سن لا يزيد عن الخمسين عاماً (إحدى الوفيات الكثيرة في هذه الحكاية «السابقة لأوانها»).

وهو لم يركض وراء الشهرة عندما كتب عن تلك الأحداث الشديدة الأهمية بل الأحداث نفسها انهالت عليه.

لقد تربى ذلك الشاب في روسيا ونال فيها شهادته الجامعية وكان يتحدث الروسية مثل الروس تماماً. وكان الاحترام يرافقه أينما ذهب في أراضي روسيا وفي السفارة البريطانية[1] هناك. وقد تابع أعمال العنف والشغب في العاصمة الروسية من شباك مكتب التايمز هناك المجاور لقسم البوليس حيث اختبأ وزراء الحكم المنهار.

وبين فترة ظهور الحكومة المؤقتة في ربيع /١٩١٧/ واغتصاب البلاشفة السلطة في خريف /١٩١٧م/ استطاع «ويلتون» أن يشير إلى ظاهرة جديدة تماماً في السياسة الدولية وهي استيلاء اليهود على السلطة وانتشار الاستبداد في روسيا والقيادة المكشوفة لقوى الثورة العالمية. ولكنه سرعان ما فهم بأنهم لن يسمحوا له بكتابة الحقيقة عما يدور هناك.

وهذه القصة التي كانت مجهولة حتى هذا الحين، مذكورة وبصراحة غير معهودة في كتاب «التاريخ الرسمي للتايمز» الصادر في عام /١٩٥٢م/ ومنه تتكشف الآلية المتسترة التي كانت تعمل حتى في عام /١٩١٧م/ والهادفة إلى منع أي تسرب للحقيقة عما يدور في روسيا وعن الثورة الروسية.

والمدهش أن الكتاب في البداية يقدر بشكل عالٍ أعمال «ويلتون» في روسيا قبل عام /١٩١٧/ ولكن بعد ذلك التاريخ تتغير بشكل واضح لهجة الكتاب نحوه ويقول الكتاب بأن التوقعات المبكرة لـ «ويلتون» حول الثورة الروسية عام /١٩١٧/ «لم تؤثر على الخط السياسي للجريدة لأن صاحب تلك التوقعات «ويلتون» افتقر إلى الثقة الكاملة».

لماذا فجأة أصبح يفتقر إلى «الثقة الكاملة» على الرغم من أن كل أعماله السابقة كانت رائعة حسب اعتراف الكتاب؟ وسرعان ما يظهر سبب ذلك. وكما ورد فيما بعد فإن «ويلتون» أخذ يشتكي من أن مقالاته تتعرض للتشويه والتعديل، أو أنها لا تنشر. بعد ذلك أخذت التايمز تنشر عن روسيا مقالات كان مؤلفوها على معرفة سطحية بالأوضاع الروسية.

١- في ايام الحرب كان (روبرت ويلتون) مراسلاً عمل مع الجيش الروسي واشترك طواعية في العلميات الحربية وابدى في إحدى المعارك عام /١٩١٦/ بطولات ملحوظة أدت إلى منحه وسام الصليب العسكري على الرغم من كونه شخصاً مدنياً.

وبعد فترة أخذت افتتاحيات التايمز تكتب بلهجة أثارت سخط «ويلتون» وهي اللهجة المعهودة عن التايمز حتى الوقت الحالي، ونورد مثالاً على ذلك: «من يثق في مستقبل روسيا كدولة حرة وديمقراطية فعلاً، عليه أن يراقب النظام الجديد وتعزيزه بثقة وصبر وتعاطف حقيقي».

«ونشير إلى أن ما حدث مع «ويلتون» هو نفسه ما حدث سابقاً مع «ريبينفتون» وتكرر فيما بعد مع مؤلف الكتاب والصحفيين الآخرين في برلين في الفترة ما بين /١٩٣٣-١٩٣٩م/».

وأما في الفترة ما بين حكم الماسوني «كيرنسكي» والنظام العبراني الخالص لـ «فلاديمير لينين» وجماعته أضاع «ويلتون» وبشكل مفاجئ «الثقة» من جريدته، وعن سبب ذلك يقول كتاب «التاريخ الرسمي للتايمز» ما يلي: «... وأكثر ما ألحق الضرر بالسيد «ويلتون» هو أن إحدى مقالاته خلقت في الأوساط الصهيونية بل وحتى في وزارة الخارجية شعوراً بأنه معادٍ للسامية». في «الأوساط الصهيونية». ويلاحظ القارئ أنه ليس حتى في الأوساط الشيوعية بل الصهيونية: ومن هنا يبدو واضحاً التعاون بين هذه وتلك. وإلا لماذا وبشكل مفاجئ زعل الصهاينة وغضبوا «وهم الراغبون فقط بالحصول على وطن قومي في فلسطين لليهود من الحكومة الإنكليزية» على مقالة مراسل إنكليزي حول تحضير اليهود الروس للسيطرة على البلاد والسلطة هناك؟.

لقد كتب «ويلتون» عن طبيعة ما يجري هناك وهذه هي وظيفته وماهية عمله كمراسل. ولكن الصهاينة اعتبروا ذلك معاداة للسامية وكان ذلك كافياً لكي يفقد أصحاب الجريدة ثقتهم به. ونتساءل. ما الذي كان عليه القيام به ليحافظ على تلك الثقة؟

لا شك بأنه كان عليه الكذب في تصويره لما حدث في روسيا، أو أن لا يكتب أي شيء عن الأمور الحقيقية المهمة التي جرت في روسيا.

وبعد قراءة هذه القصة من التايمز ورد إلى رأس المؤلف سؤال وهو كيف تمكن الصهاينة وعن أي طريق تم إقناع وزارة الخارجية بأن المراسل معادٍ للسامية وكيف عممت وزارة الخارجية ذلك على هيئة تحرير الجريدة؟

المؤرخ عادة يشبه في عمله الباحثين عن الذهب، وهو مثلهم يهدر الكثير من الوقت والجهد ليعثر على أمر بسيط أو قد لا يعثر على أي شيء أحياناً.

ولكن هذه المرة حالف الحظ المؤلف وحصل على جواب شافٍ ومقنع لسؤاله وعثر عليه في الكتاب المذكور أعلاه، «تاريخ التايمز الرسمي» حيث نقرأ هناك: رئيس قسم الدعاية في «فورين أوفيس» «وزارة الخارجية» أرسل إلى رئيس تحرير التايمز تقرير أحد موظفيه» وتضمن التقرير الاتهام بمعاداة السامية المذكور أعلاه ومن ثم ذكر الكتاب حتى اسم الموظف وهو

شاب يدعى «ريجنالد ليبر» «أصبح بعد ٣٠/ عاماً السير ليبر وعين سفيراً في الأرجنتين» وقد بدأ عمله في سن التاسعة والعشرين موظفاً عادياً في وزارة الخارجية في عام /١٩١٧م/.

وإذا أخذنا بالحسبان أن تقرير ليبر حول مقالة «ويلتون» أرسل إلى التايمز في بداية شهر أيار «مايو» /١٩١٧م/ ولو اعتبرنا أنه بدأ عمله في أول يوم من كانون الثاني «يناير» /١٩١٧/ نرى أن المذكور قام وفقط بعد أربعة شهور من ظهوره في الوزارة بإبداء هذه مثل الدقة وأرسل وشاية عن أفضل مراسلي التايمز المخضرمين- «ويلتون» عمل في ذلك الوقت سبع عشرة سنة هناك- ولم يثر ذلك شكوك أحد، بل كان كافياً لكي تتخذ هيئة التحرير موقفاً عدائياً من مراسلها وتمنع تقاريره وتحاصرها. ولفترة محددة تابع «ويلتون» النضال ضد تشويه مقالاته أو منعها من النشر.

ومن ثم كتب عن كل ذلك وعن كل ما عرفه في كتابه المذكور أعلاه وفيه صور الفحوى الحقيقية للنظام هناك بعد أن أصدر ذلك النظام قانوناً حول معاداة السامية، وبعد أن حارب المسيحيين والمسيحية وقام بتقديس «يهوذا الاسخريوطي». وبعد أن برزت واضحة بصمات الأصابع على جدران القبو حيث أعدمت عائلة القيصر.

وإحدى بصمات الأصابع هذه كان كما ذكرنا قانون حول معاداة السامية في روسيا وفيه حذرت بوضوح الحكومة اليهودية هناك الشعب الروسي بأن الإعدام والموت هو مصير كل من يحاول التنقيب عن مصادر الثورة ومن أعد لها وعن أصول قادة الدولة الروسية الحالية.

وكان ذلك يعني عملياً بأن التلمود أصبح قانوناً في روسيا. وإنه خلال السنوات الأربعين الأخيرة أخذ يتحول وبسرعة إلى قانون الحياة لكل الغرب «وكتب الكتاب في عام /١٩٥٥- الترجمة-» وتكررت من جديد مرحلة معاداة المسيحية التي لاحظناها في الطور الفرنسي القصير للثورة العالمية. وجرى تدمير المعابد المسيحية بالديناميت «كنيسة المسيح المخلص في موسكو» أو تم تحويلها إلى متاحف «معبد فاسيلي بلا جيني الشهير في الساحة الحمراء» وقد كتب «ويلتون» عن ذلك يقول: «في المجموع العام للسكان يشكل اليهود نسبة واحد من عشرة ولكن في نسبتهم في مفوضي الشعب الذين حكموا روسيا تبلغ تسعة من عشرة أو حتى أكثر من ذلك»[1].

إنه تقرير عادي ولم يكن أحد ليحتج لو أن الأمر تعلق بالأوكرانيين بدلاً من اليهود. ولكن ما دام الأمر يمس اليهود فقد تحركت وزارة الخارجية وحركت معها هيئة تحرير التايمز.

١- نسبة اليهود في روسيا كانت قبل الحرب العالمية الأولى تعادل ٣/٪ من مجموع سكان الإمبراطورية أو ٤،٥/ مليون يهودي.

وكتب «ويلتون» أيضاً عن محاولة البلاشفة رفع «يهوذا الاسخريوطي» إلى منزلة الأبطال وكان ذلك تحذيراً آخر للمسيحية، وحقاً لو كانت الثورة تريد فقط المساواة العامة والعدالة في المجتمع، فإنها لم تكن تحتاج إلى خلق هالة البطولة حول واقعة جرت قبل عشرات القرون. لا يمكن أبداً فهم الثورة الروسية إلا بعد التعمق في المعنى الرمزي لهذه العلمية.

المجازر الجماعية التي حدثت في تلك الفترة تحمل بصمات الانتقام التلمودي من «الوثنيين».

وفي آب /١٩١٨/ قام طالب يهودي يدعى «كانيغسير» بقتل رجل المباحث اليهودي «اورتسكي» بعد ذلك قام اليهودي «ياكوب بيترس» - رئيس جهاز المباحث في «بترو غراد» - بإصدار الأوامر «بالإرهاب الجماعي» ضد الروس وقام يهودي آخر هو «زينوفيف»[1] بالمطالبة بتدمير عشرة ملايين روسي. ويشهد «الكتاب الأبيض» للحكومة البريطانية حول البلشفية عام /١٩١٩/ عما تلا ذلك من مذابح جماعية للفلاحين الروس. ولولا «ويلتون» لم يعرف العالم الحقيقة عن مذبحه عائلة القيصر[2]. كل أعمال القيصر الروسي كانت دستورية بما فيها تخليه عن العرش رضوخاً لنصائح وزرائه[3]. في /٥/ آذار «مارس» /١٩١٧م/ وأُعتقل القيصر وعائلته.

وبعد ذلك وفي مرحلة حكومة «كيرنسكي» وحتى بعد سقوطها كانت معاملة العائلة الملكية طبيعية جداً في معتقلهم في «تابولسك»، وكان الحرص على عائلة القيصر واضحاً للجميع بما فيهم قائد الحرس من الروس.

في نيسان «ابريل» عام /١٩١٨م/ وبعد أن توطد النظام العبراني نهائياً في روسيا جرى نقل القيصر وعائلته إلى «ياكترينبورغ» بناء على أوامر من موسكو وهناك استبدل الحرس الروسي بأشخاص آخرين لم يكن من الممكن تحديد هوياتهم وقد عدهم السكان الروس

١- عضو اللجنة المركزية وشخصية شيوعية بارزة -المترجم.

٢- بالطبع لم يكن كتاب ويلتون هو الشاهد الوحيد على نهاية القيصر الروسي وعائلته. في أواسط العشرينيات ظهر كتاب المحقق سوكولوف بعنوان (مقتل عائلة القيصر) وهو عبارة عن تقرير كامل عن التحقيق في تلك القضية التي اشترك في البحث فيها عام /١٩١٨م/ ولا يزال هذا العمل يعد المصدر التاريخي الأول في هذا الموضوع ومات سوكولوف فجأة في سن /٤٢/ سنة في فرنسا وبعد ذلك بفترة مات أيضاً بشكل مفاجئ (روبرت ويلتون).

٣- لم يحتو الدستور الروسي على أي مادة تبحث في تخلي القيصر عن العرش والقيصر تخلى عن العرش ليس تحت ضغط وزرائه بل تحت ضغط ضباط الجيش.

المحليين، من لاتفيا[1]. وذلك لعدم معرفتهم بجنود من الجيش الأحمر آخرين لا يتحدثون بالروسية، ولكنهم كانوا يشبهون في سحناتهم أسرى الحرب السابقين من الجيش النمساوي- الهنغاري الذين دخلوا الخدمة في الجيش الأحمر البلشفي.

واستبدل قائد الحرس الروسي السابق باليهودي «يانكل يورفسكي» وهو الأسوأ سمعة بين كل مسؤولي السجون اليهود بدءاً من سجون موسكو وحتى سجون يكاترينبورغ. والحاكم الفعلي لروسيا في ذلك الوقت واليد اليمنى لـ «فلاديمير لينين» كان الإرهابي- اليهودي «يانكل سفردلوف». وأما الجهاز الأمني السري في «يكاترينبورغ» فكان تحت قيادة سبعة من اليهود أحدهم «يانكل يورفسكي» المذكور أعلاه.

وفي /٢٠/ تموز «يوليو» أعلن مجلس الأورال الثوري بأنه أعدم القيصر وأما زوجته وابنه وبناته فقد نقلوا إلى مكان آمن. وخرجت القيادة المركزية في موسكو ببلاغ مماثل حمل توقيع «سفردلوف» وأيد «قرار مجلس الأورال الإقليمي». ولكن في حقيقة الأمر في ذلك الوقت كانت العائلة كلها قد أعدمت. وظهرت الحقيقة فقط بعد تحرير مدينة «يكاترينبورغ» من قبل قوات الجيش الأبيض في /٢٥/ تموز «يوليو» عام /١٩١٨م/. وقام كل من الجنرال «ديتيريخس» «قائد أركان الجيش الأبيض» والمحقق الجنائي «سوكولوف» و «ويلتون» بالبحث عن آثار الجريمة، وقد تمكنوا من العثور على الأدلة التي حاول البلاشفة طمسها. ومع انسحاب الجيش الأبيض من المدينة أخذ «ويلتون» الأدلة الجنائية الموجودة معه إلى خارج روسيا وهي معروضة في كتابه على شكل صور فوتوغرافية كثيرة.

وجريمة القتل جرت بأوامر من موسكو ونفذت مع اتصال دائم مع «سفردلوف» واكتشفت تسجيلات لمكالماته مع رجال الأمن السري في «يكاترينبورغ» وكذلك إخبارية أرسلت له من هناك جاء فيها: «بالأمس غادر الساعي إلى طرفكم وقد حمل ما يهمكم من الوثائق»..

والساعي كان المجرم الأساسي والقاتل الأول «يورفسكي» وأما الوثائق فقد كانت حسب رأي المحققين رؤوس الضحايا من عائلة القيصر «رومانوف» لأنه لم يتم العثور على جماجم أو حتى على عظام جماجم.

وسرد تفاصيل الجريمة أحد منفذيها- لم يتمكن من الفرار... في منتصف ليلة /١٦/ تموز «يوليو» أيقظ «يورفسكي» العائلة الملكية من نومها وأنزلهم إلى القبو إلى الموت. ونفذ

١- لاتوانيا كانت مقاطعة روسية واشتهر بعض أبنائها باشتراكهم في الحرب -المترجم

الإعدام «يورفسكي» بنفسه واشترك معه في ذلك سبعة أجانب غير معروفين وكذلك المدعو «نيكولين» من البوليس السري المحلي واثنان من الروس هم على ما يبدو من الجلادين العاملين في جهاز الأمن المحلي، وأما الضحايا فكانوا القيصر وزوجته وابنه المريض «الأب حمل الصبي على يديه لأنه كان عاجزاً عن الحركة» وبنات القيصر الأربع[1] وطبيب العائلة الملكية والطباخ والخادم والخادمة. وعندما دخل «سوكولوف» و «ويلتون» إلى غرفة الإعدام في القبو كانت لا تزال ملطخه بالدماء وتحمل آثار الجريمة البشعة حيث آثار الطلقات النارية وحريات البنادق. وقد طبع «ويلتون» صور هذه المناظر في الكتاب الذي أصدره.

وبعد اطلاعهم على تفاصيل الجريمة حاولت لجنة التحقيق العثور على جثث الضحايا أو بقايا منها ولكن من دون فائدة.

وعلم المحقق من الشهود أن «يورفسكي» وقبل هروب الحمر من المدينة قال متباهياً إن العالم لن يعرف أبداً ما فعلناه بالجثث. ولكن تبين فيما بعد أن الجثث أخذت إلى الغابة القريبة وقطعت إلى قطع صغيرة وحرقت بالبنزين. وقيل إن المدعو «فويكوف» - وهو شخصية قيادية بلشفية رافقت «لينين» من ألمانيا- أحضر من ألمانيا /٤٠٠/ رطل من حمض الكبريت لمعالجة الجثث وبعد ذلك ألقيت البقايا في حفرة أحد المناجم وقد تمكنت مجموعة التحقيق من العثور على بقايا كلب يعود إلى إحدى الأميرات بنات القيصر وكذلك على مسامير وألعاب عائدة للطفل ولي العهد.

وقد أظهرت هذه الأشياء للعالم كله كذب النشرة الرسمية «للرئيس» السوفييتي «سفردلوف» حيث أدعى أن القيصر أعدم وحده، وأن عائلته نقلت إلى مكان أمين». وفيما بعد حاول القتلة الضحك على الذقون وأقاموا محاكمة هزلية لـ /٢٨/ شخصاً بتهمة قتل القيصر وعائلته ونشرت أسماء ثمانية أشخاص فقط منهم. على الرغم من أن أياً منهم لم يكن في الحقيقة له أي علاقة بالجريمة وادعت السلطات بأن خمسة منهم أعدموا.

ولكن حتى لو كان ذلك صحيحاً ولو كان هؤلاء الناس فعلاً موجودين فإنهم لم يستطيعوا فعلاً الاشتراك في قتل العائلة الملكية.

١- يقال إن إحداهن تمكنت من الفرار وظهرت في الغرب وهي الأميرة اناستاسيا ولكن هذه الإشاعة غير مؤكدة -المترجم.

والقاتل الفعلي «سفردلوف» جرى اغتياله فيما بعد في إحدى المشاحنات الحزبية، وبسبب ذلك اضطهد وقتل الآلاف من الأبرياء.

والمفارقة أنه تم رمزياً تخليد اشتراكه في جريمة القتل وذلك بتغيير اسم مدينة «يكاترينبورغ» إلى «سفردلوفسك».

السبب الرئيسي في إسهابنا في هذا الحديث وفي تفصيلنا المطول للأحداث حول مجزرة قتل القيصر وعائلته، كان رغبتنا في الكشف عن «البصمات» التي تركت في القبو مكان حدوث الجريمة.

على ما يبدو أن أحد القتلة تمتع بما جرى وانتشى من جراء ذلك فبقي بعض الوقت في مكان الإعدام وترك بعد رحيله الكثير من الكتابات على حيطان القبو تضمنت عبارات بذيئة وعبارات تهكم واستهزاء سافل، وكل ذلك كتب باللغات العبرية والهنغارية والألمانية، وكان بعضها على شكل مقاطع وأبيات شعر قصيرة هدفت إلى ربط ما حدث مع شرائع التوراة والتلمود وتركت بذلك للأجيال القادمة على أنها تنفيذ لتلك الشرائع، وأظهرتها كنموذج للانتقام العبراني الرهيب كما كان مطلوباً منذ أيام اللاويين.

الأبيات الشعرية كانت مكتوبة باللغة الألمانية على نهج وطريقة الشاعر الألماني اليهودي «هنريخ غيني» وقلدت قصيدة كتبها عن موت «والترسارا» الملك الأسطوري «لم يكن موجوداً في الواقع» وهو الذي صورت عملية قتله في كتاب «دانيال» كعقاب رباني على إهانة «يهودا». وتقول القصيدة الأصلية:

Belzasar Ward Aber in Selbiger Nacht
Von Seinen Knechten Umgebracht

وأما شاهد وشريك الجريمة فقد حور فيها وجعلها تتأقلم مع ما اقترفت يداه:

Belstatzar Ward in Selbigen Nacht
Von Seinen Knechten Umgebracht

ولم يحدث أبداً أن ترك المجرم الدليل إلى دوافع الجريمة وشخصيات القتلة ويمثل هذه الصراحة كما حدث في جريمة قتل عائلة القيصر.

لذلك الثورة لم تكن أبداً روسية، لقد كانت أحد الانفجارات الرهيبة للثورة العالمية حدثت في روسيا وجلس عملاؤها على مقاعد القيادة في كل مكان هناك.

وفي الفترة ما بين /١٩١٧-١٩١٨/ أتضح لأول مرة بأن السياسيين المؤيدين للصهيونية أخذوا يدعمون شقيقتها بالدم- الشيوعية وحدث هذا الأمر في المعسكرين المتحاربين في الحرب العالمية الأولى.

عند ظهور الأهداف الخفية الحقيقية للحرب اختفت كل الفوارق بين «الأصدقاء» و«الأعداء» وتابع الصهاينة خلق «ضغط لا يقاوم» على السياسيين في لندن وواشنطن وفي الوقت نفسه حافظوا على مركز قيادتهم في برلين.

وأما الشيوعيون فحصلوا على الدعم الكامل من ألمانيا ومن أعدائها. فعند بداية الحرب أخذت ألمانيا ترسل إلى روسيا الثوريين الروس من المهاجرين أو من الأسرى السابقين وزودتهم بالأموال وجوازات السفر لكي يثيروا أعمال الشغب في روسيا «من إخبارية السفير الأمريكي في برلين إلى الكولونيل «هاوز».

ويذكر «ويلتون» بأن «قرار إشعال الثورة في روسيا» اتخذ رسمياً في الاجتماع المشترك للهيئة الألمانية- النمساوية في فينا في نهاية عام /١٩١٥م/. ولكن بعد فترة أعلن رئيس هيئة الأركان الألماني «لويد ندروف» عن أسفه للقرار المتخذ: «بإرسال «لينين» إلى روسيا أخذت حكومتنا على عاتقها... مسؤولية كبيرة. لقد كان إرساله مبرراً من الناحية العسكرية لأنه أضعف روسيا عسكرياً. ولكن كان يجب على حكومتنا أن تتخذ الإجراءات اللازمة حتى لا نتورط نحن في تدمير روسيا».

وكحالة خاصة يمكن اعتبار ذلك خطأ إنسانياً عادياً، حيث بدا الأمر مفيداً من الناحية العسكرية ولكنه أدى إلى كارثة سياسية لم تكن متوقعة. ولكن أي التفسيرات يمكن أن تبرر أفعال السياسيين الإنكليز والأمريكان والذين كان عليهم وحسب جميع قواعد اللعبة السياسية والعسكرية دعم وتقوية روسيا حليفتهم بدلاً من دعم الثوار الغرباء عنها الراغبين في تدميرها.؟

وعلى الطرف الآخر من المحيط الأطلسي كتب الحاكم الفعلي لأمريكا «هاوز» في مذكراته: «في عيون الروس الراغبين في الأرض والسلام، كان البلاشفة أول حكام سياسيين حاولوا بإخلاص تحقيق تلك الرغبات للشعب الروسي».

واليوم عرف الجميع ماذا حصل مع الشعب الروسي الراغب في الأرض والسلام تحت سلطة البلاشفة.

لقد جهد القيصر ووزراؤه على مدى نصف قرن من أجل تحقيق تلك الرغبات على الرغم من كل محاولات الثوريين إعاقته في ذلك عن طريق الاغتيالات وأعمال الشغب والتخريب.

ويبدو أن السيد «هاوز» لم يكن يعرف كل ذلك وعندما قامت الثورة أشار هو على رئيسه المطيع بأنه «يجب عدم القيام بأي عمل إطلاقاً. فقط يجب التأكيد لروسيا عطفنا وتفهمنا لمحاولاتهم خلق ديمقراطية متينة وتقديم الدعم المالي والصناعي والأخلاقي لها وبكافة الوسائل المتاحة».

«في عام /١٩٥٥/ قام الرئيس «ايزنهاور» من المشفى بإرسال رسالة تهنئة إلى رئيس الحكومة السوفييتية «بولغانين» بمناسبة الذكرى السنوية لثورة تشرين الثاني «نوفمبر»[1] على الرغم من أن الثورة البرلمانية والديمقراطية حصلت في آذار عام /١٩١٧م/ أما في تشرين الثاني «نوفمبر» فقد سقطت الحكومة المؤقتة الديمقراطية على يد البلاشفة.

والتشابه واضح بين بداية عبارات «هاوز» وكلمات افتتاحية التايمز المذكورة سابقاً. وواضح جداً أن جماعة ما وراء الكواليس المتنفذة في العاصمتين «لندن وواشنطن» أرادت أن ترسم للجماهير صورة للديمقراطية الوليدة في روسيا و «المتينة» و «العفيفة».

وفي كلام «هاوز» ألغى القسم الثاني من عباراته، القسم الأول منها عندما نصح رئيسه بعدم فعل أي شيء غير أبداء التعاطف، ثم يعرض عملياً فعل كل شيء ممكن لدعم النظام الجديد. والسؤال هو ما الذي كان يمكن فعله أكثر من تقديم الدعم المالي والصناعي والأخلاقي وبكافة الطرق المتاحة. هذه هي السياسة الأمريكية نحو روسيا الثورية منذ تلك اللحظة التي أشار فيها «هاوز» إلى الرئيس «ويلسون» وهي مطابقة تماماً لسياسة «روزفلت» في فترة الحرب العالمية الثانية كما سنشاهد لاحقاً.

وهكذا أصبح الغرب أو بالأحرى حكامه حلفاء للثورة العالمية ضد الشعب الروسي أو بعبارة أخرى ضد كل من لا يقبل بالثورة. وبلا شك ليس كل من كان في الحكم في الغرب اشترك في تلك المؤامرة الخفية.

لقد وصف «تشرشل» الثورة في ذلك الوقت بالكلمات التالية: «بالطبع أنا لا أعترف بحق البلاشفة بتمثيل روسيا، إنهم يحتقرون أموراً اعتيادية- مثل القومية.

المثل الأعلى لهم- هو الثورة البروليتارية العالمية. لقد سرق البلاشفة من روسيا وبضربة واحدة، اثنين من أفضل كنوزها- السلام والنصر. ذلك النصر الذي وصل إلى يدها والسلام الذي إرادته أكثر من أي أمر آخر.

١- تشرين الأول (اكتوبر) حسب التقويم الروسي القديم -المترجم

أرسـل الألمـان «لينين» إلى روسـيا وبقـصـد مـسبق لتـدمير روسـيا ، ومـا أن وصـل إلى هناك حتى أخذ يجذب إليه من هنا ومن هنـاك شخصيات مشبوهة خرجت من أوكارهـا في نيويورك «وغلاسكو وبيرن» وغيرهـا مـن الـدول. «ويلاحـظ القـارئ وبـلا شـك من الـذي جـاء بهـؤلاء الـثـوار «الـروس» إلى روسـيـا» «وقـام «لينين» بجمـع العقـول للطائفـة المقتـدرة في قبضة واحدة ، أكثر الطوائف قدرة في جميع أنحـاء العـالم... ومحاطـاً بهـذه القـوة بـدأ هـو العمـل ببراعـة شيطانية وحطـم تمامـاً كـل مـا اسـتندت إليـه الدولـة الروسـية والـشعب الروسي. وسقطت روسيا.

كان من الضروري هزيمة روسيا. ولا شك بأن عذابها أفظع بكثير مما يكتبون. لقد سرقوا منها مكانها العائد إليهـا بين الأمـم العظمـى في العـالم». «خطـاب «تشرشل» في مجلس العموم في ١٩١٩/١١/٥م» ويذكر هذا الخطاب مـا قالـه «باكونين» قبل خمسين عامـاً عندما اتهم اليهود باغتصاب الثورة.

وفي الوقت نفسه احتفـل «حاييم وايزمـان» بالنـصر في لنـدن وواشـنطن وكـان رفاقـه في ذلك الوقت يحتفلون بالنصر في روسيا.

ومن كلمات «وايزمـان» نفسه يتضح أن بينـه وبينهم كـان يوجد فـرق واحد فقـط: هـو كان ثورياً صهيونياً وهـم كـانوا ثوريين شيوعيين. «وايزمـان» خـلال الحيـاة الطلابيـة في بـرلين وجنيف كان يحب الاشتراك في النقاشات الكثيرة الساخنة حول هذا الفرق.

والسيدة «داغديل» تكتب واضعة مثالاً لهذا الخـلاف والفـارق: «لينين» و «تروتسكي» وصلا إلى السلطة في نفس الأسبوع «من تشرين الثـاني «نوفمبر» /١٩١٧م/» الـذي حصلت فيهـا العبرانية على الاعتراف بها.

وقبل ذلك بسنين أعلن «وايزمان» و «تروتسكي» اختلاف آرائهمـا السياسية وكـان ذلـك في جنيف على الرغم من أن الاثنين من مواليد روسـيا وكـان الطـلاب اليهود هنـاك «في جنيـف» يركضون من طرف الشارع هذا إلى ذاك وراء «وايزمان» أو «تروتسكي».

«ليـف تروتسكي» كـان رسـول الثـورة الحمـراء وأمـا «حـاييم وايزمـان» فكـان ممثـل العادات التي لم تتغير على مدى ألفي عام. وبمصادفة غريبة جداً استطاع الاثنان تحقيق حلمهمـا في أسبوع واحد».

ولكن في حقيقة الأمر كان الحديث يدور عن ملاقط رهيبة كانت تريد القبض على أوربة.

وفقط في أمر واحد سببت أحداث روسيا حرجاً مؤقتاً للسيد «وايزمان» ورفاقه. لقد طالبوا بوطن قومي لليهود ولا سيما يهود روسيا المضطهدين والملاحقين «وذلك ابتداع اختلقوه لخداع «العامة والرعاع» وفجأة جاءت الثورة وأتضح عدم وجود أي اضطهاد لأن قيادة الدولة ومؤسساتها المختلفة أصبحت تحت قيادة اليهود وأعلنت أن معاداة السامية هناك جريمة نكراء يعاقب عليها بشدة. إذن أين هم اليهود المحتاجين إلى ملجأ؟.

الحاخام «المير بيرغر» كتب يقول إن الحكومة السوفييتية وضعت اليهود في وضع متميز جداً وحررت بضربة واحدة اليهود الذين تباكت عليهم الصهيونية وادعت بأنها الوحيدة القادرة على مساعدتهم. ولم يعد يحتاج اليهود السوفييت إلى فلسطين كوطن أو غيرها من الملاجئ. واختفت فجأة الذريعة التي استخدمها «هرتزل» وغيره مرات عديدة».

ولكن كل ذلك لم يحرج «وايزمان» وعلى الفور أخبر اليهود بأن الوقت بدأ لالتقاط الأنفاس: «يتسرع بعض أصدقائنا في استنتاجاتهم فيما يخص مصير الحركة الصهيونية بعد الثورة الروسية، ويدعون بأن الدافع الرئيسي لوجود الحركة الصهيونية تلاشى، وأن العبرانية الروسية أصبحت الآن حرة... لا. إن كل ذلك سطحي وخاطئ ونحن لم نبنِ أبداً حركتنا الصهيونية على آلام شعبنا في روسيا أو في أماكن أخرى، وذلك العذاب لم يكن أبداً سبباً للصهيونية. السبب الأساسي كان وسيبقى الرغبة الدائمة لليهود بامتلاك وطن خاص».

كان ذلك كله كذباً ولكنه احتوى على بعض الحقيقة في الواقع، والحقيقة إن منظمي الصهيونية لم يبتدعوا منظمتهم أبداً بسبب «عذاب شعبنا في روسيا أو في أي مكان آخر» ولم يهمهم إطلاقاً أي عذاب سببته الصهيونية سواء كان هذا العذاب يهودياً أو غير يهودي. ولكن بهدف التأثير على الغرب وقادته استخدم الصهاينة موضوع «عذاب شعبنا في روسيا» ولهذا السبب أخذ هؤلاء القادة يطرحون هذا الموضوع، وعلى سبيل المثال بدأ «ويلسون» عام /١٩١٢/ يطرح ذلك.

بعد ذلك الأسبوع عرف العالم زيف الصهيونية وادعاءها ولكن ذلك لم يعد يملك أي أهمية. وكما تقول السيدة «داغديل» فإن الحكومة البريطانية ربطت نفسها بالتزامات محددة في هذا الموضوع. على الرغم من أنه لم يعد موضوع حاجة يهود روسيا إلى ملجأ، يصلح حتى كذريعة فإن «لويد جورج» قام باحتلال فلسطين لأجل اليهود.

والخلل الأساسي «العفن الأساسي» في كل المشروع الصهيوني ظهر في تلك اللحظات عندما أتضح بأنه عبء وضع على رقبة الغرب. ولا شك بأن هذا المشروع كان سيموت موتاً

طبيعياً بعد عدة سنوات ويبقى بعد ذلك في مؤخرة التاريخ تحت عنوان «غباء بلفور» ولكن ذلك لم يحدث، والسبب في ذلك كان ظاهرة جديدة تماماً ظهرت لتنقذ المشروع الصهيوني من الموت والاندثار، وهذه الظاهرة هي وصول «هتلر» إلى الحكم والسلطة. وسد ذلك على الفور الفجوة الواسعة التي برزت في قلعة الصهيونية بعد سقوط كذبتها الكبرى حول الاضطهاد الروسي لليهود هناك.

ولو أن (هتلر) لم يظهر ويأتي لكان على اليهود والصهاينة ابتداعه، لأنه نفخ الحياة في مشروعهم عندما كان ذلك المشروع يلفظ أنفاسه الأخيرة.

الفصل الثالث والثلاثون

رابطة فرص السلام

في وقت واحد من عام /١٩١٧م/ عندما خرجت من روسيا قوتان قريبتان بالدم- الصهيونية الثورية والشيوعية الثورية إلى الساحة العلنية المفتوحة، ظهرت في ذلك الوقت الثالثة وكانت الهدف السري للحرب وكانت القوتان المذكورتان عبارة عن أداة لها. وكان ذلك الهدف هو إنشاء «فيدرالية أممية» من أجل «إدارة أمور البشرية» حيث الإدارة عن القسر والقوة.

وجرى الإيحاء للجماهير بضرورة تحطيم «معتوه برلين» «تماماً كما حدث بعد مرور خمسة وعشرين عاماً في فترة الحرب العالمية الثانية» والسبب أنه أيضاً آراد حكم العالم بالحديد والنار كما زعموا.

والمدعو «ايدن فيليتوس» في إنكلترا واحد ممن زعقوا يلعنون الألمان في الحرب وقد قال: «أنتم أردتم السيطرة على العالم ولكنكم ستحصلون فقط على لعناته التي ستقع على رؤوسكم...».. ومثل هذه الكلمات ترددت في جميع أنحاء العالم. ولكن الخطة الخفية التي وضعت في الغرب أرادت أيضاً السيطرة على العالم ولكن بعد أن تضع على رقبته حكاماً من نوع آخر.

وكان الاختلاف فقط في شكل الكلام. وما كان في ألمانيا عسكرتاريا بروسية رجعية، كان يُدعى في واشنطن «الأفكار التقدمية» للكولونيل «هاوز». وما كان يُعد جنون عظمة عند حكام ألمانيا، كان في لندن يتحول إلى مبادئ نيرة «للنظام العالي الجديد». وأصبح ساسة الغرب منافقين محترفين. و «ديزائيلي» حينما كتب في عام /١٨٣٢م/: «بأن الممارسة السياسية في الشرق يمكن تحديدها بكلمة واحدة فقط- النفاق» لم يستطع التوقع بأن الأمر نفسه في القرن العشرين سيصبح الميزة الأساسية للممارسة السياسية في الغرب. وهذا الأمر حدث بالذات عندما خضعَ رجال السياسة الغربيون لضغط الآسيويين اليهود، وقاموا بمساعدة الصهيونية والثورة العالمية وفقدت

بذلك أعمالهم الصراحة والاستقامة التي تميزت بها أوربة دائماً واستبدلت بالرياء والنفاق الآسيوي.

وحتى أكثرهم خنوعاً الرئيس «ويلسون» في بداية الأمر كان يحتج بنزق ضد ذلك القسر الخفي وكما ذكرنا سابقاً حاول التصريح بأن «أسباب وأهداف الحرب غير واضحة» وعندما حرم «هاوز» عليه ذلك، حاول مرة أخرى التصريح بأن طرفي الحرب لهما نفس الأهداف. وفي بداية رئاسته ذهب «ويلسون» إلى أبعد من ذلك عندما قال: «لا يجوز أبداً احتمال خروج قيادة الجمهورية إلى هذا الحد البعيد عن الخضوع لشعبها، وإنها أخذت تقدم على خدمة المصالح الخاصة وليس العامة. نحن نعلم أن هناك من يحشر نفسه بين شعب الولايات المتحدة والإدارة التي تقود أعماله في واشنطن».

وعلى ما يبدو أن طبيعة تلك المصالح الخاصة و «إدارة أعمال» الشعب لم تعد تخفى على الرئيس، ولا شك بأن هذه المعرفة الشديدة المرارة هي التي عجلت في نهاية الأمر بموته «تماماً مثل موت الرئيس «روزفلت» فيما بعد».

ومهما يكن فالمهم أنهم استخدموه لتمرير خطتهم «الفيدرالية الأممية» القائمة على القهر والقسر ونفخ الحياة فيها. لقد صبوا تلك الفكرة في رأسه كما يقول مؤرخ سيرة حياته عندما أراد تصوير طريقة الإيحاء التي استخدمها «هاوز» للسيطرة على الرئيس وغيره من الناس.

في تشرين الثاني «نوفمبر» /١٩١٥م/ قام «هاوز» بتلقين الرئيس: «علينا استخدام كل تأثير شعبنا في العالم لدعم الخطة التي تؤمن تنفيذ الالتزامات العالمية وكذلك الخطة التي يمكن أن تؤمن السلام في العالم».

بهذه الطريقة يقوم الباعة المحترفون «بتصريف» بضائعهم: «الخطة» التي «تؤمن السلام في كل العالم».

وقام «هاوز» ببحث هذه الخطة مع السير ادوارد غريّ «وزير الخارجية البريطاني في حكومة «اسكويت»، في عام /١٩١٤/ أصيب بالعمى وفقد بصره ولكن في إحدى لحظات استبصاره الروحي في ذلك العام قال كلمات تزداد أحقيتها و إنصافها كلما مر الزمن أكثر: «خمد النور في أوربة وانطفأ».

وقد أشعلت خطة «هاوز» حماسه وألهمته فكتب إلى «هاوز» يقول: «لم تعرف الحقوق الدولية حتى الآن ما يسمى بالعقوبات، والدرس المستقى من هذه الحرب سيكون في أن الدول الكبرى ستلزم بإعطاء الحق الدولي إمكان العقوبات».

وباستخدام الكلمة البريئة «العقوبات» تجنب المنافقون السياسيون إثارة الرأي العام بكلمة «الحرب» أو «القسر». في القواميس والمعاجم تحدد كلمة «عقوبات» كطريقة للإجبار على أمر ما ولكن الطريقة الوحيدة للإجبار بين الدول في نهاية الأمر هي الحرب. لأن العقوبات مهما كانت لا تكون فعالة إذا لم تدعم بتهديد استخدام القوة العسكرية، أي أن السير ادوارد غريّ يعد بأن التخلص من الحرب ممكن فقط بواسطة الحرب. والسير ادوارد كان بلا شك إنساناً نزيهاً لا يمكن شراؤه ولكن من الواضح أنهم خدعوه وضللوه.

لقد عرف آهل هذه الفكرة ما يريدون جيداً. وحتى عام /١٩١٦/ فهم الرئيس «ويلسون» بمساعدة «هاوز» ما هو صلب مهماته كرئيس للجمهورية وصرح في شهر أيار «مايو» علناً بتأييده «للخطة» الجديدة وذلك في خطاب ألقاه في اجتماع حاشد نظمته منظمة تكونت من جديد تحت اسم صريح «رابطة فرض السلام» «رابطة القسر نحو السلام».

ولم يكن الرئيس، حسب كلام «هاوز»، يملك أي تصور كان عن هذه المنظمة وأهدافها: لا يبدو أن «ويلسون» قد اطلع جدياً على برنامج «منظمة فرض السلام» «من مذكرات «هاوز» الخاصة» وفي عام /١٩١٦م/ كشف اسم الرابطة عن نواياها الحقيقية واكتشف الرأي العام الأمريكي الفخ. وقد كتب السيناتور- «جورج بيبر» فيما بعد يقول: «المنظمة تمول بسخاء واسمها يناسبها تماماً» «رابطة فرض السلام» وسهل ذلك مهمتها لأن اسمها أشار إلى هدفها وهو تأمين تنفيذ مبادئ «عصبة الأمم» عن طريق القوة. ونحن قلنا دائماً إن الدعوة إلى استخدام القوة في أفضل الأحوال عديم الفائدة أما في أسوأ الأحوال فهو خطر.

ومقابل انعدام الفائدة الواضح من استخدام القوة أضعُ النجاح الممكن في المحادثات الدولية وأقول بأنني مع أي تجمع من هذا النوع وسأكون بلا شك ضد أي منظمة أو عصبة تقوم على المبدأ الأول الذي ذكرته».

وسرعان ما أجبر المنافقون السياسيين على التخلي عن «رابطة فرض السلام». ولكن الخطة التي أدت إلى ظهور «عصبة الأمم» بقيت من دون تغيير. وتضمنت وضع القوات المسلحة الوطنية للدول تحت قيادة لجنة أعلى من الأمم تستطيع استخدامها من أجل «إدارة أمور البشرية».

وتماماً كما في موضوع الصهيونية ربط «ويلسون» نفسه بالتزامات محددة «بعد إعلان وثيقة في أيار «مايو» /١٩١٦م/» وقبل مدة طويلة من حلول اللحظة الحاسمة وما أن دخلت

أمريكا الحرب «نيسان «ابريل» /١٩١٧م/» حتى أعلن الرئيس بأن بلاده ستشترك في تكوين «نظام عالمي جديد» وجاء هذا الإعلان في الوقت الذي قامت فيه الثورة الأولى في روسيا وفي الوقت ذاته أعلن «بلفور» وثيقته «تضمنت وعده» وهكذا دخلت الخطط الثلاث معاً إلى حياة الغرب وكان على الثلاث أن توصل إلى النهاية جهود الخطتين الثانيتين.

وانحصر مبدؤها الرئيسي في هدم وتخريب الدول القومية والقوميات بشكل عام. إن ذلك هو الصراع بين العهد القديم والعهد الجديد، بين شرائع اللاويين والمسيحية. ولا يمكن اكتشاف أي مصدر لفكرة «تدمير الأمم» أقدم من الثورة والتلمود.

وعلى الرغم من أن الكولونيل «هاوز» يصر على استحالة الوصول إلى المصدر الأول إلا أنه في حالتنا نجد كل الخيوط تسير عبر القرون لتصل بنا إلى عام /٥٠٠ق.م/ حيث لم تنقطع هذه الخيوط على مدى خمسة وعشرين قرناً. ولو أن أحداً آخر جعل من مبدأ الخراب والدمار شريعة وعقيدة له فمع مرور السنين كان سيندثر المبدأ ومن وضعه ولكن الفكرة المتأصلة في التوراة والتلمود عاشت عبر القرون والأجيال.

يرفض العهد الجديد مبدأ الدمار ويتحدث عن إغواء الشعوب وخداعها، ولكنه لا يشير إلى تدميرها أو اندثارها. ومن يحب تفسير النبوءات يملك الحق في رؤية «رابطة فرض السلام» أداة لهذا الإغواء والذي مصيره الفشل المحتوم.

«هاوز» قرر و «ويلسون» أعلن بوجوب «نظام عالمي جديد» وقام «هاوز» بتعيين لجنة متابعة لوضع مشروع النظام وترأس اللجنة صهر «هاوز» اليهودي الدكتور «سيدني ميزيس» «كان مديراً لاحدى الكليات في نيويورك» وأما سكرتير اللجنة فكان «والترليبمان» العامل في المجلة الليبرالية «The New Repub Lic» وأما الثالث في هذا المثلث اليهودي فكان «هذه المرة ليس من يهود روسيا المهاجرين» مدير الجمعية الجغرافية الأمريكية الدكتور «عيسايا بومن» وقد قدم «مساعدات ونصائح شخصية».

وهنا نشاهد مرة أخرى «الأممية اليهودية» وهي تعمل وهو أمر يشير إلى طبيعة المؤسسة المراد تأسيسها، ويشير إلى الروح اليهودية للخطة. ويقول «هاودين» إن ذلك كان مشروع «معاهدة عصبة الأمم» وقد وقع «هاوز» المشروع في حزيران «يونيو» /١٩١٨م/: «لم يكن الرئيس مؤلفاً للمعاهدة ولم يدعِ ذلك أبداً».

هذه هي أصول عصبة الأمم ولم يكن مؤتمر السلام بعيداً عندما جهز «هاوز» نفسه لإطلاق «نظامه العالمي الجديد» وما إن ظهر حتى أتضح من يقف وراء ظهور حكومات الغرب.

قبـل الحـرب العالميـة الأولى لم تكـن شـعوب الغـرب تعـرف أي شـيء عـن فلـسطين أو الصهيونية ولكـن ما إن بدأت الحـرب حتـى أصـبحت هـذه الأمـور مهمـة جداً بـل وأساسـية علـى جدول أعمال مؤتمر السلام حيث وضعت نهائياً أسس النظام الجديد.

وبالنسبة للرئيس «ويلسون» المكتئب دوماً، رفع هذا الأمر من روحه المعنوية لفترة مؤقتة.

ولم يتركه الحاخام «عويز» وحيداً وظل يرسـم لـه صـورة جميلـة عـن المشروع الصهيوني الفلسطيني لدرجة أن الرئيس تحدث مع نفسه ذات مرة: «من كان يظن بأنني وأنـا ابـن كـاهن عـادي بسيط أسـتطيع أن أعيـد إلى الأرض المقدسـة، شـعبها». وقـام الحاخـام بتـشبيهه بالملـك «قورش»، ولكـن علينـا التذكير بـأن الملك الفارسـي «قـورش» سمـح بـالعودة إلى فلـسطين «بعـد طرد دام خمسين عاماً» لليهود الأقحاح في حال رغبوا بذلك. أما الرئيس المذكور فكـان ينتظـر منه لا أقل ولا أكثر من توطين خـزر روسـيا المتهودين في أرض غادرهـا اليهـود الحقيقيـون قبـل ثمانية عشر قرناً.

وأما في لندن فقد كان «وايزمان» يستعد لمؤتمر الـسلام وكـان واضـحاً في ذلـك الوقـت أنه بشكل عملي واحد مـن أقـوى الرجـال علـى الأرض «أو المبعوث المفوض لأقـوى النـاس» وقـد قدم له التحية الزعماء والرؤساء في الغرب.

ذات يـوم كـان مـصير إنكلـترا يتقـرر علـى الجبهـة الغربيـة «١٩١٨» وكـان «وايزمـان» ينتظر خلوة عند ملك إنكلترا، ومـع تـأزم الوضـع في الجبهـة قـرر القـصر تأجيل المقابلة إلا أن «وايزمان» غضب واحتج بشدة لدى «بلفور» ممـا أجبر الإنكليـز علـى إجـراء المقابلـة علـى الفـور. وعلى الـرغم مـن أن المقابلـة جـرت في القـصر الملكـي في باكينغهـام إلا أن كـل الأمـور كانـت تشير إلى أن الملك هو الضيف وحاييم صاحب دار الضيافة.

وكـان «وايزمان» يحتقر وعلى نفس المستوى من يتملقه ومـن كـان يقـف في وجهـه. وذات مرة كتب إلى الليدي «كريو» يقول: «نحن نكره وبنفس الدرجة من يعادي الـسامية ومـن يقـف معها».

وذات مرة كان «وايزمان» يقف في إحدى حدائق الحيوان وقـال متفلسفاً: «مـن الأفـضل أن تكون حيواناً في حدائق جنوب إفريقيا من أن تكون عبرانياً في وارسوا أو حتى في لندن».

في عام /١٩١٨/ وصل «حاييم وايزمان» إلى فلسطين وفي تلك الفـترة بـدأ الهجـوم الألمـاني على فرنسا في الربيع وتراجع الجيش الإنكليزي هنـاك وجرى سحب القوات الأوربية على عجـل من فلسطين إلى فرنسا. في تلك الظروف طالب «وايزمان» وأصر على أن يكون الاحتفال بوضـع حجر الأساس للجامعة العبرية هناك حافلاً.

واحتج اللورد اللبني مشيراً إلى أن الألمان على أبواب باريس، فأجابه «وايزمان» بأن ذلك أمر ثانوي، واحتج اللورد مرة أخرى ولكن وفي النهاية وصلت برقية من «بلفور» طلب فيها من «اللنبي» الخضوع الفوري. واحتفل «وايزمان» بفخامة وأبهة وبحضور الضباط الإنكليز الكبار وحرس الشرف ولم تقلقه الطلقات المنفردة للمدفعية التركية.

ويتذكر المؤلف أيام المعارك المذكورة في فرنسا. ولا شك بأن نصف مليون جندي بريطاني آخر في فرنسا كان سيعجل بالنصر وبالتالي كان سيحفظ حياة الكثيرين الذين دفعوا أرواحهم ثمناً لاحتفال «وايزمان» في فلسطين.

وانتهت الحرب في ١٩١٨/١١/١١م وكان الضيف الوحيد الذي استقبله «لويد جورج» هو «وايزمان» ثم غادر «لويد جورج» وحملته الجماهير على الأكتاف إلى صلاة الشكر في الكنيسة ووقف «وايزمان» يراقب ذلك من شباك رئاسة الوزارة. ومن بين هذه الحشود الشعبية الشعبية و «قيادييها» هل انتبه آحد ولاحظ رأساً كبيراً- عبر شباك رئاسة الحكومة- يحمل وجها بذقن صغيرة وعيون ثقيلة.

وترأس «وايزمان» الوفد الصهيوني إلى مؤتمر السلام /١٩١٩م/ حيث انتظر الجميع ولادة «النظام العالمي الجديد»

وقام بإطلاع «مجلس العشرة» القدير بأن «اليهود تضرروا من الحرب أكثر من أي فئة أخرى».

ولم يتجرأ أحد أعضاء المؤتمر المشاركين فيه على الاعتراض على هذا الهراء الذي أهان ملايين الضحايا القتلى من مواطني هؤلاء السياسيين، وفقط كان هناك يهودي معارض «سيلفين ليفي» حيث أشار إلى أن:

أولاً- فلسطين هي بلد صغير وفقير وفيها يعيش نحو /٦٠٠/ ألف عربي وأن اليهود وبمستوى حياتهم الأعلى سيقوموا بابتزازهم وسلبهم.

وثانياً- سيكون المستوطنون في غالبيتهم من يهود روسيا المعروفين بميولهم الثورية.

ثالثاً- إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين سيخلق سابقة خطيرة في الولاء المزدوج لليهود.

والتحذيرات الثلاثة صائبة تماماً ولكن زعماء الغرب غير اليهود تلقوها في مؤتمر السلام بعدوانية واضحة.

وعلى الفور قام وزير الخارجية الأمريكي «لانسينغ» بإسكات المسيو «ليفي» وسأل الدكتور «وايزمان»: «ما الذي تعنونه بكلمة وطن قومي؟» فأجابه «وايزمان» بأن ذلك يعني أن فلسطين ستصبح في نهاية الأمر يهودية إلى الحد الذي فيه إنكلترا إنكليزية. واقتنع «لانسينغ»

تماماً بهذه الجواب المزدوج المبطن وهز أعضاء مجلس العشرة رؤوسهم بالموافقة. وانهزم المسيو «ليفي» مثلما انهزم قبله كل اليهود المعترضين على مدى /٢٥/ قرنا مضت.

وأثارت قلق الحاخام «عويز» «الصعوبات التي لاقتنا في باريس» على الرغم من أنه ضمن مسبقاً انقياد الرئيس «ويلسون» بعد أن قال له: السيد الرئيس، العبرانية العالمية في ساعة الحاجة والأمل هذه تضع كل رجائها فيكم «وأجابه الرئيس بعد تفكير قليل: لا تقلقوا ولا تخافوا فلسطين ستكون لكم».

وكان هناك شخص آخر حاول أيضاً التحذير ومنع حدوث ما أعد له هؤلاء الناس بهذا الشكل المستهتر. إنه الكولونيل «لورنس» الذي أحب الساميين وعاش فترة طويلة بين العرب وأغراهم بالنهوض ضد الأتراك. ولكنه كان أيضاً صديق اليهود («وايزمان» كتب يقول بأنهم «يُعدونه خطأ معادياً للسامية») واعتبر «لورنس» بأن الموطن اليهودي في مفهومه الابتدائي الأولي كمركز ثقافي يمكن بسهولة أن يدخل ضمن الدولة العربية المتحدة التي جاهد هو «لورنس» من أجلها.

وفي باريس شاهد «لورنس» محاولة زرع التعصب القومي الصهيوني هناك وكقنبلة موقوته وسط هرج ومرج الدول العربية المضطربة، وأدى ذلك إلى يأسه وتحطيمه. ويقول السيد «ديفيد غرانين» ناشر «رسائل» «لورنس» الشهيرة: «حصل «لورنس» على انتصاراته معرضاً خلال ذلك للخطر حفنة صغيرة من الإنكليز، ولم تهدف هذه الانتصارات إلى إضافة أراضي جديدة للإمبراطورية بل لكي يصبح العرب الذين عاش هو بينهم وأحبهم أناساً أحراراً ولبعث الثقافة والحضارة العربية». عاش «لورنس» على هذه الآمال في فترة «انتفاضته وفي الصحراء» وهو ما قاله له من آرسله إلى الصحراء.

وفي بداية المؤتمر كان «لورنس» «متمالكاً تماماً لأعصابه وكان طبيعياً تماماً مثل أي واحد منا «ج. م. كيسن».

وقد صدق «لورنس» وعود الرئيس «ويلسون» «بنود بيانه الأربعة عشر الصادرة في ١٩١٨/١/٨م»: «الشعوب الخاضعة للحكم العثماني يجب أن تحصل على العيش الآمن غير المشروط المستقل عن أي أحداث أخرى ممكنة».

ولم يعرف «لورنس» بأن هذا الكلام لم يحتو على كلمة صادقة واحدة وأن «ويلسون» تحت ضغط وتأثير المحيطين به، باع نفسه للصهيونية خفية منذ زمن بعيد.

وبعد جواب «وايزمان» لوزير الخارجية الأمريكي وموافقة مجلس العشرة عليه، فهم «لورنس» الأمر وأدرك الخيانة ولهذا السبب سيطرت عليه «خيبة أمل مريرة وشعور بالهزيمة

نتيجة مؤتمر السلام. فلقد توجه إلى هناك وكان مؤمناً إلى حد كبير بمبادئ «ويلسون» والوعد الذي قطعه بتأمين حق تقرير المصير للشعوب العربية. ولكنه عاد من المؤتمر في حالة يأس كاملة» «غارنين».

بعد فترة كتب «لورنس» يقول: «في هذه الحملات العاصفة «في الصحراء» عاش كل منا أحداثاً كثيرة ونحن لم نرحم أنفسنا وبذلنا ما في وسعنا وقابلنا الخير والشر في طريقنا. ولكن عندما وصلنا إلى الهدف وعملنا على إشراق عالم جديد، خرج الشيوخ مرة أخرى إلى الساحة وأخذوا منا النصر واقتسموه بطريقتهم المعهودة. لقد أردت أنا تكوين أمة جديدة وأن أعيد للعالم الحضارة والثقافة المفقودة وأن أعطي عشرين مليوناً من الساميين، الأسس التي يمكنهم عليها بناء قصر أسطوري لأمالهم القومية».

وتحطم «لورنس» بسبب ذلك ولكنه أصبح فيما بعد أحد أشهر الناس على الأرض، ولو أنه انضم إلى المنافقين لكان حصل على الشهرة والتكريم التي منعت عليه. ولكنه رفض كل ذلك، رفض الرتبة العسكرية ورمى أوسمته العسكرية وألقى بها بعيداً، بل وحتى حاول بسبب الخجل التخلص من نفسه واتخذ لنفسه اسماً جديداً وذهب جندياً عادياً في الطيران الإنكليزي وبعد جهد كبير عثر عليه هناك أحد الصحفيين.

هذه المرحلة الأخيرة من حياة «لورنس» انتهت بحادث مؤسف مميت على دراجة نارية وكان الأمر يبدو كانتحار وهو يذكرنا بالمرحلة الأخيرة من حياة وموت وزير الدفاع الأمريكي «جيمس فورستول» بعد الحرب العالمية الثانية[1]. «لورنس» يجب أن يدخل أيضاً في عداد شهداء التاريخ.

مشاهير السياسية في تلك الأيام دعموا متكاتفين المغامرة الصهيونية وقاموا بمساعدتهم بواسطة «النظام العالمي الجديد» والذي حاولوا تنميته بكل الوسائل غير مهتمين بعذاب الناس وإذلالهم وأما في الأمور الأخرى فكانت أراؤهم تختلف وما أن انتهت الحرب حتى بدأت شهرة بعض السياسيين وسمعتهم تتفجر مثل فقاعات الصابون وبدأت الفرقة تسود بينهم. واختلف «ويلسون» مع «هاوز» وافترقا.

١- اتضح بعد كتابة الكتاب أن فوريستول أصبح ضحية لمؤامرة حيث دخل القتلة إلى المستشفى حيث كان يتعالج (ولا شك بأن ذلك تم بمعرفة الأطباء واشتراكهم) وضرب المريض على رأسه وأُلقي من النافذة من الطابق السادس عشر والتقطت الصحافة على الفور فرضية الانتحار ومعها ما زعم عن الاكتئاب النفسي لديه.
Cornell Simpson. (The Death of James Forrestal First Secretary of Defense) Belmont Mass /1966/.

وكان «هاوز» في قمة مجده وفي يوم واحد في باريس استقبل «هاوز» /٤٩/ شخصية عالمية رفيعة وحدث أن «هاوز» كان جالساً مع الرئيس «ويلسون» عندما دخل عليهما «كليما نصو» «رئيس وزراء فرنسا» باحثاً عن «هاوز». فقام هذا الأخير بالطلب من الرئيس أن يتركه وحده مع «كليمانصو». ولا شك بأن هذه الإهانة وغيرها هي التي حطمت «ويلسون» ومرض مرضاً مميتاً. وبعد تلك اللحظات لم يلتقِ «هاوز» مع «ويلسون» أبداً.

وقد كتب «هاوز» في مذكراته: «قطع الصلة بيني وبين «ويلسون» كان وسيبقى بالنسبة لي لغزاً مأساوياً وسراً لم يعد أحد يستطيع تفسيره لأنه «أي ويلسون» أخذه معه إلى القبر».

وتبخرت خيالات وأوهام السلطة. وفي الحقيقة لم يملك أبداً هؤلاء الناس سلطة حقيقية. وبقيت ظلالهم في مؤخرة التاريخ، وعلى الرغم من الشوارع والساحات والمدن التي تحمل أسماءهم فقليل من يتذكر من كان هؤلاء. عاد «ويلسون» إلى أمريكا وبعد فترة من ذلك مات وطوى النسيان «هاوز» وعاش وحيداً في شقته في نيويورك.

«لويد جورج» دفع حزبه الشهير نحو الإفلاس السياسي وعلى غراره اندثر «بلفور» وظل وحيداً يتمشى في حديقة «سانت جيمس». على الأغلب لم يستطع هؤلاء إرضاء كل رغبات سادتهم على الرغم من كل ما فعلوه من أجل ذلك.

والاحتجاج القوي في أمريكا أجبر «ويلسون» على «الرفض القاطع لطلب فرنسا تكوين قوات مسلحة دولية تحت قيادة عصبة الأمم» وتذكر الرئيس فجأة أن الدستور الأمريكي لا يسمح بوضع الحقوق العليا للدولة في أيدي غريبة.

وتمكنت الإنسانية من التخلص من الأسوأ الذي انتظرها، على الأقل في ذلك الجيل وتطلب الأمر بالنسبة لحكام الظل والخفاء انتظار الحرب العالمية الثانية لكي يأخذوا في أيديهم القوات المسلحة للدول والشعوب. وفي عام /١٩١٩/ اكتفى هؤلاء بظهور النجاح الأول لتجربتهم- وظهرت عصبة الأمم.

ولم تود الولايات المتحدة حتى الانتساب إليها ولم يعد الرأي العام الأمريكي يريد بعد انتهاء الحرب، التدخل في شؤون الآخرين. ودخلت إنكلترا إلى عصبة الأمم ولكن رؤساء الوزارة بعد «لويد جورج»، رفضوا إعطاءها حق الرقابة وأغلق لفترة مؤقتة الطريق إلى «النظام العالي الجديد» من ذلك النوع الذي أراده «هاوز» ورفاقه.

على الرغم من ذلك أمكن استخدام عصبة الأمم في دق أسفين في الاستقلال البريطاني وأدى ذلك إلى نتائج وخيمة لا يمكن إصلاحها. واستخدمت القوات البريطانية «تحت مظلة العصبة» كرجل حماية للصهاينة الطامعين في فلسطين.

ولإعطاء هذه المغامرة لوناً قانونياً، ابتدعوا عصبة الأمم ومعها أنظمة الانتداب وبمساعدتها تمكنت من توطين اليهود الروس في فلسطين وحيث أظهروا وبسرعة ميولهم الثورية التي توقعها «سيلفين ليفي» في عام /١٩١٩م/.

وكان انتداب فلسطين وتوطين اليهود هو «الإنجاز» الوحيد لعصبة الأمم و «للنظام العالمي الجديد» وليس من الصعب أبداً أن نحزر وكما يقول علم الجنايات «Cui Bono» أي من المستفيد من هذه الجريمة ومن هو صاحب الفكرة.. في الفصل القادم سنبحث في الانتدابات ونتعرف على من حاول إعاقتها.

الفصل الرابع والثلاثون

نهايــة اللـورد

نـورث كليـف

على مـدى ثـلاث سنوات بعـد مـؤتمر الـسلام /١٩١٩م/ بحثـوا عـن ذرائـع مختلفـة لإبقـاء الجـيش الإنكليـزي في فلـسطين، وادعـوا أنـه يقـوم بمهمـة نبيلـة ولكـن الحقيقـة كـان ذلـك للتغطية على عمل تميز بالإبادة الجماعية. وتم حل هذه المسألة الصعبة بسهولة كبيرة وتكشف الوثائق الرسمية عن صورة ضخمة للألاعيب السرية للدول العظمى وأهدافها الشنيعة.

طريقه فرض «ضغط لا يطاق على السياسة الدولية» تطورت مع الزمن ومع الممارسة.

وبعـد أن حقـق مـؤتمر الـسلام المطـامع الـصهيونية في فلسطين (ولم يأخـذ بالحـسبان يهـود الغـرب الـذين بـاسمهم تـكلم «سـيلفين ليفـي») الخطـوة التاليـة كانـت تقطيـع وتمزيـق الإمبراطورية العثمانية من قبل الدول المنتصرة في مؤتمر سان ريمو عام/١٩٢٠م/ واستخدم المؤتمر خدعة ماكرة «ابتدعها «وايزمان» عـام /١٩١٥م/» وأعطـى حق انتـداب فلسطين لبريطانيـا: وسـادت الاحتجاجات منـذ البدايـة ضـد هـذه العمليـة منـذ البدايـة، وأصبـح صـوتها أعلى وأعلى كلمـا اتـضحت النوايـا الحقيقية. ولكن «بلفور» أكد لـ «وايزمان» بأن هذه الاحتجاجات «تُعد لا قيمة لها وبالطبع لن تؤثر على القرار السياسي المتخذ بشكل نهائي» وهنا نقف مرة أخرى أمام مثل هذه التصريحات المحيرة والتي تتكرر فقط في هذه القضية، حيث توضع قضية سياسية معينة غريبة فوق كل الاعتبارات المتعلقـة بالمـصالح القوميـة للدولـة وشـرفها الـسياسي، وتـصبح هـذه الأمـور لا قيمـة لهـا بالمقارنـة مـع المطامع الصهيونية. وفي الحقيقة، التاريخ لم يعرف حالة أخرى عندما يمكـن وضـع مبـادئ راسـخة للدولة وسياستها من دون الرجوع إلى الرأي العام وأخذها بالحسبان.

«لويد جورج» أقلقـه في سـان ريمـو بشـكل خـاص إمكـان قـدوم زمـن الـسلم قبـل الأوان فيضع بذلك تحقيق الأهداف الخفية في موضع الخطر. وقد قال «لويد جورج» لـ «وايزمـان»: «لا يحق لكم إضاعة الوقت، اليوم كل العالم- يشبه بحر البلطيق قبيل حلول الشتاء وتجمد المياه

فيه. لا يزال هناك حركة ولكن ما أن تتجمد المياه سيكون عليكم ضرب الجليد برؤوسكم بانتظار الدفء القادم».

وكان من الأفضل لـ «لويد جورج» أن يقول الحرب الثانية بدلاً من الدفء. ولا عجب من أن مؤتمر سان ريمو صادق على وعد «بلفور» وأعطى حق انتداب فلسطين لبريطانيا. وبعد ذلك بقي للصهاينة فقط خطوة واحدة للوصول إلى الهدف، كان على عصبة الأمم إيجاد نظام الانتدابات المذكورة أعلاه وتوزيعها على الآخرين، ومن ثم الموافقة على الانتداب البريطاني وحدث ذلك عام /١٩٢٢/ وعلى مدى ثلاث سنين جاءت الاحتجاجات من كل مكان من دون استثناء ووقف معها فقط ثلاث قوى: الصهاينة الروس القياديون و «عشاق» السامية في المناصب العليا في الدول المختلفة وأخيراً الليبراليون الحالمون. ضد الصفقة وقفت قوى ذات خبرة عالية ولو أن الأمر تعلق بقضية أخرى غير تلك التي تعهد خفية بخدمتها «إداريوننا» لكانت تعرضت إلى خسارة محتومة.

وكانت الاحتجاجات كثيرة لدرجة آننا سنعددها أولاً ومن ثم نبحث في محتوى كل منها:

١- العرب الفلسطينيون كانوا ضد الاستيطان الصهيوني.

٢- اليهود الفلسطينيون أيضاً كانوا ضد ذلك.

٣- وكذلك يهود أمريكا وإنكلترا.

٤- وبالإضافة إلى السلطة المدنية والعسكرية البريطانية في فلسطين.

٥- ولجان الاستقصاء البريطانية والأمريكية.

٦- بالإضافة إلى القسم الأكبر من الصحافة التي كانت لا تزال حرة من الرقابة الخفية.

١- الأمر كان واضحاً للعرب منذ البداية لأن محتويات التوراة لم تكن سراً بالنسبة لهم. لقد صرح «وايزمان» في مؤتمر السلام بأن «وثيقة تفويضنا- التوراة» والعرب يتذكرون جيداً «الرب العبراني» ووعوده الصريحة الواضحة بالدمار: «وإذا أدخلكم الرب إلهكم الأرض التي أنتم مُزمِعون أن تمتلكوها، وطرد أمماً كثيرة من أمامكم... وهم سبعة شعوب أعظم وأكثر منكم، وأسلمهم إلى أيديكم وضربتموهم، فاجعلوهم محرمين عليكم ولا تقطعوا معهم عهداً ولا تتحننوا عليهم». «كتاب «التثنية» ٧: ١-٢».

أي الكلام يعني أن الصهيونية المدعومة من الغرب كانت تعني بالنسبة للعرب الدمار والموت كما قالت الشريعة قبل ألفي سنة وجاء عام /١٩٤٨م/ وأثبتت المجازر صحة ذلك تماماً.

في عام /١٩٤٥م/ قال الملك «ابن سعود» للرئيس «روزفلت»: «أنتم احتجتم إلى حربين عالميتين لكي تعرفوا ما نعرفه نحن منذ ألفي عام».

ومن المثير للدهشة أنه حتى اليهود والمعادين للصهيونية لم يكن بإمكانهم التصور أن الأمر سيتضمن التنفيذ الفعلي الحرفي لِمَ جاء في شرائع التثنية. في عام /١٩٣٣/ قال اليهودي المعروف «برنارد براون» مشيراً إلى المقاطع المذكورة من كتاب «التثنية» كسبب لمخاوف العرب ولكنه أضاف «بالطبع لا يفهم العرب المتخلفون، أن اليهودي المعاصر لا يفسر التوراة حرفياً ولذلك لا يمكن أن يكون قاسياً إلى تلك الدرجة في علاقته مع الناس الآخرين، ولكن يشك العرب بأنه في حال حصول اليهود على مطالبهم في فلسطين وعلى أساس حقوقهم التاريخية في تلك الأرض فإن أساس ذلك سيكون التوراة والتي يفسرها العرب حرفياً».

ومن الواضح أن مستر «بروان» من شيكاغو كان مغفلاً إلى حد ما، ولم يكن يعلم شيئاً عن الخزر الروس المتهودين.

في عام /١٩٢٠/ لم ينخدع العرب بالتعهدات التي أخذها «بلفور» على نفسه «في وثيقة» بأن «حقوقهم المدنية والإثنية» لن يمسها أحد ولم يصدقوا التعهدات العلنية للرئيس «ويلسون» «في بنوده الـ /١٤/ الشهيرة» أنه سيضمن للعرب «الأمن والاستقرار» و «الإمكانات المطلقة بالتطور الذاتي المستقل» وهم حتى وإن لم يعرفوا بالضبط فقد شكوا بأن «بلفور» و «لويد جورج» و «ويلسون» قد وعدوا الصهاينة بكل فلسطين وهم أيضاً لم يصدقوا التصريحات العلنية لـ «وينستون تشرشل» في عام /١٩٢٢/ حينما كان وزيراً للمستعمرات: «لقد أطلق البعض تصريحات عديمة المسؤولية حول وجود نوايا لإنشاء فلسطين عبرية خالصة، بل وقد قال البعض إن فلسطين ستصبح عبرانية بقدر ما إنكلترا إنكليزية «نقد مباشر لـ «وايزمان» إن حكومة صاحب الجلالة تُعد مثل هذه النوايا عديمة المعنى ولا تضع لنفسها مثل هذه الأهداف وهي لم تقصد أبداً بأن على السكان العرب واللغة والثقافة العربية في فلسطين أن تختفي أو أن تصبح تحت سيادة غريبة». «ولكن «تشرشل» فعل عكس ما قاله تماماً ودعم الصهاينة عندما أصبح رئيساً للوزراء خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها».

٢- الطوائف اليهودية المحلية في فلسطين «لم يسأل أحد عن رأيها خلال كل الأحداث تلك» كانت دائماً معادية صراحةً للصهيونية. في البداية كان «وايزمان» الوحيد تقريباً بين الصهاينة الذي عرف عن هذه النوايا الحقيقية ليهود فلسطين ويقول إن معظم زملائه من روسيا «لم يملكوا عنهم «عن يهود فلسطين» أي تصور كان».

في تلك السنوات /١٩١٦-١٩٢٢م/ تعجب قادة الصهيونية عندما عرفوا بأن يهود فلسطين يُعدونهم وثنيين وكفاراً، عديمي التقوى والرحمة وجهلاء.

وبالطبع كان يهم السيد «وايزمان» فقط راحة يهود فلسطين وخيرهم «ولكن بالطبع دون أخذ رأيهم»: «فقط نحن أردنا جعل حياتهم أكثر حضارة وراحة بقليل» ولكنه «أُصيب بالذعر عندما عرف واكتشف كم كانوا يعدوننا غرباء عنهم».

وهو يجردهم من الأهلية لغرابة أطوارهم وتخلفهم وبسبب سيل الشكاوي اللجوجة على الصهاينة التي أرسلوها إلى المنظمات اليهودية الأمريكية، حيث كان أكثر من /٩٠٪/ من رسائلهم قاسية اللهجة وعدوانية. ومن المدهش أيضاً أن «وايزمان» عرف عن محتويات تلك الرسائل من الرقابة البريطانية والتي خرقت واجبها وكانت تطلع «وايزمان» على الرسائل. ولكن رجال السياسة في باريس وسان ريمو لم يعيروا أي اهتمام لرسائل الاحتجاج من قبل سكان فلسطين اليهود والعرب.

٣- في عام /١٩١٩/ زار «لويس برانديس» «ذكرناه سابقاً» فلسطين وأصيب هناك بخيبة أمل قاسية وخرج باستنتاج: «بأن تشجيع الهجرة إلى هناك خطأ كبير» وأصبح رأيه ينحصر في أن المنظمة الصهيونية العالمية يجب حلها أو على الأقل تقليصها كثيراً وحصر عملها في أهداف أكثر تواضعاً وواقعية مثل تأمين موطن «ملجأ» لليهود في الدول المختلفة وذلك عن طريق إنشاء مراكز ثقافية يهودية، وكان ذلك سيؤدي إلى تأسيس مركز ثقافي يهودي في فلسطين يضم جامعات ومدارس وأكاديميات وبعض المشاريع الزراعية مع نقاط استيطان لليهود الراغبين فعلاً في العودة إلى «أرض الجدود». وكان ذلك سيعني التخلي عن مبدأ الأمة اليهودية المنفصلة الممثلة في دولة يهودية مستقلة، وكان ذلك سيعني خيانة للصهيونية وحسب رأي «وايزمان» كان ذلك سيعيد الهوة القديمة بين الشرق والغرب، الهوة بين Ostduolen ويهود الغرب المتساوين. بين «واشنطن» و «بينسك» «الإشارة إلى «بينسكر» صاحب الكلمات الشهيرة التي أشرنا إليها مرات عديدة حول «الضغط غير المحتمل والذي يطاق على السياسة العالمية» هذا لم يكن مصادفة أبداً».

ونال الصهاينة الروس من «برانديس» وتخلصوا منه بسهولة كما فعلوا مع «هرتزل». «برانديس» أطلق كلماته هذه في مؤتمر صهيوني أمريكي عام ١٩٢١. «وايزمان» رفض ذلك ودعا إلى إنشاء صندوق قومي «أي فرض ضريبة مالية على جميع أعضاء المنظمات الصهيونية» والميزانية القومية. وكانت نقطة ضعف «برانديس» هي نفس نقطة ضعف «هرتزل» في عام ١٩٠٣م وهي أن حكومات الغرب كانت قد تورطت في علاقتها مع الصهاينة من روسيا. وحقق «وايزمان» النصر مرة أخرى وانهزم «برانديس».

٤- في فلسطين وقف الموظفون البريطانيون العسكريون والمدنيون أمام مهمة فرضت عليهم وكانت فوق طاقتهم وفاشلة مسبقاً. لقد كان لديهم خبرة طويلة في إدارة المستعمرات. وقد حذرهم إحساسهم الداخلي وغريزتهم عن خطورة المغامرة الفلسطينية. لقد عرفوا كيفية إدارة البلاد لمصلحة وخير سكانها. وكان لديهم في هذا المجال خبرة عملية. وقد عرفوا جيداً أنه من المستحيل حفظ النظام وتأمين الاستقرار في بلد اندفع إليه المستوطنون الغرباء كالطوفان في الوقت الذي أجبر الجيش البريطاني السكان المحليين على تحمل ذلك. وانهمرت احتجاجات الموظفين الإنكليز إلى لندن ولكن حتى ذلك أُهمل.

أما فيما يخص العرب فإن الحقيقة المرة اتضحت لهم منذ البداية، ولذلك بدأوا بالمقاومة العنيفة منذ /١٩٢٠م/ وكان ذلك على شكل مظاهرات وعصيان وغيره. وهذه المقاومة لم تتوقف وعلى ما يبدو أنها لن تتوقف أبداً ما دام الظلم الذي أصابهم موجود ولم ينتهِ أو حتى يصبحوا جميعهم في وضع الأسرى الدائمين وراء الأسلاك الشائكة وتحت فوهات البنادق.

٥- من الصعب جداً فهم السبب الذي دفع الرئيس «ويلسون» و «لويد جورج» إلى إرسال لجان بحث واستقصاء إلى الأرض التي باعوها بهذا الثمن البخس وهل توقعوا من اللجان أخباراً مفرحة «مثل أخبار الوحول في فرنسا قبل الهجوم الألماني» فلا شك أن خيبة الأمل ستصيبهم لأن كل المفتشين الأجانب آكدوا ما كان يقوله العرب واليهود المحليون والموظفون الإنكليز هناك.

ولجنة «كينغ كراين» التي أرسلها الرئيس «ويلسون» أكدت بأن الصهاينة يريدون حرمان كل السكان غير اليهود من الممتلكات أو حتى من حق التملك في كل فلسطين «ومن ثم أضافت اللجنة تشرح بأن ذلك يتم» عن طريق جميع أشكال الشراء «ولكن الضباط البريطانيين الأكثر خبرة أخبروا اللجنة بأن تنفيذ البرامج الصهيونية يمكن أن تتم فقط عن طريق قوة السلاح».

وأما لجنة «هيكرافت» التي أرسلها «لويد جورج» عام /١٩٢١/ فقد قالت بأن السبب الحقيقي للاضطرابات التي بدأت في فلسطين هو خوف العرب المشروع من أن الصهاينة يريدون السيادة على البلاد.

٦- ولكن أكثر ما كان يزعج الصهاينة ويعيقهم هو أخبار الصحف وتعليقاتها حول ما يجري في فلسطين والحكومات الأمريكية والإنكليزية كانت في خطواتها في فترة ما قبل الحرب الأولى حذرة وتخشى الرأي العام المحلي الذي استند في معلوماته على الصحافة التي كانت في ذلك الوقت موضوعية إلى حد كبير، ولكن مع قيام الحرب فرضت الرقابة

وازدادت الألاعيب فيما وراء الكواليس، وكما شاهدنا على مثال العقيد «ريبينفتون» و «غووين» و «روبرت ويلتون» منذ ترك الكثير من الصحافيين الشرفاء المهنة بسبب التعديل والتحريف والمنع الذي انتشر في الصحافة.

في فترة /١٩١٩-١٩٢٢م/ انتهت الرقابة العسكرية وعادت معظم الصحف إلى الكتابة الصريحة والحرة والموضوعية، وعادت معها الرقابة السابقة على أعمال الحكومة من قبل الرأي العام. في تلك اللحظات الحاسمة حيث لم يتم بعد التصديق على الانتداب، تعلق كل مستقبل الصهيونية بالصحافة ووسائل الأعلام وبالذات في تلك الفترة حصل حدث أعطى النتيجة المطلوبة واللازمة وبسبب تأثره الهائل وطبيعته الفريدة سنقوم باستعراضه بتفصيل أكبر.

في تلك المرحلة من تطور الأحداث كانت إنكلترا هي الموقع الأساسي المهم بالنسبة للصهيونية، وهناك وقف «نورث كليف» كشوكة في حلق المتآمرين. وكان الرجل المذكور إنساناً نشيطاً متحمساً وله نفوذ واسع وقبل حصوله على لقب لورد، عُرف باسم «آلفرد هارمسفورت»، وكان إنساناً وقوراً يحمل على جبينه غرة نابليونية ومن ضمن أملاكه كان هناك جريدتان يوميتان مشهورتان جداً مع الكثير من المجلات والنشرات الدورية الأخرى بالإضافة إلى كونه شريكاً أساسياً في أكثر جرائد العالم شهرة وهي التايمز اللندنية وبفضل كل ذلك كان لديه إمكان التواصل المباشر مع الملايين من الناس يومياً. وبالإضافة إلى كونه ناشراً ناجحاً كان المذكور رجل أعمال ناجح وشجاعاً ووطنياً وصلب الموقف. وهو في جميع أعماله يمكن أن يكون محقاً أو مخطئاً ولكنه دائماً كان مستقل الرأي ولا يباع أو يُشترى ويذكرنا إلى حد كبير بالأمريكي «راند ولف هيرست» والعقيد «روبرت ماك كورميك». أي أنه كان مستعداً لعمل الكثير من أجل ازدهار جرائده وزيادة أعدادها ولكن في حدود المصلحة الوطنية وضمن الأخلاق والشرف. ولم يسمح أبداً بالسخرية من الدين أو بالخلاعة أو الكذب والتشهير أو بالتخريف على صفحات جرائده، ولم يكن ممكناً إخافته وكان قوة كبيرة في البلاد. وظهر اللورد «نورث كليف» كعدو للمشروع الصهيوني مرتين. أول مرة في عام /١٩٢٠/ نشرت التايمز بمبادرة منه مقالة عن «البروتوكولات» «أشرنا إلى ذلك مسبقاً» وكان عنوانها «نشرة مقلقة عن الخطر العبراني، تتطلب بحثاً ودراسة» وانتهت بكلمات: «من المرغوب فيه كثيراً دراسة محايدة لتلك الوثائق وقصة ظهورها... نحن لا يمكننا المرور على مثل هذا الأمر من دون دراسة وبحث وتحقيق، ولا نستطيع ترك تأثير مثل هذه الوثيقة من دون مراقبة» في عام /١٩٢٢م/ زار اللورد المذكور فلسطين برفقة الصحفي

«جيفريس» «لاحقاً نشر كتاب «فلسطين وواقعها» وهو مصدر كلاسيكي لمعلومات ذلك الزمن». وكانت الرحلة عملاً مشتركاً اختلف تماماً عن الأعمال السابقة لمحرري التايمز و «المانشستر غارديان» حول فلسطين والتي كتبت في لندن وبعد المشورة مع «وايزمان».

وفي فلسطين خرج اللورد «نورث كليف» باستنتاج: «أنا أعتقد بأننا لم نعطِ الموضوع حقه من البحث عندما وعدنا بإعطاء فلسطين كموطن لليهود على الرغم من وجود نحو /٧٠٠/ ألف عربي مسلم هناك يملكون تلك البلاد... ويسود اليهود المحليون، رأي يقول ويشير إلى إخلاص إنكلترا وحماسها للقضية الصهيونية ورغبتها بمساعدتها. لقد قلت لهم إن الأمر ليس كذلك إطلاقاً وإن عليهم الحذر من استنزاف صبر شعبنا بتهريب السلاح خفية لقتال /٧٠٠/ ألف عربي. إن فلسطين مهددة باضطرابات جدية. ولا أحد يخبر اليهود هنا في بريطانيا بالحقيقة. ولكنهم سيسمعونها مني».

وبقوله الحقيقة ارتكب اللورد «نورث كليف» الخطيئة القاتلة الثانية: في البداية دخل ونظر إلى محتويات الغرفة المحرمة وذلك بطلبه التحقيق في مصدر البروتوكولات بل حتى وقام بنشرها في وسائل إعلامه ذات الأعداد الهائلة، وأصبح بذلك شخصاً خطراً على المؤامرة. وعلى الفور ظهرت أمامه عقبة في شخص رئيس تحرير التايمز المدعو «فيكهم ستيد» «ذكر «وايزمان» وفاء ذلك الرجل للقضية الصهيونية». وكعب «آخيل» عند اللورد في هذا الصراع كانت رغبته وإصراره على نشر الحقيقة في التايمز على الرغم من أنه لم يكن صاحبها الوحيد. ورفضت التايمز مقالاته عن فلسطين على الرغم من نشرها في جرائده الأخرى.

ورفض رئيس تحرير التايمز منح المعادين للصهيونية إمكان نشر إرادتهم وأرائهم في الجريدة، وقد وردت هذه الوقائع بصراحة في كتاب «تاريخ التايمز الرسمي» وذكر الكتاب بأن «ستيد فيكهم» تملص وتهرب من السفر إلى فلسطين عندما عرض عليه اللورد «نورث كليف» ذلك، وكذلك أشار الكتاب بأن «فيكهم» أهمل طلب اللورد في برقية أرسلها بنشر «مقالة افتتاحية تنتقد موقف «بلفور» من الصهيونية». وفيما يلي نرجو من القارئ تركيز اهتمامه الشديد على التواريخ.

في أيار /١٩٢٠/ نشرت التايمز المقالة عن «البروتوكولات» المذكورة سابقاً. في بداية عام /١٩٢٢م/ زار اللورد «نورث كليف» فلسطين وكتب عدة مقالات أشرنا إليها أيضاً «وأهمل رئيس تحرير التايمز طلبه بنشرها». في /٢٦/ شباط «فبراير» /١٩٢٢/ سافر اللورد عائداً إلى أوربة. في /٢/ آذار «مارس» /١٩٢٢/ انتقد بشدة تصرف رئيس التحرير «ستيد» وذلك في اجتماع هيئة تحرير التايمز وطالب بإقالته من منصبه، وذهل اللورد فيما بعد لبقاء «ستيد»

في وظيفته بل وقام الأخير باستشارة محامي اللورد الخاص حول قانونية تصرف اللورد «٧/ /آذار «مارس» /١٩٢٢/» فقام محامي اللورد الخاص بإخبار «ستيد» بأن اللورد «نورث كليف» إنسان «مخبول» و «غير صالح أو مؤهل لإدارة الأمور» وحسب مظهره الخارجي «باعتقاد المحامي» فإنه لن يعيش طويلاً ونصح المحامي رئيس التحرير بعدم الانصياع والبقاء على رأس عمله.

ثم بعد ذلك سافر «ستيد» إلى «بو» في فرنسا حيث قابل هناك اللورد «نورث كليف» بعد ذلك أخبر «ستيد» من جهته مدير التايمز بأن اللورد «يفقد عقله» «/٣١ /آذار «مارس» /١٩٢٢/».

تشخيص الجنون «لدى اللورد» خرج به «بناء على إيحاء من المحامي الخاص للورد» رئيس تحرير أراد اللورد إقالته لعصيانه أوامره. نورد فيما يلي بعض الآراء لأشخاص لم يتورطوا في تلك القضية.

في /٣/ أيار «مايو» /١٩٢٢/ حضر «نورث كليف» غداء وداع جرى على شرف رئيس تحرير إحدى الجرائد لإحالته على التقاعد «وكان اللورد في حالة رائعة».

وفي /١١/ أيار «مايو» /١٩٢٢م/ «ألقى خطاباً رائعاً ومقنعاً» في اجتماع الاتحاد الإمبراطوري للنشر ومعظم من اعتقد بجنونه اعترفوا بخطئهم. بعد عدة أيام طالب «نورث كليف» مدير أعمال التايمز بإكمال الإجراءات الرسمية لإقالة «ستيد» رئيس التحرير. ولم يجد مدير الأعمال أي شيء غير طبيعي في ذلك «ولم يكتشف أي أمر يثير الشك فيما يتعلق بصحة اللورد نورث كليف».

وقال مدير آخر كان له علاقات مع «نورث كليف» بأنه يعتقد «بأن اللورد سيعيش من السنين ليس أقل مما سيعيش المدير نفسه، وبأنه لم يلاحظ أي شيء غير عادي لا في مظهره ولا في تصرفاته». «/٢٤ /أيار /١٩٢٢/».

في /٨/ حزيران «يونيو» /١٩٢٢م/ طلب اللورد من «ستيد» مقابلته في باريس وحصل اللقاء في /١١/ حزيران «يونيو» وفيه أخبر اللورد بأنه سيأخذ قيادة الجريدة في يديه. في /١٢/ حزيران «يونيو» سافر الاثنان إلى سويسرا وأخذ «ستيد» معه وبشكل سري طبيباً بقي مجهول الشخصية رافقهم حتى الحدود السويسرية. وفي سويسرا استدعى طبيب أعصاب فرنسي لامع ولكنه مجهول الاسم والشخصية أيضاً وأصدر هذا الطبيب في نفس الليلة تقريراً أعلن فيه «جنون» اللورد «نورث كليف». وعلى أساس التقرير أرسل «ستيد» برقية إلى التايمز أمر فيها عدم نشر أي شيء يرسله «نورث كليف» وعدم إعارة أي انتباه لكل ما يرسله.

في /١٣/ حزيران «يونيو» غادر «ستيد» ولم يقابل بعد ذلك اللورد «نورث كليف». في /١٨/ حزيران «يونيو» /١٩٢٢م/ عاد اللورد إلى لندن حيث جرى على الفور حجره صحياً ووضع تحت الإقامة الجبرية وعزل على الفور أيضاً من إدارة كل ممتلكاته ومنع حتى من الاتصال الهاتفي بها. «قطع خطه الهاتفي» ووضعت حراسة بوليسية على مدخل الجريدة لمنع اللورد من دخولها. وحسب «التاريخ الرسمي للتايمز» فإن كل ذلك جرى على أساس تقرير طبي لطبيب أجنبي في دولة أجنبية.

وفي /١٤/ آب «أغسطس» توفي اللورد «نورث كليف» بعد عمر قدره /٥٧/ عاماً وذكر أن سبب الوفاة هو تقرح في الغشاء الداخلي للقلب. هذه القصة استقيناها من المصادر الرسمية وفي ذلك الوقت كان على علم بها مجموعة صغيرة من الناس ونشرت تفاصيلها فقط بعد /٣٠/ سنة، ولو أنها نشرت في عام /١٩٢٢/ كانت ستثير الكثير من الأسئلة العاصفة.

وعلى ما يبدو أنه من الصعب جداً العثور على مثال آخر مماثل لما ذكر حيث عزل شخص قوي جداً وغني جداً عن إدارة أعماله على أساس ورقة مشبوهة المصدر والمحتوى صدرت في دولة أجنبية من طبيب مجهول الشخصية وانتهت بعد ذلك حياته بهذه السرعة وبهذا الغموض، والآن يقوم المؤلف بالسرد كشاهد على الأحداث أيضاً في فترة /١٩١٤-١٩١٨م/ كان المؤلف واحداً من الملايين أمثاله ممن شاركوا في الحرب الكونية ولكنه بدأ يفهم معناها الحقيقي بعد ذلك بفترة طويلة جداً.

في عام /١٩٢٢/ دخل المؤلف إلى الدائرة الضيقة للأحداث المذكورة أعلاه على الرغم من عدم انتمائه إلى تلك الدائرة. ووجد نفسه وجهاً لوجه مع اللورد «نورث كليف» ولم يكن في ذلك الوقت قد سمع لا بالصهاينة ولا بفلسطين ولا عن أي «بروتوكولات».

وهنا يمكن لشهادة المؤلف أن تملك وقعاً خاصاً مميزاً على الرغم من أنه يصعب عليه التقدير بنفسه هل تملك تلك الشهادة أي قيمة أم لا.

في عام /١٩٢٢م/ كان المؤلف شاباً يافعاً عاد من الجبهة وبحث لنفسه عن مكان تحت الشمس. وابتدأ العمل في هيئة تحرير التايمز. وكلف بمرافقة اللورد «نورث كليف» إلى بولون بصفة سكرتير وكان ذلك في أول أسبوع من حزيران «يونيو» /١٩٢٢م/ عندما قرر اللورد إقالة «ستيد» واستلام مهمات التحرير بنفسه.

وقيل للمؤلف حينئذٍ بأن اللورد إنسان غير اعتيادي وأن تعليماته يجب أن تنفذ على الفور، لذلك فإن كل ما قام به اللورد كان المؤلف ينظر من تلك الزاوية ولكنه لم يشك أبداً في مقدرة اللود العقلية على الرغم من أنه رافقه فقط قبل أسبوع واحد من قصة التقرير

المذكورة أعلاه. ولكن ربما لم يكن المؤلف في ذلك الوقت على الاطلاع على أي نوع من الانحرافات النفسانية فإن شهادته قد لا تعني أي شيء بالنسبة للإخصائين.

ولكن مهما يكن فقد لاحظ المؤلف أن سلوك اللورد هو نفسه الذي وصفه الناس العاملون والمحيطون به منذ سنوات طويلة، ولكن باستثناء أمر واحد لم يذكر وهو أن اللورد كان على يقين بأن حياته يهددها خطر مميت، وقد ذكر ذلك عدة مرات للمؤلف وكان متأكداً تماماً بأنهم سيقومون بتسميمه. وإذا كان ذلك في حد ذاته جنوناً إذن، فإن اللورد مجنون. ولكن عند ذلك يصبح الكثير من ضحايا التسميم مجانين وماتوا بسبب الجنون وليس بسبب سم دس لهم. وإذا كان ذلك صحيحاً فلا يجوز إذن الحديث أبداً عن أي انحراف عقلي. وبدا واضحاً جداً أن مثل هذا الشخص يمكن أن يملك الكثير من الأعداء الخطرين على الرغم من أن المؤلف لم يلاحظ أي عدوانية من أي طرف باتجاه اللورد. وأدى الخوف المذكور إلى جعل اللورد حذراً يشك في من حوله، ولكن في حال وجود أي أساس لذلك لا يمكن اعتبار الأمر جنوناً. المؤلف ليس قاضياً وهو فقط يشهد بما شاهد وبما فكر في تلك الأيام.

وبعد عودة المؤلف إلى لندن قام شقيق اللورد مع أحد العاملين المقربين من اللورد «جورج ساتون» باستجواب المؤلف وكان واضحاً أن فكرة الجنون قد أوحى بها لهم «التقرير الطبي جاء بعد ذلك بفترة قريبة» بدت أسئلتهما ملتوية أحياناً ولكن المؤلف لم يكن لديه أي شك حول الموضوع برمته، ولم يكن على علم به على الرغم من أنه كان آخر من شاهد اللورد قبل صدور التقرير. وكل ذلك كان سراً وبقي سراً لعدة سنوات بعد ذلك. ولم يعلم به المؤلف على الرغم من أنه عمل في التايمز فترة /١٦/ سنة. وعرف عن «جنون» اللورد وحكاية التقرير فقط بعد مرور /٣٠/ عاماً عليها عندما قرأ «التاريخ الرسمي للتايمز». في تلك الفترة رأى المؤلف عواقب تلك القصة التي كان شاهداً عليها عندما كان يبلغ من العمر /٢٧/ سنة[1]. وهكذا

١- هذه التفصيلات عن موت واحد من أعظم رجال المجتمع في عصره، وواحد من انجح ناشري الجرائد في تاريخ المطبوعات البريطانية والمؤسس للمجلة الحديثة وقد سكتت أو تغاضت المصادر الانكلو أمريكية المختلفة من موسوعة أو دليل عن ذكر أي معلومات تستحق الذكر عنه (الموسوعة البريطانية الجديد) تنهي مقالة عن نورث كليف بقولها (إصدار /١٩٨٣/ المجلد السابع ص /٤٠١/): (في السنوات الأخيرة من حياته أصبح نورث كليف ضحية لجنون العظمة التي أضرت بمقدرته على التفكير وأدت في النهاية إلى موته). أما الموسوعة البريطانية (إصدار /١٩٦٢/ مجلد /١٦/ ص /٥٢٧-٥٢٨/) فتقول: (لقد حطمته طبيعة نجاحه (؟) وأصبح ضحية لجنون العظمة الذي أخل بتوازن تفكيره ومات في لندن بسبب تقرح في غشاء القلب ولكن كما هو معروف فإن مرض جنون العظمة لا ينسب إلى الأمراض العضوية التي يمكن أن تسبب الموت السريع وإلا لكانت روسيا والعالم

تخلصوا من اللورد «نورث كليف» والسبب الرئيسي في ذلك كان اقتراب موعد التصديق على الانتداب ولأن أي مناقشة حرة على صفحات الجرائد الشهيرة كان يمكن أن تغير سير الأحداث. وبعد موت «نورث كليف» أصبح من المستحيل ظهور افتتاحية في التايمز تنتقد وثيقة «بلفور».

تم عزل اللورد «نورث كليف» ووضعه تحت الإقامة الجبرية «حجر صحي» في /١٨/ حزيران «يونيو» /١٩٢٢م/ وفي /٢٤/ حزيران «يونيو» اجتمع مجلس عصبة الأمم في لندن وهو لم يعد يخشى النقد من الرأي العام عبر صفحات الجرائد. وقرر المجلس منح إنكلترا حق انتداب فلسطين، وكان إقرار الانتداب هو في حقيقة الأمر عمل شكلي لأن العمل التحضيري الحقيقي لوضع مسودة القرار وتدبير الدعم اللازم لإقراره كان قد جرى مسبقاً من قبل موظفي الوزارة وتحت مراقبة وتعليمات «حاييم وايزمان». وسافر «وايزمان» لأجل ذلك إلى الكثير من عواصم العالم.

«هاوز» «ولجنته» قام ذات يوم بوضع ميثاق عصبة الأمم ووضع «وايزمان» و «برانيس» و «عويز»، بنود وثيقة «بلفور» «المتضمنة وعده المشهور» والآن جاء الوقت لوضع الوثيقة الثالثة والأكثر أهمية والتي لم يعرف التاريخ لها مثيلاً. ولا ينسى «وايزمان» من كيل المديح لوزير الخارجية البريطاني في ذلك الحين «لورد كيرزون» ولكنه يلاحظ بشكل خاص: «لقد تأمن لنا دعم ثمين ومساعدة لا تقدر من طرف السيد «بن كوهان»... أحد أكثر المبدعين في وضع مشاريع القوانين في أمريكا».

أي باختصار اليهودي الأمريكي «كوهان» لعب دوراً مهماً جداً في المراحل المتأخرة من هذه العملية» وضع مشروع القرار الذي على أساسه قام «النظام العالمي الجديد» بإملاء السياسة البريطانية وتقرير إرسال القوات الإنكليزية إلى فلسطين. وانحصر دور اللورد «كيرزون» في

قد تخلصوا من إدارة (ستالين) في نهاية الثلاثينيات على ابعد حد. ووضع تشخيص لهذا المرض على أساس تقرير واحد فقط امر غير ممكن ومستحيل إلا إذا كان المريض من الزبائن المداومين في المشافي العقلية). واما تقرح غشاء القلب فهو مرض صعب لم يكن بالإمكان علاجه قبل ظهور المضادات الحيوية، ولكنه لا يمت بصلة بـ (جنون العظمة) ومن دون تشريح الجثة لا يمكن ابداً التقرير بأن هذا المرض هو سبب الموت (لم يتم تشريح جثة اللورد) والموسوعة الأمريكية تنهي المقطع المخصص لـ نورث كليف بالكلمات التالية: وعلى الرغم من التدهور الصحي Growiny Ill Health بعد الحرب فإن اللورد نورث كليف تابع مراقبة السياسة العالمية والاهتمام بها واستمر ذلك حتى لحظة موته (الموسوعة الأمريكية/١٩٦٨ /المجلد/٢٠/ ص/٤٥٤/).

محاولاته التخفيف من شروط الانتداب ونجح إلى حد ما في تعديلات بسيطة محدودة لم تلعب دوراً في نهاية الأمر.

إنه رجل دولة موهوب «لكنه ليس سياسياً» ذو مظهر خارجي يشبه أباطرة روما. وكان «كيرزون» (موالياً تماماً للسياسة التي جرت على أساس وثيقة «بلفور») «وايزمان». وقد أصبح معلوماً أن الوزير لم يستحسن شخصياً المشروع الذي كان عليه، وحسب وظيفته، نفخ الحياة فيه. «ولا شك بأن ذلك أصبح سبب عدم وصوله إلى منصب رئاسة الحكومة على الرغم من امتلاكه لكل الصفات اللازمة لذلك». وقد تمكن الوزير من حذف كلمة واحدة من مشروع القرار. فالسيدان «وايزمان» و «كوهان» أرادا أن يبدأ القرار بالكلمات: «اعترفنا بالحق التاريخي لليهود في فلسطين.....». ولكن الوزير البريطاني اعترض بقوله: «بهذا النص. أنا أرى «وايزمان» هو قادم إلى مكتبي كل يوم وبيده نص القرار وهو يصرخ بأنه يملك الحق أن يفعل في فلسطين هذا الأمر أو ذاك. أنا لا أقدر على السماح بذلك».

وهكذا تحولت كلمة «الحق التاريخي» إلى «العلاقات التاريخية» «الروابط التاريخية». آنه نفس الخداع والنصب والاحتيال ولكن من عيار أصغر وأقل.

اللورد «كيرزون» كان إنساناً متعلماً مثقفاً ولم يؤمن طبعاً بأن للخزر الروس آي حق تاريخي أو روابط تاريخية مع شبه جزيرة العرب. وبينما كان المشروع يُطبخ، سافر الدكتور «وايزمان» في جولة عالمية أخرى لضمان كامل الأصوات في عصبة الأمم لمصلحة قرار الانتداب.

زيارته الأولى كانت إلى وزير الخارجية الإيطالي السنيور «شانتسير» وقد ذكر الأخير أن الفاتيكان قلق جداً على مصير قاعة سر صلاة الغروب في أورشليم في حال وقوعها تحت سيطرة الصهاينة. وأجابه «وايزمان» بلهجته الوقحة المعهودة التي يتحدث بها مع آبناء ديانته عندما يدور الحديث عن المقدسات الغربية: «يبدو أن معرفتي بالتاريخ المسيحي الكنائسي ليست كافية. أنا لم أتوقع أبداً بأن الطليان يهمهم إلى هذا الحد مصير القاعة المذكورة».

في عام /١٩٥٠/ فتح الصهاينة في الطابق السفلي من ذلك البناء «سرداب الكارثة» للحجاج اليهود وكتب على المدخل ما يلي: «يمنع دخول أصحاب الأعصاب الضعيفة». وبعد زيارته إلى القبو المذكور كتب الحاخام الأول لجنوب إفريقيا يقول: «هنا تُبذل كل الجهود لتطوير وتشجيع تقديس جبل صهيون وخلق بدائل لحائط المبكى وإعطاء تنفيس انفعالي جديد للأحاسيس الدينية الشعبية. ولكن في كل ذلك يوجد شيء ما غير عبراني يعود على الأغلب إلى الاعتقادات والخرافات وليس إلى المعتقدات الدينية... إنني أرتجف عند تفكيري بالانطباع

الذي ستتركه هذه الأساطير غير الموثوقة «عن عجائب الشفاء» على اليهود المؤمنين البسطاء من اليمن. إن كل ذلك يثير القلق».

وبالطبع تمكن الدكتور «وايزمان» من تهدئة السنيور «شافتسير» وغادر واثقاً من الدعم الإيطالي.

تستمر عمليات الإعداد والمعالجة المسبقة للأعضاء عن طريق مشاورات ما وراء الكواليس وبواسطة «الضغط الذي لا يطاق» الذي نعرفه جيداً.

ووصل «وايزمان» إلى برلين حيث التقى هناك بوزير الخارجية الألماني الشهير في ذلك الوقت الدكتور اليهودي «فالتر رايتنو» والمعروف بعدائه الشديد للصهيونية ولقد «انتقد بشدة كل المحاولات الجارية لتحويل يهود ألمانيا إلى جسم غريب في رمال براندينبورغ، كان ذلك كل ما استطاع هذا الشخص رؤيته في الصهيونية» «وايزمان».

بعد ذلك بفترة قصيرة اغتيل «راتينو» وفقد يهود الغرب المتحررين مدافعاً آخر عنهم شديد القوة والتأثير. وبعد جولاته تلك استطاع «وايزمان» ضمان نتيجة التصويت بإجماع كامل ما عدا صوت أسبانيا والبرازيل. فقام في لندن بزيارة ممثل أسبانيا وهو وجيه أسباني وقال له: «الآن يوجد لدى أسبانيا القدرة الكبيرة لكي ترد جزئياً الديون القديمة لليهود. إن الشرور التي قام بها أجدادكم اتجاه اليهود يمكنكم الآن جزئياً التكفير عنها» واستخدم «وايزمان» وبدبلوماسية كلمة «جزئياً» مرتين وبالطبع فإن واجب محدثه كان ينحصر في خدمة أسبانيا الحديثة وليس التكفير عن ذنوب الماضي. ولكنه وقع في نفس الإغراء الذي انزلق فيه «بلفور» عندما صدق الرواية عن دين أسبانيا المزعوم أمام اليهود- ولم يثر تعجب المبعوث الأسباني أن «وايزمان» ومن دون أي صلاحية ادعى تمثيل كل اليهود- وكذلك كان التلميح بأنه بإهمال مصالح العرب يمكن لجزء آخر من الدين أن يتغطى. وحصل «وايزمان» في نهاية الأمر ليس فقط على الصوت الأسباني بل وعلى الصوت البرازيلي معه. وقد تساءل «وايزمان» فيما بعد هل هو مدين بنجاحه إلى فصاحة حديثه وبلاغته أم إلى الضغط الذي جاء من مدريد[1].

١- يقصد (وايزمان) طرد اليهود من اسبانيا عام /١٤٩٤م/ وكان سبب الطرد قبل كل شيء أن الحكم الفعلي هناك عاد إلى اليهود خلال فترة سيطرة المغاربة على البلاد لمدة /٨٠٠/ سنة وقد ساعد اليهود على الانتصار العربي في البداية بواسطة التجسس والخيانة المباشرة، لذلك أصبح هذا الانتصار عبارة عن انتصار يهودي عمليا (انظر الفصل /١٧/) ولذلك ليس مستغرباً أنه بعد طرد المغاربة عام /١٤٩٤م/ أن يطرد اليهود معهم. السبب الثاني يكمن في أن اليهود في أنحاء أسبانيا التي لم تخضع للعرب أو التي خرجوا منها مبكراً، كانوا قد استغلوا السكان المحليين بقسوة عن طريق الربا ولكونهم جباة الضرائب هناك، وقد تعرض الملك

وجرت في إنكلترا في ذلك الوقت محاولة أخرى أخيرة لإعاقة الاشتراك البريطاني في المشروع وقام بها اللوردات «ساينهام» و «ايسلنفتون» و «راغلان» ووقف الثلاثة ضد قرار الانتداب في مجلس اللوردات وتمكنوا من تمرير قرار هناك يدعو إلى إلغاء وثيقة «بلفور» ولكن مجلس اللوردات لا يملك أي سلطة قرار وفقط بإمكانه تقديم الاحتجاج. لذلك هدأ «بلفور» «وايزمان» بقوله: «أي أهمية يملك قرار عدد من اللوردات الأغبياء؟».

وبعد التحضير المذكور أعلاه عقدت عصبة الأمم اجتماعاً لها في لندن في /٢٤/ تموز «يوليو» ووضع «بلفور» مشروع قرار الانتداب على التصويت وجرى كل شيء على ما يرام ولم يعترض أحد. ومنحت عصبة الأمم عدة انتدابات أخرى ولكن في تلك المسرحية كلها كان الأهم هو انتداب فلسطين واستمر الانتداب حتى وصل عدد كافٍ من الصهاينة وتم تزويدهم بسلاح كثير جداً، وفقط بعد ذلك جرى إلغاء الانتداب وسلمت عملياً البلاد للصهاينة الذين دخلوها بقوة السلاح.

ولم تعد الأمم المتحدة تستخدم كلمة انتداب واستبدلت بكلمة «وصاية» والتي استعملت كغطاء لنقل الأراضي من يد إلى أخرى. وبعد موت الرئيس «ويلسون» انتقلت السلطة إلى أيدي الجمهوريين وبعد خيبة أمل من نتائج الحرب فضلت أمريكا الابتعاد ولم تدخل حتى عصبة الأمم. وفقط في مسألة واحدة بقي الجمهوريون يتنافسون مع الديموقراطيين في الحصول على بركات المجموعات العاملة من وراء الكواليس وللحصول على أصوات الناخبين المحتارين المنقادين فعلاً من قبل تلك المجموعات والتي وضعها العقيد «هاوز».

وفي حزيران «يونيو» عام /١٩٢٢م/ قرر اجتماع مشترك لمجلس الشيوخ والنواب قراراً مشتركاً كرر تقريباً وثيقة «بلفور» لعام /١٩١٧م/ واشتد الحبل الصهيوني التفافاً حول الرقبة الأمريكية.

فرناندو والملكة ايزابيلا الى خطر قيام انتفاضة شعبية هناك مع مهاجمة اليهود وتحطيمهم. السبب الثالث للطرد هو النشاط التخريبي لمن اعتنق المسيحية من اليهود (شكلياً) والمدعوين المارين وقد احتل هؤلاء جميع المناصب الرسمية الرفيعة في الدولة بما فيها الكنيسة. ويؤكد بعض المؤرخين المعارضين من اليهود مثل سيسيل روث بأن الأغلبية الساحقة من المارين بقوا سراً على دينهم اليهودي. ولا شك بأن محاكم التفتيش في أغلبها جرت لتخليص البلاد (أسبانيا والبرتغال) من ذلك البلاء العظيم. كل ذلك كان معروفاً جيداً في عام /١٩٢٢م/.

الفصل الخامس والثلاثون

الموطن القومي
الملاذ القومي

بعد عدة سنوات من إكراه الشعب الإنكليزي وتحميله «الانتداب» على فلسطين، انتشرت في الدعاية العالمية مقولة تزعم بأن الملاذ القومي اليهودي في فلسطين سيكون تحت الحماية الإنكليزية فقط «كمركز ثقافي» للعبرانية ولا يكمن فيه أي خطر على العرب.

«- ملاحظة الترجمة- للإشارة إلى فلسطين كأرض يحشد فيها اليهود وجرى في وثيقة «بلفور»، وليس من دون نية سيئة، استخدم مصطلح لا يخضع إلى تحديد وتعريف دقيق وهو «Ntional Home» الذي يمكن أن يشير إلى «مركز قومي» أو «مأوى قومي» أو «أراضي وطنية» أو أي شيء آخر وصولاً إلى «دولة قومية وطنية» والذي لم يود «بلفور» الكلام عنه صراحة لأسباب معروفة.

وترجمة المصطلح المذكور أعلاه إلى اللغات الأخرى تملك أيضاً معنى مبهماً غير محدد: بالفرنسية «Foyer Nation al» وبالألمانية فهي «Heimstette» الخ....

وفي نص الترجمة الروسية جرى اختيار الترجمة الفرنسية لأن الاسم الإنكليزي الأصلي لهذا الفصل «National Home» من الصعب باللغة الروسية أن يعطي المعنى المطلوب».

ولكن كل ذلك لم يخدع العرب لأنهم فهموا تماماً بأنهم أصبحوا الآن في القرن العشرين موضع محاولة تهدف بالقوة إعادة ما كان موجوداً في القرن الخامس قبل الميلاد من شريعة اللاويين التي قامت على السلب والنهب واغتصاب الأراضي.

وأجاب العرب على ذلك بالاعتصامات والاضطريات والانتفاضات ونتيجة لذلك فإن «الحرب التي كان عليها إنهاء كل الحروب» وضعت في الواقع بداية لحرب جديدة لا نهاية لها.

وبدا على الفور واضحاً بأن الصهيونية هي عبارة عن ديناميت بين الشعوب، وأن الأراضي التي تحررت لتوها من الأتراك زُرعت بالغام موقوته كان عليها في المستقبل أن تؤدي إلى نزاعات على مستوى دولي.

على الرغم من كل ذلك قال وزير المستعمرات الإنكليزي الجديد لدى وصوله إلى فلسطين عام /١٩٢٥م/ بأنه «لا يوجد أي إمكان لتغيير السياسة البريطانية» (نقلته وكالة الأنباء العبرية على لسان الوزير المذكور «ليوبولد عميري»). وهذا التصريح إذا أضفنا إليه تصريح «بلفور» قبلهُ، بأن السياسة البريطانية في هذا الموضوع «محسومة تماماً»، عند ذلك يتضح بأنهما يبينان السر الأساسي لكل ما يجري وهما عبارة عن تحدٍ واضح لكل البشرية.

ومتى حصل أن يعلن مسؤول كبير وبشكل مسبق أن التغيير في السياسة حول موضوع ما هو أمر مستحيل؟ حتى ولو بدت السياسة هذه مستحيلة التنفيذ وذات نتائج كارثية. أي قوة كان بإمكانها الإصرار على أن هذه السياسة يجب أن تنفذ مهما كانت الظروف والنتائج؟ ولم يقم أحد من الزعماء ورجال السياسة الإنكليز أو الأمريكيين بشرح سبب هذا الانبطاح والاستسلام. وخلال السنوات العشر المذكورة أعلاه لم يكل أو يتعب رجال السياسة في الغرب من تهنئة بعضهم بعضاً بنجاح ما أضمروه.

وقد صرح «لويد جورج» في اجتماع صهيوني في لندن: «لقد تربيتُ في مدرسة كان الحديث فيها عن تاريخ اليهود أكثر من الحديث عن تاريخ بلادي».

ومع انتهاء الحياة السياسية للسيد «لويد جورج» قام خلفائه بالتأكيد على ولائهم للصهيونية. ولم يستطع خليفة «لويد جورج» المدعو «رامزاي ماكدونالد» حضور الاجتماع الصهيوني المذكور ولكنه أرسل إلى هناك برقية تحية وتأييد. وكذلك فعل «ستانلي بولدوين» «أحد رؤساء الحكومات فيما بعد» حيث أسرع بالانضمام إلى حلقة أصدقائه «وايزمان».

في جنوب إفريقيا قال الجنرال «سماتس» بأن: «العمل والكدح لأجل اليهود هو هدف ومعنى حياتي كلها». أما «بلفور» فاعتبر أن وثيقته هي قمة ما أنجزه طوال حياته.

وفي عام /١٩٢٥م/ سافر «بلفور» لأول مرة لينظر ويشاهد البلد الذي باعه في الخفاء. وبعد وصوله إلى هناك لاحظ بأن تلاميذ معهد «هرتزل» «بإمكانهم أن يكونوا تلاميذاً في هارو» (- ملاحظة الترجمة- «ايتون» و «هارو» من أفضل المدارس الأرستقراطية في إنكلترا وعلى الرغم من أنها حملت دائماً اسم «Public School» ألا أنها كانت دائماً فقط لأبناء الأغنياء) وأضاف بأن عمدة تل أبيب كان «بإمكانه بسهولة أن يكون عمدة ليفربول أو مانشستر» بعد ذلك افتتح الجامعة العبرية.

وتجول في فلسطين تحت حماية حراسة قوية، وقد ذكر فيما بعد بأن الاستقبال الحافل هناك ذكره بالحملات الانتخابية حيث جميع الناخبين معهُ. وعلى الرغم من نصائح «وايزمان» فقد سافر بعد ذلك إلى سوريا حيث حاصرته حشود العرب في فندق فكتوريا مطالبة بموته

وفقط جهود الفرسان الفرنسيين أنقذته من ذلك حيث غادر بحمايتها إلى الشاطئ ومن هناك إلى إنكلترا.

في كتاب «جيفريس» «رافق اللورد «نورث كليف» إلى فلسطين في عام /١٩٢٢م/» يمكننا أن نقرأ ما حدث خلال العشر سنوات المذكورة في فلسطين.

وبدأ الصهاينة شراء الأراضي العربية بوتيرة عالية «حسب قانون التلمود لا يجوز بيعها مرة أخرى للعرب. ولم يقف العرب ضد الصفقات التجارية المحدودة لبيع وشراء الأراضي ولكنهم رفضوا البيع الواسع الذي يؤدي إلى فقدانهم لفلسطين».

إلا أن الولادات بين العرب كانت كبيرة لدرجة أن الهجرة مهما كانت ضخمة لم تكن لتتوازن معها. وبدا واضحاً منذ البداية أن الحرب وحدها فقط يمكن أن تحقق الحلم الصهيوني. ولم يتكلم أحد صراحة في تلك الأيام عن سلب العرب واغتصاب أراضيهم. وعرض «الكتاب الأبيض» الذي أصدره «تشرشل» على العرب إجراء انتخابات في بلادهم ولكن الدكتور «وايزمان» رفض ذلك رفضاً باتاً ووقع بذلك «في وضع غريب كإنسان زعم بأنه منع العرب من استخدام حقوقهم الديمقراطية». وخرج العرب من ذلك باستنتاج خاص ولكن «وايزمان» اشتكى من أن العرب أصبحوا ضحية «لتشويه مقصود للأفكار الصهيونية».

وأجبرت الاضطرابات في فلسطين السلطات البريطانية على إرسال لجان استقصاء جديدة «ولكن لأي هدف إذا كان الإنكليز قد أعلنوا سابقاً بأن سياستهم لن تتغير هناك تحت أي ظرف من الظروف». وحضرت لجنة «سيمبسون» وكانت تقاريرها تشبه التقارير السابقة.

وقد قال «وايزمان» في هذا الخصوص كلمات ذات مغزى: «كل مرة عند قدوم لجنة تقصٍ جديدة إلى فلسطين يكون أعضاؤها في البداية طيبين نحونا ولكن ما إن تمر عدة شهور وتغادر اللجنة حتى يكون جميع أفرادها ضدنا». وأخذ يبدو بوضوح فشل مشروع الملاذ القومي وعم الحذر صفوف السياسيين. في عام /١٩٢٥م/ حذر «لويد جورج» الصهاينة بأن «سياسة سلب الممتلكات والأراضي أو أي أمر يذكر بها سيخلق صعوبات جمة على طريق الصهيونية».

وأجابه الدكتور «وايزمان» قائلاً: «مستر «لويد جورج» بإمكانكم الثقة وتصديق ما أقول لكم من أن اليهود لن يبنوا بيوتهم على أكتاف أحد غريب. لقد تعذب اليهود كثيراً من الظلم وتعلموا الكثير من ذلك وبإمكاني التأكيد لكم بأن العرب لن يتأذوا من طرفنا».

ولكن على الرغم من كل أهمية ما حدث في فلسطين فإن الأهمية الكبرى كانت تكمن في استمرار السيطرة على الأمور السياسية في لندن وواشنطن وتجدر الإشارة إلى أن «وايزمان» نجح في ذلك. كان أكثر ما يخيف الصهاينة هو موقف يهود الغرب المتحررين وهم

كانوا مع الملاذ اليهودي في فلسطين ولكن ليس على شكل دولة قومية استيطانية «شوفينية» بل على شكل نقاط مقدسة للحج والعبادة «كما هو حال مكة لدى المسلمين».

ونجح «وايزمان» في حل تلك المسألة وابتدع مفهوماً «يهودياً- غير صهيوني» ولم ينخدع يهود بريطانيا بذلك ووقع يهود أمريكا في الشبكة، حيث بدا لهم هذا التعبير مريحاً تماماً ويعطيهم إمكان والاستفادة من القسم الأول والقسم الثاني من التعبير: رفض «الشوفينية» الصهيونية وفي الوقت نفسه دعم فكرة مراكز مقدسة لليهود في فلسطين.

وفي عام /١٩٢٨م/ ظهرت في أمريكا مجموعة غير صهيونية يهودية وأعلنت عن استعدادها للتعاون مع الدكتور «وايزمان» في «بناء فلسطين». وعلى هذا الأساس ظهرت فكرة إنشاء الوكالة اليهودية لدى «وايزمان».

وأعلن «وايزمان» انضمام اليهود غير الصهاينة إلى الوكالة اليهودية وأن في ذلك تنفيذاً لشرط الانتداب وبأنه أصبح يمثل كل اليهود. وقد قال «وايزمان» في المستقبل بأن هذه اللعبة أنقذت الصهيونية من الفشل لأنها كانت ستهلك. وفهم العرب على الفور بأن الوكالة اليهودية هي عملياً حكومة يهودية في فلسطين وازدادت مقاومتهم واضطرت لجنة «باسفيلد» في كتابها الأبيض عام /١٩٣٠م/ إلى الدعوة إلى وقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين والحد من سلطة الوكالة اليهودية، واهتزت «السياسة التي لا يجوز تغييرها» ولكن الدكتور «وايزمان» وجه ضربة قاسية للحكومة البريطانية بدعم من «اليهود غير الصهاينة». واضطر رئيس وزراء بريطانيا «ماكدونالد» بعد لقاء مع «وايزمان» إلى إلغاء اقتراحات «الكتاب الأبيض» بل إنه استشار «وايزمان» وطلب رأيه في من هو الأصلح لمنصب المندوب السامي البريطاني في فلسطين. وتابع الصهاينة تقدمهم.

ولا أحد حتى الآن يعلم السبب الذي جعل رجال السياسة يرتجفون أمام الصهيونية وهم يصمتون ولا يذكرون ذلك في مذكراتهم.

وعلى الرغم من أنبطاح «ماكدونالد» أمام «وايزمان» وعودة الأمور إلى ما كانت عليه إلا أن المأوى الصهيوني في فلسطين ظل ذابلاً مثل النبتة المزروعة في أرض غريبة وخلال فترة عشر سنوات وصل إلى فلسطين أقل من مئة ألف مستوطن صهيوني وفي عام /١٩٢٧م/ غادر فلسطين ثلاثة آلاف يهودي أكثر ممن قدموا إليها. واستمر النزوح العكسي وفي الفترة ما بين /١٩٢٨-١٩٣٢م/ كان عدد المغادرين يعادل ثلث القادمين الجدد وأشار كل ذلك إلى أن الفشل أخذ يتغلغل في المغامرة الصهيونية.

ولكن لم يدم هذا الأمر طويلاً وجاء إلى الساحة منقذ جديد للصهيونية يدعى «أدولف هتلر» وسيطر على السلطة في ألمانيا وظهر شبح الحرب من جديد فوق الأفق.

الفصل السادس والثلاثون

الدور الغريب للصحافة العالمية

فترة/١٩٣٣-١٩٣٩/ هي التي اختمرت فيها الحرب العالمية الثانية. والعسكرتاريا البروسية التي اعتقد الجميع بأنها انتهت عام /١٩١٨م/، ظهرت إلى الوجود بشكل أقوى وأكبر وهز الأمر البشرية كلها إلى درجة أنها نسيت فلسطين وأحداثها، وزعم أنها لا تمت إلى أحداث أوربة بصلة. ولكنها في الواقع كانت تحتل الدور المهم والأساسي في «أسباب وأهداف» الحرب العالمية الثانية[1].

١ـ في هذا الفصل وقع (دوغلاس ريد) في خطأ ارتكبه الكثير من الإنكليز قبله حيث اعتبروا بجد أن النازيين هم السبب في الحرب العالمية الثانية، بينما تبين أحداث الثلاثين سنة الأخيرة بأن (هتلر) كان مثل كل رجال السياسة في ألمانيا بعد الحرب الأولى ولم يفكر باحتمال وقوع حرب ولم تفكر القيادة الألمانية بإمكان وقوع حرب أوربية وهو أمر واضح من كون امتلاك ألمانيا لـ /٦٢/ فرقة فقط عند بدء العمليات الحربية ضد بولندا. في حين أن بولندا وفرنسا كانتا تملكان /١٣٠/ فرقة عسكرية. (/٣٠/ فرقة بولندية و/١٠٠/ فرقة فرنسية). وهو أمر يلغي إمكان التحريض على الحرب أو اشكالها من قبل ألمانيا. ولكن هناك من اعتبر محقاً بأن (هتلر) ومن معه لن يتوقفوا أمام أي شيء من أجل رد اعتبار ألمانيا وإعادة وضعها كدولة عظمى، ومن أجل استعادة بعض الأراضي المقتطعة منها ومع وجود إخراج جيد من وراء الكواليس وفي ظروف السيطرة التامة على وسائل الأعلام العالمية التي خلقت ظروفاً تعود جذورها إلى اتفاق فرساي للسلام في ظل وجود كل ذلك لم يكن صعباً استخدام ما ذكر لإشعال الحرب لقد فقد (هتلر) صبره عند الاتفاق مع البولنديين (وهو أمر حاولت جاهدة على تنفيذه كل الحكومات الألمانية المتعاقبة) حول موضوع الأراضي وموضوع الممر إليها، مما اضطر (هتلر) إلى الهجوم المسلح، ويذكر شهود عيان أن وجهه تحجر من القلق لدى سماعه بدخول فرنسة وبريطانيا إلى الحرب وكل الأحداث التي تلت ذلك بما فيها دخول أمريكا إلى الحرب تبين وكما أوضح (دوغلاس ريد) بأن الخطة منذ بدايتها هدفت إلى:

١ـ تكوين دولة عبرانية.

٢ـ تدمير نهائي لألمانيا. ٣ـ تسليم نصف أوربة للبلاشفة.

بعد ثورة تشرين الأول «أكتوبر» /١٩١٧م/ لم يعد من الممكن تكرار الثرثرة حول ملاحقة اليهود في روسيا، ولكن هذا الفراغ سرعان ما امتلأ بالزعيق عن «ملاحقة اليهود في ألمانيا» وبدأت حملة تخويف يهود أوربة وبدا ابتزاز الدول الغربية وقادتها وبدا من الواضح العواقب في نتائج الحرب الجديدة حيث الربح والفائدة فقط للصهيونية والشيوعية وبما أن المؤلف كان شاهداً على الأحداث التي جرت فإن حكايتنا ستروى فيما بعد على لسانه المباشر.

في بداية تلك الفترة «١٩٣٩م» استطعت القفز في سلم الحياة المهنية من موظف بسيط في هيئة تحرير التايمز إلى منصب مراسل التايمز في برلين هو أمر آثار السرور والرضا في نفسي ولكن مع نهاية عام /١٩٣٩/ أصبت بخيبة أمل من ذلك العمل وقدمت استقالتي وسيتوضح السبب في ذلك فيما بعد.

بدءاً من عام /١٩٣٩/ أرسلت باستمرار أخباراً عن نجاحات «هتلر» المتزايدة. وفي عام /١٩٣٣/ مررت مصادفة بالقرب من «الرايخستاغ» الملتهب بالنيران. وقد استخدم هذا الحادث كذريعة لتشكيل «الغستابو» وتقوية نفوذ «هتلر». ولكن في ذلك المساء سيطر علي شعور بأن الحريق يشير إلى أحداث أكبر وأكثر أهمية.

وبالفعل بدأت عملياً كل كوارث أوربة من ذلك اليوم بالذات وليس مع بداية الحرب وأدى ذلك إلى توسيع مساحة انتشار الثورة العالمية حتى وسط أوربة وسلمت إلى الشيوعيين في عام /١٩٤٥م/.

مع سيطرة «هتلر» الفعلية على ألمانيا في ذلك المساء، فهمَ جميع المراقبين المحترفين من دبلوماسيين وصحفيين بأن هذا الأمر يعني حرباً جديدة إذا لم يتم إعاقة «هتلر» وكانت إعاقته في ذلك الوقت أمراً سهلاً نسبياً.

و «تشرشل» كان على حق عندما سمى الحرب العالمية الثانية «حرباً غير لازمة». ولوقفها كان يجب على الجميع الوقوف بحزم في وجه «هتلر» منذ بدء مغامرته الحربية في الراين أو في النمسا وتشيكوسلوفاكيا، في أي وقت حتى عام /١٩٣٨م/ ولكن بعد توقيع اتفاق ميونخ أصاب الشلل محاولة للإطاحة به من قبل ضباط ألمان. وقد أبلغ المراقبون الإنكليز المحترفون بأن «هتلر» سيشعل الحرب إذا لم يتم إيقافه على الفور.

في عام /١٩٣٣م/ أخبر السيد «إيبات» وهو المراسل الأول لـ التايمز في برلين «كنت في ذلك الوقت المراسل الثاني للتايمز هناك» بأن الحرب ستحدث بعد خمس سنوات تقريباً إذا لم تحصل خطوات سريعة لتفاديها، وقد نشر ذلك الخبر في وقته وراقبت معه ومع الكثير من

الصحافيين بقلق كل ما جرى من تحريف وإهمال متعمد على مدى السنوات التالية لكل الأنباء المراسلة من طرفنا.

وتابع البرلمان ومعه الصحافة، تصوير «هتلر» على أنه إنسان محترم يحب السلام ولا يود خرقه في حال تنفيذ طلباته العادلة- بالطبع على حساب الآخرين.

وكانت تلك الفترة تدعى فترة «سياسة التهدئة والتسكين» ولكن من الأصح كان يجب تسميتها فترة التشجيع لأنها حولت الحرب من ممكنه إلى واقعة لا محالة. وبسبب كل ذلك تحطم «إيبات» وغادر وأصبحت أنا اعتباراً من /١٩٣٥م/ المراسل الأول للتايمز في فيينا. وأرسلت في عام /١٩٣٧م/ خبراً من هناك إلى التايمز بأن الحرب حسب كلام «هتلر» و «غيرنغ» ستبدأ في خريف /١٩٣٩م/ وقد حصلت على تلك المعلومات من المستشار النمساوي.

وكنت شاهداً على اجتياح ألمانيا للنمسا وتلا ذلك اعتقال قصير لي ومن ثم أُرسلت إلى بوادبست وهناك سمعت عن الاستسلام المخيف في ميونخ في أيلول «سبتمبر» عام /١٩٣٨م/ وأتضح لي أن المراسل الشريف لا يملك أي قوة أمام «سياسة التسكين» وأن مهمته فقدت أي معنى لها. ولذلك أرسلت طلباً بالاستقالة إلى هيئة التحرير. وجاء القبول غامضاً مبهماً لا زلت أحتفظ به حتى اليوم. بعد مرور أربعة عشر عاماً اعترف كتاب «التاريخ الرسمي للتايمز» بخطأ سياسة الجريدة فيما يخص «سياسة التسكين» وجاء فيه «وبسبب ذلك قدم بعض الموظفين الشباب الاستقالة في ذلك الحين».

«في عام /١٩٣٨م/. كان عمري /٤٢/ سنة وكنت المراسل الأساسي في وسط أوربة وكانت مدة خدمتي في التايمز قد بلغت /١٧/ سنة واعتقد أني كنت الوحيد الذي استقال». وقد تعهدت التايمز في ذلك الكتاب بعدم تكرار مثل هذه الأخطاء في المستقبل.

ولكن الأحداث المقبلة مثل تقسيم أوربة /١٩٤٥م/ واستيلاء الشيوعيين على الصين ومشكلة فلسطين والحرب الكورية، كلها أثبتت بأنه لم يجر أي تغيير على سياسة الجريدة. وظهرت فوق إنكلترا سحابة الحرب الخطرة ولكنهم لم يسمحوا للصحافيين الكتابة عن ذلك. وأنا أعتقد بأن قيام الحرب كان وإلى درجة كبيرة نتيجة لذلك. ولا يجوز أبداً للصحفي التقليل من دوره المهم والحساس، ولكن إذا لم تبد الإدارة اهتماماً بما يرسله في الأوقات الحرجة فالأفضل له أن يترك، وهو ما قمت به وبعد مرور الكثير من السنوات أدركت أنني قمت بالعمل الصحيح بعد أن قرأت لأول مرة كلمات السير «ويليام روبرتسون» إلى العقيد «ريبيزفتون»: «المهم البقاء على الدرب المستقيم، عند ذلك يمكن التأكد بأنه في نهاية الأمر من ما يدعى الآن شروراً سيخرج الخير».

في عام /١٩٣٨/ عندما قدمت استقالتي، كان لدي سبب آخر للتعجب من عمل الصحافة. في البداية افتكرت وظننتُ أن تحوير وتحريف الصورة الحقيقية للأحداث سببه فقط ميل أو نفور بسيط للبعض، ولكنني فهمت فيما بعد أن وراء تحريف الأنباء تقف دوافع أكبر بكثير.

وقد شاهدت مثالاً على ذلك «ملاحقة اليهود في ألمانيا» حيث أخذ عرض الوقائع يتخلى عن الحياد بالتدريج وبشكل لم يبق للحقيقة آي آثر وقد جرى ذلك على ثلاث مراحل متتالية.

في البداية جرى الحديث عن ملاحقة «الأعداء السياسيين للنظام واليهود» ومن ثم وبشكل غير ملحوظ تحول الحديث عن ذلك إلى ملاحقة «اليهود والأعداء السياسيين للنظام». ولكن مع الوقت أخذت الصحافة تكتب فقط عن «ملاحقة اليهود». وجرى تقديم صورة مزيفة للأحداث إلى الرأي العام، وعلى الرغم من وجود الملايين من الضحايا كان الضوء يلقى فقط على مجموعة محدودة من الناس. وظهرت النتيجة في عام /١٩٤٥م/ عندما أصبح اليهود السبب الوحيد لصدور قرارات الحكم في محاكمات «نيورنبيرغ» الشهيرة وكان ذلك خيانة لنصف شعوب أوربة، لأن نسبة المضطهدين من تلك الشعوب أكبر بكثير من الضحايا اليهود.

وأنا كنت إنكليزياً نموذجياً من جيلي ولم أكن أرى في ذلك الوقت أي فارق بيني وبين اليهود وكنت أعتبر آن اليهود لا يُعدون أنفسهم متميزين عني بأي شيء.

وإذا أصبحت هذه الاختلافات واضحة بالنسبة لي فإن ذلك حصل ليس بسبب سياسة «هتلر» ونتيجة لها بل لأنني أخذت ألاحظ وجود حواجز جديدة في قضية العرض الموضوعي للأحداث.

عندما بدآت حملات القمع لأعداء النظام في ألمانيا قمت بكتابة كل ما رآيته هناك. ولدى اطلاعي على وجود معتقل فيه ألف سجين كنت أذكر ذلك في تقريري وإذا عرفت بوجود /٣٠/ آو /٥٠/ يهودياً بين الألف فإني كنت أذكر ذلك أيضاً.

لقد شهدت الموجة الأولى للإرهاب وتحدثتُ مع الكثيرين من الضحايا وشاهدت التشوهات التي أصابتهم وكنت على ثقة بأن ذلك آثار انتباه «الغستابو». وأود القول بأن آكثر من /٩٠٪/ من الضحايا كانوا من الألمان وأقلية فقط من اليهود. والآمر نفسه من دون أي شك ينطبق على جميع الدول التي احتلتها ألمانيا. ولكن الصحافة العالمية كانت تكتب في أخبارها فقط عن اليهود وتظهر فيهم الكتلة الأساسية للضحايا. وآود فيما يلي سرد إخبار وسائل الإعلام وكذلك نتائج مراقبتي الذاتية.

الحاخام «عويز» كتب في عام /١٩٤٩م/ عن نفس الأحداث التي كتبتُ عنها في عام /١٩٣٢م/ ولا يمكن وجود أي شك بأن ما قاله الحاخام كان الرأي السائد في محيط الرئيس «روزفلت».

قال «عويز»: «الأعمال ضد اليهود استمرت في كونها الأكثر قسوة وإرهاباً من القسر والعنف ضد الفئات الأخرى.... في /٢٩/ كانون الثاني «يناير» /١٩٣٣/ تم تعيين «هتلر» مستشاراً لألمانيا... وعلى الفور بدأ نظام الإرهاب بضرب وملاحقة اليهود. أردنا تنظيم تظاهرة احتجاج في نيويورك في /١٠/ أيار «مايو» في نفس يوم حرق الكتب العبرانية في ألمانيا... الضربة الأقوى كانت من نصيب اليهود... وامتلأت معسكرات الاعتقال باليهود».

كذب وخداع من أول كلمة حتى آخر كلمة. لم يزد الإرهاب ضد اليهود عن الإرهاب ضد الآخرين من أعداء النظام ونظام الإرهاب لم يبدأ في /٢٩/ كانون الثاني «يناير» /١٩٣٣م/ بل في ليلة حريق «الرايخستاغ» في /٢٧/ شباط «فبراير». ولم يكن هناك أي أوامر خاصة بحرق الكتب العبرانية لقد حضرت عمليات حرق الكتب وكتبتُ عن ذلك والآن قرأت مرة أخرى تقارير حول ذلك لأختبر ذاكرتي.

لقد جرى حرق الكتب «الماركسية» بكثرة ومن ضمنها أعمال لمؤلفين ألمان وإنكليز وغيرهم من الكتاب غير اليهود «ولو كان كتابي هذا منشوراً في تلك الفترة فلا شك بأن مصيره كان الحرق». وبالطبع جرى حرق بعض الكتب اليهودية ولكن ضربة الإرهاب الأساسية لم تكن موجهة ضد اليهود، وأما المعتقلات فكان عدد اليهود فيها متناسباً مع نسبتهم من عدد السكان. ولكن الاستمرار في ذلك الكذب كان يؤثر ويضغط على استيعاب ووعي الناس في الغرب ودول الحلفاء على مدى الحرب العالمية الثانية.

ولقد فهمت فيما بعد بأن الدوافع التي أوقفت الحرب هي التي لعبت الدور الأعظم في قيادة أحداث الحرب وتحديد خط سيرها، بل وحتى نتائجها. وبعد اطلاعي على ما حدث مع «روبرت ويلتون» بعد الحرب الأولى، أتضح لي بأننا نحن اصطدمنا بظواهر متشابهة تماماً. لقد حاول هو إيجاد تفسير لما حدث في روسيا واصطدم «بالقضية اليهودية» وبعد مرور عشرين سنة على ذلك تأكد لي بأنه من الصعب لفت نظر الناس إلى الزيف الواضح في تصوير أحداث ألمانيا، وأنه من المستحيل أن تشرح للناس بأن اليهود المضطهدين والملاحقين في ألمانيا هم جزء من مجموع المضطهدين والملاحقين هناك. على الرغم من أن هذا الموضوع بحد ذاته ليس له أي علاقة مع خروجي من التايمز، إلا أنها في الوقت نفسه أخذت تتضح أمام عيني وقد كتبت كل ما استوعبته بالتدريج في كتابين بعد أن تركت الصحافة.

الكتاب الأول كان «سوق الجنون» خصصته كليا لاستعراض تهديد الحرب. وكنت ساذجاً في اعتقادي بأن صوتاً وحيداً يمكنه أن يمنع قيام الحرب.

ولتبرير اندفاعي المذكور أود أن أذكّر القارئ إذا كان متقدماً في السن، كيف كانت رائحة الحرب الثانية تثير الهلع والخوف وسط من عاش في جهنم الحرب الأولى.وبالطبع من الصعب على الشباب فهم ذلك الشعور، على الرغم من حضورهم للعديد من الحروب إلا أن الحرب العالمية أمر آخر مختلف تماماً.

الكتاب الثاني كان «العار العظيم» وقد خرج قبيل قيام الحرب وفيه تابعت تحذيري الوارد في الكتاب الأول ولكن في الكتاب الثاني قمتُ ولأول مرة بتركيز بعض الاهتمام على «الموضوع اليهودي» وكانت خبرتي قد ازدادت واتسعت وبدأت أعرف الدور الأساسي الحاسم الذي قُدر لهذا الموضوع أن يلعبه في طبيعة ونتيجة الحرب العالمية الثانية والتي كانت على الأبواب. وتابع المؤلف اهتمامه بالموضوع فيما بعد وأصبح سبباً لكتابة الكتاب الحالي.

الفصل السابع والثلاثون

الوجهاء، الأنبياء وجموع الشعب

مع صياح الجموع المحتشدة فرحاً في واشنطن وبرلين «٤/- ٥/ آذار «مارس» /١٩٣٣/» بدأت مرحلتان من الحكم بمدة خمسة عشر عاماً واليوم يصعب على المؤرخ المحايد أن يقرر- أي من المرحلتين جلب للبشرية بلاء وكوارث أكثر. وفي البدء قامت الجماهير باستقبال الحاكمين الجديدين بالهتاف كالأنبياء.

في أمريكا قام الحاخام «روزين بلوم» بمباركة الرئيس «روزفلت» ووصفه بأنه: «مرسل شبيه بالرب، معشوق المتنبئين ومسيح أمريكا المستقبل». وكان هدف هذا التملق السياسي هو «إقناع الأكثرية».

وفي عام /١٩٣٧م/ قال أحد معارف المؤلف من براغ في حديث مع المؤلف بأن الحاخام في كنيسهم وصف «هتلر» «قبل احتلاله لبراغ» بأنه «الممسوح العبراني» محاولاً على ما يبدو تفسير ما يحدث في ضوء التنبؤات اللاوية.

بدأت فترة حكم «روزفلت» بخداع عديم الحياء: من المعروف أن الرئيس كان مشلولاً واستعمل كرسياً للمقعدين ولكنهم لم يظهروا ذلك أبدا على الطبيعة أو في الصور على الرغم من أن مرضه لم يكن سراً، ولكن بعض الوجهاء اتخذ قرار بأن الصورة المزيفة لرئيس قوي ومقتدر يجب أن تعرض على الجمهور حتى النفس الأخير. «واستمر ذلك بعد موته حيث يوجد في لندن تمثال يقف فيه الرئيس على قدميه».

وأقدم «روزفلت» على سابقة لم تحدث من قبل حيث أجبر أعضاء حكومته على أداء يمين القسم أمام يهودي غير مُعمد القاضي في المحكمة العليا الصهيوني المخضرم «كاردوزو» والذي أبدى في عام /١٩١٨/ خضوعاً تاماً للحاخام «عويز» و «برانديس» حيث قال لهما: «باستطاعتكما استخدم اسمي كما يحلو لكما». وبعد ذلك عُين في المحكمة العليا. وقد

طلب الحاخام «عويز» ذلك في بداية الأمر من حاكم نيويورك ومن ثم من الرئيس «هربرت هومر».

بعد فترة من حكم الجمهوريين /١٩٢١-١٩٣٣م/ عاد «روزفلت» إلى سياسة «ويلسون» وحلَ على طريقته المسألة الأساسية والتي كان عليها تحديد مستقبل أمريكا: هل يجوز أو لا يجوز السماح بأن يحكم أمريكا مجموعة مهاجرين من يهود أوربة الشرقية والتي امتلأت أمريكا بهم خلال الأعوام الستين بعد انتهاء الحرب الأهلية، وتابع الجميع بقلق نتائج زرع الأرض الأمريكية بمجموعة كبيرة من الناس ترفض قيادتها الدينية أي انخراط لها في المجتمع وتُعد ذلك هرطقة.

وقد وصف «ريديارد كيبلنغ» «١٨٦٥-١٩٣٦م» في عام /١٨٩٠/ الوضع كما يلي: «وفرغت الأرض، وأضاعت الأرض سكانها ولكنها لم تمتلئ بعد بالمشردين من شرقي أوربة»...

كان عدد المهاجرين إلى أمريكا نحو مليون مهاجر كل سنة وهناك في مجاهل البلاد كان الأمريكان الاقحاح، أحفاد أولئك الذين بنوا أمريكا على مدى ثلاثة أو أربعة أجيال ولكن لم يعد الآن أي شيء يتعلق بهم. لقد حاولوا الاحتجاج ولم يصدقوا أبداً بأن العناصر الغريبة ستتحد وتتخرط معهم وتصبح على درجة عالية من المواطنة وبالطبع لم يستمع أحد لهم... وأكثر ما آثار ذهولي هو أن كل جهود وإنجازات الأجيال السابقة بدت لا حاجة إليها وغير لازمة بالمقارنة مع هذا الفيضان من الغرباء.

عند ذلك بدأت أفكر هل حصد «أبراهام لينكولن» الكثير من الأمريكان في الحرب الأهلية. ألم يكن هذا مفيداً فقط لمجموعة واحدة وجرى تهجيرها على عجل. قد يبدو ذلك هرطقه ولكنني قابلت الكثير من الذين يفكرون على هذا الشكل. في الستينيات ظهرت السفن البخارية. وأصبح من الممكن إيصال المسافرين خلال آسبوعين. ونحو مليون من الأمريكان المستقرين تم قتلهم في تلك الفترة.

هذه المشكلة كانت جديدة فقط بالنسبة لأمريكا. أما بالنسبة لبقية البشرية وفي التاريخ فقد كانت منذ زمن بعيد مشكلة قديمة وقد أشرنا في كتابنا كيف كانت تظهر هذه المشكلة في هذا البلد أو ذاك عندما تأخذ الهجرة العبرانية طابعاً جماعياً.

في إنكلترا حاول السير «ويليام غوردون» حل هذه المشكلة في عام /١٩٠٦م/ بواسطة مشروع قانون حول الغرباء «تماماً كما حاول الكونغرس الأمريكي السابع والستين والثامن والستين عليها عن طريق قانون يحدد الهجرة عن طريق النسب».

ويكتب «وايزمان» بأن السير «ويليام» كان يقوم بواجبه الوظيفي وذلك «يُعد السبب الرئيسي في جميع العقبات التي اعترضت طريق الهجرة اليهودية إلى إنكلترا». ومن ثم يضيف «وايزمان» كلمات ذات معنى عميق: «عندما يبلغ عدد اليهود في دولة ما حد الإشباع، يظهر في تلك الدولة رد فعل ضدهم... ولقد وصلت إنكلترا إلى وضع كانت تستطيع فيه هضم عدد محدد من اليهود وليس أكثر... وردة الفعل ضدهم لا يجوز النظر إليها كمعاداة للسامية في المفهوم المبتذل لهذه الكلمة. إن ذلك هو ظواهر اقتصادية واجتماعية عامة ترافق أي هجرة يهودية ونحن لا نستطيع إهمالها. ولا شك من عدم وجود أي نوايا عدوانية مسبقة لدى السير «ويليام» ضد اليهود... لقد عمل الرجل... بشكل إنساني ولمصلحة بلاده.... لقد اعتبر أن إنكلترا لا تستطيع تحمل واستيعاب كل الشر الذي أصابت به روسيا سكانها»....

وأنا متأكد بأنه سيعادي أي هجرة من طائفة أخرى ولكن لا يوجد غرباء آخرون يطلبون الهجرة إلى إنكلترا بهذا العدد.

وبعد مرور أربعين عاماً كرر «وايزمان» الكلام ذاته ليهود أمريكا: «بعض الدول تستطيع هضم فقط عدد محدد من اليهود. وما إن تزداد الكمية حتى تسبب رد فعل متطرف وعلى اليهود الرحيل». وسمح «وايزمان» لنفسه أن يتكلم بهذه الصراحة والعقلانية وأن ينتقد الهجرة اليهودية غير المحدودة فقط لأنه كان يُكلم اليهود ولأنه أراد أن يزرع في رؤوسهم العقائد التلمودية القائلة بتميز اليهود عن الآخرين. وكان ذلك ضرورياً للصهيونية بغض النظر عن صحته. والكلام الذي سردناه أعلاه يبين بوضوح وجود الكثير من الموظفين الحكوميين في عام /١٩٠٦م/ الذين استطاعوا الاعتراض والقول بأن بلادهم غير مجبرة على التعويض عن الشر الذي زعموا بأن اليهود تعرضوا له في بلد آخر.

وكان الموظف لا يزال يقدر على وضع مصلحة بلاده فوق أي اعتبار. ولكن مع مرور عشرات السنوات أصبح على الدول الغربية واجب تعويض اليهود عن الشرور التي تعرضوا لها في دول أخرى وعلى حساب مواطني الدولة المضيفة لليهود.

ولكن «وايزمان» وعلى الرغم من كلماته الصحيحة المذكورة أعلاه فقد ضغط هو ورفاقه على أمريكا لتفتح باب الهجرة غير المحدودة لليهود. أي أنه عن سابق قصد دفع اليهود إلى الهاوية «لأنه بنفسه قال بأن زيادة عدد اليهود المهاجرين عن الكمية التي يمكن للدولة المضيفة هضمها، تظهر ردة فعل ضد اليهود وعليهم عند ذلك المغادرة».

هذه هي المشكلة الحادة في حياة أمريكا عند قدوم «روزفلت» إلى السلطة. ما بين /١٨٨١و١٩٢٠م/ حيث هاجر رسمياً من روسيا إلى أمريكا أكثر من ثلاثة ملايين شخص

غالبيتهم الساحقة من اليهود. وحسب معلومات مكتب الإحصاء الفيدرالي الأمريكي في عام /١٨٧٧م/ كان في أمريكا/٢٣٠٠٠٠/ يهودي وفي عام /١٩٢٦م/ بلغ عددهم رسمياً أربعة ملايين ونصف. على الرغم من أن عدد اليهود كان دوماً تقريبياً وغامضاً لأن القيادة العبرانية لا تسمح للغرباء بإحصاء اليهود. ويُعد الخبراء أن الرقم المذكور أقل بكثير من الرقم الحقيقي.

بعد ذلك أصبح الكشف عن الرقم الحقيقي أمراً مستحيلاً بفضل نظام تصنيف المهاجرين الجديد الذي ظهر في عهد «روزفلت» وهدف إلى إخفاء تسرب اليهود إلى البلاد. وتشير المصادر المطلعة إلى أن عدد اليهود هناك بلغ أكثر من عشرة ملايين نسمة. ومهما يكن فإن الولايات المتحدة تحتوي على أكبر تجمع لليهود في العالم. ومهما يكن عدد اليهود فإن نسبتهم لا تزيد عن الواحد من العشرة وهو عدد ليس كبيراً جداً ولكن التأثير السياسي لهذه الطائفة ضخم جداً ويعطيها الإمكان في الإخلال بالتوازن في السلطة. وظهرت هذه المشكلة علناً في عام /١٩٢١م / عندما قررت لجنة الكونغرس للهجرة: «بأن انخراط وتساوي طوائف المجتمع واختلاطها هو عملية بطيئة وصعبة.... إلى بلادنا يتدفق سيل واسع من المناطق المنكوبة في أوربة ونحن نقترح الحد بشكل جذري من هذه الهجرة بإجراءات مؤقتة وأن نبدأ في الوقت نفسه بتجربة جديدة وفريدة من نوعها لإضافة قوانين عن الهجرة إلى الدستور».

وأدى ذلك إلى إقرار قانون عن الحصص حيث حددت هجرة جميع الأجناس والقوميات إلى /٣٪ / من كل من يعيش منهما في الولايات المتحدة في عام /١٩١٠م /.

وفي الكونغرس التالي ذكرت اللجنة نفسها: «لتأمين التأثير الدائم لمبدأ الحرية الشخصية الذي يحميه الدستور وتحميه الدولة والذي أقر في هذه القارة قبل /١٥٠/ عام، يجب المحافظة على الطابع الأساسي والبنية الاقتصادية لمواطنينا... ولن يسمح الشعب الأمريكي لأي مجموعات غريبة... أن تملي وتقرر طبيعة تشريعاتنا».

ولكن مع حكم «روزفلت» حُرفت المبادئ المذكورة أعلاه وتعرضت تركيبة الشعب الأمريكي إلى عملية تغيير عميقة، وحصلت المجموعة الغريبة على الحق بإملاء ما تراه مناسباً على سياسة البلاد. ولا يوجد أي شك بأن «روزفلت» قبل انتخابه رئيساً. جرى اختياره من قبل أحد ما للترشيح لهذا المنصب (كما حدث سابقاً مع «ويلسون» و «لويد جورج»).

وكتب السيد هاودن يذكر بأن «هاوز» في وقت ما لمح في «روزفلت» مرشحاً للرئاسة وذلك قبل أن يصبح «روزفلت» رئيساً بفترة طويلة. وقد عُين في البداية معاوناً لوزير البحرية في

عام /١٩١٣م / وبعد ذلك وعلى مدى سنين طويلة جرى إعداده وتأهيله لمنصب الرئاسة لكي يحكموا بواسطته كما فعلوا مع «ويلسون».

ولكن فجأة تعطلت المحاولة وبعد انتخاب «روزفلت» في عام /١٩٣٢/ اعتقد «هاوز» بأن الرئيس سيرسل في آثره ولكن أتضح بأن «أحداً ما لم يُرِدْ أن يطلب الرئيس مني نصائح».

وكان واضحاً أن هذا الـ أحد أقوى من «هاوز». وغادر «هاوز» وبقي وحيداً. «هاوز» البالغ من العمر خمسة وسبعين عاماً ندد بـ «فيليب دريو» في عام /١٩١٢م / (بكل قصة كتبها «هاوز») الذي اعتبر الدستور الأمريكي «متخلفاً وكله غباء» واستولى على الحكم بالقوة ومن ثم حكم بواسطة قوانين الطوارئ.

بالنسبة لـ «روزفلت» كان لدى «هاوز» بعض الوصفات الأكثر مسؤولية ولكنه من مكان إقامته «راقب بخوف» تجمع وتركيز السلطة اللا مسؤولة في أيدي الرئيس.

فيما سبق ما أن وصل «ويلسون» إلى السلطة حتى أجبره «هاوز» على تمرير تعديلة رقم /١٦/ على الدستور Thamensment وهي الأكثر تدميراً من وجهة النظر الاجتماعية وتضمنت ضريبة» الدخل المتزايدة التي عرضها «كارل ماركس» في بيانه الشيوعي عام /١٨٤٨م/. ولكن في عام /١٩٣٠/ أصاب «هاوز» قلق شديد من السيطرة اللا محدودة على الدخل الاجتماعي الذي حصل عليه الرئيس «روزفلت». وعلى ما يبدو أن «هاوز» أُستبعدَ عن مهماته فقط لأنه عدل في أفكاره الأولى. لأن هذه الأفكار بالذات كانت توجه «روزفلت» وتُسيره خلال فترة حكمه لمدة اثنتي عشرة سنة. لقد دعم الثورة العالمية وأول عمل حكومي ضخم قام به كان الاعتراف بالحكومة الشيوعية في روسيا ودعمها في الحرب بلا حدود. وكذلك دعم «روزفلت» الصهيونية الثورية بلا حدود. وأخيراً عاد إلى الفكرة القديمة «رابطة فرض السلام» وتحت اسم جديد «هيئة الأمم المتحدة». وهكذا تابع «روزفلت» تنفيذ «فيليب دريو» بشكل عملي على الطبيعة.

ذات مرة قال «فرانكلين لبين» (وزير داخلية حكومة «ويلسون»): «كل ما ابتدعه «فيليب دريو» طبق على الطبيعة عمليا أما الرئيس نفسه فسيصبح في مكان دريو». بعد مرور عشرين عاماً كتب «هاودين»: (أن المقارنة بين تشريعات «دريو» المختلفة مع ما يقوم به «روزفلت»، لا يمكن أبداً عدم رؤية التشابه الخارق).

وهنا أمامنا سؤال واضح كيف تنتقل فكرة واحدة من رئيس إلى آخر داخل الزمرة الحاكمة.

أفكار «هاوز» استعارها من ثوريي عام /١٨٤٨م/ الذين بدورهم استعاروها من «واي سخاوبت» وثوريي عام /١٧٨٩م/ وحتى هؤلاء أوصي لهم بها من مصدر أكثر قدما ولما تخلى عنها «هاوز» جرى لفظه إلى الشارع. «هاوز» كان المتضرر الوحيد في «الحلقة الداخلية» وفي لحظة مغادرته كان «برنارد باروخ» قد أصبح مستشاراً لـ «روزفلت» حتى قبل أن يصبح رئيساً..

زوجة «روزفلت» «اليانورا» كتبت في مذكراتها بأن («باروخ» كان المستشار الموثوق به لزوجي في أولبانا وفي واشنطن) ويكتب «موريس روزين بلوم» بأن «روزفلت» عندما كان حاكماً لنيويورك وضع خطة لتكوين منظمة تحت اسم «الأمم المتحدة» على الرغم من آن أمريكا رفضت بحزم أن تنضم إلى عصبة الأمم بعد الحرب الأولى.

وتحول الحاخام «عويز» والقاضي «برانديس» إلى محيط الرئيس «روزفلت» وقد بدا للعيان آن أعمال «هتلر» المعادية لليهود في ألمانيا دعمت الآن وبشكل أكبر رغبة المستر «برانديس» بطرد العرب من فلسطين.

وعلى ما يبدو أن «روزفلت» في بداية فترة حكمه حاول أن يتملص من مستشاريه وبرز لديهم شكوك في ذلك فاتخذوا الإجراءات المناسبة لذلك ولم يقم الحاخام «عويز» عام /١٩٢٨/ بتأييد «روزفلت» في الانتخابات «على الرغم من أنه ساعده بقوة في عام /١٩١٤م/ في انتخابات ولاية نيويورك». ولكن بعد الانتخابات قام الحاخام بتنفيذ موقفه وقال: «تمكن الرئيس من جديد أن يحصل على إعجابي غير المحدود». وأصبح كالعادة الرجل المرغوب فيه في البيت الأبيض. ووسع «روزفلت» دائرة مستشاريه اليهود وأصبح لهم وزن خاص متميز.

في عام /١٩١٣/ كان الرأي العام يرى في مستشاري الرئيس «ويلسون» اليهود ، أناساً أمريكان مثل الجميع ولكن فقط دينهم يختلف. ولكن وصولاً إلى عام /١٩٣٣م/ كشفت المغامرة الفلسطينية الولاء الحقيقي لهؤلاء المستشارين. وفي ضوء ذلك فإن قرار الكونغرس عام /١٩٢٤م/ حول عدم السماح «للمجموعة من الغرباء... أن تملي علينا طبيعة تشريعاتنا» يصبح له معنى متميز. وسط مستشاري الرئيس كان الكثير منهم غرباء بالولادة أو أصبحوا غرباء عن أمريكا بعد ارتباطهم بالصهيونية.

أكثر مستشاري «روزفلت» شهرة «بالإضافة إلى المذكورين أعلاه» كان «فيليكس فرانكفورتر» من مواليد فيينا ، ويذكر «هاون» (مؤرخ سيرة «هاوز») بأن «هاوز» اعتبر «فيليكس» الأكثر نفوذاً في محيط الرئيس: «البرفسور «فرانكفورتر»

كان ملاصقاً للرئيس أكثر من أي أحد آخر. لقد لعب دور «هاوز» في فترة الرئيس «ويلسون»).

ومن الصعب تحديد الدور الحقيقي لهؤلاء المستشارين غير الرسميين ومن غير المستبعد أن «فرانكفورتر» قد أُعطي أكثر مما يستحق في سلم النفوذ في البيت الأبيض على الرغم من أنه لا يوجد أي شك بأن تأثيره هناك كان قوياً جداً. وقد أصبح عضواً في المحكمة العليا الأمريكية وهو لم يظهر علانية أبداً على الساحة السياسية.

في الثلاثينيات كان يترأس كلية الحقوق في «هارفارد» مما سمح له أن يربي جيلاً كاملاً من الحقوقيين الشباب الذين أعطوا فيما بعد شكلاً محددا لأحداث الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين ومن بينهم كان «الدغير هيس» الذي أنفضح فيما بعد بوصفه جاسوساً سوفييتياً والذي عمل كأحد أهم مستشاري «روزفلت». ومن المثير أن قاضي المحكمة العليا «فرانكفورتر» أعطى خلال المحاكمة وصفاً إيجابياً عن «هيس»، وأما «فريج هارفرد اتيشوف» «وزير الداخلية الأمريكي» فقد قال علانية إنه لن يدير ظهره لـ «هيس».

وتجدر الإشارة أن «هيس» لعب دوراً أساسياً في مؤتمر «يالطا» حيث حصل الشيوعيون على نصف أوربة وابتلع الشيوعيون الصين بالإضافة إلى تلك المجموعة من الحقوقيين الشباب كان الرئيس محاطاً بمجموعة من المستشارين اليهود من أعلى المستويات وأحدهم كان «هنري مورغنتاو» «صهيوني بارز صاحب خطة «مورغنتاو» عام /١٩٤٤/ والتي استخدمت كأساس لتقسيم أوربة عام /١٩٤٥م/» وكان وزيراً للمالية على مدى إحدى عشرة سنة في عهد «روزفلت».

كذلك كان من المقربين إلى الرئيس، السيناتور «هيربرت ليمان» Herbert Lehman «كذلك صهيوني بارز» لعب دوراً قيادياً في «الخروج الثاني» لليهود من أوربة/١٩٤٥-١٩٤٦/ إلى فلسطين. وكذلك القاضي «صموئيل روزينمان» «دام بقاؤه في البيت الأبيض فترة طويلة وساعد الرئيس في أحاديثه وخطاباته».

و «ديفيد نايلس» (ابن يهودي روسي ولفترة طويلة مساعد الرئيس للشؤون اليهودية في فترة رئاسة «روزفلت» و «ترومان») و «بنيامين كوهان» «كذلك صهيوني وضع وثيقة «بلفور» /١٩١٧م/». بالإضافة إلى ثلاثة يهود روس هم: «سيدني هيلمان»، «ايسادور لوبين»، «ليف بازفولسكي». وهذه الأسماء البارزة من محيط الرئيس هي عبارة عن قمة البناء الذي ظهر حول الحياة السياسية في أمريكا.

ومـن الواضـح تمامـاً أن هـذا الارتفـاع المفـاجئ للنفـوذ اليهـودي فيمـا وراء الكـواليس لا يمكن أن يكون نتيجة عملية طبيعية وجرت عملية اصطفاء دقيقة ولم يسمح لليهود المعادين للثورة العالمية والـصهيونية بالـدخول إلى تلـك الـدائرة الـضيقة. ولا شـك بـأن تكـوين «حـرس القصر» هـذا لم يكـن غير ملاحظ ولكـن مهاجمـة المستشارين حيـث لا منصب ولا مسؤولية كانت عملاً صعباً جداً.

وأهملَ «روزفلت» كل الاحتجاجات. وفي تلك الفترة خرج «هتلر» إلى الساحة، كرمز لتكرار دوري وبدقة حسابية لاضطهاد اليهود وشكل في خطط مستشاري «روزفلت» نفس المكان الذي شغله قبل ذلك بعشرين عاماً القيصر الروسي. و «روزفلت» استطاع أن يبقى علـى كرسـي الرئاسـة كـل تلـك الفـترة الطويلـة فقـط بفـضل خطـة «هـاوز» للحمـلات الانتخابية.

وكان الرهان الأول على «المحرومين» وهدف إلى كسب الزنوج الذين دُفعوا إلى الصف الأول فقـط كغطـاء يمكـن أن يبعـد الانتبـاه عـن تـأثير «المجموعـات الغربيـة» داخـل «حـرس القصر».

ونـبين هنـا للقـارئ الأوربـي بـأن الـضجة حـول أحـوال زنـوج أمريكـا كانـت تـأتي مـن نيويورك بشكل خاص وبالـذات من منظمتين يهوديتين همـا اللجنـة العبرانيـة الأمريكيـة ومـا يـدعى برابطـة النـضال ضـد التـشهير. وتملـك المنظمتـان مـوارد ماليـة هائلـة. وكـذلك الجمعيـة الوطنية لتقدم الشعوب الملونة والتي أسسها ويقودهـا اليهود، وحتى ذلك الوقت لعب الزنـوج فيهـا دوراً ثانوياً كاملاً.

وذهبـت كـل جهـود القيـادة اليهوديـة للمنظمـة نحـو هـدف الخلـط القـسري للأعـراق والأجنـاس وهـو أمـر لم يكـن يرغبـه البـيض ولم يرغبـه الزنـوج ولكنـه مـن الواضـح دخـل في حسابات «حكماء صهيون» وتحت ضغط هذه المنظمة المزيفة للزنوج وصل الأمر إلى المحكمة العليا الأمريكية التي ألغت نظام التعليم المنفصل «مدارس للبيض ومدارس للزنوج» في المدارس وقررت إدخال نظام التعليم المختلط للبيض والسود.

في الولايات الجنوبية سيكون تنفيذ هذا القرار شبه مستحيل من دون حرب أهلية[1].

وتمكن المؤلف من الاطلاع على ميزانية اللجنـة الأمريكيـة اليهوديـة لعـام /١٩٥٣/ وقـد بلغت /١٠٧٥٣٠٠٠/ دولار وقد جاء في تلك الوثيقة عن القضية الزنجية ما يلي:

١- تم تأليف هذا الكتاب في الخمسينيات من القرن الماضي -المترجم

«وضع اليهود فيما يتعلق بالحقوق المدنية والسياسية فإنه أفضل بكثير من أوضاع الفئات الأخرى وبالذات الزنوج ولكن ما دام هناك إمكان لخرق حقوق الزنوج المدنية فلا يمكن اعتبار حقوق اليهود متحققة إلى حد كاف، لذلك فإن القسم الأعظم من جهودنا متوجهة إلى مساواة الإمكانات لكل هذه الفئات وليس لأنفسنا.... ومثالاً على ذلك يمكن اعتبار علاقتنا مع الجمعية الوطنية لتقدم الشعوب الملونة «زنوج وسمر» التي تطلب دائماً مساعدتنا في مجالات محددة نبرع نحن فقط فيها... ونحن نعتبر أن القضاء هو السلاح المناسب. نحن نشترك بشكل مباشر في الدعاوى القضائية ونرسل إلى المحاكم شكاوى ضد التمييز العنصري للزنوج» وتجدر الإشارة إلى أن المحكمة العليا الأمريكية تتألف من أشخاص عينهم الرئيس انطلاقاً من اعتبارات سياسية وليس من حقوقيين محترفين.

بالإضافة إلى استغلال موضوع التمييز العنصري للزنوج، قام حزب «روزفلت» بحملة واسعة لم يُعرف لها مثيل هدفت إلى جذب الفقراء بالوعود بتحصيل ضرائب جديدة من الأغنياء. وأتضح آن هذه الديماغوجيه هي ناجحة تماماً لدرجة آن الجمهوريين أخذوا ينافسون الديموقراطيين في محاولة كسب رضا «الغرباء» حيث شاهدوا فيهم مفتاحاً لكسب الانتخابات.

وفي النتيجة حصل الصهاينة على سلطة ما وراء الكواليس وفي الحزبين الرئيسين وبالتالي فقد الناخب الأمريكي عملياً إمكان الاختيار الحقيقي لأن نجاح أي حزب من الأحزاب يؤدي في النتيجة إلى نجاح قوة واحدة ويحقق الفائدة لها. ودعم «روزفلت» مواقعه في الحكم بواسطة «العجز في الميزانية» آي التبذير اللا محدود للأموال الحكومية. ومنذ ذلك الحين فقد الشعب الأمريكي آي إمكان لمراقبة المصاريف الحكومية، وأما الرئيس فقد حصل على إمكان صرف الآموال الحكومية الطائلة بسحبة قلم فقط. وحصل «روزفلت» على هذا الحق تحت ذريعة محاربة الأزمة الاقتصادية ولكن «حالة الطوارئ» التي وضعها لا تزال قائمة حتى اليوم.

ومن الواضح جداً أن نشاط «روزفلت» كرئيس كان يسير حسب خطة وضعت مسبقاً ولا شك بأن سير الأحداث في العالم كان سيكون مختلفاً لو أن فترة رئاسة «روزفلت» لم تدم كل تلك الفترة. لقد انتخب «روزفلت» ثلاث مرات. وفقط مرة واحدة تعرضت إدارته لخطر السقوط مما كان سيسبب فشل خطتهم.

في إحدى الولايات الجنوبية- لويزيانا- ظهر سياسي من نوع «روزفلت» وهو المدعو «لونغ» وكان شاباً ديماغوجيا له وجه ممتلئ ويعود أصله إلى عائلة فلاحية فقيرة وحصل على الشهرة

كما في حالة «ويلسون» و «روزفلت» وذلك بقيامه بمهاجمة «المصالح المالية» «وبالذات المصالح النفطية Standard Oil» وأصبح محبوب الفقراء البيض وانتخب في عام /١٩٢٨م/ حاكماً للولاية. وعلى الفور وضع ضرائب عالية على شركات النفط مما دفع الحاخام «أولتر بيزر» إلى الامتناع عن مباركته وأعلن على الملأ بأنه «حاكم غير محترم». بعد ذلك ارتفعت شعبيتهُ. وفي عام /١٩٣٥/ انتخب عضوا في مجلس النواب وأخذ يهاجم في أحاديثه «برنارد باروخا» واتهمه بالممثل الأول «للمصالح المالية».

ونود الإشارة إلى أن «لونغ» هوجم بعنف واتهموه بجميع الخطايا ما عدا معاداة السامية حيث كان لديه الكثير من المستشارين اليهود وأصبح «لونغ» قوة كبيرة وظهر كتابه «أسبوعي الأول في البيت الأبيض».

وأراد «لونغ» أن يتغلب على «روزفلت» مستخدماً نفس سلاح «روزفلت» القائم على تبذير الأموال الحكومية وتوزيع الوعود السخية. بمساعدة برنامجه «تقسيم الثروات» وأن «كل واحد ملك لنفسه» واستطاع أن يأخذ في يديه كل الآلة السياسية في لويزيانا «عندما بدأت المعونات تصل إلى الولاية «لتمويل مشاريع الطوارئ» أخذ «لونغ» يستخدمها لخدمة أهدافه الذاتية.

وفي عام /١٩٣٥/ اقتربت الحملة الانتخابية وقلق مستشاروا «روزفلت» من شعبية «لونغ» التي خرجت إلى ما بعد حدود الولاية ولأنه أصبح شخصية سياسية على مستوى فيدرالي وأصاب «الذهول اللجنة الوطنية للحزب الديموقراطي عندما أشار فرز الأصوات السري إلى أن «لونغ» ، وهو مرشح لحزب ثالث ، استطاع أن يجمع ما بين ثلاثة إلى أربعة ملايين صوت وأن خطته «تقسيم الثروات» ضربت بشدة مواقع الحزب الديمقراطي في المناطق الصناعية والأرياف أي «لونغ» وعلى الرغم من عدم تمكنه من الوصول إلى الرئاسة إلا أنه كان سيضعف مواقع «روزفلت» وسيشكل خطراً على إمكاناته في البقاء في الحكم.

ولكن في /٨/ أيلول «سبتمبر» قام شاب يهودي هو الدكتور «كارل ويس» بإطلاق النار على «لونغ» وقتله في بناية البرلمان المحلي للولاية. وعلى الفور قُتل «كارل» على يد المرافق الشخصي لـ «لونغ».

ومن الواضح أن نتائج الاغتيالات السياسية كانت لمصلحة «روزفلت» ولمصلحة إعادة انتخابه رئيساً وأُعلن للرأي العام بأن القاتل مخبول. ولم تحدث أي تحريات في الموضوع وهو ما يحدث عادة في جرائم القتل السياسية في المئة سنة الأخيرة.

ولكن عندما تجري التحريات باهتمام وجدية فإنها تكشف حتماً بأنه القاتل ليس وحيداً «ومثالاً على ذلك اغتيال الرئيس «لينكولن» وملك يوغوسلافيا «ألكسندر»....» وأن

هناك منظمة قوية تقف وراءه ولديها دعم مؤثر من «الجبهات ذات المصلحة في ذلك». إن اغتيال «لونغ» وإبعاده عن المسرح السياسي أثر تأثير بالغاً على مجرى الأحداث على مدى السنوات العشر التالية. ومن وجهة النظر هذه يبدو الاغتيال مهماً تماماً كاغتيال أي من كبار المسؤولين.

وأعيد انتخاب «روزفلت» في عام /١٩٣٦م/ بعد أن تعهد بعدم زحلقة أمريكا «في الصراعات الدولية» وفي الوقت نفسه زعق العالم كله عن ملاحقة «هتلر» لأعدائه السياسيين ومن ثم تحول الزعيق عن ملاحقته لليهود.

وقبل سنتين من اندلاع الحرب العالمية الثانية تعهد «روزفلت» صراحة بدخولها لتحقيق ما طلب تحقيقه «حرس القصر» «نتذكر أن «ويلسون» هدد روسيا في كانون الأول «ديسمبر» عام /١٩١١م/ أي قبل ثلاث سنوات من الحرب» وجاء تهديد «روزفلت» لألمانيا في تشرين الأول «أكتوبر» /١٩٣٧م/ «أي قبل سنتين من الحرب» وقد قال «روزفلت»: «يجب أن لا يعتقد أحد بأن التهديد بالحرب لن يمس أمريكا وأن النصف الغربي من الكرة الأرضية بعيد عن العدوان.... وعندما ينتشر الوباء فإن المجتمع يؤيد عزل المرضى وحجرهم بهدف حماية بقية المجتمع من البلاء».

وعلى ما يبدو أن من كتب حديث الرئيس لم يكن حذراً بما فيه الكفاية لأن الرأي العام عنيف في ردة فعله على دعوة الرئيس وتلميحه إلى ضرورة وضع «حجر صحي مشترك للمرضى» وفهم الناس أن في ذلك دعوة صريحة إلى البدء في الحرب. واضطر «روزفلت» وعلى مدى السنوات الأربع اللاحقة «حتى لحظة دخول أمريكا الحرب» إلى إطلاق الوعود بأن أبناء الأمريكيين لن يذهبوا إلى الحرب الغريبة.

وكما أشرنا في الفصل السابق فإن تزوير وتحريف الأخبار المُرسلة من ألمانيا إلى الغرب كان يجري على قدم وساق وقد أوردنا عدة أمثلة على ذلك ونورد مثالاً آخر: الحاخام «عويز» يورد في كتابه بأن الكونغرس اليهودي الأمريكي نظم حملة مقاطعة للبضائع الألمانية مباشرة مع قدوم «هتلر» إلى السلطة بناء على إخبارية برقية من ألمانيا تشير إلى تحضير «بغروم» لليهود في جميع أنحاء ألمانيا وبعد ذلك يضيف الحاخام قائلاً بأن المذابح والتدمير لليهود وممتلكاتهم لم يحدث ولكن ذلك لم يمنع من استمرار المقاطعة حتى نهاية الحرب. مصادر النازيين أكدت على الدوام بأن مقاطعة التجار اليهود وليوم واحد في ألمانيا «/١/ نيسان «ابريل» /١٩٣٣م/» كانت رداً وجواباً على المقاطعة اليهودية في نيويورك. وكتاب «عويز» الصادر في عام /١٩٤٩م/ يؤكد ذلك.

كلمة «بغروم»[1] دخلت إلى اللغات الأخرى من اللغة الروسية «وهي تعني التدمير والتحطيم» وهي تلعب دوراً خاصاً في الدعاية اليهودية وهم يستخدمونها في وصف أي اضطرابات يشترك فيها اليهود.

وخصيصاً يعطى لهذه الكلمة معنى متميز ولكنه مزيف، والقارئ غير الروسي الذي لا يعرف معنى كلمة «بغروم» سيُعد أن خطأ مطبعياً قد حدث في حال قراءته مثلاً «بغروم الروس» أو لنقل «بغروم العرب» لأن كلمة «بغروم» علقت في أذهان الناس في العالم على أنها تتعلق فقط باليهود ومن المثير آن حاييم «وايزمان» قال في إحدى كتاباته بأنه في وطنه روسيا «لم يكن هناك «بغروم» أبداً». ولكنه في مكان آخر يحرض المفوض السامي البريطاني في فلسطين على قمع العرب ويعلل ذلك بقوله: «أنا ومن تجربتي الخاصة أعرف الجو الذي يسبق الـ بغروم» على الرغم من أنه اعترف كما سمعنا قبل قليل بأن لا تجربة لديه في ذلك. وهو يطلق اسم «بغروم» على الاضطرابات في فلسطين التي تضرر فيها خمسة أو ستة من اليهود ويصف ما حدث في عام /١٩٣٨م/ «حيث قتل /٦٩/ إنكليزياً و /٩٢/ يهودياً و /١٥٠٠/ عربي» بالإرهاب العربي.

وعلى هذا المنوال كتب العسكري الإنكليزي، المشهور السير «اندريان كارتون» المتواجد في بولندا بين الحربين، يقول بأن حل المسألة اليهودية هناك «كما يبدو أمر غير ممكن... وتنتشر الإشاعات عن «بغرومات» مزعومة في بولندا ولكنني أعتبر أن هذه الإشاعات ممطوطة بفظاظة لأنه لا يوجد أي شهود على ما زعم من ضرب الآلاف من اليهود».

١- ان ما ذكره (دوغلاس ريد) بأن الكلمة الروسية (بغروم) تعني (الضرب المبرح- الإبادة Massocre) يؤكد مرة أخرى على أن الدعاية اليهودية تمكنت من تحريف نطرة الغرب إلى واقع روسيا قبل الثورة ولو، تميز (اضطهاد) اليهود في روسيا وبولندا بالإبادة والضرب المبرح حقاً فإنهم كانوا سيدعون ذلك بالكلمات الإنكليزية المناسبة لذلك وهي شديدة الوضوح والقسوة في التعبير ولم يكن هناك حاجة إلى إدخال واستخدام كلمة غريبة مثل (بغروم) إلى اللعات الأجنبية ذلك لأن ملاحقة اليهود في أوربة في القرون الوسطى كان في معظمها عبارة عن ضرب مبرح أو إبادة جسدية وتحت هذه الأسماء دخلت تلك الأحداث إلى التاريخ ولم تكن هناك حاجة لاستخدام كلمة (بغروم). وأما ملاحقات اليهود في روسيا فتميزت بأن الشعب الروسي البسيط كان شديد الحقد على التجار والحرفيين اليهود، وهم كانوا هدف مهاجمته حيث كانت تُحطم محلاتهم ودكاكينهم وفي أغلب الأحيان من دون اي ضحايا أو أضرار جسدية واستخدمت لذلك في روسيا كلمة (غراميت) وهي فعل يعني التحطيم او التكسير العشوائي ومنه جاءت كلمة (بغروم) وهي تعني التحطيم والخراب العشوائي

ومع «بغروم» برلين المزعوم قامت الدعاية المعادية لألمانيا في الولايات المتحدة بإعداد الجو المناسب لـ «روزفلت» ليدلي بحديثه عن «الحجر الصحي» الذي أشرنا إليه فيما سبق. ولم يهتم الصهاينة من محيط الرئيس «روزفلت» بما سيصيب اليهود المهم كان بالنسبة لهم هو ذريعة ليستخدموها داخل أمريكا وخارجها.

ويشير الحاخام «عويز» بصراحة بأن صرخات الاستغاثة من يهود ألمانيا بفك مقاطعة البضائع الألمانية في أمريكا، لم تؤثر فيه وفي رفاقه الصهاينة.

وكانت أي محاولة لمصالحة «هتلر» مع يهود ألمانيا، تثير السخط والذعر عند الصهاينة وقد قال الحاخام «عويز» بأنه يخاف من أمرين فقط: «أن يقنعوا أخوتنا اليهود في ألمانيا أو يجبروهم على عقد اتفاق ما يؤدي إلى تحسين أوضاعهم «اليهود» هناك أو التخفيف من الضغط عليهم.... وإن النازين ولكي يتهربوا من النتائج الوخيمة لنظامهم القاسي يمكن أن يتخذوا إجراءات مُلطفة وبذلك يستطيعون تجريد الاحتجاج اليهودي من سلاحه». «والقسم الثاني حسب قوله يخيفه أكثر من الأول». لقد خاف الصهاينة من أن يوقف «هتلر» «اضطهاده» لليهود. ويفضل الحاخام «عويز» بدلاً من ذلك استمرار الاضطهاد لهم: «الموت على يد النازين أمر قاسٍ... ولكن البقاء على قيد الحياة بفضل النازيين هو أسوأ بألف مرة.

ونحن سنتخطى النازية فقط إذا لم تقع في خطيئة لا تغتفر وهي الحوار والاتفاق معهم بهدف إنقاذ بعض الضحايا اليهود» «خطاب الحاخام «سيتفان عويز» في المؤتمر اليهودي العالمي /١٩٣٤م/». ويضيف «عويز» قائلاً في عام /١٩٣٦م/: «نحن نرفض تماماً وبغضب واحتقار أي عرض يضمن حياة وأمان بعض اليهود مقابل العار لكل العبرانية».

وأما القاضي في المحكمة العليا الأمريكية «برانديس» فقد قال: «أي إجراءات تساعد على تصدير البضائع الألمانية إنما يساعد «هتلر» ويقويه... وأنا اعتبر أي إجراءات تخفف من صعوبات «هتلر» الاقتصادية مقابل إنقاذ بعض اليهود الألمان عن طريق الهجرة هي سياسة خاطئة».

ولكن في الواقع كان الصهاينة على استعداد للاتفاق مع النازيين وعقد صفقات مالية معهم إذا كان الأمر يخدم مصالح الصهيونية.

بعد سبع سنوات وفي خضم الحرب العالمية الثانية، قامت مجموعة من كبار الموظفين النازيين بإخبار الحاخام «عويز» بأنه مقابل مبلغ معين من المال يمكن السماح لمجموعة من اليهود مغادرة بولونيا إلى هنغاريا. ومن الصعب فهم ما هي الفائدة التي يجنيها اليهود هؤلاء من السفر إلى هنغاريا من بولونيا، والدولتان تحت السيطرة الألمانية «لا شك بأن ذلك كان مفيداً

«للخروج الثاني» المقبل إلى فلسطين» والقيام بذلك في وقت الحرب على الرغم من رفض الخروج من ألمانيا في وقت السلم. واتجه «عويز» إلى «روزفلت» مطالباً بتحويل الرشوة المالية اللازمة إلى سويسرا على حساب الألمان المصري. وقد أجابه «روزفلت»: «لماذا هذا الإبطاء من طرفكم يا «ستيفن»؟».

وعلى الرغم من كل الاحتجاجات من قبل وزارة الخارجية الأمريكية ومن الجانب الإنكليزي بأن هذه الأموال ستساعد العدو، قام وزير المالية الأمريكي الصهيوني «هنري مونفيرتاو» وبتحويل المبلغ إلى المؤتمر العالمي اليهودي في جنيف لتسليمه إلى القيادة النازية.

وكان شبح الصلح بين «هتلر» واليهود الألمان مخيفاً جداً للصهاينة الأمريكان في عام /١٩٣٨م/. عندما قام رئيس وزراء أفريقيا الجنوبية بإرسال وزير دفاعه إلى ألمانيا لكي يحاول حسب المستطاع التخفيف من حدة القضية اليهودية هناك. ورحب «تشمبرلين» رئيس وزراء إنكلترا بهذه المحاولة وقال للوزير بأن الضغط القوي من طرف العبرانية العالمية كان العقبة الرئيسية في طريق التفاهم الإنكليزي الألماني وأكد بأنه كان سيقاوم ذلك الضغط لو أن «هتلر» تخلى عن عناده.

وسافر الوزير إلى ألمانيا وأعلن أن «هتلر» وافق على عروضه وأن الاتفاق قريب. في تلك اللحظات بالذات تدخل «القدر» الغريب «كالعادة» - وكما حدث مع «لونغ» و «ستولبين» «رئيس وزراء روسيا أيام القيصر» والقيصر «ألكسندر الثاني» والكثير غيرهم والذين خرجوا من مسرح الأحداث كل مرة عندما برزت إمكان حل المسألة اليهودية- قام شاب يهودي باغتيال الدبلوماسي الألماني «فون راتا» في باريس. وبالطبع جاء الرد الألماني سريعاً كما كان متوقعاً وجرى في ألمانيا حرق الكثير من المعابد اليهودية وفشلت مهمة الوزير الجنوب إفريقي.

ولم يتعب أحد نفسه بالتدقيق في جريمة باريس ومن يقف وراءها. وأما «عويز» فيقول في كتابه بأن أحداث ألمانيا دفعت الشاب إلى الجنون[1].

١- (هيرشل غرينشبان) قاتل الدبلوماسي الألماني في باريس وكان عمره في ذلك الوقت سبع عشرة سنة. وهو لم يعرف المانيا أبداً ولم يعش فيها ومعاناته التي تغنى الحاخام (عويز) بها تتخلص في أن والديه حاولا التسلل إلى المانيا من بولندا بشكل غير شرعي هاربين من بولندا، ولكن ألمانيا أعادتهم إلى بولندا ومن ذلك يمكن الاستنتاج بأن وضع اليهود في ألمانيا عام /١٩٣٨/ (قبل عملية الاغتيال) كان افضل من وضعهم في بولندا وإلا لماذا محاولة الهجرة غير الشرعية هذه وإن جنون هيرشل (في حال وجوده) كان يجب أن ينفجر ضد البولنديين وليس ضد الألمان. ولكن (عويز) كان على ما يبدو يأمل ان لا يقوم أحد من قرائه على البحث في اصول القاتل (هيرشل).

وتحـرك «روزفلـت» علـى الفـور: «آخـر الأخبـار مـن ألمانيـا أقلقـت بـشدة الـرأي العـام الأمريكـي وأنا نفسي لم أقدر تصور آن مثل هـذه الأمـور يمكـن أن تحدث في بلد متحضر في القرن العشرين... وأنا على الفور استدعيت سفيرنا في برلين للمشاورة».

وكان اشمئزاز «روزفلت» وغضبه يتعلق فقط «طبعاً» فيما يتعلق بحرق المعابد اليهودية وأما قتل الدبلوماسيين فهو لم يتطرق إليه أبداً. و «روزفلت» نفسه كان يعرف أنه يكذب ويخادع لأنه هو ومعاصروه كانوا على علم بتدمير الأديان والمعابد وعلى مستوى أكبر بكثير من عدة معابد في ألمانيا، والفرق الوحيد هو أن معابد ألمانيا المحروقة كانت يهودية. بالإضافة إلى أن «روزفلت» أطلق كلماته هذه فقط بعد أن أرسل برقية تأييد لاتفاق ميونخ أي استسلام تشيكو سلوفاكيا أمام «هتلر» ولم يجد في ذلك أي تناقض مع حضارة القرن العشرين. وعملياً انزلقت الولايات المتحدة في الحرب العالمية الثانية بالذات عندما أطلق «روزفلت» تصريحه المذكور عام /١٩٣٨م/ وليس بعد «بيرل هاربور».

وهناك خط مستقيم بين تصريحاته في عام /١٩٣٧و١٩٣٨م/ وتصريحه في /١٧/ تموز «يوليو» /١٩٤٢م/ عندما أعلن عن الانتقام الموعود من ألمانيا وفقط بسبب اضطهاد اليهود.

والمدهش أن أولئك الذين وضعوا هذه العبارات في فم «روزفلت» فعلوا كل ما بإمكانهم حتى يبقى مصير اليهود في ألمانيا كما هو عليه بل وأسوأ ولا يتحسن. ويبين التاريخ بأن الطلقات في باريس على «فون راتا» كانت مثل طلقات سراييفو. وسببت الحرب العالمية الثانية.

وفي عام /١٩٣٨م/ قال «برنارد باروخ»: «نحن سنعلم «هتلر» هذا ما يجب ولن يمر ذلك بالنسبة له من دون عقاب» «شهادة الجنرال جورج مارشال».

وعلى مدى ست سنوات تلبدت الغيوم السوداء فوق برلين وفيينا وغيرها من العواصم التي حكم عليها أن تنزل عما قريب إلى النار: براغ، بودابست، صوفيا بلغراد بوخارست، وارسو. هذه العواصم التي ستأكلها الحرب قريباً وكان مؤلف الكتاب شاهداً على ذلك.

لقد شاهد المؤلف الكثير ولربما أكثر من الآخرين لأنه لم ينتسب إلى هذا الطرف أو ذاك بل كان يراقب ويتكلم باسم الجميع. ورأى المؤلف وجه الحشد من الرعاع ذلك الديناصور المعدوم الدماغ وفي حالتيه على الطرفين: في برلين أثارتهم الأحلام والخيالات وفي موسكو الاضطهاد المر ونظرات اليأس الفارغة العديمة الأمل. وقابل المؤلف الناس على مختلف المستويات ابتداء من عمال النظافة في الشوارع وحتى الرؤساء والوزراء. وشاهد مملكة الإرهاب في العاصمتين. ومؤلف الكتاب عرف الكثير وقابل الكثير من الناس الذين خلقوا هذه «الحرب غير اللازمة».

لقد تحادث مع «هتلر» و «غيرنغ» و «غوبلز» وتناول الغداء على ضفاف بحيرة جينيف مع «ليتفينون» وتلاقى المؤلف مع «موسيليني» و «ماكدونالد» أحد رؤساء الحكومات البريطانية وتحادث مع مستشار النمسا ورئيس وزراء هنغاريا وملك بلغاريا وغيرهم.

وسافر المؤلف إلى موسكو ضمن وفد بريطاني برئاسة «انتوني ايدن» الشاب ورأى بعينيه النظام هناك والذي تميز عن النظام النازي فقط بأن اليهود في روسيا هم الحكام، أما في ألمانيا فقد لعبوا دور المضطهدين. وساد الخوف والغموض في كل مكان وبدا واضحاً أمر واحد فقط وهو «هتلر» سيبدأ الحرب إذا لم يتم إيقافه. ولم يحاول أحد القيام بذلك بل كان هناك رئيس وزراء بريطاني هو «ستانلي بولدين» أخفى عن الرأي العام الحقيقة حول خطط «هتلر» العسكرية لأنه خاف أن يخسر الانتخابات «اعترف هو نفسه بذلك فيما بعد».

وأما خليفته «تشمبرلين» فقد ابتسم لـ «هتلر» ولا شك بأنه تأمل أن يحرضه على الاتحاد السوفييتي وهذا ما يمكن على الأقل تسميته خط سياسي، وهو أمر كان معدوماً قبله. ولكن ذلك الخط كان مخطئاً لأن «هتلر» تحالف في البداية مع «ستالين» ليكسب الوقت ويوجه الضربة الأولى وبعد سقوط النمسا وتشيكوسلوفاكيا، فهمَ المؤلف أن فرصة إيقاف الحرب قد ضاعت وأن العالم قد فقد رشده وجعل ذلك عنواناً لكتاب صدر له «سوق الجنون» وشرح ذلك على أنه بسبب فقدان الخط السياسي الواضح ولكن بعد مرور /١٨/ سنة وبعد أن شاهد واطلع على الكثير لم يعد لديه أي شك بأن بعض أطراف هذه الحرب «غير اللازمة» لم يكونوا يعدونها غير لازمة إلى ذلك الحد.

الفصل الثامن والثلاثون

دول صغيرة بعيدة

خلال السنوات العشر التي سبقت الحرب والتي حكم فيها في واشنطن «المعلم» «روزفلت» وفي برلين «الفوهرر» «هتلر». وأما في فلسطين المنسية فقد سارت الأمور هناك من سيئ إلى أسوأ. وفهمت الحكومة الإنكليزية انعدام أي أمل من المغامرة الفلسطينية التي ابتلاها بها «بلفور» وأخذت بسبب ذلك تفكر جيداً بالتملص منها. ولكن قبيل الحرب تمكن «وينستون تشرشل» من زحلقة بلاده مرة أخرى في المتاهة الفلسطينية، وفي فلسطين نفسها عجزت الإدارة الإنكليزية المدنية والعسكرية عن تنفيذ «الانتداب» الذي ألصق بها.

وتابع العرب عصيانهم المستمر وفي الوقت الذي ضغط فيه الصهاينة في لندن على الحكومة البريطانية لكي تقمعهم بالقوة ولدى ظهور أي بادرة حياد من طرف الإدارة الإنكليزية في فلسطين كانت لندن تمنع ذلك على الفور.

ويمكن القول بأن السياسة الاستعمارية الإنكليزية كانت ناجحة في كل مكان ما عدا فلسطين. فقد تمكنت هذه السياسة خلق شعوب حرة فيما وراء المحيطات على أراضٍ كانت مقفرة سابقاً ويمكن إيراد أمثلة كثيرة على حسن الإدارة الإنكليزية للمستعمرات فعلى سبيل المثال الهند حيث خرجت بريطانيا لدى إحساسها بأن البلاد أصبح بإمكانها تحصيل الاستقلال[1].

وفقط في فلسطين قُلبت كل أسس السياسة الإنكليزية الاستعمارية رأساً على عقب والسبب في ذلك هو «الضغط الذي لا يطاق» القادم من لندن أو غيرها من العواصم في حال حاولت لندن التمرد، ووقع بسبب ذلك على رأس الإدارة البريطانية في

١- إن المؤلف يزور بعض وقائع التاريخ وينكر على الشعوب نضالها وتضحياتها التي أدت الى الاستقلال، ويحاول تبييض صفحة الاستعمار القبيحة. -المترجم

فلسطين دور صعب من أصعب الأدوار وأنحسها في التاريخ البريطاني على الرغم من آن الإنكليز في الحقيقة برعوا دائماً في إدارة المحميات وهذه الكلمة الأخيرة لم تكن دائماً مشبوهة المفهوم (مثل ما أعطي هذا المفهوم لاحتلال «هتلر» لتشيكوسلوفاكيا) إن احتلال البلاد برضى سكانها بل وأحياناً بدعوة منهم يمكن أن يكون مفيداً جداً.

فمثلاً محمية «باسوتولاند»، جاء إليها الإنكليز بدعوة من سكانها المحليين بعد مشكلات دائمة مع جيرانهم ونتيجة لذلك تغلب الشعب المذكور على مشكلاته وأصبح حراً وهو في حالة أفضل بكثير من جيرانه في الوقت الحاضر، حيث بضع عشرات من البيض يحكمون /٦٦٠٠٠٠/ من السكان المحليين في ظروف التفاهم التام.

(- ملاحظة الترجمة- بدءاً من عام /١٩٦٦/ «باسوتولاند» أصبحت دولة مستقلة تحت اسم «ليسوتو»).

وكلمة محمية تعود إلى الكلمة الإنكليزية «بروتكت» وهو ما يعني «- حمى- يحمي». ولكن في فلسطين قام الإنكليز لأول مرة في التاريخ بقمع من كان عليهم حمايتهم «العرب» ودافعوا عن المغتصبين القادمين من روسيا، ولكن قمع العرب «كمتمردين» في فلسطين لم يأت بالفائدة المرجوة للصهاينة.

ودعم اللوبي الصهيوني مواقعه في لندن وواشنطن في بداية الثلاثينيات مع قدوم «هتلر» إلى الحكم ولكن حتى هذا النجاح أصابه الشلل نتيجة الأحداث داخل فلسطين مما أجبر «حاييم وايزمان» على توسيع دائرة نشاطه لتشمل القدس بالإضافة إلى لندن وواشنطن.

وآخر ضحية لـ «وايزمان» في تلك الفترة أصبح «رامزاي ماكدونالد» رئيس الحكومة الائتلافية البريطانية. وهو بالأصل «جيمي ماكدونالد» من اسكتلندا وحقق نجاحات فائقة في السلم الوظيفي وأصبح «رامزاي ماكدونالد» المحترم وأما ابنه «مالكولم ماكدونالد» فقد أصبح نائباً لوزير المستعمرات.

في بداية الأمر حاول الأب إنهاء الاضطرابات السائدة في فلسطين والتي سببت للإنكليز خسائر فادحة، وأعلن أن حكومته ستوقف الهجرة الصهيونية وتسوي مشكلة شراء اليهود للأراضي وستعاقب المحرضين على الاضطرابات من أي طرف كان. وعلى الفور أصبح «ماكدونالد» هدفاً لحملة ضارية غيرت حتى مظهره الخارجي وأصبح على أثرها متعباً عجوزاً

حائراً. وقام «وايزمان» بزيارته مع ثلاثة من الصهاينة واتهمه بالاستهتار في «التعامل مع الالتزامات الأخلاقية الناتجة عن الوعود المعطاة لليهود» «وايزمان».

وبدأ أهل السياسة في بريطانيا وأمريكا وجنوب إفريقيا هجوماً عنيفاً ضده مما أخاف رئيس الوزراء فأعلن عن تشكيل لجنة بحث جديدة وعين رئيساً لها الاشتراكي «أرتور هندر سون» «مالكوم ماكدونالد» سكرتيراً لها ودخل في عضوية اللجنة «حاييم وايزمان» وستة من الصهاينة البارزين وبالطبع لم يُمثل العرب في اللجنة.

وكان أكثر ما أزعج «وايزمان» هو التصريح برغبة معاقبة المحرضين على المشكلات من أي طرف كان. لقد اعتبر «وايزمان» أن العرب وحدهم كانوا دائماً سبب المشكلات وأعمال القتل واستسلم «ماكدونالد» وأرسل إلى «وايزمان» رسالة أبلغه بقبول شروطه كافة.

بعد ذلك ازدادت الهجرة اليهودية إلى فلسطين وفاقت في عامي /١٩٣٤-١٩٣٥/ جميع الأرقام السابقة. وبعد الانتهاء من «ماكدونالد» سافر «وايزمان» إلى كل من جنوب إفريقيا وتركيا وفرنسا وايطاليا وبلجيكا ودول أخرى.

وفي فرنسا التقى «وايزمان» مع الكثير من الوزراء والشخصيات وقد أعجبه من بينها ابن ديانته «ليون بلوم» وكذلك وزير الخارجية الفرنسي «اريستيد بريان» الذي كان شديد التعاطف «على الرغم من عدم فهمه لما كان يدور من حديث» وتقابل «وايزمان» مع «موسيليني» ثلاث مرات.

ولكن على الرغم من كل تلك الجهود فإن الصهيونية في نهاية الثلاثينيات وقفت أمام احتمال الفشل الذريع النهائي، فقط الحرب التي جاءت في الوقت المناسب أنقذتها من الموت والاندثار، فقد وصلت الاضطرابات العربية إلى قمتها عام /١٩٣٦م/ وعلى مدى أربع عشرة سنة وتحت ضغط صهيوني قوي امتنعت الحكومات الإنكليزية المتتالية منح العرب حق إجراء انتخابات محلية.

وبعد رحيل «ماكدونالد» قرر خليفته «ستانلي بولدين» إرسال لجنة جديدة خامسة إلى فلسطين ولاقت اللجنة هناك الدكتور «وايزمان» الذي قام برحلات مكوكية بين لندن «حيث كان يملي على الحكومة ما يجب عليها أن تقوله للجنة ولأعضائها في فلسطين» ومن ثم يعود إلى فلسطين «ليملي على اللجنة ما يجب أن ترسله إلى لندن» وخرجت اللجنة بعد تلك المشورات

بقرار اقترحت فيه تقسيم فلسطين وعلى الفور بعد ذلك اتجهت إلى الدكتور «وايزمان» لأخذ المشورة.

حتى تلك اللحظة أخفى الصهاينة رغبتهم في إنشاء دولة يهودية مستقلة وأعلنوا دائماً حاجتهم إلى ملاذ قومي يفي بحاجة اليهود.

وكان «وايزمان» يفهم بأن الحكومة الإنكليزية في حال موافقتها على التقسيم ستلتزم على الفور بإنشاء دولة يهودية مستقلة.

ولا شك بأن المهارة الآسيوية الشرقية في المحادثات والمباحثات التي أبداها «وايزمان» تستحق الثناء الكبير، وقد زرع «وايزمان» في العقول فكرة التقسيم استناداً إلى العهد القديم ولكنه في الوقت نفسه لم يربط نفسه بأي حدود ثابتة للدولة.

وأما فيما يتعلق بالمساحة فقد زعم باستعداده للقيام بالتنزلات، لأنه حتى «يَهْوَه» بذاته لم يشر في أحاديثه مع اللاويين إلى آي حدود. وبذلك وافق «وايزمان» على الأراضي المعروضة ولكنه ترك موضوع الحدود مفتوحاً تماماً. وبالتالي حتى «التقسيم» لا يمكن اعتباره حلاً نهائياً وتثير الانتباه الذرائع التي قدمها «وايزمان» لمصلحة التقسيم:

«يخشى العرب أن نأخذ نحن كل فلسطين، ومهما تحدثنا عن حقوقهم فلن يصدقوا لأنهم الآن تحت سلطة الخوف ولا يمكنهم سماع حجج العقل. إن وجود دولة عبرانية ذات حدود دولية ثابتة سيُعد أمراً نهائياً. وخرق تلك الحدود سيُعد حرباً لا يمكن لليهود الإقدام عليها أبداً وليس فقط بسبب الدوافع الأخلاقية بل حتى لا يهب العالم كله ضدهم».

وخرجت لجنة «بيل» إلى قرار نصح بإلغاء الانتداب لأنه استهلك نفسه وإلى تقسيم فلسطين. ولو نفذت الحكومة البريطانية اقتراحات اللجنة وغادرت البلاد لتمكنت البشرية التخلص من الكثير من المشكلات، ولكن فقط بعد سنتين بدأت الحرب العالمية الثانية وأصبحت المشكلة الفلسطينية مستحيلة الحل.

ومع اقتراب الحرب تابع «وايزمان» إقناع الغرب بأن الملاذ العبراني في ذلك الجزء من العالم سيكون «الحليف الوحيد المضمون للديموقراطية» وهذا كان يعني وجوب تدفق السلاح والمهاجرين إلى فلسطين تحت ذلك الشعار.

في عام /١٩٣٨م/ طلب «وايزمان» من وزير الحربية البريطاني السماح للصهاينة بتأسيس جيش من أربعين ألف مقاتل لأنه اعتبر بأن «الحرب غير اللازمة» ستبدأ قريباً وتدفع إلى الأمام المصالح اليهودية.

ذات مرة قال «وايزمان» في حديث مع «انتوني ايدن»:

«إذا سُمح لدولة ما بتدمير شعب كامل لم يرتكب أي ذنب أو جريمة.. فإن ذلك يعني بدء الفوضى وتخريب أسس الثقافة والحضارة.

والدول التي تراقب ذلك بصمت ولا تفعل أي شيء لمنع الجريمة ستتعرض ذات يوم بنفسها للعقاب الشديد».ولم يعد يرد في تلك الأحاديث أي ذكر لاضطهاد «هتلر» لأعدائه السياسيين وفقط مصير فئة قومية واحدة واتضح سبب كافٍ لقيام الحرب.

وآتضح فيما بعد أن الصهاينة أنفسهم هدفوا إلى تدمير مجموعة قومية كاملة لم يكن لها أي ذنب «لم يسمع عرب فلسطين في ذلك الحين عن «هتلر» والسلاح الذي طالب به الصهاينة استعمل لهذا الهدف بالذات. ومن الممتع أن «وايزمان» وضع أقواله المذكورة أعلاه وفق تعاليم الدين المسيحي حيث حُرم قتل الأبرياء واعتبر جريمة لا تغتفر يعاقب عليها.

ولكن «وايزمان» بنى مطامعه في فلسطين على الشرائع اللاوية حيث قتل الأبرياء هو المطلب الأساسي لجميع شرائع وسنن العهد القديم والتلمود وهو أمر لا يعاقب عليه بل على العكس يكافأ بالسلطة والمال.

قبل نشوب الحرب استلم رئاسة حكومة بريطانيا «تشمبرلين» ومع اسمه ارتبط التنازل لـ «هتلر» عن إقليم «السوديت التشيكي» وفرح الشعب عدة أسابيع معتقداً بأن «تشمبرلين» تمكن بواسطة اتفاق ميونخ إنقاذ السلام.

وفي تلك الأيام كان المؤلف في براغ وبودابست وفهمَ في ذلك الحين لأول مرة ما الذي أراد «توماس جيفرسون» قوله في كلماته: «أُصابُ بالأسى عند رويتي لأبناء بلدي وهم يقرؤون الصحف ويعيشون خلال ذلك ويموتون وهم على ثقة بأنهم أصبحوا على علم بالأمور الجارية أمام عيونهم».

وفي الحقيقة فإن «تشمبرلين» كان مجبراً على هذا التنازل لأن إنكلترا في عهد سابقه بولدين لم تكن مستعدة للحرب، ولكن المؤلف يُعد ذلك خطأ لأن الموقف الصلب حتى في تلك اللحظة الحرجة المتأخرة كان بإمكانه إبعاد الخطر ولأن كبار الضباط الألمان كانوا على استعداد للإطاحة بـ «هتلر».

خطيئة «تشمبرلين» التي لا تغتفر هي محاولته تبرير اتفاق ميونخ أخلاقياً وكذلك ذرائعه حول «بلد صغير وبعيد لا شأن لنا به»[1].

وكان «تشمبرلين» متواصلاً مع هذا الموضوع وحاول إنقاذ إنكلترا من التزامات «بلفور» التي ربطت إنكلترا بأمور «بلد بعيد وصغير» حيث كانت بانتظارها المشكلات والمصاعب فقط.

ولكن سياسة «تشمبرلين» واجهت مقاومة عنيفة من قوى ما وراء الكواليس ولا شك بأن الصهيونية كانت وراء سقوطه مثلما أسقطت من قبله «اسكويت» عام /١٩١٦م/.

في عام /١٩٣٨/ أُعلن عن التقسيم وكان ذلك العام أكثر السنين دموية في فلسطين حيث قتل في الاضطرابات أكثر من /١٥٠٠/ عربي. ولجنة «بيل» دعت إلى التقسيم من دون أن تشير إلى طريقة تنفيذ ذلك. وأرسلت لجنة أخرى لدراسة الموضوع ولتقرير كيف يمكن تقسيم الطفل إلى قسمين مع إبقائه على قيد الحياة.

وأعلنت لجنة «فودوخ» /١٩٣٨م/ بأنها لم تعثر على طرق لحل المشكلات. مع بدء أعمال العنف ضد اليهود في ألمانيا عام /١٩٣٨م/ طالب الصهاينة باتخاذ أعمال انتقامية ضد العرب في فلسطين. وهنا قام «تشمبرلين» بعمل ناقض كل ما يجري فيما وراء الكواليس ودعا إلى مؤتمر حول فلسطين ودعا إليه العرب.

وفي آذار «مارس» /١٩٣٩م/ ظهر كتاب أبيض عن المؤتمر تعهدت فيه بريطانيا بإنشاء دولة فلسطينية مستقلة خلال عشر سنوات وإنهاء الانتداب، وتعهدت بتقسيم السلطة بين العرب المحليين والمهاجرين الصهاينة بشكل يحقق المتطلبات الحيوية لكل الفئات القومية هناك.

وحددت الهجرة اليهودية بـ /٧٥٠٠٠/ مهاجر في السنة على مدى عشرة أعوام. وجرى تحديد شراء اليهود للأراضي. لو نفذت هذه الخطة لحل السلام في فلسطين. ولكن الخطة

١- هنالك نظرة خاطئة في الغرب حول اتفاقية ميونخ. ففي حقيقة الأمر جرى في ميونخ (أيلول (سبتمبر) /١٩٣٩م/) فقط رفع الظلم الذي فرضته اتفاقية فرساي /١٩١٩/ على المانيا وتحرر نتيجة اتفاق ميونخ ثلاثة ملايين الماني في إقليم السوديت. وبناء على مبادئ (ويلسون) حول حق الشعوب في تقرير المصير فان ذلك يبدو عادياً تماماً. ونتيجة لذلك حصل التشيك على ضربة قاسية حيث انسحب السلوفاك وخرجوا عن طاعة براغ واحتلت بولندا منطقة تشيني (معاهدة السلام لعام /١٩١٩م/ رفضت اعطاء بولندا هذه المناطق) وطلبت الحكومة التشيكية الدخول تحت حماية ألمانيا في عام /١٩٣٩م/ وهو أمر لا يمت إلى معاهدة ميونخ بصلة على الرغم من كونه نتيجة لها.

المذكورة لم تسمح بقيام دولة عبرانية في فلسطين، لذلك وفجأة في اللحظة المطلوبة وصل إلى الصف الأول في السياسة البريطانية «وينستون تشرشل» بعد أن بقي منسياً في الظل عشر سنوات متتالية.

ونود أن نشير إلى أن «تشرشل» خلال تلك الفترة كان في بلاده قليل الشعبية والسبب هو موقفه من الأزمة الملكية «تخلي الملك إدوارد الثامن عن العرش في /١٩٣٧م/» حيث دعا «تشرشل» إلى اتخاذ قرار بتأجيل الموضوع مما أدى إلى ردة فعل عنيفة ضده وخرج من مجلس العموم تحت وابل من التصفير.

بعد ذلك كتب «تشرشل» رسالة ذات مغزى إلى «برنارد باروخ» في بداية /١٩٣٩م/: «ستبدأ الحرب قريباً جداً وستشملنا كما ستشملكم، أنتم في بلادكم ستقودون آما أنا هنا فسأبقى بعيداً». بعد ذلك تغير مصير «تشرشل» السياسي إلى الأفضل والدور الأساسي في ذلك كان في علاقته مع الصهيونية. لقد ذكرنا سابقاً بأنه كان من أوائل من دعم الصهيونية في أحاديثه الانتخابية.

ولكن في فترة الحرب الأولى كان «تشرشل» في الحكم وكانت علاقته مع الصهاينة باردة بعض الشيء وهو لم يدخل في تلك الفترة في قائمة «أصدقاء» «وايزمان». وعندما أصبح وزيراً للمستعمرات في عام /١٩٢٢م/ أزعج الصهاينة كثيراً في كتابه الأبيض الذي حسب كلام «وايزمان» (شطب كل ما جاء في وثيقة «بلفور») وفيه دعا «تشرشل» إلى انتخاب مجلس تشريعي في فلسطين وكان ذلك يتطلب إجراء انتخابات ديموقراطية في فلسطين وهو أمر لم يوده «وايزمان» أبداً. والصهاينة «اكتشفوا» «تشرشل» فجأة قبيل الحرب العالمية الثانية وكان ذلك مثيراً للاستغراب، لأن «تشرشل» كان قبل فترة وجيزة «١٩٣٨م» قد صرح بأنه يجب تحديد الهجرة وكرر ما جاء في الكتاب الأبيض لعام /١٩٢٢م/: «علينا أن نعطي العرب التزاماً بأن الحد الأقصى للهجرة السنوية لليهود لن يزيد عن رقم محدد وعلى الأقل خلال عشر سنوات». ولكن بعد ذلك بفترة وجيزة وعد «تشرشل» «وايزمان» بأنه سيؤيد توطين الملايين من اليهود في فلسطين.

ومن ثم قال «وايزمان» إن «تشرشل» وعده بأنه سيشارك في أعمال مجلس العموم وسيصوت ضد قرارات الكتاب الأبيض. وفي يوم المناقشة حضر «وايزمان» الإفطار على مائدة «تشرشل» حيث قرأ الأخير نص خطابه وتساءل آلا يرى «وايزمان» أي تعديلات ضرورية.

ولكن «وينستون تشرشل» فشل وانتهى النقاش بانتصار «تشمبرلين» وصوت لمصلحة الكتاب الأبيض /٢٦٨/ وضده /١٧٩/ صوت. ولكن على الرغم من ذلك فإن الكثير من السياسيين في تلك اللحظات أحسوا من أين تهب الرياح الجديدة ونشروا أشرعتهم بناء على ذلك وهذا ما يشير إليه عدد الذين امتنعوا عن التصويت /١١٠/صوت.

واعتبر الأمر أول إنذار لـ «تشمبرلين» وبالفعل بعد فترة قصيرة خرج من الحكومة والحزب.

وبدأت الحرب العالمية الثانية بعد صدور الكتاب الأبيض ولكنه لم ينفذ وبالطبع تأجلت إلى ما بعد الحرب خطط «إنشاء دولة فلسطينية مستقلة» و «إنهاء الانتداب».

ولكن بعد الحرب ظهرت حقائق جديدة وأعطى «روزفلت» تأييده للصهيونية بشكل رسمي وخاص وحصل «تشرشل» على الدعم كشخص أثبت أنه على حق فيما يخص «هتلر» وفي نقاشاته مع «وايزمان».

الفصل التاسع والثلاثون

صهيون يتسلح

على مدى ست سنوات الحرب العالمية الثانية، تحارب ملايين الناس على أراضي ثلاث قارات ولكن في نهاية الحرب اتضح أن أولئك الذين اعتبروا أنفسهم منتصرين كانوا أبعد ما يمكن عن الهدف المحدد.

وصاح الديك مرة أخرى فوق مؤتمرات السياسيين المنتصرين، فقبل ثلاثين سنة من ذلك حاول الرئيس «ويلسون» أن يبرهن لكل العالم بأن «أسباب وأهداف الحرب ليست واضحة... وأن رجال السياسة من الطرفين المتحاربين لهم الأهداف ذاتها». وقد أثبت التاريخ بأنه كان على حق.

في فترة الحرب الأولى مولت ألمانيا الثورة في روسيا بواسطة عملائها اليهود «بارفوس-غيلفاند».

وأما العقيد «هاوز» وجماعته فقد دعموا تلك الثورة بكل قواهم. وكان المكتب الأساسي للصهاينة في برلين وبقي هناك ولم ينتقل إلا بعد أن حُسمت نتيجة الحرب.

وجاءت الحرب الثانية وأثبتت صحة أقوال «ويلسون» مرة أخرى وما كان للحرب أن تبدأ لولا تآمر عملاء الثورة العالمية على مهاجمة «مخبول برلين» الجديد. وكان على الشعوب البائسة التي ابتليت بهذه الحرب، أن تختار بين النازية والشيوعية. وعندما تحارب الطرفان، قام المستشار «غوبكينس» (احتل مكان «هاوز») من طرفه بدعم الثورة العالمية.

أراد «هتلر» التخلص من اليهود في بلاده وكان موافقاً معه في ذلك إلى حد كبير القاضي «برانديس» في أمريكا حيث أعلن «يجب أن لا يبقى أي يهودي ولو واحد في ألمانيا». «تشرشل» رغب في توطين ثلاثة إلى أربعة ملايين يهودي في فلسطين وقامت الدولة الشيوعية بتأمين الدفعة الأولى من المهاجرين إلى هناك. وعندما اختفى دخان المعارك أصبح واضحاً تحقيق ثلاثة أهداف، على الرغم من أنه لم يجر ذكر أي منها في بداية الحرب:

- ابتلعت الثورة العالمية كل شرق ووسط أوربة وتسلحت الصهيونية وأصبحت جاهزة للتثبيت في كل فلسطين.

- وظهرت الحكومة الأممية وهذه المرة في نيويورك. وفي الواقع الحرب الحقيقية جرت وراء كواليس الحرب العالمية الثانية وأجبرت سلاح وثروات وموارد الغرب البشرية لخدمة الأهداف الثلاثة المذكورة أعلاه.

وأصبح من الممكن وعبر ضباب الحرب المنتهية، رؤية الخطة الرهيبة التي كشف عنها لأول مرة في وثائق «واي سخاوبت».

في بداية الحرب كان هناك رغبة في السياسة البريطانية الرسمية، التخلي عن الانتداب والخروج من فلسطين بعد توزيع السلطة هناك على جميع الأطراف المشتركة في النزاع، وكان واضحاً بالنسبة للصهاينة عدم جرأة أي حكومة بريطانية على القيام بطرد العرب من بيوتهم بقوة السلاح ولذلك قرروا وتحت غطاء الحرب تأمين السلاح لأنفسهم والقيام بمهمة طرد العرب.

مع بدء الحرب أصبح «وايزمان» ضيفاً حاضراً عند «تشرشل» «من دون علم أو رغبة من الرأي العام تمكنت هذه الشخصية الفريدة أن تحكم إنكلترا وأمريكا على مدى /٣٣/ سنة بدءاً من اللقاء الأول مع «بلفور» في عام /١٩٠٦م/» ومن الصعب التصور أن صفات «وايزمان» الشخصية هي التي استطاعت تأمين هذا الاحترام. ولا شك من وجود قوة ما وراءه كان لدى الناس أساس قوي للخوف منها. وقد دعى المؤرخ «كاستين» هذه القوة «بالأممية اليهودية» وأما السياسي «تشمبرلين» فقد دعاها «بالعبرانية الأممية».

عاد «تشرشل» إلى السلطة «بعد غياب دام عشر سنوات» في منصب وزير البحرية. وكان عليه- كما جرت العادة- إن يدير أمور الحرب في البحار ولكن الدكتور «وايزمان» كان يريد منه أموراً أخرى تماماً: «بعد الحرب نريد أن نملك دولة في فلسطين مع ثلاثة أو أربعة ملايين يهودي» هذا ما قاله «وايزمان» وأما «تشرشل» فقد أجاب حسب ما ذكر «وايزمان»: «أجل بالطبع أنا موافق كلياً على ذلك». هذا ما قاله «تشرشل» على الرغم من أنه فقط قبل سنة من ذلك طالب بإعطاء العرب تعهدات رسمية موثوقة بأن الهجرة الصهيونية ستكون محدودة.

وحتى الآن في عام /١٩٥٦م/ وعلى الرغم من كون اليهود في فلسطين فقط مليوناً وست مئة ألف فإن وجودهم يثير الحرب الدائمة هناك ومن غير الصعب التصور ما الذي سيحل بتلك البلاد إذا تضاعف هذا العدد مرتين أو ثلاث مرات، ولا شك بأن «تشرشل» كان على معرفة تامة بذلك. وفي عام /١٩٣٩م/ والحق يقال لم تدخل فلسطين في نطاق مهماته الوظيفية ولكن

«وايزمان» على ما يبدو كان يعرف من جهة ما أن «تشرشل» سيصبح بالتأكيد عما قريب رئيساً للحكومة. وسافر «وايزمان» إلى أمريكا وشرح خطته للرئيس «روزفلت» والذي أبدى اهتماماً حذراً بذلك «كان ذلك قبيل انتخابه الثالث للرئاسة». وعندما عاد «وايزمان» إلى لندن كان «تشرشل» قد أصبح رئيساً للوزارة. وهكذا جرى تكرار وضع عام /١٩١٦م/ ولكن مع فارق بسيط فقط. في عام /١٩١٦م/ كان مطلوباً من «لويد جورج» إرسال القوات البريطانية إلى فلسطين وقد فعل ذلك.

أما الآن فمطلوب من «تشرشل» تأمين السلاح للصهاينة الذين أغرقوا فلسطين بهجرتهم. وقد انصاع «تشرشل» لذلك. وأكد «تشرشل»[1] بنفسه بأنه أعطى الأوامر اللازمة لذلك على مدى الأشهر الخمسة الفاصلة بين لقائه الأول والثاني مع «وايزمان».

«تشرشل» أصبح رئيس وزارة في /١٠/ أيار «مايو» /١٩٤٠م/ عندما كانت فرنسا على أبواب الكارثة والدمار حين بقيت الجزر البريطانية من دون حلفاء وفقط تحت حماية أسطولها وبقايا سلاحها الجوي ذلك لأن الجيش الإنكليزي في معظمه تحطم.

في /٢٣/ آيار أصدر «تشرشل» أوامره لوزير المستعمرات بسحب القوات الإنكليزية من فلسطين و «على وجه السرعة تنظيم وتسليح اليهود ليتمكنوا من حماية أنفسهم». وتكررت نفس الأوامر في /٢٩/ أيار «في أيام انسحاب القوات البريطانية من دونيكر» ومن ثم /٢/ حزيران «يونيو». واشتكى في /٦/ حزيران «يونيو» من المعارضة من طرف العسكر وفي آخر حزيران «يونيو» اشتكى من الصعوبات من قبل وزيرين وعلى الأخص اللورد «لويد» («الذي كان معادياً للصهيونية عن قناعة ووقف إلى جانب العرب وأما أنا فأردت تسليح المستوطنين اليهود») ومن الواضح أن مناقشة هذه الأمور في تلك الفترة لم يكن لها علاقة بالمصالح الوطنية لإنكلترا ولكنها جرت على أساس أنت معنا أو ضدنا.

وتابع «تشرشل» على هذا المنوال وحاول إقناع اللورد لويد بأن الجيش البريطاني القوي في فلسطين هو «الثمن لسياستنا المعادية لليهود والتي قمنا بها على مدى عدة سنوات». «نحب التذكير أنها كانت سياسة كتابه الأبيض في عام /١٩٢٢/».

١- (وينستون تشرشل) من عائلة إنكليزية عريقة تنتمي إلى اراضي مارلبورو. والده (راندولف تشرشل) كان الابن الثالث لـ (دون مارلبورو السابع) وقد حصل على لقب لورد شكليا من دون حق في مجلس اللوردات ومات في عام /١٨٩٤م/ من شلل متقدم أصابه نتيجة مرض الزهري. أمه جيني جيروم ابنة مليونير أمريكي من مواليد نيويورك وكانت معروفة قبل الزواج وبعده بعلاقاتها العاطفية الكثيرة ومنها مع أمير ويلز الذي أصبح الملك (ادوارد السابع) فيما بعد.

وقال «تشرشل» بأنه لو تم تسليح اليهود بشكل جيد فسيكون بالإمكان سحب القوات من فلسطين لتقوية الجبهات الآخرى، وأما «الخوف من هجوم اليهود على العرب فهو في غير محله». وجاء الجواب من الوزير المسؤول عن فلسطين: «أنا لا أستطيع في أي حال من الأحوال الموافقة على الجواب الذي كتبتموه لي». ولكن «تشرشل» لم يطلع البرلمان على ذلك.

وانهمر السلاح على الصهاينة في فلسطين على الرغم من الحاجة الماسة لإنكلترا لهذا السلاح. فالقوات المنسحبة من فرنسا كانت بحاجة كبيرة له و «تشرشل» نفسه كتب بأنه في ذلك الوقت كان يوجد في الجزر البريطانية فقط /٥٠٠/ مدفع ميداني ونحو /٢٠٠/ دبابة من طرازات مختلفة. وبعد عدة أشهر أرسل يطلب من الرئيس «روزفلت» /٢٥٠٠٠٠/ بندقية لتعليم وتسليح المواطنين. ودعا «تشرشل» إلى مقاومة العدو على الساحل وفي شوارع المدن ولكن المؤلف كان يعلم أن العدو لو نجح في الإنزال فلن يلاقي من يقاومه لأنه لا يمكن محاربة الدبابات بأيد عارية. وطاف فوق البلاد المجردة من السلاح شبح خطر مخيف. ولا شك بأن المؤلف كان سيذهل لو علم في تلك الفترة أن شغل «تشرشل» الشاغل في تلك الأيام كان موضوع تسليح الصهاينة وليس تسليح إنكلترا.

وعندما تقابل «وايزمان» مع «تشرشل» مرة أخرى في آب «أغسطس» كان خطر الغزو الألماني قد خف كثيراً. وعرض «وايزمان» تشكيل جيش يهودي في فلسطين قوامه /٥٠٠٠٠/ مقاتل وفي أيلول «سبتمبر» عرض على «تشرشل» خطة من خمسة بنود أهمها كان «استدعاء عدد كبير من اليهود للخدمة العسكرية في فلسطين».

ويقول «وايزمان» إن «تشرشل» «وافق على تلك الخطة» وأما اللورد لويد «وكما في وقته السير روبرتسون» فقد قاوم بكل قواه الخطة المذكورة ولكنه اصطدم مع القدر العدواني ومات في عام /١٩٤١م/ عن عمر يناهز /٦٢/ عاماً ولكن العاملين في الإدارة البريطانية في فلسطين قاوموا خطة «وايزمان»، لأنهم شاهدوا فيها إلهاء للجهود العسكرية البريطانية ودفعها لحل مسائل غريبة. وقد اشتكى «وايزمان» من أنه على الرغم من دعم «تشرشل» «فقد مرت أربع سنين قبل أن يتم رسمياً تشكيل لواء يهودي في عام /١٩٤٤/». واتهم «وايزمان» «الخبراء» البريطانيين بعرقلة الجهود التي رمت إلى تكوين الجيش اليهودي.

واشتكى «تشرشل» أيضاً: «أردت أن أسلح اليهود في تل أبيب.. ولكن هنا واجهت المقاومة من كل جهة» «كان ذلك في تموز «يوليو» عام /١٩٤٠م/ قبيل الغارات الجوية الألمانية على إنكلترا».

واعتبر «وايزمان» آن الوقت قد حان للتخلص من تلك المقاومة غير المنتظرة بواسطة «الضغط» من الخارج ولذلك سافر في ربيع /١٩٤١/ إلى أمريكا وكما في الحرب الأولى حينما كان رسمياً مشغولاً بالعمل لمصلحة السلاح الإنكليزي فإنه هذه المرة قد عمل في مجال إنتاج «ايزوبرين» وادعى «وايزمان» بأنه كان منهمكاً تماماً في هذه القضية.

ولكنه لم يكن ليكون الدكتور «وايزمان» لو أنه لم يتحرر منها ويلاقي الوقت المناسب لممارسة نشاطه الصهيوني. وهناك في أمريكا جهز لزيارته الحاخام «عويز» الذي أعطى التعليمات للرئيس «روزفلت» حول التزاماته نحو الصهيونية: «في /١٣/ أيار «مايو» /١٩٤١م/ اعتبرت أنا «عويز» من الضروري إرسال تقارير شهود الأحداث في فلسطين «لنتذكر تقريره عن «بغروم» اليهود المزعوم في ألمانيا عام /١٩٣٣م/ والذي أدى إلى مقاطعة البضائع الألمانية في نيويورك» وأوضحت له الخطر الذي يتعرض له اليهود في العزل هناك... يجب إجبار الحكومة البريطانية وجعلها تفهم كيف ستضر بقضية الديموقراطية وكيف سيغضب الرأي العام إذا حصل اضطهاد جماعي لليهود بسبب عدم تسليحهم في الوقت المناسب وبسبب عدم تقوية دفاع فلسطين بالمدفعية والدبابات والطيران». وأجاب الرئيس: «أنا أقدر فقط لفت نظر الإنكليز إلى اهتمامنا العميق بحماية فلسطين والدفاع عنها ورغبتنا في حماية سكانها اليهود وكذلك فعل كل ما بإمكاني لتزويد القوات البريطانية بأفضل وسائل الدفاع لحماية فلسطين».

وتسلح «عويز» بهذه الرسائل «وفي اليوم التالي ذهبت إلى واشنطن حيث أكد لي كبار الموظفين الحكوميين بأنهم سيشرحوا للإنكليز بوجوب تسليح شعبنا في فلسطين بشكل جيد «مدفعية، دبابات، طيران»... وعلى ما يبدو بفضل تدخل «روزفلت» انتهى الحديث عن الأولويات لدى الإنكليز» «تلميح إلى إصرار المسؤولين في الإدارة الإنكليزية في فلسطين على أن السلاح يجب أن يوزع بالتساوي بين العرب واليهود ولم يستطع حتى «تشرشل» الجدل في قانونية هذا الطلب». ولكن الوجهاء الصهاينة في كل الدول كانوا فيما بينهم ينسقون «الضغط الذي لا يطاق على السياسة الدولية». وبالتالي إذا تباطأت لندن في أمر ما فإن واشنطن تبدأ على الفور بالتلميح. وأما إذا تباطأت واشنطن فإن الضغط يأتي من لندن.

ومع قدوم «وايزمان» إلى واشنطن كان الصهاينة هناك قد «زيتوا» الإله السياسية كما يجب وتأكد «وايزمان» على الفور أن كبار السياسيين هناك يعبرون عن «ود عميق نحو أهدافنا الصهيونية».

وكان الأمر سيئاً والصعوبات والعراقيل تأتي فقط من قبل الموظفين السياسيين المتخصصين في ذلك البلد سواء كان ذلك في واشنطن أو لندن: «ما إن نلتقي مع خبراء وزارة الخارجية حتى تبدأ الصعوبات» «وايزمان». وقد حاول أيضاً الأساتذة والمبشرون ورجال الأعمال الأمريكان في فلسطين تخليص السياسة الأمريكية من تلك الأهوال بكل قواهم.

وقد وصف «وايزمان» الموظف الأساسي المسؤول في واشنطن (كما وصف في حينه «تشرشل» اللورد «لويد»): «رئيس القسم الشرقي في وزارة الخارجية كان معادياً صريحاً للصهيونية ومواليا ومؤيداً للعرب».

في تلك الرحلة إلى أمريكا فهم «وايزمان» واستوعب بشكل جيد أن أفضل ضغط على لندن يمكن أن يأتي من واشنطن لذلك غادر لندن ليقيم فترة في أمريكا «بداية عام ١٩٤٤م/» وهناك حاول التخلص من العمل العلمي الذي ابتلع كل وقته في إنكلترا، الرئيس «روزفلت» اكتشف بأن أمريكا بحاجة ماسة للدكتور «وايزمان» للعمل حول موضوع المطاط الاصطناعي.

السفير الأمريكي في لندن «جون أوينانت» توقع المتاعب القادمة و «نصح جاداً» «وايزمان» فور وصوله إلى أمريكا «تكريس نفسه كليا للكيمياء». ولا شك بأن الألاعيب الصهيونية والنتائج المأساوية لتلك الألاعيب أقلقت السفير كثيراً لذلك سمح لنفسه بتلك العبارات ولكنه جنى على نفسه لأنها قضت عليه. فبعد حديثه مع «وايزمان» بفترة قصيرة قُتلَ السفير في ظروف مأساوية. «وايزمان» تذكر نصيحة السفير وكتب: «عملياً قمت بتقسيم وقتي مناصفة بين الصهيونية والعلوم». وقبل السفر قام «وايزمان» بزيارة «دوانينغ ستريت». لكي يودع سكرتير «تشرشل» على حد تعبيره. ولكننا لا نستغرب أنه خلال ذلك التقى مع رئيس الحكومة الذي قال ما يلي: «بعد انتهاء الحرب أود رؤية «ابن سعود» سيداً على الشرق الأوسط، ملكاً على الملوك ولكن بشرط أن يقوم بالاتفاق معكم... بالطبع نحن سنقوم بمساعدتكم في ذلك. ليبقى ذلك سراً. ولكن بإمكانكم إخبار وإطلاع «روزفلت» على ذلك لدى وصولكم إلى أمريكا. أنا وهو إذا قررنا عمل أمر ما فلا أحد يقدر على إيقافنا». «وقد نشر «وايزمان» هذا الحديث في كتابه ومن هناك اقتبسناه». وإذا توقع «تشرشل» بأن «وايزمان» سيساعده في أمر تنصيب على العرش «ملك للشرق الأوسط» فهو يكون قد أخطأ كثيراً لأن العرش كان مقرراً للصهيونية. «لا شك بأن الملك «ابن سعود» رفض بنفسه أي علاقة مع «وايزمان» مثلما

رفض السلطان عبد الحميد إقامة علاقة مع «هرتزل» - الترجمة-». ولدى لقائه مع «روزفلت» لم يُطلع «وايزمان» الرئيس على حديثه مع «تشرشل» وحدث الرئيس «كما زعم» فقط عن عمله العملي. ولكنه في أحاديثه مع الشخصيات البارزة طالب على الدوام «بأن ترسل أمريكا أكبر عدد ممكن من الطائرات والدبابات إلى تلك الجبهة». «أي إلى إفريقيا حيث تصبح بسهولة فيما بعد في أيدي الصهاينة في فلسطين». وأقام علاقات حميمة مع «هنري مورغنتاو» وهو من المقربين إلى الرئيس وفيما بعد وفي اللحظة الحاسمة قدم لـ «وايزمان» «مساعدة قيمة حاسمة».

ولكن حتى في أمريكا واجه «وايزمان» صعوبات: «السياسيون البارزون كانوا دائماً معنا ولم نلاق منهم أي صعوبات وغالبيتهم كانت تفهم جيداً أهدافنا ويمكن جمع تصريحاتهم عن التأييد للموطن اليهودي في عدة مجلدات.

ولكن وراء الكواليس ومن الموظفين الأقل مستوى كنا نقابل معارضة خفية عنيدة ماكرة.. كل المعلومات والأنباء القادمة من الشرق الأوسط إلى واشنطن كانت تعمل ضدنا.

ولكن الدكتور «وايزمان» وعلى مدى أربعين عاماً كان يعمل وراء الكواليس وأيضاً بخفة ومكر ولا يعرف التاريخ مثالاً آخر لمثل هذا النشاط.

في لقائه الثاني مع «روزفلت» نقل إليه رسالة «تشرشل» ولكنه حورها وزيفها تماماً وقال له بأن «تشرشل» أكد له لـ «وايزمان» بأنه مع انتهاء الحرب فإن وضعية الملاذ القومي ستتغير وسيُلغى الكتاب الأبيض لعام /١٩٣٩م/». وقدم ذلك على أنه «خطة تشرشل» على الرغم من أن «تشرشل» حدثه عن أمر آخر تماماً ومن الممتع أن «وايزمان» أهمل الفكرة الرئيسية في حديث «تشرشل» وهي تنصيب «ابن سعود» ملكاً على الشرق الأوسط..

ويقول «وايزمان» إن جواب «روزفلت» على خطة «تشرشل» (التي حرفها «وايزمان») كان إيجابياً إلى حد كبير. أي أن «روزفلت» وافق على تشكيل دولة عبرانية. وبعد ذلك- يضيف «وايزمان» بأن الرئيس نفسه ذكر «ابن سعود» ولاحظ بأنه «على وعي تام بأهمية القضية العربية». ويذكر «وايزمان» في مذكراته، أنه أخبر الرئيس «روزفلت» «بأننا لا نستطيع أن نبقي قضيتنا مربوطة بموافقة العرب».

وكان ذلك تماماً على عكس ما قصد «تشرشل» للاتفاق مع العرب وقد قصد «وايزمان» الحرب ضد العرب بمساعدة الأمريكان. بعد ذلك أعرب «روزفلت» لـ «وايزمان» «عن وده ودعمه وأعلن عن رغبته في حل تلك القضية». لا شك بأن سراً ما يوجد في تحفظ

وتماسك «روزفلت» حيال «الموضوع العربي» وهو كان يمكن أن يعطي نتائج جدية لولا موته «روزفلت» بعد سنتين ومباشرة بعد لقائه مع «ابن سعود».

ولكن لا تحفظ «روزفلت» ولا أفكاره الذاتية ولا كل ما أراد أن يقوم به، لم يكن لها أي وزن أو قيمة أو معنى في عام /١٩٤٣م/ لأن القرار كان قد أتخذ.

وسار السلاح إلى الصهاينة تحت غطاء الحرب العالمية وحدد ذلك سير أحداث في المستقبل. ولم يعد بإمكان أحد أي كان، أن يعيق الصهاينة من دفن قنبلة موقوته في فلسطين. في حزيران «يونيو» /١٩٤٣/ عاد «وايزمان» إلى لندن وهو لا يشك بأن الضغط من واشنطن أصبح مضموناً.

الفصل الأربعون

السيطرة على أمريكا

على مدى ست سنوات خلال الحرب العالمية الثانية حيث دول كاملة انتقلت من يد إلى أخرى وكل قوى الدول المتحاربة مشغولة بالحرب، كانت من وراء ظهورهم تجري معركة خفية ولكن نتائجها أكثر جدية من جميع العمليات الحربية. والحديث هنا يدور عن اقتحام سياسي للولايات المتحدة من قبل قوى جديدة اتضح انتصارها مع نهاية الحرب عندما أصبحت السياسة الأمريكية كلها موجهة إلى تأمين الانتصار لعاملين فقط وهما- الثورة في أوربة والصهيونية في الشرق الأوسط.

على المستوى التاريخي حقق «روزفلت» النجاح فقط في ثلاثة أحداث ولكن تلك الأحداث أصبحت فيما بعد قاتلة لدولته: لقد ساعد على تسليح الصهيونية وسلح الثورة العالمية وفتح أبواب أمريكا بأوسع ما يمكن لدخول عملاء موسكو.

وفور انتخابه رئيساً قام «روزفلت» بالاعتراف الدبلوماسي بالسوفييت. ووعد سفير الثورة «مكسيم ليتفينوف»، الرئيس «روزفلت» شفهياً بأن الحكومة الثورية لن تتدخل في شؤون أمريكا الداخلية. ولم ينصحه أحد من مستشاريه بأن الثعلب ما أن يحشر أنفه حتى يصبح كله داخل قن الدجاج.

بدأ «روزفلت» عمله بتدمير العقبات التي وضعها الكونغرس ضد الهجرة العشوائية بهدف الوقاية من خطر استيلاء المجموعات الغربية على جهاز الدولة ومؤسساتها. وبواسطة عدة قرارات رئاسية ضعفت الرقابة على الهجرة لدرجة كبيرة ومُنع على موظفي دائرة الهجرة طرح أسئلة على المهاجرين حول ارتباطاتهم الشيوعية وتم إلغاء تسجيل الأصل اليهودي في وثائق الهجرة. وقامت الصحافة الأمريكية بجملة واسعة ضد أي محاولة تفتيش وبحث في الميول السياسية للمهاجرين. ولم يعد معروفاً عدد المهاجرين الذين وصلوا إلى أمريكا في تلك الفترة. وقد قال السيناتور «بات كاران» رئيس اللجنة الحقوقية لمجلس النواب بأن عدد المهاجرين غير الشرعيين حتى عام /١٩٥٢م/ بلغ خمسة ملايين شخص من ضمنهم عدد

كبير من الشيوعيين النشطين وكذلك مجرمين من صقلية وغيرهم من الرعاع والحثالة من جميع أنحاء العالم.

وعندما وضع حد أدنى من الرقابة، أخذت دوائر الهجرة تقبض سنوياً على نصف مليون مهاجر غير شرعي على الحدود المكسيكية وحدها وترسلهم إلى هناك من حيث أتوا. ولكن سرعان ما منعت دوائر الضمان الاجتماعي من إعطاء أي معلومات عن المهاجرين إلى البوليس ودوائر الهجرة.

وبفضل موجات الهجرة الجديدة انتفخت صفوف الناخبين الحائرين المترددين والتي اعتمد عليها حزب «روزفلت» وسمحت الأجواء الجديدة التي سادت أمور الهجرة إلى فتح أبواب المؤسسات الحكومية والقوات المسلحة لدخول الشيوعيين النشطاء سواء كانوا من مواليد أمريكا أو من القادمين الجدد. ويؤكد على ذلك فضح الكثير من الجواسيس الشيوعيين.

بدء الهجرة الجماعية الجديدة إلى أمريكا كان السبب الأساسي في تسرب العناصر الغريبة إلى الحياة السياسية الأمريكية. وسار الأمر على ثلاثة اتجاهات وكان لها هدف احتلال ثلاثة مواقع مهمة في النشاط الحكومي وهي: السياسة الحكومية على أعلى مستوى لها.

والإدارة المدنية على المستوى المتوسط وكذلك الرأي العام أي معالجة الجمهور كأساس لكل هذه العملية.

ولقد أوضحنا سابقاً كيف جرت السيطرة على السياسة الحكومية في أعلى المستويات. وسنشرح الآن كيف جرى إخضاع الرأي العام عن طريق وسائل الأعلام وهو أمر أساسي ضمن نجاح الطورين الآخرين من احتلال السلطة في أمريكا.

أطلق «حاييم وايزمان» على هذا النوع من الصراع «تكنيك الدعاية والتوصل إلى الجمهور» ونحن فيما يلي سنحاول شرح ما تخفيه هذه الكلمات من معنى: في أحد الفصول السابقة أشرنا إلى أن المنظمة العبرانية الماسونية «Bnai Brith» أطلقت فرعاً في اتجاه محدد في الوقت المناسب «قبل أن تقوم بذلك كان يمكن تشبيهها بمنظمة «الشباب المسيحي Ymca» أو «فرسان كولومبوس» حيث الأهداف الرسمية هي مساعدة الفقراء والمرضى واليتامى والمحرومين وغيره من الأعمال الخيرية» وكان ذلك في عام /١٩١٣م/ وأطلق على الفرع اسم «عصبة ممانعة التشهير» «Adl» ومع قدوم عام /١٩٤٧م/ أصبح الفرع منظمة قوية جداً في حياة أمريكا تشبه من حيث الجوهر البوليس السري أجل لقد تمكنت الصهيونية عملياً من إنشاء بوليس خاص بها كان ينقصه فقط سجونه الخاصة وكذلك حق الاعتقال.

في التعابير المستخدمة من قبل الثورة العالمية وفي ممارساتها العملية تصبح عبارة «ممانعة التشهير» في واقع الأمر سلاحاً ضد الأعداء السياسيين. وأصبح التشهير هو الخبز اليومي لـ Adl، حيث أخذت تطعن وتشهر بأعداء الصهيونية وتصفهم بمعاداة السامية أو الفاشية أو صيادي الأشباح الحمر أو آكلة اليهود أو المخبولين والمجانين أو الرجعيين أو المتعصبين أو اليمينين المتطرفين وغير ذلك.. وتجدر الإشارة إلى أن قاموس التشهير الصهيوني هذا كان موجوداً على الدوام واستخدم في مهاجمة الكثيرين مثل «روبرسون» و «مورس» وغيرهم بعد الثورة الفرنسية.

وأصبحت الكلمات المذكورة أعلاه عبارة عن وشم ودمغة يحذرها ويخاف منها كل السياسين ورجال الأعمال والصحفيين والكتاب وغيرهم. واستعمال كلمات الوشم هذه جعل من المستحيل عملياً قيام أي نقاش جدي وهادئ في أي موضوع.

في عام /١٩١٣/ كانت Adl تتمركز في غرفة صغيرة في المحفل العبراني الماسوني «باناي بريت» وكانت ميزانيتها محدودة جداً. ولكن إليكم ما كتب عنها في عام /١٩٣٣م/ «برنارد براون» Bernard Brown في عمله. «From Pharoio To Hitler /1933/»

«بمساعدة Adl تمكنا إخراس وإغلاق أفواه المطبوعات غير اليهودية لدرجة لم يعد يوجد جريدة في أمريكا تتجرأ على ذكر الأصل اليهودي لأي شخصية سلبية»[1].

١- هذا الأمر لم يحدث في أمريكا فقط دراما (شكسبير) الكلاسيكية (تاجر البندقية) وبطلها الأساسي (شايلوك)، اختفت من المسارح مباشرة بعد الحرب العالمية الأولى. رواية (أوليفر تويست) لديكينز شُطبت من لوائح أدب الأطفال لأن المحتال فيمن وهو من أرسل الأطفال الى السرقة كان يهودياً. بعد الحرب العالمية الثانية صور في إنكلترا على أساس هذه الرواية فيلم فني وخلال عرضه في برلين الغربية قامت مجموعة من شباب اليهود المشاغبين بتكسير دار العرض ومند دلك الحين لم يسمع أحد بذلك الفيلم. رواية مارك توين (مغامرة غيكليري فين) سحبت من المكتبات في امريكا لأن Adl أعلنتها عنصرية. الممثل السينمائي الألماني المعروف (فرناد ماريان) وهو من لعب الدور الأول في فيلم (اليهودي زوس) قتل في حادث سيارة عام /١٩٤٥م/. وفي هذا المجال نشير أن الأوساط المعادية للصهيونية على ثقة تامة بأن الجنرال باتون قتل على يد Adl. الجنرال كان قائد القوات الأمريكيه في بافاريا عام /١٩٤٥م/ ووقف بحزم ضد عمليات الانتقام من الألمان وقتل عندما ضربت سيارة شحن فجأة سيارة الجنرال. في تموز (يوليو) /١٩٨٤م/ في كاليفورنيا فجرت قنبلة خارقة في بناية معهد التعليم التاريخي ولم تعط تحريات البوليس اي نتيجة. المعهد نشر مواد عديدة قال فيها أن ما زعم عن ستة ملايين ضحية يهودية في ألمانيا هو محض خيال. وأثبتت دراسات قام بها هذا المعهد بأن غرف الغاز لم تكن موجودة في معسكرات الاعتقال الألمانية وأن القوات السوفييتيه والأمريكية هي التي بنتها هناك بعد سقوط ألمانيا. وخصص المعهد /٥٠٠٠/ دولار جائزة لمن يثبت أمام المحكمة وجود جريمة قتل واحدة بالغاز في معسكرات الاعتقال الألمانية. ولكن أحداً ما لم يحضر.

وأما المجلة العبرانية «Menorah Journal» «مينورا جورنال /١٩٤٨/»: «إذا صادف أن احتوى أي عمل أدبي كلاسيكي عبارة غير حميدة عن اليهود فإن Adl ستهاجم الناشر المسكين الذي لا ذنب له وستستمر في ذلك حتى يُعدل ويُصحح ويحذف الكلمات غير المرغوبة، وإذا صور أي مخرج في فلم له أمراً ما اعتيادياً عن اليهود فإن Adl ستثير الضجة إلى درجة أن المخرج سيحاول نسيان وجود اليهود كلياً. ولكن عندما تقوم الدعاية الماهرة بحقن اليهود بالأفكار الشيوعية فإن Adl تلتزم الصمت فلا تحذير ولا دعوة للحذر ولا عتاب ولا فضائح، كل ذلك على الرغم من وجود أناس في مركز المنظمة يعرفون تماماً من تجربتهم الخاصة كيف يتسرب الشيوعيون بمهارة إلى المنظمات الأخرى».

«المجلة هنا تعرض رأي الكثير من اليهود المستائين من أن Adl تهاجم المعادين للشيوعية وكأنهم معادين للسامية».

كلمات المجلة المعروضة أعلاه توضح بشكل جيد عظمة وقوة نفوذ وتأثير Adl وكيف ازداد هذا النفوذ خلال /٣٥/ سنة فقط، بحيث أصبحت أي مناقشة عامة تجلب العقاب كما كانت قوانين محاربة الهرطقة في العصور الوسطى.

وأصبح أي نقد للصهيونية أو الحكومة العالمية يلاقي رد فعل قوي سلبي في الصحافة الأمريكية. ويسمح بنقد الشيوعية فقط إذا كان هذا النقد يوحي بأنه من الأفضل عدم التعرض لها. وبقي في كل أمريكا بضعة كتاب يدافعون عن حرية الكلمة وعن النقاش الحر وهم على استعداد للنقاش والجدل حول أي موضوع يثير اهتمام الرأي العام ولكن موضوع الصهيونية لا أحد منهم يتجرأ على فتح فمه فيه.

وقد حاول المؤلف بحث الموضوع مع بعض الكتاب البارزين ولكن جواب الجميع كان: الأفضل عدم التطرق إلى ذلك. لأن الكاتب إذا كان موظفاً فسيطرد على الفور وإن كان كاتباً مستقلاً حراً فلن يجد بعد ذلك ناشراً يوافق على العمل معه لأن جميع النقاد سيتبرؤون منه. وتجدر الإشارة إلى أن ميزانية Adl بلغت في عام /١٩٤٨م/ ثلاثة ملايين دولار.

وتتعرض مجلة «مينورا» العبرانية إلى موضوع «هستيريا التشهير» وتقول: لقد تطور موضوع مكافحة معاداة السامية وأصبح عملاً تجارياً كبيراً له ميزانية سنوية ضخمة. «والهدف من ذلك قرع طبول معاداة السامية على الدوام لإخافة المتبرعين».

وأبسط ما في ذلك هو الابتزاز المفضوح والمفتوح للتجار ورجال الأعمال اليهود: إن لم تقدر على دفع /١٠٠٠٠/ دولار لأجل قضيتنا فالأفضل لك المغادرة إلى مكان آخر للعمل. وتضيف المجلة إن الحماة المزيفين ليهود أمريكا دفعوا بهم إلى حالة الهستريا الجماعية. وتسمح

هذه المجلة لنفسها بالنقد اللاذع بهذه السهولة فقط لأنها مجلة يهودية خاصة باليهود وفي المطبوعات اليهودية يسمح بالنقاش والنقد إلى حد كبير لأنها تتوزع فقط على قراء معينين من اليهود.

وتوضح مجلة «مينورا» كذلك كيف يتم تزوير الحقائق والأنباء في الصحف: إذا حدثت خناقة عادية بين الفتيان في مانهاتن «فإن ذلك ينشر على الصفحة الأولى بعنوان مخيف وبشكل يجعل القارئ البسيط يتذكر «البغروم» أيام القياصرة الروس». ومن ثم وبواسطة هذه المقالات يتم تنظيم مظاهرات احتجاج في ميدسون بارك في نيويورك. وذات مرة حضر إحدى هذه المظاهرات مرشح الرئاسة «ويندل ويلك» ولم يخجل من القول: «لقد هزتني معاداة السامية المتزايدة في بلادنا».

والطريقة المذكورة تثير الهستريا ليس فقط وسط اليهود ووسط السياسيين المتملقين لهم بل وحتى في وسط الناس الليبراليين النزهاء حيث دوافع غضبهم النبيل يمكن أن توصلهم إلى اتهام الذات. ومثال ساطع على ذلك الراحل «جورج أوريل». الذي كان إنساناً نزيهاً وليس فقط لأنه دعا الآخرين إلى مساعدة المضطهدين ومكافحة الظلم بل لأنه نفسه ذهب ليحارب في الحرب الأهلية الأسبانية «بالطبع إلى جانب الجمهوريين» وهناك شاهد بأم عينه بأن الشيوعية أسوأ بكثير من الشر الذي حاربه هناك.

مات «أوريل» قبل أن يتمكن من زيارة فلسطين حيث كان بإمكانه مشاهدة الجوهر الحقيقي للأمور، لذلك فإن كل ما كتبه عن «معاداة السامية» كان فقط عبارة عن صدى «لهستريا ممانعة التشهير» السائدة. إنه مثال مميز لدرجة يستحق معها التعليق المفصل: هنا نرى أنه إنسان نزيه يكرر كلمات غيره وهو على ثقة بأنها من بنات أفكاره.

قام «آرويل» بالبحث في «معاداة السامية في إنكلترا» «١٩٤٥م» ووجد «ملامح معاداة السامية واضحة لدى تشوسير»[1] أما من الكتاب المعاصرون لنا «بيلوك» و «تشسترتون» فكانا على حد قوله «من الأدباء أكلة اليهود».

وعثر أيضاً على مقاطع لدى «شكسبير» و «سمولت» و «برناردشو» و «ايلون والدوس هاكسلي» «والتي لو كُتبت الآن لكانت وُشمت ودُمغت كمعاداة للسامية». «وبنفسه ومن دون

١- جيفري تشوسير /1340-1400/ Ceoffrey Chaucer / شاعر إنكليزي عظيم من القرون الوسطى كتب في (أحاديث كانتربير) عن طقوس ذبح الأطفال المسيحيين لدى اليهود وهو أمر كان معروفاً جداً في ذلك العصر وأثبت بالوقائع عدة مرات ومنها ذبح الصبي هوغو Hugh في عام /١٢٠٠م/ في مدينة لينكولني خلال طقوس دينية يهودية وأعلنته الكنيسة قديساً لما قاساه من عذاب.

أن يشعر بذلك قال «أوريل» الحقيقة الدامغة: لو كُتبت الآن فلا شك بأنها ستوشم بمعاداة السامية». ولكن الحظ لم يحالفه في الخطأ الغبي التالي: (بشكل عام باستطاعتي تسمية فقط كاتبين إنكليزيين، دافعا عن اليهود قبل قدوم «هتلر» وهما- «ديكينز» و «تشارلز ريد») وهكذا منح «أوريل» لقب المدافع عن اليهود لشخص اتهمته Adl بأنه من «أكلة اليهود»: بسبب الصورة والشكل غير المحترم للنصاب اليهودي «نيفين» في فيلم «اولفر تويست» جرى منع هذا الفيلم من العرض في أمريكا بناء على طلب Adl حيث كتب ممثلها «ارنولد فورستر» يقول: «امتنعت شركات العرض من إنزال الفيلم إلى دور العرض السينمائية بعد أن أبدت Adl تخوفها من أن الفيلم يمكن أن يسبب الضرر. وأجبر ذلك شركة Rank Organistotion إلى سحب الفيلم من العرض في أمريكا».

ولكن بعد /٧٢/ عملية حذف وقص من الفيلم قامت بها رقابة Adl سُمح بعرض الفيلم بعد أن أُضيف إليه مقدمة ذكرت بأن الفيلم صور على أساس قصة «ديكينز» ولكن من دون الموافقة على ميوله «المعادية للسامية». وكان «أوريل» محقاً في توقعاته فقد مُنع عرض مسرحية تاجر البندقية لـ «شكسبير» في نيويورك وأما «ديكينز» و «تشوسير» فقد أضيفا إلى القائمة السوداء.

ولا شك بأن منظمة تمكنت من التوصل إلى مثل هذه النتائج هي على أعلى درجات النفوذ والقوة. ولم يسمع العالم بأمر من هذا القبيل أبداً.

لقد كتب المؤلف «وينسينت شيان» Vincent Sheean في عام /١٩٤٩/: «في أمريكا لم نعد نسمع أصواتاً تتجرأ على قول شيء ما للدفاع عن حقوق العرب، أي حق من حقوقهم. إن أي نقد للقيادة الصهيونية يوشم ويدمغ على الفور بأنه «معاداة للسامية».

وكذلك حاولت الصحفية «دورتي تومبسون» المعروفة والتي كانت تقاريرها وصورها تزين صفحات الجرائد اليومية الكثيرة، أن تحتج أيضاً على هذا المنوال لمصلحة العرب وكانت النتيجة أن شعبية «شيان» وسط النقاد قد هبطت بشكل سريع ومخيف. وأما صور وتقارير دورتي فقد اختفت من الجرائد.

كيف وصلنا إلى حياة كهذه؟ أي وسائل أدت بأمريكا «وبالغرب» إلى هذه الحالة التي لم يعد فيها أي سياسي يحلم بارتقاء منصب ما وأي ناشر أو رجل أعمال يكون مطمئناً على عمله ألا إذا وقع عهد طاعة لصهيون؟

لماذا يتسابق الزعماء والرؤساء على كسب رضا الصهيونية؟ ولا شك بأن للمال سلطة عظيمة وبأن الركض وراء أصوات الناخبين يلعب دوراً غير قليل، ولكن برأي المؤلف أن

السلاح العظيم الذي لا يقاوم في أيدي الصهاينة وهو سيطرتهم الكاملة على وسائل الإعلام. وبفضل ذلك يمكنهم أن يروجوا لأي شيء يهمهم وعلى العكس أن يمنعوا أو يعتموا على كل ما لا يسرهم وعملياً فإن ذلك يُعد رقابة تامة على المجتمع. أو كما قال الدكتور «وايزمان» «تكنيك الدعاية والتوصل إلى الجمهور» وتقف وراء هذه العبارة مقدرة آسيوية قديمة خفية كتب عنها القديس متى في إنجيله: «كبار الكهنة والوجهاء أقنعوا الحشد... كبار الكهنة حفزوا الشعب ودفعوه...».

وعلى مدى أربعين عاماً من تأسيسها /١٩١٣/ قامت منظمة Adl بإيصال تكنيك «إقناع» الجماهير إلى الكمال التام.

إنها- طريقة لغسل الأدمغة لا تشعر بها الجماهير ولكنها تعطي إمكانات هائلة لخنق أي أصوات معارضة. أحد أوائل الضحايا كان رئيس لجنة الكونغرس الأمريكي لمراقبة النشاط التخريبي ضد الدولة «ما يدعى بلجنة مراقبة النشاط المعادي لأمريكا».

جاء في «البروتوكولات» إنه لن يسمح للدول القومية ملاحقة النشاط المعادي للحكومة كجرم جنائي. وهذه النبوءة لحكماء نجهلهم تحققت أيضاً.

أول رئيس لتلك اللجنة المدعو «مارتن دايسن» أخبر موظفيه بأن التفتيش السري طالب أن يحدد معنى النشاط التخريبي ويشار إليه فقط في حالة «الفاشية» ومساواتها بمعاداة السامية. «دايس» رفض الخضوع لهذا الأمر مما سبب قيام حملة ضارية عليه أدت إلى نهاية مستقبله السياسي.

في نهاية الحرب قررت Adl بالاشتراك مع اللجنة اليهودية الأمريكية «إطلاع الجمهور الأمريكي على مخاطر معاداة السامية» وأخبرت المنظمتان يهود أمريكا بأنه من كل مئة أمريكي يوجد /٢٥/ منهم مرضى بمرض معاداة السامية وكذلك خمسون واحداً منهم على استعداد لتقبل ذلك المرض.

مع عام /١٩٤٥م/ تم تنظيم «حملة تربية حامية تشمل كل الرجال والنساء والأطفال في أمريكا وبمساعدة الصحافة والراديو والإعلان وكتب الأطفال والكتب المدرسية والمحاضرات وأفلام السينما وبدعم من الكنيسة والنقابات، وتضمن البرنامج «/٢١٩/ برنامج إذاعي يومي» وإعلانات دعائية على صفحة كاملة في /٣٩٧/ جريدة وإعلانات حائط في /١٣٠/ مدينة وكذلك الدعاية على علب الكبريت وظروف الرسائل. وقامت الصحف الأمريكية «/١٩٠٠/ جريدة يومية مجموع نسخها ٤٣٠٠٠٠٠٠/ نسخة» نشرت بشكل دوري «أخبار، مقالات، كاريكاتير...» بالإضافة إلى ذلك أرسلت Adl إلى المكتبات والمؤسسات

الأخرى /٢٣٠/ ألف كتاب تدعو إلى آرائنا. وزودت Adl الكثير من المؤلفين بالمواد وبالموضوعات ليكتبوا عنها». وأرسلت ستة ملايين نشرة» محضرة بشكل دقيق لتناسب ذوق ومستوى كل من أرسلت إليه. المربون المزيفون لأمريكا وجدوا أن «صفحة الفكاهة» هي الأنجح والأفضل في عملية غسل أدمغة الشباب والجنود والبحارة والطيارين، وأخذوا يرسلون ملايين النسخ منها. على الرغم من كل ذلك ظل الرأي العام الأمريكي يجهل تقريباً اسم المنظمة التي قامت بكل هذه الأعمال الدعائية الهائلة.

ابتداء من عام /١٩٤٠/ غطى نظام ما يدعى «بالمراسلين المتحدين» Syrdicated Columnists في نيويورك وواشنطن كل دور الطباعة والنشر والصحف وغيرها.

وكانت مقالة يكتبها مؤلف واحد تطبع كل يوم في أعمدة الآلاف من الصحف. هذا النظام جذب الكثير من الناشرين لقلة تكاليفه حيث لم تعد هناك حاجة لدفع الأموال إلى الكثير من المؤلفين. وبفضل بضع عشرات من الصحفيين الذين تم اختيارهم بدقة تامة -حصلوا على مرتبات عالية جداً» أصبح من الممكن صبغ كل تيار المعلومات بلون واحد أصفر «هذه الطريقة آشارت إليها «البروتوكولات» منذ زمن بعيد».

وظهر جيل كامل محروم من المعلومات الحقيقية ومن إمكان التقدير الحيادي لطبيعة الصهيونية وعلاقتها المبدئية مع الشيوعية، وعن تسرب العناصر القريبة إلى جميع المؤسسات المدنية،وعن خضوع الإداريين القياديين التام وعن العلاقة المباشرة لكل ذلك مع الخطة السرية لتكوين الحكومة العالمية الخارقة.

في البداية واجهت هذه الرقابة الخفية معارضه قوية ولكن على مدى جيلين تم تدريجياً القضاء الكامل عليها. لقد سرد المؤلف كيف جرى ذلك في إنكلترا باستخدام طرق مختلفة منها شراء الصحف أو التصفية الجسدية أو حملات المحاربة وغيرها ولكن الدور الأساسي كان للضغط المنظم الدائم الذي يتم دعمه بالتهديدات وأبسطها هو الامتناع عن نشر الإعلانات في الجريدة المذكورة وهو أمر يساوي بالنسبة لها الإفلاس والإغلاق والإعلان يتم نشره هناك ليس عن طريق طلب من قبل صاحب الإعلان مباشرة بل هناك وكالات متخصصة لتوزيع الإعلانات يتم ذلك عبرها وهي جميعها تقع في أيدي اليهود.

ويكون جيش كامل من «المراسلين المتحدين» على استعداد للهجوم الفوري وبأمر من المركز على أي مؤلف أو صحفي أو كاتب أو مراسل أو معلق إذاعي أصبح غير مرغوب فيه. وقد أضاع الكثير منهم عمله بسبب ذلك. ونورد مثالاً على ذلك:

في عام /١٩٥٠/ جريدة Chicogo Trbune «شيكاغو تريبيون» نشرت مقالة لموظف بارز في وزارة الخارجية الأمريكية قال فيها إن الولايات المتحدة تسيرها حكومة خفية مؤلفة من ثلاثة أشخاص من المحيط الضيق للرئيس الراحل «روزفلت» وهم «هنري مورغينتاو» و «فيليكس فرانكفورتر» «عضو المحكمة العليا». «هربرت ليمان». ولم ترد في المقالة كلمة «يهودي» والمقالة بحد ذاتها عرضت رأي موظف حكومي رفيع المستوى في موضوع اعتبر أمراً حكومياً على درجة عالية من الأهمية. وأثارت المقالة ضجة وقلقاً كبيرين في الأوساط الصهيونية واليهودية في كل أنحاء العالم.

وحملت Adl على جريدة «شيكاغو تريبيون» من كل الجهات مطالبة بالتنصل من المقالة والاعتذار ولكن الجريدة لم تخضع لذلك وكانت فعلاً آخر الفرسان في زمن الخصيان. وألصقت Adl تهمة «معادٍ للسامية» على مؤلف المقالة.

الأمثلة الواردة أعلاه كلها لا يمكن أن تبين بالفعل كم هي عظيمة سلطة هذه المنظمة المتواجدة في كل مكان، والمؤلف نفسه لم يصدق ذلك لو لم يشاهد بأم عينه بأن هذه المجموعة الخفية تقدر أن تعمل أي شيء تقريباً «وبشكل خفي» في أجهزة الدولة ومؤسساتها التي يجب أن تكون في الواقع تحت حكم الرئيس والكونغرس.

إن فروع وشعب المنظمة- إنما هي مراكز لشبكة واسعة من الموظفين والعملاء، وأما جهازها فهو على درجة عالية من الفعالية يستطيع معها منافسة جهاز Nkvd في روسيا[1] و «الغستابو» في ألمانيا النازية. وتأكد المؤلف من ذلك بتجربته الخاصة.

في عام /١٩٤٩/ كان المؤلف شخصية غير معروفة على مجال واسع، ولما قدم إلى أمريكا لم يكن معروفاً هناك لا هو ولا الكتب التي ألفها. ولكن منذ لحظة وصوله إلى أمريكا قامت Adl بمراقبته مثلما يراقب الصقر العصافير وعند ذلك تأكد المؤلف من قدرتها على مراقبة الجميع.

وجرى أن صديقاً للمؤلف عرّفه على صديق له الذي بدوره دعا المؤلف إلى الغداء وهناك تواجد شخص ثالث قدمه صاحب الدعوة على أنه قريب له. وأتضح أن القريب هو شخصية مدهشة. وفقط بعد مرور سنة على اللقاء عرف المؤلف بأن «القريب» كان في الحقيقة رئيس فرع نيويورك لـ Adl وأن حفلة الغداء واللقاء بحد ذاته تم بناء على طلبه، وفهم المؤلف بأنهم بهذه الطريقة يحصلون على معلومات «للدوسيه الشخصي» «أخباره الشخصية» وكذلك لتحضير مواد الذم والشتم المقبل.

١- وزارة الأمن الداخلي في روسيا خلال حكم (ستالين) -المترجم.

وفي عام /١٩٥٦م/ أصدرت Adl كتاباً كاملاً تحت عنوان «ضد التيار» وقدمته «ككتاب حول استخدام معاداة السامية كسلاح سياسي». وامتلأ الكتاب بذم وشتم «أعداء السامية» واحتوى على مقاطع كثيرة من الرسائل الشخصية والمكالمات والأحاديث الخاصة لأشخاص محددين.

وقد ذكر مقدم الكتاب بأن «المؤلفين لا يقدرون على فضح السر وإعلان مصادر معلوماتهم... وأن التكتم على هذه المصادر- هو نقطة الضعف الأساسية في الكتاب والتي تبدو واضحة من خلال سرد الأحاديث والمكالمات الخاصة». ولم يرد حديث المؤلف مع «القريب» في الكتاب المذكور ولا شك بأن السبب مثير وممتع.

قبيل انتهاء الغداء سأل القريب فجأة مستفسراً من المؤلف كم هي برأيه قوية معاداة السامية في أمريكا؟.

أجاب المؤلف بأنه وبعد أن طاف في ثمانٍ وأربعين ولاية أمريكية وقابل الآلاف من الناس هناك لم يسمع أبداً من أحد كلمة «يهودي». بعد اللقاء مع «القريب» تابعت Adl مراقبة المؤلف وكانت على علم بالكتاب الذي يستعد لنشره.

وعرف المؤلف أن «القريب» سأل أحد الناشرين المعروفين هل سيقوم بنشر الكتاب فأجاب الرجل بالنفي.

وبعد ثلاث سنوات وبعد نشر الكتاب في إنكلترا، قامت مجلة هوليودية تابعة لجمعية «الليغيون» الأمريكي بنشر مقاطع من الكتاب «نحو صفحتين».

اشتكت Adl الأمر إلى قائد «الليغيون» وطالبته بالتنصل والاعتذار عما نشرت المجلة. فقام الرجل بدوره بتحويل Adl إلى رئيس التحرير.

وأكد رئيس التحرير أن المقاطع المذكور من الكتاب لا تحتوي على شيء غير صحيح على الرغم من أنهم أعلنوها معادية للسامية. ورفض نشر أي اعتذار إلا إذا أثبتوا له بالوقائع عدم صحة ما جاء فيها. ولكن إدارة الجمعية خضعت للتهديدات ونشرت اعتذاراً استقال على أثره رئيس التحرير، وقد قامت الجمعية بذلك لخوفها من مقاطعة اليهود للملاعب التي تمتلكها. ولكن ذلك لم يساعد الجمعية وقاطعت شركة Abc التلفزيونية الجمعية ولم تعد تعرض أي مباريات تجري في ملاعبها وأعلنت بأنها ستعرض برامج منافسي الجمعية.

في عام /١٩٥١/ عند الزيارة الثانية للمؤلف إلى أمريكا قام أحد أصدقائه بمحاولة لنشر مقالة للمؤلف في إحدى الصحف ولكنه فوجئ حينما أجابه رئيس التحرير بأن نشر أي شيء يصدر عن قلم المؤلف هو (محظور ومحرم Verboten) وعندما طلب

صديق المؤلف نشر مقالة من دون الإشارة إلى اسم الكاتب أجابوه بأن ذلك لن يساعد في شيء لأنه «وبلا شك يوجد في هيئة تحريرنا أحد عملاء Adl» ومعروفة الحالات التي اضطرت فيها Adl إلى الاعتراف بأنها استخدمت بنفسها «معاداة السامية» مزينة لأغراض خاصة بها.

في الولايات المتحدة بعد الحرب ظهر فجأة كاتب كتب ضد معاداة السامية وهو أرمني الأصل اسمه «افيتيس بوغوص ديرونيان» وقد كتب تحت اسم مستعار هو «جون روي كارلسون». وقد نشر ذات مرة خلال الحرب كتاباً هاجم فيه أكثر من /٧٠٠/ شخصية مختلفة مما سبب له عدة شكاوى قضائية بسبب الكذب والتشهير. وحكم عليه القاضي بغرامات مالية وقال بعد إحدى المحاكمات: «هذا الكتاب ألفه شخص عديم المسؤولية تماماً، مستعد لأجل المال أن يؤكد أي شيء كان. وأنا لست مستعداً أبداً تصديق أي شيء يقوله سواء أقسم على ذلك أم لا. والكتاب طبعه ناشر كان مستعداً من أجل المال طباعة أي شيء».

في تشرين الثاني «نوفمبر» عام /١٩٥٢م/ قام المراسل الأمريكي المعروف «راي بروك» بفضح «كارلسون» في مقابلة إذاعية وكشف بأنه وزع في الماضي «منشورات خبيثة معادية للسامية» تحت عنوان حامي المسيحية.

وبما أن الواقعة هذه كانت معروفة جيداً لم يعد أمام «كارلسون» إلا الاعتراف بأنه فعل ذلك برضا Adl وقام المذيع بالاتصال ب Adl فأكدت الأمر «لم تقدر Adl على نكران ذلك لأنها في عام /١٩٤٧/ اعترفت لجريدة «شيكاغو تريبيون» بأن «كارلسون» كان يعمل لديها منذ عام /١٩٣٩/ وحتى /١٩٤١م/ أنها كانت مسرورة جداً من عمله.

شبكة العنكبوت التي في وسطها Adl انتشرت في الدول الانكلو ساكسونية الأخرى ولم يعد بإمكان أي كان أن يسير على طريق آخر.

في آذار «مارس» عام /١٩٥٢/ في باريس ذكرت صحيفة «Truth» بأن الكونغرس اليهودي الكندي «Canadianjwish Congress» طلب من أحد مخازن بيع الكتب الكندية سحب كتاب المؤلف من البيع. وخلال زيارته لكندا تأكد المؤلف أن جميع تجار الكتب قد تعرضوا لذلك وأن الكثير منهم خضع للأمر.

في الوقت نفسه كتبت مجلة صهيونية في جنوب إفريقيا: (ما دامت المجموعات العرقية غير محمية من قبل القانون فلا يجوز لأي محل لبيع الكتب أن يعلن بأنه يبيع كتباً من نوع بعض كتب «دوغلاس ريد»). ولدى زيارته إلى جنوب إفريقيا شاهد المؤلف أن الوضع هناك بالنسبة لكتبه لا يختلف عن الوضع في كندا.

«الحماية العرقية» التي تحدثت عنها المجلة الصهيونية تم التعرض إليها في وثيقة مكافحة التمييز للأمم المتحدة التي أملتها الصهيونية والتي ينص أحد بنودها على ضرورة الملاحقة الجنائية لأي أقوال يمكن أن تسبب «أذى روحياً» لأي كان. وفي حال تطبيق هذا البند فإن الرقابة السياسية لـ Adl ستصبح دائمة وتشمل العالم[1].

المؤلف لم يزر أستراليا بعد ولكنه على ثقة بأن محال بيع الكتب هناك أيضاً تخضع للرقابة الخفية كما هو الأمر في كندا وجنوب إفريقيا. ويشير إلى ذلك أن سيناتوراً أسترالياً لا يعرف المؤلف ولا المؤلف يعرفهُ، قام بمهاجمة «معاداة السامية» لمنظمة زعم بأنها على علاقة حميمة مع المؤلف «لم يسمع المؤلف أبداً بهذه المنظمة».

ونشرت الصحف الأسترالية الخبر التشهيري هذا على الرغم من كذبه ولكنها رفضت نشر اعتراض المؤلف. وتلقى المؤلف الكثير من الرسائل من قرائه وتقول بأن المسؤول الأول لمكتبة تورنتو، قام بإلصاق عبارة تحذير على الغلاف الخارجي لكتاب المؤلف.

وهكذا نرى بأنه ظهر بواسطة هذه الطرق المذكورة حاجز لا يخترق، وفصل بين القراء من الجمهور وبين الأنباء المهمة لهم. ووقع القارئ العادي أسيراً في نفس السجن الفكري والعقائدي الذي وقع فيه من قبل السياسيون البارزون.

وبقي موقع واحد حر غير محتل وهو يقع بين السياسيين البارزين المنبطحين والحشد المخدوع إنها الطبقة التي اشتكى منها كثيراً الدكتور «وايزمان». طبقة موظفي الدولة المتوسطة المؤلفة من أناس محترفين آخصائيين في أعمالهم لا يمكن استبدالهم بسهولة، من هناك كانت المقاومة العنيدة للصهيونية منذ البداية. وكان من المستحيل ابتزاز هؤلاء أو شراء ضمير الموظف أو العسكري أو آخصائي الأمور الخارجية والذي لا يشترك بأي انتخابات ولا يرتبط بها وبنتائجها.

---

1 وثيقة مكافحة التمييز. اقرتها الأمم المتحدة في عام /١٩٨٤م/ وهي من تاليف محامٍ امريكي من أصل يهودي بولندي هو رافائيل ليمكين. وهي لا تشمل جرائم القتل السياسي الجماعية ولكنها تدعو إلى ملاحقة قانونية لأي فعل يسبب ضرراً روحياً أو جسدياً (لأبناء المجموعات العرقية) المختلفة. رفض الكونغرس الأمريكي التصديق عليها خلال /٣٧/ سنة وكانت حجة المعارضين ان الوثيقة لا تلاحق جرائم المذابح الدينية أو الاجتماعية من قبل الشيوعيين ولا ذبح العرب من قبل إسرائيل. في السويد صدق البرلمان على الوثيقة وبناء عليها جرت محاكمة المؤرخ د. فيلديرير وحكم عليه وأدخل مشفى الأمراض العقلية بسبب فضحه (الأسطورة عن ستة ملايين يهودي) زعم بأنهم قتلوا في غرف الغاز في الحرب العالمية الثانية وبسبب (يوميات آنا فرانك). ولم تشكك المحكمة بمحتويات كتب فيلديرير ولكنها ذكرت بأن الكتب المذكورة يمكن ان تسبب ألماً وضرراً روحياً لليهود.

الموظف المحترف الذي يشعر نفسه بالاستقلال عليه خدمة الشعب والدولة فقط وكذلك يشعر العسكري المحترف وبالفطرة بأن الأمة والواجب هما أمر واحد، ولا يفهم لماذا عليه من خلال العمليات العسكرية خدمة أهداف أخرى خفية غريبة عن دولته.

من الصعب إجبار أخصائي في مجال من المجالات على أن يجعل خبرته ومعارفه تتطابق مع أذواق السياسيين الحزبيين، وهو أمر يشابه صعوبة إجبار معلم محترف يحترم نفسه، على صنع ساعة تسير عقاربها بالعكس.

وعملياً كان فقط الاستيلاء الكامل والتام على السلطة الحكومية حيث حق الفصل والإقالة ونزع الرتب والاعتقال والملاحقة الجنائية هو الذي يمكنه تحطيم مقاومة الموظفين المذكورين والأخصائيين وغيرهم ممن يجدون في الأهداف الصهيونية أموراً تتعارض مع واجبهم الوظيفي. وحسب رأي المؤلف أن Adl تسير في ذلك الاتجاه وتجهز الأرضية اللازمة لذلك.

ومن الواضح أن قيادة هذه المنظمة تعي جيداً بأن أفضل فترة لتحقيق أهدافها هي الطور الأخير من حرب كبيرة والفترة الأولى اللاحقة مثل هذه الحرب.

في بداية الحرب تقوم الحشود التي دفعت إليها بالتقاتل من أجل أهداف نبيلة أوحي بها. وبعد انتهاء الحرب تتوضح الأمور إلى حد ما ويبدأ الناس بطرح الأسئلة ومنها: من أجل ماذا حاربوا وما هي النتيجة الحقيقية لكل ما جرى. وإذا كانت الأهداف الحقيقية الخفية لكل الألاعيب المتسترة لم تتحقق حتى ذلك الوقت فإن اللحظة تكون مناسبة لتحقيق ذلك.

في الحرب الأولى تحققت الأهداف الخفية الحقيقية لها في فترة ما بين /١٩١٦-١٩٢٢م/ «ليس في فترة /١٩١٤-١٩١٨م/» وأما الحرب الثانية فقد تحققت أهدافها الحقيقية الخفية في الفترة ما بين /١٩٤٢-١٩٤٨م/ «وليس في فترة /١٩٣٩- ١٩٤٥م/»

ولو حكم لنا مشاهدة بداية الحرب الثالثة ولنفترض بأنها ستكون في عام /١٩٦٥م/ وستستمر حتى /١٩٧٠م/ وسيكون هدفها المعلن «محاربة الشيوعية» وتحطيمها.

فإن القفزة الأخيرة لتحقيق أهداف الصهيونية وخلق دولة فوق أممية ستحدث الغموض والاهتزاز السياسي الأكبر لكل العقول. ولنقل في فترة /١٩٦٨-١٩٧٤م/[1]. وجرت محاولة أخرى للسيطرة النهائية على الإدارة المدنية للولايات المتحدة في عام /١٩٤٣م/ في رابع سنة للحرب، وانفضحت عن طريق المصادفة في عام /١٩٤٧م/ عندما أخذ ضباب فترة الحرب وما بعد الحرب ينقشع.

١- الحرب حدثت على شكل حروب إقليمية كبيرة وتحققت القفزة الصهيونية النوعية في حرب ١٩٦٧ في حزيران -المترجم

وهدفت المحاولة إلى خلق حاجز على شكل لائحة سوداء افترائية هدفت إلى منع دخول الوطنيين المناقضين للصهيونية الدخول إلى جهاز الدولة وفتحت الباب إلى هناك أمام عملاء المؤامرة المعادية لأمريكا. وكبرت اللائحة وأصبحت قوائم شملت تقريباً كل المواطنين الأمريكيين غير المرغوب فيهم. وتسربت هذه اللوائح الافترائية إلى جميع دوائر شؤون الموظفين في جميع أجهزة ومؤسسات الولايات المتحدة.

وفي تلك الفترة وصف «مارتن دايس» «أشرنا إليه سابقاً» منظمة Adl بأنها «منظمة إرهابية تستخدم كل الوسائل المتوفرة لديها ليس لحماية السمعة الطيبة لليهود بل لإجبار غير اليهود قسراً على الخضوع لأهدافها وبواسطة طرق إرهابية. إنها عصبة تشهير وتجني على الناس». «على الرغم من ذلك أرسل تحية إلى المؤتمر السنوي لـ Adl أدرج فيها خدمات المنظمة في مجال «تذكير شعبنا بأن المبادئ الدينية النبيلة يجب أن تبقى في مجالات الحياة الاجتماعية».

وتأكدت أقوال «دايس» تماماً بعد الفضائح التي كشفتها «اللجنة الفرعية للتحقيق في الإدارة المدنية» والتي شكلتها لجنة الميزانية في مجلس النواب الأمريكي خصيصاً لذلك.

واجتمعت تلك اللجنة ثلاثة أيام في /٣و٦و٧/ تشرين الأول «أكتوبر» عام /١٩٤٧م/. برئاسة عضو الكونغرس «كلير غوفمان». وجرت التحقيقات بناء على طلب من مجموعة شخصيات خاصة وحاولت الدوائر الرسمية الحكومية أقصى جهدها تفشيل أعمال اللجنة.

ويعود تشكيل اللجنة إلى أن موظفاً حكومياً مجهولاً قام بإطلاع الكثير من أعضاء الكونغرس على وجود اللوائح السوداء، ولم يكن للتحقيق أن يحدث لولا وجود أسماء هؤلاء النواب في القوائم. وكانت الذريعة للبدء في التحقيقات هي أن الأموال العامة صُرفت ليس كما هو مقرر لها. ومن هنا كان التدخل الشكلي للجنة الميزانية في الكونغرس.

وبينت نتيجة التحقيق أن مديرية الإدارة المدنية أدرجت اسم نحو مئة نائب من مجلسي الشيوخ والنواب «وفي الكثير من الأحوال مع زوجاتهم» في قوائمها السرية واتهمتهم «بالنازية».

واستطاع النواب الحصول على صور طبق الأصل للبطاقات الخاصة بهم لدى الدوائر المدنية وهي تحمل إشارة إلى أن المعلومات التي تدينهم أخذت من قوائم لشركة محاماة حقوقية يهودية خاصة.

وأشارت الملاحظات كذلك بأن تلك القوائم وضعت بالتعاون مع اللجنة الأمريكية اليهودية وعصبة ممانعة التشهير، وأن مصادر المعلومات المذكورة لا يمكن الكشف عنها

مهما كانت الأسباب. ولكن في حال الحاجة إلى معلومات أخرى يمكن الحصول عليها من... «جاء بعد ذلك اسم شركة المحاماة اليهودية».

وعن طريق القضاء استدعت اللجنة الموظف المسؤول عن مديرية الإدارة المدنية للولايات المتحدة، والذي كان ضمن مسؤولياته التفتيش والبحث في أوضاع المرشحين لشغل وظائف في الإدارات المدنية.

وقال الرجل المذكور إن القوائم التي يدور الحديث عنها هي في غاية السرية لدرجة أنه هو نفسه لم يكن يعلم أي شيء عن وجودها حتى لحظة استدعائه إلى اللجنة. وأنه كان يعرف فقط القوائم العادية للمديرية والتي تحتوي على أسماء الأشخاص الممنوعين من العمل في الإدارات المدنية والأسباب الرسمية الداعية إلى ذلك.

وتبين فيما بعد أن القوائم السرية تحتوي على /٧٥٠٠٠٠/ بطاقة، وأنها جُهزت في فرع نيويورك للمديرية «على الرغم من أن الإدارة العامة للمديرية تقع في واشنطن» وأن صوراً عن تلك البطاقات أرسلت إلى جميع فروع المديرية في كل أنحاء الولايات المتحدة.

وأخبر الموظف المسؤول اللجنة أيضاً بأنه لا يملك الحق بتسليم هذه القوائم السرية وأن هذا الحق يملكه فقط ثلاثة من المديرين المسؤولين المفوضين في الإدارة المدنية».

واستدعت اللجنة الثلاثة المذكورين وهم السادة «ميتشل» و «مليمنغ» والآنسة «بيركينس» ولكنهم رفضوا تسليم القوائم المذكورة استناداً إلى قرار من الرئيس يمنع ذلك «الجداول وضعت في عهد «روزفلت» ولكن «ترومان» هو الذي أصدر قرار المنع المذكور».

عند ذلك قال رئيس اللجنة الفرعية «غوفمان»: «أول مرة أسمع بوجود «الغستابو» في بلادنا» ولم يحتج الموظفون الثلاثة على هذا الكلام. وطرح «غوفمان» عليهم سؤالاً وهو: هل احتوت القوائم عل أسماء من المواطنين الذين لم يقدموا بعد طلب توظيف إلى الإدارة المدنية وأجاب السيد «ميتشل» إيجاباً. وكان هذا الأمر يعني أن مجال تأثير عمل القوائم لم يكن له حدود. وقال «غوفمان»: «أي بكلمات أخرى الأمر لا يتعلق بمن يقدم طلبات للعمل؟» فأجاب «ميتشل» مرة أخرى إيجابياً. عند ذلك قال «غوفمان»: «إذا أنتم تملكون الحق بإدخال الجميع إلى قوائمكم». وكان صمت الثلاثة دليلاً على صحة كلامه.

أكدت تحقيقات اللجنة بأنه في فترة حزيران «يونيو» - تموز «يوليو» /١٩٤٢م/ أضيف إلى القوائم السوداء السرية /٤٨٧٠٣٣/ شخص. وحاول المسؤولون الثلاثة وبكافة قواهم تجنب إثارة موضوع اشترك Adl في هذه القضية. وامتنعوا عن الإجابة على الأسئلة في هذا الخصوص.

وبين التقرير الرسمي حول التحقيقات في موضوع الإدارة المدنية أن Adl تملك إمكانات تامة في تزويد بطاقات المؤسسات الحكومية الأمريكية بمعلومات تدين الآلاف من الناس ومن السهل أن تتحول عند الحاجة إلى ملفات بوليسية تشمل كل السكان.

إنها محاولة واضحة لبسط النفوذ على جهاز الإدارة المدنية وتحويل أداء الواجب المنظيف الوظيفي باتجاه الدولة إلى ولاء لجهات مشبوهة يؤدي الإخلال به إلى الفصل من العمل أو حتى عدم التمكن من الحصول على ذلك العمل أساساً.

ولم تصدر أي تعهدات أو ضمانات بإزالة هذه الاختراقات الواضحة للقانون والدستور وبمعاقبة المسؤولين عن ذلك. ولهذا يمكن تشبيه هذه التحقيقات بعمل طبيب جراح شق بطن المريض وشاهد أوراماً خبيثة بالقرب من عضو حساس في جسم المريض، وبعد ذلك أعلن بصوت عالٍ بأنهم لم يسمحوا له استئصال الورم وقام بتخييط الشق في جسم المريض.

في عام /١٩٥١و١٩٥٢م/ قامت وحدات عسكرية فجأة باحتلال مدن صغيرة تحت علم الأمم المتحدة وباسمها، وكذلك باسم «القيادة العسكرية». احتل الجنود أقسام البوليس ومراكز الإدارة المحلية ومحطات الهاتف واعتُقل المسؤولون في إدارة المدن والموظفون وعدد من السكان العاديين. وكانت هذه المسرحيات تشبه التجربة والتدريب العملي. لما يمكن أن يحدث مع العالم في حال حاولت «رابطة فرض السلام» مد يدها نحو السيطرة العالمية. وعند سؤاله قال كولونيل من البنتاغون بأن هذه القضية «ذات قيمة محلية سياسية لا تخضع لسلطة العسكريين» وأشار ذلك إلى آن المبادرة كانت تعود إلى الرئيس والحكومة ووزارة الخارجية ولكن الجهات الثلاث التزمت الصمت التام حيال هذا الموضوع.

الفصل الواحد والأربعون

الثورة تنتشر

الحرب العالمية الثانية اتبعت الخطة (الموجودة في «البرتوكولات») بشكل أقرب بكثير من الحرب الأولى. وحشود البشر المتحاربة فيما بينها ألحقت ببعضها بعضاً الدمار والموت وليس من أجل نفسها بل لضمان النجاح التالي لخطة استعباد البشرية الخفية وتحت سلطة «الحكومة الأممية» المستبدة.

أهداف الحرب المعلنة في بدايتها «الحرية وتحطيم العسكريتاريا والنازية والفاشية والدكتاتورية المستبدة... الخ..» لم تتحقق بل على العكس اتسعت المساحة التي كان يسيطر عليها الاستبداد الكلي.

«لينين» كتب في حينه: (الحرب العالمية «١٩١٤-١٩١٨م» ستؤدي إلى تثبيت الشيوعية في روسيا أما الحرب التالية فستمد سيطرة الشيوعية على كل أوربة. الحرب العالمية الثالثة ستكون لازمة لانتصار الشيوعية في كل العالم).

وأكدت الأحداث صحة هذه الأقوال بعد الحرب العالمية الثانية حيث مدت الثورة حدودها إلى وسط أوربة وأصبحت فعلياً مسيطرة على أوربة عسكريا.

في عام /١٩٥٦/ قال الجنرال الأمريكي «غريونتر» قائد قوات الحلفاء في حديث مع جريدة ألمانية غربية: «إذا وصل الأمر إلى الحرب البرية فإننا لسنا على قدر كافٍ من القوة لكي نحافظ على خط الجبهة في أوربة».

ومع قدوم عام /١٩٥٦م/ اعتادت شعوب أوربة على سماع قادتها يوميا وأحاديثهم عن حتمية الحرب مع «روسيا». والسبب في ذلك كان سلسلة متواصلة من الأحداث السابقة. الحرب الثالثة أصبحت حتمية بسبب النتائج التي أفرزتها الحرب الثانية. والسبب الذي أدى إلى ذلك هو أن السياسة الحكومية والعمليات العسكرية للدول الغربية ثم تحويلها نحو هدف تحطيم الدول القومية ونحو العبودية والاستعباد وقد أصبح من الممكن تنفيذ هذه الأهداف الخفية بفضل ما ذكرناه في الفصل السابق.

إن قوة وخيرات أمريكا هي التي حددت نتيجة الحرب الثانية ولكنها استخدمت بشكل أصبح معه خطر الحرب الثالثة دائماً.

وقد بين تاريخ الاشتراك الأمريكي في الحرب الثانية قوة «المجموعة الغريبة» التي استولت على السلطة في واشنطن وأعطت واقعية معاصرة للحديث الوداعي لجورج واشنطن الذي قال في وقته: «ضد غدر ومكر التأثير الغريب استحلفكم أن تصدقوني يا أبناء شعبي، بأن الناس الأحرار يجب أن يحافظوا على حذرهم لأن التاريخ والتجربة تبين بأن التأثير الغريب عدو مميت للإدارة الجمهورية».

هذا القول كان في عام /١٧٩٦م/ عندما كشف نظام الإرهاب في فرنسا الطابع الحقيقي للثورة، وفي ذلك الوقت كشف عن عملاء هذه المؤامرة في أمريكا لأول مرة.

أثبتت المواد التاريخية المنشورة عن الحرب العالمية الثانية بأن المؤامرة العالمية تمكنت من السيطرة على السلطة والإدارة في السياسة الحكومية الأمريكية وأخذت توجه سير العمليات العسكرية واستطاعت استخدام السلاح والاقتصاد والمال كما ارتأت.

كان عملاء المؤامرة كثيرين وبتخطيط دقيق تسربوا إلى جهاز الدولة واحتلوا المناصب الرئيسة فيه، ولكن يمكن الافتراض أن الكثيرين ممن دعموا المؤامرة من السياسيين لم يفطنوا إلى ما ستؤدي إليه أفعالهم. يوجد الكثير من التشابه بين دخول أمريكا الحرب في عام /١٨٩٨م/ وعام /١٩٤١م/ وفي الحالتين استخدم الاستفزاز بهدف تحريض الجمهور والرعاع مما يسهل «إقناع الكونغرس والرأي العام». في عام /١٨٩٨م/ انفجرت السفينة الحربية الأمريكية «ميين» بلغم بحري أسباني في ميناء هافانا، وبعد ذلك أعلنت أمريكا الحرب على آسبانيا. ولكن بعد مرور سنين عديدة رُفعت السفينة من قاع البحر وأتضح أنها فجرت من الداخل.

في عام /١٩٤١م/ حصلت الغارات اليابانية على «بيرل هاربور» وأعلن الرئيس «روزفلت» أن هذه الغارة المفاجئة وضعت البلاد في «حالة الحرب».

ولكن تبين فيما بعد أن الحكومة في واشنطن كانت على علم بالغارة قبل وقوعها بفترة طويلة ولكنها لم تخبر القوات المدافعة عن «بيرل هاربور» بذلك. وفي الحالتين لم تثر هذه الفضائح أي هزة في الرأي العام الذي بقي خاملاً وفي حالة لا مبالاة تامة.

في فترة الحرب الأولى تم انتخاب الرئيس «ويلسون» مرة أخرى بعد أن وعد في حملته الانتخابية بأن أمريكا لن تتدخل في الحرب الأوربية. ولكن ما إن أصبح رئيساً حتى أعلن للبلاد بأن «حالة الحرب عملياً أصبحت واقعاً».

و «روزفلت» أيضا أُعيد انتخابه في الحرب العالمية الثانية بعد أن وعد بأن أبناء الأمريكيين لن يحاربوا في أي حرب غريبة. وقال في حملته الانتخابية: «نحن لن نرسل جيشنا وأسطولنا أو قواتنا الجوية إلى بلاد غريبة خارج حدود أمريكا للحرب إلا إذا هاجمنا أحد».

الكلمات الست الأخيرة أضافها السيناتور «جيمس بيرنس» صاحب العلاقة الحميمة مع «باروخ» إلى درجة من الصعب القول لمن منهما كانت تعود الفكرة.

وأتضح معنى الكلمات الأخيرة الست في /٧/ كانون الأول «ديسمبر» /١٩٤١/ في يوم الهجوم الياباني على «بيرل هاربور». قبل اثني عشر يوما من ذلك كتب وزير الحربية الأمريكي «هنري ستيمسون» بعد اجتماع الحكومة في /٢٥/ تشرين الثاني «نوفمبر» /١٩٤١/ في مذاكرته: «دار الكلام كله حول ما يجب علينا فعله لكي نُجبر اليابان على إطلاق الرصاصة الأولى. وفي الوقت نفسه لا نعرض أنفسنا لخطر كبير. إن ذلك سيكون مهمة صعبة». وقبل ذلك في /٢٧/ كانون الثاني «يناير» عام /١٩٤١/ أرسل السفير الأمريكي في طوكيو إلى حكومته يخبرها بأن اليابان ستهاجم «بيرل هاربور» في حال ظهور أي خلاف مع أمريكا. بالإضافة إلى ذلك قام الجاسوس السوفييتي «ريخارد زورغي» بإخبار الحكومة السوفييتية في تشرين الأول «أكتوبر» /١٩٤١م/ بأن «اليابان قررت مهاجمة «بيرل هاربور» خلال الستين يوماً القادمة على أبعد حد». وأرسلت الحكومة السوفييتية خبراً بذلك إلى «روزفلت». «اعترافات «زورغي» نشرتها جريدة «نيويورك ديلي نيوز» في /١٧/ أيار «مايو» /١٩٥١/».

وفي /٢٦/ تشرين الثاني «نوفمبر» /١٩٤١م/ أرسلت الولايات المتحدة عملياً إنذاراً إلى اليابان، وبدءاً من أيلول «سبتمبر» وحتى لحظة الهجوم الياباني قامت الاستخبارات الأمريكية بالتقاط كل المراسلات اليابانية الحربية والتي أشارت إلى الهجوم القادم على «بيرل هاربور» ولكن أحداً لم يقم بإعلام القيادة الأمريكية المحلية هناك.

وفي الأول من كانون الأول «ديسمبر» عام /١٩٤١م/ أرسل رئيس قسم الاستخبارات العسكرية في الشرق الأقصى إخبارية إلى قائد الأسطول الأمريكي في المحيط الهادي جاء فيها: «في القريب العاجل ستبدأ الحرب بين اليابان والولايات المتحدة». ولكن القيادة العليا لم تسمح بوصولها إلى قائد الأسطول.

في الخامس من كانون الأول «ديسمبر» عام /١٩٤١/ قام العقيد «سادتيلر» من خدمة الاتصالات العسكرية وعلى أساس معلومات تلقاها، بإرسال برقية إلى القيادة:

(ستقوم الحرب مع اليابان على الفور يجب نفي أي إمكان لتكرار «بورت ارتور») «إشارة إلى الهجوم الياباني على ميناء «بور ارتور» في الحرب الروسية- اليابانية». ولكن هذه البرقية لم تصل.

وكان جواب اليابان على الإنذار الأمريكي معادلاً لإعلان الحرب ووصل إلى واشنطن في /٦/ كانون الأول «ديسمبر» /١٩٤١م/ ولكن لم يتم إعلام القيادة في «بيرل هاربور» عن ذلك.

وفي /٧/ كانون الأول «ديسمبر» أرسلت أخيراً إخبارية إلى «بيرل هاربور» وجاء فيها: «اليوم أرسلت اليابان لنا رسالة تعادل الإنذار.. عليكم الاستنفار وإعلان حالة الاستعداد بين القوات».

ولكن القيادة المحلية في «بيرل هاربور» تلقت هذه الإخبارية بعد ست ساعات من الهجوم الياباني.

وبينت الوثائق المنشورة بعد الحرب، أن القاعدة الأمريكية في جزر الهاواي هي الوحيدة التي تركت من دون أي معلومات عن الهجوم المحتم، وكانت النتيجة غرق وتدمير سفينتين حربيتين وسفينتين لزرع الألغام والكثير من السفن الأخرى تضررت وكذلك دمرت /١٧٧/ طائرة حربية وقتل وجرح وفقد /٤٥٧٥/ شخص. بعد ذلك أصيب الأسطول البريطاني بكارثة قرب شواطئ الملاوي حيث فقد خلالها طرادين حربيين هما «امير ويلز» «Prince Of Wales» و «رينون» «Renown» مع خسائر بشرية كبيرة.

إن القيادة المتأهبة لتوريط بلادها في حرب مشبوهة عن طريق تسهيل الهجوم المعادي عليها لا يمكن اعتبارها تحارب من أجل المصالح الوطنية لشعبها، وحتى الآن تجهل غالبية الأمريكيين الحقيقة عن «بيرل هاربور» على الرغم من تشكيل ثماني لجان لبحث موضوع «بيرل هاربور»، سبع منها خلال الحرب وواحدة في الكونغرس بعد الحرب. وجرت كل التحقيقات في الجو المطلوب من السرية العسكرية، ولذلك لم تكن علنية وكاملة وتمت جميعها تحت رقابة حزب الرئيس الذي حكم في أيام «بيرل هاربور» مما سبب التعتيم على وقائع تلك الأيام، ولم يستدعَ وزير الحربية إلى التحقيق بحجة المرض، وجهدت الصحافة «المقيدة» على تصوير الأمور بشكل غامض صعب الفهم. ولكن ثلاثة من قادة سلاح البحرية المتواجد في مكان الكارثة حين ذاك آصدروا كتاباً صور بالكامل كل ما جرى. وذكر قائد أسطول المحيط الهادي الأمريكي حين ذاك الادميرال «كيميل» بأن «خطة الرئيس تقصدت عدم إرسال أي تحذير أو لفت انتباه إلى جزر الهاواي».

إنه «لا يجوز أبداً تبرير عمل القيادة في واشنطن التي لم تحذر قواتنا في «بيرل هاربور» عن خطر الهجوم. ولم يُطلع أحد القيادة في «بيرل هاربور» على رسالة الإنذار الأمريكية التي سُلمت إلى السفير الياباني في /٢٦/ تشرين الثاني «نوفمبر» /١٩٤١م/ وهي عملياً أبعدت أي إمكان لاستئناف المباحثات وجعلت الحرب في المحيط الهادي حتمية لا مفر منها. ولم يرسل أحد إلى قائد القوات والأسطول في منطقة جزر الهاواي حتى ولو تلميحاً عن البرقيات اليابانية المهمة التي استولت عليها استخباراتنا وفسرتها وأعلمت القيادة في واشنطن عليها في السادس والسابع من كانون الأول «ديسمبر» عام /١٩٤١م/».

وقد كتب الادميرال «هسلي» Hasley وهو أحد القادة الثلاثة المذكورين أعلاه: «معطيات استخباراتنا أشارت إلى احتمال الهجوم الياباني على الفليبين والمناطق الجنوبية أو على الهند الهولندية ولم تستبعد «بيرل هاربور»، وعلى الرغم من ذلك كان كل ما أخبرنا به هو إشارة إلى مواقع أخرى محتملة للهجوم الياباني. ولو كنا نعرف أن اليابان ركزت جهودها على جمع معلومات دقيقة عن تمركز قواتنا وقطعاتنا البحرية في «بيرل هاربور» (جاء ذلك في معلومات استولت عليها الاستخبارات» فإننا بلا شك كنا سنستعد كما يجب لصد الضربة على «بيرل هاربور»).

وأما الادميرال «تيوبالد» قائد مجموعة سفن في «بيرل هاربور» فقد كتب في عام /١٩٤٥م/: (إن التذرع بالسرية التي زعم بضرورتها خلال بحث السياسة الحكومية، إذا كان الحديث يدور حول عدم تكرار ما حدث مستقبلاً، هو في غير محله في هذه الحالة لأنه في عصرنا النووي من غير المعقول تسهيل هجوم العدو المفاجئ بهدف تسريع بداية الحرب).

(الادميرال على ما يبدو يأمل في استحالة وعدم معقولية تكرار ما حدث). ومن ثم يضيف: (أن الأمر الواضح في القصة الحقيقية لـ «بيرل هاربور» هو الإخفاء المتعمد المقصود والمتكرر للمعلومات عن الادميرال «كيميل» والجنرال «شورت») (قيادة «بيرل هاربور» البحرية والعسكرية وقد أصبحت فيما بعد كبش الفداء في كارثة «بيرل هاربور»).

وحقيقة لم يعرف التاريخ مثالاً لا تقوم فيه القيادة العامة بإعلام واطلاع القادة المحليين بأن بلادهم ستدخل الحرب بعد ساعات وأن المعلومات كلها تشير إلى أن القوات تلك ستكون الهدف الأول المحتمل لهجوم العدو مباشرة بعد شروق الشمس.

ويسرد الادميرال «تيوبالد» أقوال الادميرال «ستارك» «رئيس أركان القوات البحرية في واشنطن» «وهو من أخفى عن «كيميل» الحرب اليابانية المعلنة فعلياً» بأن

كل أفعاله جرت بناء على أوامر من القيادة العليا. (وهو أمر يشير إلى الرئيس «روزفلت» فقط. وأكثر ما قام به غرابة في تلك الفترة هو إخفاء المعلومات العسكرية عن «الادميرال كيميل»).

وأجبر الادميرال «كيميل» والجنرال «شورت» على تقديم الاستقالة للتستر على المذنبين الحقيقيين عن كارثة «بيرل هاربور»، وكان ذلك طريقاً جديداً فتح أمام الكثيرين من قادة الجيش والأسطول الذين انهال عليهم أمر غير معهود في الخدمة العسكرية في تاريخ بلادهم، وحكم عليهم تذوق طعم الاستقالة أو الإبعاد إلى الظل إذا ما حاولوا التوصل إلى النصر بأفضل الوسائل العسكرية أو تجرؤوا على نقد الخطط الاستراتيجية القادمة من الأعلى، والتي قللت بشكل واضح وقلصت فرص النجاح والنصر، وأُجبرَ هؤلاء القادة على إخضاع عملياتهم العسكرية لخطة ما عليا جهلوا محتواها ولكن من الواضح لهم أنها لم تملك أي علاقة بالنصر لمصلحة بلادهم.

ما هو محتوى هذه الخطة العليا والتي حتم على القوة العسكرية الأمريكية خدمتها منذ البداية بدءاً من «بيرل هاربور» وحتى «يالطا» وما بعدها؟

إنها كلمات «لينين» عن «انتشار الثورة» وفقط من منظار هذه الخطة تصبح واضحة ومفهومة الأحداث التي تلت دخول الولايات المتحدة إلى الحرب.

لقد صادف دخول أمريكا إلى الحرب الأولى، قيام الثورة في روسيا وعرض «المستشار» «هاوز» في ذلك الحين على الرئيس «ويلسون» «تقديم الدعم المالي والصناعي والأخلاقي المعنوي وبكافة الوسائل للديموقراطية الروسية الجديدة».

في الحرب الثانية انقض «هتلر» على شريكه في عملية اقتسام بولندا وحدث ذلك مباشرة بعد إعادة انتخاب «روزفلت». وقبل «بيرل هاربور» وضعت أمريكا نفسها كلياً في حالة حرب فعلية لأن الدعم «المالي والصناعي والمعنوي للديموقراطية الجديدة في موسكو عن طريق «ليند- ليزا» كان يجري على نطاق لم يُعرف له مثيل من قبل ووضعت إمكانات الغرب في خدمة الدولة الشيوعية الثورية».

تضمنَ الدعم الذي ذكره «هاوز»، الدعم المالي للثورة الروسية وهذا النوع من الدعم يكون من الصعب جداً «في العادة» معرفة مقاديره.

لقد ذكر الكثير من الكتب هذا الدعم القادم من البيوت المالية والبنوك في «وول ستريت» ولكن لا يمكن تأكيد ذلك وثائقياً لأن مثل هذه العمليات تجري بسرية.

ولكن رسائل «لينين» تحتوي على الكثير من التعليمات إلى ممثلته في استوكهولم المدعوة «انغيليكا بالبانوفا»: «اصرفوا الملايين، عشرات الملايين إذا كان ذلك ضرورياً. لدينا كمية كافية من المال»[1].

ولا يوجد أي شك بأن البلاشفة حصلوا على دعم مالي من ألمانيا. وقد احتوت الوثائق العائدة لوزارة الخارجية الألمانية، والتي استولت عليها قوات الحلفاء في عام /١٩٤٥م/، على إخبارية إلى الإمبراطور «ويليهام» جاء فيها: «فقط بعد استلام البلاشفة كميات ضخمة من المال من طرفنا وعن طرق مختلفة، تمكنوا الوقوف على الأقدام ورفع لسان حزبهم جريدة «البرافدا» والقيام بحملة دعائية ضخمة وبالتالي توسيع قاعدة حزبهم». وأضاف: «ومن الواضح أنه من مصلحتنا الاستفادة من الوقت الذي سيبقون فيه في السلطة وهي مدة على الأرجح ليست

١- تمويل الثورة الروسية في فترة الحرب العالمية الأولى وما قبلها جرى عبر ثلاث قنوات:

أ) في أمريكا لعب الدور الأساسي في تمويل الأعمال الثورية في روسيا البيت المصرفي العبراني كون ليب وشركاوه برئاسة ياكوف شيف، وقد قام هذا البنك بتمويل اليابان خلال الحرب الروسية اليابانية في فترة /١٩٠٤-١٩٠٦م/ ومول ثورة /١٩٠٥/ في روسيا عبر تروتسكي وايزرائيل غيلفاند (وهو أيضاً الكسندر بارفوس). وتحت ضغوط ياكوف شيف قامت الولايات المتحدة بإلغاء الاتفاق التجاري (١٩١٢م) لعام /١٨٣٢/ بين روسيا وأمريكا وكانت الحجة في ذلك هو أن الحكومة الروسية تسيء معاملة المهاجرين اليهود الحاملين لجوازات سفر أمريكية والعائدين إلى روسيا بهدف النشاط الثوري وقد صرف ياكوف شيف نحو /٢٠/ مليون دولار لتمويل الثورة والإعداد لها.

ب) في ألمانيا صرفت الدولة هناك الأموال للإعداد للثورة في روسيا وبشكل خاص عن طريق بارفوس الذي قام بالاتصال بالسفير الألماني في الدانمارك الماسوني المعروف الكونت بروكدورف- رانتساو وقام بالتمويل بنك ماكس فاربورغ (شقيق فاربورغ في نيويورك) في هامبورغ وكان مجموع ما دفع للبلاشفة من ألمانيا عشرة ملايين دولار.

ج) في انكلترا قاد الإعداد للثورة الروسية أحد وزراء حكومة (لويد جورج) وهو المصرفي المعروف والماسوني الشهير (اللورد ميلنر) (Milner) وعن طريق السفير البريطاني في روسيا السير (جورج بيوكنين) وبعد هزيمة تركيا وألمانيا في الحرب واضطرار إنكلترا للاعتراف بحقوق روسيا على ممر البسفور قامت لندن بالتعجيل في الثورة الروسية التي كانت ستحرر لندن من التزاماتها أمام حليفتها. وكان مجموع ما صرفته إنكلترا لتمويل الثورة في روسيا نحو /٢١/ مليون روبل ذهبي وهو ما يعادل عشرة ملايين دولار.

إذن الثورة في روسيا مولها أعداء روسيا وحلفاؤها ومن كان على الحياد في الحرب الأولى (أمريكا) ومن الصعب تصور التنسيق في كل ذلك من دون وجود قوة ما تقف فوق الدول كما شرح ذلك بإسهاب الكتاب الحالي

طويلة». وعلى طرف ورقة الإخبارية هذه كانت توجد جملة ملاحظة لم يعرف كاتبها تقول: «لا يمكن أبداً الحديث عن دعم البلاشفة في المستقبل».

نفس وثائق وزارة الخارجية الألمانية احتوت على إخبارية من السفير الألماني في كوبنهاغن في عام /١٩١٥م/ حول نشاط «خبير في الشؤون الروسية» المدعو «إيزرائيل لازاروفتش غيلفاند» «يحمل اسم «ألكسندر» أيضاً» ساعد في تنظيم المؤامرة البلشفية.

(الدكتور «بارفوس» «اسم مستعار لغيلفاند» دعم المنظمة البلشفية بالأموال اللازمة لتغطية النفقات... وحتى الناس العاملون في المنظمة يجهلون أن دولتنا تقف وراء ذلك). وحسب تقدير «بارفوس» كان تنظيم الثورة بشكل كامل يحتاج إلى نحو /٢٠/ مليون روبل.

ومع الوثائق عُثر على إيصال قبض واستلام من «غيلفاند» (استلمت من السفارة الألمانية في كوبنهاغن في /٢٩/ كانون الأول «ديسمبر» عام /١٩١٥م/ فقط مليون روبل بالعملة الروسية لدعم الحركة الثورية في روسيا. توقيع «غيلفاند»). «مجلة الجمعية الملكية للشؤون الخارجية. لندن نيسان «ابريل» /١٩٥٦م/». في الحرب الثانية لم تعد هناك حاجة أو داع لمثل هذه السرية في دعم الثورة.

في حزيران «يونيو» عام /١٩٤٢م/ خطب المستشار «غاري غوبكينس» (شخصية مقربة ومفوضة في محيط الرئيس «روزفلت») في حشد كبير في نيويورك وكان كلامه موجهاً إلى الحكومة السوفييتية رسمياً: «قررنا بقوة، بأنه لن يعيقنا أي شيء في تقاسم ما نملك معكم». وطابق ذلك بالفعل أوامر الرئيس إلى المؤسسات العسكرية في السابع من آذار «مارس» /١٩٤٢م/ والتي نصت على أن المساعدات العسكرية يجب أن تتوجه بالدرجة الأولى إلى الاتحاد السوفييتي وحتى قبل الدول الحليفة الأخرى بل وحتى قبل القوات الأمريكية المسلحة.

ويذكر رئيس البعثة الأمريكية في روسيا أيام الحرب الجنرال ر. وين في كتابه عام /١٩٤٧م/ بأنه حاول أقصى جهده إيقاف هذا السيل من الأسلحة والعتاد المنهمر على روسيا ولاحظ بأن أمر «روزفلت» هذا «كان بداية لسياسة التنازلات لروسيا جلبت لنا الضرر الكثير والذي لا تزال آثاره واضحة حتى الآن».

إن استخدام الجنرال لكلمة «تنازلات» لا تتطابق مع الواقع والحقيقة لأن الحديث هنا يدور عن أمر أوسع بكثير وهو دعم مقصود لتقوية القدرات العسكرية والصناعية للدولة الشيوعية الثورية بعد الحرب وتشهد كل المعلومات على أن «روزفلت» قصدَ تقديم دعم للحكومة الثورية أكبر بكثير مما قدم إلى الحلفاء الآخرين. وواضح أيضاً دعم «روزفلت» لاحتلال الروس لبولندا.

وعملياً أهملت المثل العليا التي جذبوا الشعوب الغربية بواسطتها إلى الحرب وظهرت في مكانها في الواقع خطط انتشار الثورة وتدمير الدول الوطنية القومية وخلق الدولة الأممية «بدأ مؤلف الكتاب الحديث عن ذلك في مقالاته في عام /١٩٤٢م/ وأدى الأمر إلى لفظه وطرده من مجال الصحافة بعد أن كان صحفياً مشهوراً عالي المرتب والأجر».

وكان على سياسة دعم الحكومة الثورية في عام /١٩٤١م/ أن تجلب في أثرها عواقب جدية ذات ضرر أكبر من عام /١٩١٧م/. ففي البداية أدت المعونة الأمريكية وغيرها إلى تثبيت الشيوعية في روسيا فقط ولكن في عام /١٩٤١/ اختلف الوضع تماماً فلقد كانت الشيوعية ثابتة تماماً وأدت المساعدة إلى توسيع وانتشار الثورة تماماً، كما قال «لينين» في وقته. وفعلاً انتشرت الشيوعية على مساحة واسعة وتم الاستعداد للحرب القادمة. وكانت قيمة ما قدمته أمريكا للحكومة الشيوعية الثورية تفوق فعلاً أي تصور بشري.

لقد ربح «روزفلت» انتخابات عام /١٩٣٢م/ تحت شعار «محاربة التضخم» ولكنه خلال حكم /١٢/ سنة أهدر من الأموال العامة أكثر من كل الرؤساء الأمريكيين السابقين له. وبلغت قيمة المساعدات «الروزفلتيه» تسعة مليارات وخمسمئة مليون دولار.

هذا السيل من الأموال العامة أرسلها الرجل الثاني من حيث النفوذ في الولايات المتحدة وهو «غاري غويكنيس» وقد لعب هذا الرجل في حقيقة الأمر دور الملك المطلق في عملية توزيع السلاح والمساعدات العسكرية، وهو نفس الدور الذي لعبه في عام /١٩١٧م/ «برنارد باروخ» وهذا الأخير كان صاحب فكرة إنشاء مؤسسة الصناعات الحربية العظيمة النفوذ. War Industeries Board التي قامت على أنقاض «اللجنة الاستشارية» التابعة «لمجلس الدفاع» في الحكومة وتعيين مدير واحد لها كامل السلطة والنفوذ.

أما قصة تعيين «غوبكينس» في منصب مماثل في الحرب الثانية فهي مثيرة جداً لأنها تفسر قوة الدائرة المحيطة بالرئيس وطرق عملها خلال الحربين العالميتين.

في عام /١٩١٩م/ عين الكونغرس لجنة تحقيق برئاسة «وليام غارام» وخرجت اللجنة باستنتاج بأن «اللجنة الاستشارية» والتي تحولت في عام /١٩١٨م/ إلى مؤسسة الصناعات الحربية كانت «تعمل كحكومة خفية للولايات المتحدة... لجنة من سبعة أشخاص عينها الرئيس فوضعت نظاماً كاملاً للمشتريات الحربية ونظمت الرقابة على المطبوعات ووضعت مراقبة على تزويد السكان بالمواد الغذائية... أي أنها وضعت المقررات الحربية التي أقرها الكونغرس فيما بعد كقوانين. وجرى ذلك كله خلف أبواب مغلقة وقبل أسابيع بل وقبل أشهر من إعلان الكونغرس الحرب على ألمانيا... وعملياً فإن جميع قوانين فترة الحرب كانت تقرر في هذه اللجنة أولاً».

واعترف «باروخ» لدى إجابته على أسئلة لجنة الكونغرس حول موضوع «الإدارة الوحيدة» لفترة الحرب وقال إنها من ابتداعه وأضاف: «كان القرار النهائي يعود لي في موضوع ما الذي سيقدم... وإلى أين ستذهب المواد والعتاد إلى الجيش أم إلى الأسطول أو سكك الحديد... أو إلى الحلفاء وهل سيحصل الجنرال «اللنبي» على قطارات أم أنها سترسل إلى روسيا أو إلى فرنسا... كان لدي سلطة أكثر من أي شخص كان».

ولا شك بأن كلمات «تشرشل» إلى «باروخ» في عام /١٩٣٩م/ كتبت تحت تأثير الحرب الأولى: «الحرب تقترب... أنتم هناك في بلادكم ستقودون الحرب».

وعندما نُقل الرئيس «ويلسون» من أوربة إلى أمريكا في عام /١٩١٩م/ وهو في حالة صحية سيئة لا تسمح له بالعمل «أصبح «باروخ» واحداً من أعضاء اللجنة التي اتخذت القرارات في وقت مرض الرئيس». «روزن بلوم». وقد سُميت هذه المجموعة «مجلس الوصاية» «لا أكثر ولا أقل».

وعندما حاول الرجل الثاني رسمياً بعد الرئيس المريض «وزير الخارجية» الدعوة إلى اجتماع مجلس الوزراء قام الرئيس بإقالته.

وفيما بعد قطع الرئيس المريض علاقاته مع الكثير من أتباعه وأنصاره بما فيهم «هاوز» نفسه ولكنه بقي حتى النهاية مرتبطاً مع «باروخ».

خلال الحرب العالمية الثانية سار الرئيس «روزفلت» على درب «ويلسون» وشكل «مجلس الدفاع» ومعه «لجنة استشارية» «١٩٤٠م»

وأما في عام /١٩٤٢/ فأعاد تنظيمها وسميت مؤسسة الإنتاج العسكري على نمط مثيلتها في عام /١٩١٨م/. وقدم «باروخ» نصيحة لـ «روزفلت» بأن يدير المؤسسة من جديد شخص واحد. ولكن هذه المرة لم يكن هو مما سبب له خيبة أمل عميقة وشديدة حسب أقوال كاتب سيرته. ولكن ليس من الضروري تصديق تلك الكلمات. لأن الكتاب الذي يؤرخ سيرته لا يوضح ولا يرسم التأثير الحقيقي الذي كان «باروخ» يتمتع به. وهناك اعتقاد سائد بأن «باروخ» ملك سلطة واسعة فاقت سلطة أي شخص آخر في محيط رؤساء أمريكا على مدى أربعين عاماً وأنه لا يزال يتمتع بها حتى الآن. «برنارد باروخ ولد في عام /١٨٧٠م/ وتوفي في عام /١٩٥٦م/- الترجمة-».

وأشار كاتب سيرته إلى أن «باروخ» كان مستشاراً دائماً لكل الرؤساء الأمريكان «بما فيهم ثلاثة من الحزب الجمهوري لأعوام /١٩٢٠و١٩٢٤و١٩٢٨م/» ابتداء من الرئيس «ويلسون».

وفي كتابه الصادر في عام /١٩٥٢م/ توقع «روزن بلوم» بأن «باروخ» سيصبح مستشاراً للرئيس «ايزنهاور».

وقد وصف «باروخ» نفسه وبشكل صحيح بأنه أكثر الناس نفوذاً في العالم في عام /١٩١٧-١٩١٨م/ ولكن إمكاناته في قيادة الأحداث وتغيير خارطة العالم كانت في ذلك الوقت أقل بكثير من إمكانات الناس الذين شغلوا نفس مكانه في فترة الحرب العالمية الثانية والسبب في ذلك أن «تقرير من سيحصل على ماذا» أصبح الآن من شأن الدولة الثورية الشيوعية.

وأزيحت مؤسسة الإنتاج الحربي إلى المركز الثاني لدى تأسيس إدارة «ليند- ليزا» وعين «غاري غوبكينس» «مديراً» لها. وكان في الوقت نفسه رئيساً للجنة «البروتوكول» السوفييتي والتي كان لها «الحق في تحديد نسب تزويد روسيا».

ومنذ تلك اللحظات أصبح مستقبل ومصير الغرب كله في يدي شخص كان لقبه في الدوائر السياسية الغربية بـ «هاري النطاط» «Harry The Hop» وفقط في زمننا هذا يمكن لواحد مثل «غوبكينس» أن يحتل منصباً رفيعاً كهذا. أجل في أي وقت طبيعي آخر لم يكن الرأي العام ليسمح بذلك.

لأن هذا الشخص افتقر إلى مقدرة إدارة الأمور المهمة وبخاصة في مجال السياسة الخارجية وبالفعل يثير الدهشة كيف تمكن إنسان مثله غامض الأصل وقليل الإعداد لتسلم مسؤوليات كبيرة أن يصل إلى منصب «المستشار المتميز للرئيس».

وطبعاً الآن يصعب القول من بالذات «أختار» المستر «غوبكينس» لهذا الدور ولكن المعروف أنه كان من أنصار أفكار «لوي بلان» وثوريي عام /١٨٤٨م/ وأن أساتذته كانوا اشتراكيين- «فابيين» في لندن (تعاليمهم تقول بان الدول القومية يجب أن تنحل في الولايات المتحدة العالمية». وكذلك تتلمذ على يد يهودي من أصل روسي- نمساوي واحد تلاميذ وأنصار «تولوستوي». ويظهر أمامنا مرة أخرى مثال مثير لتسليم الأفكار من جيل إلى آخر لمستشاري ما وراء الكواليس. وعلى ما يبدو كانت هذه هي الصفة الوحيدة التي سمحت لكاتب سيرته أن يدعوه «المحبوب المفروض على «روزفلت»).

ومع احتلاله لمنصب رئيس لجنة (البروتوكول السوفييتي اصطدم «غوبكينس» مع بعض أعضائه المعارضين لسياسة تسمين الدولة الشيوعية) ولكنه أصدر أمراً للمعارضين في عام /١٩٤٢م/: (الولايات المتحدة تقوم بعمل ما، لن تقوم بفعله للدول الحليفة الأخرى إلا إذا حصلت على معطيات ودلائل).

قرار بدء العمل من دون الحصول على معطيات ودلائل أولية جرى اتخاذه من قبل... وبعد الدراسة اللازمة... في الوقت الحاضر هذه السياسة تجري من دون أي شروط. على الرغم من أن الكثيرين يطالبون على الدوام بإعادة النظر فيها. ولكن الاقتراح السائد هو إبقاء هذه المتطلبات من دون أي اهتمام».

وهكذا نرى أنه وبمساعدة المستر «غوبكينس» أصبحت الدولة الشيوعية أيضاً (محبوبة مفروضة على «روزفلت»).

ويبدو واضحاً في الأمر الذي استعرضناه أعلاه، السر الذي أشرنا إليه في موضوع الوزراء البريطانيين والصهيونية: «السياسة» كانت مقررة سابقاً ولا يمكن تغييرها. من الذي «قرر» ذلك. ومن الذي أمر بعدم تغييرها في أي حال من الأحوال كل ذلك يبقى سراً وكل ذلك يحصل من جديد وراء الأبواب المقفلة وخفية عن الشعوب التي ضحت بدمائها.

وعبثاً حاول زعيم الجمهوريين السيناتور «روبرت تافت» أن يعترض ضد ما شاهد بوضوح: «كيف يمكن لأحد ما أن يصدق بأن روسيا تناضل من أجل مبادئ الديموقراطية... لكي ننشر حريتنا في أنحاء العالم، نحن نريد إرسال الطائرات والدبابات لروسيا الشيوعية ولكن لا يوجد دولة مسؤولة أكثر منها عن الحرب الحالية والعدوان الألماني».

وعلى الفور قامت حملة صاخبة ضد السيناتور «تافت» في الصحافة واستمرت حتى موته وخارطة العالم اليوم تؤكد صحة تحذيراته.

ويتضح من الأمر الذي أصدره «غوبكينس»، أن نتيجة الحرب كانت قد تقررت وراء كواليسه هذه في عام /١٩٤٢/ بل وحتى قبل ذلك.

وأما الطائرات والدبابات التي ذكرها السيناتور «تافت» فقد حصلت روسيا على /١٥٠٠٠/ من الأولى و /٧٠٠٠/ من الثانية ومن السفن الحربية /٥٨١/ سفينة وكذلك حصل السوفييت على أسطول تجاري كامل. في عام /١٩٤٢/ بدأ «جورج جوردان» خدمته العسكرية في مطار ينواركس في ولاية نيوجيرسي برتبة كابتن.

وكان قد استدعي من احتياط الحرب الأولى ولم ينس النصيحة الطيبة لرقيب من تكساس في عام /١٩١٧م/: «اترك عينيك وأذنيك مفتوحة وفمك مغلقاً وسجل كل ما تشاهده». والكلمات الأخيرة، كانت السبب في ظهور كتاب مدهش عن الحرب العالمية الثانية.

وجاء في قرار التعيين بأنه على الكابتن «جورج» الحضور إلى الخدمة في قسم «الأمم المتحدة رقم /٨/. على الرغم من عدم وجود أي منظمة أو مؤسسة بهذا الاسم في ذلك الوقت

وقد تشكلت هيئة الأمم المتحدة بعد ثلاث سنوات من ذلك. أي أنه كان هناك استباق للأمور فضح قصد الناس الجالسين على الحكم.

وحدث مع الكابتن «جورج» ثلاثة أحداث فتحت له عينيه وكشفت له السلطة التي تمتع بها السوفييت في أمريكا في ذلك الوقت.

في أيار «مايو» عام /١٩٤٢م/ خلال حركة طيارة مدنية على أرض المطار لمست سطح طائرة قاذفة مخصصة للإرسال إلى روسيا وسببت لها أضراراً.

غضب أثر ذلك الضابط السوفييتي المسؤول عن الاستلام وطالب بمنع حركة الطائرات المدنية في المطار، ولما سمع جواباً لم يعجبه هدد بأنه (سيهاتف المستر «غوبكينس»). وبعد عدة أيام جاءت الأوامر بمنع الطائرات المدنية من استخدام المطار المذكور.

بعد ذلك أخذ الكابتن «جوردن» بتدوين ملاحظاته وبفضل ذلك تمكن فيما بعد «بعد سماعه مع العالم كله بوجود قنبلة نووية» آن يثبت أنه في عام /١٩٤٢م/ جرى شحن إلى الاتحاد السوفييتي من المطار المذكور، غرافيت وقضبان ألمنيوم ومعدن الكادميوم وغيره «مواد ضرورية للمفاعل الذري» بمبلغ قدره /١٥/ مليون دولار. في ذلك الوقت كان «مشروع مانهاتن» «إنتاج أول قنبلة ذرية» لا يزال سرياً لدرجة أن الجنرال «ليدسيلي غروفس» رئيس المشروع قال فيما بعد إنه من دون سماح خاص منه حتى الرئيس لم يكن بإمكانه الحصول على ورقة أو وثيقة من المشروع.

وعندما سجل الكابتن «جوردان» ملاحظاته في دفتره في عام /١٩٤٢/ فهو بالطبع لم يعلم سبب إرسال المواد المذكورة أعلاه والمجال الذي ستستخدم فيه لأنه لم يسمع في ذلك الوقت لا عن مشروع مانهاتن ولا عن القنبلة الذرية.

المرة التالية التي لاحظ «جوردان» فيها دور ضابط روسي هو عندما قام أحدهما بالاحتجاج لدى رؤيته النجمة الحمراء على طائرة خاصة تعود إلى شركة نفط تكساس وهدد بإخبار واشنطن.

ولكن «جوردان» تمكن بصعوبة إقناع الضابط الروسي بأن النجمة هي شعار الشركة وكانت كذلك حتى قبل ظهور الاتحاد السوفييتي.

بعد ذلك أيقن «جوردان» أن المواد المرسلة إلى الاتحاد السوفييتي خرجت ومنذ زمن بعيد عن الحدود المتفق عليها في شروط «ليند- ليزا»: «حكومة الولايات المتحدة ستتابع تزويد الاتحاد السوفييتي بالمواد الدفاعية والمعلومات الدفاعية التي سيسمح... الرئيس بإرسالها وتزويدهم بها. وأنه جرى إرسال كميات هائلة من المواد لا علاقة لها «بالدفاع» ولكنها تصلح لتقوية الاتحاد السوفييتي بعد الحرب».

وجاء في دفتر «جوردان» «جرى إرسال جرارات وآلات الزراعة ومعمل كامل للألمنيوم وورشات كاملة لتصليح القاطرات والقطارات وغيرها من المعدات». وقد قال له مترجم روسي بنشوة إن هذه المعدات ستساعدنا على تحديث البلاد. وفي التقرير الواحد والعشرين المقدم من الرئيس «ترومان» إلى الكونغرس حول عمليات «ليند- ليزا».

جاء في جزء «الإرساليات غير الحربية» رقم هائل: بلغ ملياراً وستمئة وأربعة وسبعين مليوناً وخمسمئة وستة وثمانين ألف دولار مواد ومنتجات زراعية و/٣/ مليارات و/٤٠/ مليوناً و/٤٢٣/ ألف دولار مواد صناعية ومنتجات وبضائع.

في عام /١٩٤٣/ عندما أصبحت خسائر القوافل البحرية كبيرة ومكلفة بسبب حرب الغواصات، قام الأمريكان بإعداد مطار ضخم في منطقة «الشلالات الكبرى» في ولاية مونتانا وعين الكابتن «جوردان» مسؤولاً عن الإرساليات ومرة أخرى جاء في قرار نقله بأنه «مندوب للأمم المتحدة» على الرغم من أن هذه المنظمة لم تكن قد ظهرت بعد.

ومع وصوله إلى المطار حصل على قرار تعليمات من رئيس الجمهورية حول «إرسال الطائرات الروسية» جاء فيه: «بالدرجة الأولى يجب تأمين المعدات والخدمة والإرسال للطائرات الروسية وإعطاء ذلك الأفضلية حتى بالمقارنة مع طائرات سلاح الجو الأمريكي».

وهنا تعرف للمرة الثالثة كم كانت قوية سلطة السوفييت محليا: لقد اعتبر الضابط السوفييتي الموجود معه أن رتبة «جوردن» «نقيب» هي صغيرة ولا تناسب قيمة السوفييت وأرسل طلباً بترفيعه إلى رائد وجرى الترفيع على الفور وقام العقيد «كوتيكوف» بنفسه بتعليق النجمة الجديدة على كتف الرائد «جوردان» - لا شك بأنها الحادثة الوحيدة من نوعها في تاريخ القوات المسلحة الأمريكية.

وسرعان ما لاحظ الرائد «جوردان» أن الإرساليات إلى موسكو تتضمن كمية كبيرة من الحقائب المغلفة بإحكام والمختومة بأختام روسية والمجهولة المحتويات بالنسبة له. ومع الوقت ازدادت شكوكه بمحتويات الحقائب وذات مرة انتهز الفرصة واطلع على محتويات ثماني عشرة حقيبة من المجموع العام المرسل والبالغ خمسين حقيبة وسجل «جوردان» ما شاهده في دفتره.

وسط الكثير والكثير من الأوراق والرسائل والمخططات والرسومات البيانية شاهد أمرين أثارا انتباهه، أحدهما كان مجموعة ملفات مُغلفة تعود لوزارة الخارجية الأمريكية مع ملصقات على كل منها. على أحدها كُتب «من هيس» وعلى أخرى «من سيّر» ولم يسمع الرائد «جوردان» بهذه الأسماء من قبل ولكنها فيما بعد أصبحت معروفة لكل العالم: الأول

كان موظفاً رفيعاً في وزارة الخارجية الأمريكية «الدجير هيس» وحكم عليه بسبب التجسس لمصلحة السوفييت. الثاني كان أيضاً موظفاً رفيع المستوى في نفس الوزارة واتهم بنفس التهمة.

واحتوت الملفات على صور طبق الأصل لإخباريات سرية من الدبلوماسيين الأمريكان في موسكو المرسلة بالبريد الدبلوماسي إلى واشنطن. والآن هي ترسل بالبريد إلى من كان يجب أن تُخفى عنه بالدرجة الأولى.

الشيء الثاني كان أكثر أهمية وكان عبارة عن رسالة مرسلة إلى «ميكويان» وزير التجارة الخارجية السوفييتية وقد سجل الرائد «جوردان» بعض ما جاء فيها: (كان إلى حد شيطاني صعباً الحصول على كل هذا من «غروفس») (رئيس مشروع القنبلة الذرية الأمريكية كان يدعى «غروفس») الرسالة كانت تحمل توقيعاً بالأحرف التالية «غ. غ» ومعها كانت مرفقة خطة بيانية «تصويرية» للمحطة الذرية في «اوك- ريج» في ولاية تينسي ونسخة ورقة مطبوعة على الآلة الكاتبة وعليها ختم «غاري غوبكينس» وامتلأت النسخة بكلمات لم يعرف الرائد معناها ولذلك قام بتسجيلها ليعرف معناها فيما بعد وضمن تلك الكلمات كان يوجد كلمات مثل «بروتون» و «تسيكلوترون» و «ديترون» وعبارات مثل «الطاقة تتحرر مع الانشطار» أو «الجدران بسماكة خمسة أقدام من الرصاص والماء لتثبيط الالكترونات الطائرة».

وكما أشرنا سابقاً كان «غوبكينس» (المحبوب المفروض على الرئيس «روزفلت») و «المستشار المتميز للرئيس». و «الشخصية الثانية من حيث النفوذ في الولايات المتحدة».

وعلى مدى عدة سنوات أكدت قيادة إنكلترا وأمريكا لمواطنيها بأن أفضل وسيلة للدفاع والوقاية من حرب جديدة هو وجود القنبلة الذرية في أيدي الغرب.

في /٢٣/ أيلول «سبتمبر» عام /١٩٤٩م/ أجرى الاتحاد السوفييتي تفجير أول قنبلة ذرية له وهو أمر لم يُدهش أحداً من الذين راقبوا الأحداث باهتمام.

وبدا للرائد «جوردان» أن الصمت لم يعد ممكناً وقام بالاتصال بأحد النواب الذي ذهل مما سمعه لدرجة أنه طلب من المعلق الإذاعي المعروف «فولتون لويس» أن يطلع الرأي العام على تلك القصة، ومع ظهور كتاب الرائد «جوردان» عن الموضوع نفسه أصبح ذلك موضوعاً لإجراء مناقشتين في الكونغرس في كانون الأول «ديسمبر» عام /١٩٤٩م/ وفي آذار «مارس» /١٩٥٠م/ ولكن الصحافة شوهت أهمية وتفاصيل الفضيحة وكالعادة لم يظهر بعد ذلك أي إجراءات جدية.

في عام /١٩٤٤م/ قلق الرائد «جوردان» مما شاهده وحاول لقاء الضابط المسؤول عن الاتصالات في مشروع «ليند- ليزا» في وزارة الخارجية. ولكنه قابل موظفاً أصغر رتبة والذي

قال له: (لا تنس أن الضباط الذين يبذلون جهداً أكثر من اللازم، يمكن أن يجدوا أنفسهم بسهولة في إحدى الجزر البعيدة في المحيط الهادي». وبالفعل بعد ذلك جرى نقل الرائد «جوردان» من المطار المذكور.

وفي كتابه سرد الرائد «جوردان» قوائم كاملة لما أرسل عبر «ليند- ليزا» والتي تمكن من تسجيلها خلال فترة خدمته هناك كضابط اتصال. وجاء في القوائم سرد لكل المواد الكيميائية والمعادن والأملاح اللازمة للمفاعل الذري والتي كان يصلح بعضها لإنتاج القنبلة الهيدروجينية. وأشارت القوائم إلى إرسال المواد التالية إلى الاتحاد السوفييتي: بيرليوم، كادميوم، كوبالت خام مركز. /٣٣٦٠٠/ رطل وكوبالت معدن وكسر بمقدار /٨٠٦٩٤١/ رطل ويورانيوم- معدن /٢.٢/ رطل مواسير ألمنيوم /١٢٧٧٦٤٧٢/ رطل. غرافيت /٣٨٤٤٨٢/ رطل ونيترات اليورانيوم وأكاسيد اليورانيوم وخلائط وألمنيوم /٣٦٦٧٣٨٢٠٤/ رطل.

أسلاك برونز ونحاس أصفر /١٦١٣٩٧٠٢/ رطل سبائك برونز ونحاس أصفر /٧٦.٥٤٥,٠٠٠/ رطل ألمنيوم /١٣٤٧٧٧٠٩/ رطل.

صفائح برونز ونحاس أصفر /٥٣٦٦٣٢٣٩٠/ رطل. أسلاك نحاس مصنعة /٣٩٩٥٥٦٧٢٠/ رطل.

والقوائم تتضمن كذلك «إمدادات لفترة ما بعد الحرب لروسيا» «حسب تعابير غرونس» وفيها مصنع لتنقية النفط، معدات تعدين وقطع غيار بمبلغ /٥٣٨٥٦٠٧١/ دولار وآلات خراطة، آلات للتثقيب الميكانيكي الدقيق، معدات لمصانع الكونسروة، معدات معامل الحليب، معدات لقطع الأشجار ومعدات لمعامل النسيج وغيره بمبلغ /٦٠٨١٣٨٣٣/ دولار. محطة كهرباء مصنع تعدين، معدات وأجهزة هواتف /٣٢٠٠٠٠٠٠/ دولار. مولدات كهرباء /٢٢٢٠٢٠٧٦٠/ دولار. معدات سينما وراديو بمبلغ /٥٢٠٧٢٨٠٥/ دولار و/٩٥٩٤/ ومقطورات /١٠١٠٧٥١١٦/ دولار، سفن تجارية بمبلغ /١٢٢٣٨٠٢٨٧٩/ دولار، سيارات شاحنة بمبلغ /٥٠٨٣٦٧٦٢٢/ دولار الخ...

ومن الهدايا المهمة المخصصة لتطوير الاتحاد السوفييتي بعد الحرب التي احتوتها قوائم الرائد «جوردان»: مصنع لإصلاح المعدات الدقيقة /٥٥٠٠٠٠/ دولار، ومعملان للصناعات الغذائية /٦٩٢٤٠٠٠/.

ثلاث محطات توليد غازية بمبلغ /٢١٣٩٠٠٠٠/ دولار، مصنع لتنقية النفط مع معدات وآليات بمبلغ /٢٩٠٠٠٠٠٠/ دولار. /١٧/ محطة توليد متنقلة على الغاز والبخار بمبلغ /٢٧٣٢٩٧٠٠٠/ دولار.

وهذه الأرقام تخلق انطباعاً بأن السيد «غوبكينس» ومساعديه كان لديهم هوس حقيقي في رغبتهم بمساعدة السوفييت وخدمتهم، لأن تفسير هذه الإرساليات منطقياً أمر صعب جداً. فعلى سبيل المثال نظارات بمبلغ /١٦٩٨٠٦/ دولار. أطقم أسنان صناعية بـ /٩٥٦/ دولار و /٩١٢٦/ ساعة يد بمبلغ /١٤٣٩٢٢/ دولار /٦٢٢٢/ رطل صابون معطر وحمرة شفاه بمبلغ /٤٠٠/ دولار.

/٣٧٣/ غالون كحول وخيوط صيد سمك بمبلغ /٥٧٤٤٤/ دولار، مصابيح بمبلغ /١٦١٠٤٦/ دولار.

ألعاب أسواق /٤٣٥٢/ دولار. ورق طباعة /١٢٥٦/ رطل. جهازا بيانو كبيران وجديدان والآلات موسيقية مختلفة بمبلغ /٦٠٠٠٠/ دولار. غليون بمبلغ /١٠/ دولار[1].

وشكل «غوبكينس» صندوقاً خاصاً لمعونة المحتاجين في الاتحاد السوفييتي وجمع خلال أربع سنوات مبلغ /٨٨٧٠١١٠٣/ دولار «ومن حالفه الحظ وزار الاتحاد السوفييتي ولو مرة واحدة لن «يشك» أبداً بأن الشيوعيين وزعوا تلك الأموال على المحتاجين بالذات».

في عام /١٩٤٤م/ قام وزير المالية في الحكومة الأمريكية السيد «مورغنتاو» ومساعده «غاري ديكستر وايت» (من عائلة يهود روس هاجرت إلى أمريكا وفضح فيما بعد كجاسوس للاتحاد السوفييتي) بإصدار أمر بتسليم السوفييت كليشة طباعية لوزارة المالية الأمريكية والورق الخاص لطباعة الأموال لكي يطبعوا أوراقاً مالية لقوات الاحتلال في ألمانيا أي أن السوفييت سيدفعون لقواتهم في ألمانيا من الجيب الأمريكي واستمر الأمر حتى نهاية عام /١٩٤٦/ وبعد أن توقف الأمريكان عن التعامل بتلك الأوراق أوقف السوفييت أيضاً الدفع لقواتهم من تلك الأموال.

وتبين بأن السوفييت قد ربحوا من ذلك مبلغ /٢٥٠/ مليون دولار أمريكي على الرغم من ذلك رفض السوفييت دفع مبلغ /١٨٠٠٠/ دولار ثمن الكليشة والورق.

وهكذا نرى أنه خلال أربع - خمس سنوات جرى ضخ كل ما يلزم للحرب من أمريكا إلى الدولة الشيوعية من المواد والمعدات والبضائع والأموال لتأمين تطورها في فترة ما بعد الحرب. وأهم ما في كل ذلك أن هذا الموضوع كان ممنوعاً النقاش والبحث فيه تماماً.

بالإضافة إلى ذلك كان هناك طريقتان يمكن عبرهما دعم الدولة الشيوعية وضمان توسعها المستقبلي:

١- (ستالين) كان يدخن غليون -المترجم

١- طبيعة وكيفية إجراء العمليات الحربية.

٢- توجيه السياسة الحكومية في المحافل الدولية على أعلى مستوى وحسب تطور تلك العمليات.

وبعد إرسال السلاح والخيرات وبتلك الكميات الوفيرة كان يمكن التوقع بأن ذلك الخط السياسي سيجد تطبيقاً في إجراء العمليات الحربية وسيرها أيضاً وفي اتخاذ القرارات الناجمة عن ذلك.

وهذا ما حدث بالضبط. الآن أصبحت الصورة واضحة للجميع. إنها النتيجة الحتمية للاستيلاء على السلطة الخفية في أمريكا التي استعرضناها في الفصل السابق.

ومحاولة جعل كل العمليات العسكرية تصب في مصلحة الدولة الشيوعية «على الرغم من أنها هي التي أشعلت الحرب بتآمرها مع ألمانيا على تقسيم بولندا» بدأت مباشرة بعد «بيرل هاربور» ولكن لم تنجح عند ذلك ولكنها نجحت تماماً في المراحل التالية من الحرب كما تبين فيما بعد.

والدور الأساسي في ذلك لعبته أكثر الشخصيات غموضاً في الحرب الثانية وهي الجنرال «جورج مارشال» رئيس هيئة الأركان العامة للقوات المسلحة الأمريكية.

وهو بالذات من قام السيناتور «جوزيف مكارثي»، في خطابه في مجلس النواب في /١٤/ حزيران «يونيو» عام /١٩٥١م/ باتهامه «بتخريب مدروس مسبقاً للنصر بدأ به قبل نهاية الحرب بكثير، وأن آمريكا وعلى الرغم من إمكاناتها الكاملة بالتأثير على الحلول السياسية الحربية. فإنها تأرجحت بين خطط «تشرشل» و «ستالين». وتقريباً على الدوام لمصلحة الخط السوفييتي.

ومن الممتع النظر إلى بداية خدمة الجنرال «مارشال»[1]. قام الرئيس «روزفلت» بتعينه رئيساً للأركان عام /١٩٣٩م/ بعد تقفيزه فوق رؤوس عشرين عميداً وأربعة عشر فريقاً أعلى

---

1 مارشال من مواليد /١٨٨٠م/ اصبح ضابطاً في عام /١٩٠١م/. أنهى الحرب العالمية الأول برتبة نقيب وعن عمر يناهز /٣٨/ عاماً وهو أمر يشير إلى ضآلة مقدراته وانحطاطها. وفي عام /١٩٣٦م/ وفي سن /٥٦/ سنة أصبح برتبة فريق. وقد رفعه (روزفلت) في نفس السنة وعينه رئيساً لهيئة الأركان العامة للقوات المسلحة الأمريكية. (ايزنهاور) من مواليد /١٨٩٠م/ أصبح ضابطاً في عام /١٩١٥م/ وعن عمر يبلغ /٢٥/ سنة. لم يتميز بشيء خلال خدمته إلا في إتقانه لعبة الغوتبول الأمريكية. أنهى الحرب الأولى برتبة مقدم. حتى عام /١٩٤٠م/ كان يخدم في اركان لواء مشاة في كاليفورنيا ومع ظهور قانون الترفيعات الجديدة، رفعه الجنرال مارشال إلى رتبة عقيد في آذار (مارس) /١٩٤١م/ وإلى رتبة فريق أيلول (سبتمبر) من نفس العام.

منه بالرتبة وأقدم منه بالخدمة، وعلى الرغم من أن هيئة الأركان العامة ورئيسها الجنرال «مارك ارتوا» كانا قد أوقفا ترفيعه قبل ست سنوات من ذلك.

وأول عمل قام به «مارشال» في منصبه الجديد هو تقديمه عن طريق السيناتور «جيمس بيرنس» (صديق حميم لـ «باروخ») مشروع قرار إلى الكونغرس لتعديل القانون حول الخدمة يُسمح فيه لرئيس الأركان ترفيع الضباط الشباب في حال الضرورة بغض النظر عن القدم العسكري. وصادق الكونغرس على التعديل وهو ما أعطى «مارشال» إمكان إجراء /٤٠٨٨/ ترفيع استثنائي. ومن ضمن هؤلاء كان المقدم «ايزنهاور» البالغ من العمر خمسين عاماً والذي لم يكن لديه خبرة ميدانية أو قيادية ولكنه على الرغم من ذلك أصبح بعد ثلاث سنوات القائد العام الأعلى لقوات الحلفاء.

ولعب التعاون بين الجنرالين «ايزنهاور» و «مارشال» الدور الحاسم في نتيجة الحرب في عام /١٩٤٥م/.

مباشرة بعد «بيرل هاربور» ودخول الولايات المتحدة الحرب في كانون الأول «ديسمبر» عام /١٩٤١م/، أخذت أبواق الدعاية السوفييتية في موسكو والغرب تطالب بالإنزال الفوري للقوات الانكلور أمريكية في أوربة.

في لقاء «روزفلت» مع «تشرشل» بعد «بيرل هاربور» بقليل اتفق الطرفان على أن الإنزال مستحيل قبل عام /١٩٤٣/ «من وجهة النظر العسكرية».

ولكن «ايزنهاور» «أصبح برتبة فريق قبل نصف سنة من ذلك- ملاحظة الترجمة-» وبناء على أمر من الجنرال «مارشال» وضع خطة الإنزال في عام /١٩٤٢م/ وأقنعوا «روزفلت» أن يبرق إلى «تشرشل» عن ذلك.

وطار الجنرال «مارشال» مع السيد «غوبكنيس» إلى لندن حيث سمعوا من «تشرشل» بأن الكارثة على الشواطئ الفرنسية نتيجة الإنزال المتسرع السيئ التخطيط ستكون وحسب كل المؤشرات الطريق الوحيد نحو خسارة الحرب».

وتعيين الجنرال «مارشال» في أعلى مركز عسكري أمريكي وقبل بداية الحرب كان يجب أن يعني بأنه أفضل الاختصاصين العسكريين في الولايات المتحدة، ولكن خطته الحربية كانت دعوة الحليف الوحيد القوي «أمريكا» إلى الانتحار وبعد ذلك لا شك بأن الحرب ستكون خاسرة على الأقل بالنسبة لإنكلترا.

«تشرشل» قال بأن تنفيذ الإنزال المطروح ستحول بحر المانش إلى «نهر من دماء الحلفاء». ولكن في الحقيقة والواقع فإن الدم سيكون في ثلاثة أرباعه إنكليزيا.

عندما سُئل قائد القوات الأمريكية في بريطانيا ما هي القوات التي يقدر تقديمها إلى تلك العملية فأجاب بأنه لا يوجد لديه إلا فرقة المشاة رقم /٣٤/ المتواجدة في ايرلندا وأضاف الجنرال كلارك بأنه حتى هذه الفرقة لا تملك دبابات ولا قوات دفاع جوي وأنه لا يمكن اعتبارها متدربة «في عام /١٩٤٢/ تبين أن القوات الأمريكية المنزلة في شمال إفريقيا عديمة التدريب وغير مستعد للقتال».

وقد كتب المعلق الحربي الأمريكي المشهور «هاتسون بولدفين» بعد ذلك يقول: «الآن بعد مرور الوقت أصبح واضحاً تماماً بأن خطتنا للإنزال في غرب أوربة عام /١٩٤٢م/ كانت محض خيال بحت».

ولكن على الرغم من ذلك قام الجنرال «مارشال» لدى عودته إلى واشنطن بالطلب من الرئيس «روزفلت» أن توقف الولايات المتحدة كل اشتراك لها في الحرب في أوربة إذا لم توافق بريطانيا على خطته. «يشهد على ذلك وزير الدفاع السابق للولايات المتحدة سيتمسون».

وسافر «مارشال» مرة أخرى إلى لندن لإقناع «تشرشل» ولكن خطته سقطت نهائياً بعد وصول إخبارية الجنرال كلارك في ايرلندا تفيد بإمكانيته على إرسال فرقة واحدة فقط مدربة بشكل سيئ.

وتجدر الإشارة بأن خطة الإنزال التي هدفت إلى إنقاذ الاتحاد السوفييتي، أصبحت واقعاً موجوداً. وفهمت إنكلترا التهديد المرسل إليها وعلى ضوء أعمال القائد الأعلى الأمريكي يجب النظر إلى كل ما حصل فيما بعد.

خلال ربيع عام /١٩٤٢م/ كان يوجد في فرنسا وهولندا /١٣٠٠٠٠٠/ جندي ألماني بينما لم يكن لدى الحلفاء أي قوة يمكنها أن تهاجم هذه القوة الألمانية، ورفض «روزفلت» مغامرة «مارشال» الخطرة. ونجت إنكلترا للمرة الثالثة من الخطر المميت خلال الحرب.

في عام /١٩٤٢و١٩٤٣م/ استطاعت القوات الإنكليزية ومن ثم الأمريكية أن تحرز النصر على الألمان في شمال أفريقيا. بعد ذلك حلت نقطة التحول في مسار كل الحرب «السبب الأساسي في تحول مسار الحرب لمصلحة الحلفاء كان في حقيقة الأمر الكارثة التي حلت بالألمان في ستالينغراد- ملاحظة الترجمة-» وأصبح الحلفاء أكثر إعداداً وقدرة للضربة الحاسمة في أوربة والسؤال كان أين ومتى ستوجه الضربة الحاسمة؟ ولكن التدخل الثاني للجنرال «مارشال» حدد في تلك اللحظة طبيعة كل الحرب.

تشير كل الدلائل والمعطيات بأن رئيس الحكومة الإنكليزي لم يتخل عن الدفاع عن وجهات نظره في هذا الموضوع ولم ينحرف عنها منذ البداية وحتى النهاية.

وكان هو الوحيد بين قادة التحالف الغربي الذي كان لديه خبرة عسكرية وسياسية كبيرة. وقد فهم «تشرشل» بأن النصر لن يكون حقيقياً ولا السلام سيحل إذا سُمح للمعتدي الشيوعي الثوري دخول عمق أوربة. وكان في خطته يرى ضرورة إجراء العمليات العسكرية بشكل لا تقدر معه القوات السوفييتية تخطي حدود الاتحاد السوفييتي الطبيعية.

والذي كان الند الأول لـ «تشرشل» في هذا الموضوع هو الجنرال «مارشال» وحتى أكثر من «روزفلت» والذي في آخر سنة للحرب وبسبب المرض أضاع إمكان التفكير الواضح وأصبح أسيراً لمستشاريه وبلا حول ولا قوة.

أصر «تشرشل» على آن الحلفاء يجب أن يضربوا في الشمال والجنوب واحتلال البلقان ووسط آوربة قبل السوفييت. وهذه الخطة كانت ستعطي نصراً حقيقياً وتحقق أهداف الحرب الحقيقية وأولها «التحرير».

وأما الجنرال «مارشال» فقد أصر على تركيز كل القوى لدخول فرنسا مما جعل شرق ووسط أوربة والبلقان ضحية سهلة للجيوش السوفييتية ولكن «روزفلت» «ولا أحد يعلم هل كان ذلك عن وعي أم بسبب مرضه وفقدانه القدرة على التفكير الصحيح» فقد أيد خطة «مارشال» حتى النهاية المُرة في «يالطا» حيث «انتزعت الهزيمة من أسنان النصر» واستمرت الحرب نتيجة لذلك مدة سنة ونصف أخرى. وبعد النجاح في شمال إفريقيا ومن احتلال الحلفاء لإيطاليا ، أصر الجنرال «مارشال» في مؤتمر كويبيك عام /١٩٤٣م/ وسُحبت القوات من ايطاليا وأُنزلت في جنوب فرنسا لمساعدة الخطة الرئيسية في الإنزال في النورماندي، وأدى ذلك إلى تجزئة قوات الحلفاء في إيطاليا بعد أن تحولت بقيادة الفيلد مارشال «الكسندر» هناك إلى آلة حربية عظيمة... ذات إمكانات هائلة غير محددة «حسب تعابير الجنرال كلارك».

وأدى ذلك إلى إيقاف هجوم الحلفاء والتخلي عن فكرة متابعة الضربة من إيطاليا عبر بحر الادرياتيكي والوصول إلى فيينا وبودابست وبراغ. وكان ذلك سيغير فعلاً الوضع في ما بعد الحرب لمصلحة الغرب ولمصلحة العالم والسلام.

إن نظرة بسيطة إلى خارطة أوربة تجعل ذلك واضحاً لأي قارئ. في تلك اللحظات كان النصر في اليد ولكنهم أهملوه من أجل الإنزال في جنوب فرنسا مما أدى إلى بعثرة أسوأ للقوات وجلب عواقب وخيمة أسوأ بكثير من إنزال القوات البريطانية في فلسطين.

ولم يجلب الإنزال في فرنسا أي مكاسب عسكرية يمكنها آن تبرر اتخاذ مثل هذا القرار الذي كان يحمل طابعاً سياسياً واضحاً. ويثبت ذلك الوثائق التي أسس عليها الجنرال «مارشال» ذرائعه وحججه لمصلحة خطته في كويبيك.

عنوان الوثيقة كان «وضع روسيا» وذيل بعنوان «التقدير العسكري للولايات المتحدة على أعلى مستوى» وجاء فيها: «بعد الحرب ستحتل روسيا في أوربة وضعاً مسيطراً... ولأن روسيا تُعد عاملاً حاسماً في هذه الحرب لذلك يجب تقديم كل الدعم لها وكذلك يجب عمل كل شيء للحصول على صداقتها. وبما أن روسيا ستسود في أوربة بعد هزيمة دول المحور فإن من الضرورة المحافظة على علاقات صداقة حميمة مع روسيا».

ونرى هنا تكراراً لسياسة الإمداد «ليند- ليزا» ولكنه في مجال العمليات الحربية. أنه انبطاح أمام أفضلية الأهداف والمصالح السوفييتية.

وقف «سالتين» منذ البداية ضد ضربة الحلفاء الغربيين عن طريق البلقان وأصر على أن الضربة لقلب ألمانيا يجب أن تتم عبر فرنسا.

وكما نرى فإن الوثيقة المذكورة أعلاه تدعو إلى اتباع خطة «ستالين». وهي تشير مرتين إلى احتمال سياسي لم يحدث بعد وكأنه واقع حدث ولا مفر منه وهو «آن روسيا ستحتل في أوربة وضعاً مسيطراً» وبأنها «ستسود في أوربة». هذا طرح في عام /١٩٤٣/ وكان لا يزال سؤال يتطلب حله سنتين من العمليات الحربية. وكانت سياسة «تشرشل» موجهة بكل طاقاتها لمنع حدوث ذلك.

أراد «تشرشل» رؤية السوفييت منتصرين ولكن ليس سادة على أوربة. ولكنه فشل بسبب سياسة ما وراء الكواليس وبفضل ألاعيبها خسر الغرب الحرب في معناها السياسي. وكان ذلك أكثر العواقب أهمية لتدخل الجنرال «مارشال» في سير العمليات الحربية. ولم يسمح مع ذلك «تشرشل» لنفسه انتقاد «مارشال» صراحة ولكن الجنرال كلارك كتب في عام /١٩٥٠م/: «من الواضح آننا نقلنا قواتنا من إيطاليا إلى فرنسا لمصلحة «ستالين» ولكي لا ندخل إلى وسط أوربة.

لقد انتهت عملية السندان «الإنزال في جنوب فرنسا» إلى طريق مسدود. وواضح جداً لماذا أيد «ستالين» عملية «السندان».

بعد سقوط روما كان يمكن أن يتحطم جيش «كيسيد لرينغ» لو تمكنا من القيام بالهجوم النهائي.

كانت يوغسلافيا وراء بحر الأدرياتيك. ووراء يوغسلافيا كانت توجد فيينا وبودابست وبراغ.

بعد سقوط روما أخذنا نركض وراء أهداف مزيفة من الناحية السياسية والاستراتيجية. ولولا الهفوة والزلة على أعلى المستويات والتي أعاقتنا ومنعتنا من احتلال البلقان وأعطته لقمة

سائغة للجيش الأحمر لكان بإمكان حملة البحر المتوسط أن تكون الحاسمة لكل فترة ما بعد الحرب.

إن الهجوم الذي ألغوه كان يمكن أن يُغير كل تاريخ العلاقات بين العالم الغربي وروسيا السوفييتية... أن إضعاف الحملة على إيطاليا... كان من أفظع الأخطاء السياسية لهذه الحرب».

الجنرال كلارك- ضابط لامع نُقل فيما بعد إلى وظيفة ثانوية واستقال بعدها من الخدمة.

لقد تحدث هذا الجنرال عن الأخطاء والهفوات والزلات (Blunders). ولكن الوثيقة التي ذكرناها وغيرها تبين أن ذلك لم يكن أخطاء بالمعنى المفهوم والدارج لهذه الكلمة. أي هفوات نتيجة للتقييم الخاطئ للعواقب. لقد قيّموا العواقب والنتائج جيداً وكانت تدخل في حسابات القرارات المتخذة. وهي قرارات سياسية تحيط بالرئيس الأمريكي وهي في مجال العمليات الحربية كانت موازية تماماً للقرارات في مجال «ليند- ليزا»: إخضاع جميع الأمور الأخرى لمصلحة الدولة الثورية الشيوعية. ونتيجة لكل ذلك فإن الحرب التي كان يمكن أن تنتهي بتحرير الدول الواقعة تحت الاحتلال الألماني مع إبقاء روسيا في نطاق حدودها الطبيعية لم تنته كذلك وامتدت خلال عام /١٩٤٤و١٩٤٥م/ وأعطت للقوات الألمانية في إيطالية فرصة لالتقاط أنفاسها وأما الإنزال الغالي الثمن في جنوب فرنسا فلم يساعد الجبهة الأساسية في النورماندي. والطابع الذي اتخذته الحرب خلال الأشهر العشرة الأخيرة فُرض من قبل السوفييت وبمساعدة عميلهم المباشر في حكومة الولايات المتحدة المعروف تحت اسم «غاري ديكستر وايت» والذي يُعده ويعتبره المراقبون المعروفون صاحب خطة تدمير ألمانيا ووضع نصف أوربة تحت السيطرة السوفييتية وهي الخطة التي عرفت بخطة «مورغنتاو».

وظهر ظل هذه الخطة فوق الجيوش الغربية التي تقدمت بالتدريج نحو حدود ألمانيا. وقد حاول «تشرشل» وحتى اللحظة الأخيرة إنقاذ ما يمكن إنقاذه وبدأ بحملة عنيفة على الجناح الشمالي إلى برلين مع الالتفاف عليها من جهة الشرق.

لقد ذكر ذلك في مذكراته وأيضاً أشار إليه «ايزنهاور» ويشرح «ايزنهاور» كيف رفض هو عرض الفيلد مارشال «مونتغمري» في نهاية /١٩٤٤م/ والذي تضمن حشد كل القوى وضرب برلين وكان رأي «ايزنهاور» أن هذه الخطة جريئة زيادة عن اللزوم وخطرة. على الرغم من أنه في مذكراته السابقة وصف «مونتغمري» بالحذر.

وخلال الأشهر التالية استمر التحرك البطيء على الجبهة الغربية مما سمح للجيش الأحمر بالتغلغل في وسط أوربة. وفي آذار «مارس» /١٩٤٥م/ (بعد مؤتمر «يالطا» أتضح أن

السوفييت جادون في احتلال رومانيا وبولندا، وأخذ «روزفلت» يرسل احتجاجات رسمية إلى «ستالين») قام الجنرال «ايزنهاور» بإطلاع الديكتاتور السوفييتي على خططه الحربية، وجاء ذلك في برقية مباشرة (شخصياً إلى المارشال «ستالين») وأدى ذلك إلى احتجاج «تشرشل» الذي حاول حتى اللحظة الأخيرة أن تحتل القوات الغربية فيينا وبراغ وبرلين. ولكن كل ذلك كان من دون فائدة، لأن الجنرال «مارشال» أخبر لندن من واشنطن بأنه يؤيد المنهج الاستراتيجي للجنرال «ايزنهاور» بما فيها إطلاع الروس على ذلك.

بعد ذلك كان عملياً تقدم الحلفاء في الغرب يجري بعد الحصول على مباركة الروس. وفي /٢٨/ آذار «مارس» /١٩٤٥م/ وعد «ايزنهاور» «ستالين» بأنه سيوقف قواته ولن يدخل إلى فيينا. وفي /١٤/ نيسان «ابريل» أخبر قيادة الحلفاء بأنه سيتوقف على بعد /٧٠/ ميلاً من برلين على خط الألب وأضاف: «بعد الحصول على موافقتكم أنا أقترح اطلاع المارشال «ستالين» على ذلك». على الرغم من آن الكلمات الأولى في عباراته تبدو شكلية بعد إهمال الاحتجاج البريطاني.

وبالفعل أخبر «ايزنهاور» «ستالين» بأنه سيهاجم براغ إذا تطلب الأمر ذلك ولكن «ستالين» دعا الجنرال «ايزنهاور» بعدم التدخل في تشيكوسلوفاكيا.

وحدث ما دعاه «تشرشل» في مذكراته «التقسيم المقرف لأوربا» وأضاف إلى ذلك كلمات فارغة بقوله «إنه أمر لا يمكن أن يستمر طويلاً».

وبعد مرور خمس سنوات اعترف «ايزنهاور» بأن المسؤولية عن القرارات الثلاثة الحاسمة تقع على عاتقه: «يجب علي هنا التوضيح بشكل كامل. أنتم بسؤالكم تلمحون إلى أن قرار عدم مهاجمة برلين هو قرار سياسي. على العكس هذا القرار يوجد إنسان واحد في العالم مسؤول عنه هو آنا. ولم يتدخل أحد في ذلك ولو بمقدار صغير».

كان ذلك جواباً على سؤال طرح عليه في مأدبة غداء أقامتها جمعية حقوقيي نيويورك في /٣/ آذار «مارس» عام /١٩٤٩م/ وكان على الشكل التالي: يوجد رأي سائد بأنه لو احتلت قواتنا برلين وبراغ لكانت خريطة ما بعد الحرب ستختلف عما هي عليه الآن... ولو لم يتدخل قادتنا السياسيون في عملياتكم الحربية الهادفة إلى احتلال أكبر قدر من الأراضي... ألا تظنوا أن خريطة ما بعد الحرب كانت ستختلف تماماً».

كلمات «ايزنهاور» لا يمكن أن تكون صحيحة حتى لو اعتقد هو ذلك بإخلاص. والأوامر التي دعت إلى إبطاء الهجوم الغربي، حتى يتمكن الجيش الأحمر من احتلال ألمانيا ووسط أوربة مع عواصمها الثلاث كانت ولا بد ذات منحى سياسي.

يقول مؤرخ سيرة «ايزنهاور» وهو سكرتيره البحري السابق العقيد «غاري باتتشر» بأنه في الوقت الذي أخذ فيه الجنرال «ايزنهاور» يباحث موسكو حول موضوع حدود هجوم الحلفاء كان موضوع المناطق المحتلة قد خرج من نطاق صلاحيات القيادة العليا العامة.

ومن الواضح أن أعمال الجنرال «ايزنهاور» هدفت إلى أمور وخطط سياسية وضعت على أعلى المستويات ولما أصبح رئيساً فإن عواقب هذه الخطط أصبحت واضحة للجميع.

وأعطى «تشرشل» في /١١/ آيار «مايو» /١٩٥٣/ تقديراً دقيقاً للعمليات الحربية التي أخرت نهاية الحرب العالمية الثانية والتي أصبحت خيبة الأمل الثانية للقوات التي اعتبرت نفسها منتصرة: «لو استمعت الولايات المتحدة لنصائحنا بعد الهدنة في ألمانيا لما سحبت دول الحلفاء الغربية قواتها من الحدود التي وصلت إليها إلى حدود مناطق الاحتلال المتفق عليها حتى يتم الاتفاق مع روسيا على موضوعات عديدة مختلف عليها حول احتلال أراضي العدو، والتي تُعد أراضي ألمانيا فقط جزءاً منها. ولكن أحداً لم يأخذ بوجهة نظرنا. وحصل السوفييت على قسم كبير من ألمانيا من دون حدوث أي اتفاق شامل بين الدول الثلاث المنتصرة».

إن كل سياسة تقديم السلاح والعتاد والبضائع والخيرات وكذلك تقييد سير العمليات الحربية خلال الحرب هدف إلى خدمة الانتشار التالي للثورة.

والطريق الثاني الذي خدم انتشار تلك الثورة كان سياسة التنازلات الانهزامية للسياسة الغربية على أعلى مستوياتها في جميع المؤامرات والمباحثات التي جرت مع تطور الأحداث واستعراض كل تلك اللقاءات «في المحيط الأطلسي والقاهرة والدار البيضاء وطهران ويالطا» أمر يثقل كاهل القارئ لذلك سنستعرض اللقاء الأول والأخير لكي نوضح التفاوت الواضح بين وثائق اللقاء الأول ذات الأهداف العالية وبين الاستسلام الواضح في اللقاء الأخير.

وثائق مؤتمر الأطلسي سبقت الخطاب الثالث لـ «روزفلت» بعد انتخابه في /٦/ كانون الثاني «يناير» /١٩٤١م/ حيث أطلع فيه أمريكا التي لم تدخل الحرب بعد بأنه «يود رؤية عالم المستقبل ثابتاً أمام المبادئ الأربعة للحريات الأساسية... حرية الكلمة وحرية الدين والحرية من العوز والحاجة والحرية من الخوف والفزع».

بعد ذلك في /١٤/ آب «أغسطس» /١٩٤١م/ قامت وثيقة الأطلسي (العمل المشترك لـ «روزفلت» و «تشرشل») بتغيير العبارات حتى تشابه ما جاء في «بروتوكولات» عام /١٩٠٢م/ وجاء في الوثيقة: «تحديد المبادئ الأساسية» التي يجب أن تقود سياسة إنكلترا وأمريكا وحيث قال الرئيسان بعد التوقيع بأنهما يعلقان آمالهما عليها في ضمان مستقبل جيد أفضل لكل العالم. وأول المبادئ كان «الامتناع عن التوسع الإقليمي بأي شكل من أشكاله».

والثاني «التعهد بعدم تغيير الحدود والأراضي التي لا تتطابق مع التعبير الحر للشعوب ذات العلاقة بالأمر».

والمبدأ الثالث كان «حق كل الشعوب في اختيار نظام الإدارة المناسب لها. وأخيراً الرغبة في عودة حق الاستقلال والإدارة الذاتية لكل من حرم منها بالقوة».

ولكن التراجع عن هذه المبادئ الحماسية العالية بدأ في الدار البيضاء وطهران عام /١٩٤٣م/ مؤتمر طهران حضره «ستالين» حيث أشير إليه هناك على أنه (إنسان يرغب في تحطيم الديكتاتورية والعبودية والظلم والاضطهاد») وانتهى الأمر في «يالطا» بعد ثلاث سنوات ونصف من ظهور وثيقة الأطلسي.

ومع حلول مؤتمر «يالطا» كان تقدم القوات الغربية قد أوقف للسماح للجيش الأحمر باختراق عمق أوربة. وأتضح في هذا المؤتمر السقوط العميق للدبلوماسية الغربية من القمم العالية التي كانت عليها سابقاً. فبعد أن رفض الديكتاتور السوفييتي السفر خارج حدود أملاكه، ذهب إليه قادة الغرب لتقديم الولاء في شبه جزيرة «القرم».

وكان «روزفلت» ومساعده الأيمن «غوبكينس» على حافة الموت بسبب المرض الواضح وبدا ذلك بشكل خاص على الرئيس وضح لكل من شاهده في السينما أو على الصور.

ورافق بعض القادة الكبار أقرباؤهم في تلك الرحلة ولذلك فإن المؤتمر كان يشبه نزهة عائلية ممتعة، وأسوأ ما في الأمر هو أن الضيوف أصبحوا هدفاً لخدعة قديمة استخدمها الأسيويون مراراً خلال المباحثات، وهي استخدام الكحول والمشروبات الروحية. وفي هذا الخصوص يتذكر الجنرال «لورنس كيوتر» ممثل القوى الجوية الأمريكية في تلك المباحثات: «أول ما قدم في وجبة الإفطار الصباحية كان كأساً متوسطاً من الكونياك المحلي.

بعد الكونياك ورفع الأنخاب جاء دور الكافيار مع الفودكا. وقُدمت المازات الباردة بعد ذلك مع النبيذ الأبيض ومن ثم تفاح «القرم» مع كؤوس عديدة من الشمبانيا... وآخر ما قدم كان قدحاً من الشاي الساخن أضيف إليه الكونياك وهذا كان فقط وجبة الإفطار».

ومن الذي يستطيع وبمعدة مملوءة بكل ما ذكر أنه يقوم بالمباحثات وأن يتخذ قرارات عقلانية ومنطقية في موضوعات حيوية للولايات المتحدة؟

«ايلوت روزفلت» الذي حضر المؤتمر مع والده قال: «إن الجميع من دون استثناء كانوا على قدر كبير من الثمالة».

وعن إحدى حفلات العشاء يتذكر «تشارلز بولين» معاون وزير الخارجية ومترجم «روزفلت»: «صاحب الضيافة وراء الطاولة كان «ستالين» بذاته، الجو في الجلسة كان حميمياً جداً ومجموع ما شرب من الأنخاب كان خمسة وأربعين نخباً».

ويجدر الذكر أن «روزفلت» أحضر معه إلى المؤتمر خطة «مورغنتاو» التي وضعها العميل السوفييتي «غاري ويكستر وايت» الموظف المرموق في وزارة المالية الأمريكية وبرفقته عميل سوفييتي آخر هو «الدجير هيس» الذي فُضح فيما بعد وحوكم ولكنه الآن في اللحظات الحاسمة كان المستشار الخاص المميز للرئيس في الأمور السياسية والموظف الرفيع في وزارة الخارجية، وحتى لحظة بداية المؤتمر حاول «تشرشل» إنقاذ جزء من وسط أوربة والبلقان من المصير المخيف المجهز لها في «يالطا». ولدى لقائه في مالطا مع «روزفلت» قبيل الذهاب إلى «يالطا» عرض من جديد فتح العملية العسكرية في حوض البحر المتوسط، ولكن الجنرال «مارشال» أجابه على الفور وبنفس اللهجة التهديدية السابقة بأنه «إذا طُبقت الخطة الإنكليزية فإنه سيشير على الرئيس «روزفلت» الرفض أو أنه سيستقيل من القيادة».

وقبل شهر من لقاء «يالطا» أرسل «تشرشل» برقية إلى «روزفلت»: «حتى هذه اللحظات يبدو لي أن نتيجة هذه الحرب ستكون أقل توفيقاً من الحرب السابقة». وكان ذلك بعيداً كل البعد عن اللحظات السعيدة والساعة الأفضل في حياته في عام /١٩٤٠م/ حيث كتب استلامه منصب رئيس الحكومة: «إنها بركات ربانية، أن تستلم السلطة في لحظات الامتحان الوطني، إذا كنت تعرف كيف ومتى وأي أوامر يجب إصدارها».

ولكنه الآن عرف كم هي ضئيلة سلطة «الزعماء- الديكتاتوريين» حيث كان بإمكانه وفي أفضل الأحوال أن يحاول إنقاذ بعض أجزاء النصر المقذوف من الشباك وفي اللحظة التي كان فيها هذا النصر أقرب ما يكون.

ولكن بالطبع كل ما قاله «تشرشل» لم يصل إلى الجماهير الواسعة بسبب الرقابة التامة على الصحافة التي تبجحت بها البروتوكولات بوقاحة.

في /٢٣/ آب «أغسطس» /١٩٤٤م/ سأل «تشرشل» وزير إعلامه مستغرباً: «هل يوجد منع ما على نشر الوقائع عن سكرات الموت لوارسو التي تتكتم عليها الجرائد»؟. السؤال يبدو صادقاً من القلب لذلك يمكن التصور بأن «تشرشل» كان يجهل ما كان يمكن أن يحدثه عنه أي صحفي نزيه وهو أن الوقائع حقاً يتم التعتيم عنها والتكتم عليها. ولا يذكر «تشرشل» ما كان الجواب وهل أجابه أساساً أم لا.

وسكرات الموت المذكورة هي الانتفاضة البطولية للشعب البولندي وجيشه السري بقيادة الجنرال «كومورفسكي» ضد الألمان وقد توقف الجيش الأحمر بأمر من موسكو على مشارف وارسو ولم يسمح «ستالين» للطيران الإنكليزي والأمريكي باستخدام المطارات السوفييتية لمساعدة بولندا وكتب «تشرشل»: «لم أستطع تصديق عيوني عندما قرأت جوابه القاسي». وأضاف بأنه ألح على «روزفلت» آن يأمر الطيران الأمريكي باستخدام تلك المطارات لأن «ستالين» لن يتجرأ على قصف الطائرات الأمريكية. ولكن «روزفلت» رفض القيام بذلك ودمر الألمان وارسو بالكامل. هكذا كانت خلفية ما وراء الكواليس لمؤتمر «يالطا» وحيث قام الرئيس «روزفلت» المريض جداً ولدى لقائه «ستالين» بإطلاعه بأنه أصبح الآن أكثر دموية اتجاه الألمان مما كان عليه قبل سنة، وأنه يتأمل تكرار «ستالين» لنخب سابق رفعه حول قتل /٥٠٠٠٠/ ضابط ألماني. كلمة تكرار كانت تلميحاً إلى مؤتمر طهران في كانون الأول «ديسمبر» /١٩٤٣م/ حيث رفع «ستالين» كأسه هناك ودعا إلى النخب المذكور مما أجبر «تشرشل» على الخروج من القاعة محتجاً ودعا بعد ذلك «روزفلت» مازحاً إلى قتل /٤٩٥٠٠/ ضابط ألماني فقط. آما ابنه «ايلوت» المنتشي من الخمر فقد تأمل أن يكونوا مئة ألف ضابط قتلى في ساحات الوغى فقام العم «جو»[1] من مكانه وعانقه.

ولا شك آن «روزفلت» قصد من طلب التكرار إزعاج «تشرشل» لأنه وكما يبدو كان يُعده منافساً له، وقد قال ذات مرة لابنه «ايلوت» في طهران «للأسف رئيس الحكومة يفكر كثيراً عما سيحصل بعد الحرب وكيف سيكون وضع إنكلترا إنه يخاف أن يُسمح للروس بأن يصبحوا أقوياء أكثر مما يجب». ولم يخف ذلك عن «ستالين» حين قال له (بأنه سيخبره الآن وبالسر ما لا يود قوله في حضور «تشرشل»). ومن ضمن ما لم يجب لـ «تشرشل» آن يسمعه كان التالي: «قال الرئيس إن جيوشنا أصبحت قريبة الآن من بعضها لدرجة أنها تستطيع الاتصال المباشر وهو يتأمل بأن الجنرال «ايزنهاور» يستطيع الآن التعامل مباشرة مع القيادة السوفييتية من دون الرجوع إلى القيادة العامة للحلفاء في لندن أو واشنطن». «/٤/ شباط «فبراير» /١٩٤٥م/» وهذا يفسر لنا سبب المصير الذي أصاب فيينا وبراغ وبرلين.

في آذار «مارس» ونيسان «ابريل» وآيار «مايو» /١٩٤٥م/ اتصل «ايزنهاور» مباشرة مع موسكو وآطلع السوفييت على خططه في الهجوم ووافق على إيقاف جيشه قبل الوصول إلى تلك العواصم.

١- لقب (ستالين) في الغرب -المترجم

في «يالطا» لم يدعُ «ستالين» مرة أخرى إلى قتل /٥٠٠٠٠/ ضابط ألماني تبين وثائق «يالطا» أن «ستالين» أبدى برودة نحو عروض «روزفلت» الخاصة «مثل تطفيش الإنكليز من هونغ كونغ» وصورته إنساناً وقوراً وصاحب عزة نفس كبيرة وأنه كان أكثر حذراً في عباراته من الرئيس الأمريكي.

سبب ذلك يمكن أن يكون أن ثرثرة «روزفلت» في غلاظتها ووقاحتها التي تعطي انطباعاً منفراً، ولا شك بأن «ستالين» لم يكن يتوقع أن الرئيس الأمريكي سينزلق إلى تلك الدرجة في تأييده للسوفييت وبسبب تخوفه من فخ ما بقي حذراً أكثر من العادة. ومهما يكن فإن الجزار «ستالين» يبدو على صفحات وثائق «يالطا» أقل من ضيفه قباحة.

إن أكبر امتحان لشرف الغرب كان موضوع بولندا وما سيحل بها. والحرب بدأت بسبب احتلال السوفييت والألمان المشترك لبولندا. ولا شك بأن وثيقة الأطلسي لـ «روزفلت» و «تشرشل» في عام /١٩٤١م/ حول «إعادة الاستقلال وحق تقرير المصير لمن حرم من ذلك بالقوة» كانت تقصد بولندا في الدرجة الأولى.

ولكن في «يالطا» قدمت بولندا عملياً غنيمة للسوفييت وللثورة العالمية. ويشهد على ذلك بوضوح الامتناع عن مساعدة انتفاضة وارسو وأوامر «روزفلت» لـ «ايزنهاور» بأن خططه الهجومية يجب أن تخضع لأوضاع السوفييت وتنسق معها. وهذا كان يعني عملياً أن كل الدول إلى الشرق والشرق الجنوبي من برلين ستدخل في منطقة النفوذ الثوري.

وكان ذلك هزيمة نكراء. وأما التذرع بأن نصف بولندا فقط سيذهب إلى الروس وأن بولندا ستحصل على تعويض من الأراضي الألمانية تضم إليها وأن انتخابات حرة ستجرى هناك فهو أمر مضحك لكل من عرف أن كل بولندا ونصف ألمانيا ستقع تحت العبودية السوفييتية. وأن جيوش الحلفاء توقفت حتى لا تعيق حدوث ذلك. وطرح «روزفلت» في «يالطا» موضوع بولندا وبدأ بالكلام عن وجود /٦/ أو /٧/ ملايين بولندي في أمريكا. وبدا للجميع أن الأمر بالنسبة له لم يكن يتعلق ببولندا بل بأصوات الناخبين من أصل بولندي. بعد ذلك عرض اقتطاع بولندا الشرقية مع خط «كيرزوف» وأضاف عبارة غريبة وهي أن «أغلبية البولنديين يريدون مثل الصينيين فقط حفظ ماء الوجه».

وقد لاحظ المراقبون منذ فترة طويلة عدم وجود ترابط في حديث «روزفلت» وهو في هذه المرة أيضاً لم يشرح كيف يمكن لفقدان الأراضي أن يساعد البولنديين على حفظ ماء وجههم.

لقد جرى إعداد «روزفلت» بشكل جيد من قبل مستشاريه لمثل هذه العروض والأطروحات.

وقد كتب «إدوار ستيتينيوس» وزير خارجيته (في حقيقة الأمر لم يشترك كثيراً في توجيه السياسة الخارجية) في ذلك الحين يقول: (طلب مني الرئيس إرسال حقوقي إليه للاستشارة في وضع تصريح حول موضوع الحدود البولندية وقمت بإرسال «الدجير هيس» إليه).

وبقي «تشرشل» وحيداً وقال في آخر احتجاج له: «نحن بدأنا الحرب على ألمانيا من أجل الحرية ومن أجل استقلال بولندا. والكل يعرف كم كان ذلك صعباً بالنسبة لنا بسبب عدم استعدادنا لذلك. لقد خاطرنا بأرواحنا كأمة. لا يوجد لدى بريطانيا العظمى أي مصالح إقليمية في بولندا وفقط تعلق الأمر بشرفنا. ولذلك امتشقنا السيف للدفاع عن بولندا رداً على الهجوم الوحشي لـ «هتلر». وأنا لن أوافق على أي حل لا يعطي بولندا الحرية والاستقلال».

وفيما بعد وعندما أجبر على التراجع أمام ضغط «روزفلت» و «ستالين» قال: «إنهم يتهموننا، بأن الحكومة البريطانية تراجعت في كل شيء في موضوع الحدود البولندية وأنها لم توافق فقط على وجهة النظر السوفييتية بل ودعمتها. إنهم يتهمون بريطانيا بأنها تركت بولندا تواجه مصيرها لوحدها». ومن الواضح أنه لن يبقى أمامه أي خيار غير التوقيع على الاتفاقية.

وكان هناك اتفاق آخر إضافي اعتبر بموجبه كل أسرى الحرب السوفييت لدى ألمانيا عبارة عن جنود فارين من الخدمة يجب إعادتهم إلى روسيا. هذا الأمر على الورق ليس مخيفاً جداً ولكن في الواقع كان الأمر فظيعاً بالنسبة للناس.

وقد كتب القس الحربي الإنكليزي «جيمس تشوستر» الذي كان أسيراً في معتقل ألماني احتوى على أربعة آلاف أسير: «على طول الشاطئ الشرقي لنهر مولدي تجمع حشد من الناس، عشرات الآلاف من اللاجئين الذين قدموا قبلنا. كان النهر الحدود الفاصلة بين الأمريكان والروس. وقدم الأمريكان قبل الروس إلى هناك وتوقفوا عند النهر ولم يسمحوا لأحد عبور النهر إلا للجنود الألمان والأسرى من دول الحلفاء الغربية. وقد حاول عدة مرات بعض الفارين في يأس وخوف من وحشية السوفييت عبور النهر إلا أن رصاص الرشاشات الأمريكية كان لهم بالمرصاد».

وهكذا كانت نهاية الحرب العالمية الثانية وانضم «ستالين» وأضاف توقيعه إلى التوقيعين الموجودين على وثيقة الأطلسي: «في هذه الوثيقة نؤكد نحن إيماننا بمبادئ وثيقة الأطلسي».

في نهاية مؤتمر «يالطا» حدث أمر مثير آخر. في النهاية وقبل سفر الرئيس «روزفلت» لملاقاة الملك «ابن سعود» اجتمع مع «ستالين» الذي لاحظ بأن «القضية اليهودية صعبة للغاية وأن الروس أيضاً حاولوا إنشاء ملاذ قومي يهودي في منطقة «بيدوبيجان»

ولكن لم يأت ذلك بنتيجة. بقي اليهود هناك نحو ثلاث سنوات ومن ثم هربوا إلى المدن الكبرى»[1].

وعند ذلك قال «روزفلت» «بأنه صهيوني وسأل هل المارشال «ستالين» أيضاً صهيوني»؟

فأجابه «ستالين» «من حيث المبدأ- أجل».

ولكنه أضاف بأنه «لا يخفى عليه صعوبات تلك القضية».

وهنا يعطي قاطع الطرق الجورجي سارق البنوك «ستالين» انطباعاً أفضل كرجل دولة ويتكلم بلهجة عملية أكثر من أي زعيم غربي في الأربعين سنة الأخيرة، حيث لم يشاهد أي منهم صعوبة في تلك القضية بل إن «تشرشل» اعتبر أن الحديث عن الصعوبات في القضية اليهودية يعادل معاداة السامية. ومن الواضح أن الحديث في هذا الموضوع لم ينته عند تلك الكلمات ولكن الوثائق الرسمية لا تحتوي على شيء أكثر من ذلك. وفي نفس المساء سأل «ستالين» «روزفلت» ما هي التنازلات التي سيقدمها لـ «ابن سعود» فأجابه الرئيس: «إن بإمكانه تقديم تنازل واحد له «للملك ابن سعود» وهو أن يرسل له ستة ملايين يهودي أمريكي». «هذا المقطع شهدت عليه مصادر موثوقة ولكنه محذوف من النص الرسمي».

كل ما ذكر أعلاه ما عدا المقطع الأخير مأخوذ من نشرة رسمية صادرة عن وزارة الخارجية في /١٦/ آذار «مارس» /١٩٥٥م/ بعنوان «مؤتمر مالطا و «يالطا» /١٩٤٥م/» ولكن النشرة كانت ناقصة وحذف منها الكثير من المقاطع ولا شك بأنها كانت أسوأ.

في أيار «مايو» عام /١٩٥٣م/ تحت ضغط مجلس النواب الأمريكي اضطرت وزارة الخارجية إلى البدء في طباعة النصوص الأصلية غير المعدلة، وكان من المفروض حدوث ذلك حتى تاريخ حزيران «يونيو» /١٩٥٦م/ وآن تخرج من الطباعة وثائق كل الاجتماعات الاثنا عشر على أعلى مستوى في وقت الحرب.

ولكن حتى أيار «مايو» /١٩٥٦/ جرى نشر فقط بروتوكولات «يالطا» وبعد تعرضها للرقابة. وموظفا وزارة الخارجية المكلفان بإعداد الوثائق للطباعة واللذان أصرا على نشرها كاملة وفي الوقت المحدد جرى فصلهما من العمل في نيسان «ابريل» /١٩٥٥م/

١- قامت السلطة السوفييتية بإنشاء إقليم حكم ذاتي لليهود في الشرق الأقصى لا يزال موجوداً حتى الآن وهو يحتوي على كل الجنسيات إلا اليهود -المترجم

وهما الدكتور «دونالد دوزير» و «برايتون بارون». على الرغم من أن الرئيس «ايزنهاور» صرح في نيسان «ابريل» /١٩٥٥م/: «أنا أعتقد أنه من الغباء محاولة إخفاء أي وثائق من زمن الحرب بما فيها أخطائي الخاصة. يجب نشر كل شيء يمكن أن يفيد مجتمع الولايات التعلم من الأخطاء السابقة».

وقبل إقالة «بارون» وإحالته على التقاعد «تعرض لحملة غسل دماغ شديدة لكي يوافق على سحب بعض الوثائق المهمة». واضطر الرجل إلى اطلاع رؤسائه بأن الوثائق المعدة للطباعة جرى تحويرها وهي غير كاملة والهدف من كل ذلك هو حماية الحكومة السابقة وتضليل الشعب الأمريكي.

وقصة وثائق «يالطا» تبين بوضوح أنه وحتى بعد مرور عشر سنوات على انتهاء الحرب لا تزال السلطة الحكومية في يد «المجموعة الغربية» وهي الآن في وضع تستطيع معه أن لا تبالي بالرئيس والكونغرس وتتصرف على هواها. الرسن كان بأكمله في أيديها وهذا يعني أن تسرب عملاء الثورة العالمية إلى الحكومة الأمريكية وآجهزتها والذي بدأ في أول عهد «روزفلت» /١٩٣٣م/ لم يكن قد أزيل في عام /١٩٥٥م/ على الرغم من الكثير من الفضائح المدوية.

ولم يقتصر ذلك على أمريكا وحدها بل شمل كل العالم الغربي وقد أوضحنا سابقاً كيف حدث ذلك في إنكلترا وقد شمل ذلك أيضاً كل من كندا واستراليا آول فضائح النشاط التخريبي للثورة العالمية كان في كندا مباشرة بعد الحرب وتلا ذلك تحقيق كامل على المستوى الحكومي ونشرت نتائجه وكان ذلك دافعاً إلى كشف عن مؤامرات مماثلة في الولايات المتحدة وأستراليا وإنكلترا.

وكشف عن شبكة التجسس في أوتاوا في كندا بعض الروس الذين خاطروا بحياتهم من أجل ذلك.

(على الرغم من أن الروس هم الذين كشفوا الشبكة وحذروا الغرب منها إلا أن الصحافة والسياسيين في الغرب ظلوا يحرضون شعوبهم ضد الروس وليس ضد المؤامرة الشيوعية العالمية والتي كان آول ضحاياها الشعب الروسي وروسيا بالكامل).

والفضل في التحقيقات التي جرت كاملة وحتى النهاية يعود بلا شك إلى أن رئيس الوزراء الكندي، الذي كان في ذلك الوقت «ماكينزي كينغ» وهو سياسي محنك، كان اهتمامه كله منصباً على الأمور الانفصالية في بلاده. وبعد أن تأكد وثائقياً من صحة ادعاءات «إيكر غوزينكو» استوعب أن الموضوع على درجة عالية من الجدية لم تقع فيها

كندا من قبل وعلى الفور طار ليخبر الرئيس الأمريكي ورئيس الحكومة البريطاني بأن الوضع في بلادهم حسب معلوماته أكثر خطورة.

في ذلك الوقت كانت الإثباتات والدلائل الوثاقية تدل على أن «الدجير هيس» هو عميل سوفييتي وعلى الرغم من ذلك أُهمل الموضوع من قبل رئيسين أمريكيين. أما الرئيس الثالث «ترومان» فقد استهزأ بها.

ويعود الفضل إلى فضح «هيس» بالدرجة الأولى إلى مجموعة من الوطنيين الغيارى (من بينهم الرئيس اللاحق «نيكسون») الذين استطاعوا الحصول على الحقيقة والإصرار على التحقيق، وأدت قضية «هيس» إلى فضح قضايا أخرى عديدة أوضحت كلها أن الجهاز الحكومي الأمريكي على كافة مستوياته محشي بالعملاء السوفييت.

في عام /١٩٥١/ اختفى موظفان رفيعان من «فورين اوفيس» «وزارة الخارجية في لندن» أحدهما كان موظفاً مهماً في الوزارة وقفز خلال فترة قصيرة قفزات سريعة في السلم الوظيفي. ولكن سرعان ما تبين أنهما في موسكو بعد أن خافا من اكتشاف أمريهما بعد فضيحة «هيس». وخلال أربع سنوات بعد ذلك رفضت الحكومة الإنكليزية التحقيق في الموضوع بشكل مفتوح وعلني أو آن تقدم إلى الرأي العام أي معلومات. ولكن في عام /١٩٥٥م/ أعلنت وزارة الخارجية بشكل مفاجئ أنهما متهمان في تسليم معلومات سرية لجهات روسية ابتداء من /١٩٤٩/ «اختفيا في عام /١٩٥١/».

وقد صرح المواطن السوفييتي الهارب من السفارة السوفييتية في كانبيره «فلاديمير بتروف» بأن الموظفين الهاربين هما «بورغيس» و «ماكلين» وقد جرى تجنيدهما أيام الدراسة الجامعية في جامعة كامبردج في فترة/١٩٣٠-١٩٣٥م/ وهو أمر يشابه جداً قضية «هيس» في أمريكا.

بعد ذلك عرضت السلطات السوفييتية الجاسوسين على الصحفيين الأجانب في موسكو وقدمتهما على أنهما موظفان في وزارة الخارجية السوفييتية.

أما الحكومة البريطانية فلم تجد أمراً تقوم به أفضل من دعوتها لـ «خروشوف» و «بولغانين» لزيارة لندن.

وبعد فضيحة «بتروف» أصبحت استراليا رابع دولة أصابتها عدوى طاعون التجسس السوفييتي.

وتشكلت هناك لجنة رفيعة المستوى للتحقيق مؤلفة من ثلاثة محققين قضائيين وكان التحقيق كاملاً وحتى النهاية. وظهر على أثره تقرير رسمي في /١٤/ تشرين الأول

«أكتوبر» /١٩٥٥م/ جاء فيه أن السفارة السوفييتية في كانبيره قامت ابتداء من /١٩٤٣/ بتنظيم وقيادة منظمة للتجسس في أستراليا، وحذر وزير خارجية استراليا بأن الجواسيس الروس لا يزالون يتجسسون في بلاده وبمساعدة العملاء الذين دخلوا البلاد كمهاجرين وأكد وجود الكثير من الخونة بين الموظفين الحكوميين.

وكان ذلك تأكيداً لما قاله «ماكينزي كينغ» قبل عشر سنوات بأن الدول الغربية لم تقم بأي عمل جدي لتجنب الخطر المميت المحدق بها. والسبب الرئيس في ذلك كان في أن جميع التحقيقات الحكومية والبرلمانية لم تقدم المعلومات الموثوقة للرأي العام بل على العكس كان كل ما تقدمه وتقوله مزيفاً وكاذباً. وكانت ترتكز على التجسس على الرغم من أن هذا الأمر كان في الحقيقة ثانوياً لأن الكل يعرف بأن الدول الكبرى تحاول دائماً التعرف على أسرار الدول الأخرى عن طريق التجسس والعملاء.

لذلك فإن التجسس السوفييتي على الرغم من حجمه الهائل لم يكن غريباً ولم يثر اهتمام المجتمع الذي اعتبر وعن حق أن مخابرات مكافحة التجسس وجدت لكي تراقب وتقاوم هذه الأمور.

إذن المشكلة لم تكن في سرقة وثائق سرية بل كانت في سيطرة يد غريبة على السياسة الحكومية وتوجيهها لها على أعلى المستويات، وهو أمر أدى إلى تلويث كامل للجهاز الحكومي للدول الغربية. وهذا ما سمح في فترة الحرب إرسال سيول من السلاح والعتاد والبضائع والأموال إلى روسيا، وكذلك توجيه العمليات العسكرية لمصلحتها والتأثير على سلوك الزعماء الغربيين وعلى نتائج المؤتمرات واللقاءات بهدف تقديم الدعم الأعظم وتأمين النجاح الأكبر للدولة الشيوعية الثورية، فيما يخص التوسع الإقليمي وتقوية قدراتها الحربية والصناعية. وقد كُشفت هذه الجهة من القضية وآلقي الضوء عليها فقط خلال محاكمة «هيس» وما رافقها من تحريات وتحقيقات والتي أثبتت بأن الثورة العالمية لديها عملاء في قمة السلطة في الدول الغربية وقد أدار هؤلاء العملاء السلطة ووجهوها لمصلحة الثورة. ولا يمكن فصل أسماء «هيس» و «غاري وايت» عن هذه القضية. ومنذ سنوات الدراسة الجامعية في الثلاثينيات أخذ «هيس» يتسلق السلم الوظيفي بسرعة تشبه حال ماكلين في إنكلترا وفي عام /١٩٣٩م/. وقام رفيقه الشيوعي بالإشارة إليه بوصفه عميلاً سوفييتياً. ولكن القيادة الأمريكية لم تبد اهتماماً بذلك وتابع «هيس» خدمته وكان في «يالطا» دائماً مع الرئيس «حتى في المحادثات المنفردة مع «ستالين» وضياع أوربة الشرقية مرتبط باسمه. بعد «يالطا» وكملاقة شكر وثقة خاصة جعلوا منه أميناً عاماً

للأمم المتحدة التي ولدت في سان فرانسيسكو /١٩٤٥م/ والتي ظهرت إلى الوجود بقيادة عميل، ودور «هيس» القيادي في «يالطا» يتضح من الكثير من الأمثلة.

وزير الخارجية قبيل مؤتمر «يالطا» أعطى أمراً لموظفيه بتحضير كل الوثائق التي سيبحثها الرئيس هناك وأعطى كل المواد المذكورة إلى المستر «هيس» قبل الاثنين /١٥/ كانون الثاني «يناير» /١٩٤٥م/ وحصل «هيس» على كل المواد اللازمة لإطلاع الرئيس على الموضوعات التي ستبحث في «يالطا».

وحضر مؤتمر «يالطا» مدير المؤسسة العسكرية المختصة بالاحتياط «وزير خارجية سابق» وقد كتب فيما بعد يقول: «لقد بدا لي أن الرئيس لم يكن مستعداً للمؤتمر... وفقط لدى توقفنا في مالطا علمت أن لدينا في الطائرة مجموعة كاملة من التحاليل والنصائح والإرشادات التي أعدتها وزارة الخارجية، وعندما أطلعت على بعضها فيما بعد وأيقنتُ أنها رائعة وأنا كنت شديد الأسف لأننا لم ندرسها في وقت الرحلة. أنا على ثقة أن مرض الرئيس ليس السبب في ذلك».

المواد التي أعدها الخبراء المختصون المحترفون من وزارة الخارجية تعلقت بمستقبل العلاقات مع السوفييت، ولكن تصريحات «روزفلت» في «يالطا» لم تعكس أبداً محتويات تلك المواد لأنه لم يُتعب نفسه بالتعرف والاطلاع عليها.

وعملياً أشرف «هيس» على السياسة الأمريكية في «يالطا» وكان دائماً يقف وراء ظهر الرئيس في كل الاجتماعات، وكان الرئيس يجتمع معه قبل وبعد تلك الاجتماعات. والتقرير الأمريكي الرسمي عن «يالطا» تعرض وبلا شك للتعديل والتصحيح خصيصاً بهدف تزويق وتجميل دور «هيس» - دوره في المؤامرة.

«برايتون بارون» أحد الموظفين في وزارة الخارجية الذي فُصل عن العمل لأنه رفض تحريف التاريخ والتكتم على المعلومات الرسمية، صرح في شباط «فبراير» /١٩٥٦م/ في اجتماع عام في شيكاغو بأنه لو سمح له لكان سيوضح «بواسطة الأمثلة، مدى السلطة التي تمتع بها «هيس»... وكيف كان يعمل ويؤثر على أعلى مستويات السلطة الحكومية» وأضاف بأن التقرير الرسمي يتكلم عن دوره المهم في ذلك المؤتمر».

وبفضل التحقيق والمحاكمة أصبح اسم «هيس» معروفاً جيداً ولكن الشخص الأكثر اطلاعاً في هذه القصة «ويتكر تشامبرس» يُعد أن الشخص المدعو «غاري ديكستر وايت» الذي يدعوه «واحد من أكثر الشخصيات نفوذاً في العالم كله»، لعب دوراً أكبر في إخضاع السياسة الأمريكية للمصالح السوفييتية. وكما كتبت الصحف

الأمريكية فإن كل محاولاتها للحصول على وثيقة ميلاد لمواطن باسم «غاري ديكستر وايت» باءت بالفشل. ولا أحد يعرف بالضبط من كان هذا الشخص في الواقع.

«هنري مورغنتاو الابن» عمل لمدة /١٢/ سنة متواصلة وزير في حكومة «روزفلت». وبعد تعيينه وزيراً للمالية قام بتوظيف «غاري ديكستر وايت» في وزارته في عام /١٩٤٣م/ وتسلق هذا الأخير السلم الوظيفي بسرعة خارقة «مما يدل على دعم قوي من جهة ذات نفوذ». وبعد «بيرل هاربور» أصبح مديراً «لكل عمليات وزارة المالية المتعلقة بالعلاقات الدولية» وبعد ذلك أصبح نائباً للوزير.

وعلى مدى كل تلك السنين كان هذا الموظف الحكومي «والذي ستبقى شخصيته الحقيقية مجهولة إلى الأبد» عميلاً سوفييتياً وعلى الرغم من كل البراهين المقدمة التي تدل على ذلك لم يأخذها الرئيس «روزفلت» بالحسبان.

أشار «تشامبرس» إلى أنه استلم من «وايت» أولى الوثائق السرية لتسليمها للسوفييت في عام /١٩٣٥م/. وفي عام /١٩٣٩/ عرض «تشامبرس» تقديم براهين على نشاط «وايت» و «هيس». وقد بقيت هذه البراهين مخبأة فترة تسع سنوات حتى قام هو بتقديمها لدحض افتراءات «هيس» ضده.

ومنذ البداية وحتى النهاية لم تبد أي جهة حكومية رغبة في الاطلاع عليها. واستجوب مكتب التحقيقات الفيدرالي «تشامبرس» حيث أشار إلى «وايت» وذكر اسمه في عام /١٩٤١م/ ولكن FBI لم تتخذ أي إجراءات محددة. والكشف عن الحقيقة والفضيحة النهائية حدثت على يد تحرٍ خاص في عام /١٩٤٨م/.

أول تدخل حاسم للسيد «وايت» في السياسة الحكومية الأمريكية كان في عام /١٩٤١م/ وذلك استناداً إلى مصدرين لا يثيران الشك أبداً (البروفسور «ويليام لانغر» والبروفسور «ايفيريت غليزون» من جامعة هارفرد في كتابهما «الحرب غير المعلنة»).

«وايت» بالذات كان من وضع نص الإنذار الأمريكي في /٢٦/ تشرين الثاني «نوفمبر» عام /١٩٤١م/ والذي آغرى اليابان وزحلقها لتطلق الطلقة الأولى في «بيرل هاربور» وبالتالي فإن بصمات «وايت» واضحة على الفصل الأول من دخول أمريكا إلى الحرب تماماً، كما هي واضحة عليه بصمات القيادة السوفييتية ذات المصلحة الكبيرة في ذلك. وبعد تأمين بداية الحرب استطاع تأمين نهايتها وبشكل مطلق لمصلحة سادته.

وكذلك ينسب إلى «وايت» رسم «خطة مورغنتاو» الهادفة عملياً إلى تدمير وسلب ألمانيا. ونرى أنه في الحالتين كانت السياسة الأمريكية تأتي من وزارة المالية وليس من

وزارة الخارجية أو من وزارة الحربية اللتين حسب الدستور هما المسؤولتان وبقيادة الرئيس عن إدارة السياسة الخارجية في زمن الحرب.

ومع انتهاء الحرب لوحظت ميول إلى محاولة نسب القرارين المهلكين إلى «وايت»، وهنا تبدو واضحة محاولة نزع المسؤولية عن الوزير «هنري مورغنتاو» ولكن «مورغنتاو» هو من عين «وايت» في منصبه المهم والخطير، وهو الذي وقع على مشروع الإنذار إلى اليابان عام /١٩٤١م/ وعلى مشروع تمزيق ألمانيا في أيلول «سبتمبر» عام /١٩٤٤م/ والرئيس «روزفلت» في الحالتين عمل حسب الخطة التي وضعها وقدمها له «مورغنتاو».

لذلك من المستحيل تحديد وفصل مسؤولية كل من «وايت» و «مورغنتاو». وفقط يمكن القول بأن «غاري ديكستر وايت» الغامض كان روح هذا الثنائي المحترم.

فريد سميث وهو معاون آخر لوزير المالية ذكر في عام /١٩٤٧م/ كيف ظهرت خطة تمزيق ألمانيا إلى مناطق صغيرة مع تحطيم كامل لصناعتها وإغراق مناجم الفحم وإيصالها إلى مستوى مراعي الماعز، وقال إن الموضوع بحث لأول مرة على طاولة غداء الجنرال «ايزنهاور» وبحضوره وحضور وزير المالية والسيد «وايت» في السابع من آب «آغسطس» /١٩٤٤/ في إنكلترا وحسب أقوال سميث فإن «وايت» هو الذي فتح موضوع مستقبل ألمانيا. وقال «ايزنهاور» بأنه يرغب «ولفترة طويلة فرك آذان الألمان... إن كل سكان ألمانيا- مرضى اصطناعيين».

(العبارة الأخيرة مؤلفة من كلمتين لا علاقة لواحدة بالأخرى لا من الناحية المباشرة ولا حتى من الناحية المبطنة وهو ما يدل على أن الجنرال كان يحب استعمال الكلمات «الذكية» التي لا يفهم هو معناها- ملاحظة الترجمة-).

فأجاب «وايت» عند ذلك: «إذن بإمكاننا أن نستند عليكم في موضوع معاملة الألمان». وعلى أساس هذه المقابلة والحديث وضع «مورغنتاو» خطته حيث وافق عليها في لندن «تشرشل» و «ايدن» ومن ثم طار إلى واشنطن حيث قدم الخطة لـ «روزفلت» وحتى تلك اللحظة- وعلى ذمة سميث- لم تكن وزارة الخارجية على علم بذلك.

ويبدو أن «روزفلت» كان لديه بعض الشكوك فيما يخص الخطة لذلك قام بتعيين لجنة لوضع خطة تنظيم ألمانيا بعد الحرب وفيها أخيراً التقى وزير الخارجية ووزير الحربية مع السيد «مورغنتاو» وزير المالية.

وأدى عرض خطة «مورغنتاو» على اللجنة إلى «انفجار حاد لم يشهد البيت الأبيض مثله أبداً».

وزير الخارجية «هيل» ووزير الدفاع «ستيمسون» أعلنا احتجاجهما الشديد والقاطع. ولكن على الرغم من ذلك عندما سافر «روزفلت» لملاقاة «تشرشل» في كويبيك «حصل أن» السيد «مورغنتاو» رافقه في تلك الرحلة وأما وزيرا الدفاع والخارجية فقد بقيا في الوطن وذكر «تشرشل» أن ذلك أدهشه. وعلى الرغم من ذلك فقد وضع هو و «روزفلت» توقيعه على الخطة التي كان يجب تسميتها خطة «وايت» و «مورغنتاو».

وهكذا نرى أن «روزفلت» (على الرغم من اعتراض وزيري خارجيته وحربيته) و «تشرشل» (على الرغم من تصريحاته السابقة الرافضة لذلك) فقد وقعا على «السلام» القائم على الانتقام والعقاب «للمهزومين» على الرغم من أن الاثنين أكدا فيما بعد أنهما لم يشاهدا ما اقترفت أيديهما. «تشرشل» ادعى بأنه «يأسف جداً» لتوقيعه على تلك الوثيقة ولكن ذلك لا يفسر أبداً لماذا قام هو بذلك.

أما «روزفلت» فقد صور الأمر وكأن الحديث يجري عن مذكرة دولية قليلة الأهمية، ولم يكلف نفسه قراءتها ووضع بالخطأ توقيعه عليها. وحسب قوله فقد تنازل هو أمام إصرار «صديق قديم وفي» وهو أيضاً يشير إلى السير «مورغنتاو» ولكنه وحسب زعمه صعق تماماً مما نتج عن ذلك «ولم يقدر أن يفهم كيف وافق على وضع توقيعه تحت ذلك. ولا شك بأنه لم يفكر عندما قام بالتوقيع» «ستيمسون».

وجرى تصوير الأمر للرأي العام وكان الخطأ أُكتشف في الوقت المناسب وأن خطة «مورغنتاو» لم تنفذ. ولم تدمر المصانع والمعامل وتغرق المناجم ولم يكن ذلك صحيحاً، وقد سادت روح الانتقام المتشبعة في خطة «وايت مورغنتاو» على فترة ما بعد الحرب ولم يتمكن «مورغنتاو» أن يمرر (كما عرض «روزفلت» ذلك على «ستالين» مازحاً في «يالطا») فكرة إعدام «المجرمين المخضرمين» الألمان من دون محاكمة.

ولكن حتى المحاكمات التي جرت في ألمانيا تظل لطخة عار على مدى العصور على صدر العدالة الغربية. وكان تقسيم ألمانيا يحمل في طياته أخطاراً جسيمة للمستقبل.

ومع نهاية الحرب استمرت هيبة ونفوذ «وايت» بالصعود لدى الرؤساء الأمريكيين وعين رئيساً للمؤتمر الثاني من المؤتمرات الدولية التي جرى فيها إعداد إخضاع الدول القومية للإدارة الدولية.

المؤتمر الأول كان المؤتمر التحضيري التنظيمي لهيئة الأمم المتحدة والذي ترأسه «الدجير هيس». المؤتمر الثاني كان المؤتمر المالي في بريتون فودس والذي نتج عنه تأسيس صندوق النقد الدولي والبنك العالمي.

«وايت» كان من نظم هذا المؤتمر وأصبح فيما بعد المدير الأمريكي لصندوق النقد الدولي.

وقبيل حصول «وايت» على منصبه الأخير «رسمياً أعلن ذلك الرئيس «ترومان» في /٢٣/ كانون الثاني «يناير» /١٩٤٦م/» قام مكتب التحقيقات الفيدرالي بتحذير البيت الأبيض عدة مرات من النشاط السري للسيد «وايت». وآخر مرة كان ذلك في تقرير إلى المساعد الخاص للرئيس في الشؤون العسكرية في /٨/ كانون الثاني «يناير» /١٩٤٥م/ وفيه اتهم «وايت» صراحة على أنه عميل سوفييتي وجاسوس.

مع إعلان الرئيس عن المنصب الجديد لـ «وايت» قام مدير FBI «ايدجار هوفر» في /١/ شباط «فبراير» /١٩٤٦م/ بإرسال تحذير جدي جديد إلى الحكومة أشار فيه إلى أنه لو تم التصديق على تعيين «وايت» فإنه سيكون بإمكانه ولدرجة كبيرة التأثير على كافة الحلول للقضايا المالية الدولية.

ولكن على الرغم من ذلك صادق الرئيس على تعيين «وايت» في /١/ أيار «مايو» /١٩٤٦م/. أشار إلى كل ذلك النائب العام الحكومي «غربرت براونيل» في تقريره الصادر في /١٧/ تشرين الثاني «نوفمبر» /١٩٥٣م/.

وقد اعترف الرئيس «ترومان» بأنه صادق على تعيين «وايت» بعد أن حصل على تحذير FBI في شباط «فبراير» /١٩٤١م/ «ولكنه لم يكلف نفسه الإشارة إلى التحذير الأول في تشرين الثاني «نوفمبر» /١٩٤٥م/».

وفي نيسان «ابريل» /١٩٤٧م/ عندما اقتربت التحقيقات في قضية «هيس» من نهايتها، قدم السيد «وايت» استقالته «لأسباب صحية».

وعندما ثبت ذنبه وكان يجب إطلاع الرأي العام على ذلك استدعي للاستجواب أمام لجنة تقصي النشاط المعادي لأمريكا في آب «أغسطس» /١٩٤٨م/ ولكنه رفض الاعتراف وأكد عدم ضلوعه في أي مؤامرة. فقام «بشكل غير رسمي» رئيس اللجنة بإطلاعه على الإثباتات التي تدين تورطه. وبعد ثلاثة أيام عثر عليه ميتاً. وجرى دفنه حسب الطقوس الدينية اليهودية ولم يُسمح بتشريح الجثة للكشف عن أسباب موته الغامضة جداً.

وبعد مرور سبع سنوات على ذلك قررت لجنة الكونغرس الداخلية المتخصصة بالأمن في نشرة أصدرتها بتاريخ /٣/ كانون الثاني «يناير» /١٩٥٥م/ ما يلي:

١- «الدجير هيس وغاري ديكستر وايت» ومن معهم من الجماعة السرية الشيوعية، كان لديهم سلطة للتأثير الحاسم على السياسة الحكومية الأمريكية وعلى سياسة المؤسسات الدولية في فترة تلتها مباشرة.

٢- كان لهم سلطة ونفوذ للتأثير الحاسم على تأسيس الأمم المتحدة والتدخل في نشاطها ونشاط المؤسسات التابعة لها.

٣- ولم تحدد سلطتهم فقط بالمناصب الرسمية التي احتلوها بل كانت تتمثل قبل كل شيء في وصولهم إلى قيادة الدولة ورجالها والتأثير المباشر عليهم وكذلك توفرت الإمكانات لديهم على إخفاء أو بالعكس تقديم المواد والمعلومات السرية التي تقوم عليها القرارات السياسية المهمة لرؤسائهم.

٤- لقد ثبتت عمالة «هيس» و «وايت» وعدد كبير من زملائهم «الذين ساعدوا في اللحظات الحاسمة على وضع السياسة الدولية لأمريكا وسياسة المنظمات الدولية» لمنظمات شيوعية سرية. وكان يمكن لهذا التقدير أن يصبح نهاية جيدة لقصة مؤسفة وفي الزمن العادي السابق كان يجب أن يعقبه طرد للمذنبين عن حصول هذه الحالة ومعاقبتهم حسب القانون ثم يلي ذلك مجموعة من الإجراءات الضرورية لإزالة عواقب كل ذلك.

ولكن في هذه الحالة المذكورة يستطيع كاتب السطور هذه أن يشهد «لأنه كان متواجداً في أمريكا خلال سنوات عديدة من تلك الفترة» بأنه حتى لو وجدت محاولات لتصحيح ما حدث فهي غير كافية، وكان سبب ذلك الرئيس هو الحملة الشرسة في الصحافة التي رافقت ذلك ولم تكن ضد المؤامرة بل على العكس ضد من كشفها وحقق فيها. ونحن نرى هنا تكراراً لما حدث بعد الثورة الفرنسية عندما انهار التشهير القذر على رؤوس «مورس» و «باريولي» و «روبيسون» والآن لو قام مؤرخ ما في المستقبل بتصفح صفحات الجرائد المصفرة لهذه الفترة فسيرى أن كل كلمة موجهة ضد المؤامرة ورجالها كان يوجد مقابلها عشرات الآلاف من الإهانات ضد كل من طالب بالتحقيق وبتصحيح الوضع الحاصل. وسيرى سيلاً عارماً من المديح للسيد «هيس» وكذلك الكثير من مقالات الافتراء على من تاب من المتآمرين مثل «تشامبرس» الذي فضح «هيس» من خلال محاولته الدفاع عن نفسه ضد حملة افتراء جرت ضده ومع الوقت انهارت الحملات

حتى على رأس السيناتور «جوزيف مكارثي» رئيس لجنة التحقيق. وابتدعت الصحافة كلمة «المكارثية» للدلالة على الإصرار في التحقيق وتصحيح سوء استخدام السلطة. ولكن مع مرور الوقت وبفضل جهود بعض الصحفيين أصبحت الكلمة تشير إلى معنى أسوأ من الخيانة للوطن.

وفي عام /١٩٥٤م/ أدان مجلس النواب نشاط «مكارثي» وشجب أساليبه. وقبل كل ذلك بسنتين انتخب «ايزنهاور» رئيساً عن الحزب الجمهوري بعد غياب للحزب دام عشرين عاماً وقد وعد الرئيس حين ذاك أن ينهي تسلل العملاء الشيوعيين إلى الحكومة والسلطة الذي تفشى في عهد «روزفلت» و «ترومان».

ولكن في عام /١٩٥٤م/ صرح الرئيس الجديد بأنه لا يؤيد طرق السيناتور «مكارثي» ولمح بذلك بأنه يقف مع شجبه وإدانته «طالبت بذلك الجمعية اليهودية الأمريكية وهي لوبي صهيوني قوي النفوذ في أمريكا وهو أمر يجب أن لا يثير دهشة أحد لأن أغلب العملاء السوفييت المفضوحين في أمريكا كانوا يهوداً». ونتيجة لكل ذلك اضطر السيناتور «مكارثي» إلى مغادرة الساحة السياسية. وبعد موقف الرئيس الأمريكي المذكور توقفت عملياً كل التحقيقات والفضائح.

ويبدو واضحاً أنه في قضية النشاط التخريبي ينفذ «الزعماء- الديكتاتوريون» المهمة المقررة لهم في «بروتوكولات» عام /١٩٠٢م/.

البروتوكول رقم /١٩/ يقول بأنه عندما تتحقق أهدافهم وتكون الحكومة فوق العادة قد قامت نهائياً، فإن أي محاولة لتخريبها يجب أن توضع في صف الأعمال القذرة والجرائم المقرفة» ويضيف «لقد فعلنا كل ما هو ممكن لحرمان الحكومات الوطنية من هذه الوسائل اللازمة للنضال ضد الخيانة ولهذا الهدف بالذات يجري في الصحف وفي الأحاديث الرسمية وبوسائل أخرى غير مباشرة الإيحاء... بالآلام والعذاب المزعوم للخونة والمحرضين ويُدعى بأن كل ذلك يجري من أجل الخير العام».

وفعلاً على مدى سنوات عديدة ظلت الصحافة من مختلف التيارات السياسية تصور «هيس» وكأنه ضحية أصابها العذاب، وأما «مكارثي» فقد أصبحت صورته تشبه الحيوان الكاسر الفظ.

هذه السلطة على المطبوعات والصحافة التي ظهرت في السنوات العشرين الأخيرة «الكتاب كتب في بداية الخمسينيات من القرن الماضي- ملاحظة الترجمة-». والتي تشل أي محاولة للدولة القومية في محاربتها للتجسس والخيانة وتقف الصحافة بينها وبين الخونة.

وقد تنبأت البروتوكولات بدقة حين قالت: «سيكون النصر حليفنا على أعدائنا لأنه لن يكون في أيديهم وسائل مطبوعات وإعلام يمكنهم من خلالها عرض أرائهم».

لقد أدت الحرب الأولى إلى ظهور عصبة الأمم التي قامت على أنقاض «رابطة فرض السلام» وأما الحرب الثانية فقد بعثت عصبة الأمم ولكن تحت اسم جديد وهذه المنظمة لم تكن أبداً اتحاداً فعلياً للشعوب، وكانت فقط أداة فوق تلك الشعوب لمراقبتها وإدارتها، وقد شاهدنا الدور الذي لعبه «هيس» و «وايت» وغيرهم في تأسيس الأمم المتحدة ولا يوجد آي شك أن نواياهم تضمنت نشر الثورة في كل العالم حسب خطة «لينين».

الفصل الثاني والأربعون

انتقام التلموديين

بفضل السياسة الإنكلو- أمريكية انتهت الحرب العالمية الثانية «بسلام الانتقام» أو على الأصح بانتقام المنتصرين لأن الانتقام معاكس للسلام ولا يمكن أبداً أن يؤدي إليه. وهو أمر زرع بذور حرب جديدة وتقع مسؤولية ذلك على الزعيمين الدكتاتورين في الغرب «روزفلت» و «تشرشل» لأنهما وقعا وثيقة الانتقام في «يالطا» «على الرغم من أنتقادهما لتلك الوثيقة فيما بعد). وفيها أقام الغرب المسيحي مع الشرق البربري الانتقام الهمجي على أوربة.

ويهدف الفصل الحالي إلى الكشف عن المسؤول الأساسي الأول عن ذلك. لأن «روزفلت» و «تشرشل» أكدا فيما بعد أنهما فعلا ذلك تحت إصرار هذا الشخص أو ذاك أو أنهما خضعا لضغط أشخاص مجهولين أو أنهما لم يدركا فداحة ثمن التوقيع المذكور. إن كل ذلك إذا دل على شيء فإنما يدل على عجزهما التام.

في كانون الثاني «يناير» /١٩٤٣/ في مؤتمر الدار البيضاء أطلق «روزفلت» ولأول مرة لهجة «الانتقام الأعمى» «هيل» «عندما طالب فجأة بالاستسلام غير المشروط» وكانت تلك الكلمات في نبراتها التوراتية تعني ببساطة إنه لا سلام أبداً مع العدو وهو أمر يقلب رأساً على عقب كل المبادئ التي أعلنها حكام الغرب سابقاً.

ويشير وزير الخارجية «هيل» بأنه لم يكن لا هو ولا وزارته على علم «واطلاع» بهذا الانقلاب والتغيير لدى الرئيس «روزفلت» وفي السياسة الأمريكية، وإنه كان مذهولاً بذلك تماماً مثل ما كان «تشرشل» مذهولاً. أما «فورين أوفيس» البريطانية فقد طالبت بإلحاح بعدم استخدام مثل هذه التعابير، ولكن على الرغم من كل ذلك فإن «تشرشل» أصبح يؤيدها «طبقاً لتصريحه في مجلس العموم بعد الحرب» ولكن فقط بعد أن استخدمها الرئيس» على الرغم من أنه لم يتشاور معي في ذلك. وأضاف «تشرشل» بأنه (لو سألوا الحكومة البريطانية حول هذا الموضوع لكانت ضد ذلك).

وهكذا جرى في الدار البيضاء في عام /١٩٤٣/ ولأول مرة الاحتفال بالانتقام.

في أيلول «سبتمبر» عام /١٩٤٤/ ظهرت خطة «مورغنتاو» «لا يوجد أي شك بأنها ولدت في موسكو» وفي الحقيقة قام «غاري وايت» بتقديمها لوزيره الذي دسها بدوره إلى الرئيس «روزفلت» وقام هذا الأخير بالتوقيع عليها مع «تشرشل».

وبالتوقيع على تلك الوثيقة جلب الاثنان الضرر الكبير لأوربا والغرب أكبر حتى من ضرر الحرب. إن خراب الحرب يمكن تعميره وبناؤه من جديد ولكن خراب القيم الثقافية التي ظهرت بفضل جهود الشعوب المسيحية على مدى تسعة عشر قرناً هو أمر يكون ترميمه أصعب بكثير. في الشرق كان الانتقام دوماً من تقاليدهم البربرية وفقط حكم القيصر خرق تلك التقاليد ولكنها عادت في عام /١٩١٧م/. أما في الغرب المسيحي فالأمر كان مختلفاً تماماً. فعلى مدى مئات السنين استطاعت أوربة بالتدريج أن تجعل من الحرب أمراً أكثر رحمة ونبلاً. وتغيرت العادات القديمة الوحشية وساد بدلاً منها قوانين الفرسان النبيلة «مع نهاية حكم لودفيغ الرابع عشر» التي منعت القتل بلا معنى وبلا هدف ومنعت المعاملة القاسية للسكان العزّل المسالمين وكذلك حرمت نهب ممتلكاتهم وثبتت حرمة العلم الأبيض لدى الاستسلام ومعاملة قتلى وجرحى وأسرى العدو معاملة حسنة، ومن ذلك كله ظهرت منظمة الصليب الأحمر الهادفة إلى رعاية الجرحى والأسرى بغض النظر عن دينهم وجنسيتهم[1]. وجرت حروب القرن التاسع عشر في أوربة على هدى قانون الشرف هذا. وأي تحليل لتلك الحروب يشهد على رغبة البشرية إلى المثل العليا حتى في أمور الحرب الدموية.

وهكذا كانت حرب «القرم» وأيضاً كذلك كانت ثلاثة حروب بروسيا ضد الدانمارك والنمسا وفرنسا بدأت بشرف وانتهت بشرف.

لطخه سوداء في التاريخ العسكري للغرب تبقى الحرب الأهلية الأمريكية حيث قام المنتصر بالانتقام من المهزوم، ومن الممكن أن ذلك لم يكن ليحصل هناك لولا اغتيال الرئيس «لينكولن» «داعية السلام وموحد الشعب والبلاد» في اليوم التالي للانتصار ولا شك بأن هذه الجريمة الغامضة المبهمة تخفي أيضاً وراءها أثار المتآمرين الثوريين الذين كانوا قد أصبحوا قوة ولهم نفوذهم في تلك البلاد منذ زمن بعيد.

١- ينسى او يتناسى (دوغلاس ريد) ما قام به الغرب المسيحي من مذابح في الشرق العربي خلال الحملات الصليبية او حلال حملة (نابليون) وكذلك يغمض عينيه عن المجازر والمآسي التي قامت بها انكلترا وفرنسا خلال استعمار الشرق في العصر الحديث. ففي الجزائر وحدها قتلت فرنسا اكثر من مليون شهيد وحيث اتبعت سياسة الأرض المحروقة.

وباستثناء ما ذكر أعلاه عن الحرب الأهلية الأمريكية فإن كل حروب الغرب وأوربة جرت بروح إنسانية وحيثما حطت القدم الأوربية.

قبيل القرن العشرين كان لإنكلترا حروب مع أعدائها في جنوب إفريقيا ونستعرض مقاطع من يوميات العقيد «دينيس ريتش» الذي خاض عمليات عسكرية ضد إنكلترا، وهي تبين كيف تعاملت الجهات المتحاربة مع بعضها بعضاً. الحدث يدور في معسكر للأسرى الإنكليز: (أحد الأسرى طلب محادثة والدي وكان اسم الأسير «وينستون تشرشل»... قال بأنه ليس جندياً مقاتلاً بل مراسلاً عسكرياً وطلب إطلاق سراحه على هذا الأساس ولكن أبي اعترض بأنه عندما ألقي القبض عليه كان في حوزته مسدس «ماوزر» لذلك عليه البقاء هنا: أجاب «تشرشل» بأن جميع المراسلين الحربيين في السودان يحملون مسدسات للدفاع عن النفس. وازعجت هذه الكلمات أبي الذي قال له بأننا لا نقتل من لا يحاربنا).

بعد معركة سيبون- كوب وخسارة الإنكليز فيها: «قمنا على مدى ساعة أو ساعتين بمساعدة أطباء الصليب الأحمر الإنكليزي والكادر الطبي الآخر بدفن القتلى ومساعدة الجرحى».

وبعد خسارة الإنكليز لـ «داندي»: (لقد شاهدت قائد القوات الإنكليزي الجريح يلفظ أنفاسه وقالت لي الممرضة بأنه لن يعيش حتى الصباح... وفي الصباح رأيت الحمالين مع جثته الملفوفة برداء وقمت بمرافقتهم حتى الكنيسة الإنكليزية الصغيرة حيث دفن هناك).

وخلال حصار «لويد سميث» الإنكليزية: (أصيب أحد جنودنا في قدميه وقام جندي آخر بحمله على كتفيه وسحبه إلى طرفنا. في البداية رافقه سيل من رصاص الإنكليز ولكن بعد أن شاهدوه وهو يحمل رفيقه الجريح توقف الرصاص وأعطوه فرصة للنجاة).

ويضيف العقيد «دينيس»: (ظهر أمامي جندي ضخم ووجه حربة بندقيته نحوي وظننت أنها النهاية ولكنه تزحلق ووقع وكان بإمكاني إطلاق النار عليه وقتله كالكلب، ولكنني لم أفعل ذلك بل أن يرفع يديه ويستسلم).

ثم كتب أيضاً: «شاهدت جندياً قتلته وحل بي الفزع والهول لأن نصف رأسه كان قد طار من محله بسبب الرصاصة الخارقة «المتفجرة» التي حشوتها في البندقية بالخطأ. وأثار الأمر الأسف العميق في نفسي».

وأما بعد المعركة: (تركنا الجرحى المصابين بإصابات عميقة في الساحة لتأخذهم الخدمات الطبية الإنكليزية. وتميز الإنكليز ضباطاً وجنوداً بإنسانية ثابتة عالية، وكنا نعرف ذلك جيداً، لذلك لم نخش أبداً من ترك أي جريح لنا في ساحة المعركة وكنا على ثقة بأنهم سيجمعون كل الجرحى ويعتنون بهم).

(لقد شاهدنا من بعيد القطار المقترب ولكن الجنرال «سماتس» منعنا من فتح النار على القطار لأنه لم يود تعريض المدنيين فيه للخطر، ومر القطار من قربنا بسلام ولم يشك الضباط الإنكليز بأننا كنا نراقبهم في الظلام).

وعندما اضطر الأعداء إلى الإستسلام أمام الإنكليز: «قضينا أسبوعاً كاملاً وجميع وسائل الراحة متوفرة لنا على سطح السفينة الحربية الإنكليزية «مونارخ» «وتبارى الجنود والضباط الإنكليز فيما بينهم لإظهار الود وحسن الضيافة باتجاهنا، وخلال كل الرحلة لم نسمع كلمة واحدة بإمكانها أن تخدش كبرياءنا أو شرفنا على الرغم من علمهم بأننا ذاهبون لتوقيع الاستسلام»[1].

هكذا تكون الحرب بين الناس المتحضرين. اليوم يكرر الجميع كالببغاء بأن الحرب المقبلة ستقضي على الحضارة. ولكن هذه الكلمات فارغة بلا معنى لأن الحضارة والثقافة هي حالة روحانية ولا يمكن للقنابل تحطيمها ويمكن أن تحطمهما عمليات الانتقام فقط مثل التي جرت في عام /١٩٤٥م/.

وقانون الشرف في الحرب ظل موجوداً وفعالاً حتى في الحرب العالمية الأولى، ويتذكر المؤلف كيف كانت معاملة الإنكليز إنسانية باتجاه الأسرى الألمان وهو يتذكر كذلك تحرير الأسرى الإنكليز في آخر هجوم.

المعاملة كانت جيدة من الطرفين ولم يكن أحد ينظر إلى قومية الجرحى، وإذا وقعوا في الأسر فكانت معاملتهم حسنة لا تختلف عن معاملة جرحى الصديق. ولم يتعرض الطرفان المتحاربان بالسوء للمدنين من الطرفين.

ويبرز سؤال يطرح نفسه وهو ما الذي أدى إذن إلى التخلي عن قانون الشرف الإنساني في نهاية الحرب الأخيرة؟.

١- التاريخ العسكري الإنكليزي ليس ناصعاً كما يود البعض تصويره، وفيه بقع سوداء كثيرة وحتى الحرب الإنكليزية - البوريه في افريقيا لم تكن مثالية وفيها استخدم الإنكليز أساليب وحشية تضمنت سياسة الأرض المحروقة وقتل الأطفال والنساء والشيوخ. وسادت معسكرات الاعتقال في العهد الاستعماري الإنكليزي ولم تكن بأفضل من المعتقلات السوفييتية او المعتقلات النازية

الشعوب لم تتغير إلى تلك الدرجة خلال /٢٧/ سنة التي مرت على انقضاء /١٩١٨م/ ولم تصبح أكثر قسوة وأقل عطفاً عما كانت عليه في السابق، لقد أعموها بالدعاية التي حجبت عن الشعوب الطابع الحقيقي لتصرفات قادتها.

وأما القيادات وحسب اعترافهما الشخصي فقد خضعت لإصرار هذا أو ذاك أو أنها لم تكن تستوعب ما كانت تفعل ولم تدر على ماذا وقعت.

وهكذا بدأ تفشي انتقام المنتصرين بعد الحرب ولم يعد أمام الناس إلا تصديق كلمات «ايدموند بيرك»: «اختفى كل شيء. شعور المبدئية وعفاف الشرف وحصانته حيث أي لطخة صغيرة عليه تُعد جرحاً عميقاً».

مقدمة انتقام المنتصرين كان قبل نهاية الحرب بكثير وتلخص في القصف الوحشي وبلا تمييز على مدينة درسدن «التي كانت عملياً ساقطة» ولم يعطوها إمكان الاستسلام بشرف.

بعد انتهاء مؤتمر «يالطا» مباشرة، قامت القاذفات الإنكليزية والأمريكية خلال /١٣ و١٤/ شباط «فبراير» /١٩٤٤م/ وخلال ساعات بإلقاء القنابل على المدينة المنكوبة. وكانت «درسدن» مملوءة بالنازحين وعلى الأخص من النساء والأطفال والشيوخ الفارين من أمام الجيش الأحمر المهاجم. ولا أحد يعرف العدد الحقيقي للقتلى والجرحى خلال تلك الأيام وتتراوح تقديرات القتلى بين /٥٠٠٠٠ و٢٥٠٠٠٠/ ضحية. وقد يكون الرقم أكبر من ذلك بكثير وحتى أكبر من ضحايا هيروشيما وناغازاكي بعد إلقاء القنابل الذرية عليهما لأول مرة في التاريخ، وكذلك على السكان المدنيين العزل. وتم ذلك على الرغم من احتجاج القيادات العسكرية المحلية الإنكليزية والأمريكية، اللورد «لويس ماو نتباتين» والجنرال «مارك ارتور» اللذان أشارا إلى أن اليابان تقف ومن دون ذلك على أبواب الهزيمة الكاملة والاستسلام الشامل.

وحتى الآن لم توضح وثائق فترة الحرب، من الذي أعطى الأوامر بقصف درسدن. بعد ذلك جاءت أوامر الجنرال «ايزنهاور» بإيقاف الهجوم عند خط الألب ووضع بذلك برلين وبراغ وفيينا وكل أوربة الشرقية في يد العبودية الآسيوية على الرغم من أن العبودية ألغيت في إنكلترا قبل مئة سنة من ذلك، وفي آمريكا بقرار الرئيس «لينكولن» في فترة /١٨٦١-١٨٦٥م/. قمة انتقام المنتصرين كانت ما دُعي «بمحاكمة مجرمي الحرب» وأكثرها عارا كان محاكمات نيورنبيرغ ضد قيادة ألمانيا النازية.

وأكثر ما يثير الدهشة هو أن «روح الشر» «هتلر» الذي جرى تسعير كل الشعوب خلال ست سنوات على تدميره لم يأت ذكره في مذكرة الاتهام أو حتى في قرارات الحكم. على الرغم من أن مساعده «مارتين بورمان» (لم تثبت واقعة موته كما لم يثبت موت «هتلر») كان اسمه بين المتهمين وصدر عليه الحكم غيابياً. إن هذه النقطة المثيرة في نهاية حياة «هتلر» هي أيضاً غامضة كما كانت غامضة مراحل عديدة من حياته.

وفي أيامنا هذه حيث أصبح معروفاً «وعادياً» تسرب عملاء الثورة العالمية إلى كافة الأحزاب والمنظمات المختلفة، تجدر الإشارة إلى أن المصادر الوثائقية الألمانية عنه «عن هتلر» لا تشير إلى بداية حياته السياسية وبالذات الشيوعية منها.

واختفى ملفه في بوليس فيينا. وقد ذكر قائد فصائل القمصان البنية النقيب «رييمر» لأحد الضباط «ومن هذا الضابط علم المؤلف بذلك» بأنه عندما قامت القوات البافارية بطرد الحكومة البلشفية من ميونخ في عام /١٩١٩/ اعتقلت المدعو «ادولف هتلر» الذي كان ضمن الحرس الشخصي لمبعوث موسكو «ليفين» وأنقذ المذكور «ادولف هتلر» جلده بأن أصبح مُخبراً «رييمر المذكور أعلاه قتل بأمر من «هتلر» بعد وصوله إلى السلطة»[1].

ويقال بأن أول اسم اقترحه «هتلر» لحزبه كان: «حزب الاشتراكيين الثوريين". وإنه اعتبر نفسه «سيطبق الماركسية ولن يقبرها».

في محاكمة نيورنبيرغ كلف عضو المحكمة السوفييتي بقراءة ذلك الجزء من مذكرة الاتهام الذي تحدث عن اعتقال الألمان للنساء والأطفال والشيوخ وإرسالهم إلى معسكرات العمل الإجباري. وبذلك يكون الإنكليز والفرنسيون والأمريكان قد حضروا

١- من افضل الكتب الصادرة عن (هتلر) هو كتاب (ويرينر مازير) بعنوان (ادولف هتلر، الأسطورة والخيال والواقع) ولم يرد فيه أي شيء عن ماضيه الشيوعي المرعوم وفي فترة الحكومة السوفييتية القصيرة في بافاريا (/٧/ تشرين الثاني (نوفمبر) /١٩١٨/ وحتى /٤/ أيار (مايو) /١٩١٩/) كان (هتلر) في احتياطي الجيش في ميونخ. ولم يتحرك سكان ميونخ عندما قام الصحمي اليهودي كورت ايسنر في /٧/ تشرين الثاني (نوفمبر) /١٩١٨/ على راس/١١/ فوضوياً غالبيتهم من اليهود بإعلان الجمهورية واعلن نفسه رئيساً لها. وفي شباط (فبراير) /١٩١٩/ قتل المذكور برصاص الدوق اركو. واعلن بعد ذلك في ميونخ قيام السلطة السوفييتية قادها ثلاثة يهود روس شيوعيين هم (يمعيني ليفين) و (ماكس ليفين) و (نوفيا اكسيلرود) مع ثلاثة يهود الماں هم (ارنست تولير) و (ايرخ ميوسام) وهو (ستاف لانداوير). ومع سقوط الجمهورية هرب (ليفين) و (اكسيلرود) إلى النمسا واختبأ الأول عند صديق يهودي قام فيما بعد بالوشاية به وتسليمه حيث اعدم رمياً بالرصاص في يونيو عام /١٩١٩/.

«حفلة» استهزاء مفتوح من العدالة الأوربية حيث ظهر وراء أكتاف «القاضي» السوفييتي أشباح ضحايا آقبية المخابرات السوفييتية، حيث كانوا يعذبون ويقتلون من دون أي محاكمات، وأشباح ملايين الضحايا من معسكرات العمل الإجباري في ورشات البناء الاشتراكي الضخمة حيث أرسل الناس إلى هناك من دون أي ذنب ومن دون أي محاكمات حتى لو كانت صورية أو شكلية.

هذه كانت قمة الانتقام. وعلى المستويات الأدنى لم تكن الأحوال أفضل وجرت وحدثت أعمال انتقام فظيعة ذكرت الناس بالعصور البربرية. من هو الذي أوحى بكل ذلك. واي يد أجبرت قادة الغرب على دعم هيجان الانتقام الآسيوي المتوحش في أفظع صوره وأشكاله القبلية القديمة.؟

هذا الانتقام لم يكن «ربانياً» في المفهوم المسيحي لهذه الكلمة. لمن كان يعود إذن؟.

لا شك بأن بعض التصرفات كانت تحمل معاني رمزية بحتة وتشير وتشهد بوضوح على أصول وطبيعة ذلك الانتقام. أجل لقد تكررت بعد مرور /٣٠/ سنة نفس الأفعال التي جرت خلال الثورة في روسيا: إنه الافتخار والاعتزاز التلمودي المطبوع بالدم على جدران قبو إعدام القيصر الروسي وعائلته وكذلك تقديس «يهوذا الاسخريوطي».

بعد انتهاء الحرب الثانية جرى إعدام وشنق أعضاء القيادة الألمانية في عيد التوبة والتكفير اليهودي «عيد الغفران اليهودي» في /١٦/ تشرين الأول «أكتوبر» عام /١٩٤٦م/ وأعلن لليهود بأن إعدامهم هو انتقام «مردخاي»[1].

وعلى الانتقام من ألمانيا كما وعلى الانتقام سابقاً من روسيا نشاهد بوضوح دمغة الانتقام التلمودية، وهو انتقام ضد المسيحية لأن التلمود كان دائماً كتاباً إضافياً للتوراة ومعادياً للمسيحية.

وقيادة الحلفاء باختيارها العيد اليهودي يوم الغفران يوماً لشنق قادة النازية وإعدامهم أعطت الحرب شكل «الانتقام اليهودي» المتميز.

وفقط بعد المحاكمات أتضح الهدف من حملة التضليل الدعائية الضخمة التي جرت أيام الحرب والتي استعرضناها سابقاً.

١- (مردخاي) شخصية نورانية وهو الذي أعدم كل من أبطن العداء لليهود أيام الفرس وبمساعدة الجارية اليهودية استير حيث قتل على يد مردخاي وبقسوة مستشار الملك هامان والكثيرون غيره في مختلف المقاطعات الفارسية -المترجم.

لقد جرى خلال ذلك فرز «الجرائم ضد اليهود» وعزلها في بند خاص في وثيقة الاتهام. وكأن اليهود كانوا متميزين خلال الحرب عن الآخرين. وفي اليوم الذي سردت فيها قائمة الاتهام جرى تسليم مئة مليون نفس بشرية في شرق أوربة للعذاب والملاحقة التي تعرض اليهود لجزء منها حسب نسبتهم في العدد الكامل للسكان في ألمانيا.

في لائحة الاتهام كان البند الأهم هو الزعم عن قتل ستة ملايين يهودي، ومع الزمن تبدلت كلمة «قتلوا» بكلمة «هلكوا». وأي محكمة محايدة مستقلة كانت سترفض منذ البداية الاتهام الذي لا إثبات له ولا برهان عليه.

وقد استعرضنا سابقاً وبالأمثلة كيف جرى وعلى مدى عدة سنين فرز اليهود من المجموع العام لضحايا «هتلر» وكيف جرى نفخ وتضخيم عدد الضحايا منهم مع الأيام. وكيف تحول إحراق الكتب المختلفة في ألمانيا الهتلرية إلى حرق للكتب العبرانية فقط. وكيف تحولت المعتقلات الألمانية والتي في الواقع كان /٩٠٪/ من سجنائها من الألمان، إلى معتقلات لليهود فقط.

في إحدى الإخباريات ورد نبأ عن قتل الألمان لما يقارب /١٥٠٠٠٠/ أوكراييني وبيلا روسي ويهودي ولكن بعد فترة أصبح الحديث يدور عن قتل /١٥٠٠٠٠/ يهودي ولا أحد غيرهم... والستة ملايين يهودي المذكورين في اتهامات نيورنبيرغ هم بلا شك ناتج عن هذه العلميات التزويريه المذكورة أعلاه.

خلال ست سنوات الحرب قام الألمان واليابانيون والطليان وبواسطة أساليب وأسلحة مختلفة بقتل /٨٤٢٩٢٨/ جندي وضابط ومدني أمريكي وإنكليزي.

ولو اعتبرنا بأن نصف هذا العدد قتله الألمان في أوربة فإنه وانطلاقاً من الرقم المذكور أعلاه «ستة ملايين» نرى بأن الآلمان قتلوا في أوربة عدداً من اليهود يزيد عن خمس عشرة مرة عن عدد الإنكليز والأمريكان المقتلوين هناك وهذا يعني بأن عليهم «الألمان» ولأجل ذلك استخدام عدد ضخم من الناس والسلاح والشاحنات والحرس والمواد كان باستطاعتهم بواسطة كل ذلك ربح الحرب بسهولة عدة مرات.

وهذا العدد «ستة ملايين» لم يكن أحد ليأخذه بالحسبان لولا أن الحرب كلها لم تدمغ بدمغة «الحرب اليهودية».

على مدى التاريخ كله ومنذ أقدم الأزمنة وحتى يومنا هذا لم يكن بالإمكان التحديد بدقة للعدد الحقيقي لليهود أو العبرانيين أو المتهودين. لذلك من الصعب بالتالي تحديد عدد ضحاياهم في أي كوارث أو حوادث أو حروب وبالذات في الحرب العالمية الثانية لأسباب عديدة أخرى.

عملية وضع هالة الأسطورة والغرابة والتهويل على كل ما يتعلق باليهود بدأت في كتاب سفر «التكوين» واستمرت في أسفار التوراة كلها. فمثلاً /٧٠/ شخصاً أخذهم «يعقوب» معه إلى مصر توالدوا خلال /١٥٠/ عاماً وأصبحوا مليونين أو ثلاثة ملايين وخلال العصور التالية نرى التفاوت الكبير في هذا التقدير أو ذاك.

وبشكل عام هنا يمكن الحديث فقط تقديرياً لأن مفهوم اليهودي أو العبراني الحديث أو المعاصر نفسه لا يخضع لتحديد حقوقي قانوني ولا لتقدير إحصائي. وقد كتب الأحصائي اليهودي المعروف في هذا المجال الدكتور هانس كون في مقالة في النشرة السنوية للموسوعة البريطانية لعام /١٩٤٢/: «في الكثير من الدول حيث كان في عام /١٩٤١/ يسكن عدد كبير من اليهود لم يجر خلال إحصاء السكان ذكر المعتقد الديني للمواطنين... وبسبب ذلك فإن العدد الدقيق لليهود في العالم في عام /١٩٤١م/ يمكن تحديده. وأما موضوع من الذي يقع تحت تحديد «الجنس اليهودي» فلا يوجد هناك أي رأي مشترك في ذلك. وحتى في الدول التي تذكر في إحصائياتها بند الدين فإن هذا الأمر صعب التحديد بالنسبة للديانة اليهودية، لذلك فإنه من المعتقد بأن عدد اليهود يتراوح حول رقم /١٦/ مليوناً «في كل العالم» ولكنه لا يمكن أن يُعد قائماً على معطيات دقيقة. ويعتقد بأن ستة ملايين يهودي في بولندا والاتحاد السوفييتي».

ونرى بأن حتى هذا المصدر الموثوق يشير إلى استحالة حتى التقدير «فما بالك بالإحصاء الدقيق» ولكن في فترة الحرب وما بعدها وضع على هذا الأساس المهتز بناء كامل من الغموض وقام الآلاف من الدعائيين المتحمسين بابتداع أرقام جديدة دقيقة عن «الضحايا اليهود» وتوقفوا في نهاية الأمر عند رقم ستة ملايين. وحسب الدكتور كون فمن المعتقد أن ستة ملايين يهودي عاشوا في عام /١٩٤١م/ في بولندا والاتحاد السوفييتي فإن هذه المعلومات لا تتناقض مع معلومات مختص آخر في الشؤون اليهودية البروفسور «ليفي» Loewe الذي كتب في الموسوعة البريطانية لعام /١٩٣٧م/ بأنه كان يعيش في الاتحاد السوفييتي /٢٧٠٠٠٠٠/ يهودي.

وقبل ذلك بأربع سنوات «١٩٣٣م» حددت المجلة العبرانية «Opinion» عدد اليهود في الاتحاد السوفييتي بنحو /٣/ ملايين يهودي. وأما رسمياً فقد كتبت «الموسوعة السوفييتية الكبيرة» في عام /١٩٥٣م/ بأن عدد السكان اليهود في الاتحاد السوفييتي لعام /١٩٣٩م/ فقد بلغ /٣٠٢٠٠٠٠/ شخص.

وهـذا التوافـق التقـريبي في المـصادر الأربعـة المذكورة أعـلاه قـد يخلـق لـدى القـارئ انطباعاً بأن عدد اليهود في الاتحاد السوفييتي، يمكن على الأقل تحديده خلال فترة زمنية معينة بهذا القدر أو ذاك بدقة.

ولكـن يمكـن فقـط القـول بأنـه لا يمكـن القيـام بـأي تحديـد بدقـة في مجاهـل هـذه الإحصائيات.

في عـام /١٩٤٣/ صـرح المنـدوب الـسوفييتي في لنـدن اليهـودي «ميخـولس» «حـسب ما جاء فيما بعد في الجريدة العبرانية «Jewish Times» في جنوب إفريقيا عام /١٩٥٢م/» بأن «عدد اليهود في الاتحاد السوفييتي اليوم بلغ خمسة ملايين شخص».

هذا الـرقم أكبر بمليـونين مـن الـرقم المذكور قبـل سـنتين مـن ذلك وإذا كـان ذلـك صحيحاً فإنـه يعني علـى مـا يبـدو بـأن أغلبيـة يهـود بولنـدا بعـد بداية الحـرب الـسوفييتية-الألمانية أصبحوا في الأراضي السوفييتية.

ولكن في نفس العدد من «Jewish Times» قام الصحافي اليهودي المعروف «جوزيـف ليفتفتش» بتحديـد عـدد اليهـود الـسوفييت في عـام /١٩٥٢م/ بمليـونين ونـصف مليـون يهـودي وكان ذلك يعني «فقدان /٢٥٠٠٠٠٠/ شخص منذ عام /١٩٤٣م/».

ويبرز سـؤال «أيـن ذهبـوا؟ وكيـف؟». ومؤلـف الكتـاب هـذا يعتقـد بـأنهم ذابـوا في الإحصائيات وحدها فقط. وهذه ليست النهاية في هذا القسم من المتاهة في تلك القضية.

في عـام /١٩٣٧م/ ذكـرت الموسـوعة البريطانيـة بـأن عـدد اليهـود الـسوفييت يبلـغ /٢. ٧/ مليون استناداً إلى أحد العارفين بالقضية اليهودية وذكـر بـأن نسبتهم هـي نحـو /٦٪/ مـن مجموع السكان ولكن نفس الموسوعة في مجلد آخر من مجلداتها تـذكر أن عـدد سـكان الاتحـاد الـسوفييتي بلـغ في ذلـك الوقـت /١٤٥/ مليـون أي أن /٦٪/ منـه تبلـغ /٨٧٠٠٠٠٠/ شخص ويلفت النظر آن الموسوعات المحترمة والإحصائيات الدقيقة تتناقض فيما بينهـا فقـط في موضـوع واحـد وهـو موضـوع اليهـود ولـذلك لا يمكـن الاعتمـاد عليهـا. وبإمكـان المؤلـف سـرد أمثلة لا نهاية لها على ذلك. «مثلاً الكـونغرس اليهـودي العـالمي حـدد في عـام /١٩٥٣/ عـدد اليهـود الـسوفييت بمقـدار مليـون ونـصف مليـون شـخص». ومـن المعتقـد آنـه لا توجـد أي فائدة لنا في الغوص والتخبط في هذه المتاهة أكثر من ذلك.

إن كل الأرقام المذكورة والمنشورة هي عبـارة عـن «تقييمـات» ذاتيـة عـشوائية ولـذلك ليس لها أي قيمة عملية.

إن أي إحصائي محترف كان بإمكانه كتابة كتاب كامل عن جهود وحماس وجهود «الإحصائيين» وأصحاب الموسوعات لكي تتطابق الأرقام عن اليهود قبل الحرب مع الأرقام عنهم بعد الحرب بعد حذف «الملايين الستة».

النشرة السنوية الإحصائية المعروفة World Almanac، حددت في عام /١٩٤٧م/ بأن عدد السكان اليهود في العالم في عام /١٩٣٩م/ كان /١٥٦٨٨٢٥٩/ شخص. ولكن في الطبعات الدورية الأخرى المتتالية وحتى عام /١٩٥٢م/ رفع هذا العدد إلى /١٦٦٤٣١٢٠/ شخص «ولم يقدم أي تفسير لذلك» وحددت عددهم في عام /١٩٥٠م/ بمقدار /١١٩٤٠٠٠٠/ شخص. وفي حال طرح هذا الرقم من الرقم الأول نرى أن النقص نحو أربعة ملايين «وليس ستة مليون» ولكن هذا التقدير بذاته قام على أساس تقدير آخر وهو أن السكان اليهود السوفييت في عام /١٩٥٠م/ بلغ عددهم مقدار /٢/ مليون شخص وهو أمر يترك بلا جواب السؤال الذي طرحه «بوزين ليفتفيتش» إذا انطلقنا من تصريح «ميخويلس» بأن عدد اليهود السوفييت في عام /١٩٤٣/ كان خمسة ملايين.

والنشرة البريطانية المرموقة Whittaker. S Almanac جاهدت عدة سنوات ضد هذه المشكلة.

طبعة عام /١٩٤١و١٩٥٠/ لهذه النشرة قدرت عدد اليهود في العالم لعام /١٩٣٥م/ بمقدار /١٦٨٣٨٠٠٠/ شخص وفي عام /١٩٤٩م/ بمقدار /١١٣٨٣٢٠٠/ شخص أي أن النقص نحو /٥. ٥/ مليون ولكن إذا جرى جمع السكان اليهود في الدول المختلفة فنحصل على رقم /١٣١٢٠٠٠٠/ «وليس /١١٣٨٥٢٠٠/» وأما عدد اليهود السوفييت لعام /١٩٥٠م/ فحددتهم النشرة المذكورة بـ٥٣٠٠٠٠٠/ ضد رقم /٢٠٠٠٠٠٠/ لنفس العام كما ورد في النشرة الأمريكية World Almanac وتتمتع هاتان النشرتان بسمعة جيدة فيما يخص دقة المعلومات والتأكد منها ولكن على الرغم من السمعة الجيدة هذه فإن ما يخص الموضوع اليهودي يصعب تصديق ما جاء فيهما.

بدءاً من عام /١٩٥٢/ لم تعد Whttaker'S تطبع أي أمر يخص ذلك لأنها على ما يبدو يئست من الحصول على أي معلومات دقيقة من مصادر موثوقة أما الموسوعات الأخرى فقد أهملت هذا الموضوع بدءاً من عام /١٩٥٠م/.

وأخيراً، صحيفة نيويورك تايمز الجريدة اليهودية الأشهر في العالم (أصحابها عائلة يهودية مشهورة ونيويورك في الوقت الحالي هي العاصمة العبرانية الحقيقية).

نشرت في عام /١٩٤٨م/ مقالة «من الواضح أنها اعتبرت نفسها فيها ذات هيبة إحصائية» ذكرت فيها أن عدد يهود العالم يتراوح ما بين /١٥. ٧و١٨. ٦/ مليون شخص «بعد ثلاث سنوات من نهاية الحرب»!

وإذا كان أحد هذين الرقمين قريباً من الحقيقة فهذا يعني أن عدد اليهود خلال سنوات الحرب ظل على ما هو عليه قبل الحرب بل حتى وازداد عن ذلك.

بعد الحرب كتب البرفسور «ارنولد توينبي» في عمله «دراسة التاريخ» «Study of History» وفي المجلد الثامن «١٩٥٤م»: «قلص النازيون السكان اليهود في أوربة القارية غرب الاتحاد السوفييتي من ستة ملايين ونصف مليون تقريباً إلى مليون ونصف فقط بسبب التدمير الجماعي لهم». ووصف هذه العبارة بأنها (تأكيد إحصائي لا غبار عليه «نقي»). ولكنه بعد ذلك أضاف في الأسفل بأنها لم تكن كذلك: (ليس بالإمكان سرد أرقام دقيقة تقوم على إحصاء يستحق الثقة. وفي عام /١٩٥٢/ يبدو الاحتمال أقل، بأن المعلومات الضرورية سيكون من الممكن الحصول عليها في وقت من الأوقات).

«توينبي» يضيف بعد ذلك بأن أرقامه قامت على «الحسابات اليهودية الحاوية على عدة مصادر للخطأ». ويكتب في النهاية بأنه «يمكن تقدير عدد اليهود ضحايا النازية بخمسة ملايين شخص». ولكن هذا التقدير يفتقد كذلك لأي قيمة تاريخية. ومن الواضح أنه لا ستة ملايين ولا أي عدد منهم كانت قريبة من ذلك يمكن أن يكون قد قتلوا أو هلكوا وقد شرحنا أعلاه السبب في عدم إمكان ذلك.

إن عدد اليهود القتلى في الحرب لا يمكن بالفعل تحديده، لأن مفهوم اليهودي هو بحد ذاته لا يخضع لتحديد دقيق، وكل محاولة جرت لإحصاء اليهود أو تسجيلهم كانت تلاقي مقاومة عنيفة من المنظمات الصهيونية[1].

في أستراليا احتجت اللجنة العبرانية الأسترالية على وجود بند في وثائق الهجرة يستفسر هل المهاجر يهودي أم لا؟

١- موضوع الإحصاء، امر حساس عند اليهود و (يهْوَه) نفسه كان أول من طالب باحصاء بني إسرائيل: (وكلّم الرب موسى في برية سيناء في اليوم الأول من الشهر الثاني لخروج بني إسرائيل من مصر فقال: احص انت و (هارون) جماعة بني إسرائيل بعشائرهم وعائلاتهم وسجلا جميع أسماء الذكور كل بمفرد، من بن عشرين فصاعداً ممن يخرجون إلى الحرب- (كتاب العدد) -المترجم

وفي إنكلترا «بسبب انعدام الإحصاءات الرسمية لا يمكن أكثر من تقدير تقريبي عن العدد الدقيق لليهود في إنكلترا الذي سيظل مجهولاً». «زيوينست ريكورد، يوهانسبرغ».

وهذه الحالة في مجال الإحصاء يمكن مشاهدتها في جميع أنحاء العالم من دون استثناء. لذلك فإن عدد اليهود يبقى سرا وهو أمر مقصود بلا شك.

ولا أحد يستطيع القول كم هو عدد اليهود الذين ماتوا في فترة الحرب ولو تقريباً وكذلك ما هو سبب الموت، هل هو طبيعي أم قسري حدث على يد النازيين أو غيرهم. مؤلف الكتاب على ثقة بأن عدد اليهود الضحايا يوازي نسبتهم في بلدان تواجدهم ويتفق معه على هذا الرآي كل معارفه من ضحايا المعتقلات النازية، ولكنهم لا يستطيعون الفهم لماذا الفرز لليهود وتمييزهم عن بقيه الضحايا ولماذا هذا النفخ المخيف لعدد ضحاياهم. ولكن كل شيء أتضح مع شنق قادة النازية في يوم الغفران اليهودي.

وحدد هذا العمل الرمزي كل طبيعة الاحتلال على طرفي الحدود في سنواته الأولى وكان الانتقام التلمودي رمزا للعصر الجديد في التاريخ الغربي وكان على جميع المصالح الوطنية للشعوب المختلفة أن تخضع لمصلحة اليهود فقط.

ويوجد لدى مؤلف الكتاب شهادة واحد ممن حضروا محاكمات نيورنبيرغ يذكر فيها كيفية إعلان الحكم في /٣٠/ أيلول «سبتمبر» وأول تشرين الأول «أكتوبر» /١٩٤٦م/ «بين رأس السنة اليهودية في /٢٦/ أيلول «سبتمبر» ويوم الغفران اليهودي في /٥/ تشرين الأول «آكتوبر» وجرى تنفيذ الأحكام بعد منتصف الليل في صباح /١٦/ تشرين الأول «أكتوبر» في يوم «خوشاه- رابي» وهو اليوم الذي يقوم فيه الرب العبراني وبعد انقضاء الفترة التي يبحث فيها في آحكامه على كل كائن حي ويمكن آن يسامح المذنبين ويعطي قراره النهائي.

لقد كتب ذلك الشاهد يقول: «اعتقد الجميع بأن الأحكام ستعلن قبل الموعد الذي حدثت فيه بالواقع. ولكن عدداً من الأمور التافهة أدت إلى تأخير ذلك، حتى حدد تاريخ إعلانه نحو /١٥/ أيلول «سبتمبر»... عند ذلك اعتراض المدعو «X» أحد أعضاء المحكمة على الصياغة اللغوية لآحد آقسام الحكم... وحسب الوقت اللازم لتعديله وطباعته وبعد ذلك حدد التاريخ النهائي».

نحن تقصّدنا عدم ذكر اسم عضو المحكمة وأشرنا إليه بحرف «X» «القانون الإنكليزي يمنع ذلك من دون الحصول على موافقته». ولكن نتيجة لذلك التأخير تطابق إعلان الحكم مع الأيام المقدسة في التقويم اليهودي.

وأما التنفيذ فجاء تماماً في يوم انتقام «يَهْوَه». وعلى الفور ترد إلى الخاطر كلمات «انتوني إيدن» في مجلس العموم في /١٧/ كانون الأول «ديسمبر» /١٩٤٢م/ حين قال: «إن المسؤولين عن هذه الجرائم لن يهربوا من الانتقام». وأصبحت محاكمة نيورنبيرغ نموذجياً لمحاكمات عديدة أقل شأناً للمجرمين الحربيين.

في عام /١٩٤٩/ نشرت في أمريكا تقارير عن المحاكم الميدانية الأمريكية في داهاو حيث نفذ /٢٩٧/ حكم إعدام، وفي البداية كانت تجري تمثيلية للمحاكمة حيث أحضروا المتهمين وعلى رؤوسهم أكياس وفي رقابهم حبال، وبالطبع لم يعرف المتهمون بالأمر وظنوا أن الأمر حقيقة وقدموا الاعترافات وقد استخدمت ضدهم في المحكمة الفعلية الحقيقية. آكبر المحاكمات كانت محتكمة «مالميدي» في فترة /١٩٤٥-١٩٤٦/ حيث حكم على /٤٣/ متهماً بالإعدام.

سبب الاتهام كان قيام الجنود الألمان من فرقة SS بقتل الأسرى الأمريكيين عام /١٩٤٤/ في مالميدي. ولكن من قام بتعذيب ومحاكمة الألمان عام /١٩٤٥م/ لم يكونوا أمريكيين بل يهوداً نمساويين قدموا إلى أمريكا قبيل الحرب الثانية وفي عهد «روزفلت» سمح لهم وبسرعة عجيبة بالانضمام إلى الجيش الأمريكي.

آحد الأمريكان الأقحاح ممن كانوا في المحكمة غادرها احتجاجا واستقال، وفيما بعد آصبح شاهداً على عمليات التعذيب السادية التي تعرض لها الألمان. وقامت لجنة الحقوقيين الأمريكيين بالتحقيق في تلك الموضوعات في عام /١٩٤٩م/ وأثبتت حدوث التمثيليات خلال المحاكمات بعد الحرب حيث قام شخص أو عدة أشخاص بلعب دور الاتهام والقضاة ولم يكن المتهم يعلم ذلك. وقد قال القاضي «غوردن سيمبسون» بأن تلك الطرق لم تكن آمريكية وآن ما جرى هو عار على جبين العدالة الغربية.

وحصلت هذه القضية على تطور مفاجئ في عام /١٩٥٣/ عند اعتقال شخصين في فيينا المحتلة. بتهمة تسريب معلومات ووثائق سرية إلى جهات سوفييتية. وأتضح أن الشخصين كانا من يهود النمسا المهاجرين إلى أمريكا في عام /١٩٣٨و١٩٤٠م/ وكان عمر أحدهما في ذلك الوقت /١٦/ سنة والآخر /٢٦/ عاماً.

وفي الأحوال الاعتيادية وفي أي حرب أخرى كان يجب أن يخضع هذان الشخصان إلى مراقبة في الولايات المتحدة على اعتبارهما مواطنين سابقين لدولة معادية. ولكن في عهد «روزفلت» حصل الاثنان على تعيين فوري في الجيش الأمريكي بعد الهجرة باعتبارهما

«أصدقاء أجانب». وفي عام /١٩٤٥م/ أصبحا «عضوين في قسم الاتهامات خلال محاكمات مجرمي الحرب».

بعد اعتقالهما بتهمة العمالة للسوفييت قال أحد المسؤولين الأمريكيين في فينا بأن «ذلك يثبت المعلومات القائلة بأن معظم الأمريكيين العاملين في نيورنبيرغ إما شيوعيون وإما من عملائهم».

وبعد الانتهاء من المحاكمات «اتجه معظمهم إلى العمل في وزارة الخارجية الأمريكية أو في هيئة الأمم المتحدة».

وجرى الانتقام من المهزومين من الطرفين الأمريكي والسوفييتي وما يزال ماثلاً في الأذهان إلى الآن تحريض «ايليا ايرنبورغ» من موسكو على الانتقام من الحوامل وإلا ما معنى دعوة هذا المتوحش «عدم رحمة الفاشيين حتى في البطون»؟.

السيدة الأمريكية «فراتسيس فيويل» التي قضت فترة في برلين سجلت أقوال خادمة لديها باسم «لوتا». وعرضت السيدة فيها قصة «اغتصاب «لوتا» والآلاف من النساء غيرها حيث لم يترك الجنود حتى العجائز في سن الـ /٦٥/ وكان الاغتصاب الجماعي بتكرر عدة مرات» واحتوت مذكرات السيدة الأمريكية تفاصيل الأعمال الوحشية الأخرى التي قام بها الجنود السوفييت، ونقلت عن ضابط روسي اعتذر من «لوتا» وشرح لها بأن الأمر سببه أن الجنود حصلوا من القيادة على يومين في حرية النهب. حرية النهب هذه هي النتيجة الإنسانية للاتفاق السياسي في «يالطا».

وفي الطرف الغربي مارسوا أيضاً الانتقام من المهزومين وفي آب «أغسطس» /١٩٤٧م/ اكتشف عضو البرلمان الإنكليزي «نايفل بيرتش» وجود /٤٠٠٠/ ألماني في أحد المعتقلات من دون تهمة أو محاكمة.

وأتضح أن السؤال الوحيد الذي طرح عليهم خلال التحقيقات كان دائماً: «هل كنتم على علم بملاحقة اليهود» ولم يهتم المحققون باضطهاد أحد غير اليهود، وكان أول قرار اتخذه مسؤولو الحلفاء في ألمانيا المحتلة هو «قانون ضد معاداة السامية» وهو تكرار للقانون السوفييتي الصادر في عام /١٩١٨/ في /٢٧/ حزيران «يونيو».

وفي عام /١٩٥٦/ وعلى أساس هذا القرار تقدم يهودي نمساوي مهاجر إلى بريطانيا وحاصل على جنسيتها بشكوى إلى المحكمة في فيينا ضد أحد الألمان بتهمة «معاداته للسامية وكرهه لليهود».

إن مثل هذه القوانين يمكن أن تخنق أي محاولة للحوار والنقاش المفتوح ولكنها لا تقدر على منع الناس من التفكير، ولا شك بأن الهدف الأساسي منها كان منع أي محاولة تحقيق فيما جرى في الشرق والغرب من ألمانيا بعد الحرب. كذلك اعتبرت جريمة أي مناقشة للقصة التي اقتبسها المؤلف من الجريدة العبرانية Jewish Herald من جنهب أفريقيا:

«فيليب اويرباخ» كان إنساناً ذا شخصية قوية وطباع صلبة جداً وعلى قدر شديد من الشجاعة والاعتزاز العبراني، وعلى درجة عالية من الكراهية للنازية الألمانية، لقد كان قاسياً لا رحمة لديه في تلك الأيام حيث كان الأمريكان لا يزالون يكرهون ألمانيا وعلى استعداد لتنفيذ متطلباته. وساعدوه على تخليص الألمان مما سرقوه. وأعطاه الأمريكان الحق في توقيع أي وثائق وسلطة غير محدودة في التفتيش والاعتقال وزرع الرعب والفزع...

في تلك الأيام عندما ترأس «فيليب» المظاهرات اليهودية الضخمة في ألمانيا كان يرافقه دائماً كبار الضباط الأمريكيين مشيرين بذلك إلى الدعم اللا محدود له.

وكان «فيليب» يستعرض المتظاهرين تحت العلم اليهودي وموسيقى النشيد اليهودي «هاتيكفا» «الأمل» مع عشرات الآلاف من «دي- بي» في هجوم سياسي لا يقاوم لفتح أبواب فلسطين أمام اليهود قبيل إعادة بناء الدولة العبرانية...

لا يمكن لأحد أبداً أن يقدر ولو تقريباً القيمة المالية لكل الأشياء الثمينة التي شحنها «اويرباخ» من ألمانيا- معدات وملابس وموبيليا وسيارات وغيرها من البضائع... لقد كان لديه في ألمانيا سلطة لا يفوقها إلا سلطة الإدارة العسكرية».

الإنسان المذكور هنا «يعرفه ويتذكره جيداً جميع الروس المتواجدين في بافاريا بعد الحرب العالمية- ملاحظة الترجمة-». كان شخصية خاصة غير رسمية ومع ذلك استطاع استخدام القوات المسلحة الأمريكية لتغطية علميات النصب والاحتيال والسرقة وكانت جرائمه ساطعة وواضحة إلى درجة جعلت حتى المنظمات اليهودية تتبرأ منه «يقال إنه كان يسلب اليهود ليس أقل من المسيحيين».

ولكن على ما يبدو وبسبب الضرورة «وليس انطلاقاً من مبادئ أخلاقية» جرى اعتقاله في عام /١٩٥٢م/ بتهمة «تضمنت قيامه بشحن البضائع الكثيرة من ألمانيا بوثائق مزورة، وعلى ما يبدو أن ضباطاً يهوداً من الجيش الأمريكي وكذلك منظمات خيرية يهودية كانوا ضالعين في ذلك».

في عام /١٩٥٢م/ أجبروا ألمانيا الغربية على دفع «تعويضات» للدولة الصهيونية الجديدة ولذلك فإن الفضيحة العلنية لنشاط «اويرباخ» كانت غير مرغوبة. ولا شك بأنه

سمح بتمرير التهمة المذكورة أعلاه «لكي لا تحدث تعقيدات سياسة كما تقول «جويش هيرالد» ومن دون ذلك لم يكن بمقدور أي تزوير أن يبرر دفع التعويضات الألمانية للصهاينة الروس في فلسطين.

وحوكم «اويرباخ» «مع حاخام وقع في المصيدة معه» بتهمة خفيفة نسبياً وهي سوء استخدام أموال الصناديق الخيرية «ما يعادل /٧٠٠٠٠٠/ دولار» والابتزاز والرشوة والتزوير وحكم عليه بالسجن سنتين ونصف وهناك قيل أنه انتحر.

وعلى الرغم من ذلك قامت حملة ضارية في الصحافة بعد انتحاره وسألت صحيفة يهودية: «من المسؤول عن دمه»؟. وأصبح واضحاً بأن قاعدة عامة ظهرت في ذلك الوقت وهي أن أي نقاش حول اليهود سواء كان صحيحاً أم لا يُعد في حد ذاته «معاداة للسامية». وعلى سبيل المثال اعتبرت «جويش هيرالد» أن اتهام «اويرباخ» عار أخلاقي لا مبرر له لأنه جرى في وقت عندما «لم يكن أحد يلتزم بقواعد السلوك الاعتيادية وعلى الآخص اليهود الذين أهملوا التصور الألماني عن الخير والشر وكانوا محقين في ذلك».

وتجدر الإشارة إلى أن الرأي العام الغربي كان مخدوعاً دائماً بواسطة الدعاية وعلى مدى سنين طويلة والتي صورت النازيين كعدو لدود «لأصدقائنا وحلفائنا السوفييت» في الوقت الذي كان فيه الواقع يشير إلى تشابه تام بين الشيوعية والنازية.

المدعو «كارل شيترن» - يهودي ألماني هاجر إلى أمريكا واعتنق الكاثوليكية - كتب عن تجربته الخاصة في هذا المجال عندما كان يعمل في ألمانيا في معهد الطب النفساني قبل الحرب: «كان يعمل معي طبيبان ألمانيان من أنصار النظرية الثورية لـ «تروتسكي» ولم يخفيا ذلك. لقد كنت مطلعاً على تلك النظرية ولكن الذي أدهشني آن هذين الشخصين كانا من آنصارها... وقد قلت لهما ذات مرة: أيها السادة لقد فهمت أنكم في استراتيجيتكم السياسية تتبعون «تروتسكي» إلى حد كبير. ألا يبدو لكما غريباً أن نازيين مثلكم يناصران البلشفي اليهودي «تروتسكي» وكأنه قديس عندكم؟.

بعد ذلك ضحكا طويلاً ونظرا إلي كما ينظرون إلى الساذج سياسياً ولا شك بأنني كنت كذلك في ذلك الوقت... لقد انتمى الاثنان إلى الجناح القوي في الحزب النازي الذي دعا إلى التعاون العميق مع الشيوعيين ضد ما أسموه بالرأسمالية الغربية... وفي بعض الأحيان كان من الصعب التحقق بأي لهجة كانا يتحدثان... النازية أم الشيوعية. على الرغم من أن الواقع أثبت أن الفارق بينهما ضئيل جداً...».

وتشير الوقائع والشهادات إلى أن الألمان كانوا يسيطرون على المعتقلات النازية من الخارج وأما في داخلها فكانت السيطرة التامة للشيوعيين وسنستعرض بعض الأمثلة على ذلك: كتب النرويجي «آو ونانسين» «ابن المكتشف القطبي المشهور» عن فترة اعتقاله في معسكر «ساكسين» «هاوز» الألماني فترة سنة ونصف: «من المذهل جداً كيف تمكن الشيوعيون من السيطرة هنا بعد رجال SS.

لديهم سلطة تامة داخل المعسكر وهم يجتذبون إلى طرفهم الشيوعيين من مختلف القوميات ويعينونهم في الأماكن الحساسة.

وفي المعسكر اعتنق الشيوعية الكثير من النرويجيين فبالإضافة إلى النفع الواضح من ذلك داخل المعسكر، لا شك بأنهم اعتقدوا بأن روسيا السوفييتية ستصبح السائدة بعد الحرب لذلك من المفيد أن يصبغوا أنفسهم باللون المطلوب في الوقت المناسب.

بالأمس تحدثت مع كبير الشيوعيين لدينا وأيقنت بعد ذلك بأنه إذا وصل وهو رفاقه إلى السلطة فسيكون العنف والقسوة أشد بكثير مما شهدناه من قوات SS».

المقدم الطيار الإنكليزي «ايو توماس» وقع أسيرا لدى الألمان في فرنسا وسجن في معتقل «بوهن والد» ولدى دخوله المعتقل نصحه أحد النزلاء الإنكليز هناك: «لا تخبر أحد بأنك ضابط ولا تتحدث عن المناصب التي كنت تشغلها قبل الحرب.

كل قيادة المعسكر الداخلية في أيدي الشيوعيين... «بوهن والد» هو المعسكر الأسوآ في ألمانيا... الأمل في البقاء حياً يعادل الصفر عملياً.».

ومن ثم يضيف المقدم الإنكليزي: «الإداريون الداخليون الثلاثة الأهم في المعسكر كانوا من الشيوعيين».

أجل لقد اشترك الشيوعيون في الإدارة الداخلية للمعسكرات وقاموا بالتعذيب والقتل. وبما آن اليهود الشرقيين لعبوا الدور الأهم في الشيوعية في كل مكان فلا شك بأنه كان لهم دور واضح في ذلك. وهذا الأمر بحد ذاته ليس غريباً لأن اليهود مثلهم مثل بقية الناس يمكن أن يكونوا أناساً طيبين أو خبثاء سيئيين قساة القلب. آو بقلب رقيق يفيض حباً ورحمة. ولكن أحداً ما حاول إخفاء كل ذلك عن الرأي العام حيث رسمت لهم صورة معسكرات الموت وهي مملوءة فقط باليهود المعذبين من قبل النازيين المتوحشين على الرغم من أن الواقع والحقيقة كانت تقول بأن اليهود كانوا جزءاً ضئيلاً فقط من نزلاء معسكرات الاعتقال، وأن الجلادين الأساسين في السنوات الثلاث الأخيرة من الحرب كانوا من الشيوعيين ومن ضمنهم طبعاً اليهود.

في أرشيف المؤلف توجد أنباء الصحافة العبرانية حول محاكمات اليهود المتهمين بتعذيب المعتقلين اليهود في معسكرات الاعتقال النازية مثل «فلانوف» و «أوسفينتسيم» و «ميدلدرون» وغيرها. وكانت تلك المحاكمات تجري في محاكم حاخامية خاصة في الدول الغربية أو في تل أبيب وكانت تُعد أمرا يهودياً خاصاً لا يمس البشرية ولا علاقة لها به أبداً.

وبالطبع كانت القرارات كلها تعلن في الخفاء ولا يعلم بها الغرباء وكانت المحاكمات تجري فقط حسب الشرائع اليهودية.

في تل أبيب اتهم بعض اليهود طبيباً يهودياً مع امرأتين يهوديتين بتعذيب المعتقلين في معسكر «اوسفينتسيم» وعطب أعضائهم التناسلية وإجراء التجارب الطبية عليهم ومن ثم إرسالهم إلى غرف الموت.

في قضية أخرى اتهم عدة شهود يهود طبيباً يهودياً يعمل في مشفى في «تل أبيب» في عام /١٩٥١/، بالقيام بأعمال التعذيب القاسية قام بها في معتقل «فلانوف» حيث كان معاوناً للمدير الألماني للمعتقل.

وأشارت يهودية من ضحاياه إلى أنه ضربها حتى فقدت الوعي وعندما أفاقت وجدت أبناءها الثلاثة /١٢و١٥و١٨/ سنة مقتولين.

وأضافت بأن المتهم أمر رجال البوليس الأوكرانيين في المعسكر بإطلاق النار على /٣٠/ معتقلاً ومن ضمنهم زوجها. الصحف كتبت عدة اسطر عن هاتين الحالتين ولكنها لم تذكر نتائج المحاكمة.

في إسرائيل قام أحد اليهود المجريين بتوزيع منشورات اتهم فيها الدكتور «ايزرائيل كاستنير» «موظف رفيع في الحكومة ومرشح إلى الانتخابات في إسرائيل عام /١٩٥٢/ من قبل الحزب الحاكم في إسرائيل» بالتعاون مع النازيين في المجر خلال الحرب وبمساعدتهم في قتل اليهود وفي إنقاذ مجرم حرب نازي عالي المستوى من العقاب الخ...

«كاستير» قدم شكوى على صاحب المنشورات إلى المحكمة بتهمة التلفيق والتشهير، وبعد مداولات دامت تسعة أشهر أقرت المحكمة بأن «كاستير» كان عميلاً نازياً بكل ما في هذه من معنى وإنه باع نفسه إلى الشيطان. ولكن رئيس الحكومة الإسرائيلي في ذلك الوقت «موشي شاريت» دافع عنه وقال:

«أي عمل مبرر بما فيه بيع النفس إلى الشيطان إذا كان ذلك ضرورياً لإنقاذ اليهود».

«نود الإشارة إلى أن «كاستير» كان متهماً بخيانة اليهود وقتلهم أو تسليمهم إلى النازيين». وقدمت الحكومة الإسرائيلية طلباً بنقض القرار عبر المدعي العام الحكومي ولم يتمكن المؤلف العثور على أي أثر يدل على ما انتهت إليه هذه القصة.

وهكذا! نرى بأنه في الوقت الذي ملؤوا فيه كل العالم بصراخهم حول جرائم الحرب النازية، كان هناك مجرمو حرب يهود يحاكمون حسب الشرائع العبرية ولكن ذلك جرى في هدوء ولم يعلم أحد بنتائجها، وكذلك نورد ما ذكرته وكالة الأنباء العبرانية «Jewish Teleyorafh Agency» في /٨/ أيار «مايو» /١٩٤٦م/: «في الأمس جرى إعلان قرار الحكم في قضية /١٣/ متهماً من حراس المعتقلات الألمانية ومن ضمنهم ثلاثة يهود وهم: «فلتر أوبلير» و «ليو شماندت» و «سالي ليفين»، وحكم على «أوبلير» و «شماندت» بالإعدام وأما «ليفين» فحكم عليه بالسجن خمسة عشر عاماً».

وفي هذا الخصوص يتساءل «جوزيف ليفتفيتش»: «على ماذا يدل ذلك؟ إنه يدل على أن الحيوان داخل الإنسان هو أمر موجود عند الجميع وأن اليهود معرضون لذلك ليس أكثر من غيرهم ولا أقل».

هذا بالطبع صحيح ولكنه لا يملك أي علاقة مع موضوع الحديث وهو أن الرأي العام جرى تضليله في فترة الحرب وصور الأمر له وكأن اليهود وحدهم تعرضوا للاضطهاد من قبل غير اليهود. والأمثلة على تعاون اليهود مع «هتلر» ومساعدتهم له كثيرة جداً.

كتب السفير الإنكليزي في أسبانيا خلال الحرب «لورد تيمبلد وود» يقول: «شهراً بعد شهر قام الجنرال «فرانكو» «يقال بأنه كان من أسرة يهودية» بتحويل الصحافة الأسبانية إلى أكبر بوق في الدعاية الألمانية وتحولت أقوال جميع الصحف الأسبانية الكبيرة والصغيرة إلى تكرار لأقوال المعلم. والمعلم في الحالة المذكورة كان رجلاً يهودياً شرقياً غامض الأصول اسمه «لازار» «العازار»... وفي وقت من الأوقات كان يخدم لدى «هتلر» في فيينا في مجال الدعاية والإعلام ومنذ ذلك الوقت أصبح في عالم النازية عضواً كبيراً... وكان له نفوذ واسع في السفارة الألمانية في مدريد حتى أكبر من نفوذ السفير، وقام يومياً بالاطلاع على محتويات الصحف الأسبانية قبل طباعتها والتعديل في مقالاتها عند الضرورة. وكان رجاله متواجدين في جميع هيئات تحرير الصحف هناك. ولا يمكن لكلمة أن تصل إلى القارئ الأسباني من دون سماح منهم».

وكان مؤلف هذا الكتاب على معرفة شخصية بالمدعو «لازار» - وهو متآمر بهي الطلعة أنيق ومبتسم على الدوام. وقد تعرف عليه المؤلف لأول مرة في عام /١٩٣٧م/ عندما كان المذكور «سكرتير شؤون المطبوعات» في السفارة النمساوية في بوخارست.

وكانت النمسا مقر عمل المؤلف في تلك الأيام وعاشت في خوف يومي من الاجتياح الألماني، الذي حدث في عام /١٩٣٨م/.

وكان يُعد آن الدبلوماسيين النمساويين في الخارج وطنيون معادون لـ «هتلر» وفي حال كونهم من اليهود يكون الأمر صحيحاً مرتين.

ودهش المؤلف آن النمسا الفقيرة نسبياً تمكنت من السماح لنفسها بامتلاك «سكرتير صحفي» في عاصمة من عواصم البلقان. وكذلك استغرب المؤلف الرخاء والترف الذي عاش فيه «لازار»، وأعتقد المؤلف بأن لديه دخلاً آخر من عمل ثانٍ وهو أمر كان عادياً في بوخارست لمن هم على حافة الدبلوماسية «سكرتير صحفي في السفارة اعتبر دوماً وظيفة مشبوهة في البلقان».

وكان «لازار» بحد ذاته نموذجاً شديد الغرابة. ومصدر ثرائه كما تبين فيما بعد كان سياسياً بحتاً وبالذات نازياً. وبعد أن احتل «هتلر» النمسا قامت سلطات الاحتلال بدعوة الصحافة الأجنبية إلى مؤتمر صحفي في فيينا وكان ممثل السلطات الجديدة فيه هو المسيو «لازار» وهو الذي كان قبل قليل موظفاً نمساوياً ومواطناً نمساوياً «بالولادة مواطن تركي» ولدى ملاحظته للمؤلف ارتبك قليلاً ثم ابتسم بوقاحة ورفع يده وقال: «هالو مستر «ريد» آنا سعيد لرؤيتكم مرة أخرى».

بعد ذلك آخذ يشرح لنا النوايا الطيبة لـ «هتلر» التي دفعته إلى احتلال النمسا والنتائج الرائعة للنمسا ولألمانيا ولكل العالم من ذلك.

وعلى خلفية هذه الأحداث وصل الانتقام العبراني من أوربة إلى قمته التلمودية في نهاية الحرب، وكان على شكلين الأول كان حين منع العالم الحر وجيوشه اللاجئين الهاربين من الشيوعية من الدخول على الغرب وطردهم وإعادتهم إلى العبودية البلشفية.

وأما الثاني فكان سيل المهاجرين اليهود من أوربة الشرقية وروسيا وعبر كل أوربة إلى فلسطين. على الرغم من أن الجميع يعلمون أن السفر من روسيا كان مستحيلاً في تلك الفترة بل إن مغادرة مدينة إلى أخرى كان يتطلب سماحا بوليسيا خاصاً.

وهذه العملية ذات الرأسين وضعت على الانتقام المذكور الدمغة اليهودية المعروفة وهو أمر يمكن ملاحظته: في نيسان «ابريل» /١٩٥٣/ كتبت Saturday Evening Nost:

على أساس وثيقة «يالطا» المخزية قام عملاء وزارة الداخلية السوفييتية بالتجوال داخل المعسكرات وكشفوا هناك الآلاف من الناس الهاربين من الظلم السوفييتي وقاموا بحشرهم في القطارات وإعادتهم إلى القهر والظلم والموت والعذاب في مناجم وغابات سيبيريا. وقد انتحر كثير منهم في الطريق. وسمحت اتفاقية «يالطا» للسوفييت باستغلال عمل الأسرى الألمان قسرياً كتعويض. إن كل هذه الأعمال غير الإنسانية لا يمكن تبريرها.»

الآنسة «كاترين هيلم» من كاليفورنيا كانت نائبة رئيس معسكر اللاجئين في بافاريا /١٩٤٥-١٩٥١م/ التابع لمؤسسة من مؤسسات الأمم المتحدة المعروفة باسم Yhppa «إدارة الأمم المتحدة للمساعدة والإسكان» وتتذكر هذه الآنسة في كتابها كيف جرى نقل إحدى زميلاتها إلى المعسكر الواقع في جنوب ألمانيا حيث جرى من هناك إعادة اللاجئين الروس إلى بلاد السوفييت قسراً، وروت هذه الشاهدة كيف قام اللاجئون الروس بمحاولة الانتحار شنقاً وبقطع الشرايين، وعلى الرغم من كل محاولات المنع كانوا يجدون وسائل للانتحار، وآبدت الآنسة «هيلم» تعجبها كيف تمكن «ستالين» من إقناع «تشرشل» و «روزفلت» بأن هؤلاء المساكين ليسوا أسرى حرب لدى الألمان بل هم فارون من الخدمة في الجيش السوفييتي».

وتضيف الآنسة «هيلم»: «بعد ذلك جاء اليهود، في منطقتنا الشمالية لم يكن هناك بعد معسكرات يهودية، وكان اليهود أقل من خمسة نزلاء معسكرات «دي- بي» في منطقتنا. ولكنها كانت أقلية وقحة جداً، ولو كنتم تقييمون الأمور فقط عن طريق الصحف، سيتكون لديكم انطباع بأن مأساة النازحين تتعلق فقط باليهود.

وكان علينا آن نعاملهم بحذر كما نعامل بيض الدجاج عند نقله ولا سيما عند نقلهم من معسكر إلى آخر. والويل الويل للعاملين في Yhppa إذا نسوا أمامهم ولو قطعة أسلاك شائكة في المعسكر.

وكان لهم وضع خاص في الطعام والتموين وكانوا الوحيدين في معسكرات «دي- بي» بالإضافة إلى المرضى الذين لم يعملوا وحصلوا على وجبات خاصة.

وقرب المعسكر كان هناك قرية آلمانية صغيرة وقام اليهود بضجة كبيرة مطالبين بالسلاح لحماية آنفسهم من ذلك الخطر العظيم، وبالفعل جرى تسليح بوليس يهودي خاص له لباسه الخاص ويحمل شعاراً نجمة «داوود». وعلى جدران ديوان البوليس اليهودي في المعسكر كانت هناك صور كبيرة من بينها صورة لفتيات يهوديات في الخنادق وهن

يرمين القنابل على العرب. وكان البوليس اليهودي يتدرب دورياً على الرمي من البنادق التي أعطيناها لهم.

وفتح اليهود ورشات عمل في المعسكر عمل فيها ألمان القرية كعمال وكانوا يخيطون اللباس العسكري والأحذية الميدانية وكان علينا التكهن أن كل ذلك يتم لإرساله إلى إسرائيل وكان كل ذلك يرسل إلى هناك بطرق خفية مختلفة.

وكان فوق تلك الورشات يرفرف علم أبيض فيه خطوط زرق ونجمة «داوود» في الوسط».

ثم تسرد الآنسة «هيلم» زيارة وفد حاخامات أمريكا للمعسكر: «زاروا المعسكر الكبير الذي جهز بأفضل تجهيز وأصبح أفضل معسكر «دي- بي» في كل أوربة ومع ذلك هز الحاخامات رؤوسهم غضباً ولم يعجبهم كل ذلك».

المقدم الحاخام «يهودا ناديتش» كان مستشاراً لدى «آيزنهاور» في القضايا اليهودية وقد كتبَ في /٤/ شباط «فبراير» /١٩٤٩/ في جريدة «Jewish Times» يقول: «عندما أطلعنا «ايزنهاور» على الظروف المخيفة في معسكرات «دي- بي» كان من دواعي الشرف له أنه قام على الفور باتخاذ الإجراءات اللازمة لتحسين تلك الظروف، واتخذ قراراً بتحسين الوجبات للملاحقين اليهود بخلاف نزلاء «دي- بي» الآخرين، وقدم دعمه الكامل إلى لجنة التوزيع المشتركة (وهي تسمى بـ «جوينت») وكذلك إلى المنظمة اليهودية. وأما في القسم البريطاني فلم يسمح الجنرال «مونتغمري» بكل ذلك مما سبب في سيل متواصل من النازحين اليهود إلى القسم الأمريكي.

وقام «ايزنهاور» شخصياً بزيارة المعسكر مرات عديدة للاطلاع والتفتيش وتذكير الضباط الأصغر رتبة على رغبة قيادتهم بمساعدة النازحين وتعرض المقصرون في ذلك إلى عقوبات بما فيهم أحد الجنرالات الكبار».

ويشهد هذا الشاهد البارز المحترم بأن «ايزنهاور» كان «يرغب أن يعامل اليهود معاملة طبقة مميزة. ولا يجدر بنا أن نتعجب من انصياع «ايزنهاور» لنصائح مستشاره اليهودي الذي اعتبر أن بضعة يهود وسط المئات من النازحين هم فقط الذين تعرضوا للاضطهاد.

هذه الشهادة توضح المعنى والقصد الحقيقي من طبيعة وظيفة المستشار اليهودي في عصرنا.

وهكذا نرى أن «الاضطهاد الهتلري لأعدائه السياسيين» الذي بدأ في عام /١٩٣٣م/ بقي منه في عام /١٩٤٥م/ فقط «الاضطهاد الهتلري لليهود» وقامت الدعاية

وبالتدريج بشطب معظم المضطهدين وأبقت على جزء صغير منهم وحولتهم بسحبة قلم إلى الكل.

وصورت الصحف الأمر للرأي العام وكأن المشكلة كانت تتلخص وتنحصر فقط في اليهود ونسوا في واقع الأمر الملايين من المضطهدين أو ممن أعادوهم إلى الإضطهاد الأقسى. وقام الغرب بتسليح هذه المجموعة الصغيرة وتجهيزها وإرسالها لتضطهد شعباً صغيراً في جزيرة العرب. وقدم الشرق الآسيوي المحتلين وقام الغرب المسيحي بتجهيزهم وإرسالهم إلى هناك وفي هذه الحالة لم يعد في الواقع أي فرق بين العالم الحر وعالم ما وراء الستار الحديدي.

ويوضح التحليل التاريخي للفترة ما بين /١٩١٧و١٩٤٥م/ بأن الثورة التي استمرت طوال هذه الفترة كانت يهودية بحتة خالصة ويشير إلى ذلك الطابع العبراني للحكومة البلشفية الأولى وأعمالها المفزعة وهو أمر استعرضناه سابقاً وتميزت بذلك أيضاً الثورتان الصغيرتان على أيدي البلاشفة عام /١٩١٩م/ في بافاريا والمجر.

وفي الحالتين تم إرسال الإرهابيين البلاشفة على شكل «أسرى حرب عائدين إلى بلادهم» بعد أن جرى تدريبهم في روسيا السوفييتية.

ونتذكر بأن الحركة الشيوعية في ألمانيا كانت في تلك الأيام تحت قيادة «اتحاد سبارتاك» (ونتذكر هنا بأن «سبارتاك» كان الاسم المستعار لـ «أدام واي سخاوبت»).

وكان قادة هذا الاتحاد من اليهود فقط وهم: «روزا لوكسمبورغ»، «ليويوغهنس»، «ارنست توليرا» و «يفجيني ليفين» وغيرهم.

وفي المجر كانت قيادة نظام الإرهاب من اليهود المدربين في روسيا السوفييتية: «بيلا كونا»، «ماتياس رواكوشي» (هو أيضاً «روز نيكر انتس») «ايرنو غيري» و «تيبور صاموئيل».

وقد كتب «ف. بوركيناو» ومؤرخ الأممية الشيوعية: (غالبية زعماء البلشفية والاشتراكية اليسارية وكذلك أغلبية المنفذين لها كانوا من اليهود. لذلك أصبحت معاداة السامية هي رد الفعل الطبيعي ضد البلشفية».

وجاء بعد ذلك دور آسبانيا حيث اشتعلت الثورة في عام /١٩٣١م/ وكان في قيادتها أيضاً مبعوثون من موسكو وغالبيتهم من اليهود وهو أمر أثار خيبة أمل الكثيرين من الجمهوريين المتعصبين. والكثير من الكاثوليك وحتى ممثلو الكنيسة صوتوا في البدء لمصلحة الجمهورية ولكنهم فيما بعد «الإصلاحات» الموعودة التي تحولت إلى هجوم على

الدين المسيحي. حيث بدأت الثورة بتدمير الكنائس والأديرة وقتل رجال الدين والقساوسة وتكرر الأمر الذي قامت به الثورة في إنكلترا وفرنسا وروسيا وبافاريا والمجر.

لسان حال «الكومنترن» الرسمي شهد رسيماً وأشار إلى من كان الملهم في أحداث معاداة المسيحية في آسبانيا: «لهيب الكنائس والأديرة المحترقة في آسبانيا أشار إلى الطبيعة الحقيقية للثورة في أسبانيا».

كل احتياطي الذهب للبنك الأسباني أرسله رئيس الوزراء الجمهوري الأخير «خوان نيغرين» إلى موسكو... (كشف ذلك جنرال الاستخبارات السوفييتي الهارب إلى الغرب «والتر كريفيسكي»).

وفي أمريكا اعترف الصهاينة وكذلك اليهود المعادين للصهيونية بأن ثورة آسبانيا كانت من إعداد وإخراج يهودي.

وكتب «برنارد براون»: «حمل اليهود المسؤولية الكاملة عن خلق الجمهورية في آسبانيا وكذلك عن تدمير سمعه الكنيسة في ذلك البلد كما وفي جميع الدول حيث تسود الحرية».

وفي عام /١٩٢٠م/ وحسب المصادر الرسمية السوفييتية في الاتحاد السوفييتي من /٥٤٥/ شخصية قيادية في الحزب والدولة كان منهم /٤٤٧/ شخص يهودي.

وفي عام /١٩٣٣م/ قالت المجلة العبرانية الأمريكية «أوبينيون» بأن معظم السفراء السوفييت في الخارج كانوا من اليهود. وأن /٦١ ٪/ من الوجوه الرسمية في بيلاروسيا كانوا من اليهود على الرغم من أن نسبتهم في تلك الجمهورية كانت أقل من /٢٪/ من السكان.

وزير التربية السوفييتي «لونا تشارسكي» كان أحد الروس القلائل في القيادة البلشفية كتب يقول: «نحن نكره المسيحية والمسيحيين وحتى الأفضل فيهم يجب اعتباره أسوأ الأقرباء.

إنهم يدعون إلى حب القريب والرحمة والعطف عليه وهو أمر يتعارض كلياً مع مبادئنا. ليسقط الحب للقريب. نحن نريد الكراهية. علينا أن نتعلم الكره ونتقنه وفقط عند ذلك نستطيع السيطرة على العالم».

وهو ما يذكر بمقطع من التلمود جاء فيه: «أنتم اليهود أحياء بشرية وأما بقية الشعوب الأخرى على الأرض- ليسوا بشراً. إنهم أحياء حيوانية».

في عام /١٩٣٥م/ سافر مؤلف الكتاب إلى موسكو في مهمة من التايمز اللندنية مرافقاً للورد «انتوني ايدن» أول وزير بريطاني يزور العاصمة السوفييتية بعد الثورة. وفي أول خبر أرسله المؤلف تحدث في مقالة كتبها عن الزيارة المذكورة وكان من بين ما كتبه فيها الحديث عن: «الوجوه الباهتة والصامتة في شوارع موسكو».

ولكن الرقابة السوفييتية حذفت هذه العبارة وهو أمر أثار استغراب المؤلف فسأل الرقيب اليهودي الذي حذف العبارة، ألا يود منه إذن أن يكتب في مقالته عن البرجوازيين المتأنقين وفي طاقياتهم العالية السوداء وهم يتجولون في شوارع موسكو.

وفي عام /١٩٣٨/ كتب المؤلف في أحد كتبه ما شاهده في موسكو: «قسم الرقابة وكل آلية التفتيش والتدقيق على الصحافة الأجنبية كان يتألف من اليهود وفقط وهذا الأمر آذهلني أكثر من أي آمر آخر في موسكو وحسب ما شاهدت في كل المؤسسة المسؤولة عن ذلك لم يكن هناك آي موظف غير يهودي... لقد قالوا لي دائماً في السابق إن نسبة اليهود في الحكومة السوفييتية قليلة.

ولكنني شاهدت بأم عيني أن هذا القسم المهم جداً والذي استطعت التعرف عليه عن قرب كان اليهود يسيطرون عليه تماماً.

وسألت نفسي... أين هم الروس؟ على ما يبدو أنهم كانوا في عداد الوجوه الباهتة والصامتة في شوارع موسكو والممنوعة من الذكر.

ولم يستطع المؤلف أن يقيم أي علاقة مع آي روسي في موسكو وكان ذلك أمراً جديداً تماماً بالنسبة له. وهو لم يشاهد أبداً في حياته، الطبقة الحاكمة في بلد ما معزولة بهذه الدقة والإحكام عن بقية المجتمع كما كان الأمر عليه هناك. ونشير هنا إلى آن المؤلف لم يضع آمام نفسه في ذلك الوقت أبداً هدف البحث عن دلائل السيادة اليهودية في روسيا. ولكن ما شاهده هناك كان لوحده يرتمي في العيون.

وقد حصل على تأكيد لذلك من شخص عاش في روسيا /١٢/ سنة من عام /١٩٢٢م/ وحتى /١٩٣٤م/ وهو «ويليام هنري تشمبرلين» حيث كتب في كتابه يقول: «عدد كبير من اليهود بنوا لأنفسهم مناصب رفيعة في البيروقراطية السوفييتية، فمن دزينة من موظفي قسم المطبوعات في وزارة الخارجية الذين كنت أعرفهم كان هناك واحد فقط غير يهودي.

وسيطرة اليهود على هذه الوزارة في سنوات تواجدي هناك كان أمراً يثير الدهشة، ومن بين كل الموظفين في تلك الوزارة كان من الروس فقط البواب الشايب على باب

البناية والامرأة العجوز التي توزع الشاي في الداخل. وكان اليهود كثيرين كذلك في Gpu[1] وفي «الكومنترن» وفي كل الوزارات ذات العلاقة بالمالية والتجارة».

حول السبب في ذلك يخرج «تشمبرلين» باستنتاج يختلف عن استنتاج مؤلف الكتاب: «بعد مغادرتي روسيا... حدث أن تلقيت رسائل تتساءل حول «السلوك اليهودي في النظام السوفييتي». وكان هناك غمز على أن اليهود عملوا هناك كتلة متماسكة، وأن الثورة الروسية كلها عبارة عن مؤامرة يهودية، هذا الاعتقاد لا يملك أي أساس تاريخي والقول بأن اليهود عملوا في كتلة قومية متراصة من أجل نجاح البلشفية لا يتحمل أي تحليل تاريخي جدي».

في هذا التأكيد العابق بالاحترام اختلط أمران مختلفان تماماً: القوة العبرانية الموجهة من جهة والكتلة الباقية من الشعب المسمى باليهودي.

ولكننا نعلم تماماً أن الروس أو الألمان لم يعملوا أبداً على شكل «كتلة عرقية متراصة» من أجل انتصار البلشفية أو النازية. على الرغم من أن تلك العقائد ألصقت بالشعبين المذكورين.

ونحن نعرف أن الحشود والجماهير لا تعمل أبداً بوعي من أجل انتصار ما. وأن هناك على الدوام قوة منظمة جيداً تدفع هذه الحشود نحو الاتجاه المطلوب وهذه القوة هي من يسيطر على تلك الحشود.

الكتلة المتراصة من العمال لا تفكر أبداً «بالعمل» من أجل الإضراب العام على الرغم من أنه يعلن دائماً باسم العمال.

في كتابنا هذا أوضحنا بأن أكثر المقاومة للصهيونية كانت تأتي من اليهود ولكن في العصر الحالي قام أحد ما بإلباس الصهيونية رداء تسكين وقميص مجانين لكل الكتلة العرقية العبرانية.

والمؤلف على ثقة بأن قيادة اليهود للثورة العالمية ابتداء من عام /١٨٤٨م/ هو أمر ثابت لا جدل فيه. وبهذا المعنى يمكن القول بأن الثورة كانت فعلاً «مؤامرة يهودية».

في عام /١٩٣٥م/ تمكن المؤلف التعرف شخصياً على عدد من المتنفذين اليهود في موسكو.

أحدهم كان البدين «ماكسيم ليتفينون» «شكله ومظهره يشبه الزبون الدائم، لمقاهي المهاجرين في باريس أو فيينا، الذي تحول فجأة إلى وجيه ثوري» والآخر كان رئيس

١- هيئة مكافحة التحسس في بداية العهد السوفييتي -المترجم

قسم المطبوعات في وزارة الخارجية «أومانسكي» - وهو شاب حذق مبتسم على الدوام ولكنه شديد الخطورة، ويقال أنه من مواليد رومانيا ولذلك فهو يبدو روسياً بالقدر الذي يبدو فيه الزنجي الأفريقي كذلك. وخلال وجود المؤلف في روسيا كان لديه شعور دائم بأنه يتجول في مقطورة مغلقة.

وقد كتب عن نفس الأمر المهاجر الروسي «أ. ب ستوليبن» «ابن رئيس الوزراء الروسي الإصلاحي الشهير الذي قتله اليهود في عام /١٩١١م/». بأن تبديل اليهود بالروس أو غيرهم من القوميات «في المناصب العليا الرسمية كان عملية تكتيكية وأن مقاليد الإدارة الحقيقية الرئيسية بقيت في أيدي اليهود كما كان سابقاً. وفي اليوم الذي سيترك فيه اليهود هذه المقاليد ويتخلوا عنها سينهار كل البناء الماركسي كبيت من ورق».

وسرد «ستوليبن» المناصب العالية التي حافظ اليهود عليها وأشار إلى مناصب الإدارة الحقيقية الحساسة القائمة على الإرهاب لا تزال كلياً في أيدي اليهود ومنها معسكرات العمل القسري التي كانت بإدارة يهودية بحتة. وكذلك السجون كانت كلها تحت إشراف اليهود. وكل آلية المطبوعات والدعاية بما فيها الرقابة والتوزيع كانت في أيديهم وكذلك نظام الإدارة السياسية في القوات المسلحة كان تحت إشرافهم.

في عام /١٩٣٨م/ لم يرغب الدبلوماسي السوفييتي «بوتينكو» بالعودة من بوخارست إلى موسكو وهرب إلى إيطاليا، وبعد فترة كتب في مجلة «جورنال دي ايتاليا» مقالة قال فيها إن الطبقة الحاكمة في روسيا تقوم بالكامل من اليهود ولا سيما في أوكرانيا السوفييتية حيث يسيطر اليهود هناك على كافة الإدارات في القطاع الصناعي. كل ذلك يعني أن الكوادر القيادية الثورية ما بين /١٩١٧م و١٩٣٩م/ لم تتغير بشكل جذري، وفقط اختفى اليهود من الواجهة القيادية ولكن الإدارة الفعلية بقيت في أيديهم وجاءت بعد ذلك الحرب وغطت كل شيء بالغموض وأمست الفترة التي يمكن فيها التأكد من الأمور هي السنوات الأخيرة منها وسنوات ما بعد الحرب. ولكن حتى قبل ذلك قام «ستالين» بطرح الأهداف الحربية للثورة في المؤتمر الثالث «للكومنترن» في موسكو في أيار «مايو» ١٩٣٨م: «لا يمكن بعث النشاط الثوري على أي مستوى من المستويات ما لم نتمكن من استخدام التناقضات الموجودة بين الدول الرأسمالية وحتى نوصلهم إلى الصدام المسلح.

ويجب على أي حرب تقوم أن تنتهي بشكل أوتوماتيكي إلى الثورة. إن العمل الأساسي لرفاقنا الحزبيين في الدول الأجنبية يتلخص في تسعير مثل هذه التناقضات والخلافات».

وبالفعل أدى الخلاف الذي ظهر نتيجة اتفاق «هتلر» و «ستالين» حول بولندا إلى اشتعال الحرب التي انتهت بإعطاء نصف أوربة للثورة. وقد ذكر السفير الأمريكي في بولندا الشيوعية السيد «ارتور ليين» بأن غالبية القيادة الحزبية والرسمية في بولندا من اليهود وأن بعضهم حتى ليس من يهود بولندا.

وأما عضو البرلماني البريطاني «تافتون بيميش» فقد كتب يقول: «إن معظم الشيوعيين المؤثرين في أوربة الشرقية هم من اليهود... ولقد أدهشتني نسبة اليهود العالية في صفوف البوليس السري هناك». وذكرت وكالة أنباء «اشيونا يتد برس» أن /٩٠٪/ من القيادة العليا في المجر في عام /١٩٥٣/ من اليهود بما فيهم رئيس الوزراء «ماتياس راكوشي». وأما التايمز اللندنية فقد ذكرت في نفس العام أن غالبية وزراء حكومة «راكوشي» من اليهود.

مجلة التايم كتبت بأن /٩٠٪/ منذ الحكومة الهنغارية من اليهود وأن رئيس وزرائها «راكوشي» هو أيضاً يهودي.

وفي هنغاريا بدأت الحرب على الديانة المسيحية مع قدوم السوفييت إليها وألقي برجال الدين في السجون.

وفي عام /١٩٤٩م/ قالت المنظمة الصهيونية المجرية والمكتب المركزي ليهود هنغاريا والقسم المجري التابع للكونغرس اليهودي العالمي، في خطاب توجهوا به إلى العبرانية العالمية: «اطلع يهود هنغاريا بكل سرور على خبر اعتقال الحكومة الهنغارية للكاردينال «ميندسينتي». بهذا العمل قامت الحكومة بإرسال زعيم العصابة إلى المكان الذي يليق به..».

وأما عن تشيكوسلوفاكيا فقد كتبت مجلة «نيوستسمن» اللندنية في عام /١٩٥٢م/: «في تشيكوسلوفاكيا كما في كل أوربة الوسطى والشرقية تتألف كل النخبة الحزبية وقيادات الأمن السري والبوليس من اليهود».

وبخصوص رومانيا كتبت «نيويورك هيرالد تريبون» في عام /١٩٥٣/ تقول: «تحتوي الحكومة الرومانية كما الحكومة المجرية على أكبر عدد من اليهود».

وكانت أقوى وأهم إرهابية في رومانيا الشيوعية، اليهودية المدعوة «آنا باوكير» وهي ابنة حاخام يهودي وكان لديها شقيق مهاجر إلى إسرائيل. وهذا الأمر يُعد من أمتع الأمثلة التي يمكنه ذكرها عما قاله «حاييم وايزمان» حول خلاف الأسرة اليهودية بين الثوري الشيوعي والثوري الصهيوني.

ولقد استخدمت المدام «باوكير» منصبها السياسي لكي تسمح لوالدها بالسفر إلى إسرائيل على الرغم من أن «الخط السياسي للحزب في رومانيا دعا إلى تقييد اليهود في موضوع السفر».

في ألمانيا الشرقية كان نظام القمع والإرهاب يقع في يد امرأة هي «فراو هيلدا بنيامين» وقد شغلت في البداية منصب نائبة رئيس المحكمة العليا ومن ثم أصبحت وزيراً للعدل.

وحتى الصحافة الغربية الصهيونية لم تتكر أبداً أن «هيلدا الحمراء» هي يهودية. وقد دعتها جريدة التايمز اللندنيه «السيدة بنيامين حاملة الرعب والخوف» وكانت هي بالذات صاحبة المبادرة بمحاكمة /٢٠٠٠٠٠/ ألماني شرقي بتهم سياسية مختلفة.

ومن الممتع أن نذكر أن عدد سكان ألمانيا الشرقية في عام /١٩٤٦م/ كان /١٧٣١٣٧٠٠/ إنسان وذكرت المصادر العبرانية أن عدد اليهود منهم كان فقط يتراوح بين الألفين إلى أربعة آلاف شخص. وكان معظمهم حسب جريدة «زيونست ريكورد» يعمل في المناصب الحكومية والحزبية العليا.

واحتل اليهود أهم المناصب في وزارات الإعلام والصناعة والعدل في ألمانيا الشرقية، وكان القاضي الأعلى في القسم الروسي من برلين يهودياً. وكذلك كان معظم القضاة الأوائل في غالبية المدن الألمانية الشرقية من اليهود. وسيطر اليهود على مجال الإعلام والثقافة والفنون في البلاد.

ولكن حتى أربعة آلاف شخص لا يكفون لشغل كل ما ذكر من الوظائف الإدارية والقيادية، وقد ذكرت الجريدة اليهودية «زيونست ريكورد» نفسها ولكن في عدد آخر لها أن سلطات الاحتلال الروسية جلبت معها الكثير من اليهود الروس الذين شغلوا المناصب الرئيسية الفعالة في البلاد، على الرغم من رتبهم العسكرية غير العالية، وكذلك قدم إلى ألمانيا مع الجيش الأحمر الكثير من يهود النمسا وكذلك يهود من الدول التي انضمت إلى الاتحاد السوفييتي في السنوات العشر الأخيرة ومن دول بحر البلطيق.

الفصل الثالث والأربعون

الدولـة الصهيونيـة

انتشرت الثورة في نصف أوربة بعد أن فتح الأبواب إلى هناك الحلفاء الغربيون ومثل الأفعى المستعدة للهجوم نفثت هذه الثورة بسمومها إلى جنوب أوربة وعبر البحر المتوسط إلى بلد صغير يدعى فلسطين. وقدم الغرب لها القوافل والمال والعتاد والسلاح.

ولكن الثورة قدمت الشيء الأهم والذي كان الشرط الضروري والأساسي لتكوين الدولة الصهيونية وهو الشعب اللازم للاحتلال وكذلك أعطت في اللحظات الحاسمة السلاح الذي ضمن النصر الأكيد.

الغرب طبعاً قدم موافقته ولكن في نهاية الأمر كانت الدولة الصهيونية وليدة الثورة.

إن اجتياح الثورة العالمية لأوربة ولبلاد العرب كان المكافأة الإقليمية الوحيدة للمنتصرين في الحرب العالمية الثانية. وقد أصبحت نتيجة هذين الاجتياحين عبارة عن ألغام «موقوتة» قد تُفجر الحرب الجديدة.

وكما يتذكر القارئ كانت الصهيونية في فلسطين قبيل حدوث الحرب العالمية الثانية في آخر أنفاسها. وقرر البرلمان الإنكليزي في عام /١٩٣٣م/ وبناء على تجربة السنوات الفائتة، بأن تحقيق «الموطن القومي العبراني» هو أمر غير ممكن التحقيق، وتوصل إلى استنتاج بعدم جدوى الانتداب وقرر سحب القوات البريطانية من فلسطين بعد إجراء انتخابات حرة تشترك فيها كل الفئات القومية والدينية في البلاد - العرب واليهود-.

ولكن كل ذلك تلاشى مع قدوم «تشرشل» إلى السلطة في عام /١٩٤٠م/ عندما قام وبشكل شخصي وغير رسمي وبإعلام «حاييم وايزمان» بأنه «يؤيد تماماً إنشاء دولة صهيونية في فلسطين بعد الحرب تضم من ثلاثة إلى أربعة ملايين يهودي ويذكر سابقاً أن «تشرشل» اشتهر دائماً باحترام البرلمان» وقراراته. ولكن فقط في هذه القضية أهمل «تشرشل» قرار مجلس العموم في الموضوع الفلسطيني وقام بالخفاء بالخطوة المذكورة أعلاه.

بعد ذلك قام القارئ بمرافقة «حاييم وايزمان» في رحلاته إلى أمريكا ويذكر القارئ كيف بذل «تشرشل» كل جهده لتسليح اليهود.

هذه هي الحالة التي قامت عليها خطة الدولة الصهيونية التي حملها قادة الغرب وزعماؤه. وخلال عام /١٩٤٤م/ كله تابع «تشرشل» «كما يذكر هو بنفسه» جهوده في دعم الصهيونية: «معروف جيداً قراري الصلب في عدم خرق الوعد الذي أعطته وثيقة «بلفور» للصهاينة وكذلك تصريحي الذي تلا ذلك في عام /١٩٢١م/ والذي أكد عدم قيام أي تغيير في تلك السياسة». «تسجيل ١٩٤٤/٦/٢٩م». ولكن في عام /١٩٣٣م/ حدث تغيير في تلك السياسة إلا أن «تشرشل» آهمل قرارات البرلمان والحكومة.

ونتابع فيما بعد كتابات «تشرشل» حول هذا الموضوع: «لا يوجد أي شك بأن ذلك جريمة نكراء» - الحديث عن اضطهاد اليهود في هنغاريا بعد احتلال الألمان لها في الحرب الثانية- «إنها جريمة من أبشع الجرائم المرتكبة في يوم من الأيام في التاريخ.... وبالتأكيد سيمثل أمام العدالة كل من له علاقة في تلك الجريمة... حتى أولئك الذين فقط وتنفيذاً للأوامر اشتركوا في المجزرة... وسيتم إعدام كل من يثبت اشتراكه في ذلك... من الضروري إصدار إعلان رسمي يؤكد بأن القبض سيلقى على كل من اشترك في هذه الجريمة وسيُعدم». «١٩٤٤/٧/١١م».

ونرى هنا آن المستر «تشرشل» تماماً مثل «روزفلت» و «ايدن» يربط إعدام المجرمين فقط بارتاكبهم الجرائم ضد اليهود ويتناسى هو وغيره بشكل كامل وتام الملايين الباقية من الضحايا. وقد حدث ذلك بالفعل فيما بعد.

وقد شاهدنا معاً في الفصل السابق آن اليهود ولم يكونوا فقط الضحايا بل كان الكثير منهم يلعب دور الجلاد.

ويضيف «تشرشل» بحماس واضح: «لدي رغبة عارمة بالقيام بأسرع ما يمكن بتحقيق طلب الدكتور «وايزمان» حول إنشاء القوات المسلحة العبرانية كما كتب في رسالته في /٤/ تموز «يوليو» ١٩٤٤/٧/١٢».

ويتابع «تشرشل»: «تعجبني رغبة اليهود بالانتقام لأنفسهم من قتلة آخوتهم بالدم في أوربة الوسطى وآنا آعتقد أن ذلك سيُثير إعجاباً واقتناعاً كبيرين في الولايات المتحدة. لدى اليهود رغبة كبيرة في محاربة الألمان في كل مكان. لديهم حسابات فقط مع الألمان». «١٩٤٤/٧/٢٦م».

ولكن إذا كان «تشرشل» قد وافق على إنشاء دولة عبرانية في فلسطين بثلاثة أو أربعة ملايين يهودي، فكان عليه بلا شك آن يفهم بأن الصهاينة سيكون لديهم حسابات أكبر مع

السكان العرب. وأن القوات المسلحة اليهودية ستكون معدة أكثر لمهاجمة هؤلاء الأبرياء أكثر من الألمان.

آخر تصريحات «تشرشل» في هذا الموضوع أدلى بها بعد الحرب في أوربة: كل القضية السياسية يجب حلها في مؤتمر السلام... وأنا لا أوافق أبداً أن نأخذ على عاتقنا وحدنا مسؤولية حل هذه القضية المعقدة في الوقت الذي سيجلس فيه الأمريكان في الخلف منتقدين. ألا تعتقدون بأن علينا أن نطلب منهم التدخل في هذه المشكلة؟...

أنا لا أرى أي فائدة ولو صغيرة لإنكلترا من هذه المهمة المؤلمة وغير الحميدة ولقد حان الوقت ليتدخل الآخرون في هذه القضية «٤٥/٧/٦».

هذه الملاحظات (بالإضافة إلى عرض «روزفلت» المازح لدى مقابلته لـ «ستالين» بإرسال «ستة ملايين يهودي أمريكي» إلى طرف الملك «ابن سعود») توضح الأفكار الخفية لزعمائنا - الدكتاتورين وتنفيذهم الأعمى للمطالب الصهيونية. «تشرشل» أراد أن يلقي بعبء المعضلة على أكتاف الأمريكان. ولكن «روزفلت» لم يبد سعيدا وأراد الإلقاء بها على غيره. وكما نرى من تصريحاتهما فقد حولت هذه القضية القادة العظام إلى مهرجين.

دعوة «تشرشل» لحل المشكلة عن طريق مؤتمر السلام لم يكن لها أي معنى وكانت عبارة عن استهزاء لأن المشكلة كانت محلولة منذ زمن بعيد. فالسلاح كان في أيدي الصهاينة وأما البشر والناس الذين سيستعملون هذا السلاح فقد جاء بهم الغرب بتهريب اليهود من روسيا ودول شرق أوربة.

لقد كان الحزبان الرئيسان في إنكلترا أو في أمريكا على استعداد تام للترحيب بأي عمل عدواني يتم بواسطة السلاح المرسل من طرفهم. وكان ذلك واضحاً جداً في حالة الحزب الاشتراكي «العمالي» في إنكلترا. هذا الحزب دعى نفسه بحزب العمال ووضع نصب عينيه في إنكلترا هدف حماية الفقراء والمحرومين والمظلومين والمضطهدين.

لقد ولد هذا الحزب تحت شعار تأمين تقاعد الشيخوخة للجميع والإعاشة للعاطلين عن العمل والضمان الصحي المجاني الخ... ولكن بعد الحرب وعندما حصل الحزب على الأكثرية في البرلمان رأى آن من واجبه في أول الأمر الحصول على دعم صهيون. وأصبح الهدف الرئيسي في السياسية الخارجية هو طرد وتشريد شعب بعيد كان دائماً فقيراً وبائساً ومظلوماً حتى أكثر من العمال الإنكليز في أسوأ سنوات الثورة الصناعية.

زعيم حزب العمال «كليمنت ايتلي» طرح في عام /١٩٤٤م/ شعارا جديداً للاشتراكية الإنكليزية: «هيا بنا ندعم خروج العرب من فلسطين ودخول اليهود إليها. وسنكافئ نحن

بشكل جيد العرب ونعوضهم عن الأرض المفقودة وسنعمل بكل جهدنا حتى يكون توطينهم في مكان ما جيد التنظيم وسخي التمويل».

بعد مرور /١٢/ سنة من ذلك لا يزال مليون من هؤلاء المطرودين بواسطة القنابل والقذائف الغربية، يعيشون في المخيمات في الدول العربية المجاورة «الكتاب ظهر في الخمسينيات وأما الآن فلا يزال الملايين من العرب الفلسطينيين يعيشون في المخيمات داخل فلسطين المحتلة في الدول العربية المجاورة - ملاحظة الترجمة-»

وأما الاشتراكيون الإنكليز فقد تابعوا مع الزمن المطالبة بشكل أقوى باستمرار بؤس الفلسطينيين.

ولا شك بأن حزب العمال وقادته كانوا على علم تام بالسلاح الذي كدسه الصهاينة تحت غطاء الحرب العالمية الثانية لاغتصاب فلسطين.

قائد القوات البريطانية في الشرق الأوسط الجنرال ويفل «Wavell» أرسل إلى «تشرشل» يخبره «بأن إطلاق يد اليهود هنا سيسمح لهم بذبح العرب المحرومين من أي مصدر للسلاح». وقد أيد وجهة نظر الجنرال غالبية العاملين في الإدارة البريطانية هناك. ولكن ذلك جلب الغضب على رأس الجنرال مما أدى إلى نقله من هناك إلى الهند وأصبح ضحية أخرى من ضحايا الصهيونية. في عام /١٩٤٤م/ عادت موضة الاغتيال السياسي إلى الظهور. وزير المستعمرات البريطانية اللورد «موين» تسلم منصبه خلفاً للورد «لويد» «الذي تعرض لتوبيخات فظة من «تشرشل» بسبب بطء إمداد اليهود بالسلاح في فلسطين والذي مات في عام /١٩٤١م/».

وكان اللورد «موين» معروفاً بإنسانيته وطيبة قلبه وعلى الرغم من احترامه للدين اليهودي فقد اعتبر مثل الكثيرين غيره أن الصهيونية هي مغامرة خطرة ستنتهي بكارثة. وبسبب رغبته مساعدة جميع المحتاجين عاد إلى طرح فكرة توطين اليهود في أوغندا إذا كانوا فعلاً محتاجين إلى ملاذ وموطن جديد. وآثار هذا المنحى الإنساني كراهية قاتلة لدى الصهاينة ضده.

وحسب ادعاء «تشرشل» فقد تبدلت آراء «موين» حول هذا الموضوع في عام /١٩٤٣م/ ولذلك طلب «تشرشل» من الدكتور «وايزمان» السفر إلى القاهرة وملاقاته هناك والتأكد شخصياً من ذلك. ولكن اللقاء لم يتم لأن اللورد «موين» قتل على يد يهوديين من فلسطين في تشرين الثاني «نوفمبر» /١٩٤٤م/.

ومع اقتراب الحرب من نهايتها في أوربة، آخذت آمال المستر «تشرشل» في توطين الخزر في بلاد العرب تتلاشى بالتدريج، لذلك قدم عرضه إلى «وايزمان» حول تنصيب «ابن سعود» ملكاً على العرب في حال إيجاد «وايزمان» لغة مشتركة معه.

وعلى ما يبدو أن إخفاء «وايزمان» هذا العرض عن الرئيس «روزفلت» أصبح سبباً لحدث ممتع في عام /١٩٤٤م/ ، فقد أرسل «روزفلت» ممثله الخاص في الشرق الأوسط العقيد «هوسكينس» في زيارة إلى الملك العربي.

وكأي عارف في الشؤون الشرق أوسطية لم يبد هذا العقيد أي ثقة في خطط الصهاينة في إنشاء دولة لهم، ولكنه كان يؤيد مساعدة اليهود في العيش في فلسطين إذا رغبوا في ذلك ولكن بشرط موافقة العرب هناك على ذلك.

ولدى وصوله إلى ضيافة «ابن سعود» ، علم أن الملك كان شديد الغضب واعتبر أنه تعرض إلى إهانة فظة، وتحدث عن «وايزمان» باحتقار لأنه حاول رشوته بعشرين مليون جنيه إسترليني مقابل إعطاء فلسطين لليهود، وطبعاً رفض الملك ذلك بغضب وبدا واضحا للعقيد استحالة خلق أي لغة مشتركة بعد ذلك. وبقي بعد ما حدث، إمكانيتان لحل قضية الشرق الأوسط[1].

وهو إما أن تتابع الحكومة البريطانية محاولتها العقيمة في المحافظة على التوازن بين المهاجرين المغتصبين والسكان الأصليين، وإما كان عليها أن «تبصق» على الانتداب وتغادر البلاد وبعد ذلك سيقوم الصهاينة بطرد العرب بقوة السلاح الذي حصلوا عليه من مسارح العمليات الحربية في أوربة وأفريقيا، ولم يكن لدى أحد أي شك باقتراب حدوث الحل الثاني. واخبر «وايزمان» «روزفلت» بأن الصهاينة لا يمكن أن يسمحوا بأن يكون حل القضية متعلقاً بموافقة العرب. ولكن الرئيس رفض الخروج بحل نهائي. «تشرشل» وافق ولكن بشكل خاص وليس رسمياً.

---

1 حاول اليهود عدة مرات الحصول على فلسطين عن طريق الرشوة المالية ويذكر أن وفداً صهيونياً عالي المستوى في بداية القرن العشرين حضر إلى السلطان التركي عبد الحميد وقدم له عرضاً مالياً أسطورياً مقابل إعطاء فلسطين لليهود. ولكن السلطان رفض ذلك ودفع ثمن رفضه غالياً جداً وتحولت الأموال اليهودية إلى المنظمة الماسونية (تركيا الفتاة) وفي عام /١٩٠٨- ١٩٠٩/ حصلت الثورة في تركيا وطرد السلطان من الحكم. ويجدر الذكر أن مركز (تركيا الفتاة) كان في سالونيك حيث كانت تقيم جالية يهودية كبيرة اعتنقت الإسلام شكلياً وظلت ضمنياً على دينها القديم. وكانت الدومنا (اليهود المتظاهرين بالإسلام) تسيطر على التجارة والمال في تركيا (المنافس الوحيد لهم كان الأرمن) ولهم عملاؤهم في جميع المؤسسات الحكوميه التركية وفي كل الأحزاب السياسية. وكانت القيادة في جمعية التوحيد والتقدم المسيطرة على الحكم بعد عام /١٩٠٩م/ تعود إلى اثنين من الدومنا جاويد بيه وطلعت باشا. ومع بداية الحرب العالمية الثانية وضعت هذه المنظمة خطة دقيقة لتدمير مليونين من الأرمن ونفذت هذه الجريمة في عام /١٩١٥م/ واستمرت حتى /١٩٢٣/ مع بداية حكم (أتاتوك).

وفي عام /١٩٤٤/ أصر «وايزمان» على صدور تصريح رسمي يضمن تغيير العبارة غير الواضحة في وثيقة «بلفور» «الملاذ القومي اليهودي» إلى كلمات تضمن إعطاء اليهود أراضي محددة.

ولكن «تشرشل» رفض أن يعلن هذا الاستسلام الرسمي والنهائي. وفي الحقيقة لم يكن لا «تشرشل» ولا «روزفلت» في وضع يسمح لهما بإرسال الجنود لتنفيذ هذه الجريمة. وتابع الصهاينة الزعيق عن عدم مقدرة الزعيمين على اتخاذ أي قرارات حاسمة.

وسافر «روزفلت» إلى «يالطا» واليأس المحتوم مرسوم على وجهه، واتفق هناك على تقسيم أوربة، وأطلع «تشرشل» هناك على نيته بملاقاة «ابن سعود» على ظهر الطراد الحربي الأمريكي «كوين سي» (يقال أن هذا الخبر أثار قلقا كبيرا لدى «تشرشل»). وأما ما حصل بعد ذلك فهو عبارة عن لغز غامض.

بالطبع لم يكن لدى «تشرشل» أو «روزفلت» أي حق في إعطاء الأرض العربية للصهاينة. ولكن ما طلب منهما الآن لدى مقارنته مع ما اقترفاه في أوربة، يبدوا أمراً قليل الأهمية ولم يكن احد ليدهش لو أن الرئيس «روزفلت» وجهَ تهديداً حاسماً صلباً إلى الملك «ابن سعود» فيما يخص القضية الفلسطينية. ولكن بدلا من القيام بذلك خرج «روزفلت» فجأة عن الدور المرسوم له والذي لعبه على مدى /١٢/ سنة وتكلم لأول مرة كرجل دولة يحترم نفسه ولكنه بعد ذلك مات بشكل سريع ومفاجئ.

غادر «روزفلت» «يالطا» في /١١/ شباط «فبراير» /١٩٤٥م/ وقضى الأيام الثلاثة التالية /١٢و١٣و١٤/ شباط «فبراير» على ظهر الطراد «كوين سي» بصحبة الملك «ابن سعود» وطلب خلال ذلك من الملك «بإدخال مجموعة أخرى من اليهود إلى فلسطين» وكان رد «ابن سعود» الرفض القاطع، وقال للرئيس بأن «فلسطين تعج الآن بالجيش اليهودي المسلح حتى أسنانه والذي في الواقع لا يرغب في محاربة الألمان بل من الواضح أن سلاحه موجة نحو العرب».

في /٢٨/ شباط «فبراير» /١٩٤٥م/ وصل «روزفلت» إلى واشنطن، وفي /٢٨/ آذار «مارس» أكد الملك في رسالة إلى «روزفلت» ما قاله له شفهياً من تحذير حول العواقب الوخيمة التي ستنتج عن دعم الأمريكان للصهاينة.

في الخامس من نيسان «ابريل» أجابه «روزفلت» كذلك برسالة أكد فيها الوعد الذي أعطاه لـ «ابن سعود» شفهياً بأنه «كرئيس للحكومة الأمريكية، أنا لن اتخذ أي إجراءات يمكن أن تبدو معادية للشعب العربي».

وفي /١٢/ نيسان «ابريل» انتقل «روزفلت» إلى العالم الآخر[1].

وعرف العالم عن تعهداته هذه فقط بعد نصف سنة من ذلك عن طريق وزير خارجيته «جيمس بيرنس» «١٨ تشرين الأول «أكتوبر» ١٩٤٥» الذي حاول جاهداً ثني خليفة «روزفلت» الرئيس «ترومان» عن القيام «بأعمال معادية للشعب العربي» التي تعهد «روزفلت» بعدم القيام بها.

هذا هو الوعد الذي أعطاه «روزفلت» عندما كان الموت قريباً منه. ويبقى أحد ألغاز التاريخ الكبيرة السؤال الذي يقول، هل كان «روزفلت» جاداً في كلامه؟ إذا كان الجواب نعم فعلينا القول أن الموت تدخل مرة أخرى لمصلحة الصهيونية.

وينفي «غاري غوبكينس» «هو شخص مقرب جداً من «روزفلت» وكان معه خلال المحادثات مع «ابن سعود» وقد سردَ محتويات هذه المباحثات في مذكرة عمل» باحتقار جدية هذه الوعود وأشار إلى آن الرئيس «روزفلت» وعد بالكامل رسمياً وبشكل شخصي أيضاً وعن قناعة تامة بدعم الصهيونية ولكن في مذكراته يذكر قول «روزفلت» بأنه (أي «روزفلت») عرف من «ابن سعود» عن فلسطين وخلال عدة دقائق آكثر مما عرف عنها طوال حياته كلها.

وعلى ما يبدو أن هذه الكلمات هي التي ولدت الزعم القائل بأن «ابن سعود» أخبر «روزفلت»: «منذ ألفي عام نحن نعلم، ما احتجتم إلى حربين عالميتين لتعرفوه».

١- تفاصيل موت (رورفلت) يلفها غموض كبير ولم يكن متوقعاً على الرغم من مرض الرئيس الطويل. شهادة وفاة (روزفلت) الموقعة من قبل الدكتور (بريون) من مشفى البحرية العسكرية في بيتسد (نفس المشفى الذي سقط من نافدته وزير الدفاع (فوريستول)) وذكر التقرير ان سبب الموت كان نزيفاً دموياً في الدماغ سببه انسداد في الشرايين الدقيقة في الدماغ. ويحتم القانون الأمريكي الفيدارلي وفي الولايات على حتمية اجراء تشريح للجثة اذا حدث الموت بشكل مفاجئ ولا سيما إذا تعلق الأمر بموظف رفيع المستوى، وفي حالة كون الميت رئيساً للجمهورية يكون الأمر أكيداً على هذا الشكل. وجرت العادة في امريكا وغيرها من الدول عند موت الرئيس موتاً عادياً، أن توضع جثته في نعش مفتوح في قاعة ما كبيرة لمدة عدة ايام يستطيع خلالها مواطنوه من توديعه. في حالة (روزفلت) لم يجر تشريح للجثة ولم تعرض في صالة للوداع. ونقل الرئيس إلى الدفن في تابوت مغلق ووضعت حراسة مسلحة على القبر لفترة طويلة. في عام ١٩٤٨م/ صدر كتاب (ايمانويل جوريفسون) بعنوان (الموت الغريب لـ (فرانكلين روزفلت). حيث ذكر شهادة طبيبه الخاص عدم وجود اي مشكلات في شرايين الدماغ لدى (روزفلت) والمشكلة الصحية الأساسية لديه كانت في القلب (هذا الطبيب لم يكن حاضراً لدى موت الرئيس). ويقول المؤلف جوزيفسون بأن السبب الرئيسي الذي منع من اجله تشريح الجثة كان وجود فتحة في راس الرئيس بسبب طلق ناري سبب بوفاته (شهادة قس مسيحي كان موجوداً عند حصول ذلك).

ولكن نحن نعتقد بأنه لا يجوز الثقة بما يقول «غوبكينس» في هذا الموضوع بالذات. ويجدر الذكر في هذا الخصوص أن «غوبكينس» قام مباشرة بعد الحوار مع «ابن سعود» بالاعتكاف في قمرته الخاصة في السفينة ولم يخرج منها «في السابق كان مثل ظل الرئيس يرافقه في كل مكان» ولدى وصول السفينة إلى الجزائر غادرها مسرعاً ومنذ تلك اللحظة لم يلتق بالرئيس بعد ذلك.

الأمر الوحيد الذي لا شك فيه هو أن الأسابيع والأيام الأخيرة من حياة «روزفلت» كان يطوف فوقها خيال الجدل حول صهيون وليس أبدا الموضوعات الأوربية والأمريكية. ولو بقي الرئيس حياً وانكشفت وعوده لـ «ابن سعود» لانقلبت الصهيونية ضده بشراسة، على الرغم من أنها في البداية ساعدته في الوصول إلى الحكم. ولكنه بدلا من ذلك مات. لا يجوز أبدا الشك في جدية وعده لـ «ابن سعود» فقد كتب قبل موته: «فيما يخص الوضع الأساسي في فلسطين لن يُتخذ أي قرار من دون التشاور الكامل مع العرب واليهود». وكان في ذلك صد ورفض كامل وشامل لـ «وايزمان» الذي قال للرئيس قبل ذلك: «نحن لا نقدر أن نبقي حل القضية مرتبطاً بموافقة العرب».

وهكذا يغادر الساحة المستر «روزفلت» وبشكل يلفه الغموض الكثيف وفي الحقيقة أنقذ الموت السيد «روزفلت» من الغوص في وحل المعضلة الفلسطينية. وبقي «تشرشل» وجهاً لوجه معها. وحاول تشرشل كما نذكر كسب الود الصهيوني بدءاً من انتخابات١٩٠٦م. وكان «تشرشل» عضوا في الحكومة البريطانية عندما قام عضو آخر من هذه الحكومة بالتصريح بما يلي «الوزير ليوبولد عميري»: «عندما نشرنا وثيقة «بلفور» كنا نقصد بأن اليهود في الوقت الذي يصبحون فيه أغلبية في فلسطين سيكون بإمكانهم تأسيس الدولة العبرية... ونحن لا نقصد فقط الأراضي الواقعة غرب الأردن». وكان ذلك يعني بأنه حتى لو تشكلت الدولة الصهيونية بعد الحرب العالمية الثانية فإن ذلك لن يرضي ويقنع مؤلفي وثيقة «بلفور» وأنه يجب توقع احتلال المزيد من الأراضي العربية بواسطة الحرب. «التعليق على هذه الكلمات زائد عن اللزوم - ملاحظة الترجمة».

ولقد أوضحت الأيام وصولاً إلى عام /١٩٤٥م/ بأن اليهود لا يمكن في حال من الأحوال أن يصبحوا الأكثرية في فلسطين إلا إذا جرى طرد العرب من أراضيهم بقوة السلاح. ويبرز سؤال يطرح نفسه... من الذي يجب أن يطردهم؟.

«روزفلت» أقسم أن لا يقوم بذلك.

وكان الدكتور «وايزمان» على غرار «شايلوك» مستعدا دائماً أن يطالب برطل اللحم العائد إليه وأصر على «تشرشل» أن يتعهد بمساعدته حتى النهاية.

ولكن حتى «تشرشل» لم يقدر على إنجاز هذه المهمة القذرة.

وآنقذه من ذلك فقط خسارة الانتخابات.

كان من الصعب انتظار شكر جزيل من الناخبين الإنكليز على نتيجة الحرب («تشرشل» نفسه انتقدها بحدة) ولكن كان هناك أسباب أخرى لفشل «تشرشل» في الانتخابات بالإضافة إلى خيبة أمل الناخبين في قدراته. انتخابات إنكلترا وانتخابات أمريكا أوضحت كم هي قوية سلطة من كان يُسير الانتخابات ويسيطر عليها.

وعلى الرغم من آن «تشرشل» قدم الكثير فقد سلح اليهود وتعهد بدعم الصهيونية شخصياً ولكن كل ذلك لم يكف ولم يقنع الدكتور «وايزمان». ومع حلول منتصف القرن العشرين أصبحت الصحافة البريطانية تحت سيطرة الصهاينة وأدارت الدعاية الصهيونية ظهرها إلى «تشرشل» وقامت كلياً بدعم الاشتراكين «حزب العمال» الذين قدموا تعهداً رسمياً بالقيام بأعمال عدائية ضد العرب «كلمات «ايتلي» الذي قرر دعم إخراج العرب من فلسطين وإدخال اليهود إليها».

وكتب «وايزمان» إن «انتصار حزب العمال سبب فرحاً عظيماً في أوساط الليبراليين».

وهذه كانت مكافأة على دعم متواصل دام أربعين سنة قدمه «تشرشل» للصهيونية وفقط لأنه لم يأمر القوات الإنكليزية لكي تطرد العرب من فلسطين تحول السيد «تشرشل» إلى عدو للصهيونية.

وبهذه الطريقة تملص «تشرشل» من مهمة حل مسألة ماذا وما الذي يجب القيام به فيما بعد بفلسطين وهذا وحده كان يجب أن يزيل كآبة الفشل عنه.

وفهم الاشتراكيون بعد النجاح في الانتخابات بأن البعض ينتظر منهم إجراءات عملية لكي يغادر العرب فلسطين، ولما حاولوا التملص من هذه المهمة الشريرة وارتفع الصراخ عن الخيانة وانهال عليهم كسيل من الحجارة.

وعين الحزب الاشتراكي في منصب وزير المستعمرات السيد «هول» ولم يلحق الرجل مباشرة مهماته الوظيفية حتى زاره وفد من الكونغرس الصهيوني العالمي.

وهو نفسه يصف تلك الزيارة: «علّي القول بأن سلوك أعضاء هذا الوفد يختلف عن كل ما شاهدته سابقاً. لم يكن ذلك طلباً إلى حكومة صاحب الجلالة لتتطلع على قرارات

الكونغرس الصهيوني بل كان إصراراً على أن تقوم حكومة صاحب الجلالة بتنفيذ ما رسمت لها المنظمة الصهيونية».

بعد ذلك جرت إقالة هذا الوزير من منصبه.

حكومة الاشتراكيين عام /١٩٤٥م/ كانت من أسوأ الحكومات على مستوى السياسة الداخلية لبلد آنهكته الحرب العالمية وكان يحتاج إلى شحنات جديدة من الطاقة والقوة.

ولكن في مجال السياسة الخارجية استطاعت تلك الحكومة أن تقوم بعمل واحد على الأقل، يخدم بلدها: لقد أنقذت ما يمكن إنقاذه من شرف إنكلترا وعلى الرغم من الضغط الهائل عليها من جميع أنحاء المعمورة فإنها رفضت أن تلعب دور القاتل في فلسطين. وعلى الرغم من أنها لم تحم العرب وهو دور لم يعد بإمكانها القيام به في ذلك الوقت، فإنها على الأقل لم تقم بذبحهم لمصلحة سادتها الصهاينة. ولكن الفضل في كل ذلك يعود إلى وزير الخارجية البريطانية بالتحديد وهو «ارنست بيوين» الذي يُعده مؤلف هذا الكتاب أفضل سياسي استطاعت إنكلترا أن تلده على مدى القرن العشرين كله. ويقال أن الملك «غيورغ السادس» وهو أقل الملوك الإنكليز تدخلا في شؤون الحكومة، آلح على رئيس الوزراء العمالي لكي يعين في منصب وزير الخارجية شخصاً قديراً يتجاوب مع الوضع السياسي الدولي الصعب فقام رئيس الحكومة باختيار «ارنست بيوين» لذلك المنصب.

ومع قدوم عام /١٩٤٥/ أصبح واضحاً أن المشكلة الفلسطينية أصبحت بالغة الأهمية لذلك جرى تحويلها من صلاحية وزير المستعمرات ونقلت إلى صلاحية الخارجية ورئاسة الحكومة. وأصبحت من آخطر القضايا التي يمكن أن تشعل الحرب في آي لحظة. ومباشرة بعد الحرب طغت هذه المشكلة على السياسة الوطنية لكل الدول وشوهتها ودفعت بها إلى الطريق المزيف. وأمسك «بيوين» القنبلة بيديه وحاول نزع الفتيل منها ولكن أحداً لم يساعده بل انهال عليه الجميع كقطيع ذئاب جائعة.

وكان «بيوين» شخصية قوية جرت في عروقه دماء الغرب الإنكليزي بعاداته الشجاعة ولكن حتى هو حطمته جسدياً بضع سنوات من الافتراء الشرس المتواصل، ولكنهم لم يقدروا على تحطيمه معنوياً إلا آنه فهم بوضوح بأنه وقف ضد عمل هو مؤامرة في طبيعته، مؤامرة تتحد فيها الصهيونية مع الثورة العالمية، وعلى ما يبدو كان هو السياسي الوحيد في عصرنا الذي استخدم كلمة «مؤامرة» في محلها الصحيح.

ولدى مقابلة «وايزمان» قال له في وجهه بأن لا أحد يقدر على إجباره أو إقناعه على القيام بعمل يتناقض مع المصالح البريطانية ويضر بها. وفي الحقيقة لم يتجرأ أحد منذ عام /١٩٠٤/ أن يتحدث مع «وايزمان» بهذه الطريقة وأن يعطيه مثل هذا الدرس، لذلك أصابه السعار، وظهر ذلك على شكل حملة افتراء صهيونية منظمة في جميع أنحاء العالم ضده.

ولا يوجد أي شك في أنه لو بقي «تشرشل» رئيساً للحكومة لكان سمح باستخدام القوات الإنكليزية للتقسيم، ومن الصعب القيام باستنتاج آخر من مذكرته التي أرسل بها إلى قيادة الأركان المشتركة للحلفاء في /٢٥/ كانون الثاني «يناير» عام /١٩٤٤م/: «اليهود المتروكين لوحدهم سيحطمون العرب لذلك لا يوجد أي خطر من توحدنا مع اليهود لإجراء تقسيم فلسطين المقترح بالقوة»...

ونلاحظ هنا أن نفس الشيء لا يكون دائما وفي كل الحالات الأمر ذاته: تقسيم أوربة كان بالنسبة لـ «تشرشل» أمراً مشيناً مخزياً لا يمكن أن يستمر طويلاً، ولكن تقسيم فلسطين كان قمة المطلوب و «تشرشل» على استعداد فوري إلى الاتحاد مع اليهود للقيام به بالقوة، ولكن «بيوين» لم يرغب أن يكون له أي شيء مشترك مع كل ذلك.

وبناء على مبادرة منه «من بيوين» أصدرت الحكومة العمالية بياناً قالت فيه بأنها غير مستعدة على الموافقة على أنه يجب آخراج اليهود من أوربة أو أنه لا يجوز السماح لهم من جديد العيش في الدول الأوربية من دون أي تتميز أو اضطهاد وفي استخدام مقدراتهم في إعادة بعث النهضة والرخاء الأوربي».

هذه الكلمات توضح على أن «بيوين» كان يفهم طبيعة الشوفينية الصهيونية والمشكلات التي تسببت بها والطريق الوحيد لحلها.

إنها ترسم لنا «كلمات بيوين» ما يجب أن يحدث في يوم ما سعيد ولكن هذا اليوم أبعدوه عنا إلى وقت لاحق بعيد، بعد أن تأزمت المشكلة في فلسطين.

هذا الرجل إما أنه كان أول سياسي بريطاني فهمَ الوضع على حقيقته تماماً إما أنه كان أول من أمتلك الجرأة على القول والفعل حسب هذا الفهم. وأرسلت الحكومة البريطانية العمالية لجنة أخرى لدراسة الأوضاع واستقصاء الحقائق وقامت بمحاولة لتحديد الهجرة أو ضبطها على الأقل وحماية مصالح السكان الأصليين العرب وبالتوافق مع ما جاء في وثيقة «بلفور» الأولية.

وكان ذلك بالنسبة لـ «وايزمان» عودة إلى السياسة المزدوجة والالتزامات فيما يخص عرب فلسطين. وانطلقت الآلة الصهيونية الرهيبة لتحطيم «بيوين» وانهالت على رأسه حملة

صهيونية خلال السنتين التاليتين. وهاجم حزب المحافظين الحزب العمالي وأعلن أنه يقف ضد سياسة حزب العمال الداخلية، ولكنه يؤيد سياسته الخارجية إلا فيما يخص القضية الفلسطينية فهو لا يتفق معه فيها. وقام «تشرشل» وبخبث باتهام «بيوين» بان لديه «مزاجاً وسلوكاً معادياً لليهود».

واستخدم بذلك سلاحاً من أسلحة منظمة معاداة التشهير. وأضاف «تشرشل» إلى ترسانتها سلاحاً جديداً وهو تعبير «البيوينية». وأهان «تشرشل» نفسه في ذلك لأن زميله على مدى سنوات الحرب، «بيوين» لم يكن ليسمح لنفسه بمثل هذه التعابير ضد خصمه السياسي.

وفي منصبه المشحون بالخطر تمكن «بيوين» أن يفهم أنه وحيد في موقفه تقريباً فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية. ولربما على الرغم من ذلك كان بإمكانه إنقاذ الأمور لولا تدخل الرئيس الأمريكي الجديد هاري «ترومان». لقد أغرق «ترومان» بلاده في المعضلة الفلسطينية في الوقت الذي ظهر فيه آخيرا في إنكلترا سياسي صلب الإرادة وكان بإمكانه إنهاء هذه المغامرة المأساوية.

مدينة كانزاس سيتي هي مدينة صغيرة في وسط الغرب الأمريكي ومن الصعب اعتبارها مكانا ملائما لدراسة مسائل السياسة العالمية إلا إذا كان الحديث يدور عن عبقري لا يحتاج بالإضافة إلى مزاياه الفطرية إلى أي تعليم أو تدريب.

من هناك جاء «ترومان» وكان فيه عيبان جعلا منه قليل الصلاحية للرئاسة. الأول، أنه تربى في مكان بعيد عن السياسة العالمية. والثاني كانت علاقاته قريبة مع المتطفلين على السياسة في مجاهل تلك البلاد البعيدة.

وكان آن رآى «بسبب ذلك» أن «العم جو» «ستالين» هو شاب طيب عندما التقاه في بوتسدام وأنهى معه تقسيم أوربة الذي ابتدأ مع «روزفلت». و «ترومان» هو الذي أمر بإلقاء القنابل الذرية على هيروشيما وناغازاكي.

ولم يذكر التاريخ آن مثل هذا الدور وقع في وقت ما على عاتق بائع ملبوسات أفلس والذي أصبح بإرادة القدر «زعيماً - ديكتاتوراً-».

وانشغل «ترومان» بالانتخابات الرئاسية وانتخابات الكونغرس المقبلة، وكان يعرف جيدا «وصرح بذلك علانية» بأن من الضرورة ضمان تأثير العبرانية الأمريكية في الانتخابات.

وطالب «ترومان» بالسماح وعلى الفور لمئة ألف يهودي بدخول فلسطين ثم نظمَ سفر لجنة مشتركة آنكلو-أميركية إلى فلسطين تألفت في معظمها من الصهاينة، ولدى وصولها إلى فلسطين كان مصدر معلوماتها الدكتور «وايزمان». واقترحت اللجنة فتح الأبواب أمام مئة

ألف مهاجر أو ما يسمى بـ «دي- بي» وكان القصد من ذلك خداع الرأي العام الذي كان قلقاً في ذلك الوقت على مصير الملايين من «دي- بي» والذين في الحقيقة لم يكن لديهم أي رغبة في السفر إلى فلسطين.

وهكذا جرى إعداد الحطب لحريق الحرب القادمة وساند رئيس الولايات المتحدة وبشكل مفضوح «الأعمال المعادية للعرب».

وأشار المؤتمر الدوري للكونغرس الصهيوني العالمي «في عام ١٩٤٦» بارتياح إلى الالتزام الجديد للغرب والذي تضمن عروض «ترومان» وردود الفعل الحذرة للجنة الأمريكية الإنكليزية. وكان الكونغرس الصهيوني هذه المرة عبارة عن حشد تألف في معظمه من يهود فلسطين الذي قدموا إليها وأخذوا يعيشون فيها، ومن اليهود الأمريكيين غير الراغبين أبدا في السفر إلى هناك. وأما الحشود اليهودية المطرودة قسرا من كل أوربة والمتجمعة في معسكرات النازحين والجاهزة إلى السفر إلى فلسطين، فلم يسأل أحد عن رأيها ولم تتمثل في المؤتمر.

الأهمية الأكبر كانت للقرارات التي اتخذها المؤتمر والتي أشار إليها «وايزمان» بقوله «إن ذلك المؤتمر كان له طابعاً مميزاً».

وقال: «ان المؤتمر بيّن النزعة والاتجاه نحو استخدام طرق... يشار إليها بعبارات ومصطلحات مختلفة مثل... المقاومة، والدفاع أو النشاط» وثم يضيف «وايزمان»: «كان هناك أمر واحد عام للجميع وهو الإيمان بضرورة النضال الفعال ضد السلطات البريطانية في فلسطين وفي أي مكان آخر يتعلق بهذه القضية».

إن تلاعب «وايزمان» بالعبارات يجدر النظر إليه من خلال سياق الحديث العام لهذا الكتاب وكل تاريخ الصهيونية.

وكانت كلماته تعني أن المؤتمر الصهيوني العالمي في جنيف في عام /١٩٤٥م/ قرر من جديد استخدام طرق الإرهاب والاغتيال السياسي التي استخدمها اليهود في روسيا في عصر ازدهار المؤامرة السياسية ذات الفرعين الفرع الثوري والفرع الصهيوني. وبالطبع كان المؤتمر يعرف جيدا أي طرق قصد «وايزمان» بقوله: «يشار إليها بمصطلحات مختلفة» في مناقشات المؤتمر، لأن هذه الطرق كانت قد انبعثت من جديد مع اغتيال اللورد «موين» ومع الكثير من الأعمال الإرهابية في فلسطين. والدافع المحرض للاتخاذ الفعلي لمثل هذه القرارات كانت مبادرة الرئيس الأمريكي، إدخال بالقوة مئة ألف مهاجر يهودي إلى فلسطين. واعتبر الصهاينة ذلك التزاماً جديداً تسمح لهم أمريكا بكل ما سيفعلونه في فلسطين مستقبلاً. وقد كانوا على حق كامل في ذلك.

وعلى ما يبدو أن الدكتور «وايزمان» فهم أخيراً على ماذا يجري الرهان وأنه في خريف عمره خاف وارتد عن الآفاق التي انفتحت أمامه والتي كانت تعني العودة إلى الطقوس الدموية. وعلى الرغم من أن «وايزمان» شاهد خلال حياته ما يكفي من الدماء التي أريقت في سبيل الثورة الشيوعية والصهيونية الثورية واشترك في أيام شبابه بفعالية في الاضطرابات والثورات، وقد اعتبر حين ذاك أن الاغتيال السياسي هو أحد الصفات الاعتيادية لها.

وفي سن النضوج صاح فرحاً عند تدمير روسيا. وعلى مدى خمسة وخمسين عاماً متتالية ظل يدعوا إلى الدمار والخراب وهو الذي أطلق قيود كلاب الحرب واشترك بفعالية في طبخ حربيين عالميتين. ومع عام /١٩٠٦/ عندما قام لأول مرة بخداع «بلفور» ، أخذ هذا الشخص يصعد إلى الأعلى على درجات سلم النجاح حتى وصل إلى درجة أصبحت كلماته أقوى من القانون وكان يطلب وده ورضاه الزعماء والملوك والرؤساء.

والآن وعندما وصل الأمر الذي بناه على مدى السنين الطويلة إلى نهايته واقترب من الاكتمال، ارتد وارتعد «وايزمان» من آفاق سفك الدماء القادمة التي انفتحت أمامه.

الدم والدم من جديد... وماذا في نهاية النهايات؟

لا شك بأن الدكتور «وايزمان» تذكر مصير «شباطاي تسيفي».

لقد وقف ضد «الخضوع للقوة السائدة المسيطرة في حركتنا». بهذه العبارة المبهمة أراد هذا السيد آن يغطي ما دعاه «تشرشل» «بالتطرف» وأما الإدارة البريطانية في فلسطين فكانت تدعوه «بالإرهاب». على ما يبدو أن «وايزمان» تغير كثيراً في آخر أيامه وإلا فكان عليه أن يعرف بأنه من دون الإرهاب لم يكن باستطاعة الصهيونية أبداً أن تقف على قدميها، وأنه إذا كان من الضروري ظهور الدولة العبرية في عام /١٩٤٦م/ فإن ذلك يجب أن يكون عن طريق الإرهاب والحديد والدم.

كل المؤشرات كانت تدل على أن الدكتور «وايزمان» أصبح على يقين بعدم جدوى نصف قرن من الضغط واللعب فيما وراء الكواليس، ولا شك أنه قد بدا له وضوح الزيف والفشل المستقبلي للدولة الصهيونية وليدة الإرهاب.

ومن الناحية البسكولوجية تُعد هذه النقطة أكثر الأمور إثارة في حكايتنا.

وكذلك يبدو إنه مع السنين والشيخوخة تأتي الحكمة ورجاحة العقل ويتعب الناس من الكلمات والأفعال القاسية العنيفة، والتي كانت تبدو لهم أيام الشباب قادرة على حل جميع المشكلات وعلى ما يبدو أن «حاييم وايزمان» قرف بالفعل من كل ذلك.

وإذا كان الأمر كذلك فإنه قد حصل متأخرا للغاية ولم يعد بالإمكان تغيير أي شيء. لأن الآلة التي صنعها كان عليها الاستمرار في العمل بقوة العطالة حتى يحين الدمار الذاتي، ولكن بعد آن تدمر كل ما يقف في طريقها. وأتضح تماماً أن البقية الباقية من المستقبل الصهيوني أصبحت فعلياً في أيدي «القوة السائدة في حركتنا».

وفشل «وايزمان» في الحصول على الثقة في المؤتمر ولم يتم انتخابه رئيسا للمنظمة الصهيونية العالمية.

وبعد مرور أربعين عاماً على نبذ «هرتزل» ورميه جانباً من قبل «وايزمان»، تكرر الأمر نفسه مع «وايزمان» ولنفس الأسباب.

لقد خلعوا «هرتزل» بسبب قبوله بأوغندا كموطن لليهود وهو ما كان يعني التخلي عن فلسطين، وخلعوا «وايزمان» لأنه خاف وارتعد من عودة الإرهاب والقتل السياسي والذي من دونه لم يكن من الممكن الحصول على فلسطين.

وقد سُمعت نبرة اليأس في كلماته سابقاً ومباشرة بعد اغتيال اللورد «موين»: «اليهود في فلسطين... عليهم آن يقتلعوا هذا الشر من جذوره من محيطهم... إن هذا الأمر ليس أبداً تقليداً يهودياً». وكانت هذه الكلمات مخصصة للمستمع الغربي وكانت كلها كذباً وخداعاً. لأنه لم يكن يوجد زمن لم يكن فيه القتل السياسي تقليداً غير يهودي. وكان «وايزمان» على علم تام بذلك وهو الذي قال أمام حشد صهيوني خال من الغرباء: «ما هو الإرهاب في فلسطين، إذا لم يكن شراً عتيقاً في لباس مقرف جديد». وقد أُطلق هذا الشر القديم مثل الجني من القارورة التلمودية ووقف أمام «وايزمان» في جنيف عام /١٩٤٦/ ودفع به نحو الشعور الذي غاصت به الصفحات الأخيرة من كتابه الصادر في عام /١٩٤٩م/. حيث كتب يقول إن اغتيال «موين» «أضاء الهاوية التي يؤدي إليها الإرهاب». وهكذا شاهد «وايزمان» قبيل نهاية حياته. الهدف الوحيد لرحلته الطويلة وهو الهاوية. وشاهد أيضاً كيف ابتلعت هذه الهاوية أول مليون من ضحاياها.

وبعد رحيل «وايزمان» أصبح الإرهابيون عملياً هم المسيطرون على الصهيونية. ومع حصولهم على ذلك كان أول عمل قاموا به هو محاولة طرد الإنكليز من فلسطين وكانوا على ثقة بأن النصر سيكون حليفهم في ذلك.

فلو حاول الإنكليز حماية أنفسهم آو حماية العرب الساميين فسيحل الضغط حتما على رؤوسهم من واشنطن. وفي الحقيقة كان الإرهاب موجودا دائما مع اليهود في فلسطين ولم تكن عملية قتل اللورد «موين» إلا أحد حلقاته فقط.

وقد ذكر وزير المستعمرات البريطانية «اوليفر ستينلي» في مجلس العموم عام /١٩٤٤/، أن الإرهاب عطل بشكل كبير «سير العمليات العسكرية الإنكليزية». أي أنه أبعد تحقيق النصر.

وفي أعوام /١٩٤٦و١٩٤٧م/ وبعد المؤتمر الصهيوني في جنيف ازداد عنف الإرهاب الصهيوني وقتل وآصيب المئات من الجنود الإنكليز برصاص وقنابل الصهاينة.

«الشر المعتق» لهذا الإرهاب جرى استعراضه عمدا في عملية خطف رقيبين إنكليزيين وتعذيبهما ومن ثم شنقهما على الأشجار. وكان القصد من اختيار هذه الطريقة اللاوية في القتل هو الإشارة إلى آن الشريعة العبرية هي التي عملت في هذه الحالة - التعليق على الأشجار كان هو العقاب المميت لمن تقع لعنات الرب عليه-.

وارتدت الحكومة البريطانية أمام حملات النقد اللاذع من الصحافة الأمريكية والإنكليزية وآصبحت تخشى تأمين الحماية والأمان لموظفيها وجنودها في فلسطين. وقد كتب أحد الجنود الإنكليز إلى التايمز اللندية: «ما هي الفائدة التي يجنيها الجيش من محبة الحكومة؟ ما دامت لا تعاقب القتلة ولا تحاول منع حدوث ذلك مستقبلاً. ألم يبق لدينا شجاعة كافية لكي نفرض النظام والقانون هناك حيث تمتد مسؤولياتنا».

وكان هذا هو بالذات بيت القصيد.

فنتيجة الضغط الذي لا يطاق تحولت حكومات الدول العظمى القريبة إلى جماعات لا حول ولا إرادة لها ولم تعد إنكلترا أو آمريكا بلداناً مستقلة ذات سيادة. وبعد أن وصلت الحكومة البريطانية إلى حالة اليأس، اضطرت أن تسليم القضية الفلسطينية إلى المنظمة الجديدة في نيويورك التي سمت نفسها «الأمم المتحدة» والتي لم تكن تملك الحق بالتصرف بفلسطين كما لم تملكه عصبة الأمم من قبلها. وقدمت الوفود من جزر هاييتي وليبيريا وهندوراس و غيرها من أصقاع العالم الحر كله، إلى منطقه لايك ساكسيس في نيويورك.

ومن بطن الأمم المتحدة ظهرت فروعها تزحف وفحيحها يدل على أسمائها الغريبة مثل «أونررا» «لجنة الأمم المتحدة للمساعدات والإسكان» و «اليونسكو» لجنة الأمم المتحدة للعلوم والثقافة» وغيرها... وفي ذات يوم ظهرت «يونسكوب» «لجنة الأمم المتحدة الخاصة بأمور فلسطين».

وقدمت إلى الأمم المتحدة تقريراً اقترحت فيه «تقسيم فلسطين». وتشكلت لجنة لأجل ذلك وسافرت إلى القدس وكان الدكتور «وايزمان» وعلى الرغم من استقالته من المنظمة الصهيونية، أول من استقبل أعضاء اللجنة في القدس وكالعادة كان المصدر الأساس

لمعلوماتها. بعد ذلك عاد «وايزمان» إلى نيويورك على وجه السرعة، حيث قاد الألاعيب والمشاورات الخفية لـ «اللوبي الصهيوني» هناك في فترة تشرين الأول «أكتوبر» - تشرين الثاني «نوفمبر» عام /١٩٤٧م/ حيث ضمن وتأكد بأن «الضغط الذي لا يحتمل» يعمل بأقصى طاقة له. وتحولت الوفود والمندوبين في الأمم المتحدة نتيجة لذلك إلى دمى وجرت اللعبة الكبرى الحقيقية فيما وراء الكواليس. وجرى في هذا «العالم الحقيقي» «الذي لم يشك الناس حتى بوجوده» تنظيم عمليتين كان يجب عن طريقهما تقرير مصير فلسطين:

- الأولى كانت تهجير وتسفير مئات الآلاف من يهود روسيا وأوربة الشرقية وعبر أوربة الغربية إلى فلسطين بشكل غير علني وغير شرعي.

- أما الثانية فكانت اقتراب موعد الانتخابات الرئاسية الأمريكية وكان على الصهاينة هنا عمل كل ما في وسعهم لإجبار الحزبين المنافسين على التقاتل والتفاني في كسب ود ودعم الصهيونية. وهو أمر يعني ضمان الصوت الأمريكي الحاسم في الأمم المتحدة.

ومرة أخرى وفي هذه الفترة ظهر أناس شجعان حاولوا تخليص بلادهم وشعوبهم من العواقب الوخيمة لهذه المغامرة الخطرة.

وفضح عملية تهريب اليهود الشرقيين «عبر أوربة الغربية» الجنرال الإنكليزي السير «فريدريك مورغان» (لعب هذا الجنرال دورا بارزا في وضع خطة إنزال قوات الحلفاء في النورماندي وهي جهود أشار إليها «ايزنهاور» شاكراً).

ومع نهاية العمليات الحربية في أوربة تم إعارة الجنرال المذكور إلى منظمة «اونررا» «التابعة للأمم المتحدة». وكان على هذه المنظمة مساعدة المتضررين من الحرب في أمور السكن والتوطين.

وعُهد إلى الجنرال «مورغان» برعاية أمور النازحين والمتنقلين وما يسمى بـ «دي- بي» واستوعب «مورغان» بسرعة الوضع وفهم أن هذه المنظمة «تكلف الخزينة الإنكليزية والأمريكية أموالاً طائلة» تستخدم كغطاء لتهريب مئات ألوف اليهود من أوربة الشرقية إلى فلسطين، ولم يكن لهؤلاء الناس أي علاقة مع النزوح أو الانتقال القسري من مكان إلى آخر. وكانوا يعيشون في بلدان تحررت من الألمان على يد الجيش الأحمر وأصبح لديهم الآن الفرصة الكاملة للعيش هناك بأمان بعد أن قام القانون الجديد حول مكافحة معاداة السامية بحمايتهم من أي خطر مزعوم. ولم يطردهم بالطبع أحد من ألمانيا التي لم يشاهدوها من قبل في حياتهم. إنهم من جديد يهود الشرق «اوست - يودين» الخزر الذين دفع بهم سادتهم التلموديون إلى بلاد جديدة والمؤامرة تملأ قلوبهم.

وصرخ الجنرال «مورغان» مرتين بأعلى صوته «كانون الثاني «يناير» وآب «أغسطس» /١٩٤٦م/» معلناً عن وجود منظمة سرية تعمل على تسفير اليهود سراً من أوربة. وعلى الفور أعلن السيناتور الصهيوني «هربرت ليمان» وهو في الوقت نفسه المدير العام لمنظمة «اونررا»، بأن هذه التصريحات معادية للسامية وطالب باستقالة الجنرال. ولكنه هدأ بعد تأكيد الجنرال بعدم وجود أي ميول معادية لليهود لديه.

ولكن عندما كرر الجنرال ذلك بعد ثمانية أشهر قام المدير الجديد للمنظمة وهو متملق معروف للصهيونية (عمدة سابق لمدينة نيويورك المدعو «فيور يللو لا غوارديا») بإقالة الجنرال «مورغان» وعين مكانه «مثير كوهان» وقامت الحكومة البريطانية أثر ذلك بتسريح الجنرال من القوات المسلحة. وقد أكدت الأيام تحذيرات الجنرال «مورغان» في حديثين منفصلين عن بعضهما بعضاً.

في تشرين الثاني «نوفمبر» ١٩٤٦م قامت لجنة خاصة بالميزانية تابعة لمجلس العموم بتقديم تقرير إلى البرلمان قالت فيه: «إن عدداً كبيراً من اليهود هاجر من أوربة الشرقية إلى القسم الأمريكي في ألمانيا والنمسا المحتلة وتهدف الغالبية العظمى منهم في نهاية الأمر الانتقال إلى فلسطين. ومن الواضح جدا أن الحديث هنا يدور عن حركة شديدة التنظيم تقف وراءها الإمكانات المالية الضرورية والقوى المؤثرة الفعالة. ولكن اللجنة لم تتمكن من الحصول على إثباتات محددة تشير إلى المنظم الحقيقي الواقف وراء ذالك».

وكذلك قام مجلس النواب الأمريكي بإرسال لجنة تحقيقات عسكرية إلى أوربة والتي قالت في تقريرها: «الهجرة الجماعية لليهود هي عبارة عن جزء من خطة منظمة بإتقان تمولها جهات محددة في الولايات المتحدة». وتظهر أمامنا مرة أخرى صورة المؤامرة المدعومة من حكومات الغرب ولا سيما الولايات المتحدة، حيث جرى صرف المال العام بسخاء لتحويل النقل الجماعي لسكان كاملين تحت غطاء مساعدة ضحايا الحرب. وعلى الرغم من أن مخاطر الثورة الشيوعية أصبحت واضحة في ذلك الوقت /١٩٤٦-١٩٤٧/ وعلى الرغم من ابتداء الحرب الباردة، إلا أن واشنطن وموسكو ولندن بقيتا تعملان بتنسيق غريب في قضية واحدة فقط وهي قضية «الخروج الثاني» الذي جاء من طرف روسيا وأوربة الشرقية. وبهذه الأعداد البشرية الهائلة على الرغم من أن الجميع على علم بعدم استطاعة أحد مغادرة الدولة السوفييتية والدول التابعة لها في أوربة الشرقية إلا بعد الحصول على سماح خاص كان يعطى في حالات نادرة جدا وبشكل محدود. ولكن فقط في هذه الحالة ارتفع فجأة الستار الحديدي وسمح لعدد عظيم من الناس بالعبور إلى فلسطين كان يكفي لإشعال الحرب وتأسيس الوطن القومي الصهيوني.

ونتذكر هنا أقوال الوزير الصهيوني البريطاني «ليوبولد عميري»: «عندما نشرنا وثيقة «بلفور» كنا نقصد بأن اليهود سيؤسسون الدولة العبرية إذا أصبحوا غالبية في فلسطين» وفي عام /١٩٤٦-١٩٤٨م/ أخذت هذه الأقوال تتحقق عن طريق وحيد لذلك وهو الزرع الجماعي لليهود الشرقيين في فلسطين، ولم يبق إلا الحصول على تصديق ولو صوري «خلبي» من الأمم المتحدة يعطي شرعية للاغتصاب.

وكان في أمريكا شخصان حاولا وبحكم العمل الوظيفي، سحق هذا الخطر قبل ولادته.

أحدهما كان الجنرال «مارشال» «ورد ذكره سابق» والذي كانت مواقفه في أوربة لا ترفع الرأس ولكنه في الموضوع الفلسطيني اتخذ موقفا رجولياً واضحاً. وفي عام /١٩٤٧م/ كان وزيرا للخارجية الأمريكية وكان بذلك هو المسؤول أمام الرئيس عن السياسة الخارجية وقد حاول جهده حماية بلاده من الانزلاق في المأساة الفلسطينية. ولكن وكما جرت العادة أدى هذا الأمر إلى إقالته من منصبه.

الشخص الآخر كان وزير الدفاع الأمريكي «جيمس فوريستول» وهو مصرفي ناجح جرى جذبه إلى الحكومة أيام الحرب بهدف الاستفادة من إمكاناته التنظيمية الإدارية. وقد توقع أيضا العواقب الوخيمة التي سيجلبها جر أمريكا إلى مستنقع القضية الفلسطينية.

ولكنه أيضا فشل في آخر الأمر ومات بسبب ذلك ولم يحقق شيئاً يذكر في هذا المجال. وقد ترك دفتر يوميات يفضح كليا الطرق التي تستخدمها الصهيونية في التأثير على الحكومات والحكام.

وكان «ترومان» أكثر تعمقا من «روزفلت» في سلبه لصلاحيات وزرائه الأساسين وقد ألقى الضوء على ذلك في يوميات «فوريستول» وفي مذكرات «ترومان» وكتاب «وايزمان».

وتجدر الإشارة أن صراع ما وراء الكواليس للسيطرة على الرئيس الأمريكي «وبالتالي على الدولة كلها» استمر من خريف /١٩٤٧م/ وحتى ربيع عام /١٩٤٨م/. أي مع ابتداء المناقشات في الأمم المتحدة في موضوع تقسيم فلسطين وحتى إعلان قيام الدولة الصهيونية إسرائيل. وتملك التواريخ الدقيقة للأحداث أهمية كبيرة لذلك نلفت الانتباه الخاص إليها.

في تشرين الثاني «نوفمبر» عام /١٩٤٧م/ طالبَ الصهاينة بالتصويت على التقسيم، وفي أيار «مايو» عام /١٩٤٨م/ طالبوا بالاعتراف باغتصابهم لفلسطين.

وكانت انتخابات الرئاسة في أمريكا مقررة في تشرين الثاني «نوفمبر» /١٩٤٨/ ولكن الاختيار الأولي المهم للمرشحين كان مقررا في حزيران «يونيو» - تموز «يوليو» /١٩٤٨م/. وأوحي لـ «ترومان» بأن إعادة انتخابه تتعلق تماماً بالصهاينة وتقع تحت سيطرتهم.

وأوحي للمرشح الخصم بنفس الأمر وتحولت الحملة الانتخابية إلى مزاد علني حول من الذي سيدفع أكثر من التنازلات مقابل الرضا الصهيوني.

في عام /١٩٤٧م/ أعلنت الحكومة البريطانية أنها ستسحب قواتها من فلسطين وكان ذلك جواباً على إصرار «ترومان» إدخال /١٠٠٠٠٠/ يهودي إلى فلسطين وعلى الفور حذر الجنرال «مارشال» الحكومة الأمريكية بأن هذا الانسحاب سيسبب حرباً دامية بين العرب واليهود «١٩٤٧/٨/٨م».

وأما نائب وزير الخارجية الأمريكي «روبرت لوفت» فقد أشار في /١٥/ آب «آغسطس» /١٩٤٧/ إلى خطر «ازدياد الكره العربي والإسلامي لأمريكا».

وزير التلغراف والبريد الأمريكي «روبرت هانيغان» اعترض على ذلك وطالب الرئيس «ترومان» بان يصدر تصريحا رسميا حول فلسطين يسمح بدخول /١٥٠٠٠٠/ صهيوني إلى هناك.

آي كجواب على التحذيرات الإنكليزية رفع الصهاينة الثمن في مزاد الحملة الانتخابية من /١٠٠٠٠٠/ مهاجر إلى /١٥٠٠٠٠/ مهاجر صهيوني إلى فلسطين وقد شدد «هانيغان» على آن تحقيق هذا المطلب الجديد «سيؤثر بشكل كبير وسيثير تأثير عميقاً كبيرا خلال جميع الموارد المالية للجنة الوطنية للحزب الديمقراطي».

وأضاف كاإثبات وبرهان بأن تلبية المطلب السابق «/١٠٠٠٠٠/ مهاجر يهودي إلى فلسطين» كان من نتيجتها «الحصول على كميات كبيرة من الأموال اليهودية كتبرعات والتي ستستمر فيما بعد آو لن تستمر ويتعلق ذلك فقط بما سيفعله الرئيس فيما بعد في فلسطين».

ووضع الرئيس أمام الاختيار: إما المصلحة الوطنية من جهة. واما مصلحته الخاصة ومصلحة حزبه من جهة آخرى «ويتلخص ذلك في الحصول على التبرعات وأصوات الناخبين» وأثارت هذه الحالة الطارئة قلق وزير الدفاع الأمريكي «فوريستول». واعتبر بأن السياسة الحكومية والأمن القومي ستصبح خاضعة لأمور شراء الأصوات وإن البلاد ستقع نهائياً تحت نفوذ الصهاينة وقد طلب هو في عام /١٩٤٦/ من الرئيس «إلغاء فلسطين من السياسة». في ذلك الوقت كان الرئيس موافقاً من حيث المبدأ ولكنه أبدى رأيه بأن «شيئاً ما لن ينتج عن ذلك،

لأنه لا يمكن من دون المناورة في السياسة. ومن الواضح أن تغيير السياسة ونمط إدارتنا غير ممكن».

وبسبب القلق الذي أصابه حاول «فوريستول» جاهداً في أيلول «سبتمبر» /١٩٤٧م/ «إلغاء فلسطين من السياسة الأمريكية». واعتبر بأن الحزبين المتنافسين عليهما فهم ضرورة شطب المداولات بين الحزبين في موضوعات السياسة الخارجية وذلك من أجل المصلحة العليا للبلاد وبشكل لا يمكن للموضوع الفلسطيني أن يصبح مادة للمزايدة في الانتخابات. وقلق «فوريستول» من إلحاح «هاينغين» على الرئيس «ترومان» وقام في /٢٩/ أيلول «سبتمبر» بطرح سؤال مباشر على الرئيس خلال اجتماع غداء دوري للحكومة: (ألا يجوز نزع المسألة اليهودية - الفلسطينية من السياسة الأمريكية). فأجابه الرئيس «ترومان»: (من الممكن القيام بمحاولة ذلك ولكنه ينظر إلى إمكان ذلك بشك).

في /٦/ تشرين الأول «أكتوبر» قام المسؤول الحزبي الديموقراطي «هانغين» بتوبيخ الوزير: «يطالب المتبرعون الكثيرون للصندوق الانتخابي للحزب الديموقراطي بإصرار أن تدعم الحكومة. الموقف اليهودي في فلسطين». وازداد قلق «فوريستول» أكثر بسبب توقعه استسلام «ترومان» فقام في /٦/ تشرين الثاني «نوفمبر» /١٩٤٧م/ بزيارة المسؤول الإداري للحزب الديموقراطي «هوفارد ماك هارت» ولكنه لم يحصل على أي شيء إيجابي في هذه المرة وسمع منه: «في ولايتين أو ثلاث لم نكن لنحصل على الأغلبية من دون دعم الناس المهتمة جدا بالموضوع الفلسطيني»

فاعترض «فوريستول»: «أنا موافق واعتبر من الأفضل أن نفقد هذه الولايات في الانتخابات على أن نخاطر بمواقعنا في القضية الفلسطينية». ولكن هذا الاعتراض لم يأت بأي أثر إيجابي. ولكن في اليوم التالي أيد الجنرال «مارشال» موقف «فوريستول» وقال في اجتماع الحكومة بأن الشرق الأوسط الآن هو عبارة عن برميل بارود.

وحاول وزير الدفاع مرة أخرى: وكرر عرضه القيام بمحاولة جدية لانتزاع المسألة الفلسطينية من السياسة الحزبية الأمريكية... وعلى أن السياسة الداخلية يجب أن تنتهي عند سواحل الأطلسي الأمريكية.

(ولا يوجد قضية تحمل في طياتها خطرا عظيما لأمننا القومي مثل هذه القضية) (٧ تشرين الثاني «نوفمبر» ١٩٤٧م).

واقترب موعد التصويت على مشروع التقسيم في الأمم المتحدة وذهب «فوريستول» مرة أخرى إلى المدير الإداري للحزب الديموقراطي «ماك هارت» وعرض عليه التقرير السري

للاستخبارات الأمريكية عن الوضع في فلسطين ولكن «ماك» رفض مرة أخرى الاستماع إليه وأشار إلى أن القسم الأكبر من الموارد المالية لصندوق الحزب الديموقراطي الانتخابي تأتي من المصادر اليهودية وأن هذه التبرعات تدفع «وكما هو واضح بهدف حصول المتبرعين على إمكان عرض أرائهم وأن تعطى هذه الآراء الاهتمام الجدي في موضوعات مثل الموضوع الفلسطيني وأن هناك سخطاً يسود اليهود بسبب عدم قيام الولايات المتحدة بما يلزم لتأمين الأصوات في الجمعية العامة للأمم المتحدة لمصلحة تقسيم فلسطين. بل ويتأمل اليهود أن تبذل الولايات المتحدة كل ما في وسعها لتنفخ الحياة في ذلك التقسيم بعد أن تقره الأمم المتحدة، وإذا لزم بقوة السلاح». ونرى من العبارات السابقة كيف ارتفع ثمن أصوات الناخبين اليهود. ففي البداية انتظروا من الولايات المتحدة فقط التأييد في الأمم المتحدة ولكن بعد أسابيع قليلة تحول ذلك إلى إصرار على أمريكا أن تضمن أصوات الدول الأخرى لدعم التقسيم وكذلك إرسال القوات الأمريكية لتنفذه بالقوة.

وكان واضحاً أن المسؤول الحزبي لم ير في ذلك أي أمر غير طبيعي أو غير اعتيادي. ولو حدث في يوم ما مستقبلا أن أرسلت القوات الأمريكية للحرب في الشرق الأوسط، ولم يعرف الجنود من أجل ماذا يحاربون، فإن قراءة يوميات «فوريستول» ستوضح لهم سبب وجودهم هناك.

وتابع «فوريستول» محاولة إقناع «ماك هارت»: «علينا التفكير بجد في هذه القضية التي لا تخص العرب وحدهم فقط بل تشمل العالم الإسلامي كله من مصر إلى شمال إفريقيا والهند وأفغانستان».

في ذلك الوقت جهد حاييم «وايزمان» بحماس في عملية تنظيم «التصويت» في نيويورك وفي واشنطن وقد لاقته في البداية بعض الصعوبات إلا أنه تخلص منها في اللحظات الحاسمة بفضل «التغيير المذهل المرغوب» الذي حصل فجأة في مزاج بعض الأثرياء اليهود المعارضين سابقا للصهيونية. وجاء «وايزمان» لأول مرة على ذكر «برنارد باروخ» في كتابه وأشار إلى أن «باروخ» كان في السابق يهودياً معارضاً و «أحد أكثر اليهود ثراءً ونفوذاً الذين كانوا ضد فكرة الموطن القومي اليهودي بسبب عدم معرفته الكافية عن الأمر».

يمكن فقط التكهن حول طبيعة الأممية العبرانية وعدد أعضاء إدارتها العليا والتي - على ذمة المؤرخ اليهودي المعروف «كاستين» - ظهرت في بداية القرن العشرين.

ومن الممكن جدا وعلى ضوء ما جرى في العالم منذ ذلك الحين، الافتراض بوجود إدارة أممية دائمة لها، تعلو فوق كل الحدود القومية ولا يبدل أعضاءها الدائمين إلا الموت. وإذا

كان الأمر كذلك فإن الاستنتاج المنطقي هو أن الدكتور «وايزمان» كان أحد كبار الموظفين فيها بل وحتى يمكن القول بأنه آكبر موظف فيها ولكنه على الرغم من ذلك كان بلا شك يخضع إلى تلك الإدارة العالمية التي تقف فوقه.

في هذه الحالة يعتقد مؤلف الكتاب بأن الأربعة الأكثر نفوذا في هذه الإدارة العبرانية في أمريكا هم: «برنارد باروخ» والسيناتور «هربرت ليمان» و «هنري مورغنتاو الابن» وعضو المحكمة العليا الأمريكية «فيليكس فرانكفورتر». وإذا كانت هناك أي شكوك فهي بخصوص «باروخ» لأنه قبل ذلك لم يبدِ أبداً بشكل علني تضامنه مع الأعمال اليسارية أو الصهيونية. بل حتى نذكر أن صديقه القديم «تشرشل» اخبر ذات يوم الدكتور «وايزمان» عن علاقة «باروخ» السلبية نحو الصهيونية. ولذلك تجنب «وايزمان» - حسب كلام «وايزمان» - لدى مقابلته لـ «باروخ» في أمريكا أن يمس ويتطرق إلى الموضوع اليهودي.

وكيفما كان الأمر فعلاً، إلا أن «باروخ» وفي تلك اللحظات الحرجة تغير بشكل مدهش ومفاجئ وكان دعمه للصهيونية في فترة التقسيم هو الذي لعب الدور الحاسم.

لقد اكتشف الدكتور «وايزمان» أن الوفد الأمريكي في الأمم المتحدة كان ضد فكرة تقسيم فلسطين، لذلك لجأ إلى طلب الدعم الحاسم من «باروخ» و «مورغنتاو الابن» ومن الواضح أن «باروخ» لم يكن لديه أي شعور ودي نحو «وايزمان» من النوع الذي كان لدى زعماء الغرب نحوه (نحو «وايزمان»). ولذلك تبقى مساعدته المفاجئة للصهيونية تثير الحيرة ولكن يمكن تفسيرها بظهور حب مفاجئ لديه نحو الصهيونية أو أن أحاسيس قديمة دفينة في نفسه ظهرت فجأة «أو على الأغلب أن «باروخ» نفذ أوامر صارمة جاءت إليه من جهة غير رسمية أعلى منه سلطة ونفوذا - ملاحظة الترجمة-». ومهما كان الأمر فإن مساعدته هي التي لعبت الدور الحاسم في القضية.

وحصل «وايزمان» على دعم اليهود المتنفذين الآخرين في الحزب الديموقراطي ومنهم السيناتور «ليمان» «ترأس أيضاً منظمة «أونررا» التي قامت بتهريب اليهود وبأعداد ضخمة من أوربة إلى فلسطين» وكذلك عضو المحكمة العليا الأمريكية «فرانكفورتر».

ويذكر رئيس قسم الشرق الأوسط في وزارة الخارجية الأمريكية «لوي هندرسون» بأنه تعرض إلى ضغط قوي بهدف إجباره على تأمين أصوات المندوبين الأجانب في الأمم المتحدة لمصلحة التقسيم. وقال أيضا إن «فرانكفورتر» والقاضي «ميفي» كتبا رسالة إلى رئيس الوفد الفلبيني بهدف الحصول على صوته لمصلحة التقسيم. وحضر «وايزمان» إلى الرئيس «ترومان» في /١٩/ تشرين الثاني «نوفمبر» /١٩٤٧م/ مطالبا بالدعم الأمريكي لضم صحراء النقب إلى

القسم الصهيوني وذكر آثر اللقاء: «لقد وعدني الرئيس بأنه سيتصل على الفور مع الوفد الأمريكي».

وبالفعل كان رئيس الوفد الأمريكي «هرشل جونسون» على وشك إعلام الممثل الصهيوني أن الولايات المتحدة ستصوت ضد ضم النقب إلى الجزء اليهودي إلا إن أنه حصل بالهاتف من «ترومان» على أوامر الدكتور «وايزمان».

وانتهى الأمر في /٢٩/ تشرين الثاني «نوفمبر» /١٩٤٧/ حيث أوصت الجمعية العامة للأمم المتحدة (الدعاية الصهيونية في هذا الخصوص تقول دائماً بأن الجمعية العامة «قررت») بأن يتم بعد انتهاء مدة الانتداب البريطاني لفلسطين في الأول من آب «أغسطس» /١٩٤٨م/ إنشاء دولة مستقلة عربية ودولة مستقلة يهودية في فلسطين وإنشاء وضع دولي خاص لمدينة القدس».

وكانت نتيجة التصويت /٣١/ صوتاً مع التقسيم و /١٣/ صوتاً ضده وامتنع عشرة مندوبين عن التصويت.

وذكر بعد ذلك معاون وزير الخارجية الأمريكي «روبرت لوفيت» «بأنه لم يشهد في كل حياته ضغطاً مثل الذي شاهده في الأيام الثلاثة الأخيرة». وحسب قوله فإن شركة المطاط «فاير ستون»[1] أبلغت مندوبها في ليبيريا ليقوم بالضغط على الحكومة هناك بهدف الحصول على صوتها في الأمم المتحدة لمصلحة التقسيم.

ومباشرة بعد صدور قرار التقسيم جدد «فوريستول» هجومه في الاجتماع الحكومي الدوري: «أود الإشارة إلى أن الكثير من الناس العقلاء من أتباع الديانة اليهودية يسودهم الشك بالنسبة إلى حكمة الضغط الصهيوني الهادف إلى إنشاء دولة عبرانية في فلسطين وأود الإشارة أيضا إلى أن هذا القرار يحمل في طياته آخطاراً جسيمة لأمننا القومي في المستقبل».

وبحث «فوريستول» هذا الموضوع في /٣/ كانون الأول «ديسمبر» مع «جيمس بيرنس» الذي أُقيل من منصب وزير الخارجية في عام /١٩٤٧م/.

وقال «بيرنس» إن المسؤولية الأساسية لما قام به الرئيس «ترومان» تقع على عاتق «دافيد نايلس» والقاضي «صاموتيل روزن مان». وكما هو معروف كان اليهودي الروسي «نايلس» «الكنية مستعارة وليست كنيته الحقيقية» يعمل مستشار الرئيس للشؤون العبرانية. وأما القاضي «روزن مان» فكان يكتب أحاديث الرئيس «أو يقوم أحيانا بتنقيحها».

١- شركة إطارات السيارات المشهورة - المترجم.

وقد ذكر «بيرنس» بآن هذين الشخصين أخبرا الرئيس بأن المستر «ديو» «المرشح المنافس لـ «ترومان» في الانتخابات الرئاسية» سيقوم بإصدار مذكرة يؤيد فيها مطالب الصهاينة وفي حال عدم قيام «ترومان» باستباق الأمور فإن الديموقراطيين سيفقدون ولاية نيويورك.

وبالفعل قام «ديو» بإصدار بيان أيد فيه كل المطالب الصهيونية وحاول فيه حتى المزايدة على الديموقراطيين في هذا الموضوع ولا شك بآن الذهول إصابه لخسارته الانتخابات بعد ذلك.

ومن ثم حاول «فوريستول» دعم المعارضة الصادرة من وزارة الخارجية وأصدر من أجل ذلك مذكرة في /٢١/ كانون الثاني «يناير» /١٩٤٨م/ قال فيها: «من المشكوك فيه وجود قسم آخر في سياستنا الخارجية امتلك أهمية كبيرة أو كان فيه كل هذا الخطر الكبير... لأمن الولايات المتحدة مثل علاقاتنا مع الشرق الأوسط».

وأضاف «فوريستول» محذراً: «بأننا يمكن وإلى الأبد أن نخرب بذلك علاقاتنا مع العالم الإسلامي وآن نتورط في الحرب إذا قمنا بخطوة ما خاطئة».

وذكر «فوريستول» بأن بعض الجمهوريين أيدوه في محاولاته نزع الموضوع الفلسطيني من المجادلات الحزبية الأمريكية. ولكن في وسط الديموقراطيين كان هناك رأي يقول بأن معظم تمويل الحزب يأتي من جهات اليهودية التي تصر على امتلاك حق التصرف في هذا القسم من سياستنا الخارجية».

الكلمات الأخيرة تعكس الأمور بوضوح. لقد أصر الصهاينة على خضوع السياسة الحكومية الأمريكية لهم وفي مقابل ذلك وعدوا بكرسي الرئاسة لمدة أربع سنوات لمن يدفع أكثر في هذا المجال.

السؤال هو: هل كانوا بالفعل قادرين على القيام بذلك أم لا؟ لم يحاول أحد أبدا اختبار ذلك. وقد خاف زعماء الحزبين منهم دائما وكانوا على ثقة من صحة وجدية كل ما يقولون.

وأصر «فوريستول» على وزير الخارجية الجنرال «مارشال» على أن يحتج هذا الأخير رسميا لدى الرئيس ويخبره بأن قسماً كبيراً من يهود أمريكا أصابهم الخوف من الاندفاع المتحمس والمتهور للصهاينة الذي يهدد وجود اليهود في العالم كله».

وعندما شاهد لوفيت «مساعد وزير الخارجية» مذكرة «فوريستول» قام بدوره بإطلاعه على مذكرة وزارة الخارجية إلى الرئيس «ترومان» وجاء فيها أن تحقيق التقسيم غير ممكن وأنه ليس من واجب أمريكا محاولة تحقيق «وصية» الأمم المتحدة عن التقسيم، بالقوة بل على العكس عليها آن تحاول إلغاء تلك الوصية. وقد أضاف لوفيت: بأن استخدام الغير للأمم

المتحدة كمنصة دعائية يعرقل سير وتنفيذ سياستنا الخارجية». وأشار إلى أن وزارة الخارجية، تُعد نشاط السيد «نايلس» في البيت الأبيض عملاً يعيق نشاطها في تنفيذ الأعمال المقررة.

وأخبر نائب وزير الخارجية، «فوريستول» بأنه في هذا اليوم تعرض أيضا إلى ضغط شديد من تلك الجهة حيث اتصل به السيد «نايلس» من البيت الأبيض بالهاتف و «أبدى أمله بأن الحظر على بيع السلاح للصهاينة سيتم إلغاؤه».

ومن الواضح أن «جيمس فوريستول» كان قد أصبح في ذلك الوقت عقبة ملحوظة في طريق القوى المتواجدة حول البيت الأبيض ولا شك بأنها قررت إزاحته.

في البداية حضر إليه «روزفلت» الابن وعلى الرغم من أن الأب وعد على فراش الموت عدم اتخاذ مواقف وأعمال معادية للعرب فإن الابن وبسبب طموحه بالرئاسة كان من أكثر المتملقين للصهيونية.

وقال «فوريستول» له بوضوح وصراحة: «بأن الضغط الذي قام به بعض الناس من خارج الحكومة على الوفود الأجنبية لتصوت لمصلحة التقسيم، كان سيسبب فضيحة».

ويذكر وزير الدفاع أن الاستغراب أصابه عندما خفت اللهجة التهديدية للضيف بعد ذلك، وشرح له الوزير خطته حول نزع المسألة الفلسطينية من المجادلات والمزاودات الحزبية وذلك عن طريق الاتفاق على ذلك بين الأحزاب المتنافسة. فأجابه «روزفلت» الابن «على غرار أبيه» بأن ذلك «غير ممكن وأن البلاد قد غاصت إلى حد كبير في هذه القضية. وأن اتفاقاً من هذا النوع سيؤدي إلى خسارة الديموقراطيين وفوز الجمهوريين».

فقال له «فوريستول»: (إن الامتناع عن الركض وراء الصهاينة قد يؤدي بالفعل إلى ضياع ولاية نيويورك وبنسلفانيا وكاليفورنيا بالنسبة للحزب «وهي الولايات الحساسة والحاسمة في الانتخابات الأمريكية» ولكن أنا اعتقد بأن الوقت قد حان ليفكر أحد ما في أننا قد نفقد كل الولايات المتحدة).

ولا نعرف ماذا كان تعليق «روزفلت» الابن على هذه الكلمات ولكن المعروف أنه أصبح نذير شرور كبيرة وكثيرة ستقع على رأس «فوريستول».

وفي نفس اليوم «٣ شباط «فبراير» ١٩٤٨» تدخل في الأمر «برنارد باروخ» بنفسه - أشرنا إلى أن «باروخ» انقلب فجأة من معارض للصهيونية إلى أحد أقوى المتحمسين لها - وكانت نصيحته لـ «فوريستول» كالتالي: «الكف عن التدخل في هذه القضية، لأنهم أصبحوا يرون في شخصي عدواً لسياسة الأمم المتحدة في القضية الفلسطينية وإلى درجة تهدد جديا مصالحي الخاصة».

وهذه الكلمات المرعبة الموجهة لـ «فوريستول» «كان لا يزال وزيرا للدفاع الأمريكي» تشير ولأول مرة إلى التدخل المباشر لـ «باروخ» في السياسة على مستوى عالٍ ولا يوجد أي شك في طبيعة هذا التدخل. وكانت نصيحته تعني ليس أكثر أوائل من أن «فوريستول» وزير الدفاع عليه الآن أن يهتم بأموره الخاصة التي هي الآن موضوع خطر كبير.

على الرغم من «فوريستول» كان يُعد حتى تلك اللحظة أن واجبه الأول هو الاهتمام بمصالح بلاده العليا. ولا يذكر الوزير في مذكراته هل اعتبر هو نفسه هذه النصيحة تهديداً أم لا. ولكن على ما يبدو أن الزيارة المذكورة سببت قلقاً واضحاً له.

بعد أربعة أيام من ذلك كتب «فوريستول» آخر كلماته حول هذه القضية «٧ شباط «فبراير» ١٩٤٨م». وجاء فيها: «في السادس من شباط «فبراير» أخبرني «ايزنهاور» بأن الاشتراك الفعال للولايات المتحدة في المشروع البوليسي الفلسطيني يتطلب تقريباً فرقة واحدة مع الوحدات المساعدة اللازمة لذلك».

أي أن الجنرال «ايزنهاور» (كان في ذلك الوقت رئيساً لهيئة الأركان في القوات المسلحة) قام بوضع خطة لإرسال القوات الأمريكية إلى فلسطين من وراء ظهر الوزير وقام فقط بإخباره بالنتيجة.

بعد ذلك قام «فوريستول» بآخر محاولتين له في /١٢و١٨/ شباط «فبراير» للتأثير على الجنرال «مارشال» لمقاومة خطط الرئيس والقادة الحزبين، وإلى هذا الحد وصل تدخل «فوريستول» في هذه القضية إلى نهايته.

ولكن هذا التوقف عن التدخل في تلك القضية لم يجدِه نفعاً وخلال السنة التالية تعرض لحملة قاسية من الملاحقة والتشهير أدت إلى الموت.

وسنحاول هنا استعراض نهاية وزير الدفاع الأمريكي قبل أن نتابع حديثنا، لأن ذلك كان مثالا كلاسيكياً للملاحقة بواسطة التشهير والافتراء الذي يدفع بالضحية إلى الموت.

في عام /١٩٤٨م/ زار المؤلف أمريكا لأول مرة وأصابه الذهول من الحملات السامة الحقيرة التي قامت بها الصحافة والإذاعات على المدعو «جيمس فوريستول» وزير الدفاع في ذلك الوقت. ولم يكن المؤلف يعرف عن هذا الشخص أي شيء سوى اسمه وأما دوره في قضية فلسطين «الذي ذكرناه» كان مجهولاً للرأي العام.

ومع ذلك قرأ هذا الرأي العام وسمع يومياً بأن «فوريستول» لم يكن يتمتع بكافة قواه العقلية وأنه كان جبانا ولم يدافع عن زوجته عندما هاجمها اللصوص وأنه قدم معلومات مزورة في استمارته الضريبية... الخ[1].

١- التهرب من دفع الضرائب يُعد من أخطر واقبح الذنوب في الغرب - المترجم.

وعن طريق المصادفة تعرف المؤلف على أحد أصدقاء «فوريستول» الذي ذكر بأن الوزير في حالة يرثى إليها بسبب هذه الحملات القاسية وأن الخوف يسيطر على أقربائه من نتائجها عليه.

بعد عدة أسابيع سقط الوزير المذكور من إحدى نوافذ ناطحة سحاب تاركاً وراءه على الطاولة مقاطع شعرية من تراجيديا إغريقية تنتهي بالكلمات التالية: «يا للويل والحسرة! هكذا سيكون الجلاد»[١].

القوانين الأمريكية حول الافتراء والتشهير ذات ليونة واضحة وتختلف من ولاية إلى أخرى والمشاحنات القضائية فيها تدوم طويلا جدا ولا تجلب حتى ولو كانت رابحة أي مكسب مادي أو معنوي[٢].

لقد انهالت على رأسه سيول من الأوساخ ولا سيما عبر الإذاعة وكان أخرها عندما اتحد مذيعان من محطتين مختلفتين في مهاجمته. في /٩/ كانون الثاني «يناير» /١٩٤٩م/ أعلن أحد المذيعين «بأن الرئيس «ترومان» سيقبل هذا الأسبوع استقالة فوريستول» وذكر المذيع بخبث مجموعة أكاذيب حول سندات وأسهم لشركة كيماويات ألمانية متورط فيها الوزير.

في «كانون الثاني «يناير» أعلن مذيع آخر وعلى مسمع الملايين من المواطنين بأن استقالة الوزير كانت ستتم منذ زمن لولا أن المذيع الأول استعجل بعض الشيء في الحديث عنها وأضاف المذيع إلى ذلك قصة مبهمة حول سرقة مجوهرات ما.

قبل عدة أسابيع من ذلك أبلغ الرئيس «ترومان» الصحافة بأنه طلب من «فوريستول» عدم تقديم استقالته ولكن في الأول من آذار «مارس» استدعى «ترومان» الوزير المذكور وطلب منه تقديم استقالته على الفور ومن دون شرح أسباب ذلك.

وفي /٢١/ أيار «مايو» سقط «فوريستول» من النافذة وخلال مراسم دفنه ذكر «ترومان» بأنه كان «ضحية الحرب».

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه في تلك الفترة تقريباً جرى أيضاً وبنفس الطريقة تقريباً دفع أحد المعاصرين إلى حافة الموت وقد بقي هذا الشخص على قيد الحياة فقط لأن محاولته للانتحار فشلت. إنه «ويتكر تشامبرس» الذي فضح مجموعة التجسس الشيوعية في أمريكا

١- حول موت فوريستول راجع الفصل الثالث والثلاثين من الكتاب.

٢- تجدر الإشارة الى سلك القضاء على اختلاف درجاته وكذلك جميع شركات المحاماة الكبيرة تقع تحت السيطرة التامة لليهود في أمريكا -المترجم.

وتعرض بسبب ذلك إلى حملة تشهير وافتراء قاسية وقد ذكر كل ذلك «تشامبرس» بنفسه في كتاب إصداره وذكر أن الحديث يدور حول طقس وممارسة يهودية تلمودية قديمة وهي «اللعنة بوساطة نظرة حاقدة» «ويقال أن الأصوليين التلموديين اعتبروا محاولة انتحار «تشامبرس» والتدهور اللاحق في أوضاعه الصحية يؤكد تماماً صحة وفعالية «الشريعة» في هذا المجال.

وبعد انكفاء «فوريستول» وموته تابع كبار موظفي وزارة الخارجية برئاسة الجنرال «مارشال» النضال. وفي تلك الفترة أيضاً كان «بيوبين» في إنكلترا يعارك وحيداً المعارضة من حزب المحافظين والمعارضة له من داخل حزبه.

وجاءت لحظة بدا فيها ولأول مرة منذ عام /١٩١٧م/ أن الموظفين والوزراء المخلصين في الدولتين على وشك من النصر وحدث ذلك في آذار «مارس» /١٩٤٨م/ عندما أدت وصايا الأمم المتحدة حول التقسيم إلى اندلاع إضرابات ومصادمات دموية في فلسطين وإلى درجة أجبرت مجلس الأمن أن يتراجع وأصاب الذعر «ترومان» وأعلن ممثله في الأمم المتحدة عن وجود تغيير في السياسة الأمريكية في هذا الموضوع واقترح تأجيل تنفيذ تقسيم فلسطين «١٩ آذار «مارس» ١٩٤٨» وفرض هدنة على الأطراف المتحاربة ومع نهاية الانتداب وضع البلاد تحت الوصاية. وكان ذلك في الواقع ما دعت إليه وزارة الخارجية الأمريكية في وثيقتها الصادرة في كانون الثاني «يناير» من نفس السنة. وكان كل شيء يشير إلى أنه وأخيراً بدأت فكرة الدولة اليهودية اللا معقولة تتصدع وتنهار.

نعم، كان فرض الوصاية سيعني العودة إلى البداية لأنها تماماً مثل الانتداب ولكن تحت اسم آخر ولاشك بأن أمريكا كانت ستكون الراعية للوصية المذكورة وبالتالي على الصهاينة تكرار السير على الطريق السابق. وظهر السؤال الملح أمام الصهاينة: متى... وكان الخيار أمامهم هو إما الآن أو أن دولتهم لن تقوم أبداً.

ولم يهدر الصهاينة الوقت ووضعوا الأمم المتحدة والعالم أمام الواقع وقاموا بفرض التقسيم بأنفسهم.

ونتذكر كيف أطلق «وايزمان» بصراحة على نظام الإرهاب الصهيوني في فلسطين لقب: «الشر العتيق بوجه جديد مقرف». وفي /٩/ نيسان «ابريل» /١٩٤٨م/ أزاح الإرهابيون المتطرفون «وايزمان» جانبا بسبب احتجاجه وبينوا للعالم لماذا سمى «وايزمان» هذا الإرهاب قديماً وعتيقاً، في ذلك اليوم الخطير قام «نشطاء» من منظمة القتلة الصهاينة الإرهابية «بالتدمير الشامل» لقرية عربية ونفذوا حرفيا بالكامل «الشريعة» المذكورة في كتاب «التثنية»، ولا بد بأن القارئ لم ينس بأن ذلك الكتاب يُعد كذلك التفسير الموسع للشرائع التي جاء بها «موسى» لليهود.

أن ذلك اليوم «٩ نيسان «ابريل» ١٩٤٨» أصبح يوما مشهودا في كل تاريخ الصهيونية. أما بالنسبة للعرب العارفين جدا كل ما جاء في التوراة «نحن منذ ألفين عام كنا نعرف جيدا ما لزمكم لتعرفوه خوض حربين عالميين». كان ذلك يعني أن الشرائع الهمجية البربرية التي ابتدعها اللاويون ما بين /٧٠٠ و٤٠٠/ قبل الميلاد عادت إلى الظهور حية ترزق وبفعالية مشهودة أخذت تعمل بعد ولادة المسيح بعشرين قرنا وبمساعدة فعالة من الغرب المسيحي والشرق الشيوعي - وعرف العرب جيدا أن هذه المجزرة كان القصد الأول منها هو الإشارة إلى ما سينتظرهم إذا ظلوا في فلسطين. وفر سكان فلسطين إلى الدول العربية المجاورة[1] وحصلت مجزرة «دير ياسين» على سطور قليلة في الصحافة الغربية. فمثلا كتبت مجلة التايم الأمريكية تقول: «اقتحم الإرهابيون اليهود من منظمة «عصابة النجمة» ومنظمة «أرغون تسفاي ليومي» قرية «دير ياسين» في فلسطين وقتلوا كل سكانها وقد عثر على /٢٥٠/ جثة من النساء والأطفال والشيوخ في آبار القرية».

في مؤتمر فرساي للسلام عام /١٩١٩م/ قال الدكتور «وايزمان» إن «التوراة - هي وثيقتنا» وقد لقيت هذه الكلمات صدى طيب في الغرب. ولكن «دير ياسين» أوضحت ماذا كانت تعني تلك الكلمات في الواقع.

لقد كانت «دير ياسين» واقعة تنفيذ «للشرائع والأعراف» القديمة بما فيها النص المطابق للجريمة في كتاب «التثنية»: «وإذا أدخلكم الرب إلهكم الأرض التي أنتم مزمعون أن تمتلكوها وطرد أمماً كثيرة من أمامكم... وهم سبعة شعوب أعظم وأكثر منكم وأسلمهم إلى أيديكم وضربتموهم، فاجعلوهم محرمين عليكم ولا تقطعوا معهم عهدا ولا تتحننوا عليهم».

ومن ثم يضيف كتاب «التثنية»: «فاضربوا أهل تلك المدينة وحللوا قتل جميع ما فيها حتى بهائمها بحد السيف».

وفي مقطع آخر يقول الكتاب المذكور: «لا تترك حياً أي شيء يتنفس...».

سبع دول عربية كوفئت كل منها بقسم من اللاجئين الفلسطينيين عام /١٩٤٨م/ وهم عبارة «اللاجئين» عن تذكير حي للمصير المشترك الذي ينتظرهم «العرب» من قبل الصهيونية لو تمكنت من تحقيق شرائع العهد القديم.

١ـ وكان ذلك خطأ فادحاً تتحمل جزءاً من مسؤوليته كل الدول العربية وهو أمر فهمه الفلسطينيون فيما بعد ولم يكرروه بعد حرب عام ١٩٦٧ ولم يتركوا الضفة والقطاع ـ المترجم

ويثير الدهشة رد الفعل الخامل على هذا العمل الوحشي من قبل العبرانية العالمية «اليهود في كل العالم» ولكنه في الوقت نفسه يوضح بشكل جيد كيف تغيرت هذه الكتلة خلال عدة سنوات قليلة على يد الصهيونية. ففي عام /١٩٣٣م/ (فقط قبل /١٥/ سنة من «دير ياسين») استعرض الكاتب اليهودي «برنارد بارون» المقاطع الواردة أعلاه من كتاب «التثنية» وذكر بأنها السبب في تخوف العرب وأضاف معلقاً: «العرب المتخلفون» «غير المثقفين» لا يفهموا طبعاً بأن اليهود المعاصرين «الحديثون» لا يأخذوا التوراة بحذافيرها الحرفية وأنهم «أي اليهود» طيبو القلب كثيرو الرحمة ولا يمكن أن يكونوا قساة إلى تلك الدرجة مع الناس الآخرين.

ولكن الشك كان يملأ العرب بأن اليهود في حال قدومهم إلى فلسطين على أساس الحقوق التاريخية فإنهم سيستقون هذه الحقوق من التوراة بالذات والتي يفهم العرب محتواها حرفيا».

ولكننا الآن نرى أن العرب كانوا على حق وأن «بارون» هو الذي أخطأ ،ولم يكن بوسع هذا اليهودي الغربي أن يستوعب في عام /١٩٣٣/ بأن الصهيونية كانت تعني في المقام الأول العودة إلى القسوة القديمة في أسوأ أشكالها همجية.

«دير ياسين» بقيت واقعة وحيدة فقط لأن العرب فهموا القصد منها وفروا من بلادهم[١].

الكاتب العبراني «ارتور كيستلير» لا يوجد لديه أي شك في الأسباب والنتائج. لقد كان في تلك الأيام في فلسطين ويذكر كيف قام العرب بعد «دير ياسين» بالهرب من حيفا وطبرية ويافا وغيرها من المدن ومن ثم من كل البلاد ومع «اقتراب /١٤/ أيار «مايو» هرب الجميع وبقي بضعة آلاف فقط».

وتتفق كل المصادر المحايدة فيما بينها حول الهدف والنتائج المرتبة على «دير ياسين». وبعد «دير ياسين» لم يبق شك عند أحد بأن غطرسة وتعجرف صهيون سيظهر في أعماله وتحت شعار تنفيذ الشرائع العبرية القديمة.

ولفترة من الزمن حلت مذبحة «دير ياسين» مشكلة الصهاينة وحدث التقسيم بوساطة الحديد والنار.

١- كان هناك عشرات المجازر الصغيرة والكبيرة غير دير ياسين أيام النكبة منها اللد والرمله ومذبحة طنطورة وتدمير القبية وغيرها من المذابح ولا شك بأن (دوغلاس ريد) لم يسمع بها بسبب التعتيم الإعلامي الدولي الصهيوني عليها وبعد موت (دوغلاس) ارتكب الصهاينة مجازر كبيرة مثل عدوان السموع وغيره - المترجم.

وفتح هذا الحدث عيون العرب ولربما حتى عيون الغرب على طبيعة تلك «الهاوية التي يؤدي إليها الإرهاب» (حسب تعابير «وايزمان») وابتداء من /٩/ نيسان «ابريل» /١٩٤٨م/ أصبح العالم الغربي كله يقف على حافة الهاوية التي حفرها له جيلان من قادته ورجال سياسته.

وتغيرت سياسة الولايات المتحدة بعد /٩/ نيسان «ابريل» عام /١٩٤٨م/. وعلى الرغم من أن الخوف ظل وبقي يلاحق «وايزمان» إلا أنه الآن وبعد «تطهير» الأراضي لخلق الدولة العبرية لم يعد يرغب أو لربما لم يعد يقدر على التراجع عن حافة الهاوية. وانحصرت المهمة الآن في إجبار الأمريكان على الاعتراف بالأمر الواقع الذي حدث نتيجة للإرهاب ونحو ذلك الهدف وجه الدكتور «وايزمان» جميع جهوده.

إن طاقات «حاييم وايزمان» في الحقيقة لا حدود لها. لقد قام هذا الرجل لوحده بمحاصرة ومقارعة الأمم المتحدة كلها.

وكان الجميع يستقبله بصدر رحب. ويذكر في كتابه أنه أقام علاقات جيدة مع وفود الأرغواي وغوانتيمالا ووصفهم بالمدافعين الشجعان عن الصهيونية. وكذلك مع الأمين العام للأمم المتحدة الذي كان في ذلك الوقت سيد من النرويج يدعى «تريغوي لي». وفي وسط نيسان «ابريل» زكمت أنباء «دير ياسين» أنوف المندوبين في الأمم المتحدة وكان من الواضح أن الصوت الأمريكي هو الذي سيلعب الدور الحاسم. وهنا بدأ الدكتور «وايزمان» «كما كتب هو يقول»: «ممارسة مسألة الاعتراف الأمريكي بالدولة العبرية».

وهنا من جديد يصبح للتواريخ الدقيقة معنى خاص جداً «في /١٣/ أيار «مايو» /١٩٤٨/ التقى «وايزمان» مع الرئيس «ترومان» وحدث ذلك قبل ترشيح المرشحين للانتخابات الرئاسية «اختيار مرشح كل حزب داخل نطاق حزبه» وكان ذلك هو الوقت الأنسب للضغط الذي لا يقاوم، واخبر «وايزمان» الرئيس «ترومان» بأن الانتداب البريطاني سينتهي في /١٥/ أيار «مايو» بعد ذلك ستقوم حكومة مؤقتة بالأخذ على عاتقها أمور إدارة الدولة العبرية. وأصر «وايزمان» على قيام الولايات المتحدة بالاعتراف الفوري وكان رد فعل الرئيس متحمساً جدا وإيجابياً.

وفي /١٤/ أيار «مايو» أعلن الصهاينة من تل أبيب قيام دولتهم وبعد عدة دقائق من ذلك انتشر خبر «غير رسمي» في أرجاء الأمم المتحدة بأن الرئيس «ترومان» اعترف «رسمياً» بها. وبما آن الوفد الأمريكي لم يعلم بهذا الأمر فقد شك أعضاؤه بصحة هذا الخبر وقاموا بالاتصال بالبيت الأبيض وحصلوا على أوامر الدكتور «وايزمان» من لسان الرئيس الأمريكي. وطار «وايزمان» إلى واشنطن بصفته رئيساً لإسرائيل حيث استقبله هناك «ترومان» وصرح الرئيس الأمريكي بعد ذلك بأن «لحظة الاعتراف بالدولة العبرية كان من آسعد لحظات حياتي».

وفي مذكراته التي صدرت بعد ثمانية أعوام من ذلك يسرد «ترومان» بعض الأمور التي رافقت تلك اللحظات السعيدة. ويستحق قسما منها أن نطلع القارئ عليه لأن ذلك يشرح ما جرى خلال ستة أشهر من لحظة التصويت على التقسيم في تشرين الثاني «نوفمبر» /١٩٤٧م/ وحتى الاعتراف بإسرائيل في عام /١٩٤٨م/. كتب «ترومان» يقول: «في /١٩/ تشرين الثاني «نوفمبر» حضر إلى هنا الدكتور حاييم «وايزمان» وبعد عدة أيام من ذلك استلمت رسالة منه. «ويسرد «ترومان» مقاطع من تلك الرسالة المؤرخة بتاريخ /٢٧/ تشرين الثاني «نوفمبر» وفيها يشير «وايزمان» إلى الإشاعات التي تقول» بأن جماعتنا قاموا بضغط شديد على بعض الوفود «في الأمم المتحدة» ومن ثم يضيف «وايزمان» «بأن هذه الاتهامات لا أساس لها من الصحة».

ويعلق «ترومان» على ذلك: «الحقيقة التي لا تقبل الجدل ليس فقط كون الضغط في الأمم المتحدة لم يكن له مثيلاً من قبل، بل وإن البيت الأبيض كان أيضا تحت حصار مستمر... ولم أتعرض في كل حياتي لمثل هذا الضغط ولم أر أبداً «بروباجاندا» «دعاية» في مثل هذا الشكل مصوبة نحو البيت الأبيض كما في هذه الحالة.

إن إصرار بعض المتطرفين الصهاينة الذين تقودهم دوافع سياسية والذين لم يتوقفوا حتى عن إطلاق التهديدات السياسية آثار غضبي الشديد.

والبعض منهم وصل إلى حد الطلب منا الضغط على الدول المستقلة وإجبارها على التصويت بالشكل الذي يرضيهم».

التهديدات السياسية التي تطرق إليها السيد «ترومان» لا شك بأنها تعود إلى حملة إعادة انتخاب الرئيس «ترومان». ولكن حسب أقوال حاييم «وايزمان» فإن الرئيس «ترومان» في اللقاء المذكور أعلاه في /١٩/ تشرين الثاني «نوفمبر» /١٩٤٧م/ «وعده بالاتصال الفوري بالوفد الأمريكي» وبالفعل صوت الوفد لمصلحة الوصية بالتقسيم في فلسطين. وأما سخط الرئيس «ترومان» من وقاحة الصهاينة فهي لا تنفي بشكل من الأشكال انبطاحه الكلي أمامهم. ونود الإشارة إلى ذلك بشكل خاص حتى لا يتكون لدى القارئ انطباع آخر مغلوط. ويذكر «ترومان» في عام /١٩٥٦/ نتائج «حل القضية» «أي تقسيم فلسطين الذي دعمه في تشرين الثاني «نوفمبر» /١٩٤٧م/»: «كل يوم كنا نحصل على أنباء عن أعمال عنف جديدة في الأرض المقدسة». ويضيف: «لم يتقلص الضغط اليهودي على البيت الأبيض بعد التصويت في الأمم المتحدة لمصلحة التقسيم. وقد طالبني الأفراد والجماعات والمنظمات المختلفة وبلهجة متهيجة مشاكسة بقمع العرب ومنع الإنكليز من دعمهم وإرسال الجنود الأمريكيين إلى هناك للقيام بالأمر الأول والثاني والثالث».

وهنا تظهر أمامنا مرة أخرى الصورة التي رسمها لنا «ديزرائيلي» حين قال: «العالم لا يحكمه أولئك الذين يعدهم الناس حكاماً وهم يجهلون ما يحدث وراء الكواليس».

والرئيس المعاصر اضطر أن يبحث عن الخلاص في التراجع والانبطاح: «ازداد الضغط مما اضطرني إلى إصدار الأوامر بأنني لم أعد أرغب في مقابلة أي واحد من المتطرفين الصهاينة. بل كنت ضائعاً بعض الشيء عندما قمت بتأجيل اللقاء مع الدكتور «وايزمان» الذي عاد إلى الولايات المتحدة وكان لديه الرغبة في لقائي».

في عام /١٩٥٦/ يبدو أن المستر «ترومان» كان لا يزال يَعد أن تأجيل اللقاء مع «وايزمان» هو عمل صارم جريء وعلى درجة عالية من العظمة من الواجب تخليده للأجيال القادمة. بعد ذلك حضر إليه شريكه اليهودي القديم في التجارة «أيام الشباب كان «ترومان» تاجر ملبوسات فاشلاً» الذي كان في ذلك اليوم /١٣/ آذار «مارس» /١٩٤٨/ «قلقاً جداً بسبب الآلام التي يتعرض لها اليهود في الخارج».

وكان ذلك قبل «دير ياسين» وتوسل إلى الرئيس استقبال الدكتور «وايزمان» وهو ما قام به «ترومان» على الفور «١٨ آذار» «ولّد لدي انطباعاً بأنه يفهم إلى حد كبير سياستنا وأنا بدوري كنت أعرف ما الذي يريده».

وأما الأسبوع الدموي في فلسطين «المذبحة» فيتخطاه «ترومان» بسرعة وصمت ومن دون أن يذكر حتى اسم «دير ياسين» ويقول باقتضاب بأن «خبراء وزارة الخارجية في شؤون الشرق الأوسط في غالبيتهم ضد فكرة الدولة اليهودية... وعلي هنا أن أذكر آسفاً أن بعضهم لديه ميولاً معادية للسامية».

ومن ثم يتابع وصف الأحداث بعد ذلك بشهرين «بدءاً من /١٤/ أيار «مايو» أي بعد دير ياسين» باللهجة التالية: «التقسيم لم يتم تماما بالشكل السلمي الذي تأملته ولكن الأمر الذي لا يمكن الجدل فيه هو أن اليهود أصبحوا يسيطرون على أراضي شعبهم. وبما أن اليهود لديهم القدرة على إعلان قيام دولة إسرائيل فقد قررت القيام على الفور بإعطاء الأمة الجديدة الاعتراف الأمريكي. وخلال نصف ساعة من ذلك وبالتحديد بعد إحدى عشرة دقيقة من إعلان قيام دولة إسرائيل، قام سكرتيري الصحفي «تشارلي روس» بإبلاغ الصحافة عن الاعتراف الواقعي للولايات المتحدة بالحكومة المؤقتة لإسرائيل. وكما أخبروني فقد كان ذلك غير متوقع للعديد من الخبراء المحترفين في وزارة الخارجية».

ولم يجد «ترومان» من الضروري الإعلان في مذكراته عما قاله في أيار «مايو» /١٩٤٨م/ عن «أكثر اللحظات سعادة في حياته». ولا أن يشرح فيما تلخصت هذه السعادة بعد

مرور شهور كثيرة من الضغوط والتهديدات السياسية في البيت الأبيض المحاصر لدرجة أنه اضطر في تلك الأيام إلى الاختباء حتى من الدكتور «وايزمان».

في حكايتنا لعب هذا الرئيس الدور المرسوم له ولم يعد هناك بعد أي حاجة إليه. («ترومان» توفي في عام /١٩٧٢/ عن عمر يناهز /٨٨/ سنة - ملاحظة الترجمة-)

بعد ذلك تابع الدكتور «وايزمان» جهوده في الحصول على الاعتراف بدولة إسرائيل وبشكل لا يعود أحد يشك في ذلك.

ووصل إلى مسمعه أن المستر «بيوين» في لندن يقوم بالضغط على دول الكومنولث البريطاني لمنعها من الاعتراف بإسرائيل. وعلى الفور شاهد الجميع من هو الأخصائي الأول في مجال «الضغط» المذكور. واتضح أن صهيون هو سيد الأمر في عواصم بدت بعيدة عن كل تلك الأحداث مثل «أوتاوا» و «كانبيرا» و «كيب تاون» و «فيلنيغتون» مما يدل على وجود تنظيم رائع وعلى تناغم في الأفعال. وبالفعل كان يجب وعلى مدى عشرات كثيرة من السنين القيام بعجائب التنظيم السري لكي يصبح بالإمكان وفي اللحظة اللازمة القيام بما يجب فعله وإخضاع كبار السياسيين في كندا وأستراليا وأفريقيا الجنوبية ونيوزيلاندا. واعترفت هذه الدول من دون أي تأخير.

وعلينا أن نشرح للقارئ غير الإنكليزي المعنى العميق لما حدث.

العلاقة العميقة بين الجزر البريطانية والدول التي انبثقت عنها فيما وراء المحيطات كانت طوعية ولا تعتمد على القسر وتظهر قوتها في أوقات المحن، ونورد مثالاً على ذلك: خلال الحرب العالمية الثانية وقع الجنرال «جورج كليفتون» النيوزلندي في الأسر لدى القوات الألمانية في إفريقيا في عام /١٩٤١/ وعندما أحضروه إلى «الفيلد مارشال رومل» سأله هذا الأخير: من أجل ماذا تحاربون أنتم النيوزيلانديون؟ إنها ليست حربكم بل حرب أوربية، لماذا أنتم هنا، لأجل الرياضة؟ وأذهل السؤال الجنرال الأسير وتعجب لماذا عليه أن يشرح ما هو طبيعي بالنسبة له مثل الماء والهواء والحياة: «وفهمت أخيرا بأن «الفيلد مارشال» كان جدياً في سؤاله، ولم يحدث أبداً في السابق أن قمتُ بشرح أمر اعتيادي طبيعي بالكلمات، وأنه إذا كانت بريطانيا تحارب فإننا نحارب معها ورفعتُ قبضتي عالياً وضممت أصابعها بقوة وقلت: نحن كلنا نقف هكذا مع بعضنا بعضاً. وإذا هاجم أحد إنكلترا فإنه يهاجم أيضاً نيوزيلاندا وأستراليا وكندا، ودول الكومنولث البريطاني تحارب متعاضدة».

وكان ذلك حقيقة تامة فيما يتعلق بالشعوب ولكنها لم تعد حقيقة فيما يتعلق بالسياسيين البارزين.

لقد وجدت المؤامرة القادمة من مجاهل روسيا، بفضلهم المناطق الضعيفة في جسدنا وأما الضغط في «كانبيرا» و «كيب تاون» وغيرها من العواصم فهو على درجة من القوة لا تقل عما حول البيت الأبيض من ضغط.

في حالة نيوزيلاندا كانت هناك شخصية عادية جدا لذلك الزمان وهي شخصية رئيس وزراء البلاد اليهودي بيتر فريزر. ونادرا ما يمكن أن يكون عند أحد سبب أقل منه لكره العرب أو حتى الاهتمام بأمرهم.

ولكنه على الرغم من ذلك كان عدوهم اللدود وكان في الوقت نفسه الخادم المطيع للصهيونية. وتعود أصوله إلى عائلة اسكتلندية فقيرة. وسافر من لندن إلى تلك الجزر البعيدة بحثاً عن الجاه والمال. وعلى ما يبدو أنه أصيب بعدوى الصهيونية في لندن أيام الشباب وحملها معه إلى المهجر، حيث أخذ وخلال سنوات عديدة أن يضع كل طاقته وسلطته في المنصب الذي يحتله لكي يدمر شعباً صغيراً مسكيناً في فلسطين البعيدة. وعند وفاته كتبت إحدى الصحف الصهيونية في عام /١٩٥٠م/: «لقد كان صهيونياً حقيقياً... وعلى الرغم من انشغاله الكبير في منصب رئيس وفد بلاده في اجتماع الأمم المتحدة في باريس فقد أعطى الكثير من الوقت والانتباه للقضية الفلسطينية، وتابع يوماً بيوم في اللجنة السياسية مناقشة هذا الموضوع ولم يغادر ولو دقيقة واحدة غرفة الاجتماع ولم يهمل أي أمر مهما كان صغره في ذلك الموضوع، لقد كان رئيس الوزراء الوحيد في عداد اللجنة وغادرها على الفور بعد أن انتهت من الموضوع الفلسطيني... قام بيتر فريزر بالتصويت عدة مرات ضد إنكلترا ولم يحرجه ذلك... لقد كان صديقنا الوفي حتى آخر يوم من عمره».

إن إنساناً يحمل في قلبه غطرسة غريبة كهذه لم يكن وبلا شك ليشارك الجنرال «كليفتون» في آرائه.

ولو عرف الجنرال طبيعة أفكار رئيس وزراء بلاده لكان من الصعب عليه إيجاد جواب على سؤال رومل. وبسبب ولعه الشديد بالصهيونية قام السيد فريزر بتوريط بلاده في حرب بعيدة لم تكن مستعدة لها أبداً. وعندما شاهد الجنرال «كليفتون» في عام /١٩٤١م/ في بور سعيد أبناء بلاده الناجين من المعارك في اليونان وعلى جزيرة كريت حيث كانوا «بأجسام نحيلة هزيلة وذقون غير محلوقة، بؤساء تعساء متعبين، الكثير منهم جرحى ومحطمين جسدياً ونفسياً بسبب ضياع رفاقهم في الحرب، وكان قسماً كبيراً من الذنب في ذلك يقع على عاتق مستر فريزر».

نعود الآن إلى دكتورنا «وايزمان» الذي ولكي يجلب الضرر إلى السيد «بيوين» قام بالتوجه إلى الجنرال «سماتس» في جنوب إفريقيا. وبمحض المصادفة كان مؤلف هذا الكتاب

متواجداً في جنوب إفريقيا في تلك الفترة. وعندما قرأ في الجرائد عن قدوم المبعوث الصهيوني إلى هناك لم يكن لديه شك فيما سيحدث بعد ذلك.

وعند لقائه بالجمهور اليهودي هناك قال هذا السيد بأن «اليهود لا يُعدون أنفسهم ملتزمين بأي شروط تحددها لهم الأمم المتحدة».

ولم يعترض أحد من الحاضرين إلا يهودي واحد أشار إلى أن مثل هذه الكلمات لن تجلب الخير للعالم.

وبعد استقباله لـ «وايزمان» قام الجنرال «سماتس» بإعلان «الاعتراف» وقام بذلك بسرعة سبقه فيها فقط إعلان «ترومان» و «ستالين» بالاعتراف بإسرائيل. وكان ذلك آخر عمل سياسي للجنرال. وبعد يومين من ذلك خسر الانتخابات. ويقال أن ابنه حاول إقناعه بالعدول عن الاعتراف لأنه إذا فعل ذلك سيفقد أصوات الناخبين ولكن «سماتس» لم يعط أي اهتمام لذلك.

ومن وجهه نظر الانتخابات قد يكون هذا العمل صحيحاً لأن منافسيه كانوا سيقومون بالأمر نفسه وكما هو معروف في جنوب إفريقيا لا يوجد ناخبون عرب.

وكان معروفاً عن الجنرال «سماتس» تضامنه مع «العائلة الكبرى» لدول الكومنولث البريطاني وفقط في الموضوع الفلسطيني غدر الجنرال بالحكومة الإنكليزية في لندن.

وقد حاول المؤلف أن يقابل الجنرال ولكنه لم ينجح في ذلك. وبعد فترة مات الجنرال ولكن قبل موته رأى وشاهد الهاوية التي شاهدها الدكتور «وايزمان» والتي ساعده بحماس على حفرها: وذات مرة قال لابنه في عام /١٩٤٨م/: «في المشكلة الفلسطينية، تقف عند أبوابنا المأساة... وليس غريباً أن إنكلترا أصابها الملل الشديد من كل ذلك. الدول الأخرى أيضاً ساهمت في دلك بما فيها أمريكا وكذلك كان نصيبها الفشل.

فلسطين إحدى المشكلات العظمى في العالم التي يمكن أن تلعب دوراً عظيماً في مستقبل عالمنا.

لقد أردنا أن يحلها العرب واليهود بأنفسهم ولكننا لم نتمكن من تحقيق ذلك.

هناك قوة ضخمة تمضي في هجومها وفلسطين تقع في طريقها».

لم يكن هذا القول رسمياً بل كان كلاماً خاصاً وهو يوضح أن السياسيين يرون من الواجب في بعض الأحيان خلع الأقنعة كما يفعل المهرجون في السيرك. ولكن في وقت الجد كانوا ومن دون إبطاء يفعلون كل ما يريد الدكتور «وايزمان».

وأصبح «وايزمان» رئيساً للدولة الجديدة ولكن بالنسبة لنا حان الوقت لنفارقه وليغادر الساحة بعد نشاط عاصف دام خمسين عاماً غالبيتها في المؤتمرات التي أجبر من خلالها معظم

زعماء الغرب على الانبطاح. ومن الصعب العثور على سجل حياة أكثر إثارة، ومن الممكن جداً أن يقوم كاتب آخر بتسجيلها بألوان زاهية بطولية وأما مؤلف كتابنا هذا فيُعدها مليئة بالأهداف التدميرية، والدكتور «وايزمان» الذي وصل إلى القمة والنصر في خريف حياته فقد أيقن أن انتصاره يمكن أن يكون مراً بطعمه وعقيماً في نتيجته.

وهذا الاستنتاج يطرح نفسه لدى قراءة كتابه وبخاصة القسم الأخير منه وهو الأكثر إثارة.

صدر هذا الكتاب «كتاب وايزمان» في عام /١٩٤٩م/ وبالتالي كان بإمكان «وايزمان» أن يروي الأحداث حتى الفترة المذكورة في كتابنا ولكنه لم يفعل ذلك وأنهى حديثه عن الأحداث مع عام /١٩٤٧م/ والسؤال... لماذا فعل ذلك؟

والجواب شديد الوضوح: في عام /١٩٤٦م/ قام بتحذير المنظمة الصهيونية من خطر الإرهاب وأشار إلى الهاوية التي يمكن أن يؤدي إليها «الشر العتيق» وتبع ذلك عزله من قيادة المنظمة الصهيونية. ثم أصبح «وايزمان» رئيساً للدولة الجديدة التي أفرزها هذا الإرهاب بالذات.

على ما يبدو أنه رغب أن يترك للعبرانية تأكيداً مكتوباً لتحذيراته، ولكنه لم يقدر على إرغام نفسه إدانة أعمال الإرهاب والقتل التي أفرزته الدولة الجديدة، لذلك قام بالتظاهر وكأنه أنهى مسودة كتابه /٣٠/ تشرين الثاني «نوفمبر» عام /١٩٤٧م/ وهو اليوم الذي تلا انتصاره في هيئة الأمم المتحدة.

على ما يبدو أنه رغب إنهاء كتابه على هذه النغمة المُفرحة. على الرغم من أنه كان يملك الوقت الكافي ليذكر ما حدث بعد ذلك في كتابه الذي ظهر في عام /١٩٤٩م/ ولكنه لم يفعل ذلك ولم يذكر مجزرة «دير ياسين» أو الضغط الهائل لتغيير السياسة الأمريكية وغيره. واكتفى فقط بكتابة خاتمة وأشار إلى أنها كتبت في آب «أغسطس» عام /١٩٤٨م/ مما أعفاه مرة أخرى من ضرورة ذكر الفعل الحاسم التالي للإرهابيين الصهاينة. وهو اغتيال الكونت «بيرنادوت» في أيلول «سبتمبر» عام /١٩٤٨م/. على ما يبدو أن قلبه هبط إلى كعب رجليه عندما علم بالاغتيال وفهم أنه أصبح يُمثل المذابح والاغتيالات عندما وافق على كرسي الرئاسة وبقي فيه في الدولة الجديدة.

وتمتلك أهمية خاصة، التحذيرات التي أطلقها سابقاً.

فعلى سبيل المثال قيامه باتهام الإرهابيين الصهاينة بأنهم يجبرون حتى الرب الإله على تنفيذ قراراتهم. وهذا بالذات كان هرطقة الصهيونية وكل من قام بمساعدتها منذ البداية ومن ضمنهم الدكتور «وايزمان» أكثر من أي إنسان آخر.

وأضاف «وايزمان» يقول: «المجموعات الإرهابية في فلسطين هي عبارة عن خطر حقيقي جدّي لكل مستقبل الدولة اليهودية وعملياً سلوكهم يعادل الفوضوية».

في الحقيقة كان ذلك فوضوية. بل إن عشرات السنين من حياة الدكتور «وايزمان» كانت فوضوية. والدكتور «وايزمان» عندما تحدث عن ذلك لم تكن وراء دوافعه مبادئ أخلاقية تبعده عن الفوضوية وهو لم ينتقد الطبيعة المدمرة للفوضوية بل فقط انتقد عدم الفائدة من استخدامها «لأن لدى اليهود رهائن متواجدة في جميع أنحاء العالم».

وفي اليوم التالي لانتصاره في لاكييك- سايكس «الأمم المتحدة» عاد «وايزمان» إلى موضوعه الجديد: «لا يجوز أن يكون هناك قانون لليهود وقانون آخر مختلف للعرب... يجب إعطاء العرب الثقة في أن قرار الأمم المتحدة نهائي وأن اليهود لن يتطاولوا على الأراضي خارج الحدود المحددة لهم. هذه المخاوف تعيش في قلوب الكثير من العرب ويجب وضع حد لهذا الخوف في جميع الأمور والعلاقات... يجب أن يتأكد العرب بأن أخوتهم داخل الدولة العبرية يملكون نفس الحقوق التي لدى المواطنين اليهود... لا يجوز لنا عبادة آلهة أخرى. والأنبياء عاقبوا دائماً الشعب اليهودي على مثل هذه الأعمال. ولدى أي محاولة إلى الانحراف نحو الوثنية كان رب إسرائيل الصارم بالمرصاد... أنا لا أشك بأن العالم كله سيحكم على الدولة العبرانية من خلال علاقاتهم بالعرب ومعاملتها لهم».

- يا له من كلام جميل! الدكتور «وايزمان» هنا يلبس رداء أنبياء إسرائيل أو حتى تاج الملك الدانماركي كونت الذي أمر أمواج البحر بالتراجع.

ولكن عندما نشرت كلمات الدكتور «وايزمان» الرنانة هذه كان العرب قد طردوا من منازلهم وتطاول اليهود على أراض تقع بعيداً وراء الحدود المقررة لهم.

والعرب ليس فقط لم يحوزوا على نفس حقوق المواطنين اليهود بل وتحولوا إلى لاجئين بؤساء فقراء في المخيمات. ويتظاهر الدكتور «وايزمان» بعدم معرفته بكل ذلك وفي الحقيقة لا يريد رؤية الأمر الذي حدث وفقط يقول إنه كان من الأفضل عدم فعل ذلك.

حتى في السياسة يصعب العثور على مثل هذا الطراز من النفاق. ويبقى لنا فقط التوقع بأنه لم يكن في حالة يستطيع معها أن ينتقد برجولة الأمور التي حدثت، ولكن مع اقتراب الموت أراد الرجل أن يشير إلى العواقب وهي عواقب كانت نتيجة عمل قضى حياته كلها في إنجازه.

وكان هناك شخص ارفع قيمة من «وايزمان»، أطلق صرخة مرعبة لدى مشاهدته لما حدث ولم يخش من أن يدعو الأشياء بأسمائها. إنه الدكتور «يهودا ماغنيس». المولود في

أمريكا في عام /١٨٧٧م/ وهو مثل الدكتور «وايزمان» نذر حياته كلها للصهيونية ولكن في شكل مغاير تماماً. لقد كان هذا الرجل صهيونياً متديناً وليس صهيونياً سياسياً ولم يكن لديه أي رغبة في «إجبار الرب الإله» على أمر ما.

وقد جهدَ منذ البداية على إنشاء دولة ثنائية القومية عربية يهودية وفضح الشوفينية الصهيونية منذ خطواتها الأولى.

في عام /١٩٢٥/ أصبح عميداً للجامعة العبرية في القدس بعد أن انتقد بقوة مراسم الاحتفال الباهرة التي أقامها الدكتور «وايزمان» عند وضع حجر الأساس للجامعة المذكورة في عام /١٩١٨م/. وأصبح في عام /١٩٣٥م/ رئيساً لتلك الجامعة.

وفي عام /١٩٤٨/ كان موجوداً في القدس وقد أذهله «انبعاث الشر القديم بوجه جديد مقرف».

وكتب يقول: «لا يجوز أبداً استخدام اللاجئين كورقة رابحة في أيدي السياسيين. ومن المخزي بل ومن غير المعقول أنه بعد كل الذي حصل في أوربة مع اليهود تظهر في الأراضي المقدسة مشكلة النازحين العرب».

وبعد هذه الكلمات حصده الموت على الفور ولم يتمكن المؤلف من اكتشاف ملابسات ذلك الموت الغامض الذي يذكر بموت الدكتور «هرتزل».

وفقط كتب عن ذلك الحاخام «المير بيرغر» عدة كلمات مبهمة: «لقد مات بسبب قلبه المحطم».

إنه تشخيص مشكوك فيه إلى حد كبير من الناحية الطبية ومن الناحية الجنائية.

لقد كان الدكتور «ماغنيس» واحداً آخر من دعاة السلام اليهود، انضم إلى تلك المجموعة التي شعرت بالمسؤولية، وخلال خمسين سنة حاولت أن تحرر الغرب بل وحتى اليهود من سيطرة المؤامرة التلمودية القادمة من روسيا وقد بعث هذا الإنسان الحياة في منظمة «ايهود» الموجودة حتى الآن[1] والتي لا تزال تتكلم بلهجته من القدس.

وقد كتب لسان حالها «نير» في كانون الأول «ديسمبر» /١٩٥٥م/: «في نهاية الأمر سنضطر إلى الاعتراف بالحقيقة وهي أننا لا نملك أي حق مبدئي بشكل عام في إعاقة عودة اللاجئين العرب إلى بيوتهم وأراضيهم.

١- الخمسينيات من القرن الماضي -المترجم.

إلى ماذا يجب أن يهدف اليهود؟- إلى محاولة تحويل برميل البارود الأبدي هذا (أي دولة إسرائيل حسب تعبير رئيس وزرائها «بينكي ليفون») إلى مكان تعايش سلمي.

آي سلاح على اليهود استخدامه؟ - سلاح الحق والحقيقة..

لم يكن لدينا أي حق أن نشغل بيت العربي إذا لم ندفع ثمنه... ونفس الأمر ينطبق على الحقول والمزارع والمخازن والمعامل.

لم يكن لدينا أي حق في الاستيطان وتنفيذ الصهيونية على حساب الآخرين. - إنها سرقة ونهب. - إنها لصوصية...

نحن من جديد «مرة أخرى» أحد أغنى الشعوب في العالم ولكننا لا نخجل من سرقة أملاك الفلاحين الفقراء».

وهذا الصوت في الوقت الحاضر ضعيف جداً في إسرائيل ولا يكاد يسمع في أوساط العبرانية. وهنا نرى مناسباً أن نشير إلى ما قاله «البرت اينشتاين» في هذا الخصوص: «في مفهومي وجود وطبيعة اليهودية، ينفي فكرة الدولة العبرانية بحدود وجيش وسلطة سوفييتية مهما كان ذلك قليلاً وضئيلاً لأنني أخشى أن يتضرر من ذلك التكوين الداخلي لليهودية». «١٩٥٠م».

هذا الصوت الضعيف- كان الأمل الوحيد في إنقاذ العبرانية من الصهيونية الخزرية ويبقى علينا أن نشير إلى الهجرة الجماعية الكبيرة إلى فلسطين كان يمكن تحقيقها فقط بواسطة اليهود الشرقيين الذين اعتادوا على مدى مئات السنين على الطاعة العمياء. وقد أشرنا في فصول سابقة إلى الطرق التي استخدمت في إجبارهم على ذلك.

أما في الغرب فكان من الصعب جداً إيجاد عدد كاف من اليهود الراغبين في الاستيطان في فلسطين[1].

الإحصائيات الرسمية الإسرائيلية تشير في عام /١٩٥١م/ إلى أن «الغالبية» الإسرائيلية المتكونة في ذلك الحين من /١. ٤/ مليون يهودي كانت تضم أكثر من /١٠٦١٠٠٠/ شخص ولدوا خارج فلسطين منهم /٥٧٧٠٠٠/ من الدول الشيوعية، وحيث ذكرنا سابقاً أنه لا يمكن لأي مواطن غير يهودي أن يسافر في تلك الدول من مدينة إلى أخرى داخل نطاق الدولة إلا بعد الحصول على إذن بوليسي خاص.

١- وقع يهود الغرب منذ البداية تحت ضغط الابتزاز الصهيوني وهو: إما أن تهاجر الى هناك إلى فلسطين وإلا فعليك ان تدفع الأموال الطائلة لدعم الهجرة والعدوان، ولم يكن إمام يهود الغرب خيار آخر إلا الدفع -المترجم

أما الـ /٤٨٤٠٠٠/ المتبقية منهم من يهود شمال إفريقيا والشرق الأوسط وآسيا الذين قدموا إلى دولة إسرائيل بعد قيامها وبالتالي لم يشتركوا في اغتصاب أراضي الآخرين[1].

المغتصبون لها في الدرجة الأولى والأخيرة كانوا يهود أوربة الشرقيين أصحاب الأصول التتار منغولية. ولكن لم يكن حتى التفوق العددي ليضمن لهم النجاح ولذلك كان السلاح ضرورياً. وكما نذكر لقد حذر الجنرال «أويفيل» خلال الحرب «تشرشل» بأن اليهود سيحطمون العرب إذا سمح لهم بذلك ولا شك بأنه أقام استنتاجه هذا على أساس المعلومات المتوفرة لديه عن كميات السلاح المخزن لدى الصهاينة والذي كان في ذلك الوقت إنكليزياً أو أمريكياً مسروقاً من مخازن سلاح الحلفاء في شمال إفريقيا أو الشرق الأوسط «أغمض الحلفاء عيونهم عن ذلك أو حتى ساعدوا وسمحوا به».

وعلى الرغم من أن الجنرال كان محقاً في محصلة الأمر إلا أنه في تلك الفترة لم يقدر حق التقدير المقاومة العربية وزاد في تقديره للقوة اليهودية.

ولكن الصهاينة لم ينسبوا انتصاراتهم إلى السلاح القادم من الغرب بل على العكس اعتبروا انتصارهم في فترة صراع الستة أشهر (ما بين التصويت في الأمم المتحدة على التقسيم ومذبحة «دير ياسين») يعود إلى السلاح الشيوعي. فبعد وقوع تشيكوسلوفاكيا في يد الروس السوفييت وانتقال مؤسسة سكودا العسكرية من يد النازين إلى أيدي الشيوعيين. أخذ السلاح يتدفق من هناك إلى الصهاينة في فلسطين. وبعد اعتراف «ترومان» بدولة إسرائيل. نشرت صحيفة «نيويورك هيرالد تريبون» خبراً من إسرائيل جاء فيه: «سمعة روسيا السوفييتية تقف عالية جداً في جميع الجماعات والمنظمات السياسية في إسرائيل.

وبفضل موقفه المؤيد دائماً لإسرائيل في الأمم المتحدة خلق الاتحاد السوفييتي لنفسه أنصاراً حقيقيين وسط العناصر اليسارية والمعتدلة وحتى اليمينية.

وكذلك كان يملك أهمية خاصة للدولة الجديدة أمر يجهله الكثيرون وهو أن روسيا قدمت المساعدة العملية الفعالة في اللحظة التي كنا في أشد الحاجة إليها... لقد فتحت روسيا مخازن أسلحتها لإسرائيل. وقام اليهود بعقد أكبر صفقات السلاح مع التابع السوفييتي- تشيكوسلوفاكيا.

ولعب السلاح التشيكي الذي وصل إلى إسرائيل في لحظات الحرب الحرجة، الدور الحاسم في الحرب... وخلال استعراض الوحدات العبرية في شارع «اللنبي» في تل أبيب يمكن

١- هنا نريد ان لا نوافق المؤلف لأن هؤلاء لم يأتوا للسكن في بيوت وأراض ورثوها عن اجدادهم بل حضروا ليسكنوا في بيوت الفلسطينيين المطرودين من قراهم ومدنهم -المترجم.

مشاهدة البنادق الجديدة تلمع على أكتاف المشاة الإسرائيلية» «١٩٤٨/٨/٥». في ذلك الوقت قامت كل صحف الغرب الخاضعة للصهيونية بمساواة معاداة الشيوعية بمعاداة السامية والجميع يعرف إلى أن أي تلميح إلى الأصل اليهودي للشيوعية كان يُدان على أنه معاداة للسامية. وقد كتبت على سبيل المثال الجريدة اليهودية الصادرة في شيكاغو «سينتينيل» «الحارس» في عام /١٩٤٦م/: «نحن نعرف جيداً ماذا تعني معاداة السوفييتية في الحقيقة... وهل قابلتم في وقت ما في كل العالم إنساناً معادياً للسامية ولم يكن في الوقت نفسه معادياً للشيوعية؟... نحن نعرف أعداءنا جيداً... لنعترف أخيراً بأن صديقنا الحقيقي هو الشعب السوفييتي».

في كانون الثاني «يناير» /١٩٥٠/ أرسل مراسل التايمز اللندنية في تل أبيب خبراً ذكر فيه استمرار تدفق السلاح التشيكي إلى الدولة الصهيونية.

على هذا الشكل ولدت الدولة العبرية إسرائيل وكان ذلك البلاء الذي جلبته معها إلى الآخرين. ولم يظهر على الأرض أبداً جسم سياسي غير شرعي كان له هذا القدر من العرابيّن والمتبنين.

لقد انهمرت الاعترافات من السماء وأما دعاة السلام فلم يعرهم أحد أي اهتمام. ولم يستمر «بيوين» طويلاً في منصبه واستقال بعد ذلك. ولكن على الرغم من هذا الشيء كان الموت السريع له بالمرصاد ولم يتركه ينتظر طويلاً، وكذلك تخلصوا من وزير الدفاع الأمريكي الجنرال «فوريستول» وجعلوه عبرة لمن يعتبر.

ولم تمض عدة أسابيع على ولادة الدولة الجديدة حتى قامت بخطوة أخرى جديدة نحو الهاوية. فقد أبدت الأمم المتحدة حرصاً ولو متأخراً- نحو السلام في فلسطين وآرسلت مبعوثاً لها وهو الكونت السويدي «بيرنادوت» «عمل سنوات طويلة في إنقاذ اليهود في أوربة في الحرب الثانية» ليحاول التقريب بين الفريقين المتخاصمين في فلسطين. وخلال عمله تحت راية الصليب «الأحمر» جرى اغتياله في نفس المكان الذي أصبح فيه الصليب رمزاً للإيمان والأمل. ومن الصعب حقاً تصور آمر أكثر همجية من قتل وسيط وداعية سلام على يد أحد الأطراف. وأضاف الصهاينة هذا الفعل الرمزي إلى قائمة جرائمهم.

وخلال حياته كان الكونت يسجل ملاحظاته في دفتر نشر بعد اغتياله. وذكر فيه بأنه بعد قبوله بالمهمة الأخيرة التقى في لندن مع «نعوم غولدمان» نائب رئيس الوكالة اليهودية وممثل الدولة الصهيونية في ذلك الوقت الذي قال له بأن: «دولة إسرائيل أصبحت الآن في وضع يسمح لها بأن تأخذ على عاتقها كامل المسؤولية عن منظمة «ستيرن هانغ» وأعضاء المنظمة الإرهابية «أرغون» وتسيطر عليهم».

وكانت تلك هي عصابة القتلة التي «أخلت» جريمتهم الأراضي الفلسطينية للصهاينة. إنهم «النشطاء» الذين حذر منهم الدكتور «وايزمان» الكونغرس الصهيوني في عام /١٩٤٦م/ وبينت «دير ياسين» على مقدرتهم بواسطة الإرهاب المرسوم تغيير سير الأحداث العالمية.

وهذه الإمكانات لا تزال متوفرة لديهم حتى في عام /١٩٥٦م/[1] وستتوفر لديهم في المستقبل القادم وسيكون باستطاعتهم وفي أي لحظة دفع العالم كله إلى حرب جديدة لأنهم موجودون في أكثر الأمكنة في العالم تعرضا للاشتعال.

وقبل أن يطلق السيد «غولدمان» تصريحه لمندوب الأمم المتحدة السويدي كان هناك من يعتقد بأن هؤلاء الإرهابيين الخارجين على القانون ليسوا ضمن نطاق سيطرة القادة الصهاينة «ذوي المسؤولية» وزعم بأنهم «أي القادة الرسميين» يدينون الأساليب الإرهابية.

وبعد تأكيدات «غولدمان» المطمئنة غادر الوسيط الدولي إلى الشرق الأوسط في محاولة لإحلال السلام هناك. والتقى في مصر مع رئيس الوزراء المصري النقراشي باشا الذي قال له بأنه «لا يوجد أي شك في المقدرة العظيمة للقوة الاقتصادية اليهودية، لأنهم يسيطرون على الاقتصاد الوطني للكثير من الدول مثل الولايات المتحدة وإنكلترا وفرنسا وحتى مصر وعلى الأغلب السويد أيضاً».

«ولم يجد الكونت السويدي سبباً يجعله يجادل في هذه الكلمات».

وأضاف النقراشي باشا بأن العرب لا يتوقعون الفرار من هذه السيطرة ولكن السيطرة اليهودية الاقتصادية في فلسطين هي أمر آخر ولن يوافق العرب عليها ولن يرضوا بها، وسيقاومونها لأنها محاولة إنشاء دولة عبرية قسراً وبمساعدة الإرهاب والقتل وبمساعدة الصهيونية العالمية.

وأما الملك «فاروق» فقد قال بدوره «لبيرنادوت» بأن الحرب إذا استمرت فستتحول إلى حرب عالمية ثالثة. ووافق الكونت على هذا الكلام أيضاً، وقال إنه ولهذا السبب بالذات وافق على دور الوسيط في فلسطين. وأضاف بأنه خلال الحرب العالمية السابقة تمكن من إنقاذ /٢٠٠٠٠/ إنسان من الموت.

ولا شك بأنه «ولطيبة قلبه» اعتقد بأن ذلك سيجلب له احترام الطرف الصهيوني ولكنه أخطأ بشكل قاتل.

وخلال عدة أيام «/٩/ تموز «يوليو» /١٩٤٨م/» تمكن من إقناع العرب بالموافقة على الهدنة من دون شروط مسبقة إلا أن الصهاينة هاجموه بقوة لأنه «أجبر اليهود على الهدنة».

١- سنة تأليف الكتاب - المترجم

وقد قال الوسيط الدولي بعد ذلك: «اتضح لي الوضع الخطير الذي وقعت فيه... حيث تتحول العلاقة الطيبة نحوي إلى شك وعداء، إذا لم أقم أنا كوسيط قبل كل شيء بالاهتمام بمصالح الطرف اليهودي أو إذا حاولت العثور على أي حل عادل محايد».

وبعد ذلك قامت منظمة «أرغون» الإرهابية العسكرية بخرق الهدنة «على الرغم من تعهد «غولدمان» بالسيطرة عليها» وأنزلت القوات والسلاح داخل المنطقة العربية في الفترة ما بين /١٨-٣٠/ حزيران «يونيو» /١٩٤٨م/. ولم يتمكن الوسيط السويدي من حصر السلاح أو الجنود المتوغلين داخل الأرض العربية لأن الحكومة الصهيونية لم تسمح له ولمراقبيه من دخول منطقة العمليات.

وفي الأسابيع الأولى من تموز «يوليو» «بدأت الصحافة العبرية حملة ضارية ضدي». وبدأ الافتراء والتلفيق عليه وقُلبت خدماته في إنقاذ اليهود خلال الحرب الثانية رأساً على عقب وذكروا أن محادثاته مع رئيس الجستابو «هملر» بهدف إطلاق سراح بعض اليهود كانت مشبوهة ولمح البعض إلى أن الكونت السويدي كان نازياً[1].

«الاتهامات الموجهة لي كانت ظلماً كبيراً لأنه وبفضل جهودي تم إنقاذ نحو /١٠٠٠٠/ يهودي».

ولكن كل ذلك لم يكن له أي قيمة عند الصهاينة وكان الحياد هو الذنب المميت الذي ارتكبه «بيرنادوت» وخلال الفترة ما بين /١٩/ تموز «يوليو» و/١٢/ آب «أغسطس» /١٩٤٨م/ قام عدة مرات بإبلاغ الحاكم العسكري اليهودي للقدس الدكتور «جوزيف» بأن إخباريات المراقبين الدوليين تدل على أن الجهة المعتدية في القدس هم اليهود.

وفي /١٦/ أيلول «سبتمبر» سجل «بيرنادوت» قرار موته بيده عندما قام بإرسال تقريره كوسيط للأمم المتحدة من جزيرة «رودرس» إلى نيويورك وعلى الرغم من أن تقريره كان لا يزال في الطريق ولم يصل إلى الأمم المتحدة إلا إنه قتل قبل مرور /٢٤/ ساعة على إرساله التقرير. وتلخصت أسباب القتل في مقترحاته التي أرسلها. لقد قبل بواقع قيام إسرائيل ولكنه حاول إقناع الطرفين بمقترحات عادلة إلى الحد الذي سمحت به الظروف بذلك.

وصب اهتمامه الأساسي على اللاجئين المطرودين من منازلهم بعد مذبحة «دير ياسين». وتجدر الإشارة إلى عدم محاولة أحد في الغرب قبل ذلك مد يد العون لهم.

(أما «بيرنادوت» فقد كانت ذكريات إنقاذ الآلاف من اليهود في الحرب الثانية، لا تزال طازجة في ذهنه).

١- نتذكر الاتهامات القاسية الى المستشار النمساوي كورت فالدهايم بالنازية في الربع الثالث من القرن العشرين -المترجم

وتلخصت مقترحاته بما يلي:

١- حدود إسرائيل يجب أن تكون حسب قرار التقسيم في /٢٩/ تشرين الثاني «نوفمبر» /١٩٤٩م/ وتبقى صحراء النقب ضمن المنطقة العربية وعلى الأمم المتحدة ضمان حصانة تلك الحدود وحرمتها.

٢- يجب آن تصبح القدس منطقة دولية كما جاء في وصية الأمم المتحدة وتكون تحت وصاية وإدارة المنظمة الدولية.

٣- على الأمم المتحدة آن تقرر وتضمن حق اللاجئين الفلسطينيين بالعودة إلى أراضيهم وبيوتهم.

وبعد إرساله التقرير في /١٦/ أيلول «سبتمبر» /١٩٤٨/ قام في اليوم التالي «آي قبل وصول اقتراحاته إلى نيويورك» بالعودة إلى القدس. وهناك توجه من دون حراسة أو سلاح ومع مرافقيه إلى بيت الحاكم ولكن في الطريق أوقفتهم سيارة جيب صهيونية ولاشك بأنها كانت على علم تام بوقت وطريق الكونت وبمحتويات التقرير الذي أرسله. وخرج من السيارة ثلاثة آشخاص ركضوا إلى سيارته وقتلوه هو ورئيس مجموعة المراقبين العقيد الفرنسي «سيرو» بنيران الآسلحة الرشاشة. ولا يوجد أي شك في من كان يقف وراء هذه الجريمة الدقيقة التخطيط والتنفيذ. واختفى القتلة دون أن يزعجهم أو يعيقهم أحد. اثنان منهم في سيارة الجيب آما الثالث فسيراً على الأقدام. ولم يعثر على أحد منهم، وتشير مصادر موثوقة بأن القتلة الثلاثة ركبوا طائرة كانت بانتظارهم أخذتهم إلى تشيكو سلوفاكيا.

واضطرت الحكومة الإسرائيلية إلى إجراء تحقيق في ذلك الأمر جاء في نتيجته: «ان عملية القتل والتخطيط الذي سبقها يشير إلى:

١- كان هناك قرار واضح بقتل الكونت ووضعت خطة طويلة لتنفيذ هذه العملية.

٢- وجود تنظيم معقد للتجسس باستطاعته متابعة تحركات الوسيط الدولي خلال وجوده في القدس مما سمح لقادة العملية تحديد مكان وزمان تنفيذها بدقة.

٣- وجود آشخاص محترفين في تنفيذ مثل هذه العمليات.

٤- وجود السلاح المطلوب لتنفيذ العملية ووسائل الاتصال ومخبأ مأمون لاختباء المنفذين للعملية.

٥- وجود قائد متمرس خبير مسؤول عن تنفيذ العملية.

ونتذكر تعهد الدولة الجديدة بأنها تسيطر على أشخاص من هذا النوع وأنها تتحمل المسؤولية عنهم.

بعد ثلاثة أيام من ذلك تلقت وكالة الصحافة الفرنسية رسالة عبرت عن الأسف لمقتل العقيد الفرنسي بطريق الخطأ حيث ظن القتلة أنه رئيس أركان مجموعة المراقبين الدوليين الجنرال «لوند ستريم» المتهم بمعاداة السامية «آنقذ حياة الجنرال جلوسه في غير مكانه المعهود في السيارة» وكانت الرسالة تحمل توقيع «خاريت موليديت».

وأشارت مصادر الشرطة الإسرائيلية إلى أن ذلك هو اسم مجموعة سرية إرهابية داخل منظمة «عصابة النجمة».

وفي اليوم التالي آصدر الجنرال «لوند ستريم» «١٨ أيلول «سبتمبر» مذكرة قال فيها: «إن هذه الجريمة المقصودة لقتل موظفين دوليين رفيعي المستوى هي عبارة عن خرق فاضح وثقيل للهدنة والسلام وتُعد صفحة سوداء في التاريخ الفلسطيني وأن الأمم المتحدة ستطالب بتقرير وتحقيق كامل». ولكن الأمم المتحدة لم تقدم أي احتجاج ولم تطالب بأي تحقيق وأهملت مقترحات وسيطها الدولي وتمكن الصهاينة من اغتصاب الأراضي التي رغبوا بها بما فيها صحراء النقب. ولم يسمحوا بعودة اللاجئين العرب وأعلنوا رفضهم لتدويل القدس وهم لا يزالون مصرين على موقفهم هذا حتى اليوم. «القدس سقطت كلها بيد الاحتلال الإسرائيلي بعد حرب /١٩٦٧م/ وأعلنتها إسرائيل عاصمة أبدية لها- ملاحظة الترجمة».

ونشرت الصحف العالمية في صفحاتها الأولى خبر قتل الوسيط الدولي كل على طريقته الخاصة المعدة على ما يبدو خصيصاً لمثل هذه الحالات. وبعد ذلك تابعت هذه الصحف بحماس مهاجمة كل من تجرآ وأبدى تعاطفه مع العرب واتهمتهم بمعاداة السامية.

وخرجت التايمز اللندنية باستنتاج بأن الكونت هو نفسه المذنب فيما حصل «لأن دعوته إلى تدويل القدس هي التي آغضبت اليهود ودفعتهم على قتله».

بعد أربعة أشهر حُكم على عميلين من عصابة النجمة هما «ايلين» و «شمو ليفتش» بالسجن لمدة ثماني سنوات وخمس سنوات بتهمة القتل وأشار رئيس المحكمة إلى عدم وجود أي دليل يشير إلى أن أمر الاغتيال صدر عن قادة المنظمة. وأشارت وكالة الأنباء العبرية أن المجرمين وقعا تحت تأثير العفو العام الصادر وأطلق سراحهما على الفور من ساحة المحكمة ومن هناك ذهبا إلى اجتماع شعبي حاشد استقبلهما استقبال الأبطال.

بعد عدة سنوات من ذلك قام «القائد العام» لعصابة «أرغون» المدعو «مناحيم بيغن» بجولة مظفرة في العواصم الغربية وفي مونتريال استقبله حرس الشرف من البوليس المحلي وبوجود حاخامات المدينة.

وفي أحد الاحتفالات الانتخابية في عام /١٩٥٠م/ نسب «بيغن» إلى نفسه الكثير من الفضل في إنشاء الدولة الصهيونية وأشار إلى المساعدة التي قدمتها مذبحة «دير ياسين» في ذلك وذكر أيضاً بأن منظمة «أرغون» هي التي احتلت يافا التي كان الحزب الحاكم مستعداً لتركها للعرب حسب زعمه. وقال حرفياً ما يلي: «المساهمة الأخرى لمنظمة «أرغون» في القضية المشتركة كانت «دير ياسين» التي أجبرت العرب على مغادرة البلاد وإخلاء المكان لمهاجرين جدد. من دون «دير ياسين» وما تبعها من طرد للعرب لم يكن بإمكان الحكومة الحالية أن تستقبل عشر ما جاء من المهاجرين».

وفي السنوات التالية وحتى الوقت الحالي تابع «بيغن» هجماته الدموية المتوحشة ضد الدول العربية المجاورة وقد كتبت الجريدة اليهودية «زيونيست ريكورد» «من جنوب إفريقيا» في ١٩٥٨/٨/٢٠ ما يلي:

بيغن[1] يدعو إلى الحرب

من القدس سنقوم بمهاجمة العرب وسنحطم الأماكن الضعيفة الواحدة بعد الأخرى وسندمر الجبهات الواحدة بعد الأخرى حتى نصل إلى النصر الكامل.

هذه كانت محتويات خطاب قائد حزب «حيروت» الإسرائيلي «مناحيم بيغن» في الأسبوع الماضي في القدس. لقد تحدث من شرفة الفندق المطل على ساحة صهيون حيث احتشد عدة آلاف من الناس. وقال: إن خسائرنا في هذه العمليات لن تكون قليلة ولكنها في أي حال من الأحوال ستكون أقل منها في معركة مع جيش عربي موحد.

اليوم جيش دفاعنا أقوى من كل الجيوش العربية مجتمعة... لقد احتاج «موسى» إلى عشر ضربات ليخرج الإسرائيليين من مصر. نحن نقدر بضربة واحدة أن نطرد المصريين من إسرائيل.- قال «بيغن» قاصداً قطاع غزة».

بالنسبة للدول العربية كان وجود اللاجئين فيها تذكيراً دائماً بـ «دير ياسين» وبمعاني كلمات «بيغن» الشريرة. رسمياً تظاهر الجميع في إسرائيل وكأن الإرهابيين ارتكبوا مجزرة «دير ياسين» بقرار ذاتي ومن دون علم السلطات الرسمية.

١- مؤسس دولة اسرائيل (دافيد بن عوريون) اطلق على بيغن لقب (الفاشي) ومنعه من التوقيع على وثيقة إنشاء إسرائيل (على الرعم من كونه عصواً في المجلس الشعبي). ومن المعروف على ذمة (بيغن) ارواح /٢٠٠٠/ عربي. وفي عام /١٩٧٧/ عندما انتخب (بيعن) رئيساً للوزراء نشرت بعض الصحف الأوربية نشرة بوليسية انكليزية تعود إلى عام /١٩٤٧م/ تطلب القبض على المتهمين بقتل جنديين إنكليزيين وعرضت مكافأة قدرها /٥٠٠٠/ جنيه استراليني لمن يساعد بالقبض عليهم وكان اول المتهمين هو (مناحيم بيغن).

ولكن في عام /١٩٥٣/ طالب أربعة من أعضاء منظمة «أرغون» ممن جرحوا في «دير ياسين» بتعويض من الحكومة الإسرائيلية. ورفضت وزارة الأمن الإسرائيلية ذلك على أساس عدم وجود تكليف رسمي لهم بالقيام بذلك. فأجاب قائد منظمة «أرغون» بإبراز أوامر كتابية من المكتب الرسمي للمنظمة الصهيونية في القدس تدعو إلى تنفيذ الهجوم المذكور- وكانت الأوامر تحمل توقيع شخص عمل في وقت هذه الدعوى القضائية ممثلاً لإسرائيل في البرازيل.

في نيويورك حيث المقر الأساسي للأمم المتحدة كان هناك أسباب وجيهة للتعتيم على موضوع اغتيال الوسيط السويدي والسكوت عن المطالبة بالتحقيق في ذلك. السبب في ذلك كان الحملة الانتخابية الرئاسية التي كانت أمريكا تعيش فيها في تلك الفترة وحيث ركض المرشحان («ترومان» و «ديو») وراء الأصوات الصهيونية واعتبروها الحاسمة في الأمر.

وأيد الصهاينة «ترومان» وأعيد انتخابه مرة أخرى بعد عدة أسابيع من جريمة قتل الوسيط الدولي في القدس. ومع وصول عام /١٩٤٨/ كانت الاستراتيجية الانتخابية الأمريكية التي وضعها العقيد «هاوز» في عام /١٩١٠م/ قد تطورت وأصبحت أداة فعالة جداً في أيدي الأممية الصهيونية وكان المفتاح الأساسي في التأثير على تلك الانتخابات هو ولاية نيويورك.

وقام قرن من التلاعب والمضاربات السياسية بإغناء اللغة الإنكليزية بفعل جديد هو «To Rig» وهو ما يعني التعيير أو التضبيط فمثلاً آله ألعاب النقود المعروفة يجري تعييرها بشكل يذهب معظم النقود الداخلة إلى الآلة إلى جيب الشركة وأما الإنسان الرابح فيحصل على قدر يسير من ذلك.

وكان تعيير النظام الانتخابي الأمريكي العامل الأساسي الحاسم دائماً والمحدد للأحداث السياسية الكبرى في القرن العشرين.

في البداية كان القصد من وضع نظام الانتخابات الأمريكي إعطاء المواطن الأمريكي العادي أقصى إمكان ليبدي رأيه في السياسة الداخلية والخارجية والأحزاب السياسية والسياسيين المنفذين لذلك.

ولكن مع الزمن جرى تضبيط هذا النظام إلى درجة من الدقة والكمال بشكل ألغى تقريباً أي إمكان للخطأ وبحيث لم يعد صوت المواطن الأمريكي العادي يلعب أي دور يذكر في تقرير أمور البلاد.

ومهما كان رأي المواطن والشكل الذي يصوت به فإن الرابح دائماً كان من تشير إليه الجماعة الحاكمة فعلاً لأمريكا. وعلى ما يبدو أن النظام الانتخابي الأمريكي جرى

وضعه منذ البداية بشكل يسهل عمل «العناصر الغريبة» لتؤثر بالشكل اللازم لها في الاتجاه المطلوب.

لذلك كان هاجس الانتخابات موجوداً دوماً في عقول رجال السياسة الأمريكيين على مختلف درجاتهم.

وما أن يلحق رئيس ما أو أعضاء الكونغرس ومجلس النواب في النجاح في الانتخابات حتى تبدأ «جماعات التأثير» بمعالجة المرشحين إلى الانتخابات القادمة ويبدأ أصحاب الأمور التنظيمية في الأحزاب بالتحضير للمعركة القادمة.

ويبدأ المرشحون بالإحساس بالضغط الهائل المرافق لذلك ولا يكون لديهم ولو دقيقة واحدة زائدة لالتقاط الأنفاس يمكن أن يجري فيها تقرير سياسة صحيحة أو عقلانية. ويبدأ تضيق الخناق عليهم من قبل بعض المصالح التي في غالب الأمر لا تتطابق مع المصالح الحقيقية للبلاد.

ويصبح القاسم المشترك لكل الانتخابات الأميركية هو «تأييد إسرائيل».

وتحولت إسرائيل في حقيقة الأمر إلى قلعة لمنظمة عالمية قوية مدت نفوذها إلى كل الحكومات والبرلمانات ووزارات الخارجية في العالم الغربي وبالدرجة الأساسية في الولايات المتحدة، وأصبح دورها الأساسي هو السيطرة على الجمهورية الأمريكية وليس دور «الوطن الأم» ليهود العالم.

وبدأ واضحاً أن رجال السياسة الأمريكية في الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين كانوا أسرى لفكرة فرضت عليهم والتي تقول إن السياسة في الموضوع الفلسطيني لا يجوز أن تخضع لأي تغيير مهما كانت الأسباب الداعية لذلك. (كما كان الأمر في بداية القرن العشرين في إنكلترا ومع رجال السياسة هناك مثل «تشرشل» و «ليوبولد عميري» وغيرهم).

وعلى الرغم من أن الشعوب الأمريكية والإنكليزية لا تزال لا تدرك كل ذلك إلا أن شعوراً بالقلق يسود أوساطها من الخوف في أن تسبب أزمة الشرق الأوسط حرباً عالمياً ثالثة تمتد إلى جميع أنحاء العالم.

وفي الحقيقة يُثير الوضع السائد في الشرق الأوسط القلق في مناطق عديدة أخرى من العالم ومنذ فترة طويلة. ففي العشرينيات من القرن العشرين على سبيل المثال طرح مهراجا كشمير على السير «ارتور لوتيان» وهو دبلوماسي إنكليزي سؤالاً («كتب عن ذلك السيد

«ارتور» في مذكراته) وهو: لماذا تقوم الحكومة البريطانية بزرع سيادة اليهود على راجي في الهند.

ولقد اعترضت على هذا التعبير ولكن المهراجا آصر عليه وأشار إلى أن نائب ملك الهند اللورد «ريدينغ» هو يهودي وأن المندوب السامي البريطاني في الهند «ايدوين مونتيغيو» هو أيضاً يهودي. وأن «القوميسار» الأعلى للهند السير «وليام مئير» كان أيضاً يهودياً وسأل المهراجا هل تود براهين أخرى؟».

وهكذا نرى أن المهراجا الهندي هذا وقبل ثلاثين عاماً شاهد حقيقة الأمور في العالم الغربي.

وخلال السنوات التي مرت منذ ذلك الوقت لم يتعب قادة الدول العربية من التكرار وبشكل علني أن الحكومة الأمريكية قد تحولت إلى أداة سهلة في أيدي الأهداف الصهيونية.

وفي عام /١٩٥٢/ وصل الانتقام التلمودي من ألمانيا إلى أعلى قمة له وأجبرت ألمانيا الغربية على دفع أتاوة «خوة» إلى دولة ظهرت بعد نهاية الحرب بثلاث سنوات.

ولم تطالب الدول الغربية بالتعويضات لنفسها بل طالبت لمصلحة صهيون. وكان السبب الرئيسي في ذلك أن الدول العربية السبع لم تعترف بالأمر الواقع الأسود الذي ظهر في عام /١٩٤٨م/ واعتبرت نفسها مستمرة في حالة حرب مع الدولة المحتلة.

واعتبر العرب أن السلاح الموجه إليهم مدفوع من الجيب الأمريكي لذلك ولدت فكرة إجبار القسم «الحر» من ألمانيا على دفع تعويضات لدولة لم تكن موجودة في فترة الحرب. وطبخت هذه الفكرة طويلاً وراء الكواليس وظهرت إلى الوجود فجأة في رأس السنة العبرية في عام /١٩٥٢/ «أو كما كتبت التايم الأمريكية في آخر أسبوع لعام /٥٧١١/ حسب التقويم العبري».

وقد كتبت إحدى الجرائد اليهودية حول ذلك: «إن هذا الأمر كان أفضل هدية على عيد رأس السنة العبرية كان يمكن أن نتصورها».

وبدا وجه المستشار الألماني «ايدنهاور» شاحباً مثل الطباشير عندما أبلغ البرلمان «بأن هناك ضرورة لتعويض مالي ومعنوي» وأما وزير العدل الألماني الغربي فقد قال: «تم التوقيع على اتفاق مع إسرائيل بناء على رغبة الأمريكان.. لأن الولايات المتحدة تأخذ بالحسبان مزاج ومشيئة الدول العربية ولا تقدر على الاستمرار بدعم إسرائيل بنفس الشكل السابق».

وكانت الانتخابات الأمريكية على الأبواب وأجبرت الولايات المتحدة الحكومة الألمانية الغربية بدفع مبلغ /٨٢٢/ مليون دولار على مدى /١٢-١٤/ سنة وفي غالب الأحيان على شكل بضائع ومنتوجات ألمانية[1].

كل هذا يذكرنا بكلمات جاءت في كتاب «شتيفلن» عن «قبالة» النصر اليهودي النهائي مع قدوم مسيحهم المنتظر.

«تعالوا لنرى كيف سيعيش اليهود في بلدهم العتيق تحت قيادة المسيح المنتظر. قبل كل شيء ستقوم الشعوب الغربية التي سمح لها اليهود بمتابعة الحياة والعيش، في بناء بيوت اليهود ومدنهم وستفلح أراضيهم وستزرع كرومهم وكل ذلك سيكون بلا مقابل لجهودهم».

وتجدر الموافقة على أن هذه الصورة لا تختلف كثيراً عما أجبر عليه دافع الضرائب الأمريكي والإنكليزي والألماني وفي أشكال مختلفة ولكن مضمونها كلها واحد وهو دفع الآتاوة لصهيون[2].

وبالطبع جرى تصوير الأمر للرأي العام الغربي أن ألمانيا تقوم طوعاً بدفع التعويضات انطلاقاً من دوافع أخلاقية إنسانية بحتة. ولكن الجمهور اليهودي كان على علم تام بالحقيقة ونورد على ذلك المثالين التاليين:

وكالة الأنباء العبرية ذكرت «بأن الحكومة الأمريكية لعبت دوراً مهماً في إجبار ألمانيا الغربية على تقديم عرض مغر حول التعويضات وكان للحكومة الإنكليزية أيضاً دور في ذلك ولكنه أقل بكثير من الدور الأمريكي».

وأما صحيفة «زيونيست هيرالد» فقد قالت من جنوب أفريقيا: «اتفاق إسرائيل مع ألمانيا لم يكن ممكناً من دون المساعدة الفعالة من طرف الحكومة الأمريكية في واشنطن».

١ـ قيمة مبلغ التعويضات الألمانية لإسرائيل ارتفع مع السنين من /٨٢٢/ مليون مارك ألماني إلى ثلاثة مليارات مارك ألماني في عام /١٩٥٣/. في عام /١٩٨٥م/ ذكرت الصحف الألمانية أن مجموع ما دفع لإسرائيل من تعويضات ألمانية بلغ /١٤٠/ مليار مارك وأما النمسا الصغيرة فقد دفعت تعويضات إلى إسرائيل حتى عام /١٩٧٦م/ (حسب ما ذكر نعوم غولد مان في كتابه) بلغت /٣٠/ مليار دولار على الرغم من أن النمسا كانت نفسها أول ضحايا (هتلر).

٢ـ وهذا الأمر قديم جداً بدءاً من حيرام ملك صور القديمة الذي دفع الأتاوة لـ (سليمان) ودولة (يهودا) على شكل عمال ومواد، واستمرارا بـ (قورش) الذي وضع امكانات الدولة الفارسية كلها في خدمة عودة اليهود من بابل وغيره الكثير من الأمثلة ـالمترجم.

وعلى نفس الشكل قدرت الأمر الصحافة العربية وعندما حاول مراسل أمريكي زيارة مخيم للاجئين العرب سمع أقوالاً مثل: «ما الفائدة من التحدث معكم» «نحن العرب نعرف جيداً أنه لا يوجد أي صحيفة أمريكية يمكن أن تكتب الحقيقة عن القضية الفلسطينية».

أما في إنكلترا فقد عبر اللورد «ريدينغ» «ابن نائب ملك الهند اليهودي المذكور سابقاً» عن وجهه النظر الرسمية نتيجة لاستفسار من طرف الحزب الاشتراكي قدمه اللورد «هندرسون» الذي ابتدأ حديثه بالقول: «ستة ملايين يهودي قتلوا». وكان جواب اللورد «ريدينغ» مثيراً للغاية فقد قال بأن مدفوعات ألمانيا إلى الدولة الجديدة «ستكون وإلى حد ما تحمل طابع التعويض الأخلاقي أكثر من الطابع المادي» وأضاف بأنها «ستقوم على تغطية حساب تكاليف توطين اليهود الذين طردهم الألمان من أوربة في إسرائيل».

ويظهر هذا التصريح مرة أخرى المبدأ الذي يُعد أن جريمة النازيين الوحيدة التي يجب المعاقبة عليها هي ملاحقة اليهود ولا يأخذ بالحسبان الملايين من الضحايا البولنديين والتشيك وغيرهم[1].

والممتع هو الإشارة إلى التعويض الأخلاقي وفي الوقت الذي صدر فيها هذا الكلام كان هناك مليون عربي قد طردوا من بيوتهم على أيدي الصهاينة ورفضت باحتقار كل طلباتهم بالعودة.

ولكن أكثر ما يلفت النظر في تصريح «ريدينغ» هو كلماته عن توطين في إسرائيل اليهود الذين طردهم النازيون من أوربة

حسب الإحصائيات الرسمية الإسرائيلية كان عدد السكان هناك في عام /١٩٥٣م/ /١٤٠٠٠٠٠/ إنسان، منهم فقط /٦٣٠٠٠/ يهودي من ألمانيا والنمسا «أقل من ٥٪» ولو سمحنا لخيالنا بالعمل قليلاً سنرى أن هؤلاء الـ /٦٣٠٠٠/ يمكن اعتبارهم الوحيدين من بين سكان إسرائيل الذين قد تكون ألمانيا طردتهم من أوربة. ولكن الكتلة الأساسية من يهود إسرائيل قدمت من بولندا وهنغاريا ورومانيا وبلغاريا وحدث ذلك بعد انتهاء الحرب بفترة. لذلك فإن الحديث عن طردهم من هناك لا يملك أي أسس من الصحة لأنهم كانوا في بلدانهم الأصلية عند سقوط ألمانيا، وتحت حماية قوانين خاصة وكان لديهم امتيازات خاصة كبيرة في مجال الحصول على العمل الحكومي. وأما الكتلة الباقية من يهود إسرائيل فقد جاءت إلى فلسطين

١- بلغ عدد ضحايا الحرب الروس في الحرب العالمية الثانية اكثر من عشرين مليون نسمة -المترجم.

من شمال إفريقيا ودول الشرق الأوسط. وبالتالي لم يكن هناك أي أساس أخلاقي يمكن فعلاً الاعتماد عليه لعصر التعويضات من ألمانيا لمصلحة إسرائيل.

وحتى لو فرضنا جدلاً بوجود مثل هذا الأساس فهو يصيب فقط /٦٣٠٠٠/ يهودي.

ونلفت الانتباه إلى قصة التعويضات هذه ليس لها مثيل في التاريخ الأوربي الغربي وهي توضح قبل كل شيء مدى الانبطاح الانكلو- آمريكي أمام الصهيونية.

وأجبرت ألمانيا الغربية على تمويل القسم الأساسي من تكاليف تسليح وإعمار الدولة الجديدة، وكان ذلك آمراً يقرب كثيراً موعد حدوث حرب جديدة هناك وجعل المستقبل بالنسبة للسكان العرب آكثر سواداً. ونهضت الدولة الصهيونية بفعل كل ذلك على قدميها ووقفت بثقة أكبر.

وتجدر الإشارة إلى آن سلطات الاحتلال الأمريكية والإنكليزية في ألمانيا وفيينا وبتعاون تام مع السوفييت استخدمت حق النقض الفيتو ضد قانون نمساوي يسمح بالعفو ويمنح التعويضات بشكل يمكن أن تستفيد منه العناصر غير اليهودية أيضاً.

الفصل الرابع والأربعون

أداة السيادة العالمية

بالإضافة إلى انتقال الثورة إلى قلب أوربة والتأسيس القسري للدولة الصهيونية، جلبت الحرب العالمية الثانية نتيجة ثالثة مع نهايتها وهي محاولة أخرى لتأسيس «الهيئة الأممية» والتي وجب على مذبحها تقديم الاستقلال الحكومي للدول الغربية كضحية.

ومن الواضح أن ذلك كان سيصبح الهدف النهائي الذي سارت إليه الشيوعية والصهيونية بشكل متواز.

الفكرة بحد ذاتها تبلورت لأول مرة وظهرت إلى العلن في وثائق «واي سخاوبت». ثم أخذت أشكالاً مختلفة في القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين ولكن المضمون ظل نفسه.

وخلال الحرب العالمية الأولى كانت هذه الفكرة أساسية بين الأفكار التي استطاع العقيد «هاوز» وأتباعه صبها في دماغ الرئيس «ويلسون» والإيحاء له بأن هذه الأفكار هي أفكاره الذاتية الخاصة به.

وكان الشكل العملي الأول لها يتمثل في ظهور «عصبة الأمم» والتي لم يذكر أي شيء عنها قبل الحرب ولم يسأل أحد رأي الشعوب فيها ولم يأخذ مشورة أحد في ذلك ويبدو أن الكونغرس الأمريكي رفض الانضمام إليها لهذا السبب بالذات بعد انتهاء الحرب.

وفي الفترة ما بين الحربين العالميتين أصبح واضحاً أن ما يدعى بعصبة الأمم ليس في مقدورها أن تجبر الشعوب والدول على السلام ولا أن تحافظ عليه وأن الشعوب لن تتخلى طواعية عن سيادتها واستقلالها لمصلحة هذه المنظمة. ولذلك فشلت عصبة الأمم.

ولكن وعلى الرغم من كل ذلك مع اقتراب الحرب الثانية أخذ قادة الدول التي ستدخل الحرب من جديد بحمل الخطط الهادفة لخلق شيء ما أطلق عليه في بادئ الأمر «الحكومة العالمية». واتفق هؤلاء القادة فيما بينهم على أن الدول الداخلة في هذه الهيئة ستتخلى طواعية عن معظم حقوقها لمصلحة الهيئة المذكورة.

ويـذكـر مـؤرخ سـيرة «بـاروخ» الـسيد «مـوريس روزن بلـوم» بـأن الـرئيس «روزفلـت» أخـذ يفكـر في هـذه الخطـة جـدياً بعـد أن أصـابه المـرض بالـشلل في عـام /١٩٢٣م/ ووضـع في ذلـك الحين خطة أطلق عليه «مشروع حفظ السلام» وبعد فترة تغيرت تسمية المشروع إلى اسم «الأمـم المتحدة».

وقـد بـدا للجميـع وعلـى الـدوام بـأن «وينـستون تـشرشل» هـو تجـسيد لنظـام الدولـة الإنكليزية والحـارس الأمـين لـه، إلا أنـه علـى الـرغم مـن ذلـك تـرأس في عـام /١٩٣٦/ القـسم الإنكليزي من منظمة دولية تحت اسم «جمعية التعاون الجديد للشعوب» وقد دعت هذه المنظمة إلى إنشاء «قـوة دوليـة لحفـظ الـسلام». «في كـل المشاريع والوثائق الـتي مـن هـذا النـوع نـرى أن مفهوم الـسلام ومفهوم القـوة يترابطـان فيمـا بينهـا». وصـرح رسمياً «٢٦ تـشرين الثـاني «نـوفمبر» ١٩٣٦م». بأنها تتميز عن بقية المنظمات الداعية إلى السلام في كونها تدعو إلى استخدام القوة لحماية القانون ضد من يعتدي عليه. ولم يشرح المستر «تشرشل» أي قانون كان يقصد ولكنـه فقط عرض استخدام القوة كطريق للحصول علـى الـسلام ولا يبـدو غريبـاً لـذلك بأنـه وخـلال لقائه مع الرئيس «روزفلت» في آب «أغسطس» /١٩٤١م/ «عندما ولدت وثيقـة الأطلـسي العديمـة المعنى من الناحية السياسية» وجد «تشرشل» بـأن عليـه أن يخبـر الـرئيس الأمريكـي بـأن الـرأي العام البريطاني سيـصاب بخيبـة أمـل كـبيرة إذا لم يجـد في الوثيقـة تعهـداً بإنـشاء منظمـة دوليـة تهـدف إلى إقـرار الـسلام بعـد الحـرب والعمـل علـى المحافظـة عليـه. «ذكـر ذلـك «تـشرشل» في مذكراتـه الخاصـة». وكـان مؤلـف كتابنـا هـذا موجـوداً في إنكلـترا في ذلـك الوقـت وأصـيب بخيبة أمل كبيرة من هذه الفكرة بالذات.

أما فيما يتعلق بالرأي العام فإنه لم يكـن موجوداً في هذه القضية لأن وسـائل الإعـلام لم تذكـر لـه «للرأي العام» أي شيء عن هـذا الموضوع. وقـد عمـل «تـشرشل» و «روزفلـت» في هـذا لا مجـال بمبـادرة شخـصية خاصـة: «تحـدث «روزفلـت» وعمـل بحريـة وثقـة كاملـة في جميـع الموضوعات المطروحة... ومثلت أنا إنكلترا بمثل هذه الثقة والحرية تقريباً.

ولـذلك هنـاك تجـاوب تـام. والأفـضلية مـن ذلـك تلخـصت في توفير الوقـت وتقلـيص عـدد الأشخـاص المطلعين على هذه الخطط».

ويشرح بعد ذلك «تشرشل» كيف جرى حل جميـع المسائل خـلال اللقـاءات الخـاصـة بينـه وبين «روزفلت» وبتفاهم تام.

ونتيجة لذلك وفي المرحلة الأخيرة من الحرب أصبح أمر «مسائل التنظيم الـدولي» -كمـا دعاه «تشرشل» موضوع نقاش خاص بين «تشرشل» و «روزفلـت» والجنـرال «سمـاتس» مـن جنـوب

إفريقيا بالإضافة إلى حضور زعماء حكومات دول الكومنولث البريطاني. وحدث ذلك من دون أي اشتراك فعلي لشعوب هذه الدول في المناقشات، وأصبح التعبير الدارج في هذه المداولات والمناقشات هو تعبير «صد العدوانية» و «منع حدوث العدوان المحتمل في المستقبل» ولكن كما شاهدنا سابقاً من الصعب جداً تحديد المعتدي وتحديد الضحية الفعلية كما حدث في هافانا عام /١٩٨٩م/ و «بيرل هاربور» /١٩٤١م/. وأما فيما يتعلق بأحد المعتدين الأسياسيين في الحرب الثانية وهو الاتحاد السوفييتي فلقد أصبح أكثر الرابحين في نهاية الحرب. كذلك كل الأحاديث عن منع وقوع العدوان لم تكن على أي درجة من الجدية. وكان من المؤكد وجود رغبة وفكرة في إنشاء «أداة دولية» لكي تستخدم من طرف الجهة التي ستتمكن من السيطرة عليها.

ولكن ضد من كان يجب استخدامها؟

قدم المروجون لهذا الفكرة الجواب على هذا السؤال لقد تكالب جميعهم ضد «سيادة الدول واستقلالية الشعوب» أي أن هذه المنظمة كان عليها لعب دور الهادم لسيادة الدول واستقلالية الشعوب «عملياً وخلال الواقع الموجود يكون المقصود الأول هو الدول الغربية».

من سيستخدم هذه الأداة وفي يد من ستكون؟

الجواب المفحم على ذلك يأتي من نتائج الحربين العالميتين. على هذه الأرضية تم في عام /١٩٤٥م/ تأسيس هيئة الأمم المتحدة. وفي السنتين التاليتين وخلال استمرار التبعثر الفكري لما بعد الحرب انكشف في إحدى اللحظات الطابع الحقيقي لهذه الأداة العالمية ولتلك الهيئة الدولية.

وشاهدت الشعوب لأول مرة المصير الذي كان ينتظرها إذا تم تنفيذ هذه الخطة بكاملها.

ولكن الجماهير العريضة لم تستوعب ما عرض عليها وسرعان ما نسيت الأمر. إلا أن الشيء الذي انكشف لا يفقد لذلك قيمته بالنسبة للباحث وما دام سادة اللعب وراء الكواليس ما زالوا يتابعون دفع أفكار الحكومة فوق العادية، نحو التنفيذ «وهي فكرة الحكومة الأممية الفائقة التي تعلو فوق الشعوب والحكومات والتي تنبأت بها «بروتوكولات» حكماء صهيون».

في هذه الفترة بالذات يخرج «برنارد باروخ» من ظل المستشارين إلى مسرح الأحداث الشديد الأضواء وعند ذلك يصبح من الممكن أخيراً خلق استنتاج حول الدور الكبير الذي لعبه هذا الشخص في أحداث القرن العشرين.

وذكرنا أعلاه كيف تدخل «باروخ» بشكل مفاجئ وحاسم لمصلحة إنشاء الدولة الصهيونية في عام /١٩٤٧م/ وكيف قدم تحذيره القاتل لـ «فوريستول» بأن يترك الصهيونية بحالها وأن يبتعد عن طريقها.

في تلك الفترة بدا لنا واضحاً معنى التأثير الذي امتلكه السيد «باروخ» على الحكومة الأمريكية وقراراتها السياسية والذي أتضح بأنه عظيم جداً.

وفهم الكثيرون بأن آمالهم المتعلقة بانخراط اليهود في مسيرة الإنسانية هي خيال مستحيل الحدوث. فحتى تلك اللحظات بدا أن السيد «باروخ» «لا شك بأنه تعمد أن يبدو كذلك» مثال نموذجي لليهودي الغربي المتساوي مع الجميع والمنخرط تماماً في المجتمع الذي تعيش فيه. لقد كان «باروخ» إنساناً طويل القامة بهي الطلعة محترم الشكل ظريفاً وناجحاً تماماً في حياته المهنية.

وإذا كان «التغيير» الذي أصاب السيد «باروخ» هو بالفعل مفاجئ إلى الحد الذي ذكره الدكتور «وايزمان» فإن شهادة أخرى من ذلك الزمن حول نفس الموضوع تبدو متطرفة للغاية.

صاحب الشهادة هو شخص كان يُعد في تلك الأيام من أكثر الغلاة المتطرفين الصهاينة في أمريكا، وكان يدعى «بن خيخيت» وقد نشر في أحد الأيام تصريحاً يستحق اهتمامنا: «أحد أبدع الأمور التي قامت بها الحشود في يوم من الأيام كان عملية صلب «يسوع». كان ذلك أمراً رائعاً من وجهة النظر الإدراكية. ولكن الحشد خلق لكي يرتكب الحماقة والغباء ولو عهد لي بإعدام «يسوع» لفعلت ذلك بشكل آخر. وثقوا بأنني كنت سأحضره إلى روما واجعل السباع تلتهمه على الحلبة وعند ذلك لم يكن بإمكان أحد ما أن يخلق «منقذاً» من اللحم المقطع المنهوش».

وخلال المذابح التي تعرض لها العرب في فلسطين ومن ضمنها «دير ياسين» قام هذا الشخص المحترم بنشر إعلان على صفحة كاملة في الكثير من الصحف الرئيسية وعنوانه «إلى الإرهابيين في فلسطين»: «يهود أمريكا معكم. لأنكم تناضلون من أجل قضيتنا... في كل مرة لدى تفجيركم مخزن سلاح إنكليزي أو تدمير قطار لهم أو عند سطوكم على مصرف من مصارفهم أو عندما تقوم قنابلكم ورصاصكم بتمزيق الخونة والمحتلين البريطانيين لوطنكم، فإن يهود أمريكا يفرحون لذلك من قلوبهم».

ويذكر هذا السيد بأن «باروخ» قام بزيارته وأعلن له عن دعمه الشخصي الكامل له: «في أحد الأيام الرائعة انفتح باب غرفتي ودخل عبره شخص طويل القامة أشيب الشعر وكان ذلك الشخص هو «برنارد باروخ» أول ضيف لي من المجتمع اليهودي.

وجلس صامتاً لفترة يتأملني ومن ثم قال: أنا أقف إلى جانبكم واليهود بإمكانهم الحصول على ما يريدون فقط عن طريق الصراع المسلح ومن الآن وصاعد يمكنكم اعتباري أحد مقاتليكم والسلاح في يدي.

لقد كنت دائماً أحقق أفضل النتائج وأنا في الظل بعيداً عن الأنظار».

هذه المفاجأة المثالية إذا أضيف إليها تهديد «باروخ» وتحذيره لـ «فوريستول»، فإنها تسمح للمؤرخ بالتعمق والغوص في شخصية «برنارد باروخ».

وإذا كان قد وصل في هذا المعنى «يهودي مقاتل متخفٍ وسلاحه في يده» إلى قمة نجاحه خلال خدمته المتميزة على مدى /٣٥/ سنة كمستشار لرؤساء، فإن ما حدث في السياسة الأمريكية وفي السياسة العالمية يحصل على تفسير كامل.

وللقارئ الحق الكامل في أن يأخذ جدياً كل ما سرد أعلاه من كلمات وأن ينظر إلى تأثير «باروخ» على السياسة الأمريكية والعالمية من هذا المنظار، وهي ذات أهمية أيضاً لتقدير التدخل الوحيد العلني للسيد «باروخ» في السياسة العالمية، ونقصد هنا ما سمي بمشروع «باروخ» المتضمن إنشاء هيئة استبدادية دولية مدعومة بقوة هائلة والتي تدفعنا كلماته المذكورة أعلاه إلى النظر إليها بريبة وشك.

وسنحاول فيما يلي استعراض شخصية «باروخ» بعض الشيء. لقد اعتبر البعض أن أصوله تعود إلى جذور آرستقراطية عبرانية سفاردية تصل في بداياتها إلى يهود أسبانيا والبرتغال وحتى من الممكن إلى الأجداد الفلسطينيين. ولكن في الواقع وحسب ما ذكره هو نفسه «٧ شباط «فبراير» ١٩٤٧م» فإن والده كان «يهودياً بولندياً حضر إلى هنا «أمريكا» قبل مئة عام».

وهذا يعني أن أصل «باروخ» يعود إلى آشكناز شرق أوربة ولا يملك أي جذور سامية.

ولد «باروخ» في عام /١٨٧٠م/ في كيمدني في ولاية كارولينا الجنوبية وكان يبدو أن عائلته على استعداد تام لتقاسم وطنها الجديد أفراحه وأحزانه. وعمل والده طبيباً لدى الجنوبيين، وأما «برنارد» فقد ولد في سنوات «إعادة الإعمار» الكئيبة. وشاهد وهو صبي كيف كانت جموع الزنوج «المهيجة من الأحاديث الديماغوجية للمحتالين السياسيين» بالركض في شوارع البلدة الصغيرة الهادئة. وكيف وقف أخوته الأكبر منه على شرفة المنزل والسلاح في أيديهم.

وكان والده في تلك الفترة يرتدي الرداء والقناع الأبيض لجماعة «كوكلوكس-كلان»[1].

أي آن «برنارد باروخ» شاهد منذ طفولته الأعمال التخريبية للثورة التي أخذت المبادرة في أيديها في المرحلة الأخيرة من الحرب الأهلية وقادت كل مرحلة «التجديد وإعادة البناء» واستطاع «باروخ» بالتالي آن يتأكد من آفضلية النظام العام الحر.

وبعد فترة غادرت عائلته إلى نيويورك حيث أصبح «باروخ» هناك إنساناً ثرياً جداً ولم يكن يبلغ الثلاثين من عمره، وتسلق السلم المهني بسرعة ومع بلوغه الأربعين كان قد أصبح قوة فعالة من وراء الكواليس.

وقد يكون هو المقصود من شخصية الرأسمالي «تور» في رواية العقيد «هاوز». ويقال أن «هاوز» هو الذي آدخل «باروخ» إلى محيط الرئيس «ويلسون» على الرغم من اعتراض الكثيرين على ذلك.

وفي تلك الفترة كان «باروخ» قد حقق وضعاً مالياً ومهنياً عالياً بفضل المضاربات المالية على المستويات العالية وحقق نجاحاً كبيراً بفضل مقدرته على شراء المؤسسات المفلسة وإعادة تأهيلها وكذلك تلاعبه على الهبوط المتعمد للأسعار وغير ذلك من الأمور المشبوهة.

وآخذ الذهب والمطاط والنحاس والكبريت وغيره من المواد الخام، يتحول في يديه إلى سيل من الدولارات.

وقد ذكر خلال شهادته آمام لجنة تحقيق للكونغرس في عام /١٩١٧/ بأنه «حقق في يوم واحد آرباحاً بلغت نصف مليون دولار بفضل المضاربات في البورصة».

ويذكر «باروخ» بأن السبب الأساسي الذي دفعه إلى دعم الحملة الانتخابية «لويلسن» «حيث تبرع بمبلغ ضخم لصندوقه الانتخابي» كان وقوف البرفسور «ويلسون» ضد الامتيازات العنصرية لبعض الطلبة في جامعة «برينستون». وكان على ذلك أن يشير إلى أن «باروخ» كان مناضلاً راسخ العقيدة ضد التمييز العنصري والديني. على الرغم من أنه في حقيقة الأمر من الصعب جداً العثور على إنسان في أمريكا آصابه التمييز أقل من «باروخ». في البداية لاقى

١- جماعة من العنصرين البيض كانت تقف ضد المساواة وإلغاء التمييز العنصري وتلاحق الزنوج والملونين وتقتلهم وتحرق ممتلكاتهم وخصوصاً في الولايات الجنوبية من الولايات المتحدة وعلى الرغم من ادعاء البعض بأن هذه الجماعة كانت تعمل ضد اليهود أيضاً ألا أن الواقع اثبت بأن معظم قادتها الفعلين كانوا من اليهود واتباعهم -المترجم.

ظهوره على ساحة «وول ستريت» المالية معارضة قوية من الرواد المتمركزين هناك والذين اعتبروا «باروخ» مقامراً محتالاً[1].

(هذا اللقب أطلقه عليه «جون مرغان»). ولم تثر هذه الألقاب غضب «باروخ» وهو بنفسه أطلق على نفسه عدة مرات لقب «المضارب».

وقام الرئيس «ويلسون» خلال الحرب العالمية الأولى بتعيينه رئيساً لمؤسسة الصناعات الحربية التي كانت تتمتع بسلطات وامتيازات واسعة جداً. وقد وصف «باروخ» نفسه في هذا المنصب بتعجرف بأنه أقوى شخص في العالم.

وبعد عودة الرئيس «ويلسون» من باريس بعد مؤتمر السلام، عاجزاً تماماً عن العمل بسبب مرضه الشديد أصبح «باروخ» أحد أعضاء المجموعة التي اتخذت القرارات خلال فترة مرض الرئيس والمعروفة باسم «مجلس الوصاية».

ويذكر مؤرخ سيرته بأن «باروخ» عمل مستشاراً لدى ثلاثة رؤساء جمهوريين متعاقبين على السلطة.

وأما زوجة «روزفلت» الديمقراطي، «ايليانورا» فقد قالت بأن «باروخ» عمل مع زوجها قبل وخلال فترة رئاسته التي دامت /١٢/ سنة. ونحن نذكر جيداً أن المستر «تشرشل» في آذار «مارس» /١٩٣٩/ أخبر «باروخ» «بأن الحرب ستقوم عما قريب وأنتم ستقودون الحرب في بلادكم».

وفي ذلك الوقت كان «باروخ» قد أمضى فترة /٣٠/ سنة في إعطاء المشورات لرؤساء أمريكا. وعلى الرغم من ذلك فإنه من الصعب جداً معرفة نوعية المشورات التي قدمها والدوافع التي كانت تدفعه خلال ذلك. لأنه كان يعمل في الخفاء وبعيداً عن العيون ولم يكن نشاطه يخضع إلى أي مراقبة لأن منصبه لم يكن منتخباً من قبل أحد.

١- اشتهر اليهود دائماً بالتفوق في المضاربات المالية وبأنهم من أفضل أهل البورصة ويشار الى أغلب الثروات اليهودية الحديثة هي نتيجه المضاربات في البورصات العالمية.. ولا يجوز تفسير نجاحات اليهود في أمور البورصه بوجود ميزات خاصة بهم، بل السبب في ذلك يعود إلى وجود مجموعات ضخمة قديرة لديهم تقوم بالمراقبة والتحليل والإشارة في الوقت المناسب لما سيحدث ويحاول اليهود دائماً مساعدة جماعتهم وتدمير المنافسين الغرباء ولنتذكر كيف رفض رجال الأعمال الفرنسيين أيام (نابليون) السماح لليهود بدخول مجالاتهم العملية والمهنية. وتجدر الإشارة إلى أن التلمود يدعو ويشجع اليهود على خداع غير اليهود ويُعد ذلك عملاً يباركه الرب ذات مرة قتل في حادث يهودي في مدينتنا واتذكر (وقد كنت طفلاً في ذلك الوقت) كيف ندبته اليهوديات وتصايحن باكيات (يا ربي لماذا فعلت به هكذا، فهو لم ينصح غريباً في حياته).

لقد كان «باروخ» الأول بين المستشارين من هذا النوع الجديد تماماً والذي ذكرته وتنبأت به «بروتوكولات» عام /١٩٠٢م/.

من كل هذه الصورة يمكننا فقط آن نستنتج ومن خلال القطع المختلفة من الأقوال والشهادات بعد تجميعها كقطع موزاييك.

ويلفت النظر إلى آن معظم المشورات التي قدمها «باروخ» والمسجلة رسمياً تتعلق فقط بهذا الشكل أو ذاك بالرقابة والنظام والانضباط. وكانت كلها دائماً تصر على وضع سلطة قاسية على الناس وضرورة تمركز هذه السلطة في يد شخص واحد.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية طرح «باروخ» مرة أخرى هذه المتطلبات والشروط لتجنب حدوث حرب ثالثة على حد زعمه: «قبل آن يُسمع أزيز الرصاص... يجب على أمريكا أن توافق على فرض إجراءات نظام وانضباط داخل البلاد مثل بطاقات تقنين المواد الغذائية والبضائع ومراقبة الأسعار». «خطاب «باروخ» في إحدى لجان مجلس النواب الأمريكي /١٩٥٢م/».

وكل مرة عندما يطرحون مثل هذه التوصيات فإنها يجب أن تخدم النضال ضد ديكتاتور ما على حد زعمهم، مثل «هتلر» أو «موسيليني» أو «ستالين».

وأما كيف كان سيبدو العالم المحصور في نظام الانضباط والرقابة فقد صوره «باروخ» نفسه لدى حديثه في إحدى لجان الكونغرس في عام /١٩٥٣م/: «لو استمرت الحرب العالمية الأولى سنة إضافية أخرى فإن سكان آمريكا كلهم كانوا سيرتدون بدلات رخيصة حكومية ولكنها عملية... وكانت موديلات الأحذية ستتقلص إلى موديلين أو ثلاثة». وأثار هذا التصريح في وقته احتجاجاً واسعاً وحاول «باروخ» أقصى جهده إنكار ذلك ونفيه.

إلا أن مؤرخ سيرة حياته يخبرنا بأن «خلال الحرب العالمية عاد «باروخ» إلى تكرار مقترحاته حول استخدام اللباس الحكومي الموحد لكل السكان».

وقطع صغيرة من ذلك الموزاييك تطلعنا على أحلام المستر «باروخ» التي كانت تدور حول صورة عن عالم محكوم بالرقابة والانضباط وعلى ما يبدو أن جنون العظمة Folie De Grandeur الذي بحث عنه كل من «ويلسون» و «لويد جورج» و «تشرشل» و «روزفلت»، لدى زعماء ألمانيا خلال الحربين الأولى والثانية كان في حقيقة الأمر موجوداً عند مستشارهم الرئيسي «باروخ».

وكتب مؤرخ سيرة حياته يقول: (قال «باروخ» مرات عديدة بأنه مستعد لكبح جماح العالم بكامله).

وخلال الحرب العالمية الثانية (اتفق «باروخ» مع «روزفلت» وغيره من قادة الحلفاء على أن منظمة عالمية يجب أن تظهر إلى الوجود في فترة الاتفاق الأعظمي لجميع الحلفاء خلال الحرب). هذه الكلمات يمكن اعتبارها بالفعل مفتاحاً لكل الصورة: إنها تعود إلى تلك الفترة التي تسود فيها البعثرة العقائدية في فترة الحرب العالمية أو الحروب الكبرى عندما يقوم المستشارون بدس أفكارهم للزعماء الديكتاتوريين الذين يوقعون عليها من دون النظر فيها وفي محتواها وعلى العالم أن يهضم بعد ذلك الهزات التي تليها.

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية مباشرة ظهر «باروخ» من الظل إلى أضواء السياسة العالمية كصاحب خطة ديكتاتورية عالمية تقوم على القسر والإرهاب.

وبذلك أصبحت لأول مرة، غاياته ونشاطاته في متناول التحليل والبحث ومع هذه الخطة تصبح كلماته الموجهة إلى الصهيوني «بن خيخيت» ذات معنى خاص.

وكما ذكر مؤرخ سيرته فإن «باروخ» عندما بلغ /٧٤/ عاماً «أخذ يستعد لتحقيق هدف حياته كلها... وهو وضع خطة قابلة للتنفيذ لمراقبة دولية لأمور الطاقة الذرية، وقرر أن يصر على اللجنة الدولية للطاقة الذرية التابعة للأمم المتحدة بصفته مندوباً للولايات المتحدة فيها على أن تتخذ مثل هذه القرار.

وبالاعتماد على عمر «باروخ» الذي ذكره مؤرخ سيرته نستنتج بأن الحديث يدور عن عام /١٩٤٤م/ أي قبل إلقاء القنبلة الذرية الأولى على هيروشيما وحتى قبل إنشاء الأمم المتحدة. وإذا كان هذا الكلام صحيحاً فإن «باروخ» كان يعلم مسبقاً ما سيحدث في العالم قبل حدوثها بعدة سنوات. وتعيينه الذي أخذ يستعد له منذ عام /١٩٤٤م/ عرضه لأول مرة وزير الخارجية «بيرنس» «بعد حديث مطول مع «باروخ» على الرئيس «ترومان» في آذار «مارس» /١٩٤٦م/، بعد سبعة شهور من ضرب هيروشيما بالقنبلة الذرية ووافق «ترومان» على ذلك فوراً وبعد ذلك أصبح «باروخ» شخصية علنية في منصب رسمي وعلى الفور أخذ يقوم بوضع (مشروع وخطة «باروخ»).

وعرض «باروخ» مشروعه على لجنة الأمم المتحدة للطاقة الذرية في أول اجتماع لها في /١٤/ حزيران «يونيو» عام /١٩٤٦م/ وبلهجة «يَهْوَه» اللاوية عرض «باروخ» على الحاضرين الاختيار بين بركات ولعنات القنبلة الذرية وأطلق عليها اسم السلاح المطلق «بعد مرور سنتين ظهر السلاح النووي ودفع بالسلاح الذري إلى الوراء».

وعلى طريقة الأنبياء المعهودة قال «باروخ» إنه في حال إطاعته فإن العالم سيكون في نعيم وأمان، وعلى العكس فإن رفض ذلك سينتهي بالدمار والخراب. وبرأي مؤلف كتابنا هذا فإن مقترحاته هدفت إلى خلق ديكتاتورية عالمية تقوم على الإرهاب في أعلى مستوياته العالمية

ونترك للقارئ حرية الاستنتاج بنفسه: «علينا أن نختار بين السلام في كل العالم ودمار العالم كله... علينا أن نخلق نظاماً يضمن استخدام الطاقة الذرية للأهداف السليمة وينفي استخدامها في الأغراض الحربية. ولأجل ذلك علينا أن نضمن وجود عقوبات فورية سريعة أكيدة وفعالة ضد كل المخالفين للاتفاق الدولي بين الشعوب.

إن العقوبات هي ضرورة حتمية إذا كنا نرغب في أن لا يكون السلام عبارة عن مرحلة قصيرة مضطربة بين الحروب.

على الأمم المتحدة كذلك فرض مسؤولية إفرادية وعقوبات تقوم على مثل الأساس المقرر سابقاً من قبل الاتحاد السوفييتي وانكلترا والولايات المتحدة في نيورنبرغ- وهو بالتأكيد سيأتي بالفائدة لمستقبل العالم كله.

إننا في المشكلة السياسية الحالية لا نمثل فقط حكومتنا بل نحن نمثل شعوب العالم كله.

شعوب الدول الديموقراطية المجتمعة هنا لا تخاف من الأممية التي ستحميها. وليس لدى هذه الدول أي رغبة في آن تخدع بالثرثرة عن الاستقلال الضيق اليوم».

ونرى آن «باروخ» تحدث ليس كممثل للولايات المتحدة فقط بل تحدث باسم «شعوب العالم كلها» وطرح عليها السعادة عن طريق إنشاء محكمة نيورنبرغ دائمة «والتي على ما يبدو ستذيع قراراتها دائماً في يوم الحساب اليهودي».

وعلى هذا الأساس طرح فكرة المراقبة والتفتيش عن طريق إنشاء إدارة دولية قوية تراقب جميع النشاطات في مجال الطاقة الذرية وتمنح التصاريح للعمل في كل ما يتعلق بالصناعة الذرية. وأما بالنسبة للمخالفين لهذا النظام فقط استخدام عقوبات فورية مضمونة وفعالة كعقاب للحيازة غير المشروعة من القنابل الذرية آو مواد وتكنولوجيا صناعتها. وكرر مرة أخرى موضوع العقوبات وذكر بأن «موضوع العقوبات يشكل الأساس لكل نظام الأمن العالمي الحديث...

وثيقة الأمم المتحدة تسمح بالعقوبات فقط عند موافقة الدول العظمى الخمس... ولا يجوز آبداً استخدام حق النقض الفيتو لحماية من يخرق التعهد العلني الواضح الذي قدمه..... ولا تسمح القنابل بوجود مماطلة وتسويف الذي يمكن أن يصبح قاتلاً...

ويجب أن تكون الفترة ما بين الخرق والإجراءات الاحترازية أو العقوبة، قصيرة جداً ولا يجوز السماح بحدوث مجادلات ونقاشات فيما يتعلق بالإجراءات المتخذة... ومثل هذه القرارات تتطلب تضحية فيما يتعلق بكرامة ووضع الدول. ولا شك بأنه من الأفضل أن ندفع من أجل السلام ثمناً يتمثل في بعض الانتقاص من كبريائنا على أن تلاقي الموت القادم مع الحروب».

ويرى القارئ بأن «باروخ» يطرح من آجل تجنب الدمار ومنع استخدام الطاقة الذرية من أجل الحرب ولأجل ذلك اقترح إنشاء إدارة دولية فائقة السلطة تحتكر كل أمور الطاقة الذرية ولا تخضع لرقابة أحد وتحدد استخدام الطاقة الذرية نفسها كعقاب رادع لأي جهة تُعدها هذه الإدارة مذنبة وتستحق العقاب.

وقد سمح هذا الطرح للشعوب مشاهدة عالم المستقبل الذي جهزته لها «الحكومة الأممية» وكما كتب مؤرخ سيرة «باروخ» فإن الرئيس «ترومان» أيد هذه الخطة.

بعد ذلك أخذ «باروخ» يبذل جهوده للحصول على الأصوات الداعمة في اللجنة الدولية التابعة للأمم المتحدة لإصدار القرار المطلوب.

وبعد مرور نصف عام فقد صبره وهدد اللجنة بأن المماطلة والتأخير في ذلك يعادل الموت.

ولكن اللجنة لم توافق على ذلك وفي /٣١/ كانون الأول «ديسمبر» قدم «باروخ» استقالته وأصاب الخطة النسيان[1].

في كانون الثاني «يناير» /١٩٤٧م/ آعلن «باروخ» بأنه سيترك النشاط الاجتماعي على الرغم من آن نشاطه العلني السابق انحصر في وضع الخطة الذرية المذكورة أعلاه. ويقول مؤرخ سيرته بأن المراقبين السياسيين في آمريكا تراهنوا فيما بينهم على أنه لن يمر شهر واحد حتى يعود المستر «باروخ» إلى البيت الآبيض وإلى الكونغرس. وهو أمر حدث فعلاً. ونتذكر كيف تدخل «باروخ» بشكل حاسم في الضغط على وزير الدفاع «فوريستول» ومن ثم لقاؤه مع الصهيوني العتيد «بن خيخيت».

وبعد مرور ست سنوات وفي عام /١٩٥٣/ قام مؤرخ سيرة حياته بذكر حصيلة المقترحات التي حصل عليها الرئيس الجديد (يقصد «ايزنهاور») من المستشار الدائم الذي لا يتغير في البيت الآبيض وتلخصت هذه المقترحات في استنفار القوة والاستعداد خشية حدوث حرب وفي الرقابة الاستراتيجية العالمية وغيرها.

١- في العصر الحديث تقوم الولايات المتحدة وبعد زوال الاتحاد السوفييتي، باستخدام الوكالة الدولية للطاقة الذريه كأداة ضغط على الدول التي لا تتمارح مع ذوق الأمريكان والتهمة الجاهزة دائماً هي وجود أسلحة دمار شامل غير مشروعة والشرعية في هدا المجال هي الولاء لإسرائيل فالهند والباكستان مسموح لهما بامتلاك الأسلحة مثلاً، واما إيران العاصية على السيطرة الأمريكية (وبالتالي الإسرائيلية) فحتى التفكير في ذلك محرم وسياسه الوجهين والنفاق هي المميزة دائماً للسياسة الغربية، ويجدر الذكر أن إسرائيل هي من بين الدول التي لم توقع على اتفاقيات حظر الأسلحة النووية والكيميائية وتمتلك ترسانة واسعة من هذه الأسلحة، وعلى الرغم من ذلك يصمت العرب وأمريكا على ذلك -المترجم.

وأخيراً حدد «باروخ» هوية المعتدي الجديد الذي ستوجه مقترحاته ضد طالب لجنة مجلس النواب في عام /١٩٥٢/ أن تمنح كافة الصلاحيات اللازمة للرئيس الأمريكي للوقاية والاحتراز من عمل عدواني سوفييتي محتمل وحصر السلطات كلها في يد واحدة وهو أمر طالب به على مدى الحربين العالميتين[1].

ولكن في حقيقة الأمر كان لـ «باروخ» رأي آخر عن المعتدي الذي تحدث عنه بحذر وخوف في لجنة مجلس النواب فقد ذكر في مقابلة صحفية ما يلي: (قبل عدة سنوات التقيت في إحدى الحفلات مع السيد «فيشنيسكي» وقلت له: نحن وأنتم- مجانين. لدينا توجد قنبلة ولديكم كذلك قنبلة. هيا بنا نأخذ هذه القضية تحت رقابتنا ما دام الأمر لم يفت بعد وإلا وفيما نحن نتبادل الثرثرة سيقوم الجميع بتحصيل هذه القنابل...) «ديلي تلغراف /٩/ كانون الثاني «يناير» /١٩٥٦م/».

ولم ينظر السوفييت إلى السيد «باروخ» أيضاً كعدو لهم وقد تلقى دعوة لزيارة موسكو عام /١٩٤٨م/ ووافق على ذلك ولكن وعكة صحية أصابته في الطريق «في باريس» منعته من القيام بذلك «كان ذلك التبرير الذي طرحه هو بنفسه».

ومشاريع «باروخ» التي كشفها بنفسه حول «كبح العالم كله». أظهرت بوضوح لهذا العالم «١٩٤٦» المصير الذي ينتظره بعد قيام أي حرب عالمية كبرى.

في عام /١٩٤٧م/ ذكر «باروخ» بأن آباه قدم إلى أمريكا قبل مئة سنة. وهذا المثال بالذات يوضح لنا أكثر من غيره من الأمثلة التأثير الضخم الذي لعبته موجات الهجرة الجديدة في القرن التاسع عشر على أمريكا ومن خلال أمريكا على العالم كله.

(«باروخ» مات في عام /١٩٦٥م/ عن عمر يناهز /٩٥/ سنة- ملاحظة الترجمة-).

١- اعتاد اليهود على ابقاء الولايات المتحدة ومند بداية القرن العشرين في حالة تأهب أو حرب، ففي البداية كانت أسبانيا ومن ثم لعبت المانيا دور المعتدي حلال حربين عالميتين وجاء بعد ذلك الاتحاد السوفييتي وبعد انهياره اخترعوا صدام ومغامراته الدونكيشوتية وأسلحة دماره المزعومة، وبعد سقوط صدام ظهر على الساحة الإرهاب الإسلامي المزعوم على يد بن لادن وغيره، ومن هو التالي في خيال الصهاينة - المترجم

الفصل الخامس والأربعون

النفس اليهودية

من الطبيعي إن الأعوام الأولى الخمسين من القرن العشرين اليهودي «الكتاب كتب في الخمسينيات من القرن العشرين- ملاحظة الترجمة-» عملت عملها في النفس اليهودية ودفعت بها من جديد إلى وضع الاضطراب الهائج وحولت إلى متعصبين شوفينين عدداً كبيراً من اليهود كانوا قبل مئة وخمسين سنة من الآن يبدون على استعداد للاتحاد والانخراط مع بقية البشرية.

ولكنهم الآن من جديد في الأسر- إن السبي المتكرر لليهود كان يحدث دائماً على أيدي وجهائهم وحكمائهم وبواسطة العقائد الجامدة عن الشعب المختار ولم يكن بالتالي السبي أبداً من قبل الغرباء الأجانب.

وتحول اليهود في السبي الصهيوني وتحت سياط الوجهاء إلى أعظم قوة تدميرية عرفها التاريخ البشري في أي وقت من الأوقات.

وقد حددت الشوفينية التلمودية، التي تعود جذورها إلى كتاب «التثنية»، تاريخ القرن العشرين كله بحروبه وثوراته وحلوله المستقبلية.

إن كلمة شوفينية بحد ذاتها تعني الإفراط في أبراز الشعور القومي ويعود أصلها بالأساس إلى المدعو «نيكولاي شوفين» «Chovin» الذي كان ضابطاً لدى «نابليون»، وقد أحب هذا الرجل إمبراطوره إلى حد الهوس وإلى درجة أساءت إلى الولاء والوطنية، وأصبح يشار بها إلى الإفراط في الشعور الوطني أو القومي. ولكن حتى هذه العبارة والكلمة لا تكفي لوصف تأثير الصهيونية التلمودية على النفس العبرانية. ولا يوجد كلمة تصلح أفضل من «التلمودية» لوصف هذا الهيجان والجنون اللا محدود الفريد من نوعه.

في عام /١٩٣٣م/ كتب «برنارد براون» يقول: «أن تكون عبرانياً عن وعي وإدراك- هو أكثر أنواع الشوفينية ثباتاً. لأنها الشوفينية الوحيدة القائمة على مقدمات مزيفة. وهذه المقدمات تخرج من التلمود- التوراة؛ وبالذات القول بأن الرب وعد قبيلة محددة بالسيادة اللا محدودة على جميع الشعوب الأخرى المستعبدة من قبلها وكذلك الحق المطلق الاستثنائي في

الحياة الأخرى ومقابل ذلك كله كان عليها أن تلتزم حرفياً «بالشريعة» القائمة على تقديم الأضاحي الدموية وتدمير الشعوب الأضعف المستعبدة».

بغض النظر هل الشوفينية التلمودية أو الصهيونية (المؤلف يعد أن تعبير التلمودية والصهيونية يشير بشكل أصح إلى الشوفينية في ذلك المجال من تعبير المسيد «بارون» «الشوفينية اليهودية») هي بالفعل «أكثر أنواع الشوفينية ثباتاً» وقد أوضحت السنوات الخمسون الماضية أنها أكثر أشكال الشوفينية هياجاً وجنوناً وقسوة والتي لم تعرف البشرية لها مثيلاً. وتأثير هذه الشوفينية على العقلية اليهودية يبدو واضحاً في اللهجة الجديدة تماماً في الأدب العبري في أيامنا هذه.

وقبل أن نورد الأمثلة سنوضح نحن تأثيرات هذه الشوفينية المختلفة على جيلين في عائلة يهودية واحدة: على الأب وعلى الابن.

«هنري مورغنتاو الأب» كان يهودياً أمريكياً محترماً للغاية وعمل سفيراً للولايات المتحدة في تركيا. ويمكن اعتباره ثمرة جيدة لمساواة اليهود وانسجامهم في المجتمع الأمريكي في القرن التاسع عشر. ولا شك بأنه كان بإمكان اليهود أن يصبحوا مثله لولا تدخل الشوفينية التلمودية.

وإلى «مورغنتاو الآب» تعود الكلمات التالية: «الصهيونية- هي ضلال عظيم في التاريخ العبراني. لقد أكدت بأنها من حيث المبدأ كذب وزيف وروحياً هي عقيمة. الصهيونية- عبارة عن خيانة... إنها فكرة من شرق أوربة اعتنقها يهود أمريكا... ولو نجحت هذه الفكرة فسيُضيّع يهود أمريكا كل ما حصلوا عليه وحققوه من خلال الحرية والمساواة والأخوة. أنا لن اسمح بتسمية نفسي صهيونياً... أنا أمريكي».

الجيل التالي كان جيل ابنه «هنري مورغنتاو الابن» وهو جيل وجد نفسه مرتبطاً باستمرار بتأسيس الدولة الصهيونية ومع الانتقام التلمودي في أوربة.

وفي نهاية الأمر يمكن اعتبار الابن واحداً من الذين يتحملون المسؤولية عن العواقب التي حذر منها الأب كثيراً. ويشهد «حاييم وايزمان» عن الدور الحاسم الذي لعبه «مورغنتاو الابن» في دراما وراء الكواليس في نيويورك التي انتهت بتأسيس الدولة الصهيونية واعتراف الرئيس الأمريكي بها. وفي أوربة كان هو المبادر في تقسيم القارة القديمة (بواسطة خطة «مورغنتاو») وبالتالي ساعد على انتشار الثورة حتى وسط أوربة.

بعض أجزاء هذه الخطة «المصادق عليها من قبل «روزفلت» و «تشرشل» وقد حاولا فيما بعد التخلص من المسؤولية بعد أن تحققت الخطة على أرض الواقع» لها معاني خاصة وبالتحديد

تلك التي تفرض «تدمير كل المؤسسات الصناعية ومناجم الفحم التي لم تدمرها الحرب في ألمانيا». ومن الصعب بالفعل إيجاد مصدر أحر لهذه الفكرة الهمجية إلا التلمود والتوراة والتي تُطرح علينا «كشرائع ربانية».

ولقد أوضحنا سابقاً بأن الدولة الصهيونية في حد ذاتها قامت على جريمة «الدمار والتخريب الشامل» وطبقت الشرائع حرفياً في «دير ياسين».

ولولا وجود الشوفينية الصهيونية ورجال السياسة في الغرب العاملين لخدمتها كان بإمكان الابن أن يلحق بخطى أبيه ويصبح إنساناً نافعاً صالحاً.

وهذا المثال الواضح يبين لنا ما حدث مع عدد كبير من اليهود والتغيير الذي حدث في النفس اليهودية. وإذا كان وجهاء اليهود وأشرافهم قد قبلوا خدمة الصهيونية وجهدوا في تأمين الدعم الغربي لها فما بالك باليهود البسطاء الذين لم يعد لديهم أي خيار غير الركض وراءهم.

وهذا المنحى العام يجد انعكاساً له أيضاً في أدبيات الشوفينية التلمودية والمنتشرة بكميات كبيرة.

ومن المعروف أنه حتى أواسط القرن التاسع عشر كانت الكتب والأدبيات اليهودية الخاصة قليلة: وقد كُتبت بشكل خاص للطوائف الصغيرة المنعزلة عن باقي الناس وكانت تقرأ هناك. وفي الحالات العادية كانت نسبة الكتاب اليهود بين بقية الكتاب والمؤلفين تعادل نسبتهم في المجموع العام للسكان. وهم لم يكتبوا كيهود ولم يتطرقوا إلى الموضوعات اليهودية فقط بل كتبوا لجمهور القراء العريض وابتعدوا عن الطروحات الشوفينية ولم يطرحوا من الموضوعات العبرانية ما يمكن أن يُعده غير اليهود كفراً وهرطقة أو افتراء... الخ.

والتغيير الهائل الذي حصل في القرن العشرين يوضح ويعكس المدى الواسع لانتشار الشوفينية التلمودية، ويعكس كذلك الخضوع الإجباري لها من قبل الجمهور غير اليهودي. ولو قمنا بإحصاء كل الكتب المكتوبة في زماننا هذا حول الموضوعات اليهودية بأقلام يهودية وغير يهودية «فيما عدا الروايات» فإننا سنرى بأنها تمثل الجزء الأكبر من الأدبيات الثقافية المطبوعة في الغرب.

وأما التغيير في المستوى واللهجة فهو هائل فعلاً... وقد حدث ذلك بالتدريج، وبما أن أي نقد كان ممنوعاً في هذا الزمن ويُعد على الفور «معاداة للسامية» فإن الجمهور العريض لم ينتبه لما حدث ولم يستوعب المغزى منه. على الرغم من أنه يتوضح من المقارنة البسيطة: القسم الأكبر مما تحويه اليوم أدبيات الشوفينية التلمودية «فيما بعد سنستعرض بعض الأمثلة» لم يكن من الممكن أبداً طباعتها حتى في بداية القرن العشرين، وكانت ستُعد خرقاً لقواعد

السلوك والآداب السائدة. وكان الخوف من رد فعل المجتمع والقراء لا يسمح لأي ناشر أن ينشر مثل هذه المؤلفات.

نقطة الانطلاق في هذه العملية يمكن اعتبارها صدور كتاب «ماكس نورداو» في عام /١٨٩٥م/ تحت عنوان «الانحطاط» وهو الذي حدد اللهجة القادمة لكل الأدبيات الشوفينية العبرانية التالية. وفي الواقع كان القصد الأول من هذا الكتاب الإشارة إلى غير اليهود كلهم، بأنهم منحطون ومنحلون، وآثار الكتاب عند صدوره بهجة عارمة في جميع الأوساط الليبرالية في نهاية القرن التاسع عشر.

ومن الواضح جداً أن هذا الكتاب لم يتطرق إلى «الانحطاط» العبراني. وبالنسبة لمؤلفه كان الانحطاط صفة لكل شخص مناوئ للصهيونية.

وكما ذكرنا سابقاً فإن «ماكس نوردوا» كان اليد اليمنى لـ «هرتزل» وهو الذي تنبأ بدقة بحدوث الحرب العالمية الأول قبل حدوثها بفترة وبالدور الذي ستلعبه بريطانيا في إنشاء «الملاذ اليهودي».

وكتاب الانحطاط يُثير الانتباه والاهتمام من حيث موضوعه وبسبب تاريخ ظهوره في نفس سنة ظهور كتاب «هرتزل» «الدولة العبرية» وهو نفس سنة الثورة الروسية الأولى «لا شك بأن المؤلف يقصد ثورة عام /١٩٠٥م/ ويكون بذلك قد أخطأ بعشر سنوات فقط- ملاحظة الترجمة».

كتاب «الانحطاط» كان بداية فيضان غمر دول الغرب كلها بالأدبيات الشوفينية التلمودية. ومثالاً على ذلك في زماننا الحاضر يمكن اعتبار كتاب «ألمانيا يجب أن تقتل». بقلم المدعو «تيودور كاوفمان» الصادر في نيويورك عام /١٩٤١م/ عندما لم يعد «هتلر» و «ستالين» من ضمن الأصدقاء وبعد أن دخلت آمريكا الحرب.

وطالب «كاوفمان» بتدمير الشعب الألماني بالمعنى الحرفي التوراتي التلمودي. وكان على هذا التدمير أن يحدث عن طريق تعقيم جميع الألمان وجعلهم عاقرين «الرجال حتى سن الستين والنساء حتى سن الخامسة والأربعين» لمدة ثلاث سنوات بعد انتهاء الحرب وخلال هذه الفترة كان يجب إغلاق حدود ألمانيا تماماً.

وبعد انقضاء هذه الفترة يتم تقسيم أراضي آلمانيا وتوزيعها على الشعوب الأخرى بشكل يجعلها تختفي من على الخارطة الجغرافية وبالطبع مع كل سكانها.

وقد أجرى السيد «كاوفمان» حساباته بشكل تبين له أنه وبعد توقف الولادات الألمانية بفضل التعقير «التعقيم» فإن الموت الاعتيادي سيدمر العرق الألماني خلال فترة /٥٠-٦٠/ سنة.

الكتاب ظهر في عام /١٩٤١/ ورافقته مقالات مديح في أكبر الصحف الأمريكية: فقد وصفت جريدة نيويورك تايمز اقتراح «كاوفمان» بأنه «خطة للتوصل إلى السلام الدائم بين الشعوب المتحضرة». وأما جريدة «الواشنطن بوست» فقد قالت بأن هذا الاقتراح مثير للغاية... وخطة «كاوفمان» كانت في واقع الأمر الأكثر تلمودية من بين كل ما استطاع المؤلف أن يعثر عليه في هذا المجال.

ولكن توجد هناك كتب كثيرة متشبعة بروح هذه الخطط. والحقد والكراهية لم تكن متوجهة فقط ضد الألمان. في الكثير من الحالات كان العرب هم بيت القصيد. وفي أحيان أخرى وقع الإنكليز في ذلك المكان. وفي وقت سابق كان هذا الحقد متوجهاً ضد الأسبان والروس والبولنديين. وفي هذا الأمر لا يوجد أي شيء شخصي خاص، فقد وزعت تعاليم التلمود هذا الحقد على كل ما هو غير يهودي في عالم يعج بأعداء اليهود- حسب التعاليم اللاوية-[1].

والتزايد السريع والمفضوح لهذا الهذيان العنصري الحقود والذي لم تعد تضبطه أي اعتبارات أخلاقية سائدة، يشرح ويفسر القلق والانتقاد الذي عبر عنه المثقفون اليهود مثل «بارون» في عام /١٩٣٣م/ والحاخام «المير بيرغر» في الأربعينيات و «الفرد ليلينتال» في الخمسينيات. لقد كان خوفهم وقلقهم من انعكاس هذه الأحقاد في الأدبيات العبرانية مبرراً.

وقام الكتاب اليهود في كتبهم الواحد بعد الآخر، بالغوص في النفس اليهودية، في محاولة لتحليلها، وكان ذلك ينتهي دائماً إلى إبداء، نحو هذه المجموعة من الناس أو تلك من غير اليهود، عبارات الاحتقار والكراهية في أقوى تعابيرها الشوفينية.

فالكاتب العبراني المعروف «ارتور كيستلر»، كتب يحلل النفس اليهودية بالقول: «أكثر ما يثير الذهول هو أن الأسطورة عن الشعب المختار، يأخذ بها اليهود المؤمنون بحرفية مطلقة. وعلى الرغم من اعتراضهم الدائم على التمييز العرقي، فإنهم يشيرون إلى تفوقهم العرقي القائم على العهد بين «يعقوب» والرب».

ولكن تأثير هذا «الاكتشاف الصاعق» على هذه النفس اليهودية المحددة بالذات كان غير متوقع تماماً: «كلما ازدادت معرفتي باليهودية، كلما ازدادت المرارة التي أشعر بها، وهذا الأمر يُعمق صهيونيتي أكثر».

١- ونتذكر هنا ما جاء في العهد القديم عن قيام اولاد (يعقوب) وعبيدهم بذبح سكان مدينة شكيم (نابلس) بالكامل واستباحتها غدراً، فقط لأن أميرها تجرأ على الزواج من دينا ابنة (يعقوب) -المترجم

الدافع المحتمل «من الصعب هنا استخدام تعبير- السبب المحتمل- لوصف رد الفعل غير المنطقي هذا» للتأثير الغريب للعنصرية العبرانية على السيد «كيستلير»، لا بد من البحث عنه في شكاويه من اضطهاد اليهود وملاحقتهم في أوربة وطردهم من هناك المكتوبة على مائتي صفحة.

ولكن بحثه عن الحق والعدالة لا يشمل العرب، الذين حسب رأيه يستحقون ما حدث معهم ويبدو ذلك واضحاً في وصفه لعائلة عربية «تعرضت للطرد من فلسطين» بالكلمات التالية المتشبعة بالاحتقار الواضح: «سارت العجوز في المقدمة وهي تقود وراءها حماراً يحمل زوجها الشيخ... الذي ملأت الحسرة نفسه، بسبب ضياع، فرصة النوم مع حفيده الأصغر».

أي بكلام آخر، إذا كان الطرف المضطهد غير يهودي فإن الملاحقة والطرد أمر ممكن جداً ولا سيما إذا كان الحديث يدور عن نفسيات مريضة مثل هذا العجوز.

إن التبدل في اللهجة وفي قواعد الأخلاق المعهودة، الملاحظ في الأدب العبراني المعاصر لنا، يمكن متابعته أيضاً في كتابات السيد «بن خيخيت» الذي وكما ذكرنا سابقاً كان شديد الأسف لعدم تمكنه من تحويل «يسوع المسيح» إلى لحمة مفرومة، بدلاً من القيام بصلبه، لأن ذلك- حسب رأي «بن خيخيت»- كان سيمنع المسيحية من الظهور- إلى هذا العالم.

ومن الصعب حتى التصور بأن ناشراً ما كان يسمح أو سيرضى بنشر مثل هذه السفالة والقرف والتي كان هدفها الوحيد هو إهانة الأحاسيس الدينية للقسم الأكبر من سكان العالم المتحضر وبهذا الشكل القذر، وقد كتب «بن خيخيت» ما يلي: «خلال أربعين عاماً عشت في هذه البلاد «أمريكا» ولم أقابل أي معاداة للسامية ولم أفكر حتى بوجودها».

والاستنتاج المنطقي من ذلك هو آن السيد «بن خيخيت» لم يكن يرغب العيش في مكان آخر غير أمريكا ولكنه على الرغم من ذلك، قال في فترة ظهور الدولة الصهيونية، بأنه كلما قتل جندي بريطاني في فلسطين «كان يهود أمريكا يحتفلون بذلك في قلوبهم».

تُقدم لنا كُتب السيد «ميئير ليفين» تفهماً عميقاً «غير معقول» للتغيير الذي حدث في النفس اليهودية المعاصرة لنا وحسب رآي مؤلف هذا العمل، تحتوي هذه الكتب أيضاً على أمور لم يكن من الممكن طباعتها ونشرها في وقت سابق.

آحد الكتب يحمل عنوان «بحثاً عن» «In Search» وهو يوضح ما قصده «سيلفين ليفي» في مؤتمر فرساي للسلام عام /١٩١٩م/، عندما تحدث عن «النزعات والاتجاهات المتفجرة» للعبرانية الشرقية.

فالسيد «ليفين» ولد في آمريكا وكانت عائلته قد قدمت من أوربة الشرقية وتربى منذ طفولته على كراهية الروس والبولنديين وعلى ما يبدو أنه حتى في البلاد الجديدة لم يجد لنفسه ما يسر القلب، لذلك مارس منذ شبابه النشاط الدعائي التخريبي وسط العمال في شيكاغو. ويشرح كيف آضاع نصف عمره في المحاولات المؤلمة لترك وهجران عبرانيته ومن ثم العودة إليها.

وإذا كان اليهود فعلاً يُعدون آنفسهم متميزين تماماً عن بقية البشرية، فإن السيد «ليفين» يظهر لقراء كتابه بأن هذا الاعتقاد هو ناتج لشذوذ ثابت مزمن إلى حد الشعوذة والتصوف.

وحسب كلماته، فهو مراراً طرح على نفسه سؤالاً محيراً «من أنا؟» و «ماذا أفعل هنا؟».

وهو يؤكد بأن اليهود في كل مكان يطرحون على أنفسهم هذه الأسئلة. ومن ثم يسرد علينا بعض الاكتشافات التي حصل عليها نتيجة محاولته الإجابة على تلك الأسئلة والقيام بالتحليل الذاتي.

ويقوم خلال ذلك بالتعرض إلى قضية القتلة «ليوبولد» و «ليب» من شيكاغو «شابان يهوديان من عائلات ثرية، قاما بتشويه طفل صغير، يهودي أيضاً، ومن ثم قتله بدوافع شاذة جداً» وكتب يقول: «آنا أعتقد بأنه بالإضافة إلى الرعب الذي تجلبه هذه القضية، رعب الإدراك بأنه في المخلوقات البشرية يمكن آن تكون هناك دوافع أخرى للقتل، بالإضافة إلى الدوافع الشهوانية ودوافع الكره والحشع. فضلاً عن ذلك لقد أحسستُ بشعور اعتزاز مكبوت لمقدرة هذين الشابين الفذة وشعرت بالميل والتعاطف معهما لأنهما أصبحا عبدين لفضولهما الإدراكي الذهني الخالص، وبالاعتزاز بأنه وحتى هذا المستوى الجديد من الجريمة، تمكن اليهود من الوصول إليه. وبالإضافة إلى شعور الشغف بالتجربة الجديدة، الذي سيطر علي، شعرت أيضاً بأنني اتفهمهما تماماً وآنني بوصفي شاباً مثقفاً يهودياً، أملك قرابة روحية معهما».

في مكان آخر يشرح لنا دوره «يُسمي نفسه خلال ذلك «مساعد متطوع» ولكن الأصح هو أن يشار إليه كمحرض وداعٍ» في إضربات عمال التعدين في شيكاغو في عام /١٩٣٧م/ والتي أدت إلى مصادمات مع الشرطة وقتل نتيجتها الكثير من العمال. وظهر «المساعد الطوعي» السيد «ليفين» في صفوف المتظاهرين وهرب مع الآخرين عندما بدأ إطلاق النار. وهو لم يكن لا عامل تعدين ولا يمت إلى المتظاهرين بصلة. بعد ذلك قام هو مع جماعة أخرى «على ما يبدو أيضاً مساعدين متطوعين» بتنظيم اجتماع حاشد، عرضوا خلاله على الحشد المتواجد صوراً لا تمت بأي علاقة لما حدث. وآضافوا إليها تعليقات أثارت هيجان الحاضرين الذين لم يملكوا أي تصور عن حقيقة هذه الصور: «وارتفع صياح وزعيق، ظننت بعده أن القاعة كلها قد تحولت إلى مرجل من الغضب الشديد الغليان، الذي قد ينهمر عليّ. وشعرت بأنني لن

أستطيع أبداً السيطرة على الحشد الساخط الغاضب وبأنه سيندفع عبر البوابات إلى الخارج وسيحطم ويحرق بناية مجلس المدينة- لقد أثارت الصور، الجمهور الحاشد «الصور التي قمت بعرضها»... في تلك اللحظات أحسستُ بقيمة خطر السلطة وفهمت أن كلمات قليلة أخرى يمكن أن تطلق عنان عنف لا مثيل له.

وإذا أحسست في بعض الأحيان بأنني لا أمتُّ بأي صلة إلى كل ذلك كفنان يهودي دخيل على كل ذلك، ولكن على الرغم من ذلك فقد أحسست بوضوح، بوجود تيار سخط عالمي شامل.... واستوعبت، وكما يبدو، بأن أحد أسباب ميول اليهود إلى الإصلاح الاجتماعي، كان الشعور بضرورة الانخراط في هذه الحركات التي تمس القضايا اليهودية».

ولا يبقى أمام القارئ الحيادي غير المتحامل، عند قراءته لهذه الكلمات إلا أن يتذكر ما كتبه «موريس صاموئيل» في عام /١٩٢٤م/ على شكل شكوى أو على شكل تهديد: «نحن اليهود- مُخربون وسنبقى إلى الأبد مخربين».

وعلى ما يبدو أنه فقط كمحُرض غريب للآخرين، كان السيد «ليفين» يشعر بنفسه مشتركاً في بعض الأمور المذكورة والتي تتضمن في نفسها «قضاياه» أيضاً.

إن تحريض حشد الرعاع الغبي الذي لا يفقه ولا يناقش في شيء، هو الموضوع الأكثر وضوحاً وتواجداً في كل محتويات «بروتوكولات» عام /١٩٠٢م/.

وكما نرى فإن «ليفين» نفسه يعترف بأنه فقط كمحرض كان يقدر أن يشعر بنفسه جزءاً من البشرية جمعاء. ولم تتغير نفسيته حتى في السنين المقبلة.

وأما فيما يتعلق بالصهيونية فإنها لم تكن معروفة تقريباً في أمريكا أيام شباب «ليفين». وعندما بلغ «ليفين» سن العشرين في عام /١٩٢٥م/ كانت الصهيونية لا تزال «أمراً لم يلحق بالوصول إلى وعي اليهود المولودين في أمريكا... لقد انشغل بها فقط أصحاب اللحى من الوطن القديم... وإذا حصل وسُحِبَ يهودي أمريكي إلى اجتماع صهيوني، فإنه سيلاحظ بأن المتحدثين يتكلمون بلكنة روسية «يتحدثون الانكليزية بلكنة روسية» أو ينتقلون إلى لغة «الأيدش». إن عائلتي لم تبد أي اهتمام بهذه الحركة».

أي أن التغيير كما نرى حدث خلال جيل واحد، كما حدث في عائلة «مورغنتاو» بين الأب والابن.

عائلة «ليفين» القادمة من دولة زعموا بأنها قامت بملاحقتهم، كانت «العائلة» مسرورة تماماً من ظروف معيشتها في وطنها الجديد. ولكن الابن لم يكن مسروراً وسرعان ما غادر إلى فلسطين حيث صب أحقاده على العرب الذين لم يسمع حتى بوجودهم خلال فترة شبابه.

ويكتب «ليفين» عن آمر عده طريفاً ومسلياً، حدث معه في مستعمرة صهيونية في فلسطين، عندما تقدم رجل عربي كان يعمل في الحقل، نحو «ليفين» وأصدقائه وطلب منهم بأدب قليلاً من الماء ليشرب. فأشار الأصدقاء إلى برميل ماء وشرب العربي منه شاكراً وضحكات الشباب اليهود ترافقه لأن البرميل احتوى على ماء لسقاية الخيول.

بعد مرور عشر سنوات، اشترك «ليفين» في عملية الانتقام التلمودية من ألمانيا المهزومة. وكان «ليفين» في ذلك الحين يعمل مراسلاً لجريدة أمريكية. وقد سرد كيف قام هو ومراسلون آخرون- أيضاً يهود- بالتجوال في سيارة جيب مسلحة في أرجاء ألمانيا، كمنتصرين يحطمون ويسرقون كل ما قابلهم بنشوة ومتعة

وكتب فيما بعد بأن الخوف من مقاومة المهزومين- الألمان- هو فقط الذي منع «ليفين» وشلته من الرغبة العارمة باغتصاب النساء الألمانيات.

«ولكن الكراهية كانت تبلغ في بعض الأحيان مقداراً تصبح معه رغبة الاغتصاب لا تطاق».

وكان لدى «ليفين» وأصحابه رغبة واحدة وهي: «رمي الفتاة على الأرض وتمزيقها إرباً إرباً».

وقد بحث الأصدقاء فيما بينهم الظروف المثالية لمثل هذا الاغتصاب وخرجوا باستنتاج بأنه يجب أن يحدث على طريق ريفية قريبة من الغابة حيث الحركة نادرة، وعلى الطريق تسير فتاة مشياً على الأقدام أو على دراجة هوائية».

وقام «ليفين» وزميل له «بتجربة» بحثا فيها عن «ظروف مثالية» وعثرا أخيراً على فتاة وحيدة وظروف مواتية تماماً. وقد أبقيا الفتاة فيما بعد على قيد الحياة- حسب قوله- وكان الرعب يتملكها تماماً. والمؤلف يتساءل هل السبب في عدم قتلهما لها، هو خشية أحدهما من الآخر. وقد بدأ السيد «ليفين» في عام /١٩٥٠م/ بتأليف كتابه «كتاب عن ماذا يعني أن تكون يهودياً».

وهذا الكتاب وغيره من الكتب المماثلة تفسر لنا سبب تخوف عدد نادر من النقاد اليهود من مسار الأحداث وتطورها خلال منتصف القرن الماضي، لأنه يشهد على الانبعاث المخيف للنفس اليهودية تحت ضغط الشوفينية التلمودية.

وأكثر ما يتضح من كتاب «ليفين»، بان المذكور كان في بداية كتابه وفي نهايته قليل العلم عن معنى «ماذا يعني أن تكون يهودياً».

وقد كتب المئات الآخرون عن هذا الموضوع المعقد والعقيم ولكن بلا جدوى. ولم يظهر ولا كتاب يهودي عن كيف يمكن أن تكون إنساناً طبيعياً بين الناس الآخرين. وأصبحت

الكتب المحشوة بالحقد والتحريض على العنف، هي السمة المميزة لنهاية القرن العشرين وقد كبح أي نقد لذلك واعتبر معاداة للسامية.

إنه عصر الشوفينية التلمودية والإمبريالية التلمودية. وتقريباً قبل مئة عام «الكتاب ألفه «دوغلاس ريد» في الخمسينيات من القرن العشرين- ملاحظة الترجمة» توقع الكاتب الألماني «فيلغيلم مار» ما يحدث في أيامنا هذه لقد كان هذا الشخص في يوم ما، ثورياً متآمراً وساعد كثيراً المنظمات السرية «التي ذكر «ديزرائيلي»، قيادة اليهود لها» على تحضير الانتفاضة الفاشلة في عام /١٨٤٨م/. وتميزت كتاباته في تلك الفترة بطابع تلمودي واضح على الرغم من أنه لم يكن يهودياً: إنه- حصيلة للإلحاد والفوضوية ومعاداة المسيحية. ولكن فيما بعد وعلى غرار «باكونين» «كان لديه الكثير من الصفات المشتركة معه» اكتشف الرجل، الطابع الحقيقي للقيادة الثورية وكتب في عام /١٨٧٩م/: «أنا على ثقة تامة بأن قدوم الإمبريالية اليهودية هو أمر يتعلق بالزمن فقط.. إن الإمبراطورية العالمية تعود لليهود... والويل والشجون للمهزومين...

لا يوجد لدي أي شك بأنه وقبل مرور أربعة أجيال لن يبقى أي منصب في الدولة بما فيها أعلى المناصب إلا وسيصبح في أيدي اليهود. في الوقت الحاضر، بين الدول الأوربية، فقط روسيا صمدت أمام الضغط اليهودي ورفضت الاعتراف بمساواة للعناصر الدخيلة عليها.

روسيا هي القلعة الأخيرة لأوربا، وضدها بالذات يجهز اليهود ضربتهم القاضية.

وتشير المعطيات إلى أن الهزيمة والاستسلام الروسي هو أيضاً موضوع وقت فقط «هذه الكلمات كتبت خلال انتشار الإرهاب الثوري في روسيا، وفقط قبل سنتين من حدوث المحاولة السابعة، والتي نجحت هذه المرة، لاغتيال القيصر الروسي «ألكسندر- الثاني»- ملاحظة الترجمة-»...

في هذه الإمبراطورية الواسعة ستجد العبرانية على نقطة استناد لها، تستطيع منها أن توجه ضربة قاضية لأوربا الغربية وقيمها ومثلها العليا. لذلك سيفجر المتآمرون اليهود في روسيا ثورة لم يعرف العالم والتاريخ لها مثيلاً.

... في الوقت الحالي لا تزال العبرانية في روسيا تخاف من الطرد إلى الخارج، ولكن إذا سقطت روسيا لم ولن يبقى لديهم شيء يخشونه.

وسيبدأ اليهود بعد اغتصابهم للسلطة في الدولة الروسية، بتدمير المنظمات الاجتماعية في أوربة الغربية، وهذا المصير الأخير لأوربا سيأتي بعد مئة أو مئة وخمسين عاماً على الأكثر».

ونظرة إلى الوضع الحالي لأوربا بعد الحرب العالمية الثانية، تؤكد بأن معظم هذه التوقعات قد تحققت، وبقي فقط الاكتمال الشكل النهائي. ولكن السيد «مار» قد يكون تسرع حين اعتبر بأن الأوان قد فات وأنه لم يعد هناك أمل، فالتاريخ البشري لم يعرف حتى الآن انتصارات نهائية مطلقة أو حلولاً لا عودة فيها أو سلاحاً لا يُغلب أبداً، ونتذكر هنا ما جاء في العهد الجديد: «هذه ليست النهاية». ولكن لا يوجد أي شك في المرحلة الأخيرة من توقعات «مار»، وفي القسم الثالث من دراما القرن العشرين الذي يدور أمام عيوننا ومهما كانت نهايته وأي كانت عواقبه. ومع استعدادها لهذا القسم، تمكنت التلمودية من جديد آن تسيطر على النفس اليهودية وتأسرها مرة أخرى.

وقد لاحظ الموثق اليهودي والكاتب المعروف «جورج ساكولسكي» من نيويورك، في كانون الثاني «يناير» /١٩٥٦م/ بأنه «في الماضي كانت توجد معارضة كبيرة للصهيونية في الأوساط اليهودية العالمية ولكن هذه المعارضة أخذت تتلاشى مع السنين وهناك حيث ظلت بقاياها، لم تعد مرغوبة، لدرجة أصبح من الضروري عليها أن تتخفى.

وفي الولايات المتحدة انعدمت تقريباً بين اليهود أي معارضة لإسرائيل».

ونلاحظ الآن آيضاً، أن الأصوات القليلة المعارضة والمحذِرة- على غرار النبي «آراميا»- تعود جميعها لليهود، والسبب في ذلك لا يكمن في انعدام الشجاعة أو في قلة الاطلاع «على هذا الموضوع» لدى الأدباء والمفكرين غير اليهود، بل إن القصة وما فيها آن النقد والاعتراض في هذا المجال مسموح نسبياً وإلى حدود معينة لليهود ولكنه محرم بتاتاً على غير اليهود.

مثالاً على ذلك يمكن اعتبار عام /١٩٥٦/ وهو عام الانتخابات الرئاسية الأمريكية، حيث أي نقد للصهيونية وإسرائيل محرم بالطبع. في تلك الفترة كانت اعتداءات إسرائيل على جيرانها العرب يتم تصويرها من قبل الصحافة هناك على أنها دفاع عن النفس أو انتقام وعقاب على عمل ما مزعوم.

وتتابعت الاعتداءات الإسرائيلية الواحدة بعد الأخرى ولم يتجرأ أحد، من الرئيس ومروراً بالوزراء وانتهاءً بموظفي وزارة الخارجية بتقديم أي نقد، على الرغم من وحشية الهجمات الإسرائيلية واستمرارها (كانت بشكل أقسى من «دير ياسين»). وتنافس المرشحان من الحزبين الأساسيين بالتملق لإسرائيل مطالبين بتسليحها بشكل أفضل... في هذا الوقت بالذات قام ما يقارب الـ /٢٠٠٠/ من اليهود الأرثوذكس بالتجمع في ساحة «يونيون سكفير» في نيويورك للاحتجاج على الاضطهاد الديني في دولة إسرائيل. ولدى ذكر اسم «بن غوريون» رئيس وزراء إسرائيل، قام الحاضرون بالتصفير وتعرض المذكور لنقد شديد من بعض

الحاخامات المتواجدين هناك، وبالطبع لم يكن الاحتجاج لأجل العرب ولم يذكرهم أحد حتى بكلمة.

لقد كان سبب الاحتجاج هو عدم تقيد حكومة «بن غوريون» بالأعراف الدينية اليهودية وخصوصاً فيما يتعلق بيوم السبت المقدس لدى اليهود.

الاحتجاج كان علنياً ومفتوحاً واستطاع اليهود «نسبياً» قول ما أرادوا قوله، ولكنه في الوقت نفسه كان محرماً على غير اليهود. وأصبح هذا الأمر قاعدة سائدة في جميع وسائل الإعلام في الغرب وبخاصة الأمريكية منها، في النصف الأول من القرن العشرين[1].

وقد حاول اليهودي الأمريكي «فرانك هودوروف»، اطلاع الحكومة الأمريكية عبر مجلة «Human Events» في /١٠/ آذار «مارس» /١٩٥٦م/، بأنها في الشرق الأوسط «في واقع الأمر تملك علاقات ليس مع حكومة إسرائيل بل مع يهود أمريكا... ولا يوجد هناك أي شك بوجود عدد كبير من الأمريكيين من أتباع الديانة اليهودية الجيدين والموالين لأمريكا، كانوا سيرحبون بالتبادل الصريح للآراء في هذا الموضوع، وليس فقط لكي يؤكدوا ولاءهم لبلادنا «أمريكا» وليعلنوا وقوفهم ضد الصهيونية العالمية، بل وليتحرروا آخيراً من النير واللجام الصهيوني الذي عليهم».

وعلى صفحات نفس المجلة في العدد الصادر في /١٠/ أيلول «سبتمبر» /١٩٥٥م/. كرر السيد «الفريد ليلينتال» نفس توسلات وزير الدفاع الأمريكي السابق «فوريستول»، اليائسة إلى الحزبين الرئيسين في أمريكا حول «انتزاع الموضوع العربي- الإسرائيلي من السياسة الداخلية الأمريكية».

وتجدر الإشارة أن التحذيرين اليهوديين المذكورين أعلاه ظهرا على صفحات نشرة تصدر في واشنطن ذات سمعة جيدة ولكنها محدودة الأعداد وأما الصحف الكبرى فقد رفضت نشر ذلك.

ويكرر النقاد اليهود في أيامنا التحذير من الكارثة القادمة ونحن نتذكر بأن «برنارد براون» كان قد توقع باقترابها في عام /١٩٣٣م/: «لم يحدث قط في التاريخ البشري أن تواجدت مجموعة من الناس، تاهت في أخطائها الذاتية وأصرت على رغبتها في عدم رؤية الحقيقة، مثل شعبنا على مدى الـ /٣٠٠/ سنة الأخيرة».

١- في النصف الثاني من القرن العشرين زاد الأمر قباحة وسيطر الصهاينة على وسائل الإعلام المطبوعة والمسموعة والمرئية وكانت السيطرة تامة -المترجم.

وفترة الـ /٣٠٠/ سنة المذكورة تشمل فيما تشمل، ظهور اليهود الشرقيين التلموديين في أوربة والغرب وانتصار التلموديين في الحرب ضد مساواة اليهود في الغرب والشرق.

وقد أشار ولمّح فقط السيد «براون» إلى إمكان حدوث الكارثة. ولكن بعد مرور خمس عشرة سنة، أخذ النقاد اليهود يذكرون ذلك بصراحة. فمثلاً كتب الحاخام «المير بيرغر» في عام /١٩٥١م/: «إذا لم يقم الأمريكيون من أتباع الديانة اليهودية والأمريكيون من أتباع الديانات الأخرى المخدوعون من قبل الصهيونية، بالعودة إلى أسس الروح الأمريكية والروح اليهودية، فإننا سننزلق إلى الكارثة».

ونشير إلى أن مقدمة كتاب الحاخام «بيرغر» قد كتبها كاتب غير يهودي وهو صاحب مجلة مسيحية تدعى «The Christian Centuy» وهو الدكتور «بول هاتتشينسون» والذي قال بتحديد أكبر: «إصرار اليهود الأمريكيين في رفض المساواة يؤدي إلى أزمة يمكن أن تكون نتائجها شديدة المأساوية. وقد أصبح الآن واضحاً جداً، بأن كل مرة عندما تقع إسرائيل في مأزق «وسياستها في مجال الهجرة والاقتصاد بشكل خاص محتوم عليها الفشل بكل ما في هذه الكلمة من معنى» على الجميع أن يتوقعوا صدور ضغط هائل من يهود أمريكا على الحكومة الأمريكية لكي تركض وتصحح الأمر.

ولا يخجل القادة الصهاينة في هذه المرحلة، من استخدام أكثر طرق الابتزاز السياسي تطرفاً».

وقد كُتبت هذه الكلمات قبل فترة طويلة من قيام الرئيس «ترومان» بتأكيدها في مذكراته: «هذا الأمر يمكن أن يستمر فترة أخرى من الزمن، بفضل النظام الانتخابي الغريب لدينا... ولكن نيويورك ليست الولايات المتحدة كلها، وإذا استمرت مثل أعمال لوي الذراعين هذه، لمصلحة دولة أجنبية- فاحذروا الانفجار».

ولكن هذه التحذيرات الواضحة جداً من اليهود، يمكن أن تضلل غير اليهود وتوهمهم بأن الكارثة القادمة ستصيب اليهود فقط «وهي من صنع أيديهم» ولذلك قد يقول البعض Schilessich «أي أنهم يستحقون ذلك»[1] ولكن في مثل هذا الضلال يمكن أن يقع فقط الأغبياء والحقودون.

وفي الواقع، القول بأن «الكارثة اليهودية» هي ظاهرة شاذة ولكنها موجودة خالدة على مر العصور، هو ضلال عميق. لأن الواقع يشير إلى أنها نسبة ضئيلة في مجموع المآسي العامة للبشر ولنقل بأنها ليست أكثر من واحد بالمئة منها.

١- أو كما يقول المثل السوري العامي (خرجهم الله لا يردهم) -المترجم.

والتزوير المخيف حول «الستة ملايين قتيل يهودي» لن يُفسر شيئاً من الحقيقة. والكارثة التي ظهرت في الأفق، خلال العهود الأخيرة، ستكون النسبة اليهودية فيها ضئيلة كالعادة ولكن على الرغم من ذلك سيجري تصويرها على أنها «الكارثة اليهودية» كما كان الأمر في الحرب العالمية الثانية وسيجري أيضاً تزوير كل شيء ويعرض على الشاشات ليتفرج عليه الرعاع الجالسون في القاعات المعتمة.

وعلى ما يبدو أن اليهود- في غالب الأحيان- لا يستطيعون تقدير حقيقة أي بلاء يصيب الناس «يهوداً وغير يهود» بشكل موضوعي ومهما كان عظيماً عدد غير اليهود فيه ستتم الإشارة إلى آن هذا البلاء كان كارثة يهودية ومن الصعب أن لا نرى في مثل هذه البسكولوجيا، نتيجة لعمل التلمود والتوراة، الذي يُصر على آن الشعب المحتار وحده هو المخلوقات البشرية أما بقية الشعوب فهي عبارة عن حيوانات. ومثالاً على هذا النمط من التفكير، نحصل عليه على سبيل المثال من كتاب المدعو «كارل شتيرن» بعنوان «عمود النار» والمذكور يهودي عاش في ألمانيا في فترة ما بين الحربين ومن ثم هاجر إلى كندا واعتنق الكاثوليكية.

وقد كتب عن جمعيات الشباب اليهودية في ألمانيا في العشرينيات وذكر «وجود هناك منحى مزاجي عام، آشار إلى الأحداث التي جرت في ما بعد، وقد تشرب هذا المزاج بالخوف والشك والتساؤل وفي انتظار الكارثة العظيمة اليهودية أو بالأحرى الكارثة اليهودية الكبرى والتي سترتبط بها مصائر اليهود بشكل خفي غريب».

في هذه الكلمات، تتواجد الحقيقة فقط في الجزء الثاني منها وهي تأتي كتعديل فكري لم يطرحه أي كاتب يهودي بشكل صريح. و «شتيرن» في هذا المجال يُعد استثناء. وهو في كتابته عن الكارثة اليهودية العظيمة استوعب «واعترف» بعدم حقيقتها وأجرى تصحيحاً في ذلك. ولكن حتى هو أبقى الجزء الأول من عبارته في مكانها المعهود.

ولا شك بأن السبب في ذلك هو التربية والمعارف الموروثة والتي لا تزال موجودة وحاضرة بشكل قوي في هذا الشخص إلى درجة أنه لا يزال يُعد بأن الكارثة التي أصابت /٣٥٠/ مليون شخص في أوربة وشردت وقتلت الملايين من الناس، كانت بالنسبة له فقط «كارثة يهودية عظيمة».

ولو أن الأمر مس قضية أخرى، لكان «شتيرن» أول من صاح واحتج على مثل هذا المنحى. فهو نفسه على سبيل المثال يقول إن الإهانة والسخط أصابه، عندما قرأ في مجلة كاثوليكية، عن غواصة إنكليزية غرقت وإنه كان بين طاقمها عدد من الكاثوليك،

أشارت إليهم المجلة بشكل خاص، وأذهله فرز مجموعة معينة من الضحايا من بين الكتلة العامة للضحايا: «أنا لا أفهم، هل سيهتم أحد بمثل هذه الإحصائيات». ولكن على الرغم من ذلك يسمح لنفسه بالكلام عن «الكارثة اليهودية العظيمة».

هذه الكارثة التي يجري تجهيزها لنا جميعاً في هذا الزمن لا يمكن أن تكون يهودية خالصة، فيما يخص عدد الضحايا العام ونسبة اليهود فيهم. ولكنها ستكون يهودية من منطلق، ضغط «القضية اليهودية» عليها وبالطبع سيستخدم الجمهور اليهودي «حتماً» لتسهيل التفجير الأول فيها.

والجمهور «أو الحشد والرعاع» اليهودي يتميز بميزة واحدة عن الجمهور الآخر وهو إنه يمتص بشكل أسهل التحريض الشوفيني ويكون أكثر جنوناً وهياجاً في هذه الحالة.

والموسوعة العبرانية في مقالة صغيرة عن ظاهرة الهستيريا بين اليهود، تعترف بأن ميل اليهود إلى ذلك أقوى بكثير من ميل الشعوب الأخرى إلى الهستيريا. وعلى الرغم من أن المؤلف ليس مختصاً في هذا المجال إلا أنه سيسمح لنفسه بالقول، بأن ذلك هو نتيجة للانعزال على مدى قرون طويلة في «الغيتوات» الضيقة سادتها الاستبدادية التلمودية المطلقة. والأمر بالتأكيد كذلك لأننا الآن نتعامل مع يهود أوربة الشرقية- إلى حد كبير- وهم الذين عاشوا في ظروف كهذه.

لقد قمنا حتى الآن في هذا الفصل باستعراض نتائج الهستيريا الشوفينية التلمودية على صفحات الكتب والمطبوعات.

وأما الأسباب فلتحديدها، على القارئ أن تقوم بعمل أكثر صعوبة وتعقيداً: عليه آن يتابع باهتمام المطبوعات باللغة العبرية أو لغة «أيدش» أو التراجم لهذه المطبوعات وسيرى حين ذلك الصورة الحقيقية للعذاب الشيطاني المؤلم الذي تتعرض له النفس اليهودية والذي لا يسمح ولو بدقيقة واحدة من الراحة والسكون لها.

وسيتمكن القارئ من الخروج باستنتاج بأنه لا يمكن آبداً العثور في الوسط غير اليهودي على أمر أكثر عداء للعبرانية من هذا السيل من المطبوعات، الذي يشهد على وجود براعة فائقة في استخدام وسائل الإيحاء وفي نشر الرعب.

وفي ما يلي نستعرض ما كتبه أحد أشهر الموثقين اليهود في أمريكا في الوقت الحالي وهو المدعو «ويليام تسوكرمان» المنشورة في ١٩/ أيار «مايو» /١٩٥٠م/ في الجريدة اليهودية «Sauth African Jewish Times» والمقالة بعنوان «انتصب شعر رأس اليهود واقفاً» وهي تبدآ بالكلمات التالية: «يندلع جدل صاخب في العالم الصهيوني ولكنه لم يصل بعد إلى الأذن غير اليهودية، وحتى إلى المطبوعات العبرانية في إنكلترا.

ولكنه محتدم في الجرائد العبرانية في إسرائيل والمطبوعات بلغة «الأيدش» في أمريكا وأوربة... وهو أفضل من غيره خلال السنوات الكثيرة الماضية، يعطينا فكرة عن قطاع الفكر والإحساس اليهودي خلال الفترة التي أعقبت ظهور إسرائيل».

ومن ثم يوضح لنا المؤلف المذكور بأن الجدل يدور حول «موضوع «هالوتسويت» وهو ما يعني تنظيم وإعداد الهجرة اليهودية إلى إسرائيل من بقية دول العالم وعلى الأخص من أمريكا».

في عام /١٩٥٠/ كتب «تسوكرمان» بشيء من الإحساس الذي يشوبه الحذر، مستنداً إلى الناقد الأدبي اليهودي القدير «شليومو نيغيرا»، الذي لم ينتقد حملة تهجير اليهود الأمريكيين إلى إسرائيل بل انتقد الأسلوب الذي قدمت به إلى يهود أمريكا. هذا الأسلوب حسب رأي «نيغيرا» يحمل طابعاً سلبياً واضحاً وهو لا يمدح إسرائيل بل يذم كل البقية الباقية من الدول والناس: «يقوم القوميون المتعصبون بحملة لنفي وتشويه وتخريب كل ما هو يهودي خارج حدود إسرائيل. وتصور الحياة اليهودية في الولايات المتحدة وبقية العالم على أنها تستحق فقط الاحتقار والكراهية. ويلعن كل شيء يهودي خارج إسرائيل ويقال عنه بأنه عبودية حقيرة سافلة

وتنص المقولة الأساسية للقوميين في هذا الجدل، على أن أي يهودي يحترم نفسه، يجب أن يعيش في إسرائيل وليس في أمريكا أو أي بلد آخر».

وتشير المقالة إلى أن الطريقة المفضلة لدفع اليهود الأمريكيين إلى الهجرة هي التركيز على التأثير الهدام للحياة الأمريكية، على أسس الأخلاق والآمال والدين اليهودي وكذلك التخويف المستمر لليهود الأمريكان من معاداة السامية والتذكير الدائم بالمجازر الهتلرية وزرع بذور الخوف والقلق والشك نحو مستقبل اليهود في أمريكا.

وفور ظهور أي تلميح بمعادة السامية، يجري على الفور تضخيم ذلك بهدف خلق شعور، بأن يهود أمريكا مثل يهود ألمانيا تحت سيطرة «هتلر»، يقفون على حافة الكارثة وإنهم عاجلاً أم أجلاً سيهربون أيضاً لإنقاذ حياتهم».

وكمثال على ذلك أشار «نيغير» إلى مقطع من مقالة الصهيوني الإسرائيلي المعروف «يوني كوسوي» في النشرة الأدبية العبرانية المشهورة في أورشليم «ايزرويل»: «على عاتقنا نحن الصهاينة تقع مسؤولية ودَين تاريخي قديم، وهو أن نبقي شعر رأس الشعب اليهودي منتصباً على الدوام. وأن لا نعطيه أي فرصة للراحة ليلتقط أنفاسه وأن نبقيهَ دائماً على حافة الهاوية، ونشير لهم دائماً إلى الخطر المحيط بهم. وإلا من أين سنأخذ مئات الآلاف من اليهود اللازمين لبناء دولتنا؟... وعلى اليهود إنقاذ أنفسهم الآن وليس في المستقبل بل الآن في هذه اللحظة».

وكما يلاحظ القارئ فإن الكارثة تُعد ضرورة سياسية أو حتمية، وبعد قراءة ما جاء أعلاه يفهم القارئ لماذا لاحظت الموسوعة العبرانية وجود ميول نحو الهستيريا الجماعية لدى اليهود.

ويقول السيد «تسوكرمان» بأن هذا «شكل المتطرف لدعاية «هالوتسيوت» هو السائد حالياً في إسرائيل».

وكذلك يسرد الشكل المعتدل لهذه النظرية التي يمثلها صاحب النشرة الصهيونية «كييوم» في باريس المدعو «يفرويكين».

وكما يذكر «تسوكرمان» فإن «يفرويكين» هذا «على الرغم من أنه يُعد حقيقة لا غبار عليها كل كلمة من كلمات الدعاية القومية المتعصبة والقائلة، بأن اليهود يمكن آن يعيشوا حياة كريمة كاملة فقط في إسرائيل. ويدعي أيضاً بآن يهود أمريكا لن يرضوا أبداً وضع الولايات المتحدة في صف واحد مع ألمانيا الهتلرية أو بولندا أو لن ينظروا إلى وطنهم الحالي كنقطة توقف مرحلية في الطريق إلى إسرائيل. لذلك وهو يُعد بأنه من الضروري القيام بدعاية معاكسة لكي يصبح يهود أمريكا من مؤيدي إسرائيل وليس بالضرورة، إسرائيليين جسماً وروحاً».

ويمكن الحكم على نتائج هذه الدعاية التي يقوم بها المبعوثون الصهاينة، على أساس الملاحظات المنشورة بعد مرور سنة ونصف «كانون الأول «ديسمبر» ١٩٥١م» في الصحيفة العبرانية «اينتر ماونتن جويش نيوس في مدينة دينفير في ولاية كولورادوا، صاحبها المدعو «روبرت غامذي»، نظر بشكل سلبي جداً إلى حملات الوكالة اليهودية «Jewish Agency» في أمريكا وكذلك إلى نشاط الكونغرس الصهيوني العالمي لمصلحة «هالوتسيون» في الولايات المتحدة والتي رصدت لها المنتظمتان مبلغ «٢٨٠٠٠٠٠» دولار وكتب يقول «بأنه ومن تجربته الخاصة يعرف عن الرأي الخاطئ الواسع الانتشار في إسرائيل والذي يزعم بانعدام أي مستقبل لدى يهود أمريكا وأن معاداة السامية تتوعدهم بمصير يهود ألمانيا».

وحسب رأيه «من غير الممكن السكوت أبداً على أن المبعوثين الإسرائيليين، الذي لا يأتي إلى رؤوسهم أي حجج لمصلحة تهجير اليهود إلى إسرائيل، إلا الاستهزاء والسخرية من مستقبل العبرانية في أمريكا».

وهذه المخاوف في عام /١٩٥٠و١٩٥١م/ تحققت خلال السنوات الخمس التالية، وإذا كان «تسوكرمان» قلقاً فقط «في عام١٩٥٠م» من الوضع القائم، فإنه في عام /١٩٥٥م/ أُصيب بذعر تام وقد كتب في جريدة «جونس نيوس ليتر» في تشرين الثاني «نوفمبر» عام

/١٩٥٥/ ما يلي «أعيدت طباعته في مجلة التايم نيويورك في ١٩٥٥/١١/١٨م»: لا يوجد أي شك بأن المزاج السائد بين يهود أمريكا هو نفسه السائد في إسرائيل، حيث يسود في كل مكان ثقة متعصبة، بأنه على وجه الأرض توجد حقيقة واحدة وأن إسرائيل هي حاميها الوحيد.

ولم يعد وجود أي فرق بين يهود العالم كله وإسرائيل ولا حتى وجود فرق بين إسرائيل وحكومتها.

ويُعد حكام إسرائيل وسياستهم معصومين عن الخطأ ويقفون فوق أي نقد.

وأمامنا رفض مذهل لأي رأي يختلف عن رأي الأكثرية، وإهمال كامل لحجج العقل، والخضوع لقطيع حيوانات تتحكم به الأهواء.

بين يهود إسرائيل ويهود أمريكا يوجد فارق جوهري واحد.

في إسرائيل «وعلى القدر الذي يبدو ذلك من وراء الحدود» انفجار الانفعالات، يملك أساسات واضحة وتغذية من مصادر خفية، لخيبة الأمل لدى الجمهور الذي وعده بالأمن والسلام والذي وقع بدلاً من ذلك في فخ الحرب.

ولكن نوع الهستيريا الأمريكي- اليهودي، لا يملك أي جذور في الحياة الحقيقية لليهود الأمريكيين.

إنها بضاعة مختلقة ابتدعتها القيادة الصهيونية وألصقتها بالشعب الذي لا يوجد لديه أي داع للهستيريا وبواسطة جيش كامل من الدعائيين المأجورين، كوسيلة للضغط السياسي المفضوح وللحصول على الموارد المالية.

ولم يحدث أبداً أن حدث تحضير حملة دعائية لمصلحة دولة أجنبية بهذا الشكل الوقح وفي وضح النهار كما تحدث موجة الهستيريا هذه، القائمة بين يهود أمريكا.

وبين هذان المقطعان، التطورات التي حدثت خلال السنوات الخمس والانحلال والانحطاط في النفس اليهودية الذي جرى تحت الوصاية الصهيونية التلمودية. وهما يوصلان حكايتنا عن الحروب الثلاثة إلى نهايتها غداة الحرب الثالثة.

وعملياً يمكن اعتبار الحرب الثالثة، بدأت فور انتهاء الحرب الثانية وهي منذ ذلك الوقت تتسع وتنتشر هنا وهناك في جميع أنحاء العالم، وفقط. يجب أن ينفخ أحد ما، من أحد الأطراف لكي تشتعل هذه الحرب بشكل كامل. ويُعد مؤلف الكتاب بأن الرب وحده يقدر على إيقاف هذه الحرب ومنعها من الحدوث وإذا لم يحدث ذلك، فإن الأجيال الأخيرة من القرن العشرين، ستكون شاهدة على الانتصار المظفر للشوفينية التلمودية.

الفصل السادس والأربعون

الذروة والأزمة

هذا العمل كتب ما بين عام /١٩٤٩و١٩٥٢م/. وأعيد النظر فيه في أعوام /١٩٥٣-١٩٥٦م/ وأما الفصل الأخير منها فكتب في تشرين الأول «أكتوبر» وتشرين الثاني «نوفمبر» /١٩٥٦م/.

وكان ذلك الوقت المناسب لوضع محصلة تأثير الصهيونية التلمودية على سير التاريخ البشري، لأنه مع قدوم تلك الفترة كان قد مر نصف قرن من القرن اليهودي «القرن العشرين» منذ تلك اللحظة، عندما ظهر إلى سطح الحياة السياسية بعد /١٨٠٠/ سنة من الوجود في الخفاء. في تلك السنوات وبالذات في عام /١٩٥٢م/ حدث أمر مشابه في البيولوجيا، عندما ظهرت فجأة على سطح المحيط الهندي، سمكة مخططة من نوع كان يعتقد بأنه اختفى منذ ملايين السنين. وأدى ظهور السمكة إلى اهتزاز ملحوظ في صحة نظرية داروين حول التطور.

وعندما ظهرت الصهيونية اللاوية على السطح في بداية القرن العشرين، كان ذلك أمراً ما يشابه لما برز من أعماق الزمن.

في عام /١٩٥٦م/ احتفلت الثورة العالمية- ذات الأصل التلمودي- بعيد ميلادها الخمسين «إذا اعتبرنا انتفاضة عام /١٩٠٥م/ في روسيا هي البداية والتي حدثت بعد هزيمة روسيا في الحرب مع اليابان التي حرضتها على ذلك قوى خفية واستخدمت في ذلك أموالاً أمريكية- ملاحظة الترجمة-». وأصبحت عاملاً دائماً في حياتنا السياسية. وبالطبع جذور هذه الثورة تعود إلى الوراء، عبر الهزات الثورية العنيفة في أوربة في عام /١٨٤٨م/، إلى الثورة الفرنسية بل وقبل ذلك إلى «واي سخاويت» وأبعد من ذلك، إلى الثورة الإنكليزية و «كرومويل».

مختصر القول، إن عام /١٩٥٦م/ عام الانتخابات الرئاسية الأمريكية، كان العام الأنسب لإنهاء تأليف هذا الكتاب ولم يكن لدى المؤلف خلال قيامه بالعمل، أي أوهام فيما يتعلق بإمكان نشره وكان على علم بالصعوبات التي سترافق ذلك. ولا شك بأن كل من سيقرأ الكتاب سيفهم السبب في ذلك.

ولكن حتى إذا لم يظهر هذا الكتاب الآن، فإنه لن يفقد قيمته وحيويته بعد خمس أو عشر سنوات أو أكثر من ذلك[1].

ويعتقد المؤلف بأنه حتى لو حدث ذلك «عدم النشر»، فإن الكتاب سيظهر على الرغم من ذلك في اللحظة التي سينهار فيها نظام الرقابة الخفي والذي لاحق خلال السنوات الثلاثين الماضية كل محاولة لبحث المسألة اليهودية بشكل مفتوح واعتبرت هرطقة لا غفران فيها.

ولكن لا بد أن يأتي وقت ما تصبح فيه ممكنة نقاشات في هذا الموضوع بشكل مفتوح وحر وعندها قد يبدو شيء ما مما جاء في هذا الكتاب ممتعاً.

«الطبعة الإنكليزية الأولى لكتاب «جدل حول صهيون» ظهرت إلى الوجود بعد موت «دوغلاس ريد» وبفضل جهود أصدقائه، وفي عام /١٩٧٨م/ أي بعد مرور /٢٣/ سنة على تأليف الكتاب وقد ترجم الكتاب مرة واحدة فقط إلى اللغة الروسية ولم يظهر في لغات أخرى ونعتقد بأنه لا حاجة للقول بأن الكتاب ليس فقط لم يفقد قيمته وحيويته بل وعلى العكس تماماً كل ما جاء في الكتاب أثبتت صحته الأحداث التي جرت- ملاحظة الترجمة-».

ومهما كان الأمر الذي ينتظرنا في المستقبل فإن المؤلف ينهي كتابه الآن في تشرين الأول «أكتوبر»- تشرين الثاني «نوفمبر» /١٩٥٦م/ وبالنظر حوله فإنه يشاهد أن كل شيء يحدث حسب سيناريو معين يمكن أن نفهمه من الوقائع التي وردت في الكتاب.

لقد كان عام /١٩٥٣م/ مليئاً بالإشاعات عن اقتراب الحرب وكانت الإشاعات هذه المرة أقوى وأكثر إصراراً من أي وقت من الأوقات منذ نهاية الحرب بالعالمية الثانية في عام /١٩٤٥م/. وكانت صرخات الحرب تصدر من فلسطين حيث زرع الغرب قسراً هناك، الصهاينة القادمين من مجاهل روسيا البعيدة ومن أوربة الشرقية.

وخلال السنوات الأخيرة خرجت الصرخات عن الحرب من ساسة الغرب، بشكل أقوى من العادة وكان ذلك على مرتين وفي المرتين سرعان ما أصاب النسيان السبب الحقيقي لهذا الصراخ واحتل مكانه صراخ جديد عن «اليهود المساكين».

وهكذا وقبل فترة طويلة من بداية الحرب، يجري حشو الجمهور والإيحاء له بأن الحرب إذا بدأت، فيجب أن يصبح هدفها الأول هو حماية اليهود «أو إسرائيل» وكان على الغرب في حال قيام الحرب أن يخوضها بشكل أكثر علانية لمصلحة إسرائيل.

١- الكتاب لم يفقد قيمته حتى في وقتنا الحالي والأحداث الجاريه بعد حروب الخليج المتتالية تؤكد صحة ما جاء في هذا الكتاب -المترجم.

في عام /١٩٥٣/ عمت أوربة الشرقية وروسيا السوفييتية موجة جديدة من الاضطهاد وفي إحدى المحاكمات في روسيا في قضية دُعيت قضية الأطباء اليهود كان معظم المتهمين من اليهود، وعلى الفور ارتفع زعيق شديد في الغرب وبدأت حملة كبيرة في الغرب لحماية اليهود ومنع البعض من جعلهم أكباش فداء ووصل الأمر إلى التهديد بالحرب وتأزم الموقف. ولكن فجأة مات ستالين وتوقفت المحاكمات وأطلق سراح المعتقلين وعلى الفور تلاشت الضجة في الغرب.

وحسب رأي المؤلف لم يترك هذا المقطع من التاريخ أي شك، بأن الحرب العالمية الثالثة إذا بدأت ضد الشيوعية فإنها ستجري لأجل اليهود وأن ذلك سيُعلن بصراحة وليس بشكل مموه كما حدث في الحربين السابقتين ولن يتحدث أحد عن نصف أوربة وملايين الناس فيها الواقعين تحت الظلم الشيوعي.

وظهر تهديد الحرب من جديد في تموز «يوليو» عام /١٩٥٦م/ وذلك عندما آممت مصر قناة السويس أو بالأحرى استولت عليها من الشركة العالمية المالكة لها. وبرر رئيس الوزراء البريطاني، أمام الرأي العام، خطر قيام حرب في الأيام الأولى من الأزمة بالقول بأن التأميم يهدد المصالح الحيوية البريطانية، ولكن سرعان ما حدث تبديل في تبريره وقال: «إذا تراجعنا هذه المرة أما مصر، فإنها ستهاجم إسرائيل في المرة القادمة». وأخذت الصحافة العالمية بالصياح، بأن إسرائيل هي المتضرر الأول من تأميم القناة.

وفي عام /١٩٥٦/ جرى فصل آخر من مسرحية الانتخابات الرئاسية الأمريكية وتم ذلك للمرة السابعة على التوالي تحت سيطرة الصهاينة وللمرة الثالثة بشكل مفضوح وعلني «تحولت الانتخابات إلى الركض واللهاث وراء الأصوات اليهودية» وتنافس المرشحان من الحزبين الرئيسين على إغداق الوعود بالمعونات العسكرية والاقتصادية لإسرائيل.

وقد وعد المرشحان بدعم إسرائيل والوقوف معها في حال حدوث أي حرب في هذه البقعة من العالم.

لقد كان من السهل جداً توقع نتائج هذه الأحداث والعمليات التي استعرضناها في كتابنا منذ بدايتها. والاستنتاج فيما يتعلق بمستقبلنا يمكن توقع حتميته من دون صعوبة: إن الملايين من سكان الغرب مقيدة والذنب في ذلك يقع على قادة الدول الغربية وكذلك بسبب عدم مبالاة هذه الشعوب ببرميل البارود المشتعل الفتيل، الذي يحترق بسرعة أمام عيوننا. والغرب حالياً يقترب بسرعة كبيرة نحو الذروة في علاقته مع صهيون التي بدأت مع بداية القرن العشرين.

بعد نهاية كل من الحربين العالميتين، صدر الكثير من الأبحاث والكتب التي درست وحللت أسباب الحرب وكانت تختلف فيما بينها وتختلف كذلك عما ذكر للجمهور «الرعاع» قبل بداية الحرب. وأُلقيت المسؤولية عن الحرب عدة مرات من هذا الكتف إلى ذاك. وقد لاقت هذه المطبوعات النجاح الكبير، لأن الحاجة إلى البحث والتحليل تحتل دائماً مكان الثقة العمياء التي تسود أيام الحرب. ولكن حتى هذه المطبوعات لا يدوم تأثيرها طويلاً ومع اقتراب أي حرب أخرى تبدأ الجماهير بالخضوع لضغوط المحرضين كما حدث سابقاً في كل مرة.

ويحصل ذلك لأن إمكان مقاومة الدعاية الجماعية الشاملة هي صعبة وضئيلة وباستطاعة سموم الدعاية أن تعطي نتيجة تخديرية. والجمهور على الدوام يميل إلى إغلاق عيونه مع اقتراب الخطر لذلك من الصعب حتى القول، هل كان بإمكان المعلومات الكاملة والعلنية إذا قدمت قبل بداية الحرب، أن تقهر هذه الغريزة الفطرية الطبيعية لدى الناس. على ما أعتقد لم يحاول أحد أن يقوم بذلك حتى الآن.

إن أحد الأهداف المتواضعة للكتاب الموجود بين أيديكم هو القول بأن طبيعة وأصل الحرب وكذلك المسؤولية عنها يمكن كشفها والإشارة إليها قبل أن تقع الحرب وليس فقط بعد أن تنتهي.

ونحن نعتقد بأن محتوى هذا الكتاب يوضح ذلك إلى حد كبير وأن الحجج المقدمة فيه تحصل على تأكيد لها مع سير الأحداث.

ويعتقد المؤلف كذلك بأن أحداث الغرب في فترة /١٩٥٢-١٩٥٦م/ تؤكد هذه الحجج بشكل قوي وكذلك جميع استنتاجات الكتاب ولذلك قرر أن ينذر القسم الباقي من هذا الفصل الختامي، ليلخص أهم الأحداث في هذه الفترة:

١- في الدول التي استعبدتها الثورة.

٢- داخل وحول الدولة الصهيونية.

٣- في ما يدعى «بالعالم الحر الغربي».

وباعتقاد المؤلف بأن ذلك يمكن أن يضيف كلمة نهائية إلى حكايته: الخاتمة والنهاية قريبتان جداً «ليستا بعيدتين وراء الجبال».

ملاحظة من المؤلف

القسم الوارد أعلاه من الفصل الختامي وحتى كلمات «الخاتمة والنهاية قريبتان جداً» كتبه المؤلف يوم الجمعة في /٢٦/ تشرين الأول «أكتوبر» /١٩٥٦م/. بعد ذلك ارتاح المؤلف يومي السبت والأحد وأراد بعد ذلك إنهاء هذا الفصل وقد كتب حتى مسودة ذلك ولكن في

/٢٩/ تشرين الأول «أكتوبر» /١٩٥٦م/، اعتدت القوات الإسرائيلية على مصر لذلك اضطر المؤلف إلى كتابة نهاية الفصل أطول بكثير مما كان متوقعاً.

١ـ الثورة

بعد موت «ستالين» في عام /١٩٥٣/ هبت انتفاضات شعبية متعددة في الدول الواقعة تحت سيطرة الشيوعية وحدث ذلك بين /١٩٥٣و١٩٥٦م/ وتأمل الناس المراقبون لذلك بأن تحصل تلك الدول على الحرية ولكن المعنى الواضح للأحداث جرى تسميمه مرة أخرى بحشر القضية اليهودية فيه.

وفي عهدنا وقرننا اليهودي هذا لا يجوز للجمهور العريض أن يحصل على معلومات أو يناقشها إلا من خلال قيمتها ومعناها «لليهود».

لقد أذهل موت «ستالين» العالم كله، لأن الجميع سادهم الاعتقاد بأن هذا الشخص «الذي استعبد وقتل من الناس أكثر من أي شخص في التاريخ» لن يموت أبداً.

واحتل مكانه ولفترة بسيطة المدعو «غيورغي مالينكوف» ولكنه سرعان ما تخلى عن السلطة للثنائي- «نيكيتا خروشوف» «زعيم الحزب» و «نيكولاي بولغانين» «رئيس الحكومة»- ومن الصعب القول هل كانا فعلاً يحكمان أم أنهما كانا أداة في أيدي أخرى. وبقي في الحكم «لازار كاغانوفتش» في منصب نائب رئيس الحكومة. وعندما سافر الاثنان إلى الهند في زيارة رسمية، تساءلت جريدة نيويورك تايمز من الذي يحكم الاتحاد السوفييتي في غيابهما وأجابت بنفسها على ذلك- «لازار مويسيفتش كاغانوفتش» «الزعيم الشيوعي المعروف». و «كاغانوفتش» هو أحد رفاق «ستالين» القدماء[١] ولكن ذلك لم يمنع الصحف الغربية من مهاجمة «ستالين» بعنف في شهور حياته الأخيرة وكأنه «هتلر» جديد معاد للسامية[٢].

في /١٥/ كانون الثاني «يناير» ذكرت صحف موسكو خبر اعتقال تسعة أشخاص بتهمة التخطيط لقتل سبعة من المسؤولين الشيوعيين الكبار. ويقال أن ستة أو سبعة من المعتقلين كانوا من اليهود «تختلف المعلومات حول ذلك، أما الباقون الثلاثة أو الاثنان فلم تلتفت إليهم الصحافة العالمية وكأنهم لم يظهروا إلى الوجود أبداً».

١ـ ومن الشخصيات اليهودية المتنفذة في العهد البلشفي قبل وبعد الحرب العالمية الثانية ـالمترجم.

٢ـ ولا تزال تفاصيل موت (ستالين) غير واضحة حتى اليوم (يقال أن (ستالين) في أيامه الأخيرة اخذ يراجع مواقفه بشدة فيما يخص الدولة الصهيونية ووقف ضد هجرة اليهود السوفييت إليها، وهو بذلك جنى على نفسه، حيث تشير الإشاعات الى انه مات بعد أن خنقه طبيبه اليهودي الخاص بوسادة وهو نائم ـالمترجم.

ويجدر الذكر بأن الضجة قامت قبل ذلك بثلاثة أشهر قبيل الانتخابات الرئاسية الأمريكية ودارت حول محاكمات جرت في براغ حيث جرى إعدام أحد عشر شخصا من أربعة عشر متهماً بعد «اعترافهم» بما نسب إليهم من تهمة الاشتراك في مؤامرة صهيونية. ثلاثة من الذين أعدموا لم يكونوا يهوداً ولكن الصحافة الغربية لم تذكر أي شيء عنهم وكأنهم أيضاً لم يظهروا إلى الوجود ولم يجر شنقهم.

في شباط «فبراير» عام /١٩٥٣/ أعلن الدبلوماسيون الغربيون، الذين قابلوا «ستالين» في موسكو بأن صحته كانت تبدو على ما يرام.

ولكن في /٦/ آذار «مارس» /١٩٥٣/ مات «ستالين». بعد شهر آخر جرى إطلاق سراح «الأطباء اليهود» وبعد شهر آخر جرى إعدام «لافيرينتي بيريا» الذي كان مسؤولاً عن أجهزة الأمن في زمن «ستالين»[1].

وفي الأشهر التسعة التي فصلت بين محاكمات براغ والقضاء على «بيريا»، امتلأت الصحافة الغربية بمقالات تشجب معاداة السامية في روسيا. وأتضح من التصريحات الرسمية في الغرب بأن أي حرب ضد السوفييت، إذا بدأت «كما في حينه ضد ألمانيا» فستكون كلياً من أجل اليهود.

وبدأت الصحافة الغربية في عام /١٩٥٣م/ تصور روسيا على شكل وحش مخيف معاد للسامية. كما صورت ألمانيا في عام /١٩٣٩/ وروسيا القيصرية في عام /١٩١٤م/.

ويلفت النظر الفترة التي اختاروها لهذه الضجة وهي قبيل الانتخابات الرئاسية الأمريكية، ولكي يصبح الضغط اليهودي أكثر فعالية يطرح الموضوع اليهودي دائماً قبيل تلك الانتخابات ويأخذ ذلك على الدوام أحد شكلين:

- إما شكل معاداة السامية في مكان ما، وعلى الفور يجب حشد كل القوى والطاقات ضد ذلك. «هكذا كان الأمر في أعوام /١٩١٢م/ /١٩٣٢م //١٩٣٦م/ /١٩٤٠م/ /١٩٥٢م/».

١- لافيرينتي بيريا- شخصية أسطورية كان ذكرها يثير الرعب في قلوب الملايين من المواطنين السوفييت. كان (بيريا) مسؤولاً عن اجهزة الأمن السلشية وقد اعدم بأمر منه ملايين الناس عسكريين ومدنيين، وكان مسؤولاً عن تهجير شعوب كاملة من القفقاز إلى سيبيريا وكزاخستان، وبيريا كان مسؤولاً عن البرنامج الذري السوفييتي وإلى قيادته الحازمة يعود الفضل إلى حد كبير في حصول الاتحاد السوفييتي على السلاح الذري، بعد موت (ستالين) جرى خداع اليهودي بيريا خلال أحد الاجتماعات الحزبية وقبض عليه وأعدم في أحد السجون -المترجم.

- أو على شكل تهديد دوري لأمن إسرائيل كما حدث في عام /١٩٤٨و١٩٥٦م/. ومن دون أي تذبذب يمكن القول بأن هذا الموضوع سيكون مسيطراً في انتخابات /١٩٦٠م/ في الولايات المتحدة الأمريكية.

وتجدر الإشارة إلى أن وضع اليهود السوفييت في بداية الخمسينيات لم يحدث فيه أي تغيير نحو الأسوأ. وحسب أحدث التقديرات اليهودية فإن عدد اليهود السوفييت بلغ /٢/ مليون نسمة أي نحو /١٪/ من السكان الإجمالي.

لقد كان بعض اليهود ضمن المتهمين في محاكمات براغ وكذلك في بعض المحاكمات في موسكو ومنها قضية الأطباء اليهود.

ولكن لماذا لم يهتم العالم بالآلاف من المحاكمات الصورية التي جرت خلال /٣٥/ سنة في روسيا السوفييتية والذي ذهب ضحيتها الملايين من الأبرياء الروس وغيرهم من القوميات الأخرى[1].

وبما أن السلطة السوفييتية اعتادت على اضطهاد وقتل واعتقال الناس من دون أي محاكمة فإنه من الواضح أن هدف المحاكمات الصورية العلنية كان خلق الانطباع المطلوب على الجمهور السوفييتي أو حتى على العالم الخارجي. وحتى الاتهام بالمؤامرة الصهيونية لم يكن أمراً جديداً، فقد طرح هذا الاتهام مرات عديدة منذ عام /١٩٢٠م/ ومنذ البداية كانت الصهيونية ممنوعة بشكل رسمي في الاتحاد السوفييتي ولكن ذلك لم يمنع الحكومة الثورية من السماح للمهاجرين اليهود بالسفر إلى فلسطين وكذلك من تزويدهم فيما بعد بالسلاح بعد عام /١٩٤٥م/ لكي يصنعوا «دولة إسرائيل».

وإذا كان «ستالين» فعلاً قد تخطى الحدود المسموح بها في مهاجمته للصهيونية فإن موته السريع قام بتعديل الأمر وأعاد الأمور إلى مكانها. ولكن لا يبدو بأن ذلك كان صحيحاً بالفعل. فمن المعروف أن اليهودي «لازار كاغانوفتش»، بقي حتى اللحظات الأخيرة الساعد الأيمن لـ «ستالين». وقبل عدة أيام من موته، أمر «ستالين» بإقامة مراسم دفن فاخرة لم تعرف موسكو البلشفية لها مثيلاً وذلك لدفن «ليف ميخيلس» وهو أقبح وأفظع «قوميسار يهودي» أحمر في الجيش على مدى العهد السوفييتي كله.

١- قام (ستالين) بزج مئات الآلاف من المواطنين في معسكرات العمل القسري وفي الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية قام بحملة تطهير في صفوف ضباط الجيش الأحمر ذهب ضحيتها عشرات الآلاف من خيرة ضباط الجيش وقام (ستالين) بتهجير شعوب كاملة من أوطانها إلى سيبيريا وكازخستان ومات خلال كل ذلك الملايين من الناس بالإضافة إلى الملايين الذين قتلوا خلال حملات إحلال النظام التعاوني في الريف السوفييتي وعلى الرغم من كل ذلك لم يصدر عن الغرب أي احتجاج عملي وجدي -المترجم

ومباشرة بعد دفن «ميخليس»، في /٢٧/ كانون الثاني «يناير» /١٩٥٣م/ جرى منح جائزة «ستالين» للسلام إلى رمز الانتقام التلمودي في ألمانيا «أيلي ايرنبورغ» والذي دعا في أحد الأوقات عبر الراديو إلى عدم رحمة أي فاشي وحتى الذين في البطون منهم.

ولكن قبل عدة أيام من موته أمر «ستالين» بنشر تصريح في جريدة النجمة الحمراء، جاء فيه بأن النضال ضد الصهيونية «لا يملك أي علاقة مع معاداة السامية.

وأن الصهيونية- هي عدو للكادحين في جميع أنحاء العالم ولليهود أكثر حتى من غير اليهود».

لذلك فإن «الحالة البائسة» للأقلية الضئيلة من اليهود السوفييت لم تتغير لا إلى الأفضل ولا إلى الأسوأ.

وقد بقي اليهود طبقة متميزة كما كانت من قبل، ولذلك فإن هيجان الاحتجاج النبيل في الغرب، كان عبارة عن زوبعة في فنجان ولم يكن له أي أساس واقعي[1].

ولكن على الرغم من ذلك فقد وصل هذا الهيجان إلى حد التهديد بالحرب ولولا موت «ستالين» وإطلاق سراح الأطباء اليهود بعد ذلك لكان قيام الحرب أمراً ممكناً جداً. والسبب في كل ذلك يمكن أن يكون أمراً واحداً فقط وهو أن «ستالين» اصطدم مع الصهيونية في آخر أيامه، وبالنسبة لسياسيي الغرب كلهم كانت أي معارضة للصهيونية تُعد مساوية للهتلرية وللاستفزاز العسكري. وهذا الأمر يوضح بأن دعاية الاستفزاز والتحريض يمكن أن تندلع في لحظة وبضغطة بسيطة على زر ما وأن يجري توجيهها ضد أي طرف من الأطراف حسب متطلبات الظروف والزمن.

ويصبح رؤساء أمريكا هدفاً «للضغط الذي لا يحتمل» في خلال فترة ستة أشهر بين اختيار المرشحين للأحزاب المتنافسة وبين الانتخابات الرئاسية وحتى استلام مقاليد السلطة. وخلال فترة الحملة الانتخابية كلها، تقف القضية اليهودية (بشقيها «معاداة السامية» و «المغامرة الفلسطينية») كالسيف المسلط على رقاب المرشحين ومن ثم فوق رأس الرئيس المنتخب.

وما أن أصبح «ايزنهاور» مرشحاً للرئاسة عن الحزب الجمهوري حتى كان من الواجب عليه أن يتعهد للسيد «ماكسويل ابيل» رئيس الاتحاد الكنسي اليهودي في أمريكا بأنه «لن يكون لدى الشعب اليهودي صديقاً أفضل مني... لقد كبرت وأنا على ثقة بأن اليهود شعب

١- سيطر اليهود في الاتحاد السوفييتي وفي روسيا بعد انهياره على الصحافة والإعلام وعلى مجال الطب والفن بالإضافة الى سيطرتهم الفعلية على الاقتصاد والسياسة -المترجم.

مختار وأنهم هم من أهدوا القيم الأخلاقية والجمالية العالية في ثقافتنا» «طبعت في جميع الصحف اليهودية في أيلول «سبتمبر» عام /١٩٥٢م/».

وأضاف «ايزنهاور» أن أمه قامت بتربيته مع أخوته على هدى تعاليم العهد القديم. وكان في ذلك غمزاً خفياً إلى أن عائلة «ايزنهاور» تربت على هرطقة طائفة (شهود «يَهْوَه») المتهودة.

وهذه كانت تعهدات واحد من أبرز سياسيي الغرب المعروف جيداً بالنسبة لنا. بعد ذلك مباشرة حدثت محاكمات براغ وكان على الرئيس المنتخب أن يثبت ولاءه، وقام في رسالة موجهة إلى اللجنة النقابية اليهودية في مانهاتن بتاريخ /٢١/ كانون الأول «ديسمبر» /١٩٥٢م/، بالقول بأن هذه المحاكمات «كانت تقصد إشعال حملة عداء سامية مسعورة في أوربة السوفييتية والدول الأذناب لها في أوربة الشرقية. لقد حصل لي الشرف أن أقف في صف واحد مع العبرانية الأمريكية...

لكي نبدي معاً الاستياء الذي يسود آمريكا كلها بسبب الظلم والطغيان في بلاد السوفييت، والذي يتعارض مع مبادئ ثقافتنا».

لقد تجلى الطغيان وعدم الشرعية في تلك الفترة في إعدام أحد عشر شخصاً، ثلاثة منهم غير يهود، على الرغم من وجود الملايين من الضحايا الأبرياء الذين اضطهدهم النظام البلشفي خلال خمس وثلاثين سنة ولكن أحداً لم يدع ذلك عملاً غير شرعي أو ظلماً وطغياناً.

لقد استخدم الرئيس «ايزنهاور» كلمة دول- أذناب- في وصفه الشعوب المستعبدة من قبل الشيوعية.

هذه الكلمة في القاموس الأنكلو- ساكسوني تعني: «التابع المرافق للأمير أو لشخص آخر مقتدر وهو عبد عالة أو تابع أو نصير». «قاموس «ويت ستير» للغة الإنكليزية».

ويبدو الأمر غريباً أن يستخدم هذه الكلمة، الشخص الذي قاد قوات الحلفاء في الحرب وتآمر مع السوفييت وأعطاهم هذه الشعوب البائسة. ويجدر الذكر بأن الرئيس قال قبل الانتخابات وبهدف كسب أصوات الناخبين (لعلمه بالقرف الشديد الذي يكنه الرأي العام الأمريكي. نحو اتفاقية «يالطا»): «تحت قيادة الحزب الجمهوري ستقوم حكومة الولايات المتحدة بإلغاء كل الالتزامات الموجودة في الاتفاقيات السرية مثل اتفاقية «يالطا» والتي تدعم العبودية الشيوعية».

ولكن الرئيس بعد انتخابه أرسل إلى الكونغرس في ٥٣/٢/٢٠ مشروع قرار يطلب فقط من الكونغرس تأييد الرئيس في «رفض إعلان وعرض أو استخدام... الاتفاقيات السرية التي تعرضت للتحريف بهدف استعباد الشعوب الحرة».

وهي نفسها الشعوب التي وصفها الرئيس «بالأذناب» ولكن وبما أن مشروع القرار لم يقم بإلغاء اتفاقيات «يالطا» بل وأنه لم يشر حتى إليها، فإن الحزب الجمهوري خاب أمله من قيادة الرئيس ولذلك رفض هذا القرار كلياً. وبدلاً منه أسرع الرئيس يعرض على الكونغرس مشروع قرار يُدين «الحملة اللا أخلاقية واللا إنسانية ضد اليهود» في أوربة السوفييتية.

وهكذا نرى مرة أخرى أن كل المستعبدين جرى شطبهم مرة أخرى وبقي اليهود فقط. وبعد محاولات مضنية تمكنت وزارة الخارجية الأمريكية من إضافة عدة كلمات إلى مشروع القرار: «وكذلك الأقليات الأخرى».

وحسب المعطيات اليهودية الحديثة يبلغ عدد اليهود الموجودين وراء الستار الحديدي ما يقارب /٢٥٠٠٠٠٠/ نسمة في الوقت الذي يبلغ عدد السكان غير اليهود وراء ذلك الستار ما بين /٣٠٠/ إلى /٣٥٠/ مليون وهذه الكتلة الضخمة من البشر تتضمن شعوباً كاملة مثل البولنديين والهنغار والبلغار والأوكرانيين بالإضافة إلى الكثير من الشعوب الصغيرة ولكن الكتلة الأساسية كانت من الروس. كل هذه الشعوب أشاروا إليها بكلمتين «الأقليات الأخرى».

وصادق مجلس النواب على هذا القرار بالإجماع «٥٣/٢/٢٧» وتم التصويت شخصياً وأما المتغيبون فقد أرسلوا موافقتهم كتابياً. وبعد قيام الرئيس بفعلته هذه أخذت الضجة تكبر في الصحافة.

أحد أكثر الصهاينة نفوذاً في تلك المرحلة كان الحاخام «بيليل سيلفير» من مجموعة القاضي «برانديس» والحاخام «ستيفن عوزي». وقد دافع عن الرئيس «ايزنهاور» ضد تهمة معاداة السامية، خلال الحملة الانتخابية الرئاسية، من طرف الرئيس السابق «ترومان». بعد ذلك دعاه الرئيس الجديد ليقرأ «صلاة شكر وحمد للرب ولإلقاء المواعظ» في حفل استلامه الرئاسة. ومن ذلك يمكن الاستنتاج بأن «رابي سيلفير» كان شخصاً قوياً له نفوذ واسع. وهذا الأمر يعطي معنى خاصاً لكلماته التي تقول بأنه إذا تحطمت روسيا في يوم ما فسيكون ذلك بسبب اليهود. ثم أضاف ليس أقل ولا أكثر من تحذيره لروسيا بأن الدمار سيحل بها إذا سارت على طريق «هتلر».

وبالتالي كانت صفة «هتلر» تلصق على كل من وضعَ على قائمة التدمير. ومثالاً على ذلك كان الرئيس عبد الناصر، ومحتوى تلك التهديدات كان واحداً بشكل دائم وهو ينص على: «بإمكانكم اضطهاد أي كان ولكن لا تتعرضوا إلى اليهود أو تقتربوا منهم وإلا فالدمار من نصيبكم».

وفاق الحاخام «سيلفير» في هذا المجال وتخطاه، فقط المدعو «توماس ديو»- وهو منظم ترشيح «ايزنهاور» لعام //١٩٥٢- الذي قال: «الآن يرى الجميع بأن ذلك «معاداة السامية في روسيا»- هو برنامج جديد ومخيف للإبادة الجماعية... حيث أصبحت الصهيونية جريمة يعاقب عليها وأن تولد يهودياً يكفي لكي تشنق.

لقد شرب «ستالين» من سم الهتلرية حتى القطرة الأخيرة وأصبح من أفظع ملاحقي ومضطهدي العبرانية... وعلى ما يبدو بأن «ستالين» على استعداد أن يعترف أمام العالم بأنه يود إكمال ما لم يقدر «هتلر» على إكماله في حياته».

إن جموح هذه الحملة الذي لا قيد فيه يسبب حقاً، الذهول والعجب.

لقد قرأ المؤلف عن طريق المصادفة في «الجريدة المونريالية» في صيف /١٩٥٣م/. مقالة افتتاحية جاء فيها بأنه «يتم قتل الآلاف من اليهود في ألمانيا الشرقية».

ولكن وفقط قبل ثلاث سنوات من ذلك كتبت جريدة «زيونيست ريكود» العبرانية من جنوب أفريقيا «في عدد /٧/ تموز «يوليو» /١٩٥٠م/» بأن عدد اليهود في ألمانيا الشرقية يبلغ فقط /٤٢٠٠/ نسمة. وأن غالبيتهم يحتلون مناصب رفيعة في الدولة.

في الأيام التي سبقت موت «ستالين» أرسل الرئيس المنتخب الوعد الذي استعرضناه قبل عدة سطور والذي جاء فيه بأن أمريكا ستقف بالمرصاد وفي كل الأوقات لكل محاولة لبعث معاداة السامية. وعندما استعد اليهود «الموجهة إليهم هذه الإرسالية» للذهاب إلى اتلانتيك سيتي، قام الروس بعد موت «ستالين» بإطلاق سراح الأطباء اليهود وخفت الضجة وتلاشت وبالتالي لم يعد هناك حاجة إلى الإرسالية وأعيدت إلى صاحبها. ولكن الرئيس اعتبر أن الأمر فائق الأهمية وأعاد نشرها مع رسالة مرفقة تدين بشدة معاداة السامية في الاتحاد السوفييتي. ولم يكن أحد يعرف إلى أين سيؤدي هذا الغباء، لولا موت «ستالين» وبالتالي إطلاق سراح الأطباء اليهود ولولا لم يتم رفع الإصبع الضاغط على زر تشغيل آلة التهييج الجماعي؟. وما الذي كان سيحصل لو بقي «ستالين» حياً واستمرت محاكمة الأطباء اليهود؟. لأن مستوى الزعيق في الغرب وصل مستوى الهيستريا قبيل موت «ستالين» وفاحت رائحة الحرب وسمعت أصوات تقول بأنه «هتلر جديد».

وأن «القتل الجماعي قد بدأ»، وأن الآلاف من اليهود قتلوا في ألمانيا الشرقية، على الرغم من أن مئات فقط منهم عاشوا في الواقع هناك. ولكن حتى هذه الآلاف كانت ستتحول عما قريب إلى ملايين. وكان كل الهولوكست اللينيني- الستاليني على مدى /٣٥/ سنة والذي حصد الملايين من الناس الأبرياء، سيتحول بفضل الدعاية إلى ملاحقة

واضطهاد فظيع لليهود فقط. ولو بدأت الحرب بسبب ذلك ضد الشيوعية، لكان على جيل كامل من شباب الغرب أن يهدر الدم من أجل إنقاذ اليهود، على الرغم من أن الجميع في الغرب سيكونون على يقين بأنهم يحاربون الشيوعية ولكن «ستالين» مات في اللحظة المناسبة وتجنب الغرب الحرب هذه المرة. وبدأت الانتفاضات في شرق أوربة لتحرر من الشيوعية، على الرغم من أن قادة الغرب دعوا شعوب شرق أوربة بالسير على الطريق السلمي إلى التحرر. وحصلت أول الانتفاضات في القسم الروسي من برلين في ١٩٥٣/٦/١٧م. حيث اصطدم العمال والشباب الألماني العزل مع الدبابات السوفييتية التي قمعت هذه الانتفاضة بقسوة.

بعد ذلك جرى تعيين «هيلدا بنيامين» في منصب وزير العدل في ألمانيا الشرقية ومع ذلك بدأت المحاكمات الصورية وعمليات الإعدام. وكما ذكرنا سابقاً وحسب ما ذكرت الجرائد الأمريكية فإن «هيلدا بنيامين» كانت من أصل يهودي. «على الرغم من أن المؤلف سمع فيما بعد بآن زوجها فقط كان يهودياً» وتلا تلك الانتفاضة، انتفاضة أخرى في معسكر اعتقال سوفييتي في فورغوتا. وسيطر السجناء على المعتقل أسبوعاً كاملاً. بعد ذلك حطمت القوات القادمة من موسكو كل مقاومة هناك.

هاتان الانتفاضتان حصلتا في فترة الحملة الإعلامية الضخمة التي سادت الغرب بخصوص معاداة السامية في الاتحاد السوفييتي وأوربا الشرقية، ولكن على الرغم من ذلك لم تورد الصحافة ووسائل الإعلام في الغرب أي أخبار عنها، ولم يهدد أحد السوفييت بالحرب والدمار من أجل ذلك، بل على العكس دعت وسائل الإعلام الغربية الجموع الهائجة، إلى التزام الهدوء. ولكن الانتفاضات استمرت واندلعت هذه المرة في هنغاريا وبولندا.

في تشرين الأول «أكتوبر» /١٩٥٦/ حصلت الانتفاضة في بولندا وتلتها في هنغاريا ولم يعرف التاريخ لها مثيلاً.

لقد كانت حرباً وطنية حقيقية لشعب مستعبد كامل، ضد قوة تفوقه بمرات عديدة. ويُعد المؤلف أن انتفاضة المجر ستكون نقطة البداية، إما لتحرر وتبعث أوربة والغرب وإما على العكس ستكون نهاية أوربة والغرب.

ولكن مهما كانت النتائج في المستقبل فإن هذه الانتفاضات على الأرض المجرية أوضحت للجميع بأن الثورة، لم يعد بإمكانها التستر وراء الشعارات الجماهيرية.

وإن الشعوب الواقعة تحت السيطرة الشيوعية ليس لديها ما تفقده إلا قيودها وإنها مستعدة لتلقي الموت بدلاً من جر هذه القيود مستقبلاً.

لقد طالبت الشعوب المنتفضة بانسحاب الجيش الأحمر من بلادها وإلغاء البوليس السري ومعاقبة المجرمين الأساسيين وإعادة حقوق الكنيسة والديانة وإطلاق سراح رجال الدين المسيحي المعتقلين هناك وأخيراً إلغاء نظام الحزب الواحد وسيادة الحرية وانتشار الديمقراطية.

ولكن في الغرب وكالعادة غطت المشكلة اليهودية على كل ما جرى هناك «في شرق آوربة» ولم يسمح للجماهير العريضة في أمريكا وإنكلترا بمعرفة ما يجري في المجر وبولونيا إلا من خلال الجانب اليهودي من المشكلة.

وقبل قيام الانتفاضة في شرق أوربة، بثلاثة أشهر نشرت صحيفة نيويورك تايمز، مقالة المدعو «زولتسبيرغر» حول معاداة السامية وراء الستار الحديدي، وكان الدافع الرئيس لهذا الزعيق، هو إقالة مُنظر حزبي مكروه إلى درجة كبيرة من الناس في بولندا وهو المدعو «ياكوف بيرمان» وقد احتوت هذه المقالة على آمور كثيرة لم يكن في السابق يُسمح للجمهور الغربي بالاطلاع عليها.

ولم يكن بإمكان الجماهير في روسيا، بعد الحرب العالمية الثانية «وكذلك في بقية أقطار أوربة الشرقية» أن تنهض ضد الظلم والاضطهاد الشيوعي، إلا وكانت تتهم بمعادة السامية والسبب في ذلك كون هذا الإرهاب يهودياً بحتاً وتلمودياً خالصاً، ويشهد على ذلك الطابع الذي برز فيه هذا الإرهاب والذي يميزه بهذه الميزة حيث يمكن القول بأنه إرهاب يهودي وليس روسياً أو شيوعياً أو سوفييتياً.

في أعوام /١٩٥٢-١٩٥٣/ وعندما أصبح «ستالين» وبشكل مفاجئ «هتلراً جديداً» وعندما هددت أمريكا وإنكلترا بتدمير روسيا- إذا سمحت بانبعاث معاداة السامية- في ذلك الوقت بالذات كانت قيادة الحزب والدولة والبوليس السري في دول شرق أوربة في غالبيتها في آيدي اليهود، حتى آن المواطنين البسطاء هناك اعتادوا على ذلك «على آن القيادة في آيدي اليهود» وبالتالي اعتبروا آن اليهود الشيوعيين هم السبب في كل البلاء الذي أصابهم ويصيبهم «نيويورك ستيت مين /١٩٥٢م/» وكذلك كان /٩٠٪/ من القيادات العليا في المجر من اليهود ومن ضمنهم رئيس الوزراء «ماتياس راكوشتي» «التايم الأمريكية- نيويورك /١٩٥٣م/».

وفي «رومانيا كما هو الحال في المجر، يسيطر اليهود على قيادة البلاد» «نيويورك «هيرالد تريبون» /١٩٥٣م/».

والمدهش أن المقاطع الواردة أعلاه أخذت من مقالات حاولت إدانة «معاداة السامية» في «البلدان- الأذناب» على الرغم من أنه لا يوجد أي شك وحتى انطلاقاً من كلام هذه الصحف نفسها، باتت تلك البلاد تقع تحت قيادة اليهود.

ولكن على الرغم من ذلك- رأى الرئيس «ايزنهاور»، أن ومن واجبه الحديث عن «موجة معاداة سامية مسعورة... في الدول الأذناب في أوربة الشرقية».

والسؤال الذي يبرز هو، ألا تعني هذه التهديدات من واشنطن، بأن على الشعوب المستعبدة أن تسكت وتصمت ولا ترفع صوتها ضد من يضربها بالسوط؟ ألا أن إذاعة صوت أمريكا على الرغم من ذلك كله، لم تكل ولم تمل من إطلاع الجماهير المستعبدة في أوربة الشرقية، على أحوالها البائسة وآن تعلن هي وإذاعة «أوربة الحرة» باقتراب الحرية.

في إطار هذه الأوضاع الدولية غير اللائقة، حدثت الانتفاضات الشعبية البولندية والمجرية في تشرين الأول «أكتوبر» /١٩٥٦م/ وكانت الإشارة الأولى لها هي حدوث الاضطرابات في «بوزناني» في حزيران «يونيو» /١٩٥٦/ وبعدها على الفور ظهرت المقالة المذكورة أعلاه للسيد «زولتسبيرغر» حول «معاداة السامية وراء الستار الحديدي».

والتي اشتكت واحتجت على إقالة «الرفيق» «ياكوب بيرمان» وكذلك على إقالة قائد القوات البولندية «المارشال السوفييتي راكو سوفسكي» لعدة مئات من الضباط اليهود في الجيش البولندي.

في آب «أغسطس» من نفس السنة «١٩٥٦م» قام أحد نواب رئيس مجلس الوزراء البولندي، «زينون نوشك» «النائب الآخر كان اليهودي غيلاري مينتس» بالتصريح بأن حملة «الديمقراطية» والليبرالية في الصحافة البولندية قد تشوهت، بسبب الاهتمام الخاص الذي أعطي لليهود فيها. وأشار إلى أن الشعب يُعد بأن عدد اليهود في قيادة الحزب والدولة يزيد كثيراً عن نسبتهم في عدد السكان ولإثبات ذلك استعرض قائمة طويلة جداً تحتوي على أسماء اليهود العاملين في المناصب القيادية في مختلف الوزارات.

وجاء الرد على ذلك عبر الصحافة، من قبل برفسور يدعى «كوتاربينسكي»، الذي آكد أيضاً «بأن اليهود أصبحوا الأكثرية في المراكز القيادية وأنهم بفضل ذلك يقومون بحشر جماعتهم في مختلف المناصب».

«نيويورك تايمز ١١/١١/١٩٥٦م».

في تلك الفترة كان قد مر نحو إحدى عشرة سنة على خضوع بولندا للسيطرة السوفييتية وللإرهاب اليهودي.

ولم يتغير شيء في ذلك منذ أن قام السفير الأمريكي بوصف الأوضاع هناك في فترة /١٩٤٥-١٩٤٧م/ حيث قال: «كانت السفارة الأمريكية، شاهداً على الكثير من الاعتقالات التي قامت بها الجهات الأمنية والبوليس... مستخدمة في ذلك وسائل الإرهاب والتخويف، حيث

حُرم على المعتقلين أي احتكاك بالعالم الخارجي لفترة طويلة وفي بعض الأحيان إلى الأبد... وقد أكد حتى مخبرونا اليهود، عدم شعبية القيادين اليهود إلى درجة كبيرة، وقد ذكر من بين الأسماء، اسم «مينتس» و «بيرمان» و «أوليفسكي» و «رذاكيفتش» و «سبيخالسكي»... ويسود شعور سلبي نحو اليهود، في أوساط الميليشيا، لأن قوات الأمن «البوليس السري» الحكومية بقيادة «رذاكيفتش»، كانت تقود الميليشيا والجيش... وتجدر الإشارة أيضاً إلى وجود عدد كبير من اليهود ذوي الأصول الروسية في قوات الأمن الحكومي».

وفقط بعد مرور إحدى عشر سنة على ذلك أخذ الإرهاب اليهودي يخف قليلاً.

وفي أيار «مايو» عام /١٩٥٦/ خُلعَ «ياكوب بيرمان» «كان يُعد رجل موسكو الأول في الحزب الشيوعي البولندي»- نيويورك تايمز ١٩٥٦/١٠/٢١م- من منصب نائب رئيس الحكومة وبعده طار من منصبه «غيلاري مينتس» وذلك في تشرين الأول «أكتوبر» /١٩٥٦م/ «كان يُعد رجل موسكو الثاني».

وعلى الفور أطلقت الصحافة الأمريكية على نائب رئيس الحكومة الجديد السيد «نوفاك»، تهمة «معاداة السامية». كانت تلك هي خلفية الانتفاضة الشعبية التي اندلعت في /٢٠/ تشرين الأول «أكتوبر»، ومن الواضح أن بولندا اقتنعت بسرعة «كما حدث مع روسيا والمجر في فترة /١٩١٧-١٩١٩م/». بان الإرهاب الذي يسودها كان يهودياً بحتاً.

وعندما حاول شعبها أن يرمي جانباً هذا الإرهاب قامت أمريكا وإنكلترا بإطلاق تهمة معاداة السامية عليه. ووجدت بولندا نفسها- كما حدث في الدول الأخرى- وجهاً لوجه مع معضلة «القضية اليهودية» على الرغم من أن أوضاع اليهود البولنديين البسطاء كانت وبناء على تصريحات الحاخامات والصحفيين الأمريكان- أفضل من أوضاع بقية المواطنين البولنديين.

وتجدر الإشارة إلى أن عدد اليهود في بولندا، التي بلغ عدد سكانها في تلك الفترة /٢٥/ مليون نسمة، كان يتراوح بين الثلاثين ألف «نيويورك تايمز ٥٦/٧/١٣» والخمسين ألف «نفس الجريدة ١٩٥٦/٨/٣١م» أي أن نسبتهم في البلاد كانت ضئيلة جداً ولم يحدث أبداً في قرننا المتحضر أن تمكنت أقلية صغيرة مثل هذه أن «تصبح أكثرية ساحقة في المناصب القيادية».

أما في هنغاريا التي وقعت في عام /١٩٤٥م/ للمرة الثانية تحت السيادة الشيوعية، فإن نظام الإرهاب لم يكن فقط يهودياً بل حتى الوجوه نفسها تكررت فيه.

أن إعادة الإرهابيين اليهود إلى مناصبهم، بعد أن طردوا فيها ومن البلاد قبل /٢٦/ سنة، يجب أن ينظر إليه كبرهان قاطع على أن من جلس في موسكو وكان يدير الثورة العالمية، فعل ذلك عن قصد وعمد وكان التوقيع هذه المرة أيضاً يدل على الأصل التلمودي وليس السوفييتي أو الشيوعي أو الروسي.

وعلى هذه الخلفية- والتي لم يستطع العالم الحر أن يستوعبها ويفهمها- حاولت قوى البعث القومي أن ترمي عن ظهرها وبالتدريج، نظام الإرهاب وتتخلص منه، وحصل ذلك في نيسان «ابريل» /١٩٥٦/ في بولندا عندما أطلق سراح «فلادسلاف غومولكا» «دخل السجن عام /١٩٥١/ وظل فيه حتى /١٩٥٦م/» والذي أصبح في تلك الفترة رمزاً للآمال الشعبية، على الرغم من كونه شيوعياً ألا إنه كان بولندياً حقاً قبل كل شيء.

وأعيد الرجل إلى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي البولندي في /١٩/ تشرين الأول «أكتوبر» /١٩٥٦م/ وأعلن بعد ذلك عن انتخابات برلمانية قريبة، وقال بأن الشعب البولندي سيدافع عن نفسه بكافة الوسائل المتاحة ولن يحيد عن طريق الديمقراطية وقد جاءت كلماته هذه خلال استقباله لخروشوف الذي حضر إلى وارسو مع الكثير من الجنرالات السوفييت. واغتاظ خروشوف وهدد باستخدام الجيش الأحمر، إلا أن «غومولكا» صمد برجولة وقال: «إذا تدخلت قواتكم فإننا سنقطع معكم كل العلاقات». ووقف الجيش البولندي معه وأعلن عن استعداده لحماية بلاده وقضاياه الوطنية. وتراجع خروشوف.

وأصبح الكاردينال «فيشينسكي» رمزاً للبعث الوطني والقومي بعد عودته إلى قيادة الكنيسة الكاثوليكية التي أبعد عن قيادتها في عام /١٩٥٣م/.

وعمت السعادة بولونيا وتعرضت الثورة الشيوعية العالمية لأول هزيمة لها وخطت الأمة البولندية خطوتها الأولى نحو الحرية.

وانتقلت شرارة الحرية إلى هنغاريا والتهبت البلاد بشكل أصبحت معها أحداث بولونيا عادية ومنسية. ففي /٢٢/ تشرين الأول «أكتوبر» /١٩٥٦م/ خرجت الجماهير إلى شوارع بودابست مطالبة بعودة «ايمري ناد» إلى منصب رئيس الحكومة وبخروج القوات السوفييتية من البلاد ولم يخطر على بال أحد من المتظاهرين، بأن مظاهراتهم ستتحول إلى حرب تحريرية شعبية. وعلى الرغم من أن الشرارة جاءت من بولندا إلا أن الفرق كان في أن هنغاريا كانت وللمرة الثانية تخضع لظلم المفوضين اليهود.

وكان هدف الحقد والاحتقار الشعبي، المدعو «ايرنو غيري» رئيس الحزب الشيوعي المجري وهو الشخص الثالث بين الإرهابيين المرسلين في عام /١٩١٩/ من موسكو إلى بودابست لقيادة الإرهاب البلشفي هناك.

وأصبح «ايميري ناد» رمزاً وطنياً في المجر، كما كان «غومولكا» في بولندا وكان هو أيضاً شيوعياً وطنياً.

ولا شك بأن السبب الأول والرئيسي في شعبية، «غومولكا» في بولندا و «ايميري ناد» في هنغاريا هو آن الأول كان بولونياً حقاً والثاني هنغارياً حقاً وليس غريباً ولو سمح له أن يلعب دوره حتى النهاية، لكان أول خطوة قام بها هي حصول هنغاريا على استقلالها الوطني وضمان الحرية الشخصية لكل المواطنين وبعد ذلك كان سيتخلى عن مكانه للحكومة المنتخبة من قبل الشعب.

ولا شك بأن السبب في شعبيته أيضاً هو أنه أُبعدَ عن القيادة في عام /١٩٥٣م/ ومن الحزب في عام /١٩٥٥م/ على أيدي المكروهين «راكوشي وايرنو غيري».

لقد آراد الشعب في هنغاريا- كما في بولونيا- أمراً واحداً فقط وهو عودة الكنيسة والديانة «كان رمز الكنيسة في هنغاريا، الكاردينال «فيدسنتي» الذي سجنه اليهود» وكذلك تحرير الشعب من الاحتلال الأجنبي «خروج الجيش السوفييتي» وإلغاء البوليس السري ومعاقبة قادته. وتجدر الإشارة إلى أن تلك المطالب، طرحت في تظاهرات سلمية ولم يكن في البداية أي اعتصام أو اصطدامات. وأفضل دليل على ذلك هو تصريح ديكتاتور الشيوعي تيتو خلال بث إذاعي في ١٩٥٦/١١/١٥م.

«لدى وجودنا في موسكو، صرحنا بشكل مباشر بأن «راكوشي» ونظامه، لا يملكان الخواص اللازمة والضرورية لقيادة الدولة المجرية ولتأمين وحدتها الداخلية... ولكن للأسف لم يقتنع الرفاق السوفييت بما قلناه لهم.

ولكن حتى عندما ألح الشيوعيون الهنغار على استقالة «راكوشي» وفهمَ القادة السوفييت، استحالة استمرار هذا الأمر، وافقوا على إقالته، إلا إنهم ارتكبوا خطأ كبيراً عندما لم يسمحوا بإقالة «غيري» أيضاً وغيره من أعوان «راكوشي»... لقد وافق السوفييت على إقالة «راكوشي» بشرط بقاء «غيري» في منصبه... ولكن «غيري» كان مذنباً بنفس القدر الذي كان فيه ذنب «راكوشي»... لقد وصف مئات الألوف من الناس، بالرعاع، على الرغم من أنهم كانوا في ذلك الوقت لا يزالون متظاهرين مسالمين».

«قال أحد المشاركين في الأحداث بأن السيد «غيري» قد وصف المتظاهرين أيضاً بالمجرمين والفاشيين القذرين وغير ذلك من الكلمات الوسخة التي لا يمكن طباعتها».

«وكان ذلك كافياً لإشعال برميل البارود وتفجيره... وطلب «غيري» مساعدة الجيش. لقد كانت دعوة الجيش السوفييتي للمساعدة، خطأ قاتلاً... وأغضب ذلك الشعب بشكل أدى إلى انتفاضة عفوية... وطلب «ناد» المعونة من الشعب للوقوف ضد الجيش السوفييتي وطلب تدخل الدول الغربية».

ومن هذه الأقوال يتضح بأن الانتفاضة حدثت فقط بعد العمل الاستفزازي المهين الذي قام به القائد الحزبي «غيري» «غيري بقي في منصبه حتى بعد أن أصبح «ايميري ناد» رئيساً للحكومة» حيث طلب بعد ذلك تدخل الجيش السوفييتي لحفظ النظام.

في /٢٩/ تشرين الأول «أكتوبر» /١٩٥٦م/ فتحت الدبابات السوفييتية النار على المتظاهرين أمام ساحة البرلمان وإمتلاءت الشوارع بالجثث وسبب ذلك انتفاضة حقيقية نهض الشعب خلالها كشخص واحد ضد القوات السوفييتية والأمن السري البغيض وخلال عدة أيام، أصيبت الثورة الشيوعية بالهزيمة في المجر.

وأطلق سراح الكاردينال «ميند سينتي» من السجن وأصبح «ايميرناد» رئيساً للحكومة واختفى غيري البغيض من الأفق «يقال إنه سافر إلى أحد المصحات في شبه جزيرة «القرم» السوفييتية مع راكوشي». وهاجمت الجموع البشرية، معسكرات البوليس السري وحطمت تمثال «ستالين» في العاصمة وأما قطعات الجيش الهنغاري فإما أنها وقفت مع المتظاهرين أو التزمت الحياد.

وكانت تلك الأيام هي الأولى التي أدت إلى عودة الأمل لأول مرة في تاريخ أوربة بعد انتصار الشيوعية الثورية في عام /١٩١٧م/. ولكن على الطرف الآخر من القارة تحركت الصهيونية الثورية وأسرعت لمساعدة شقيقتها بالدم وخلال عدة أيام بل وحتى عدة ساعات انتهى كل شيء وحلت الهزيمة.

علينا هنا أن نلقي نظرة إلى الوراء، قبل أن ننهي كتابة المرحلة الثانية من الحرب الشعبية التحريرية الهنغارية، لأننا نعتبر أن مثال هنغاريا بالذات هو الأكثر دلالة على ما حدث في أوربة الشرقية. وهنا بالذات قامت القيادة في موسكو بوضع إشارة مساواة بين السلطة اليهودية ونظام الإرهاب، عندما اتخذت قراراً بعدم السماح بتدمير هذه أو تلك «على الرغم من أننا لا نعرف السبب الذي يقف وراء ذلك». ولهذا السبب بالذات بنيت تجربة هنغاريا أكثر من غيرها، استمرار تواجد القيادة اليهودية التلمودية للثورة في مركزها في موسكو.

إن النظام الشيوعي لعام /١٩١٩م/ الذي تخلص منه الهنغار بقواهم الذاتية بعد استمرار إرهابي مخيف دام فترة قصيرة، كان وبلا شك يهودياً خالصاً على الرغم من وجود اثنين أو ثلاثة من غير اليهود في قيادته.

وقد سادت في تلك الفترة سيطرة دموية لأربعة يهود أساسيين، كانوا يقودون مجموعة كبيرة من الإرهابيين اليهود الأقل أهمية. وهؤلاء الأربعة كانوا: «بيلا كونا»، «ماتياس راكوشي» و «تيبورا صاموئيل» و «ايرنو غيري». والأربعة كما هو معروف لم يكونوا هنغاراً وقد تدربوا على مهماتهم الخاصة في موسكو البلشفية.

بعد الحرب العالمية الثانية وبهدف التضليل السياسي، سمح السوفييت بإجراء انتخابات حرة بعض الشيء في هنغاريا «تشرين الثاني «نوفمبر» ١٩٤٥م» وكانت نتيجتها انتصار الأحزاب الفلاحية وحصولها على الأغلبية في مقاعد البرلمان. وعلى الفور جرى إرسال السيد «راكوشي» من موسكو إلى هنغاريا، وبمساعدة الجيش الأحمر وكذلك البوليس السري الذي عاد إلى الظهور، أخذ «راكوشي» يقوم بتدمير منافسيه غير الشيوعيين وقام هو و «غيري» بإعدام خمسة منهم في عام /١٩٤٩/ «أحدهم كان «لاسلو رويك» المشهور وهو يهودي أيضاً» وذلك بعد أن أجبروا على «الاعتراف» بالعمل لمصلحة «دولة إمبريالية» لم تحدد.

وكان الإرهابي الأول في تلك الأيام هو «ايرنو غيري» قائد البوليس السري «القائد السابق للبوليس السري انتحر عام /١٩١٩/ وهو المدعو «تيبورا صاموئيل» وأما «بيلا كونا» فقد أعدم في روسيا في الثلاثينيات». وهو الذي نظم المحاكمات الصورية في البلاد ومن ضمنها محاكمة الكاردينال «ميند سينتي» رئيس الكنيسة المجرية.

بعد ذلك عاشت المجر عدة سنوات تحت سلطة الإرهاب بقيادة اثنين من الذين اغتصبوا الحكم في عام /١٩١٩م/.

وأما الجهاز الحكومي فكان «يهودياً بدرجة /٩٠٪/ في قمة السلطة». ولذلك فإن المواطن العادي الهنغاري كان ينظر إلى هذا الإرهاب، على أنه يهودي وليس شيوعي أو سوفييتي أو روسي.

وبعد موت «ستالين» المفاجئ، اهتز أمر ما فجأة في شرق أوربة وفي تموز «يوليو» /١٩٥٣م/. ترك «راكوشي» منصب الحكومة عند ذلك كتبت جريدة التايمز اللندنية بأن «السيد «غيري» أصبح اليهودي الوحيد في الحكومة الهنغارية التي كانت خلال حكم «راكوشي» يهودية في غالبيتها».

وبما أن «راكوشي» بقي رئيساً للحزب وشغل «غيري» منصب رئيس الحكومة، فإنه من المستبعد أن يكون أي شيء قد تغير فعلياً في هنغاريا.

وجرت في عام /١٩٥٦/ إقالة «راكوشي» من قيادة الحزب وحل مكانه «غيري» وقام على الفور بشد الأوضاع في البلاد لدرجة أصبح معها الانفجار حتمياً: وجرت الانتفاضة التي أدت إلى انسحاب الجيش السوفييتي من البلاد «/٢٨/ تشرين الأول «أكتوبر» /١٩٥٦م/» وبعد يومين من ذلك في /٣٠/ تشرين الأول «أكتوبر» أعلنت الإذاعة السوفييتية في تصريح لناطق حكومي، الاعتراف «بالأخطاء المرتكبة وبنقض مبدأ المساواة في العلاقات بين الدول الاشتراكية» ودعا التصريح إلى بحث «الإجراءات... التي تسمح بإزالة أي خرق ممكن لمبدأ

الاستقلال الوطني» وكذلك في «بحث موضوع تواجد القوات السوفييتية في هنغاريا ورومانيا وبولندا».

هل كان ذلك عملية ماكرة هدفت إلى إعطاء القتلة، ما يكفي من الوقت لالتقاط الأنفاس وتجميع القوى، أم أن ذلك كان فعلاً تراجعاً واعترافاً بالأخطاء، يمكن أن يفتح باب الأمل؟.

ولكن لولا أن إسرائيل لم تعتد على مصر... ولولا أن فرنسا وإنكلترا لم تنضما إليها في هذا الاعتداء.

لو لم يحصل كل ذلك، كان العالم سيعرف الجواب على السؤال المطروح أعلاه. ولكن الآن لن يُعرف الجواب أبداً لأن الاجتياح الصهيوني لمصر واشتراك إنكلترا وفرنسا في ذلك، أنقذ الثورة الشيوعية وحررها من ضرورة الاختيار بين الحلين المشار إليهما آعلاه.

وبضربة عصا سحرية «في يد من هذه العصا يا ترى؟» تحولت عيون العالم من هنغاريا إلى مصر والشرق الأوسط وفقدت أحداث هنغاريا بريقها وأي معنى لها.

ولم تعد تجدي نفعاً صيحات الاستغاثة التي أطلقها «ايميري ناد» إلى العالم طالباً فيها العون بالراديو ومشيراً إلى اختراق /٢٠٠٠٠٠/ جندي سوفييتي وخمسة الآلاف دبابة معهم لأراضي هنغاريا. وتحولت بودابست الجميلة إلى آنقاض.

وفي السابع من تشرين الثاني «نوفمبر» صمتت آخر محطة إذاعية حرة في هنغاريا. «هذا آخر بث لنا- الدبابات والطائرات السوفييتية تُحطمنا». هذه الكلمات سجلها مراسل جريدة نيويورك تايمز في فيينا.

والتجأ «ايميري ناد» إلى السفارة اليوغسلافية وغادرها فقط بعد آن وعده السوفييت بحرية مغادرة البلاد إلى مكان أمين ولكن ما أن خرج من هناك حتى قبض عليه ويقال بأنه أُعدم. والتجأ الكاردينال «ميند سينتي» إلى السفارة الأمريكية.

وفي نهاية تشرين الثاني «نوفمبر» /١٩٥٦م/، قال مندوب كوبا في الأمم المتحدة بأن عدد الضحايا في المجر بلغ /٦٥٠٠٠/ شخص وأن أكثر من /١٠٠/ ألف شخص هربوا عبر الحدود النمساوية. هذه هي الأيام العشرة التي هزت العالم فعلاً.

ولا شك بأنها ستهزه أكثر عندما تصبح الحقيقة بكاملها عن تلك الأيام معروفة.

لقد آدارت الديموقراطية الغربية ظهرها لهنغاريا وكان اهتمامها محصوراً فقط بالشرق الأوسط. لقد خرجت القضية اليهودية إلى المرتبة الأولى في «اللحظة المناسبة» وطغت على بريق الأمل الذي لمع في آوربة الشرقية وأطفأته. ومرة آخرى وكما في عام /١٩١٧/ عملت الصهيونية

الثورية يداً بيد مع الثورة الشيوعية. ولم تجد الأمم المتحدة الوقت اللازم لبحث صيحة الاستغاثة الهنغارية

وأما في هنغاريا نفسها فقد حل مكان «غيري» الهارب، شخص آخر يدعى «فرينتس ميونيخ» من جماعة عام /١٩١٩م/ القديمة الذي عاد مع الجيش الأحمر بعد الحرب العالمية الثانية إلى هنغاريا وكان خلال فترة حكم «راكوشي»، رئيساً لبوليس العاصمة بودابست وأصبح الآن «نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للدفاع الوطني والأمن الاجتماعي» في حكومة المدعو «يانوش كادار» أحد رجال موسكو. ويقال أن هذا الأخير اشتهر ببعض الاستقلالية لذلك لم يمنحه السوفييت سلطات واسعة.

وهكذا عم الظلام مرة أخرى على هنغاريا ولم يبق لدى الهنغار إلا قول مشبوه للرئيس «ايزنهاور» «بأنه معهم من كل قلبه».

وانفجرت القنبلة الموقوتة في الشرق الأوسط في الوقت المطلوب المناسب. عندما اهتزت الثورة العالمية وأصابها الفشل ووقفت على أبواب الهزيمة المُرة.

وأعطت الدولة الصهيونية: للسوفييت الفرصة لالتقاط أنفاسهم وحررت أيديهم لخنق هنغاريا، لحظة انشغال العالم كله بأحداث الشرق الأوسط وقناة السويس.

لذلك يمكن اعتبار آن ظهور الدولة الصهيونية إلى الوجود كان أكثر شؤماً وهلاكاً بالنسبة لمصير البشرية، حتى أكثر من ظهور الدولة الشيوعية في روسيا.

٢ـ الدولة الصهيونية

في تلك السنين كانت هناك دولة صغيرة، تحمل اسماً مزوراً هو «إسرائيل» وكانت في الحقيقة عبارة عن ظاهرة لم يعرف لها التاريخ البشري مثيلاً.

لقد ابتدعتها وخلقتها ووضعت أسسها ومن ثم أظهرتها إلى الوجود واستوطن فيها «إلى درجة كبيرة»، شعب غير سامي من يهود روسيا ذوي الأصول الخزرية.

وقامت هذه الدولة المسخ على عادات قبلية قديمة جداً مملوءة بالهمجية لم يملك الشعب الذي سكنها «الدولة» أي علاقات تاريخ أو دم مع هذه العادات وظهرت إلى الوجود وفي القرن العشرين شوفينية متوحشة تقوم على الأسس المستقاة حرفياً من الشرائع اللاوية اليهودية القديمة. ولم تكن هذه الدولة وبالإمكانات الضئيلة الإقليمية والاقتصادية التي تمتلكها، تملك أي حظ أو إمكان للوجود المستقل المعتمد على النفس، ولذلك عاشت منذ البداية مستخدمة الأموال والسلاح الذي استطاع أنصارها المتنفذون استلابه من الدول الغربية.

وقد تخطت هذه الدولة وخلال الفترة القصيرة التي تواجدت فيها، كل الدول والأمم التي تسببت بالحروب على مدى التاريخ كله. وهددت هذه الدولة، تحت قيادة إرهابيين من أوربة الشرقية، الشعوب المجاورة لها والشعوب السبعة» بالحروب والعبودية التي تنبأ لهم بها كتاب «التثنية اللاوي».

ولم تخجل ولم تخف هذه الدولة، بأن سلطتها في العواصم الغربية كانت قوية إلى درجة كافية تقدر معها منع حكام هذه الدول من إبداء أي معارضة وفي منح الدعم اللازم الكافي للدولة الصهيونية خلال أي ظرف كان وإلى درجة تبدو معها أمريكا- على وجه الخصوص- مستعمرة لها.

ومنعت هذه الدولة، داخل حدودها أي زواج مختلط وكانت دولة دينية بحتة تسودها قوانين عنصرية لا تختلف بشيء عن قوانين «هتلر» السيئة الصيت والتي كما هو معروف دفعت ألمانيا المهزومة، ثمنها غالياً.

وخارج حدود تلك الدولة ساد البؤس حشوداً كبيرة من العرب اللاجئين، الذين طردتهم هذه الدولة إلى الصحراء والذين ارتفع عددهم عن طريق التوالد والتكاثر الطبيعي حتى بلغ مليون نسمة. وتكررت الهجمات من هذه الدولة عبر الحدود على هؤلاء اللاجئين والدول التي احتوتهم، وكان القصد الأول منها هو التذكير الدائم بأن مصير «دير ياسين» الكئيب يحوم فوق رؤوسهم على الدوام: «اجتثهم وأبيدهم حتى آخر رجل وامرأة وطفل... ولا تترك على قيد الحياة، أي شيء يتنفس». ومن فترة لأخرى همس وبخوف وارتباك حكام الغرب «الذين خلقوا هذه الدولة المسخ» محتجين على ذلك ولكن في الوقت نفسه أرسلوا لها الأموال وكل ما هو ضروري للحرب على الرغم من زعمهم بأنهم لا يرغبون بها «الحرب». وعلى غرار «فرانكنشتين»، خلق هؤلاء أداة دمار خرجت منذ ولادتها عن سيطرتهم ولم يعد لديهم أي سلطة عليها. وهذه الدولة الصغيرة التي قامت على الأساطير والخيالات والخزعبلات القبلية، اعتمدت فقط على القوة وزرع القلق في جميع أنحاء العالم المسكين الذي لم يعد يعرف ولا دقيقة راحة وسكون منذ ظهورها إلى الوجود، لأنها آخذت تنفذ كلمات النبوءة القديمة: «وسأرسل عند ذلك رعبي ليسير أمامك وسأبلبل كل شعب تصل إليه». ولكن على الرغم من كل ذلك لم تكن هذه الدولة تملك وجوداً حقيقياً، ولو تركت لوحدها لكان الاندثار مصيرها ولكانت رغبة مغادرتها ستسود على رغبة العيش فيها على الرغم من كل الحقد الشوفيني المحقون في سكانها. ودليلاً على ذلك أنه بعد مرور ثلاث سنوات من إنشاء «إسرائيل» «١٩٥١م» كان عدد المغادرين لها سيزيد عن عدد القادمين، لولا الثغرة التي ظهرت

فجأة في الستار الحديدي في أوربة الشرقية «عن سابق قصد وتصميم» وبدا واضحاً رغبة الدولة الثورية الشيوعية في تقديم السكان للدولة الثورية الصهيونية.

ومع كل ذلك هاجر في عام /١٩٥٢/ إلى «إسرائيل» ما يقارب /٢٤٤٧٠/ مهاجر وغادرها /١٣٠٠٠/ شخص.

وأما في عام /١٩٥٣/ وحسب مصادر الوكالة اليهودية فإن في الشهور الخمسة الأولى من السنة المذكورة، قدم إلى الدولة العبرية /٨٥٠٠/ مهاجر وغادرها /٢٥٠٠٠/ شخص ويشير المدعو «موشي شميليانسكي»، وهو إنسان عاش في البلاد مدة /٦٠/ سنة إلى السبب في ذلك وجاءت أقواله في جريدة «Jewish Review» في شباط «فبراير» /١٩٥٢م/.

«مع انتهاء الانتداب البريطاني كانت البلاد في حالة رائعة وكانت المخازن الحكومية والخاصة مملوءة بالسلع الغذائية، وكان يوجد احتياطي كبير من المواد الخام الصناعية وكانت الدولة تمتلك /٣٠/ مليون جنية إسترليني في البنك البريطاني، بالإضافة إلى السندات المالية الأمريكية والإنكليزية بقيمة كبيرة جداً. وقدرت الحركة المالية في البلاد بنحو /٣٠/ مليون جنية «كان يعادل الإسترليني الإنكليزي»... لقد تركت لنا حكومة الانتداب ورثة غنية على شكل ميناء حديث وعميق في حيفا، بالإضافة إلى ميناءين في يافا وتل آبيب وكذلك سكك حديد وشبكة طرق برية حديثة ومطارات حديثة مجهزة جيداً عسكرية ومدنية، والكثير من الأبنية الحكومية ومعسكرات ومهاجع للجنود في حالة جيدة جداً وكذلك مصفاة للبترول في حيفا.

وأما العرب الهاربون من البلاد فقد تركوا لنا نحو خمسة ملايين دونم من الأراضي المزروعة بالكروم والزيتون والحمضيات وغيرها.

ونحو /٧٥/ ألف منزل سكني في القرى والمدن الكثير منها في حالة جيدة، ونحو /٧٥/ ألف دكان ومعمل والكثير من الممتلكات المنقولة مثل الموبيليا والمواشي والأشياء الثمينة... وكان كل ذلك ثراء كبيراً. وإذا كنا الآن في إسرائيل نغوص في الفقر، فالمذنب في ذلك هو المركزية البيروقراطية الزائدة عن اللزوم وتقييد «تحديد» المبادرة الشخصية الخاصة والعمل على نشر النظام الاشتراكي».

وفي نيسان «ابريل» /١٩٥٣/ قام عضو الحزب التحريضي الإسرائيلي المدعو «غوريفتش»، برسم صورة انحطاط وانحلال الجولة الصهيونية، أمام الجمهور الصهيوني في جنوب إفريقيا، وحسب أقواله لم يعد من الممكن إغلاق العيون على ما يحدث في إسرائيل: «فيما يخص الاقتصاد تقف البلاد على حافة الإفلاس وقد تقلصت الهجرة وخلال الأشهر

الأخيرة الماضية، غادر البلاد عدد يفوق عدد القادمين إليها. بالإضافة إلى ذلك يوجد نحو /٥٠٠٠٠/ عاطل عن العمل وعدد كبير من العاملين يوم عمل غير كامل».

ويوجد في جعبة المؤلف الكثير من هذه الشهادات من الجانب اليهودي ولا شك بأن مقارنتها مع الصورة التي تنتشر في الغرب عن الحياة في إسرائيل هو أمر مفيد للغاية.

وقد قال المستر «كليمنت ديفيس»، رئيس حزب العمال البريطاني، أمام حشد من المستمعين في تل أبيب «وهو يمدح نجاحات إسرائيل والتي عدها معجزة للتقدم في طريق تحويل إسرائيل إلى بلاد فيها أنهار الحليب وشواطئ العسل». (نشر ذلك في نفس الجريدة العبرانية التي نشرت أقوال السيد «غوريفتش»).

في الوقت نفسه قال السيد «روزفلت الابن» وهو يستعد للحصول على أصوات الناخبين اليهود في ولاية نيويورك: «إسرائيل هي ملاذ الحياة والأمل في بحر الشعوب العربية الهائج، إنها تدعو إلى أسس الحرية والديموقراطية باسم العالم الحر وبشكل أفضل مما يتم في الولايات المتحدة.».

وأما «ديلاني ستيفينسون» فقد قال أمام حشد من اليهود الأمريكان خلال الحملة الإنتخابية في عام /١٩٥٢م/: بأن «إسرائيل أخذت في أحضانها وبقلب محب كل شعبها المشرد الباحث عن الخلاص من المحنة التي وقع فيها... وعلى أمريكا أن تحتذي بإسرائيل في وضع سياسة الهجرة الخاصة بها».

«إذا أخذنا هذه الثرثرة مأخذ الجد، فإنه من الصعب أن لا نلمح فيها دعوة إلى طرد جميع الأمريكيين الحاليين من أمريكا وإعادتها إلى الهنود الحمر».

ولم يتخلف عنه في بذل كلمات المديح للدولة الصهيونية، باحث آخر عن الطريق إلى كرسي الرئاسة وهو المدعو «ستيورات سايمينغتون»: «إسرائيل هي مثال يوضح كيف تجلب الرجولة والصلابة والسياسة الحكيمة، النصر للمثل الديموقراطية وعدم الاستسلام للإمبريالية السوفييتية».

ونود أن نشير هنا إلى أنه في تلك الأيام فرض على تلاميذ المدارس الحكومية الإسرائيلية، أن يتعلموا خمس أغانٍ عن الرايات الحمراء المرفرفة في عيد أول أيار[1]، في الوقت الذي صرخ فيه ساسة الغرب عن معاداة السامية وراء الستار الحديدي.

وتماماً كما في السابق كان الاحتجاج ضد هذا التحوير الواضح للحقيقة، يأتي فقط من طرف بعض الأصوات اليهودية «لقد أوضحنا فيما سبق بأن أي انتقاد من أي طرف غير يهودي هو أمر محرم تماماً».

١- عيد العمال -المترجم

وقد كتب اليهودي «وليم تسوكرمان» يقول: «اتضح وبشكل واضح، أن الاعتقاد السائد بأن إنشاء دولة إسرائيل سيؤدي إلى توحيد وتلاحم الشعب اليهودي، هو أمر خاطئ وعبارة عن زيف وخداع. وعلى العكس فإن هذا المؤتمر «المؤتمر الصهيوني في أورشليم /١٩٥١م/» بين وبشكل مخيف بأن إنشاء وجود سياسي يهودي بعد مرور ألفي عام، سيؤدي إلى شرخ جديد وعميق لم يعرفه اليهود كمجموعة قومية منذ مئات السنين، وأن إسرائيل في المستقبل ستقوم على الأغلب بتفرقة اليهود وليس بتوحيدهم.

ويُعد البعض أن إسرائيل، يجب أن تملك وبشكل سحري، سلطة حقوقية على عشرة أو اثني عشر مليوناً من اليهود المنتشرين في جميع دول العالم خارج حدود إسرائيل، وأن إسرائيل يجب أن تتسع دائماً ومن دون عائق للمهاجرين اليهود الجدد من جميع الدول على الرغم من ظروف حياتهم الجيدة في بلدان معيشتهم.

وحسب هذه النظرية فإن اليهود الذين عاشوا هناك منذ مئات السنين وعلى مدى أجيال عديدة، يجب «إنقاذهم» من إمكان طردهم ونقلهم إلى إسرائيل في عملية هجرة جماعية... قادة جميع الأحزاب الإسرائيلية من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار ومن ضمنهم رئيس الوزراء «بن غوريون»، بدأوا يطالبون اليهود الأمريكان وبالأخص الصهاينة منهم، أن يسددوا الدين المستحق عليهم باتجاه الوطن القديم وأن يغادروا أمريكا ويستوطنوا في إسرائيل أو على الأقل أن يرسلوا أبناءهم إلى هناك... الكونغرس الأورشليمي «الصهيوني» يعني عملياً نهاية التاريخ المجيد للصهيونية الأمريكية ويفتح مرحلة تعصب قومي شرق أوسطي قوي... على أساس نظرية الراحل «فلاديمير جابوتينسكي» الذي حلم بدولة يهودية كبيرة على ضفتي نهر الأردن يتجمع فيها كل يهود العالم وتصبح أقوى دولة عسكرية في الشرق الأوسط».

وعلى نفس اللهجة تكلم «ليسينغ روينفالد» محتجاً: «نحن نطرح احتجاجنا الدائم ضد كل خطط تحويل اليهود الأمريكيين في كتلة قومية متعصبة لمصالح خاصة في دولة أجنبية هي إسرائيل. إن السياسة التي يفرضها «بن غوريون» على الصهيونية الأمريكية، القصد منها مضاعفة الجهود لتحويل يهود أمريكا إلى كتلة ضغط منفصلة في الولايات المتحدة والهدف من هذه الخطة تحويل يهود أمريكا إلى أشخاص مرتبطين روحياً وثقافياً بدولة أجنبية... نحن نعتبر التعصب القومي العبراني تشويهاً لمعتقداتنا وتقليصاً لكل إمكاناتها الإنسانية».

وكما كان متوقعاً وذكر أعلاه فإن هذه الاحتجاجات اليهودية، سببها الرئيس هو القلق من حدوث انقسام في الوسط اليهودي بسبب الموقف المختلف من الصهيونية.

ولكن هذا الأمر يتعلق فقط بالجزء الداخلي من الموضوع. أما الخطر الحقيقي للصهيونية، فهو قدرتها الحقيقية على زرع الفرقة بين الشعوب في العالم وتحريضها على الاقتتال والنزاع بين شعب وآخر وتسببها بمشكلات دولية مختلفة تؤدي دائماً إلى الحروب والكوارث، يُقتل فيها مقابل كل ضحية يهودية الآلاف من الضحايا غير اليهود. ولكن الإشارة إلى هذه الإمكانات الخطرة المميتة كان يُعد دائماً هرطقة لا غفران فيها وبخاصة في الخمسينيات من القرن العشرين ولا سيما إذا كان هذا الاحتجاج أو الإشارة قادمة من طرف غير يهودي. وعلى الرغم من ذلك كانت تصدر احتجاجات يهودية وغير يهودية ولكنها قليلة وغير مؤثرة.

في عام /١٩٥٣/ نشرت المجلة اليهودية الأمريكية «كومنتاري» السطور التالية: «إن دعم وتقوية إسرائيل، أصبح أحد العناصر الأساسية الثابتة في سياسة الولايات المتحدة الخارجية ولا يمكن لأي نتائج انتخابات أن تغير ذلك».

هنا أمامنا مرة أخرى إشارة إلى السلطة العليا التي تقف فوق جميع الرؤساء والأحزاب والزعماء والتي أشرنا إليها مراراً عديدة في كتابنا هذا.

وكما قال «ليوبولد عميري» عن القضية الفلسطينية في فترة ما بين الحربين العالميتين: «هذه السياسة وضعت لتبقى إلى الأبد ولا يمكن أن تتعرض إلى أي تغيير».

في هذه التصريحات تبدو واضحة السطوة والنفوذ والهيبة، وفيها يكمن السر الداخلي للوضع السائد في الغرب. إنها خفية ولكنها محددة وقاطعة وهي تشير بثقة واضحة، إلى أن الغرب لن يرفض في أي حال من الأحوال دعم الصهيونية بشكل كامل في كل ما تفعل وتود فعله مهما كان خطراً.

وبالتأكيد لا يمكن لهذه الثقة المطلقة أن تقوم فقط على التهديد بحجب أصوات الناخبين اليهود أو التهديد بالصحافة الصهيونية «على الرغم من كل قوتها»...لا... الأمر يكمن في غير ذلك حتماً. إنها تمتلك أساساً أقوى من كل ذلك بكثير. إن لهجة هذه التصريحات هي لهجة الناظر القاسي «مراقب السجن» وناطور «راعي» الحمير، الواثق من تنفيذ العبيد لكل أوامره، لأنهم مقيدون ولا أمل لهم أبداً بالخلاص.

والمؤلف اعتبر دائماً، صحيفة نيويورك تايمز، بوقاً «للسلطة اليهودية» في العالم وقد أشارت هذه الصحيفة إلى ذلك الوضع الاستسلامي. ونورد مثالاً على ذلك: «في الحقيقة يجعل الدعم السياسي لدولة إسرائيل في أمريكا، بلا معنى أي محاولة للحكومة الأمريكية لاتخاذ قرارات تعارض مصالح إسرائيل» «١٩٥٦م».

وأدى ذلك إلى ضخ مساعدات مالية ضخمة من أمريكا إلى الدولة الجديدة وقد ذكرت المجلة الشهرية «كومينتري» في هذا الخصوص، أن الدعم المالي الأمريكي لإسرائيل حتى حزيران «يونيو» /١٩٥٣/ قد بلغ /٢٩٣/ مليون دولار و/٢٠٠/ مليون دولار على شكل قروض مصرفية.

وأما ممثل برنامج «المساعدة التكنيكية» في القدس (أسسها الرئيس «ترومان») فقد ذكر في تشرين الأول «أكتوبر» /١٩٥٢م/ بأن إسرائيل حصلت عبر هذا البرنامج على مساعدات فاقت قيمتها كل ما حصلت عليه دول الشرق الأوسط مجتمعة.

وذكرت صحيفة نيويورك «هيرالد تريبون» «٥٣/٣/١٢» بأن إسرائيل حصلت في السنوات الخمس التي مرت على تأسيسها، من الولايات المتحدة، على مبلغ يزيد عن مليار دولار. ودفعت حكومة ألمانيا الاتحادية سنوياً مبلغ /٥٢٠/ مليون جنية آسترليني كتعويضات. ولم يتمكن المؤلف من العثور على أرقام رسمية حول المبلغ العام للمساعدات التي تلقتها إسرائيل ولكن مندوب سورية في الأمم المتحدة ذكر في عام /١٩٥٦/ بأنه «ابتداءً من عام /١٩٤٨م/ حصلت إسرائيل من الولايات المتحدة على مبلغ مليار ونصف مليار دولار على شكل مساعدات مالية وتعويضات وغرامات حرب وقروض وغيرها».

«لم تدخل في ذلك التعويضات الألمانية وغيرها من المساعدات من أوربة الغربية».

ولم يعرف التاريخ مثالاً آخر يمكن أن تسمح فيها دولة لنفسها بالمغامرات الحربية والاعتداءات على جيرانها في الوقت الذي تعيش فيه عالة على الدول الأخرى، من الناحية المادية.

وصدر في إسرائيل، قانون عن الجنسية، جعل من كل اليهود في إسرائيل مواطنين إسراتيليين بشكل فوري وكذلك صدر قانون حول العودة وهو أيضاً قام بمنح الجنسية الإسرائيلية لكل اليهود في أي مكان من العالم. ويذكر قانون العودة لعام /١٩٥٣/: «ويتطلب لمّ وتجميع المطرودين المشتتين وجهوداً متواصلة من جانب الشعب اليهودي في الشتات. لذلك تتأمل حكومة إسرائيل، اشتراك جميع اليهود بشكل حقيقي أو عن طريق المنظمات، في بناء الدولة وتسهيل الهجرة الجماعية، وترى من أجل ذلك ضرورة توحيد كل الجاليات اليهودية في جميع آنحاء العالم».

وبالطبع الشرط الضروري واللازم دائماً لتحقيق ذلك هو وجود دائم، لمعاداة السامية في جميع أنحاء العالم. هذه هي القوانين التي وضعتها نصب عينيها الدولة الجديدة والتي هدفت إلى آمور لم يعرف التاريخ لها مثيلاً. وقد أكد اليهودي الروسي «بن غوريون» هذه الأهداف

مرات عديدة وعلى سبيل المثال في رسالته إلى الصهاينة الأمريكيين في /١٦/ حزيران «يونيو» /١٩٥١/: «أمام منظمتكم توجد فرصة نادرة، لفتح الطريق أمام حركة صهيونية واحدة موحدة تترأس العبرانية الأمريكية في هذا العهد العظيم، الذي انفتحت فيه أمام شعبنا إمكانات إنشاء دولتنا الخاصة بنا وتجميع كل اليهود من الشتات فيها».

وفي نيويورك عام /١٩٥٢م/ كان «بن غوريون» أكثر وضوحاً في كلامه: «الدولة اليهودية لا تُعد بعد، التنفيذ النهائي للصهيونية... الصهيونية تشمل يهود العالم كله».

أما رئيس دولة إسرائيل المدعو «بن تسيفي» فقد قال في كانون الأول «ديسمبر» /١٩٥٢م/: «لا يزال جمع من في الشتات، يُعد من أهم المهمات الملقاة على عاتقنا والتي لا يجوز لنا أبداً أن نحيد عنها. ولا يمكن تحقيق مهمتنا التاريخية هذه من دون مساعدة الأمة العبرانية كلها في الشرق والغرب».

ومن غير السهل تصور الضجة التي كان سيخلقها تلميح من هذا النوع، من «هتلر» مثلاً أو من غيره.

إن الغطرسة والتكبر الذي يتستر وراء «البرنامج الشامل اللا محدود للصهيونية» هو في الواقع شاسع كبير لا حدود له وهو عبارة عن برنامج سياسي مموه في التوراة، على شكل عهد مع «يَهْوَه»، يهدف في الحقيقة إلى السيادة على «الوثنيين» يبدأ من تشكيل إمبراطورية مركزية تمتد من النيل إلى الفرات.

وبفضل السيل الواسع من المساعدات الغربية، أصبح ممكناً وواقعاً، أمر كان في الحالات الأخرى يمكن أن يسبب الاستهزاء، بسبب لا معقوليته التي لم يعرف التاريخ البشري لها مثيلاً.

في البدء كان من الصعب والتصور بأن ساسة الغرب يستوعبون بشكل كامل، ما فعلت أيديهم. ولكن في عام /١٩٥٣م/ جاء تصريح شطب وأزال أي شك في هذا المجال: في آيار «مايو» /١٩٥٣م/ قام «تشرشل»، خلال جدال بينه وبين رئيس وزراء مصر بشأن قناة السويس، بتهديده ليس بالانتقام البريطاني بل بالانتقام العبراني. وخلال مدحه للجيش الإسرائيلي، في مجلس العموم على أنه أفضل جيش في الشرق الأوسط، قال «تشرشل» بأن: «إرسالنا للطائرات إلى هذا الجزء من العالم، لا يجوز في أي حال من الأحوال، أن يسبب الضرر لإسرائيل» وأضاف بعد ذلك بأنه «يتوقع ويتأمل تحقيق جميع الأهداف الصهيونية».

وهنا وبشكل مبطن ومن دون علم الشعب الإنكليزي أخذ رئيس حكومته على نفسه التزامات سياسية، ربما تكون أضخم من كل الالتزامات السابقة المعروفة. وسارع البرلمان

الإسرائيلي للتعبير «عن شكره لهذا الود من طرف المستر «تشرشل» نحو الحكومة الإسرائيلية والحركة الصهيونية».

وفي الوقت الذي لم يعر فيه الرأي العام البريطاني اهتمامه لهذه الكلمات، أثارت القلق في نفوس الكثير من اليهود وحتى آن السيد «أبراهمس» وهو أحد أتباع «جابوتينسكي» الداعي إلى دولة يهودية قوية على ضفتي الأردن، قال بتعجب بل وحتى بقلق «هل كان السيد «تشرشل» جاداً في كلامه؟». وأضاف يقول: «يعرف رئيس الحكومة، التوراة بشكل جيد، ولذلك عليه أن يعرف بأن الأهداف الصهيونية، تتحقق فقط إذا أُعيد تكوين إسرائيل في داخل حدودها التاريخية أي على الأرض التي قطنتها الأسباط العشرة».

وبالطبع لا يمكن تحقيق مثل هذه الأهداف من دون حرب عالمية وهذا الأمر بالذات هو الذي كدر مزاج السيد «ابراهمس» بلا وحتى أفزعه.

وكان «تشرشل» قبل شهر من ذلك قد أعلن تضامنه مع هالة التقديس «ومعالم الشكر العميق» التي وضعها اليهود على الضابط الإنكليزي الخائن «آورد ونيغيت» الذي عمل في الاستخبارات البريطانية في إدارة الانتداب لفلسطين، والذي لم يكن فقط، عدواً لدوداً للعرب بل وكان خائناً لوطنه وللجيش الذي خدم فيه. وأصبح ذلك معروفاً عندما قال «بن غوريون» في إحدى المناسبات: «لقد ناضل إلى جانب اليهود حتى ضد حكومة بلاده.» وأضاف «بن غوريون» بأنه في سنة إعلان «الكتاب الأبيض» البريطاني في عام /١٩٣٩م/: جاء لزيارتي (لزيارة «بن غوريون») وحمل معه خططاً تساعد على إفشال السياسة البريطانية». وقد تضمنت هذه الخطط، عرضاً بتفجير أنبوب نقل النفط الخام البريطاني المار من فلسطين.

ولكن على الرغم من كل ذلك أرسل «تشرشل» برقية تحية إلى الحفل الذي جرى في إسرائيل بمناسبة إطلاق اسم هذا الخائن «وينغيتو» على إحدى المستعمرات اليهودية في فلسطين. وقال رئيس الحكومة البريطاني في برقيته بأن هذه المستعمرة ستخلد ذكرى الشخص المذكور وستصبح رمزاً للصداقة التي تربط بريطانيا وإسرائيل والتي ستدوم إلى الأبد. وأشار «تشرشل» إلى المبعوث الإنكليزي ليحضر الاحتفال.

وهكذا نرى بأن الإنكليزي الوحيد الذي استحق التقدير من قبل الدولة الصهيونية، كان خائناً لوطنه، ولكن على الرغم من ذلك اعتبر رئيس الحكومة البريطاني واجباً عليه الاحتفال بهذه الذكرى.

وهذا المقطع الممتع، يرسم لنا بشكل أكثر تحديداً، شخصية «تشرشل» المتقلبة والغامضة والتي كانت تدعو دائماً إلى المحافظة على الوطن والوفاء له وتقديم «الدم والعرق والجهد والدموع» من أجل المبادئ الثابتة.

ولكن على الرغم من ذلك ومع أن آحد وزرائه قد قتل على يد اليهود في فلسطين وعلى الرغم من قيام الصهاينة بقتل وتعذيب الجنود الإنكليز وشنق بعضهم على الأشجار كإشارة إلى الانتقام اليهودي، على الرغم من كل ذلك فقد قام «تشرشل» بالمشاركة في الاحتفال بذكرى خائن مثل «وينغيت».

وإذا كان الدور المرسوم للغرب هو المساعدة على تنفيذ «الغطرسة الصهيونية، فإن ذلك يمكن أن يعني فقط إمكان قيام حرب عالمية جديدة أكثر قسوة ودماراً من كل الحروب السابقة. حيث ستلعب الجيوش الأوربية والغربية دور المدافع في لعبة دمار غريبة هدفها أن تضرب العالم المسيحي مع الشعوب الإسلامية ولتخلق إمبراطورية صهيونية عالمية، تخدم الجيوش الغربية لديها بصفة انكشارية جديدة.

وانطلاقاً من الغطرسة الصهيونية القائمة على الأرض، لم تترك الدولة الجديدة، أي شكوك في رغبتها إعادة الحدود القديمة إلى ما كانت عليه. وقد برهنت على ذلك بالأقوال والأفعال. ولم يعرف التاريخ، أي محرض على الحروب في أوربة سمح لنفسه أن يقول ما قاله «بن غوريون» في جنوب أفريقيا في /٢٤/ كانون الأول «ديسمبر» /١٩٥٢م/ «جاء ذلك في جريدة «جويش هيرالد» حيث ذكر بأن إسرائيل «لن تقبل في أي حال من الأحوال بعودة المهاجرين العرب».

«يقصد السكان الأصليين المطرودين من فلسطين، إلى ديارهم» آما فيما يتعلق بالقدس فقد قال: «بالنسبة لنا مصير هذه المدينة مقرر ومعروف نهائياً، كما هو معروف مصير لندن، على الرغم من وجود الحدود المضحكة الآن. هذه القضية لا يمكن أن تكون موضوعاً للمحادثات».

«يجب علينا جمع كل المطرودين من جميع أنحاء العالم، بمقدار أربعة ملايين نسمة، خلال السنوات العشر المقبلة» «هذا الكلام لـ «موشي شاريت»، وزير خارجية إسرائيل في حزيران «يونيو» /١٩٥٢م/

ولا شك بأن ذلك يعني قيام حرب عالمية جديدة، لإجبار هؤلاء اليهود على مغادرة أوطانهم والتوجه إلى فلسطين، وأما تكلفة توطينهم في فلسطين فقد قدرها «بن غوريون» بمبلغ يتراوح بين /٧-٨/ مليارات دولار.

وأضاف بأنه يتأمل الحصول على هذا المبلغ من يهود آمريكا ولكن وبما أنه من الواضح عدم مقدرة يهود أمريكا على دفع مثل هذه الأموال الطائلة، فإن الدفع سيقع على كاهل دافع الضرائب في الدول الغربية ولا سيما نرى آن كل ما كان يصدر عن الطرف اليهودي، كان عبارة عن تهديدات مباشرة بالحرب ضد العرب ولا سيما من جانب «مناحيم

بيغن»، قائد المجموعات الإرهابية التي نفذت مذبحة «دير ياسين» «تحولت هذه المجموعات إلى حزب سياسي يدعى حيروت». ونورد فيما يلي مثالاً على تهديدات «بيغن». فقد هدد هذا الآخير، ملك الأردن الشاب بالموت في نفس يوم اعتلائه العرش وجاء ذلك في خطاب ألقاه «بيغن» في الجزء اليهودي من القدس بالقرب من الحدود الأردنية: «في هذه الساعة يتم تنصيب شاب عربي على العرش ليصبح ملكاً على جلعاد ونابلس وأريحا والقدس. لقد حان الوقت لنوضح له ولسادته، بأننا سنعود عما قريب وسنحرر «مدينة داوود».

وقد لا يفهم القارئ الأوربي المقصود من هذه الكلمات. ولكن أي يهودي أو عربي يفهم بأن الحديث يجري عن مقطع في الفصل الثالث من كتاب «التثنية»: «ثم تحولنا، فصعدنا في طريق باشان، فخرج علينا «عوج» ملك باشان مع قومه وحاربنا في «إذرعي» فقال لي الرب: لا تخف منه، فإنني سلمته إلى يدك هو وجميع قومه وأراضيه، لتفعل به كما فعلت «بسيعون» ملك الآمورين... وسلم الرب الإله إلى أيدينا «عوج» ملك باشان أيضاً وجميع قومه، فضربناه حتى لم يبق له باق، وفتحنا جميع مدنه في ذلك الوقت ولم تبق مدينة لم نأخذها منهم...

واستبحنا كل المدن وحللنا قتل جميع الرجال والنساء والأطفال، كما فعلنا في مدن سيحون ملك خشبون وأما البهائم والمدن فقد غنمناها».

هذه الكلمات كانت تعني الموت للعرب اللاجئين القابعين وراء الحدود في المخيمات.

وحسب تقرير «هنري. ر. لابويس»، مدير وكالة الانروا «وكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين» فقد ازداد عدد اللاجئين وبلغ نحو /٩٠٠٠٠٠/ شخص: /٤٩٩٠٠٠/ في الأردن، /١٠٣/ ألف لاجئ في لبنان و /٨٨/ ألف في سورية وبالإضافة إلى /٢١٥/ ألف لاجئ في غزة. وتكررت الاعتداءات الإسرائيلية عبر الحدود حاملة معها الخراب والموت.

في /١٤/ تشرين الأول «أكتوبر» /١٩٥٣م/ اخترقت مجموعة صهيونية كبيرة الحدود الأردنية وقامت بتدمير قرية «قبية» تدميراً كاملاً وذبحت كل سكانها. وعثر فيما بعد على /٦٦/ جثة معظمهم من النساء والأطفال. وكان على العرب أن يخرجوا بالاستنتاج بأنفسهم. وفي هذا الخصوص قال المطران «يورسكي» «إنكلترا»، بأن العالم المتحضر يسوده الرعب لأن الصوت اليهودي في نيويورك، يقوم بشل أعمال الأمم المتحدة فيما يخص الموضوع الفلسطيني». وأنه إذا لم يتم اتخاذ إجراءات حاسمة فإن الحريق سيشتعل في الشرق الأوسط.

وعلى الفور قامت لجنة النواب اليهود في مجلس العموم البريطاني باتهامه بالاستفزاز والتحريض والموقف المنحاز. وأسرع عمدة نيويورك المدعو «روبرت وأنغر» فأسرع يقول بأنه

مذهول وأن المطران على ما يبدو غير مطلع على الوضع السياسي الأمريكي، وأما الأمم المتحدة فقد اكتفت بعد الاعتداء، بإلقاء لوم بسيط على إسرائيل.

في /٢٨/ شباط «فبراير» عام /١٩٥٥م/ قامت مجموعة قوية إسرائيلية باقتحام قطاع غزة حيث كان يعيش /٢١٥/ ألف لاجئ فلسطيني «في فقر مدقع في شريط ضيق من الساحل العاري المؤلف في ثلثيه من الكثبان الرملية». «السير توماس رابّ في مجلة ليستير في ١٩٥٥/٣/٦» وقتل خلال ذلك /٣٩/ جندياً مصرياً وعدد كبير لم يتم إحصاؤه من اللاجئين وقام اللاجئون الفلسطينيون وكعلامة احتجاج بإحراق خمسة نقاط توزيع إعاشة تابعة للأمم المتحدة، حارمين بذلك أنفسهم من الإعاشة الوضيعة، التي كانت تقدم لهم. وآدانت لجنة المراقبة الدولية للهدنة العدوان الإسرائيلي الوقح.

وكانت اللجان تتألف عادة من ممثلين عن العرب واليهود والأمم المتحدة. وقامت إسرائيل بالضغط لاستبدال كل مراقب دولي محايد لا يعجب مزاجها. وجرى نتيجة لذلك سحب مراقبين دوليين أمريكيين، لم يبديا تعاطفا واضحاً مع إسرائيل. وبالطبع فإن هؤلاء المراقبين مهما كانت جنسياتهم لم ينسوا مصير المبعوث السويدي، الذي اغتاله اليهود وكان ذلك يؤثر بشكل واضح على سير عملهم. ولكن تجدر الإشارة هنا إلى آن اليهود، لم يتمكنوا لا من تخوفيهم ولا في التأثير عليهم، وبالتالي لم يقدروا على إخضاعهم.

وآدان مجلس الأمن الدولي، الاعتداء المذكور بإجماع. وقال المندوب الأمريكي، بأن الحديث يدور عن تكرار العدوان للمرة الرابعة إلا آن هذا الاعتداء هو الأكثر جدية لأنه حدث عن تصميم وتخطيط سابق.

وقال المندوب الفرنسي بأن هذا القرار يجب آن يكون التحذير الأخير لإسرائيل. (إلا آن ذلك لم يمنع الحكومة الفرنسية من الاشتراك في العدوان الثلاثي على مصر بعد مرور عام ونصف من ذلك.).

وفي /٨/ حزيران «يونيو» /١٩٥٥/، آدانت اللجنة المشتركة للهدنة، إسرائيل مرة آخرى لخرقها الحدود في قطاع غزة مرة أخرى وقتلها لعدد من المصريين وكانت النتيجة الوحيدة لهذه الادانة هي أن اليهود، قاموا في الاعتداء القادم، باعتقال المراقبين الدوليين الستة وقائدهم بعد ذلك قتلوا /٣٥/ عسكرياً مصرياً.

في أيلول «سبتمبر» /١٩٥٥/، قال «بن غوريون» في مقابلة صحيفة بأنه إذا لم يُفك الحصار عن ميناء إيلات في خليج العقبة فإن إسرائيل ستهاجم مصر خلال سنة من ذلك. «الهجوم حصل في تشرين الأول «أكتوبر» /١٩٥٦م/».

ولم يتخذ مجلس الأمن الدولي أي قرار حاسم، بعد الهجمات الإسرائيلية على اللاجئين العزل. «وكان السبب الرئيس في ذلك هو اقتراب موعد الانتخابات الأمريكية» وفقط دعا مجلس الأمن فك ارتباط بين القوات المصرية والإسرائيلية وإبعاد إحداها عن الأخرى مسافة /١,٥/ كم وخلق منطقة منزوعة السلاح بينهما.

في /٢٣/ تشرين الأول «أكتوبر» نشر الجنرال «بيرنس» «قائد قوات الهدنة الدولية» «إدانة لإسرائيل» لهجومها على سورية عن سابق قصد وتصميم وجرى خلال الاعتداء خطف عدة مواطنين سوريين واعتقلت إسرائيل خلال ذلك عدة مراقبين دوليين.

في /٢٧/ تشرين الأول «أكتوبر» أعلن «موشي شاريت» وزير الخارجية الإسرائيلية أمام الصحافة في جينيف، بأن إسرائيل ستبدأ حرباً وقائية ضد العرب، إذا دعت الحاجة إلى ذلك.

وفي /٢٨/ تشرين الثاني «نوفمبر» أصدرت المنظمة الصهيونية الأمريكية بياناً في جميع الصحف الرئيسية، شغل صفحة بكاملها وجاء فيه: «بأن إنكلترا، انضمت إلى معسكر أعداء إسرائيل». وكان السبب في هذا الغضب الإسرائيلي هو دعوة السير «انتوني ايدن» إلى بحث فكرة تعديل بسيط للحدود الإسرائيلية.

في الحادي عشر من كانون الأول «ديسمبر»، اعتدت إسرائيل على سورية بقوات ضخمة وقتل خلال الاعتداء أكثر من /٦٥/ سورياً وكانت النتيجة شجباً عنيفاً لإسرائيل من جانب الأمم المتحدة.

وحصل ذلك في سنة بدء الانتخابات الرئاسية في الولايات المتحدة، ولذلك آصبح أي انتقاد لليهود آمراً غير مرغوب فيه مهما كان السبب في ذلك. وآشار المندوب السوري في الأمم المتحدة بأن «الإدانات المتكررة لإسرائيل في الأمم المتحدة، لم تمنعها من القيام باعتداءات إجرامية جديدة». وفي /١٣/ كانون الثاني «يناير» تذكر مجلس الأمن الاعتداءات السابقة وأدان الاعتداء الإسرائيلي ووصفه بأنه «خرق سافر... لاتفاقية الهدنة بين إسرائيل وسورية ولالتزامات إسرائيل حسب ميثاق الآمم المتحدة».

وأشار المجلس إلى أنه سينظر في أمر اتخاذ إجراءات أخرى إذا لم تغير إسرائيل من سلوكها. وكان جواب إسرائيل على ذلك، المطالبة بالمزيد من السلاح. وصرح «بن غوريون» في /١٨/ آذار «مارس» /١٩٥٦/ في تل أبيب بأن الشحنات السريعة والكثيرة من السلاح لإسرائيل هي التي يمكن فقط أن تمنع «الاعتداء العربي». وأضاف أن المعتدي «سيكون الديكتاتور المصري ناصر» - «ونود التذكير بأن «بن غوريون» هدد قبل سبعة شهور من ذلك بالاعتداء على مصر قبل مرور عام»- «مع حلفائه سورية والعربية السعودية».

وفي /٥/ نيسان «ابريل» قرر مجلس الأمن إرسال الأمين العام للأمم المتحدة السيد داغ همرشولد في مهمة سلام إلى الشرق الأوسط وكان الجواب نيراناً من المدفعية الإسرائيلية على منطقة غزة قتل خلالها /٤٢/ وجرح /١٠٣/ من المدنيين العرب من ضمنهم النساء والأطفال.

في /١٩/ حزيران «يونيو» حلت «غولدا مائير» مكان «موشي شاريت» في وزارة الخارجية. «كنيتها الأصلية «مائيرسون» وهي من يهود روسيا» وقالت نيويورك تايمز بأن هذه الخطوة تعني الانتقال من الاعتدال إلى التسخين.

في /٢٤/ حزيران «يونيو» /١٩٥٦م/ فتحت المدفعية الإسرائيلية نيرانها على المواقع الأردنية مما أجبر لجنة الهدنة على إدانتها فأصرت إسرائيل إثر ذلك على إبعاد ممثل الأمم المتحدة في تلك اللجنة الذي صوت لمصلحة الإدانة. واضطر الجنرال «بيرنس» للخضوع واستبدل المقدم البحري الأمريكي «تيريل» بضابط كندي.

وفي الحقيقة كان وضع مراقبي الهدنة التابعين للأمم المتحدة، مشابهاً لوضع موظفي الانتداب البريطاني خلال فترة ما بين الحربين «حيث لم يقدروا على الحصول على أي دعم من حكوماتهم» وكان أمام أعينهم دائماً تذكير صريح بأن الأوسمة والهدايا والتبجيل، هو من نصيب الخونة وليس من نصيب من حرص على الشرف والواجب «مستوطنة باسم الخائن الإنكليزي «وينغيت»، في إسرائيل هي أفضل دليل على ذلك».

وكذلك استبدل المراقب الدولي، المقدم البحري الأمريكي «هانتشيسون»، لأنه رفض إدانة الأردن في لجنة مراقبة الهدنة. ومع عودته إلى أمريكا، نشر كتاب عن الأوضاع في الشرق الأوسط ذكر فيه أن الحل الوحيد يكمن في عودة اللاجئين العرب إلى ديارهم وتدويل مدينة القدس حتى لا تتحول إلى سبب للحرب العالمية.

وفي /٢٤/ تموز «يوليو» /١٩٥٦م/، انفجر لغم في سيارة للمراقبين الدوليين مع ضابط أردني في جبل الزيتون شرقي القدس.

وفي مصر قتل ضابطان في الجيش برتبة مقدم، بواسطة رسائل ملغومة أرسلت إليها وادعت إسرائيل بأنهما يعملان لمصلحة المخابرات المصرية.

في /٢٩/ تموز «يوليو» /١٩٥٦م/ قتل ضابط دانماركي مراقب في الأمم المتحدة بعد انفجار لغم بالقرب من قطاع غزة.

في /٢٨/ آب «أغسطس» /١٩٥٦/ أدانت لجنة مراقبة الهدنة المشتركة إسرائيل لاختراقها الجدي للهدنة. ولحق هذا التنديد اعتداء إسرائيلي في /١٢/ أيلول «سبتمبر»، عندما اقتحمت قوة عسكرية إسرائيلية كبيرة، الحدود الأردنية وقتلت نحو عشرين عسكرياً أردنياً

وفجـرت مركـزاً للـشرطة. واحـتج الجنـرال «بيرنـس» مـرة أخـرى ومـرة أخـرى أجابـت إسـرائيل باعتداء جديد على الأردن قتل خلاله نحو /٣٠/ أردنياً.

واحتجت وزارة الخارجية البريطانية بشدة «بريطانيا كانت على معاهدة تحالف وتعاون مع الأردن» مما أدى إلى هجوم عنيف من لجنة النواب اليهود في مجلس العموم، على وزارة الخارجية الإنكليزية.

وفي /٢٦/ أيلول «سبتمبر» وقع أكبر اعتداء إسرائيلي على الأردن خلال تلك الفترة، حيث قتل /٢٥/ مواطناً أردنياً من بينهم طفل في الثانية عشرة من عمره. وأدانت اللجنة المشتركة إسرائيل في /٤/ تشرين الأول «أكتوبر» وكان رد إسرائيل على ذلك عدواناً أقوى في /١٠/ تشرين الأول «أكتوبر» بالمدفعية والصواريخ ومدافع الهاون والدبابات والطائرات. وعثر المراقبون الدوليون على ثمانٍ وأربعين جثة عربية من ضمنهم نساء وأطفال.

واضطرت إنكلترا لإعلان بأنها ستلتزم بتنفيذ اتفاقها مع الأردن، إذا تعرض هذا الأخير للعدوان مرة أخرى. وتجدر الإشارة إلى أن معظم الصحف الأمريكية والبريطانية كانت تشير إلى هذه الاعتداءات على أنها رد فعل طبيعي للانتقام من المعتدين العرب. وبذلك قامت الدعاية الصهيونية بتحويل الضحية على معتدٍ.

وكان اعتداء /٢٦/ أيلول «سبتمبر» هو الأخير في فترة /١٩٥٣-١٩٥٦م/ ثم تلا ذلك حرب حقيقية.

لقد أسهب المؤلف في سرد الاعتداءات الإسرائيلية لكي يسمح للقارئ برؤية الصورة الحقيقة للشرق الأوسط في خريف /١٩٥٦م/، حيث كان «بن غوريون» يزعق ويطلب الحماية لإسرائيل الضعيفة المسكينة، وتنافس قادة الغرب فيما بينهم لتزويدها بالسلاح الحديث، لرد الاعتداءات العربية».

ولم يكن للإدانات الدولية المتكررة أي أهمية، ولم تأت بأي نتيجة. وكان المراقبون السياسيون الجديون، على ثقة تامة بان الأمم المتحدة، عاجزة عن فعل أي شيء غير الإدانة التي لا فائدة منها.

ومرة أخرى اختار الصهاينة الوقت المناسب، لبدء العمليات الحربية ضد مصر وكان ذلك في الفترة التي يتم فيها اختيار مرشحي الأحزاب للمشاركة في الانتخابات الرئاسية الأمريكية. وكانوا على ثقة بأن ذلك سيقوم بشل أي رد فعل محتمل على العدوان. وكان واضحاً هذه المرة أيضاً بأن الغرب سيخضع للصهيونية بهذا الشكل أو ذاك.

إن الضغط الذي لا يقاوم في العواصم الغربية، أدى إلى نتائج سيصبح معناها الكامل واضحاً فقط بعد مرور الكثير من السنين. ولذلك يجب أن تخصص المرحلة الأخيرة من هذا الفصل، لتحليل تأثير هذا الضغط على سياسة وراء الكواليس في الغرب في مرحلة تعاظم الأزمة واقترابها من الذروة في مرحلة /١٩٥٣-١٩٥٦م/.

في خريف /١٩٥٦/ أعطى الغرب بتصرفاته الطائشة، الفرصة للقوتين الثوريتين لكي تلتقطا أنفاسهما وتحضرا لكوارث جديدة.

٣ـ سنوات الذروة

في سنوات /١٩٥٢-١٩٥٦م/ سار الغرب قدما في طريق دعم الثورة والصهيونية الممتد على مدى جيلين متتاليين وفي فترات الحروب العالمية.

وانخرطت أحزاب الغرب لتجر عربة الدولة الصهيونية التي أعلنت، أن هدفها الرسمي هو رفع عدد سكانها إلى «ثلاثة أو أربعة ملايين نسمة» خلال العشر أو الخمس عشرة سنة القادمة. وكان ذلك يعني بالضرورة حرباً جديدة ضد العرب والمسلمين.

من جهة أخرى اعتاد الناس في الدول الغربية، على أن واجبهم الأول يكمن في العمل على تدمير الشيوعية التي ابتلعت نصف آوربة، بعد أن فتح الغرب بنفسه الأبواب لها إلى هناك وكان الأمر ذلك «تدمير الشيوعية» يعني في جوهره قيام الحرب أيضاً.

وكان على هاتين الحربين، أن تصبحا حرباً واحدة وكان من الواضح أن الأراضي اللازمة لتوسع الدولة الصهيونية، يمكن الحصول عليها فقط عن طريق احتلال أراضي الجيران العرب. وأما السكان اللازمون لاستيطان هذه الأراضي فيكمن آن يأتوا فقط من الدول الشيوعية. لأن ثلاثة أو أربعة ملايين يمكن الحصول عليهم فقط من هناك. آو من الولايات المتحدة. ولكن وكما هو معلوم للجميع لم يكن لدى يهود أمريكا أي رغبة في الهجرة من بلادهم.

وقد طرح «نعوم غولدمان» السؤال التالي في أحد الاجتماعات اليهودية في عام /١٩٥٢م/: «كيف يمكن الحصول على اليهود من الدول التي لا تضطهدهم، للهجرة إلى إسرائيل؟».

وقال «غولدمان» بأن هذه المشكلة هي كثيرة التعقيد فيما يخص الولايات المتحدة، لأن ملاحقة اليهود في أمريكا قليلة وإن إمكان ظهور اضطهاد لهم هناك هو احتمال أضعف من ظهوره في أي بلد آخر». «جريدة زينوست ريكورد- جنوب إفريقيا ١٩٥٢/١٠/٢٤» ويلاحظ

القارئ بأنه لا يوجد دول إلا ويتعرض فيها اليهود للاضطهاد، هناك فقط مستوى مختلف للاضطهاد من دولة إلى أخرى.

ولحل هذه المعضلة الصعبة، يتم تنظيم حملات دعائية واسعة، لإقناع الرأي العام الغربي، بتعاظم اضطهاد اليهود ومعاداة السامية في أوربة الشرقية والاتحاد السوفييتي.

في /٨/ كانون الأول «ديسمبر» أبلغ «بن غوريون»، الحكومة السوفييتية بشكل رسمي بأن «عودة اليهود إلى وطنهم التاريخي تُعد مهمة أساسية ومركزية لدولة إسرائيل... ولذلك تدعو حكومة إسرائيل، الاتحاد السوفييتي السماح بسفر اليهود الراغبين في الهجرة».

وبعد عامين من ذلك لاحظت صحيفة نيويورك تايمز، بأن نجاح «بن غوريون» في ذلك كان محدوداً وأن الهجرة اليهودية تحتاج لكي ترتفع معدلاتها، إلى انفجار جديد لمعاداة السامية في أي مكان كان.

بعد ذلك بدأت حملة دعائية ضخمة في وسائل الإعلام حول معاداة السامية خلف «الستار الحديدي» وقالت جريدة «نيويورك هيرالد تريبون» في ١٩٥٣/٣/١٢ بأن معاداة السامية في الاتحاد السوفييتي، عادت إلى الظهور وأن مهمة إسرائيل الأساسية الآن هي «إنقاذ مليونين ونصف مليون يهودي محتجزين في روسيا ودول الأذناب التابعة لها».

وكما هو واضح من نتائج الحربين السابقتين، بأن أي حرب عالمية من الغرب ضد الشيوعية سيكون هدفها الأول الحقيقي هو تزويد الدولة الصهيونية بمهاجرين جدد من روسيا. وإن أي حرب في الشرق الأوسط. سيكون الهدف منها احتلال أراضٍ عربية جديدة لتوطين هؤلاء المهاجرين.

وإن هاتين الحربين ستصبحان عملياً، حرباً واحدة. هذه كانت حالة «الغرب» بعد مرور نصف قرن من وقوع السيد «بلفور» والسيد «ويلسون» في فخ الصهيونية.

ويوجد أساس كامل وقوي لوضع كلمة «غرب» بين قوسين، لأن هذه الكلمة أضاعت منذ فترة طويلة المعنى الحقيقي لها. ففي السابق كانت هذه الكلمة تعني أوربة المسيحية من حدودها الشرقية في جبال الأورال ومروراً بكل أوربة وعبر الأطلسي وصولاً إلى السواحل الشرقية لأمريكا، بما فيها الدول الناطقة بالإنكليزية في شمال أمريكا وفي أفريقيا واستراليا.

«وهنا نسي «دوغلاس ريد» الدول المسيحية الناطقة بالأسبانية والبرتغالية في جنوب أمريكا- ملاحظة الترجمة».

وبعد الحرب العالمية الثانية ووقوع نصف أوربة تحت سيطرة الشيوعية التلمودية، أصبح لهذا التعبير معنى خاص متميز. وأصبحت كلمة «الغرب» تعني تحالف الولايات المتحدة مع بريطانيا ضد الهمجية البلشفية الجديدة.

وكانت أمريكا وبريطانيا ترمزان إلى العالم الحر، الذي يجب أن يرجع في يوم ما إلى حدوده القديمة.

من وجهة النظر العسكرية، هذه الآمال ممكنة التحقيق وهي مبررة جداً، وإمكانات الغرب المادية بالإضافة على الرغبة العارمة لشعوب شرق أوربة بالتحرر، تكفي لتحقيق ذلك.

ولكن هل سيتمكن الغرب من القيام بذلك، إذا كان هو نفسه آسيراً في سجون تلك القوة التي استعبدت أوربة الشرقية.

ولم تكن أمريكا تستحق، أن ترث عن إنكلترا في منتصف القرن العشرين، الدور الريادي في السياسة العالمية.

على الرغم من أن هذه الجمهورية التي ظهرت قبل /٢٠٠/ سنة هي في قمة الازدهار الآن. لقد تنامى عدد سكانها وبلغ /٢٠٠/ مليون نسمة وأصبحت أقوى دولة في العالم من الناحية العسكرية، وحققت قفزات واسعة في الصناعة والتكنولوجيا وأصبحت الأولى في هذا المجال. وانتشرت قواعدها العسكرية في جميع أنحاء الكرة الأرضية.

إن هذه الجولة الآن في وضع، يسمح لها بتوجيه ضربة قاضية في أي لحظة ترغبها... ولكن ضد من ولأجل أي أهداف؟...

ضد الشيوعية- قالوا للناس البسطاء ولأجل تحرير الشعوب المستعبدة، لتخليص العالم من التهديد، وكذلك لأجل تصحيح أمور الشر التي حدثت بعد /١٩٤٥م/. ولو كان ذلك حقاً، لكان من الممكن أن نتأمل الخلاص وانتهاء مآسي القرن العشرين في أحد الأيام الرائعة. ولكن أفعال حكومة واشنطن في فترة /١٩٥٢-١٩٥٦م/ سارت ضد تحقيق هذه الأهداف.

وبدا واضحاً بأن هذه الحكومة تقع في عبودية يهودية أقوى حتى من عبودية الحكومات الإنكليزية على مدى الخمسين سنة الفائتة. وبدا واضحاً أن جميع مسائل السياسة الأمريكية الخارجية، كانت تخضع دائماً لأمر واحد وهو «كيف سينعكس ذلك على اليهود؟». وبالطبع فإن القيادة الصهيونية هي التي كانت تقرر، ما هو الأفضل لليهود، وتقوم بإملاء ذلك على القيادة الأمريكية.

وظل الصهيونية كان دائماً يحوم فوق عملية انتقاء واختيار المرشحين للرئاسة الأمريكية، وفي حالة «ايزنهاور»، كان الأمر كذلك.

إن الصعود السريع والحاسم لـ «ايزنهاور» في سلم الخدمة وتحوله من ضابط بسيط غير معروف لا يملك الخبرة إلى قائد عام للقوات المتحالفة في الحرب الثانية وخلال فترة قصيرة جداً، يجبرنا على الاعتقاد بأن أحداً ما كان قد لاحظه ووضع الرهان عليه منذ فترة بعيدة.

في العشرينيات كان الملازم الشاب «ايزنهاور»، طالباً في إحدى الدورات في الكلية الحربية في واشنطن، حيث كان أحد المدرسين هناك، المدعو «برنارد باروخ».

«كما نعرف كان يلعب الدور الأساسي في اختيار المرشحين للرئاسة وقد لعب دوراً مهماً في عملية اختيار الرئيس «ويلسون» في عام /١٩١١-١٩١٢م/».

وفي فترة الدراسة هذه لاحظ «باروخ» بأن قدرات الملازم «ايزنهاور» تستحق التشجيع وبعد مرور /٣٠/ عاماً، أصبح «ايزنهاور» رئيساً للولايات المتحدة «جنرال يحمل خمس نجوم في آمريكا يعادل رتبة فيلد مارشال في أوربة- ملاحظة الترجمة». وقال «ايزنهاور» أمام جمع من متقاعدي الحرب العالمية الثانية بأنه خلال ربع قرن كان له «الشرف والحظ في الجلوس عند أقدام «باروخ» والاستماع إليه».

وخلال رئاسته، وقف «ايزنهاور» إلى جانب «باروخ» في خلاف حصل في الكلية العسكرية، بعد أن أحضر أحد أقرباء «باروخ» تمثالاً له «برنارد باروخ» وآراد نصبه في إحدى ساحات الكلية. وقد رفض البعض ذلك بحجة أن مثل هذا الأمر لم يحدث قط في تاريخ الكلية «وضع تمثال لشخص مدني وهو لا يزال حي يرزق» ولكن تدخل رئيس الدولة حل المشكلة لمصلحة قريب «باروخ».

والمثير في الأمر أن «برنارد باروخ»، دعم ترشيح «ايزنهاور» للرئاسة عن طريق الحزب الجمهوري، على الرغم من أن الجميع كان يعرف أن «باروخ» من الأنصار المتعصبين للحزب الديموقراطي ولكن فجأة تحول «باروخ» إلى نصير متحمس للحزب الجمهوري في عام /١٩٥٢م/. وكان شرطه الوحيد أن يمثل «ايزنهاور» الحزب.

ولمثل هذا التحول الجدي لا بد من وجود أسباب جدية جداً وسنحاول البحث عنها.

في عام /١٩٥٢م/، كان الحزب الديموقراطي قد قضى فترة عشرين عاماً في الحكم على التوالي وحسب نظرية «البندول» حان الوقت لعودة الحزب الآخر للسلطة. وكان السبب الرئيس في ذلك انزعاج الرأي العام من الفضائح التي عمت الولايات المتحدة بسبب انكشاف شبكات التجسس الشيوعية وتسرب العناصر الشيوعية إلى دوائر الدولة في عهد «روزفلت» و «ترومان».

وكان من الواضح أن الحزب الجمهوري سيربح الانتخابات وكان هناك اعتقاد سائد بأن مرشح الحزب سيكون زعيماً الحزب، السيناتور «روبرت تافت»، الذي أعطى الحزب الجمهوري خمسين عاماً من عمره. ولكن ظهر بشكل مفاجئ شخص آخر يرغب في ترشيح نفسه عن طريق الحزب الجمهوري وهو الجنرال الذي دعمه «باروخ» منذ فترة طويلة وكان

دائماً «واسطته» في اللحظات الحرجة. وفي هذه المرة أيضاً تبين للجميع مدى القوة التي تجمعت حول الراغب الجديد بامتطاء السلطة في البلاد. على الرغم من أن العارفين في السياسة كانوا على ثقة، بأنه في حال ترشيح الحزب الجمهوري للجنرال بدلاً من السيناتور «تافت»، فإن ذلك سيعني أن الحزب الجمهوري سيتابع السير على نفس الطريق التي سار عليها الرئيس «روزفلت» و «ترومان».

وبدا الأمر واضحاً ذلك عندما قال الشخص الثاني في الحزب الجمهوري حاكم ولاية نيويورك «توماس ديو» لمجلة «Look» في ١٩٥١/٩/١١م وقبل سنة من الانتخابات: «أنا إنسان أممي ولذلك أقف إلى جانب «ايزنهاور». «ايزنهاور» بقلبه جمهوري ولكن الأهم من ذلك أنه أيضاً أممي».

ومن المعروف أن القرن العشرين لم يعرف أممياً واحداً وقف بجد ضد الشيوعية أو الصهيونية أو ضد إنشاء الحكومة العالمية.

وبدأت حملة ضخمة ضد السيناتور «تافت» واتُهم «بالانعزالية» وكان ذلك يعني في الواقع أن المتهم من أنصار الاستقلالية الوطنية والحرص على المصالح القومية، على الرغم من أن الدعاية أعطت هذه الكلمات معنى آخر سيئاً وغير حميد.

وهكذا نرى أن «ايزنهاور»- عرض نفسه كمرشح للحزب الجمهوري منافساً لقائد هذا الحزب وحصل ذلك في مؤتمر الحزب في شيكاغو عام /١٩٥٢م/ وقد تابع المؤلف عن طريق التلفزيون وكان مذهولاً للسهولة التي حصل فيها «ايزنهاور» على الترشيح.

«كتبت الصحف الأوربية في تلك الأيام أن شراء الأصوات في مؤتمر الحزب الجمهوري لمصلحة «ايزنهاور» جرى «بالجملة والمفرق» وبكل ما في هذه الكلمات من معنى- ملاحظة الترجمة-».

وأوضح هذا الأمر، أن النظام الانتخابي الأمريكي، أصبح على غاية من الإتقان في موضوع اختيار المرشحين لدرجة أنه لم يعد لدى الحزبين المتنافسين أي إمكان لترشيح أي شخصية ألا بعد أن تحصل على دعم ورضا قيادة ما وراء الكواليس العظيمة. وأضاعت الانتخابات الأمريكية بسبب ذلك أي معنى لها. ومن الصعب جداً التصور، متى ستتمكن تلك البلاد من التخلص من هذه الرقابة الخفية التي حولت مفهوم الديموقراطية نفسه إلى خدعة كبيرة. ولم يعد بإمكان أي حزب أن يرشح حتى رئيسه أو أي شخصية أخرى إذا لم تحصل على موافقة مسبقة من «الأمميين» وهم بالحقيقة الوحيدون الذين يقومون بالاختيار من وراء الكواليس على الرغم من أنهم أقل الذين لهم علاقة بالمصالح الحقيقة للبلاد وبالديموقراطية.

وتم استبعاد القائد الحقيقي للحزب الجمهوري قبيل عودة الحزب إلى السلطة وتم ذلك بواسطة استخدام «الولايات المهمة» التي تحسم دائماً الانتخابات.

في المؤتمرات الحزبية حيث يتم اختيار المرشح، يوجد لدى وفود بعض الولايات عدد من الأصوات يتناسب مع عدد سكان تلك الولاية وأهم ولايتين في هذا المجال هما نيويورك وكاليفورنيا وإلى هناك تم توجيه الهجرة اليهودية خلال الـ /٧٠/ سنة الماضية.

ويملك ذلك أهمية كبيرة في الاستراتيجية الانتخابية التي عرضها العقيد «هاوز»، على الرغم من أنها لا تعود إليه.

وقد شرحنا سابقاً، كيف يجري استخدام الأصوات اليهودية في هذه اللعبة الانتخابية ونتذكر هنا قول وزير الدفاع الأمريكي «فوريستول»: «إن رفضنا دعم الصهاينة قد يسبب فقداننا لولاية نيويورك، كاليفورنيا وبنسلفانيا. آلا نضيع نحن الولايات المتحدة؟»

وكذلك قول «جيمس بيرنس» «وزير الخارجية»: «أطلع السيد نابلس، الرئيس «ترومان» بأن «ديو» سيعلن عن تأييده للصهيونية، لذلك إذا لم يقم الرئيس باستباق الأمور، فإن الديموقراطيين سيفقدون ولاية نيويورك». وكذلك قول حاكم نيويورك المدعو «توماس ديو»: «الحزب الديموقراطي لن يتخلى عن الأفضلية التي تعطيه إياها الأصوات اليهودية».

وفي مؤتمر الحزب الجمهوري لاختيار مرشح الحزب توزعت الأصوات بين المتنافسين وفجأة قام «ديو» وبابتسامة جميلة بمنح أصوات ولايته كلها لمصلحة «ايزنهاور» وبالتالي ضد زعيم حزبه. وسارت الولايات الأساسية الأخرى على هذا المنوال. وكما ذكرنا كان ذلك يعني نهاية غير مجيدة لنظام الحزبين الشائع في أمريكا ونهاية الانتخابات الحقيقية لممثلي الشعب المعروفة باسم الديموقراطية.

وقبيل الانتخابات الأمريكية عام /١٩٥٢م/ كتبت الجريدة الإسرائيلية «جيرو سليم بوست» «العدد الخامس تشرين الثاني «نوفمبر» /١٩٥٢/» بأنه لا فرق من وجهه نظر الناخب اليهودي، بين الجمهوري «ايزنهاور» والديموقراطي «ستيفنسون». وأن انتباه الناخبين اليهود يجب أن يتركز على النواب ورجال الكونغرس الذين يُعدون معادين للقضية اليهودية.

وبعد الانتخابات سافر «تشرشل» لملاقاته «ايزنهاور» ولكن ليس في واشنطن بل في شقة «برنارد باروخ» في نيويورك وهناك أصر «باروخ» على خطته التي تعتمد على الردع الذري واستخدام القنابل الذرية، للوقوف أمام الخطر السوفييتي، على الرغم من أنه لم يكن عدائياً تجاه السوفييت وقد أكد فيما بعد، بأن خطة الاحتكار النووي السوفييتي الأمريكي، بدت له معقولة جداً: «قبل عدة سنوات، تقابلت في إحدى الأمسيات مع «فيشينسكي» وقلت له:

نحن وأنتم مجانين، لدينا قنبلة ولديكم كذلك قنبلة... تعالوا نأخذ الأمور تحت رقابتنا ما دام الوقت يسمح بذلك. وإلا ونحن منهمكون بالثرثرة سيحصل الآخرون، عاجلاً أم آجلاً على القنبلة».

«ديلي تلغراف ١٩٥٦/٦/٩م».

ومع انتخاب «ايزنهاور»، أضاعت أمريكا فرصة التخلص من السياسة «الأممية»، عن طريق الانتخابات، حيث إن المعروف عن «تافت» بأنه السياسي الوحيد الذي كان يقدر على القيام بذلك. ولهذا السبب على ما يبدو بذلت بعض القوى كل ما في وسعها، لكي لا تسمح له بالترشيح إلى الرئاسة وقد أصدر «تافت» كتاباً بعد ذلك جاء فيه: «نتيجة لسياسة الحكومة «روزفلت- ترومان» ازدادت قدرة روسيا السوفييتية، إلى حد أصبحت تهدد فيه بشكل عملي أمن الولايات المتحدة...

ولاشك بأن تهديد روسيا السوفييتية لأمن الولايات المتحدة هو أكبر من تهديد ألمانيا الهتلرية في السابق...

من المعروف أن أسطولنا الحربي هو الأقوى في العالم ولا شك بأننا بالتعاون مع بريطانيا نسيطر على جميع البحار العالمية...

ويجب أن نكون على استعداد لتقديم العون العسكري البحري والجوي لدول مثل اليابان وفورموزا واستراليا والفيلبين واندونيسيا ونيوزيلندا وبالطبع لبريطانيا.

وأنا أعتبر بأن الدفاع عن إنكلترا هو أهم بكثير من الدفاع عن أي دولة قارية... بالتعاون مع الإنكليز نحن نقدر وبلا شك أن نسيطر على البحار والأجواء في جميع أنحاء العالم.

وإذا كنا ننظر بجدية إلى سياستنا المعادية للشيوعية فعلينا أن نستأصل من الجهاز الحكومي كل من له علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالمنظمات الشيوعية....

أنا أعتبر أن هدف سياستنا الخارجية، يجب أن يكون بشكل أساسي حماية حرية الشعب الأمريكي. أنا أرى أن آخر رئيسين للولايات المتحدة، وضعا المصالح السياسية والحزبية المختلفة فوق مصلحة السلام والحرية.

وأنا أعتقد أن إرسال قواتنا المسلحة، لمساعدة بلد ما مثل كوريا تعرض للهجوم، من دون الحصول على موافقة الكونغرس هو أمر لا يسمح به الدستور الأمريكي.

ولكن مشروع الجيش الأوربي يذهب إلى أبعد من ذلك... إنه يتضمن إرسال قواتنا إلى من خلال جيش دولي كما جاء في وثيقة الأمم المتحدة... إن هذه الوثيقة لم تنل أبداً على رضاي... وأنا أرى أنها لا تمتلك أي أسس قانونية.

وأنا لا أرى أي مخرج من ذلك إلا في وضع خطط عسكرية خاصة بنا وكذلك وضع خطط عسكرية تخص تحالفاتنا الخاصة من دون أي التفات نحو إمكانات الأمم المتحدة غير المتوفرة لرد العدوان... والشكل الآخر للهيئة العالمية التي تعرض على الشعب الأمريكي، هو دولة ذات برلمان أممي لاتخاذ التشريعات العالمية، ذات حكومة أممية تقود القوات المسلحة لهذه المنظمة... وهو أيضاً في اعتقادي، على الأقل في هذا القرن، أمر خرافي وخطر من الصعب تحقيقه. وأنا واثق بأن دولة عالمية من هذا النوع ستندثر خلال عشر سنوات... لأن صعوبة توحيد هذه الجموع المبلبلة تحت قيادة واحدة، هو أمر لا يمكن تجاوزه وتخطيه...

ولكن الأهم في هذا الموضوع، أن من يبتدع مثل هذه الخطط، يريد النهاية للحريات التي جلبت السعادة لبلادنا... إن مثل هذه الخطط ستخضع الشعب الأمريكي، لحكومة الأكثرية، التي تجهل الأسس الأساسية الحيوية لأمريكا والتي لا تكن الود لأمريكا.

إن أي منظمة دولية، لكي تستحق الورق المكتوب عليه ميثاقها، يجب أن تقوم على أساس الحفاظ على استقلالية جميع الدول الداخلة فيها. ويجب تأمين السلام ليس عن طريق تحطيم الأمم وخلطها، بل عن طريق خلق أسس قانونية في العلاقات بين الأمم والدول».

وما جاء أعلاه يوضح تماماً بأن الخداع الحالي للشعوب لم يكن ليخفى على الكاتب.

ولكن الحقيقة التاريخية تفرض علينا أن نتساءل بعد قراءة هذه الكلمات. هل كان بإمكان «تافت» لو انتخب رئيساً أن يُقيم السياسة التي تحدث عنها والتي تتعارض مع كل ما كان سائداً من سياسة في أمريكا التي دعمتها الصهيونية كما هو معروف. وعلى الرغم من أن «تافت» كان خاضعاً للصهيونية مثل بقية السياسيين ألا إنه على ما يبدو لم ينتبه إلى الرابطة الحيوية بين الموضوعين. ويجدر الذكر هنا أن سكرتير السيد «تافت» ومساعده منذ عام /١٩٤٥م/ كان المدعو «جاك مارتين» «بالطبع اسم مستعار» وهو على حد قوله كان أول سؤال وجهه إلى «تافت» هو السؤال التالي: يا سيناتور، ما الذي أستطيع أن أخبركم به عن أهداف الصهيونية؟.

فأجابه «تافت» على غرار «بلفور» أو «ويلسون»: «وماذا يجب شرحه هنا؟ اليهود ملاحقون ومضطهدون ويحتاجون لأرض وحكومة تخصهم وعلينا أن نساعد في الحصول على فلسطين ولا شك بأن ذلك سيساهم في تدعيم السلام».

وقد اقتبسنا هذه الكلمات من المجلة العبرية «Jewish Sentinel» التي وصفت السيد «مارتين» على أنه «الأنا الثانية» للسيناتور «تافت» بل وحتى «وريثه».

وبعد موت السيد «تافت»، دعا الرئيس «ايزنهاور» السيد «مارتين» للعمل معه كمعاون ومستشار في شؤون الكونغرس وقد علق «مارتين» على ذلك بقوله: «الرئيس «ايزنهاور» على استعداد دائم لسماع أرائكم ومن السهل جداً تقديم النصح إليه».

وقد ذكرنا سابقاً أن الرئيس «ايزنهاور» قام فور انتخابه بإبلاغ رئيس الاتحاد الكنسي اليهودي «المدعو ماكسويل ابيل» بأنه «لن يكون لدى الشعب اليهودي صديق أفضل مني». وذكر الرئيس آنه تربى على هدى وروح تعاليم العهد القديم هو أخوته على يد أمه: «تربيت منذ الصغر على أن اليهود هم شعب مختار وأنهم هم بالذات من أهدى ثقافتنا الآسس الآخلاقية الحقة». ونشرت هذه الكلمات في جميع الصحف اليهودية في أيلول «سبتمبر» /١٩٥٢م/. وتلا ذلك تأكيد على الحب والولاء من قبل المرشحين الرئيسيين، «ايزنهاور» و «سنفنسون» للشعب اليهودي وإسرائيل بمناسبة حلول عيد رأس السنة العبراني «أيلول «سبتمبر» ١٩٥٢م».

وفي تشرين الأول «أكتوبر» حدثت محاكمات براغ وكان بعضها ضد اليهود كما ذكرنا سابقاً، فقام «ايزنهاور» بإدانتها وهدد السوفييت واتهمهم بمعادة السامية ولا شك بآن الصراخ عن معاداة السامية كان يُعد مفيداً في موضوع اصطياد الأصوات اليهودية، ولذلك قام الرئيس «ترومان» «وهو من الحزب المنافس» باتهام «ايزنهاور» بنفس الذنب. وتجمدت حركة الجنرال وانحل لسانه أمام هذا الظلم الواضح، وغضب إلى درجة جعلته يقول في آحد الاجتماعات، إنه لن يقوم حتى بالرد والإجابة على ذلك. وعلى وجه السرعة جرى استدعاء الحاخام «هيليل سيلفير» للاجتماع بـ «ايزنهاور» وقام الحاخام بعد الاجتماع بتبرئة ذمة الجنرال وتبييض صفحته من هذا الذنب العظيم.

وبعد انتخاب «ايزنهاور» رئيساً، توجه الحاخام إلى «يَهْوَه» «ليبارك الرئيس ويوعظه»

وتجدر الإشارة أيضاً إلى أن نائب الرئيس «ترومان» قام برفع صوته باحثاً عن الآصوات اليهودية، وقال هذا الرجل «آلبين باركلي»: «إنني أتنبأ بمستقبل مجيد لإسرائيل. وأعدها مثالاً، على دول الشرق الأوسط الاحتذاء به».

وحتى مجلة التايم لم تتمالك نفسها من التعليق الساخر اللاذع عندما قالت: «لقد غطى نائب الرئيس على الجميع وهو الذي حصل دورياً على ألف دولار، كل مرة قام فيها بدعم موضوع القروض الإسرائيلية.

يعد بعض العرب أن هذا الأمر يترك بعض الأثر على سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط. ولكن فقط البعض القليل من العرب يشترك في الانتخابات الآمريكية».

وبعد استلام السلطة بدأ تنفيذ اتفاقية دفع الأتاوة من ألمانيا الاتحادية لإسرائيل.

وفي نيسان «ابريل» /١٩٥٣/ كتبت الصحف العبرية وتحت عنوان «إسرائيل تستعرض قدراتها»: «حصل رجال السلك الدبلوماسي والملحقون العسكريون الأجانب على الانطباع اللازم من حضورهم للعرض العسكري الضخم للجيش الإسرائيلي في مدينة حيفا الذي اشترك فيه الأسطول الحربي والطيران. وأوضح الاستعراض تماماً قدرة إسرائيل واستعدادها لكي تحمي وجودها ومصيرها على ساحة القتال».

وهكذا بدأت مرحلة رئاسية جديدة في الولايات المتحدة في عام /١٩٥٣/ تخللها موت «ستالين» وتأكيد إسرائيل قدرتها على حماية وجودها في ساحة الحرب ومع وجود نصف ألمانيا «الحرة» تعمل ليل نهار لتدفع الآتاوة لإسرائيل.

وخلال الاحتفال بتقلد «ايزنهاور» لمقاليد الحكم حدث أمر ممتع ومثير، ففي نهاية الاحتفال، ظهر «كاوبوي» على ظهر حصان ولدى اقترابه من المنصة الرئيسية طلب من الرئيس السماح له باستخدام لفة حبال كان يحملها، فوقف الرئيس ومد رأسه ورمى «الكاوبوي» الحبل ليلتف على رقبة الرئيس. وأظهرت الصحف وأفلام السينما في ما بعد الرئيس والحبل ملتف على رقبته.

وصرح الرئيس فيما بعد: «بأن إسرائيل هي حصن الديموقراطية في الشرق الأوسط وأنه يجب على كل أمريكي يحب الحرية أن ينضم إلى الجهود الهادفة إلى ضمان مستقبل هذه الدولة إلى الأبد».

ربما كان الرئيس سطحياً غير متعمق في كلامه هذا إلا أن البعض عده وجبة التزامات جديدة.

ولكن إذا أعتقد الرئيس الجديد، بأنه بعد هذه الوعود المعسولة، يقدر أن يحكم كما يريد ويحدد السياسة حسب رغبته فقد كان على خطأ كبير. وبعد تسعة أشهر من استلامه السلطة تم تلقينه الدرس الأول. ولدى محاولته التصرف باستقلالية وحسب ما تتطلبه المصلحة القومية الأمريكية فيما يتعلق «بالعضو الجديد في عائلة الشعوب» الذي عليه أن يضبط سلوكه، جاء الرد عنيفاً من جميع الجهات واضطر الرئيس الجديد إلى السكوت والتراجع مثل ما فعل «روكلاند» «أي الرئيس ويلسون» في رواية العقيد «هاوز» في عام /١٩١٢م/.

هذه الإهانة لرئيس الدولة التي عدها العالم الساذج أعظم دولة في العالم، تُعد أكثر الحوادث إهانة في حكايتنا هذه.

نعود إلى الاعتداءات الإسرائيلية على الجيران العرب التي ذكرناها في هذا الفصل ونشير إلى أنها بدأت في /١٤/ تشرين الأول «أكتوبر» /١٩٥٣/ عندما ذبح اليهود كل سكان

قرية «القبية» في فلسطين وكان ذلك تكراراً لمذبحة «دير ياسين» عام /١٩٤٨م/. ولكن الفرق الوحيد أن ذلك حدث هذه المرة خارج حدود فلسطين وكانت إشارة إلى العرب ليفهموا أن العقاب يمكن أن يلحقهم إلى أي مكان وفي أي وقت.

وجرى إطلاع الأمم المتحدة على التفاصيل المخيفة للمذبحة عن طريق الجنرال الدانماركي «فاغن بينك»، رئيس لجنة الأمم المتحدة لمراقبة الهدنة «وعلى الفور جرى تهديده بالقتل» ومساعده المباشر المقدم البحري الأمريكي «هاتشيون» والذي وصف العدوان اليهودي بأنه «عملية قتل متعمدة» «وأدى ذلك إلى سحبه من هناك». ولدى مناقشة الموضوع في مجلس الأمن، أعلن المندوب الفرنسي بأن المذبحة أثارت في فرنسا «الرعب والاحتجاج والغضب» واتهم إسرائيل- الدولة التي قامت بناء على التأكيدات عن ملاحقة اليهود- بالانتقام من الناس الأبرياء الذين لا ذنب لهم».

وانضم المندوب الأمريكي والبريطاني إلى الإجماع الكامل في «الإدانة» «تشرين الثاني «نوفمبر» /١٩٥٣/» ووصف مطران يورك الإنكليزية العمل بأنه عمل إرهابي فظيع. أما النائب المحافظ في مجلس العموم الميجر «ليغ بورك» فقد أطلق عليه لقب «ذروة الوحشية في القائمة الطويلة للهجمات على الأراضي غير الإسرائيلية والداخلة في خطة موضوعة للانتقام».

ولكن على الرغم من كل ذلك حصلت إسرائيل من الحكومة الأمريكية على /٦٠/ مليون دولار- على ما يبدو مكافأة لما فعلت- وأعلن الرئيس توبته وندمه عما قال وتراجع أمام الضغط الصهيوني في نيويورك. وسنحاول معاً فيما يلي استعراض شريط الأحداث التي جرت في تلك الفترة:

«بعد مرور أربعة أيام على المذبحة في الأردن «١٨ تشرين الأول «أكتوبر» اتخذت الحكومة الأمريكية قراراً بإعلان «إدانة قاسية لطفلها المدلل» «تايمز /١٩/ تشرين الأول «أكتوبر».

وقد ذكرت بأن المعلومات التي وصلت إلى وزارة الخارجية عن الإزهاق المخيف للأرواح البشرية وتدمير الممتلكات، تؤكد لنا ضرورة معاقبة المسؤولين المذنبين ووجوب اتخاذ إجراءات حازمة لمنع حدوث مثل هذه الأمور في المستقبل».

«ونعرض على القارئ مقارنة هذه الكلمات مع ما حصل بعد عدة أيام من ذلك».

جريدة التايمز اللندنية قالت: «وراء هذا التصريح يقف سخط وامتعاض من سلوك إسرائيل المتغطرس في تعاملها مع الولايات المتحدة- لأنها وكما يبدو دائماً على ثقة تامة، بأنها تستطيع الاعتماد على الضغط اللازم في البلاد».

وأضاف مراسل التايمز وهو يحبس أنفاسه بأن «الهدية البالغة عدة ملايين من الدولارات للحكومة الإسرائيلية، يمكن أن تتأخر حتى تقدم الحكومة الإسرائيلية ضمانات بعدم تكرار ذلك».

وبالفعل بعد مرور يومين على ذلك، أعلنت وزارة الخارجية «٢٠ تشرين الأول «أكتوبر» بأن المساعدات لإسرائيل قد جُمدت. ولكن إذا كان الرئيس «ايزنهاور»، قد أعتقد باستهتار بأن حكومته بعد مرور سنة على انتخابها، أصبحت الآن حرة طليقة اليدين على مدى السنوات الثلاث الباقية وأنها لوحدها ستقود السياسة الأمريكية، فقد أخطأ بشدة.

إن ضعف أمريكا القاتل والمميت يكمن في قوة سادتها الحقيقيين الممسكين بكافة المفاتيح بأيديهم. وهذه المفاتيح هي الانتخابات التي تسبح دائماً في الهواء: الرئاسية والبرلمانية الفيدرالية وفي الولايات وغيرها.

وفي تلك الفترة بالذات وضع ثلاثة مرشحين عيونهم على ولاية نيويورك «انتخاب عمدة نيويورك». وكان اثنان منهم يهوداً والثالث غير يهودي.

بالإضافة إلى ذلك بدأت حملة الانتخابات في الكونغرس لعام /١٩٥٤م/ وكان يجب خلالها إعادة انتخاب /٤٣٥/ نائب في مجلس النواب بالإضافة إلى ثلث مجلس الشيوخ، ولهذا السبب بالذات أصبح من الممكن من جديد شد «البراغي والصامولات» في البيت الأبيض.

وتهافت الثلاثة في نيويورك بالركض وراء الأصوات اليهودية واجتمع /٥٠٠/ سيناتور «في /٢٥/ تشرين الأول «أكتوبر» في اجتماع أعلنوا فيه عن ذهولهم لتجميد «المعونة لإسرائيل» وطالبوا الحكومة بإعادة. النظر في هذا القرار الخاطئ غير الحكيم.

وقابل المرشح الجمهوري لانتخابات عمدة نيويورك، وزير الخارجية وأعلن عقب ذلك «بأن إسرائيل ستحصل على المعونة الاقتصادية الكاملة من الولايات المتحدة» «نيويورك تايمز /٢١٦/ تشرين الأول «أكتوبر» وأن المبلغ هو /٦٣/ مليون دولار «على الرغم من ذلك سقط هذا الرجل في الانتخابات».

في ذلك الوقت أخذ نشطاء الحزبين بمحاصرة الرئيس. وجرى الحديث عن الكارثة التي ستصيب الحزب الجمهوري في انتخابات الكونغرس لعام /١٩٥٤/ إذا لم يلغ الرئيس قراره.

ولم يدم الحصار طويلاً واستسلم الرئيس في /٢٨/ تشرين الأول «أكتوبر» وأعلن رسمياً بأن إسرائيل ستحصل على كامل المبلغ ورحب المرشح الجمهوري لمنصب عمدة نيويورك بهذا القرار وعده «اعترافاً بأن إسرائيل هي الحصن المتقدم الصلب لأمن العالم الحر في الشرق الأوسط». وأن القرار هو عبارة عن خطوة حكومية حكيمة على مستوى عالمي.

وقد رسم «جون أودوفيل» في نيويورك ديلي نيوس في ١٠/٢٨، صورة لما حدث: «لقد ضغط الساسة المحترفون عليه من كل جانب وهددوه بانتقام مخيف، ولم يعجب ذلك «ايزنهاور» مطلقاً... ولكن الضغط كان عالياً لدرجة أنه اضطر إلى التراجع للمحافظة على السلام والهدوء في جماعته.

ومن الناحية السياسية والشخصية، كانت تقلباته هذه هي الأسرع والأبرع خلال الشهور الكثيرة الماضية في هذه العاصمة السياسية للعالم كله... وعلى مدى أسبوع بكامله استمر الضغط من قبل المرشحين اللاهثين وراء الأصوات اليهودية الكثيرة في نيويورك وكان ذلك مخيفاً.

وخلال الأيام العشرة الأخيرة، تقدمت وتطورت المعرفة السياسية للرئيس «ايزنهاور» إلى الأمام بسرعة مذهلة».

ولكن على الرغم من كل ذلك خسر الجمهوريون الأكثرية في كونغرس عام /١٩٥٤م/. وفي عام /١٩٥٦م/ تزايدت خسائر الجمهوريين على الرغم من التنازلات الضخمة التي قدموها. بعد ذلك لم يعد أحد في الحكومة الأمريكية، يتجرأ على إبداء أي شجب أو معارضة إسرائيل. تلا ذلك الأمر قيام الولايات المتحدة بتزويد إسرائيل بكميات كبيرة من الدبابات والطائرات والصواريخ. وألغت بريطانيا الحظر الذي كان قائماً على تصدير السلاح إلى إسرائيل.

وفي آيار «مايو» /١٩٥٥م/ «أصبح «انتوني ايدن» رئيساً لحكومة إنكلترا» قام وزير الخارجية الأمريكي «جون فوستر دالاس» بزيارة إلى إسرائيل- كان عليه أن يفهم بعد ما حدث مع رئيسه، بأنه «أي دالاس» يحتك الآن مع أقوى قوة في العالم وهي التي تملك السلطة الحقيقية في دولته ذاتها، وأن إسرائيل بنفسها هي عبارة عن أداة في يد تلك القوة- وقابل «دالاس» في إسرائيل بعض السياسيين هناك وغادرها عن طريق تل أبيب تحت حماية بوليسية ضخمة وكانت عملية الحماية تحمل رمز «عملية كيتاوا» وهي كلمة عبرية تعني «من أين أتيت يا هذا»- وفيها غمز وإشارة إلى مقطع من الفصل السادس والعشرين من كتاب «التثنية»: «وإذا دخلتم الأرض التي يعطيكم إياها الرب ملكا لكم، فامتلكتموها وأقمتم بها... وفي هذا اليوم أعلنتم أن يكون الرب إلهاً لكم، فتسلكوا طريقه وتحافظوا على فرائضه ووصاياه وأحكامه وتسمعوا كلامه.

والرب اختاركم في هذا اليوم لتكونوا من نصيبه وكما قال لكم فتعملوا بوصاياه، ليجعلكم فوق جميع الأمم التي خلقها ولتكونوا شعباً مكرساً له كما قال». لذلك أُعتبر

وزير الخارجية الأمريكي، في إسرائيل شخصية ضئيلة المستوى في دراما «تنفيذ الشرائع اللاوية» العظيمة.

ولدى عودته إلى بلاده، ذكر «دالاس» بأن العرب يخافون من الصهيونية أكثر من الشيوعية. والمدهش أنه لمعرفة ذلك لم يكن يحتاج إلى السفر إلى الشرق الأوسط وكان يكفيه فقط النظر إلى الخريطة الجغرافية: لقد كان العرب على معرفة جيدة بمحتويات التوراة وشاهدوا التطبيق العملي الحديث لها في «دير ياسين» و «القبية».

وقد صرح «دالاس» في حديث تلفزيوني «حسب وكالة «اسوشيتدبرس» في الأول من حزيران «يونيو» /١٩٥٣/» بأن الولايات المتحدة تؤيد بحزم الوثيقة الثلاثية لعام /١٩٥٠/ «الولايات المتحدة وإنكلترا وفرنسا» والتي تفرض على هذه الدول التدخل في حال تعرض حدود إسرائيل الحالية للخطر.

ولم يتمكن مؤلف الكتاب من التأكد، هل كان ذلك هو ما قاله فعلاً وزير الخارجية أم أن كلامه تعرض للتحريف. ذلك لأن الوثيقة الثلاثية المشهورة كانت تنص على ضمان الحدود في الشرق الأوسط حسب خط الهدنة وليس حدود إسرائيل الحالية.

في آيلول «سبتمبر» عام /١٩٥٥م/ أصيب «ايزنهاور» بالضربة الصحية الأولى وعلى الرغم من أنه تعافى منها ألا أن صوره كانت تذكر بصور «ويلسون» و «روزفلت» بعد المرض.

وأعتقد الكثيرون بأن «ايزنهاور» لن يرشح نفسه مرة أخرى للرئاسة.

وفي عام /١٩٥٥/ وقفت أمريكا أمام الانتخابات الرئاسية مرة أخرى واجتمع رحال الحزب الجمهوري مرة آخرى حول الجنرال المريض لإقناعه بالترشيح مرة أخرى عن الحزب الجمهوري، بعد أن فقد الحزب الأكثرية في الكونغرس وبدأت الحملة الانتخابية كالعادة قبل سنة من حلول موعد الانتخابات الحقيقي.

في آيلول «سبتمبر» /١٩٥٥م/ قامت مصر بعقد صفقات شراء سلاح من الاتحاد السوفييتي. وبرر الرئيس المصري «عبد الناصر» ذلك بأن بلاده حاولت على مدى ثلاث سنوات شراء السلاح من الغرب وأمريكا ولكنها لم تتمكن من ذلك.

وناشد «ايزنهاور»، السوفييت بعدم بيع السلاح لمصر «الكتلة الآساسية أتت من مصانع «سكودا» التشيكية وهي نفس المصانع التي قدمت السلاح لإسرائيل في فترة /١٩٤٧-١٩٤٨م/».

واتهم رئيس الوزراء البريطاني «انتوني ايدن»، السوفييت بتصعيد الأزمة في الشرق الأوسط وبدا واضحاً للعرب مرة أخرى أن الغرب لم يتغير: السلاح مسموح به لإسرائيل ومحرم على العرب.

وازدادت الدعاية المعادية للعرب يوماً بعد يوم وأجبرت الناس في الغرب على نسيان مسلسل الاعتداءات الإسرائيلي على العرب وأصبحت إسرائيل مرة أخرى في موقع الضحية أمام مصر المدججة بالسلاح الشيوعي الأحمر.

وفقط شخص واحد في تلك الفترة تجرأ على ذكر الحقيقة وكان «هانسون بولدفين» المعلق العسكري الأمريكي المعروف: «نحن نتحدث عن رغبتنا بالحفاظ على التوازن الهش بين العرب وإسرائيل ولكن في الحقيقة، لا الآن ولا في المستقبل يمكن الحديث عن التوازن الحقيقي، بمعنى أن الطرفين يملكان قوة عسكرية متوازية «متساوية». اليوم إسرائيل ومن دون أي شك أقوى بكثير من مصر بل هي عملياً أقوى من مصر والأردن والسعودية والعراق ولبنان وسورية مجتمعة».

«نيويورك تايمز ١١/١١/١٩٥٥م».

وبعد مرور /١٤/ شهراً على مهاجمة إسرائيل لمصر كتب المعلق ذاته «٤/١/١٩٥٧»: «ابتداء من عام /١٩٤٩/ كانت إسرائيل القوة الأعظم في تلك المنطقة كلها وهي اليوم بالمقارنة مع الدول العربية، أقوى من أي وقت مضى».

ولكن في الواقع وتحت أنغام موسيقى سيل السلاح الأحمر للعرب «بدأت الحملة النيابية الأمريكية الجديدة وحملة انتخابات الرئيس. وبدأ التنافس على كسب الود: «إذا تطلب الأمر فإن إسرائيل ستحصل من الخارج على قوة تطغى على الجميع» «الحاكم «غاري مان» لجريدة نيويورك تايمز ٢٣/٣/١٩٥٥».

وقام /١٥٣/ مرشح إلى الكونغرس بالتوقيع على عريضة طالبوا فيها تحريم تصدير السلاح إلى العرب من أي جهة كانت[1].

وقد علق وزير خارجية سابق على ذلك بقوله: ما دام الجمهوريون في الحكم، لن تحصل إسرائيل على المعونة من الولايات المتحدة. وكان ذلك الحديث معادلاً لدعوة إلى اليهود الأمريكيين للتصويت لمصلحة الديموقراطين في انتخابات الكونغرس. وبالفعل أوضح انتصار الديموقراطين في انتخابات الكونغرس، الأهمية الكبرى لأصوات اليهود.

١- هذا التحريم حدث فعلاً بعد سقوط الاتحاد السوفييتي وفرضت الولايات المتحدة ذلك وأخذت تتدخل في أي صفقه تصدير سلاح إلى سورية أو إيران مهما كان مصدرها ومهما كان السلاح بسيطاً وأخذت تهدد الشركات الروسية وغيرها من الشركات بسلاح المقاطعه إذا تعاونت مع هاتين الدولتين عسكرياً وتكنولوجياً. وقامت هي وغيرها من الدول (اسبانيا مثلاً) بعلميات قرصنة واعتراض للسفن التجارية وقامت بتفتيشها بحثاً عن السلاح المصدر -المترجم.

وبدأ قادة الحزب الجمهوري الضغط على الرئيس المريض، لحماية إسرائيل وبدأت السنة باعتداء إسرائيلي واضح على سورية في الحادي عشر من كانون الأول «ديسمبر» /١٩٥٥/ جاءت بعده إدانة قوية من الأمم المتحدة وكانت الإدانة القوية الرابعة خلال سنتين. وأعلنت إسرائيل حالة الطوارئ في البلاد.

وبدأت الأوساط الصهيونية في الوقت نفسه هجوماً قوياً على وزارة الخارجية الأمريكية التي حاولت الحد من الالتزام الأحادي الجانب إلى طرف إسرائيل. وفي كانون الثاني «يناير» /١٩٥٥م/ قامت المنظمة الدينية اليهودية العالمية «ميزراخي» في مؤتمرها في اتلانتيك سيتي، بمهاجمة وزارة الخارجية الأمريكية، لمحاصراتها المعونة الأمريكية الفعالة لإسرائيل.

وبنفس الكلمات تماماً اشتكى على مدى ثلاثين عاماً متواصلة، الدكتور حاييم «وايزمان» من موظفي الحكومة البريطانية من عام /١٩١٤م/ وحتى عام /١٩٤٧م/.

وارتمى ثقل الضغط الصهيوني في عام /١٩٥٦م/ على أكتاف وزير الخارجية الأمريكي «دالاس». فبعد الإدانة الواضحة لإسرائيل في مجلس الأمن، أعلن «دالاس» عن محاولته إقناع السياسيين الأساسيين في الحزب الديموقراطي، لنزع موضوع العرب وإسرائيل من الحملة الانتخابية الرئاسية. وعلقت جريدة نيويورك تايمز على ذلك: «كما هو معروف السيد «دالاس»، اتهم السفارة الإسرائيلية بأنها تقوم بإقناع المرشحين إلى الكونغرس ليتخذوا موقفاً مؤيداً لإسرائيل...

وزير الخارجية يحاول إقناع الحزبين أن لا تُعقد المحادثات الحساسة بشأن الشرق الأوسط بهدف الحصول على فوائد معينة في الحملة الانتخابية... وهو على الأخص يخشى أن يقال أن أمراً ما في الحملة الانتخابية تستطيع أن تفهمه إسرائيل على أنه تشجيع لها على اختراق الأراضي العربية.

في تلك الفترة ظهر كتاب للسيد «تشيسلي مينلي» بعنوان «The U.N Record» وفيه يذكر كيف أن الرئيس «ترومان» في سنة انتخابات الكونغرس، قام بتوبيخ أربعة موظفين من وزارة الخارجية ألحوا القول لمصلحة العرب وقال لهم: «أنا شديد الأسف أيها السادة ولكن يجب علي أن آخذ بالحسبان رأي مئات الآلاف من الناخبين الراغبين في نجاح الصهيونية وأنا في الوقت نفسه لا أرى وسط الناخبين مئات الآلاف من العرب».

والآن بعد عشر سنوات يحاول وزير الخارجية «دالاس» أن يفعل ما لم يقدر على فعله وزير الدفاع «فوريستول» والذي دفع منصبه ومن ثم حياته ثمناً لذلك في عام /١٩٤٧م/.

وعلى الفور تكالبت ضد «دالاس» كل الصحافة الأمريكية والبريطانية وتلقى الوزير على كلامه هذا رسالة من مجموعة من نواب الكونغرس فأجاب عليها في /٧/ شباط

«فبراير» عام /١٩٥٦م/: «مهمات السياسة الخارجية الأمريكية تتضمن المحافظة على دولة إسرائيل «ولذلك» نحن لا نستبعد إمكان بيع السلاح لها».

ولكن ذلك لم يساعده، لأنه في تلك الفترة ارتكب ذنباً آخر: فقد ذكرت الجريدة اليهودية «جيراسوليم بوست» أن «دالاس»: «ارتكب عملاً غير ودي آخر... وهو استقباله لمدة /٤٥/ دقيقة وفد المجلس الأمريكي لدعم اليهودية» الأمر الذي لم يعجب الصهاينة هو تدخل من طرف يهودي مثل هذا المجلس الذي يرفض الشوفينية الصهيونية ورفض دعم العرب لها وكان يتزعم المجلس، المدعو «ليسنغ روزينفلد» والحاخام «المير بيرغر».

واحتج المجلس الصهيوني الأمريكي على محاولات «دالاس» نزع المسألة الفلسطينية من الحملات الانتخابية الرئاسية.

وكان على «دالاس» أن يشترك في اجتماع لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب لمناقشة موضوع بيع السلاح الأمريكي في الشرق الأوسط. وحضر «دالاس» الاجتماع في /٢٤/ شباط «فبراير» وهناك استقبله الأمريكان البسطاء بتصفيق حاد لدى دخوله وخروجه. ومن ضمن ما قاله «دالاس» في ذلك الاجتماع، بأن الولايات المتحدة خلال محاولاتها التوفيق بين العرب واليهود، تصادف صعوبات جمة وهي وجود قناعة راسخة لدى العرب بأن سياسة واشنطن يتم إملاؤها عن طريق الضغط السياسي الداخلي.

في /١٢/ نيسان «ابريل» /١٩٥٦م/ استدعي «دالاس» للتباحث مع زعماء الكونغرس حول الوضع في الشرق الأوسط. وهناك قال الوزير: «أنا أعتقد أن الأوان فات بالنسبة للحل السلمي للقضية» وأشار «دالاس» إلى وجود عاملين متناقضين في السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط.

الأول هو المحافظة على مصدر النفط للغرب «النفط حالياً في أيدي العرب» والثاني هو «الحفاظ على إسرائيل كدولة».

وعلى الفور طرح عليه زعيم الديموقراطيين في الكونغرس «جون ماك كورماك» السؤال التالي: ما هو في المقام الأول بالنسبة لكم، إنقاذ إسرائيل أو المحافظة على النفط.؟

فأجاب «دالاس»: «نحن نحاول القيام بالأمر الأول والثاني» ولكن وضع «دالاس» ازداد سوءاً بعد محاولته القيام بالأمر الأول والثاني.

في تلك الفترة ظهرت محاولة للالتفاف على موضوع تزويد إسرائيل بالسلاح وبالذات عن طريق إرسال السلاح لإسرائيل من فرنسا وبريطانيا وكندا وبذلك يمكن لأمريكا أن تحافظ على حيادها الظاهري. وقال الحاخام «هليل سيلفير» لدى زيارته لإسرائيل بأن الكلمة الأخيرة في موضوع تزويد بالسلاح لم تقل بعد.

ولدى عودته إلى واشنطن التقى مع الرئيس «ايزنهاور» في جو ودي للغاية وعند ذلك آتضح بأن الولايات المتحدة «تحاول في الخفاء دفع فرنسا وكندا لبيع السلاح إلى إسرائيل» «نيويورك تايمز نيسان «ابريل» /١٩٥٦م/».

وأعلنت الولايات المتحدة عن موافقتها على أن تتأخر فرنسا في تنفيذ تعهداتها لحلف الناتو من ناحية التسليح لكي تتمكن من إرسال آخر «١٢» طائرة ميستر- /٤/ لإسرائيل. واستخدمت إسرائيل هذه الطائرات بعد خمسة أشهر في عدوانها على مصر.

بعد مرور نصف عام وقبيل الانتخابات الرئاسية وقبل الاعتداء الإسرائيلي على مصر قالت صحيفة «نيويورك ديلي نيوز» لتذكر الناخبين اليهود بأن «حكومة «ايزنهاور» لم تستطع تزويد إسرائيل بالأسلحة الثقيلة بسبب الحالة الدولية المعقدة ولكنها في نيسان «ابريل» وأيار «مايو» استطاعت أن تساعد إسرائيل في الحصول على /٢٤/ طائرة نفاثة من نوع «ميستر» من فرنسا. وبعد شهر أعلنت كندا عن بيعها إسرائيل /٢٤/ طائرة نفاثه من طراز «سابر» وقد أكد قادة إسرائيل بأن «دالاس» استخدم تأثير ووزن الولايات المتحدة من أجل تسهيل هذه الصفقات.

إن هذه الأسلحة كانت مقررة لحلف الناتو ودفعت ثمنها الولايات المتحدة ولكنها تحولت إلى إسرائيل. وهذا ما يعني بأن حلف الناتو أصبح أيضاً في خدمة الصهيونية.

ولكن وعلى الرغم من ذلك لم تخف الحملة الصحفية في الغرب، ضد تزويد مصر بالسلاح الشرقي. وجواباً على ذلك وزعت القيادة السوفييتية بياناً على حكومات إنكلترا وأمريكا ومصر وتشيكوسلوفاكيا قالت فيه: «بأنها تُعد بأن الحق القانوني لأي دولة أن تهتم بالدفاع عن ذاتها وأن تشتري السلاح للحاجات الدفاعية من الدول الأخرى بشروط تجارية اعتيادية ولا يحق لأي دولة أخرى أجنبية أن تتدخل في ذلك». ومن الناحية القانونية يُعد هذا التصريح قمة في المثالية والأخلاقية.

ولكن على الرغم من أن الولايات المتحدة، تمكنت بواسطة هذه اللعبة آن تزود إسرائيل بالسلاح، إلا أن الصهاينة لم يسامحوا «على الرغم من ذلك» الرئيس الأمريكي. لقد تطلب صهيون من الجميع خضوعاً مكشوفاً ولذلك أخذ الغضب الصهيوني ينصب على رأس الرئيس «ايزنهاور» وافتتحت الحملة امرأة صهيونية تدعى «اغينسا مائير» حيث قالت في اجتماع يهودي في نيويورك بأنه وبينما لا تزال إسرائيل في خطر محدق يحيط بها «لا يمكن العثور على الرئيس في مكتبه في واشنطن، أنه يلعب الغولف».

وأضافت تقول: «هل يمكن لبلادنا أن تسمح لنفسها بمثل هذا الرخاء وهو أن تمتلك رئيساً لا يعمل بدوام كامل». ومباشرة بعد ذلك عاد مرض الكبد المزمن إلى الرئيس وتوقفت الحملة لبعض الوقت.

نقوم الآن بالقفز إلى الطرف المقابل من المحيط الأطلسي.

في وقت آخر كان يمكن لـ «انتوني ايدن»، أن يصبح رجل دولة عظيم. ولكن في قرننا العشرين حصل هذا الإنسان لدى استلامه منصب رئيس الحكومة على تركة من «الالتزامات» الكثيرة أمام صهيون والتي ربطت برقبته كحجر الطاحونة.

في عام /١٩٥٥م/ عندما استلم منصب رئيس الحكومة، كان من الصعب جداً العثور على شخص ينافسه ويضاهيه بالخبرة والمقدرة على العمل. لقد كان ينتمي إلى أسرة ثرية عريقة ذات تاريخ طويل في خدمة الدولة والعرش. وهو منذ شبابه شغل المناصب الحكومية الرفيعة وكان له علاقات ودية مع الكثير من الناس ذوي النفوذ وكان على مقدرة عالية في إدارة المحادثات ولا يمكن لأحد أن يضاهيه في ذلك إلا «تشرشل»

ولكن في عام /١٩٥٥م/ كان واضحاً للمراقب المحترف أن «انتوني ايدن» لم يكن رئيساً للحكومة بقدر ما كان وزيراً بقضية اليهودية التي تحولت في ذلك الوقت إلى دولة إسرائيل وغطرستها اللا محدودة. وبدا واضحاً أن نشاطه في هذا المنصب يقع تحت ظل هذه القضية. وأن مصيره السياسي لن يقرره نجاحاته في حل المسائل الحيوية لإنكلترا بل علاقته مع الصهيونية. وكان من الممكن التأكد من ذلك حتى قبل أن يصبح رئيساً للحكومة وعندما كان وزيراً للخارجية، حين ذلك وقعت الحكومة البريطانية اتفاقاً مع إيران وتركيا أعطى الحماية للمصالح البريطانية في الشرق الأوسط ومن ضمنها النفط ذو الأهمية الحيوية لإنكلترا. ولكن في المناقشات البرلمانية لم يمنح هذا الموضوع أي أهمية واحتدنت الأراء حول «كيف سينعكس ذلك على اليهود». أي ما هي التأثيرات التي سيجلبها هذا الاتفاق على إسرائيل ومن /٣٥٢/ نائب في مجلس العموم، فقط اثنان منهم امتلكا الرجولة للإعراب عن الاحتجاج: «في نقاشاتنا لا يدور الحديث عن فلسطين وعلى وزير الخارجية أن يأخذ بالحسبان المصالح العالمية ومصالح بريطانيا وحتى إذا أثار ذلك استياء الدول الأخرى» النائب «توماس ريد».

«إذا أخذنا بالحسبان كلمات النواب المحترمين في قسمي المجلس «طرفي المجلس»، يمكن أن نخرج بانطباع بأن الحديث كان يدور فقط عن تأثير هذا الاتفاق على إسرائيل وليس حول تحسين نظامنا الدفاعي في أنحاء العالم ضد التهديد الإمبريالية السوفييتي».

«النائب ف. بينيت»

وقد أجاب على ذلك نائب يهودي من الحزب الاشتراكي «العمال»: «ولماذا لا؟»

وحقاً في تلك الفترة أصبح من المستحيل مناقشة أي أمر إلا بعد النظر إلى تأثيره على إسرائيل.

وحدد هذا الأمر بشكل مسبق، الخط السياسي لحكومة السيد «انتوني». وبعد استلامه لرئاسة الحكومة، عرض «ايدن» اقتراحاً يتضمن فصل إسرائيل عن العرب بقوات فصل دولية «الولايات المتحدة رفضت ذلك».

ومرة أخرى عرض على إسرائيل إجراء تعديل طفيف على حدودها يتناسب مع قرار التقسيم وأدى ذلك إلى قيام حملة إعلامية ضد إنكلترا.

«والآن حتى إنكلترا، انضمت إلى صفوف أعداء إسرائيل».

السنة التالية كانت سنة الانتخابات الرئاسية في الولايات المتحدة وأصبحت تلك السنة سنة المشكلات «لانتوني ايدن» وتحركت الآلة الإعلامية الصهيونية تحرض لندن ضد واشنطن. وواشنطن ضد لندن واستخدمت خلال ذلك خبرة أربعين عاماً من المناورات والخدع ومضاربات ما وراء الكواليس السياسية.

في آذار /١٩٥٦م/ حدث أمر لم ينتبه إليه الرأي العام العالمي ولكن المراقب الخبير استقى منه على الفور، أن الهجوم على مصر حاصل لا محالة في القريب العاجل.

فقبيل عيد الفصح العبراني أذاعت «صوت أمريكا» خبراً مليئاً بالاستفزاز وذلك بالتلميح باقتراب «تحرير اليهود من السبي المصري». وازداد التحريض حول قصف مصر في لندن وواشنطن وأشار كل ذلك إلى أن أموراً ضخمة ستحدث قبل حلول عيد الفصح العبراني القادم.

وكما هو معلوم يجهل الرأي العام الأمريكي الكثير عن إذاعة «صوت أمريكا» وحتى مؤلف هذا الكتاب وعلى الرغم من الجهود الكبيرة لم يقدر أن يعلم من هي الجهة الرسمية المسؤولة عن ذلك «الصوت» أو حتى من هي الجهة التي تراقبه، على الرغم من أنه يقدم نفسه إلى جميع أنحاء العالم كبوق للحكومة الأمريكية. الشيء الوحيد الذي استطاع المؤلف معرفته، هو أن الإمكانات المادية والمالية والتكنيكية لهذه المؤسسة هي ضخمة جداً وبقدر غير محدود، وأن معظم العاملين فيها هم من يهود أوربة الشرقية وأن السرية والغموض تسود كل نشاط هذه المؤسسة.

خلال الانتفاضة في هنغاريا في تشرين الأول «أكتوبر»- تشرين الثاني «نوفمبر» /١٩٥٦م/ لعبت إذاعة صوت أمريكا دوراً كبيراً في تحريض الناس هناك على الانتفاض ضد الروس وأقنعتهم بقدوم الدعم الأمريكي في حال تدخل السوفييت بشكل سافر. ولكن الرئيس «ايزنهاور» بعد حدوث المأساة هناك قال: «نحن لم نقم أبداً بنصح الشعوب المستعبدة لتنتفض ضد القوات المسلحة السوفييتية».

جريدة نيويورك تايمز في عددها في ١٩٥٦/١١/٢٣ ذكرت أن أحد اللاجئين الهنغار قال: «بأن صوت أمريكا وإذاعة أوربة الحرة قامتا على مدى سنين طويلة بتحريضنا على الانتفاضة ولكن عندما حدث ذلك لم تحرك أمريكا ساكناً».

وقامت حكومة ألمانيا الغربية بإجراء تحقيق بعد أن تكاثرت الاتهامات في الصحف الألمانية ضد إذاعة أوربة الحرة بالتحريض على الانتفاضة وبالذات في ١٩٥٦/١١/٥م عندما قالت الإذاعة للشعب الهنغاري بأن مساعدة الغرب لا يمكن أن تصل إليهم قبل الساعة الثانية صباحاً من اليوم القادم «أي أنها على الأبواب» «نيويورك تايمز ١٩٥٦/١٢/٨م».

وأكثر الاتهامات جدية جاءت من طرف زعيمة الحزب الديموقراطي الاشتراكي الهنغاري السيدة «آنا كيتلا» والتي نجت بأعجوبة وهربت إلى الغرب. وأشارت هذه السيدة إلى أنه في عام /١٩٥٢م/ وحينما كانت هي قيد الاعتقال، قامت إذاعة أوربة الحرة في آحد نشراتها بالقول: «بأنني كنت أقود من السجن حركة التحرير السرية وقامت الإذاعة بإذاعة أسماء بعض الأشخاص وزعمت بأنهم يشتركون معي في قيادة تلك الحركة. وعلى الفور أخذوني من السجن الذي كنت فيه في زنزانة منفردة منذ عام /١٩٥٠م/ وأخذوا يجرون مقابلات لي مع مئات الأشخاص الذين اعترفوا تحت التعذيب الشديد بأنني كنت أقودهم من داخل السجن، وبالاشتراك في مؤامرة مزعومة ضد النظام الشيوعي، على الرغم من أن كل ذلك كان مجرد خيال وكذب، ولم يكن في نشرات راديو أوربة الحرة أي كلمة صادقة. لقد كان كل كلامها كذباً في كذب. لقد ارتكبت هذه الإذاعة ذنباً لا يمكن غفرانه عندما آقنعت الشعب الهنغاري باقتراب وصول الدعم العسكري الأمريكي على الرغم من آن ذلك كان أمراً مستحيلاً».

«نيويورك تايمز ١٩٥٦/١١/٣».

ونرى بوضوح هنا أن آمريكا كانت تتحدث «بصوتين» أحدهما للرئيس «ايزنهاور» الذي تحدث مع العالم بشكل رسمي والآخر تحريضي موجه إلى الشعوب المستعبدة لإقناعها بالانتفاض وبأن الدعم الأمريكي قادم.

وقالت صحيفة نيويورك تايمز عن الخط السياسي الرسمي الأمريكي ما يلي: «يؤكد أعضاء الحكومة بأن حكومة الولايات المتحدة ترغب في ألا تعطي انطباعاً وكأنها تقف بشكل كامل إلى جانب إسرائيل وهو أمر يعني دفع الدول العربية للخضوع للنفوذ السوفييتي».

ومن الصعب التصور أن الشعوب العربية ستصدق هذه التأكيدات غير الرسمية، حتى لو سمعت بها في يوم من الأيام وذلك بعد أن عرفت هذه الشعوب من صوت أمريكا عن اقتراب موعد «تحرير اليهود من السبي المصري».

ومنذ تلك اللحظات استدار الهجوم الإعلامي الغربي إلى جهة مصر. وكانت الأهداف في البداية تريد زحلقة مصر وإجبارها على إطلاق الطلقة الأولى كما حدث في «بيرل هاربر» مع اليابان في عام /١٩٤١م/. ولكن مصر لم تطلق الطلقة الأولى، عند ذلك تأكد العالم كله بأنه لم تعد هناك حاجة لإطلاق الطلقة الأولى لكي يصبح المرء معتدياً في عيون العالم. لقد تطورت وسائل الإعلام بشكل ضخم وأصبح بإمكانها تصوير أي دولة بأنها معتدية حتى ولو كانت هذه الدولة تتعرض للعدوان والقصف في حقيقة الأمر. ولم يعد للإدانات التي تعرضت لها إسرائيل، أي قيمة ولم تعد تلعب أي دور يذكر.

وفترة الأزمة بدأت في /٧/ آذار «مارس» /١٩٥٦م/ «مع ظهور تقرير إذاعة صوت آمريكا عن تحرير اليهود من السبي المصري» وخلالها اصطدام «انتوني ايدن» مع المشكلة اليهودية مرة أخرى.

وأخذ خصومه من حزب العمال بالزعيق عن الخطر المخيف المحيط بإسرائيل ووجوب منح إسرائيل ضمانات لأمنها.

وانهارت على رأس رئيس الوزراء التهديدات والإهانات التي لم يعرف مجلس العموم لها مثيلاً منذ حكومة «تشمبرلين» ولا شك بأن «انتوني ايدن» آمل بالحصول على الدعم من أمريكا إلا أن الرئيس «ايزنهاور» قال في نفس اليوم، «بأنه لا فائدة من المحاولة مرة آخرى للحفاظ على السلام في الشرق الأوسط وذلك عن طريق القيام بتسليح مليون وسبعة مئة ألف يهودي ضد أربعين مليون عربي» «على الرغم من أن السلاح الأمريكي كان في طريقه إلى إسرائيل».

ولكن هذا الكلام لم ينفع «ايدن» وتكالب الجميع في إنكلترا ضده وحتى صحيفة الديلي تلغراف وهي لسان حال حزبه، طالبت بحماس بتسليح إسرائيل على الرغم من أنها «آي الصحيفة» قامت بالإعلان عن استيائها من المعاملة التي تلقاها رئيس الحكومة في البرلمان.

وأما المعارضة الراغبة في سحق رئيس الوزراء بضربه بالقضية اليهودية فقد سارت في ذلك حتى النهاية.

وقالت المجلة اليسارية «نيوستيسمن» في أحد أعدادها بأن بريطانيا لم تعد قادرة على دخول حرب عالمية جديدة مهما كانت الأسباب وأن «الدفاع الفعال» هو أكبر حالياً من

إمكاناتنا وأن البديل الوحيد هو نزع السلاح الكامل» «١٠ آذار «مارس» ١٩٥٦» ولكنها من جهة أخرى طالبت بتسليح إسرائيل والتعهد بالقتال من أجلها «الحرب ستصبح أقل احتمالاً إذا حصلت إسرائيل على أحدث الأسلحة وحزب العمال على حق تماماً في مطالبته بذلك»...

«الأمر ليس في عدم الرغبة في ضمان حدود إسرائيل التي لم يتم تحديدها رسمياً بعد. بل في المشكلة العسكريه وهي كيفية جمع وإرسال القوة العسكرية اللازمة لحمايتها...

وهل نملك نحن ما يكفي من القوات البرية في شرق البحر المتوسط؟

أليس السيد «غيتسكيل» متأكداً من آن الرأي العام البريطاني سيؤيد الحرب لحماية إسرائيل حتى من دون قرار من الأمم المتحدة؟» «١٧آذار «مارس».

لقد بدا في أول الأمر أن بريطانيا وأمريكا تريدان كبح موجة الهستريا الجماعية التي أصابت الكثيرين ولكن على الرغم من ذلك أرسل «ايدن» تحذيره الشهير إلى مصر الذي آدى «كما أكدت الأحداث المستقبلية» إلى نتائج خطيرة.

في البداية تظاهرت أمريكا وإنكلترا رسمياً بمحاولة جذب وإرضاء مصر لتهدئة الأوضاع في الشرق الأوسط. ولهذا الهدف قررت بريطانيا «وتحت الضغط الأمريكي» سحب قواتها من منطقة القناة. ولا يجوز ظهور أي شك حول وجود هذا الضغط، لأن الصحف الأمريكية أشارت صراحة إلى نجاح الأمريكان في هذا المجال. فعلى سبيل المثال كتبت جريدة نيويورك تايمز في ١٩٥٦/١٠/٢١: «لا يشك وزير الخارجية «دالاس» في تمكنه من الحصول على صداقة العرب مع الحفاظ في الوقت نفسه على صداقة إسرائيل، وذلك إذا تمكن من الضغط على بريطانيا لتسحب قواتها من مصر».

ولا يمكن لأحد اليوم الحصول على جواب لسؤال وهو لماذا قام «ايدن» بشكل مفاجئ ومن دون أن يحصل على أي شيء مقابل ذلك، بالخضوع «للضغط» وترك من يديه ما اعتبر فيما بعد «خط الحياة» «قناة السويس» للإمبراطورية البريطانية.

ومن المعروف أن أي ضغط من واشنطن فيما يخص الشرق الأوسط خلال الأربعين سنة الأخيرة كان دائماً ضغطاً صهيونياً.

وفي الوقت نفسه حصل الصحفي المصري «إبراهيم عزت» على لقاء حار لدى رئيس الوزراء الإسرائيلي ووزير خارجيته ووزير العمل هناك وأكد الجميع له بأن لدى «مصر وإسرائيل هدفاً واحداً وهو الوقوف ضد النفوذ البريطاني في الشرق الأوسط».

«مجلة «روز اليوسف» أيار «مايو» /١٩٥٦م/ جريدة نيويورك تايمز ١٩٥٦/٥/٢٠م» ومهما يكن فإن نتيجة هذا الخضوع لذلك الضغط كان حرياً جاءت بالهزيمة والعار لبريطانيا.

ولا شك بأن خروج الإنكليز من مصر كان جزءاً من صفقة انكلو- أمريكية هدفت إلى «الحصول على صداقة العرب». ولا شك بأن الجزء الأمريكي من هذه الصفقة كان تقديم الولايات المتحدة وبريطانيا والبنك الدولي قرضاً لمصر بقيمة /٩٠٠/ مليون دولار لبناء سد أسوان على نهر النيل. «قُدم هذا العرض لمصر في كانون الأول «ديسمبر» /١٩٥٥م/».

ولتحليل أحداث تلك الفترة من الضروري المتابعة الدقيقة لتواريخها من جديد.

القوات البريطانية غادرت منطقة القناة «حسب ما اتفق عليه» في حزيران «يونيو» /١٩٥٦م/. وفي /٦/ تموز «يوليو» أطلع ممثل الخارجية الأمريكية، الصحافة بأن عرض الدعم المالي لبناء سد أسوان لا يزال قائماً. وبعد عدة أيام من ذلك أكد السفير المصري في واشنطن أن بلاده «قررت نهائياً طلب المعونة، من الغرب لبناء السد». وفي /١٩/ تموز «يوليو» حضر السفير نفسه إلى السيد «دالاس» للحصول رسمياً على المعونة الموعودة. ولكنه سمع هناك بأن الحكومة الأمريكية «غيرت رأيها» وقبل يوم من ذلك قال ممثل الخارجية الإنكليزية بأن بلاده لا تزال ملتزمة بتقديم المعونة ولكن في نفس اليوم المذكور «١٩ تموز «يوليو» أعلن ممثل الوزارة في لندن للصحافيين بأن بلاده أيضاً سحبت موافقتها على تقديم المعونة ورفض شرح السبب في ذلك ولكنه أكد أن ذلك تم بعد مشاورات طويلة مع واشنطن.

ومن الواضح أن الضغط الذي هدف إلى إهانة مصر جاء من نفس مصدر الضغط الذي أجبر بريطانيا على الانسحاب من القناة وإذا كان التنازل الأول للحكومة البريطانية يمكن تبريره بمحاولة الوقوف مع أمريكا و «ايزنهاور» في محاولته «إيقاف تدهور العلاقات بين الشعوب العربية والولايات المتحدة» و «إعادة ثقة العرب» نحو أمريكا، فإن التحول المفاجئ في موضوع تمويل مشروع حيوي حساس بالنسبة لمصر كان يجب أن يثير حذر لندن التي كان يمكن أن تربح الكثير من ذلك لولا أنها لم تخضع للضغط في هذا الموضوع.

ولا يمكن أبداً العثور في التاريخ على مثال آخر لمثل هذا الاستفزاز الوقح نحو دولة زعم الغرب برغبته تقوية الصداقة معها. ومثل هذا السلوك لواشنطن ولندن أصبح ممكناً فقط بعد أن أصبحتا خادمتين مطيعتين للصهيونية.

ولا شك أن الرفض الأمريكي لعرض قدمته الولايات المتحدة في موضوع حيوي بالنسبة لمصر والطريقة التي جرى فيها هذا الرفض، كانت السبب الحقيقي وراء بدء الأزمة في عام /١٩٥٦م/.

ولكن المصدر الحقيقي لذلك «الضغط» السيئ الصيت لم يكن أمريكياً، وصحيفة نيويورك تايمز ولدى تعليقها على التنصل الأمريكي من الوعد المقدم إلى مصر، لاحظت بأن «بعض رجال الكونغرس كانوا يخشون من عدم ارتياح الأوساط الصهيونية من ذلك».

ويبقى علينا فقط أن نقول بأن الاستفزاز جرى في أكثر اللحظات مناسبة لذلك وهي سنة الانتخابات الرئاسية الأمريكية عندما يلهث الحزبان المتنافسان على طلب رضا وود اليهود. ولم يكن من الصعب توقع رد الفعل المصري الغاضب. ففي نفس الأسبوع أعلن الرئيس المصري ناصر عن تأميم قناة السويس، التي كانت حتى تلك اللحظة ملكاً لشركة عالمية خاصة. والتي اشترت إنكلترا معظم أسهمها في عهد «ديزرائيلي». وامتلأت الأجواء الدولية بالحديث عن الحرب من جديد كما كان الأمر في عام /١٩٥٢-١٩٥٣م/ خلال أزمة الأطباء اليهود في موسكو.

وعلى الفور ظهر على صفحات الدعاية العالمية، شرير جديد هو الرئيس «عبد الناصر» وكان ذلك إشارة واضحة إلى اقتراب الحرب.

والمؤلف خلال حياته شاهد وسمع بالكثير عن هؤلاء الأشرار وكل مرة كان يشاهد آن هذه الدعاية تنفتح وتغلق مثل صنبور الماء لتملأ رؤوس الناس بالسموم.

العـــصير الملعـــون محفـــوظ في هـــذه القـــارورة

وفي أذنـــــي صـــــبوا الـــــسم الميـــــت....

هاملت

ولكن حتى قبل أن تصل الحملة الدعائية إلى مرحلة «الشرير» وقبل استفزاز /١٩/ تموز «يوليو» وحتى قبل أن تتخذ مصر أي إجراءات يمكن اعتبارها مساوية لإعلان الحرب، قبل ذلك كله قام «بن غوريون» بإلصاق تهمه المعتدي بالرئيس ناصر وقال في شهر آذار «مارس» /١٩٥٦م/ في تل آبيب بأن إسرائيل يجب أن تحصل على السلاح بأقصى سرعة، لآن ذلك وحده يمكن أن يمنع «الاعتداء من قبل الدول العربية في فترة الأشهر القريبة القادمة». وأضاف آن المعتدي سيكون «الديكتاتور المصري ناصر».

في /١٣/ نيسان «ابريل» عاد «تشرشل» مرة آخرى إلى الظهور على الساحة السياسية بعد سنة من تقاعده وقال في آحد الاجتماعات الأرستقراطية بأن الحكمة والشرف تفرض على إنكلترا حماية إسرائيل «إذا هاجمتهما مصر». وبهذا يكون السير «وينستون» قد آيد بوضوح وبشكل مسبق الهجوم الإسرائيلي على مصر الذي طالب به في ذلك الوقت «النشطاء الإسرائيليون»: «إذا أقنعوا إسرائيل بعدم استخدام كل قواها لصد مصر الآن، في الوقت الذي لم يتمكن «يلحق» فيه المصريون من إتقان استخدام السلاح الذي قدمه لهم الروس «١». فإن

مصر بعد ذلك ستقوم نفسها بالهجوم، عند ذلك سيكون ليس فقط من الحكمة وبل وشرفنا يحتم علينا أن نفعل كل شيء حتى لا تعاقب إسرائيل على صبرها».

وبالفعل تلا هذه الدعوة الصريحة للعدوان، هجوم إسرائيلي على قطاع غزة وقتل خلاله /١٥٠/ شخص بينهم نساء وأطفال. وعلى الرغم من ذلك تتابعت الحملات الإعلامية على «الشرير» في الغرب.

ونود أن نشير إلى بعض الأحداث الرمزية في تلك الأيام والتي توضح مدى الخنوع الإنكليزي لصهيون.

في حزيران «يونيو» عام /١٩٥٦م/ في لندن احتفلت «الجماعة اليهودية الإنكليزية» في قصر «هيلد هول» التاريخي الفخم «بمرور ثلاث مئة عام على استيطان اليهود في الجزر البريطانية»

وعرض على زوج الملكة الذي حضر الاجتماع ارتداء الطاقية اليهودية على رأسه.

في أيلول «سبتمبر» من نفس العام قامت جمعية «كرومويل» بطقوس صلواتية بالقرب من تمثال «كرومويل» «السفاح» وذلك احتفالاً بأسطورة «عودة اليهود إلى إنكلترا» في عهد «كرومويل» وهناك طلب رئيس الجمعية من الأمير «تشارلز»، إذا سمح له الحظ وأصبح ملكاً، أن يأخذ اسم «أوليفر الثاني» «لأننا لا نريد «كارل الثالث» مرة أخرى».

بعد الاستيلاء على قناة السويس من قبل الرئيس ناصر ازدادت تهديدات الحرب من قبل الغرب إلى درجة مخيفة. على الرغم من أن التأميم بحد ذاته لم يكن ليثير تعجب أحد، فأمريكا سكتت على استيلاء المكسيك على حقول النفط، على الرغم من ملكية الشركات الأجنبية لها. وقد وافقت الحكومة المكسيكية على تقديم التعويضات عن ذلك «نفس الأمر قامت به مصر» وحتى في أمريكا نفسها جرى تأميم /١٠٠/ ألف كم٢ في وادي تينسي في سبع ولايات.

وفي إنكلترا أممت الحكومة العمالية، مناجم الفحم وسكك الحديد. ولذلك من الصعب العثور على أي أساس قانوني أو أخلاقي يبرر الحملة العنيفة على مصر. على الرغم من أن عمل «عبد الناصر» لا يبدو نتيجة لسياسة عقلانية مدروسة بقدر ما هو رد فعل على استفزاز مقصود.

وكان على إنكلترا إذا اعتبرت أن هذا العمل لا يمكن هضمه أبداً، أن تقوم باحتلال منطقة القناة ولكن ذلك لم يحدث وبدلاً منه بدأت الحملة الدعائية تتسع وتقوى.

في البداية كان ناصر فيها ديكتاتوراً ثم تحول فيها إلى ديكتاتور فاشي ومن ثم إلى «هتلر جديد».

وقال رئيس حزب العمال «هيو غيتسكل» في مجلس العموم في ١٩/ آب «أغسطس» /١٩٥٦م/: «هذا الأمر معروف منذ زمن بعيد... إنها نفس الأمور التي لاقيناها مع «موسيليني» و «هتلر» قبيل الحرب».

وقال خطيب آخر من حزب العمال في نفس الاجتماع: «تكنيك ناصر معروف وهو نفس ما كان لدى «هتلر». وهل تتصورون عواقب عدم الرد على القوة بالقوة ما دام الأوان لم يفت بعد». والاشتراكيون تعمدوا الغمز على ما حدث أيام «هتلر» لدفع رئيس الوزراء «انتوني ايدن» على استخدام القوة على الرغم من أن الوضع في عام /١٩٣٨/ كان يختلف تماماً عما هو في عام /١٩٥٦م/ ولا يمكن أبداً المقارنة بينهما، ولم يقم أحد بتسكين وتهدئة مصر «كما فعلوا مع «هتلر» عام /١٩٣٨م/» بل على العكس أصبحت هي ضحية للاستفزاز وعرضة للدمار.

ولم تكن مصر معتدية أبداً بل هي من تعرض على مدى عدة سنوات للعدوان وإسرائيل هي التي قالت بأنها ستحارب مصر.

لذلك فإن أي مقارنة مع «هتلر» كان هراء وكلاماً فارغاً. ولكن على الرغم من ذلك انحدر «انتوني ايدن» إلى مستوى هذه الخرافات «على ما يبدو تحت ضغط ذكريات عام /١٩٣٨م/ لا تزال طازجة في ذهنه» وقال بأن «عبد الناصر هو حرامي فاشي تنفتح شهيته مع الأكل».

وعلى الرغم من المحاولات لم يستطع المؤلف العثور على هذه العبارات بالضبط في خطاب رئيس الحكومة البريطاني على الرغم من أن صحيفة نيويورك تايمز نقلتها إلى «الرعاع».

أما فيما تبقى فقد ارتكز هجوم «انتوني» على «عبد الناصر» على آساس أن قناة السويس «هو أمر حيوي جداً للدول الأخرى في جميع أنحاء العالم... هو مسألة حياة أو موت بالنسبة لنا... القناة يجب استثمارها بكفاءة ويجب آن تبقى ممراً أميناً وحراً لسفن جميع الدول».

ولكن ناصر في حقيقة الأمر لم يغلق القناة بل فقط آممها. أي استبدل حق الملكية لمصلحته بهدف إدارتها والحصول على الموارد المالية منها. وقد عرض بقاءها مفتوحة لسفن جميع الأمم باستثناء واحدة منها وهذا كان بيت القصيد وسبب الضجة الإعلامية الصاخبة.

إسرائيل كانت الدولة الوحيدة التي حرمت من إمكان العبور الحر لقناة السويس- مصر كانت لا تزال في حالة حرب معها رسمياً وفقط وقعت على معاهدة هدنة معها في عام /١٩٤٨م/- لذلك قامت مصر بتوقيف السفن المتجهة إلى إسرائيل وقامت بتفتيشها بحثاً عن السلاح.

وكان ذلك هو التحديد الوحيد في استثمار قناة السويس لذلك فقد كان السير «انتوني» يدافع فقط عن ذلك وليس عن المصالح الإنكليزية. ومع ذلك كانت كلمات السيد «انتوني» هي التالية: «أيها الأصدقاء الأعزاء نحن لا نود أن نحل هذه المشكلة بالقوة».

وبدأت الصحافة العالمية تشير إلى أن مصر لا تقدر على استثمار قناة السويس وأن الحركة فيها قريباً ستتوقف. ولكن في الواقع جرى استثمار القناة بشكل طبيعي وكانت العقبة الوحيدة هي التي ذكرناها فيما سبق.

ومع ذلك تزايد سخط واستياء حكومة «انتوني ايدن» وكان ذلك فقط من أجل مصلحة إسرائيل.

وقد أكد الجانب اليهودي على ذلك ففي ٥٦/٨/٢٢ قالت مدام «روزا غالبيرين»، القائمة بأعمال رئيس الوكالة اليهودية، لصحيفة نيويورك تايمز: «إن الاعتراض القانوني عام /١٨٨٨م/ «حول حقوق استخدام قناة السويس». وهو منع مرور السفن الإسرائيلية والتضييق على السفن المتوجهة إلى إسرائيل».

ومن الناحية الحقوقية كلام هذه السيدة المحترمة، صحيح تماماً، لو أن الحديث دار حول الناحية القانونية فقط لكانت إسرائيل هي الدولة الوحيدة التي لها الحق في الاعتراض، ولكن هذا الحديث القانوني كان حتماً سيوصلنا إلى الحديث عن قانونية إنشاء دولة إسرائيل وظهورها إلى الوجود.

«على أرض غريبة تخص الغير عن طريق طرد السكان الأصليين وذبح بعضهم الآخر ومع استمرار الاعتداء المتكررة على الجيران العرب» وكذلك حول استمرار حالة الحرب بين مصر وإسرائيل.

ونقلت وكالة «اسوشيتدبرس» عن «انتوني ايدن» ما يلي: «رئيس الوزراء «ايدن»، اعتبر أنه إذا تم التغاضي عن «عبد الناصر» على استيلائه على القناة اليوم، فإن الخطوة التالية له ستكون الهجوم على إسرائيل. وقال السير «انتوني» بأن بريطانيا في حالة الضرورة، ستقدم العون العسكري لإسرائيل» «٩/١٣». ومنذ تلك اللحظات، أخذت الصحافة تضخ في عقول الرعاع، التقارير عن الهجوم المصري المحتمل على إسرائيل «وتخلت الصحافة عن موضوع الإخلال «بمبدأ الملاحة البحرية» لعدم جديته» ومع الوقت وصلت هذه الديماغوجية إلى حد اعتقد معه الكثير من القراء أن مصر أعتدت على إسرائيل فعلاً. ونعرض عليكم واحداً من الأمثلة الكثيرة فكما كتبت «Welkly Review» في أيلول «سبتمبر» /١٩٥٦م/ وقبل عدة آسابيع من اعتداء إسرائيل على مصر: «من الممكن التأكيد المطلق بأن العرب المحرضين من

قبل روسيا سيهاجمون إسرائيل. هذا الأمر، لا شك فيه اليوم ويجب أن يدخل في أساس حساباتنا».

ومؤلف الكتاب أراد من عمله هذا أن يُلمح ويشير إلى قراء المستقبل- وهو يتأمل أن ذلك الوقت سيكون أكثر عقلانية- بعض التطورات عن الحالة الفريدة التي كانت فيها الكلمة المطبوعة في الخمسينيات من القرن العشرين. وهم لن يقدروا أن يفهموا ما كان يحدث إلا إذا استوعبوا نظام تزوير المعلومات الذي كان سائداً في ذلك الوقت.

الأقوال التي أوردناها أعلاه طُبعت بعد سنوات عديدة من العدوان الإسرائيلي المستمر على الجيران العرب وما رافقه من الإدانات الدولية من قبل الأمم المتحدة.

وهكذا جرى خلال التسعة أشهر من سنة الانتخابات الرئاسية الأمريكية، تحضير الجو للأحداث الحاسمة في تشرين الأول «أكتوبر» /١٩٥٦م/. وجاء السلاح سيلاً دائماً من الغرب إلى إسرائيل وأعلن «ايدن» أن بريطانيا بعد تأميم القناة أوقفت بيع السلاح لمصر.

وفي نفس شهر تموز «يوليو» حصلت إسرائيل على طرادين حربيين وخلال الربيع والصيف أرسلت فرنسا- تحت ضغط أمريكا طائرات مقاتلة نفاثة وغيره من السلاح لإسرائيل. وفي أيلول «سبتمبر» قامت كندا وتحت الضغط الأمريكي بالتعهد بإعطاء إسرائيل طائرات نفاثة.

وخلال هذا الوقت سارت الحملة الانتخابية الأمريكية، بأقصى طاقة لها. وقام الديموقراطيون بتخطي كل الحدود المعهودة من أجل الحصول على أصوات اليهود والوصول إلى البيت الأبيض.

وطالب عمدة نيويورك، على سبيل المثال، بإعطاء إسرائيل السلاح مجاناً على شكل هدايا وهبات.

وكان المرشحون الجمهوريون أكثر اتزاناً. ولكن عندما بدأت المؤتمرات الحزبية، لاختيار المرشحين، تساوى الجميع فيما يخص الالتزامات أمام إسرائيل واليهود.

وفي مجال السياسة الخارجية كان في برنامج الحزبين. الشيء الوحيد الملحوظ هو الفقرات التي تتعلق بالتعهدات لإسرائيل، أما بقية الفقرات فقد كانت عبارة عن كلمات عامة فارغة المعنى لا تستحق أي اهتمام، على عكس الالتزامات لإسرائيل التي كانت دائماً واضحة ومحدودة تماماً.

في برنامج الحزب الجمهوري «ايزنهاور» جاء ما يلي: «نحن نعتبر بأن الحفاظ على وجود إسرائيل هو أحد العقائد المهمة في السياسة الخارجية الأمريكية. إننا على استعداد تام لدعم وحدة وسلامة الدولة العبرانية المستقلة. وسندعم استقلالية إسرائيل ضد أي اعتداء مسلح».

أما برنامج الحزب الديموقراطي فقد جاء فيه: «سيقوم الحزب الديموقراطي بالعمل الفعال، بهدف تصحيح الخلل وعدم التوازن في التسلح الناتج عن إرساليات السلاح الشيوعي لمصر وذلك عن طريق تزويد إسرائيل بالسلاح الدفاعي واتخاذ كل الخطوات الضرورية ومن بينها ضمان أمن إسرائيل لمنع وقوع العدوان واشتعال الحرب في الشرق الأوسط».

وحكاية اختلال التوازن الخطر في التسليح، تعكس بالطبع الأسطورة المبتدعة عن إسرائيل «الضعيفة المسكينة» التي تقف «بشجاعة» ضد العرب المسلحين حتى أسنانهم.

وعكس البرنامجان السياسيان للحزبين، صورة نصف العالم وهو أسير للصهيونية ولم يملك أي من البرنامجين أي علاقة مع المصالح الوطنية الأمريكية. وعكسا فقط السيطرة الصهيونية ومراقبتها لآلية الانتخابات الأمريكية.

واُختير «ريتشارد نيكسون» لمنصب نائب الرئيس «للحزب الجمهوري» وبما أن وضع «ايزنهاور» الصحي كان سيئاً، كان من الممكن أن يتولى هذا الرجل الرئاسة في حال موت «ايزنهاور» في فترة /١٩٥٦-١٩٦٠م/. ولذلك حاولت بعض الجهات المتنفذة إعاقة اختيار «نيكسون» كمرشح لمنصب نائب الرئيس ولكنها فشلت وهذا الأمر يجعلنا نتأمل بأنه سيظهر في يوم ما، في الأفق أناس أقوياء في الغرب، يمكنهم منع هيمنة الغير على الحياة السياسية الأمريكية والإنكليزية وبسبب ذلك يصبح «نيكسون» بالنسبة لنا شخصية رمزية. ولكن حتى لو أصبح هذا الرجل رئيساً في يوم ما فمن الصعب التصور أنه سيقدر على تحطيم القيود التي تقيده.

«ملاحظة الترجمة- مرة أخرى أصاب «دوغلاس ريد» في توقعاته، وحصل ما ذكره في كتابه بعد عدة سنوات من ذلك. «نيكسون» أصبح رئيساً بعد انتصار ساحق في انتخابات /١٩٦٨م/ وفي عام /١٩٧٢/ ولكن في عام /١٩٧٣/ وقع ضحية لحملة افتراء- لا مثيل لها- في الصحافة عُرفت فيما بعد بفضيحة «ووترغيت» واضطر على أثرها إلى الاستقالة في آب «أغسطس» /١٩٧٤م/ وهو أمر لم يكن له مثيلاً في تاريخ الولايات المتحدة، وكما توقع «دوغلاس ريد» لم يتمكن «نيكسون» من التخلص من القيود الصهيونية».

ويكمن السبب الرئيسي لهذه الكراهية، في أن «نيكسون» لم يكن أممياً ولعب دوراً أساسياً في فضح شبكة التجسس الشيوعية، وكان دوره مشهوراً في محاكمات «الدجير هيس» الجاسوس السوفييتي المعروف في عهد «روزفلت»

ومنذ تلك اللحظات «ضمن» «نيكسون» لنفسه «صحافة سيئة» تشوه سمعته بشكل دائم وليس فقط في أمريكا بل وفي كل الغرب. وقد تخوف البعض من انتفاض «نيكسون»

ضد العبودية في حال وصوله إلى قمة السلطة، وبالطبع لم يمر الأمر من دون أن تلصق به التهمة المعهودة «بمعاداة السامية»[1].

وباختصار جرى استخدام كل الوسائل المعروفة في الافتراء والابتزاز لمنع ترشيح «نيكسون» وعندما فشل كل ذلك. ابتدع الحزب الديموقراطي موضة جديدة في السياسة الانتخابية وهي اختيار نائب الرئيس كمرشح على غرار اختيار مرشح الرئاسة. على الرغم من أن الأعراف والتقاليد السياسية في أمريكا كانت تقضي أن يختار مرشح الرئاسة نائبه بنفسه.

وبالطبع قام الحزب الجمهوري على الفور بتقليد الحزب الديموقراطي وجرت عملية اختيار المرشح ونائبه ونجح «ايزنهاور» و «نيكسون» بالإجماع. وبعد اختيار المرشح للرئاسة ونائبه، ارتاحت أمريكا قليلاً. واعتبر الجميع أن النصر النهائي أصبح في جيب «ايزنهاور» وآخذت الصحافة تشير إليه على آنه هو «الذي أنقذنا من الحرب».

وكان مؤلف هذا الكتاب شاهداً على انتخابات عام /١٩٥٦م/ كما وانتخابات /١٩٥٢م/ وقد فهم تماماً بأن الحرب عملياً- شاملة أو محدودة- تقف على الأبواب وأعتقد المؤلف بأن فترة التقاط الأنفاس يمكن الحصول عليها إذا مر يوم الانتخابات «٦ تشرين الثاني «نوفمبر» من دون انفجار في الشرق الأوسط.

لأنه ومن التجربة آصبح معهوداً بأن الضغط الصهيوني يخف لفترة ما بعد انتهاء الانتخابات.

ويتذكر المؤلف كيف قال لأحد الأصدقاء الأمريكيين، بآن الحرب إذا لم تحدث خلال سبعة عشر يوماً، فإنها لن تحدث خلال السنوات الثلاث القادمة.

ولكن الحرب اشتعلت في الشرق الأوسط في /٢٩/ تشرين الأول «أكتوبر» وقبل أسبوع فقط من الانتخابات الأمريكية والوقت بلا شك تم اختياره مسبقاً وبذكاء فائق لأنه كان الوقت المناسب تماماً لذلك. واضطربت لندن وواشنطن.

وجرى الهجوم الإسرائيلي على طول خط الجبهة وتوغلت إسرائيل /١٢٠/ كم في عمق سيناء المصرية. وفي لحظة الاعتداء ارتكبت إسرائيل جريمة مروعة من طراز «دير ياسين» وحدث ذلك في قرية كفر قاسم داخل الأراضي الإسرائيلية بالقرب من الحدود الآردنية. وذبح

١- لم يشفع لـ (نيكسون) الجسر الجوي الضخم الذي أمد به إسرائيل بالسلاح، والجولات المكوكية الكثيرة التي قام بها مستشاره اليهودي لشؤون الأمن القومي، هنري كيسنجر، إلى الشرق الأوسط بهدف إنقاذ إسرائيل بعد (الزلزال) الذي هددها في حرب عام ١٩٧٣م -المترجم.

اليهود خلالها /٤٨/ رجلاً وامرآة وطفلاً. وكان ذلك تحذيراً رمزياً للعرب بالمصير الذي ينتظرهم. واعترفت إسرائيل رسمياً بالجريمة. وقدم العرب شكوى جديدة إلى الأمم المتحدة «ولكن لم يعرها أحد أي اهتمام، على الأقل حتى لحظة كتابة هذه الكلمات في ١٩٥٦/١٢/٢٠م» وبعد مرور شهر ونصف على المذبحة «١٢ كانون الأول «ديسمبر» قال «بن غوريون» بأن العرب يتذكرون جيداً كيف قدم القتلة بعد «دير ياسين» إلى المحاكمة وكيف تم الإفراج عنهم فوراً واستقبلوا في خارج المحكمة كالأبطال.

واحتلت إسرائيل قطاع غزة وأصبح تحت سيطرتها /٢١٥٠٠٠/ فلسطيني، لم يهتم أحد بمصيرهم، وأعلنت إسرائيل بأنها لن تغادر القطاع أبداً.

وآثار الاعتداء الإسرائيلي على مصر موجة عارمة من الغضب والسخط في جميع أنحاء العالم. وفي نفس الفترة حصلت الانتفاضة الهنغارية ووقف الشعب الهنغاري على أبواب النصر.

وحكمت القوتان المخربتان، اللتان خرجتا من روسيا في عام /١٩١٧م/، على نفسيهما بالاتهام بسبب الأعمال الوحشية المقترفة على أيديهما.

ولم يكن هناك حاجة لتدميرهما، لأنهما بذلك حكمتا على نفسيهما بالدمار وقامت قوة الانتقام العظيمة بالوقوف ضدهما ولم يعد باستطاعة أي ضغط صهيوني مهما كانت عظمته أن يقلب مصرّ من ضحية إلى معتدٍ وأن يجبر الرأي العام في العالم على تصديق هذه الكذبة[1].

وكان ذلك هدية من القدر إلى الغرب ولاحت فرصة الخلاص وكان بالإمكان ترك الأمر للرأي العام العالمي الذي ظهر حقاً في تلك الفترة ولم يكن بإمكان أي صحافة أن تؤثر فيه أو آن تخفي الحقيقة عنه أو أن تحورها. ولكن حكام الغرب أفرطوا بهذه الفرصة الذهبية وأضاعوها خلال /٢٤/ ساعة، عندما أعلنت الحكومة الإنكليزية ومعها الفرنسية الإنذار الشهير وهددتا بأنهما ستحتلان منطقة القناة إذا لم تنسحب القوات المصرية والإسرائيلية لمسافة عشرة كيلومترات عن طريق القناة.

وكان ذلك غير منطقي وغير مقبول لمصر، لأنه سيسمح لإسرائيل بالبقاء في عمق الأراضي المصرية في سيناء. بعد ذلك قام الطيران الحربي الإنكليزي والفرنسي بقصف المطارات المصرية ومواقع حربية أخرى وجرى تدمير الطيران المصري مما ساعد المعتدين على الحصول على نصر سهل.

١- نصس الأمر حصل بعد العدوان الإسرائيلي على لبنان /١٩٨٢/ ومذبحة صبرا وشاتيلا، والتاريخ اثبت قدرة الصهاينة على امتصاص الغضب العالمي وتنفيسه بهدوء -المترجم

وأصيب المؤلف بالخجل عندما علم بالاعتداء الإنكليزي الفرنسي، لأن المسؤولية الأساسية فيما حصل كانت تقع على إنكلترا ولا شك بأن العواقب الوخيمة لعملها ستمتد بعيداً في المستقبل ويصعب الآن حتى تصورها.

ومن المؤسف أن الغرب أضاع الفرصة التي أعطته إياها أحداث هنغاريا والعدوان الإسرائيلي على مصر.

ومن الأطراف الثلاثة المشتركة بالعدوان، فقط إسرائيل كانت هي الرابحة في جميع الأحوال.

لقد انقلب السخط الذي كان موجهاً إلى إسرائيل إلى سخط على فرنسا وانكلترا، عندما لبستا ثياب الحرب وذهبتا لتحقيق النصر لإسرائيل.

وحتى بالنسبة لفرنسا يمكن القول بأنها لم تفقد شيئاً، لأنه لم يعد لديها ما تفقده.

فقد سببت ثورة /١٧٨٩م/ لفرنسا عصراً كاملاً من الهزائم المشينة والفشل السياسي ولم يعد لديها بسبب ذلك القدرة على الخروج من حالة اليأس الروحاني التي وقعت فيها. وجربت فرنسا خلال /١٦٠/ عاماً، جميع أنواع وأشكال الحكم المعروفة وكان رؤساء حكوماتها يتغيرون بسرعة لم يعد المواطن الفرنسي يستطيع معها على تذكر أسمائهم. وأصبحت كلمة «السياسة الفرنسية» تعني الانتهازية، وهذه الدولة التي لم تتمكن حتى من الدفاع عن نفسها ضد الاجتياح الألماني في عام /١٩٤٠م/. هاجمت مصر عام /١٩٥٦م/ لمساعدة إسرائيل.

أما بالنسبة لإنكلترا فقد كان الأمر مختلفاً تماماً. وهي لم تحمل فقط اسماً عزيزاً مجيداً، بل وكانت مثالاً للتقاليد الوقورة الجديرة بالاحترام. وبالطبع لم تكن لتربح أي شيء من مرافقة هذه «الشلة المشبوهة» «إسرائيل وفرنسا» بل كان من الممكن أن تضيّع ليس فقط اسمها بل وحتى نفسها.

وإذا كانت قناة السويس ذات أهمية حيوية بالنسبة لإنكلترا، فلماذا سحبت قواتها من منطقة القناة؟ وإذا كانت مصر ذات أهمية حيوية لبريطانيا بعد الانسحاب من منطقة القناة فلماذا قامت إنكلترا بالانسحاب المفاجئ المتعمد من مشروع تمويل سد أسوان في تموز «يوليو» /١٩٥٦م/.

وما دامت السفن الإنكليزية امتلكت حق المرور الحر الطبيعي عبر قناة السويس فما معنى هذا الزعيق بأن القناة قد أغلقت وأن حرية الملاحة الدولية في خطر؟

وإذا كان الأمر قد تعلق بأي مصالح بريطانية حيوية أخرى فلماذا انتظرت بريطانيا كل هذا الوقت، حتى بدأت إسرائيل هجومها فقامت بالانضمام إليها.

ومهما تغيرت في هذه الأسئلة وتبدلت أماكنها، فسيبقى الجواب دائماً نفسه. وهو أن الأمر لم يتم من أجل إنكلترا أو فرنسا. ودليل الاتهام المباشر هو التوقيت الذي اختاروه لهذه العملية ولو لم تكن إسرائيل موجودة لم يكن لأي هجوم أن يبدأ.

إن الإهانة والعار الذي لحق بإنكلترا وفرنسا، تم شراؤه بثمن نجاح إسرائيل. وكان ذلك أمراً منطقياً دخل في السلسلة التي بدأت مع المغامرة التي تورط فيها «بلفور» قبل خمسين عاماً، وإنكلترا بأعمالها هذه ضمنت الاستمرار لها وأهدرت فرصة نادرة سنحت لها بالخروج من هذا المأزق.

وإذا كان يوجد وراء هذا العمل البريطاني- وهو الأغنى في تاريخ بريطانيا العسكري- أي مصالح إنكليزية، فهي مجهولة لنا وقد يسمح المستقبل فيما بعد بمعرفتها في حال كتب عن ذلك أحد «أبطالها» في مذكراته. أما الآن فنحن نعرف فقط بأن الهجوم على مصر كان يُعد له منذ فترة طويلة، وعلى الأقل من قبل طرفين من أطراف العدوان وهما إسرائيل وفرنسا.

وقد ذكر مراسلو التايمز ورويتر وغيرهم، بأنهم شاهدوا في المطارات الحربية الإسرائيلية قبل وخلال الهجوم على مصر، وجود طائرات فرنسية وهي تحمل إشارات فرنسية، وكذلك ضباطاً فرنسيين يخدمون تلك الطائرات، ونفس الأمر كان ملاحظاً في الاستعراض العسكري الذي أقيم بمناسبة الانتصار في تل أبيب وحضره القائد العسكري الإسرائيلي موشي ديان. وقد ذكر هؤلاء المراسلون، أن الطيران الفرنسي كان مكلفاً بحماية أجواء تل أبيب خلال العمليات، من هجوم مصري محتمل. وقالت رويتر إن الطيارين الفرنسيين اعترفوا بمهاجمتهم للدبابات المصرية في صحراء سيناء خلال فترة العمليات الحربية

أي أن الادعاء الرسمي الفرنسي حول قيام فرنسا بمحاولة التفريق بين المصريين والإسرائيليين، هو ادعاء كاذب وقد خرقت فرنسا بنود الوثيقة الثلاثية لعام /١٩٥٠م/ والتي تعهدت فيها مع الولايات المتحدة وبريطانيا بضمان أمن إسرائيل وتزويدها بالسلاح والمحافظة على حدودها، ولكن في تلك الوثيقة تعهدت الدول الثلاث أيضاً بأن تقف ضد استخدام السلاح أو التهديد باستخدامه من قبل أي دولة في الشرق الأوسط. وإذا حاولت إحدى هذه الدول خرق الحدود أو خط الهدنة فستقوم الدول الثلاث المذكورة باتخاذ كافة الإجراءات اللازمة لمنع حدوث ذلك.

فيما يخص إنكلترا لم يشر رسمياً إلى وجود أي اتفاق سري مع إسرائيل ومن غير المستبعد بأن القرار الإنكليزي بالاشتراك في الهجوم، جرى اتخاذه بشكل سريع ومفاجئ. وإذا كان الأمر كذلك، فقد حدث خطأ فادح في الحسابات من الجانب الإنكليزي، لأن ذلك

الأمر أنقذ إسرائيل من الإدانة ورمى بها على إنكلترا وفرنسا وأصبحت إسرائيل هي الثالثة فقط في هذا الجدول. بعد ذلك انحصرت الإدانة على فرنسا وإنكلترا وفي آخر الأمر سقطت على رأس بريطانيا فقط.

ونورد هنا كمثال مثير، أقوال السيدة «ايليانورا روزفلت» زوجة الرئيس الأمريكي الراحل، حيث قالت في أحد الاجتماعات الانتخابية للحزب الديموقراطي: «أنا لا أعتبر إسرائيل معتدية، لأنها كانت تدافع عن نفسها... وحسب رأيي فإن إنكلترا وفرنسا يمكن من الناحية التكتيكية، اعتبارهما مذنبتين في العدوان» «نيويورك تايمز ٥٦/١١/٤» وأدان الرئيس «ايزنهاور» الهجوم وطالب بالانسحاب وظهر على الملأ كصانع للسلام، على الرغم من أنه من المؤكد أن يكون الأمريكيون على علم مسبق بالعدوان.

وبدأ الفشل يصيب المغامرة وتحول الموقف الإنكليزي من الإصرار على عدم الانسحاب مهما كانت الظروف، إلى الانسحاب ولكن بشروط، ومن ثم إلى الانسحاب غير المشروط من مصر. وازدادت شعبية الرئيس المصري «عبد الناصر» في العالم العربي.

وكان الرئيس «ايزنهاور» قد أرسل تحذيرين إلى «بن غوريون» إلا أنه لم يتلق جواباً، وآثار غضبه إخفاء الحكومة البريطانية لنواياها وعدم اطلاع الولايات المتحدة على ذلك «على الأقل رسمياً».: «نحن نعتبر هذا الهجوم كان عملاً خاطئاً، لأننا لا نعتبر القوة العسكرية أداة عقلانية لحل المشكلات والخلافات في العلاقات الدولية».

ومن الصعب الاعتراض على هذه الكلمات لو لم تكن أمريكا بنفسها متورطة ولم تكن هي التي ضغطت على فرنسا وكندا لتزويد إسرائيل بالسلاح المتطور.

ولا شك بأن إنكلترا راهنت على الضغط اليهودي الصهيوني على واشنطن ولكنها أخطأت هذه المرة، لأن انتخاب الرئيس «ايزنهاور» كان أمراً مفروغاً منه وهو ما أعطاه الإمكان النسبي في حرية الحركة والتصرف، بالإضافة إلى أن نقد بريطانيا حرر «ايزنهاور» من ضرورة نقد إسرائيل التي حصلت عملياً من هذه المغامرة على كل ما رغبت له. بالإضافة إلى أن انتقاد بريطانيا كان دائماً أمراً مرغوباً فيه منذ عام /١٧٧٣/ مع ابتداء حرب الاستقلال الأمريكية.

ولكن هل يمكن التصديق بأن الحكومة البريطانية نسيت ذلك الأمر؟ وبما أنه من الصعب أبداً، التصديق بأن حكومة دولة ضخمة كانت تسير على طريقة العميان، لذلك فإن التفسير الوحيد للاشتراك الإنكليزي في المغامرة الصهيونية هو وجود تحريض صهيوني متعمد ولكن حتى إذا تزحلق المرء في مثل هذه الأمور فعليه أن يقوم بها بسرعة ويتفوق ساحق في

القوات. والأمل في النجاح يمكن أن يكون فقط في حال الاحتلال السريع لمنطقة القناة وبقاء القناة بنفسها صالحة للملاحة الدولية. وكان كل ذلك كفيلاً بأن يضع العالم كله أمام الأمر الواقع. ولكن في الواقع كانت العملية الإنكليزية بطيئة وفيها الكثير من التردد وعدم الثقة بالنفس. وبعد حدوث الكارثة نقلت صحيفة التايمز من القاعدة البحرية الحربية البريطانية في قبرص «٥٦/١١/١٦»: «اتخذت الحكومة البريطانية قرارها بالبدء بالعمليات الحربية ضد مصر، من دون أن تتشاور مع أبرز الدبلوماسيين الإنكليز في الشرق الأوسط. واستمرت العملية على الرغم من تحذير معظم هؤلاء الدبلوماسيين من العواقب المحتملة نحو إنكلترا في العالم العربي...

وعندما وصل نبأ الإنذار وتفاصيله إلى السفارات البريطانية في الدول العربية وكذلك قرار بدء العمليات ضد مصر، كان رد فعل جميع الهيئات الدبلوماسية، إما عدم التصديق لهذه الأنباء وإما الوثوق بحصول الكارثة.

ولم يصدق الدبلوماسيون الإنكليز، وأصابهم الرعب عندما تصوروا أن هذا الهجوم جعل من بريطانيا شريكاً في سياسة إسرائيل وفرنسا».

وأعاد ذلك إلى أذهان المؤلف، ردود الفعل التي سادت الأوساط البريطانية في أوربة بعد توقيع اتفاقية ميونخ.

هذا كل ما يمكن قوله عن الجانب السياسي للفعلة الإنكليزية، أما الجانب العسكري فإن التايمز ذكرت في /١٧/ تشرين الثاني «نوفمبر» بأن «هناك رأياً عاماً ساد وسط العسكريين الإنكليز في قبرص بأنه إذا كان قرار الهجوم قد اتخذ ولا بد، فكان يجب القيام بذلك بسرعة. وإن عدم إكمال العملية حتى النهاية، أصاب القادة والأفراد العسكريين الإنكليز بالذهول وبخيبة أمل عميقة».

وعندما بحث المحلل والخبير العسكري الأمريكي «هانسون بولدفين» في نتائج «الهجوم الفاشل» والذي كان عليه أن يصبح مثالاً كلاسيكياً في دروس التاريخ العسكري في الأكاديميات الحربية، وكتب الخبير المذكور يقول، بأنه بسبب التردد وعدم الثقة الذي ساد في لندن «عمت فوضى كاملة في معرفة الأهداف الكثيرة السياسية والنفسية والعسكرية، وأدى ذلك إلى عدم وجود مهمات واضحة أو على الأقل تلك المهمات التي يمكن تنفيذها بالقوة العسكرية مع وجود كل التحديدات التي وضعت».

وسرعان ما أتضح بعد بدء العمليات العسكرية، بأن هناك فعلاً سبباً ما في بطء العمليات العسكرية الإنكليزية والفرنسية وهو الذي حد من حركتها. وإذا لم يلعب ذلك دوراً

حاسماً بالنسبة لفرنسا بسبب ما ذكر أعلاه، فإن بريطانيا كانت تضحي بسمعتها السياسية وشرفها والأمل في الازدهار والوحدة لعائلة الدول المرتبطة بها.

وقد حذر رئيس وزراء كندا، بأن مثل هذه الأفعال يمكن أن تؤدي إلى تخريب وتلاشي مجموعة الكومنولث.

وفي الأمم المتحدة، أصاب العار إنكلترا لوقوفها في صف المعتدي مع إسرائيل وفرنسا.

ما هي الأسباب التي آدت إلى التردد والبطء في سير تلك العمليات؟ في لندن على ما يبدو، بدء التردد كان سببه الاحتجاج «العنيف والحاسم» من قبل الرئيس «ايزنهاور» وقرار الأمم المتحدة.

بعد ذلك بدأت الأمور تسير بتوازٍ مذهل، فما أن بدأت الطائرات الفرنسية والإنكليزية تقصف الأهداف المصرية، حتى أعاد السوفييت قواتهم إلى هنغاريا وبدأت المذبحة هناك. وخلال اجتماعات الأمم المتحدة تبادل «الشرق» و «الغرب» الاتهامات.

وبينما ألقى الفرنسيون والإنكليز القنابل على بور سعيد، اتهم مندوبوهم في الأمم المتحدة، السوفييت بارتكاب الفظائع في المجر. وبالعكس وبينما كانت الدبابات السوفييتية تدوس الهنغار العزل، كان مندوبهم يدين الاعتداء على مصر.

وسرعان ما اتخذت الصورة العامة للأحداث، طابعاً مخيفاً جداً. وتضعضعت حكومة «انتوني ايدن». ولإنقاذ الوضع توجه «ايدن» إلى «تشرشل» الذي أعلن على الفور: «بعد الاستفزازات الخطيرة، نهضت إسرائيل ضد مصر... أنا لا أشك أبداً بأن أعمالنا ستؤدي في المستقبل القريب الى النهاية العادلة والمظفرة. وسنقوم بالتأكيد بإعادة السلام والنظام إلى الشرق الأوسط. وأنا على ثقة بأننا سنحقق أهدافنا. إن العمل الحاسم لحكومتنا في نهاية الأمر وبلا شك هو لمصلحة السلام في كل أنحاء العالم ولمصلحة السلام في الشرق الأوسط ولمصلحة مصالحنا القومية».

ولا شك بأن المستقبل سيوضح كيف يجب تقييم هذا التصريح العلني الآخير للمستر «تشرشل».

ولا شك بأن العمل الحاسم كان أحد أهم ميزات طباع السيد «تشرشل» ولا شك أيضاً بأن خليفته على رأس الحكومة كان قد تشاور معه قبل الإقدام على عمله الأخير، وتجدر الإشارة إلى أن «تشرشل» المتقاعد، أصدر في تلك الفترة الجزء الثاني من كتابه «تاريخ الشعوب الانكلو-ساكسونية» والذي قالت عنه جريدة نيويورك تايمز ما يلي «يفتخر المؤلف بأن جزيرته الصغيرة، تلك المملكة الصغيرة في بحر الشمال والتي سكنها في فترة بدء تلك الأمور، فقط ثلاثة ملايين نسمة، استطاعت أن توصل الحضارة إلى ثلاث قارات وأن تدخل الثقافة إلى نصف العالم».

وفقط الزمن هو الذي سيبين أيضاً، هل كان الاعتداء البريطاني على مصر متابعة واستمراراً لهذا المسار الحضاري، أم أنه لطخه عار على سمعة وشرف إنكلترا.

بعد ذلك حدث الأكثر غرابة في كل قصة الاعتداء على مصر وهو أن رئيس الوزراء السوفييتي، أرسل إنذاراً إلى رئيس الحكومة البريطاني وإلى رئيس الحكومة الفرنسي، بأن بلاده ستبدأ هجوماً صاروخياً نووياً على بلديهما، إذا لم يوقفا العدوان وهدر الدماء».

في تلك الأيام سال الدم في بودابست أنهارا وهرب مئة ألف لاجئ مجري عبر النمسا وأصبح «فرانس ميونح» عميل موسكو الأول هناك، بعد أن جلس مكان «راكوشي» و «غيري» وبدأت موجة إرهاب جديدة.

ولم يكتف رئيس الحكومة السوفييتية بذلك بل أرسل اقتراحاً إلى «ايزنهاور» عرض فيه البدء خلال ساعات معدودة بهجوم سوفييتي- أمريكي مشترك على إنكلترا وفرنسا.

وذكر البيت الأبيض في مذكرة إلى الصحافة، بأن هذا العرض مستحيل لا يمكن تصوره. ولكن هل يوجد فعلاً في زمننا أشياء مستحيلة لا يمكن تصورها.

إن تآمر «هتلر» مع «ستالين» في عام /١٩٣٩م/، بدا للناس في ذلك الزمن بأنه مستحيل ولا يمكن تصوره، ولكنه على الرغم من ذلك حصل. وقد نقلت نيويورك تايمز في هذه الأيام عن دبلوماسي أمريكي بارز عمل فترة طويلة في العالم العربي «وهو عملياً برر وأيد العرض السوفييتي»: «إن رفضنا للعرض السوفييتي على أنه مستحيل ورغبتنا في بحثه في الأمم المتحدة، يُعد هنا، على أنه تأكيد آخر على وقوفنا إلى جانب إسرائيل، مهما كانت الكلمات والتصريحات الأخرى الصادرة من طرفنا».

«الدبلوماسي كان يتحدث من الأردن».

وبالفعل في تلك اللحظات كان من الصعب حتى التصور قيام هجوم ذري أمريكي- روسي مشترك على كل من إنكلترا وفرنسا. ولكن في الوقت نفسه وقف الطرفان ضد إنكلترا، ولو بطرق مختلفة.

ففي الولايات المتحدة كانت هناك دائماً توجد عُقدة «قتل الأم» باتجاه أوربة بشكل عام وباتجاه بريطانيا بشكل خاص. وهو أمر من الصعب شرحه وتفسيره، ولكن يجب دائماً أخذه بالحسبان ويجدر الذكر أن الحياة تعود إليه، دائماً نتيجة اتهام بريطانيا بالاستعمار. على الرغم من أن الولايات المتحدة نفسها هي دولة استعمارية ضخمة، حصلت عن طريق الاستيلاء بالقوة أو عن طريق الشراء لمساحات واسعة من الأراضي كانت التي تستعمرها

بريطانيا وهولندا وفرنسا وأسبانيا. وكذلك على أراضٍ كانت تعود في السابق إلى المكسيك وروسيا «الأخيرة في ألاسكا وكاليفورنيا» وتختلف أوضاع هذه الأراضي المستعمرة عن مستعمرات إنكلترا وفرنسا وهولندا وأسبانيا. «حيث يعيش الملايين من الناس» أما سكان المستعمرات الأمريكية الأصليون فقد انقرضوا تقريباً. بالإضافة إلى أن الولايات المتحدة تمتلك أراضي مستعمرة في منطقة قناة «بنما».

ولكن مهما كان في حقيقة الأمر، علينا أن نأخذ بالحسبان هذا العامل اللا معقول «المخالف» في ما يسمى «بالرأي العام الأمريكي».

ولكن في الوقت نفسه علينا أن لا ننس أيضاً بأن «الرأي العام» في زمننا الحالي تحول إلى بضاعة صناعية يتم تحضيرها في أي شكل مرغوب «عليه الطلب».

في حالتنا المحددة هذه، الأمر الأكثر أهمية هو أن اختيار وترشيح وتقديم ومن ثم الانتخاب الواقعي للرئيس «ايزنهاور» ثم على نفس المجموعة «الأممية» التي دعمت ودفعت إلى السلطة كلاً من الرئيس «ويلسون» و «روزفلت» و «ترومان» والتي كانت دائماً تخدم أهداف الثورة العالمية وأن هذه المجموعة القيادية الخفية كانت على الدوام، في أيام الأزمات، تلتزم بموقف معادٍ لبريطانيا.

إن الهدف النهائي لهذه «المجموعة الأممية» هو إنشاء حكومة أممية فوق الأمم. ويتم السير إلى هذا الهدف عن طريق تركيز جهود القوتين الهدامتين وهما الثورية الشيوعية والثورية الصهيونية. ولضمان نجاح هذه العملية من الضروري وعلى الدوام، فصل وتفرقة بين الشعبين الانكلو- ساكسونين العظيمين على طرفي المحيط الأطلسي.

وفقط تحريض هذين الشعبين إحدهما ضد الآخر، يمكن أن يسمح بإنشاء الامبراطورية الصهيونية العالمية. وهذه السياسة بالذات ضغطت خفية على كل مسار الحرب العالمية الثانية.

وانضم «ايزنهاور» خلال الحرب إلى قائمة المنتصرين الأمريكيين التي أصبحت: «روزفلت»- «مارشال»- «ايزنهاور».

وقد أوضحنا فيما سبق، كم كانت كل خطط الجنرال «مارشال» معادية لبريطانيا خلال الحرب، وكان هو المنافس الرئيسي لـ «تشرشل» خلال فترة الحرب واستخدم كل تأثيره وثقله ليحرم «تشرشل» من لعب أي دور أساسي في وضع استراتيجية الحرب، على الرغم من كل الماضي العسكري والسياسي العريق المجيد لرئيس الحكومة البريطاني. ولذلك فإن نتائج الحرب العالمية الثانية، النهائية يجب النظر إليها، كمحصلة لسياسة «روزفلت»- «مارشال»-

«ايزنهاور»وقد بينت تسجيلات «بروتوكولات» مؤتمر «يالطا»، بأن الرغبة الأساسية لدى «روزفلت» كانت إهانة إنكلترا والتقليل من شأنها: «وقال الرئيس بأنه يرغب بإطلاع المارشال «ستالين» بالسر على أمر لا يريد أن يذكره في حضور رئيس الحكومة «تشرشل»...

الإنكليز- جمهور «شعب» غريب، إنهم يريدون أن تكون الذئاب شبعانة وأن يبقى الغنم كاملاً...

وقد عرض الرئيس تدويل المستعمرة البريطانية هونغ كونغ ووضع كوريا تحت الوصاية الدولية لا تدخل فيها بريطانيا «تستثنى منها إنكلترا».

ولكن «ستالين» ألمح بأنه لا يُعد ذلك حلاً جيداً وأضاف «مازحاً» بأن «تشرشل» سيقتلنا بسبب ذلك.

وعندما دار الحديث عن البناء السياسي بعد الحرب قام هو «روزفلت» بتبني موقف معادٍ لبريطانيا في أغلب الأمور.

«نيويورك تايمز ١٩٥٥/٣/١٧».

وأما فيما يتعلق بـ «ايزنهاور»، فهو بالذات من قام بتسليم نصف أوربة إلى الثورة العالمية، عندما أوقف هجوم الحلفاء كما ذكرنا في أحد الفصول السابقة.

وانطلاقاً مما ذكرناه فإن أي توقع من قبل الحكومة البريطانية بالحصول على الدعم من «ايزنهاور» في مغادرة قناة السويس، يُعد ضرباً من الجنون.

لقد كان «ايزنهاور» أداة لتنفيذ الخطط السياسية لـ «روزفلت»- «مارشال» في فترة الحرب الثانية. وبعد سبع سنين من انتهائها أصبح دمية متحركة لمتابعة السياسة «الأممية».

الشيء الوحيد غير المتوقع والذي يصعب تبريره هو أنه ذهب بعيداً في رغبته إهانة إنكلترا، حيث أجبرها على الانسحاب المذل من دون شروط من منطقة القناة وفي ظروف مهينة جداً لها. وقد فرض عملياً مقاطعة السفير البريطاني في واشنطن.

الضغط الأمريكي جاء في البداية ليجبر بريطانيا على الانسحاب من منطقة القناة «قبل التأميم» ومن ثم ضغط على إنكلترا لتنضم إلى أمريكا وتتراجع عن موضوع قرض سد أسوان. وأخيراً جاء الضغط لإجبار إنكلترا على الانسحاب الأخير المهين.

وفي كل ذلك لم يكن «ايزنهاور» شاذاً عن الذين سبقوه. ولا شك بأنه توجد دروس معينة، يمكن استنتاجها من كل الذي حدث في تشرين الأول «أكتوبر»- تشرين الثاني «نوفمبر» /١٩٥٦م/.

لقد بينت بأن الهزات القوية يمكن أن تسبب ردة فعل حتى في «بيت الثرثرة» في نيويورك المسمى بالأمم المتحدة وتجعل منه «رأياً عاماً عالمياً» وقد كان السخط والغضب عارماً في الحالتين، في حال الاعتداء على مصر والتدخل الروسي في المجر. ولكنها بينت أيضاً عدم قدرة الأمم المتحدة على تقديم أي دعم فعلي للإدانات الأخلاقية التي تصدرها. في حالة هنغاريا لم تفعل الأمم المتحدة أي شيء بسبب خمول الموقف الأمريكي.

في موضوع مصر أدى الاتفاق السوفييتي- الأمريكي على إجبار إنكلترا على الانسحاب.

وتلخصت الأخطاء السياسية الإنكليزية في اعتمادها على الضغط اليهودي الصهيوني على واشنطن لدعم الاعتداء الإنكليزي- الإسرائيلي.

وعلى غرار ما جرى من ضغط على إنكلترا لكي تسحب قواتها من فلسطين في فترة /١٩٤٧- ١٩٤٨م/ مما سمح بقيام دولة إسرائيل. ولم يأخذ بالحسبان أن انضمام فرنسا وبريطانيا إلى العدوان سمح لإسرائيل بالتهرب وألقى الإدانات على فرنسا وبريطانيا. وأعطى لـ «ايزنهاور» الفرصة لكي يظهر كرجل سلام نبيل. وبذلك وقعت الحكومة البريطانية بين نارين. من جهة تهديد السوفييت باستخدام القوة ومن جهة أخرى عدائية البيت الأبيض وهو أمر لم يتوقعه الإنكليز أبداً.

وتعطلت قناة السويس عن العمل وانقطع البترول عن بريطانيا ولما قامت بطلبه من أمريكا سمعت جواباً يقول بأنها لن تحصل على شيء، إذا لم تنسحب من مصر. وفي واشنطن صادفَ الدبلوماسيون الإنكليز برودة في المعاملة من الأمريكان، وكانت طلباتهم حول النفط يجري ربطها بالانسحاب من مصر. وإذا كان «ايزنهاور» في إهانته لإنكلترا قد ذهب أبعد من الحد الضروري، فإنه إنما كان يتبع خط معلمه «روزفلت». على الرغم من أن المضاربات والألاعيب التي قامت بها حكومة «ايزنهاور» خلال الأزمة في مصر والسويس، حرمت «ايزنهاور» من أي حق أخلاقي كان، في التنديد الأخلاقي. وكان ذلك لا يعني أبداً أن بريطانيا لم تكن تستحق هذه الإهانة. إن الاعتداء على مصر كان كارثة في كل بنوده. لقد تضمن تآمراً واضحاً مع إسرائيل. وبدأ في فترة انهزام السوفييت أمام الثورة الهنغارية كان صورة معيبة للتردد والعقم منذ بدايته.

ولم يبق أمام السير «انتوني ايدن»، في حالته المنهكة جسدياً والمفلسة سياسياً، إلا الذهاب إلى جامايكا «لاسترداد العافية» وفي تلك الأيام بدأ التراجع اللا مشروط من مصر وفقط الإنكليزي والفرنسي وليس المعتدي الرئيس وهو إسرائيل.

وجمعت الأمم المتحدة من جميع الأرجاء قوات دولية وأرسلتها إلى منطقة القناة، من دون أن تعرف هذه القوات ما الذي عليها عمله هناك.

وارتفعت شعبية الرئيس ناصر في العالم العربي إلى أعلى المستويات وظلت القناة مغلقة. وصرحت مصر بأنها لن تتخلى عن شبر واحد من أراضيها، وقامت إسرائيل بالزعيق مرة أخرى عن معاداة السامية في مصر واستهزأ «خروشوف» الثمل من سفراء بريطانيا وفرنسا خلال حفل للسفارة البولندية في موسكو: «تقولون أنتم، بأننا نريد الحرب، ولكن الآن وقعتم بأنفسكم في وضع أستطيع أن أدعوه فقط بأنه غبي وجنوني... لقد أعطيتمونا درساً جيداً في مصر».

من كان باستطاعته أن يعترض على كلامه؟

بعد مرور أسبوع واحد قدمت نيويورك تايمز الحصيلة: «قامت فرنسا وبريطانيا بلعبة خطرة وعلى ما يبدو أنهما خسرتاها إلى حد مخيف... وأما إسرائيل فقد خرجت حتى الآن، من الأزمة في وضع أفضل».

«١٩٥٦/١١/٢٥».

وبعد مرور أسبوعين قالت الجريدة نفسها إن إنكلترا انحدرت إلى وضع دولة من الصف الثاني. وفي نفس العدد أوردت الجريدة كلمة المدعو «ميخائيل خازاني» في البرلمان الإسرائيلي: «حسب رأي السيد «خازاني» كان فشل فرنسا وبريطانيا في تحقيق أهدافهما في مصر، مملوءاً بالفائدة لإسرائيل...

وإسرائيل الآن أقل عزلة مما كانت عليه قبل دخولها إلى سيناء في ١٠/٢٩ الذي أدى ابتعاد أصدقائها عنها وتكالب الأعداء عليها في كل العالم.... إسرائيل تحصد نتائج الصداقة مع فرنسا التي سمح سلاحها بالتغلب على المصريين.

وفقط قبل عدة أسابيع مضت كان التفكير السائد بأن إسرائيل ستسبب حرباً عالمية نووية. ولكن سرعان ما تلاشى الخوف، لأن كل هذه التهديدات كانت فقط من أدوات الحرب النفسية... وبرأي بعض أعضاء الكنيست، بإمكان إسرائيل أيضاً استخدام هذه الأدوات والطرق... ولماذا لا تستخدم إسرائيل وضعها الحالي كتهديد للأمن الدولي لإجبار الدول العظمى في الضغط على الدول العربية ومصر لكي تعقد اتفاق سلام مع إسرائيل؟».

وكادت الأزمة الحالية أن تفرط رابطة الدول المتعاضدة مع إنكلترا وهو أمر لم يكن في الحسبان. ولم يحدث ذلك قبل هذه المرة. وجلست بريطانيا في قفص الاتهام مع إسرائيل وفرنسا وجرى إدانة الثلاثة وانهالت التهديدات من كل مكان. ولم يتم التوصل إلى أي هدف

من الأهداف المطروحة ولم يوضع أمام قواتها «الإنكليزية» مهمات صعبة فقط بل وحرم عليها تنفيذ هذه المهمات وكانت النتيجة الحتمية لكل ذلك عاراً شاملاً. وسقطت على رأس البلاد العواقب الوخيمة من ارتفاع الأسعار ورفع الضرائب وغيرها من الصعوبات وهو أمر كان في حقيقة الأمر عبارة عن أتاوة دورية دفعت لصهيون.

وأمر واحد لا يوجد أي شك فيه في هذا الموضوع وهو أن شيئاً ما من كل ذلك لم يكن ليحصل لو لم تظهر الدولة العبرية في عام /١٩٤٨م/.

ولو حدثت الحرب العالمية فإن مسببها هذه المرة كانت ستكون إسرائيل. وإذا قدر لهذه الحرب أن تحدث- وهو أمر محتمل جداً، لأن كل الأسباب متوفرة لذلك- فإن المذنب في ذلك ستكون إسرائيل.

ويود المؤلف هنا آن يتحدث عن نفسه كإنسان إنكليزي ويقول بأنه كان سيسكت ويتقبل مغامرة السويس لو أن أحداً ما استطاع إقناعه، بأنها يمكن أن تخدم مصلحة إنكليزية ما. في هذه الحالة كان سيصدق بأن الحكومة البريطانية كانت على علم بما لم يكن هو على علم به. وهو أمر كان من الممكن آن يبرر الفشل الذريع الذي حدث. ولكن المؤلف يُعد آن ما حدث هو عبارة عن خطوة أخرى في مأساة الأغلاط والأكاذيب التي بدأت في عام /١٩٠٣/ عندما ربطت إنكلترا لأول مرة مصيرها بالصهيونية. وقد حاول المؤلف متابعة وملاحقة هذه المأساة وتطوراتها منذ الصفحات الأولى بكتابه هذا.

ونعود إلى الوضع في بريطانيا وبينما كان «انتوني ايدن» يستجم في جامايكا وكان على زملائه في الحكومة تبرير ما حدث، ليس بالحديث عن المصالح الحيوية البريطانية بل قال بأن حكومته، «أصابها الخوف من إمكان تمزيق إسرائيل وتدمير تل أبيب وإمكان رؤية العالم العربي موحداً».

والمؤلف هنا يقتبس من نيويورك تايمز مرة أخرى لعدم وجود النص الأصلي بين يديه.

ويمكن الاستنتاج من حديث السيد «هيد» بأن الأهداف التي وضعتها حكومته أمامها هي تمزيق مصر وتدمير بور سعيد ورؤية العالم العربي مشتتاً متفرقاً.

ومن كل هذه الأهداف تحقق الهدف الثاني فقط. ولم يتحقق الهدف الأول والثالث.

والسؤال ما هي الفائدة لبريطانيا ولمصالحها من مصر الممزقة والعالم العربي المشتت المتفرق؟

وأي إنكليزي سيوافق على دعم مثل هذه الأهداف لو أنها عرضت عليه بهذا الشكل قبل العدوان.

في بعض الأمراض استطاع الطب الحديث الإشارة إلى المصدر الأساسي للعدوى والوباء.

المصدر الرئيسي لكل الاهتياج والاضطراب الذي حصل بسبب أحداث /٢٩و٣٠/ تشرين الأول

«أكتوبر» /١٩٥٦م/ كان بلا شك الصهيونية. ومن دون الصهيونية لم يكن لهذا الاضطراب أن يحصل بهذا الشكل.

وكنتيجة منطقية لكل خطواتها منذ أن تبلورت كقوة سياسية في «الغيتو» في مجاهل روسيا قبل مئة عام، أوصلت الصهيونية العالم كله إلى حافة الحرب الشاملة. وعلى طرف هذه الحافة لم يكن أحد يعلم أي واحد من الأصدقاء في الأمس سيصبح عدواً في الغد. ووصل خداع الشعوب إلى أقصى حد له.

وهل يمكن أن يحدث من ذلك أي خير؟

على الرغم من كل التعقيدات التي نعيش خلالها فإننا نعتقد أنه ستظهر أول ملامح الانعطاف نحو الأفضل. وستبدأ الشعوب المستعبدة من الشيوعية، برمي قيودها.

في البداية ستقوم شعوب أوربة الشرقية بطرح قيودها ومن ثم ستقوم شعوب الغرب بالسير على طريقها. ويعتقد المؤلف بأن اليهود في كل العالم أيضاً، سيتوصلون يوماً ما إلى قناعة تامة بضلال الصهيونية الثورية.

وسيتمكنون في نهاية القرن الحالي «القرن العشرين» السير أخيراً مع بقية البشرية وإلا بأي استنتاج آخر يمكن الخروج به من خبر جاء في نيويورك تايمز.

«٥٦/١٢/٣٠» بأن «أقل من /٩٠٠/ شخص من مجموع اليهود الفارين من المجر... قرروا التوجه إلى إسرائيل» في الوقت الذي توجهت فيه الكتلة الأساسية منهم إلى الولايات المتحدة وكندا.

وعن أحداث تشرين الأول «أكتوبر»- تشرين الثاني «نوفمبر» /١٩٥٦م/ فيمكن القول بأنه يمكن اعتبارها فصلاً نهائياً لائقاً.

وكحاشية سفلى لقصة قناة السويس يمكن أن نضيف طلب «ايزنهاور» من الكونغرس الأمريكي السماح له بشكل دائم استخدام القوات الأمريكية ضد «العدوان العسكري المفضوح من طرف أي دولة تقع تحت تأثير الشيوعية العالمية».

وأما فيما يتعلق بالعدوان المفضوح، فنحن على علم كيف يتم اختلاق ذلك ولدينا من التاريخ الأمريكي أمثلة كثيرة مثل غرق الطراد الحربي الأمريكي «ميين» في ميناء هافانا عام /١٨٩٨م/، حيث جرى اتهام أسبانيا بهذا العمل وأدى ذلك إلى قيام الحرب ضدها التي انتهت لمصلحة الولايات المتحدة واستيلائها على آخر المستعمرات الأسبانية.

وقبل الهجوم على مصر وبعده، قامت الصحافة الغربية باتهام الكثير من الدول العربية بأنها تقع تحت رقابة النظام الشيوعي.

إن رسالة «ايزنهاور» إلى الكونغرس تبين بوضوح كيف يمكن أن يتحول بسهولة، الزعيق عن تدمير الشيوعية إلى هجوم، ليس على الشيوعية بل على العرب.

وحتى تعبير «تحت الرقابة الشيوعية» بحد ذاته لا يخضع إلى أي تحديد ويفتح الطريق كاملاً للتحوير عن طريق استخدام الدعاية.

فعلى سبيل المثال في ١٩٥٦/١٢/٢م نشرت نيويورك تايمز صورة «لدبابات استولت عليها إسرائيل». خلال هجومها الأخير على مصر. ولكن أحد القراء لاحظ أن الصورة هي لدبابات أمريكية واضطرت الجريدة إلى الاعتراف بذلك. وكما هو واضح يمكن تصوير أي دبابة وتزويدها بأي تعليق، المهم هو وجود إمكان نشر ذلك.

الجيش الإسرائيلي في البداية كان يملك سلاحاً شرقياً كثيراً، سوفييتياً وتشيكياً، ولكننا لم نسمع عن لسان أحد، أن إسرائيل هي «تحت رقابة الشيوعية العالمية».

لقد أدت رسالة «ايزنهاور» إلى الكونغرس، إلى ارتفاع أسعار الأسهم الإسرائيلية في بورصة نيويورك، وإلى فرح عم إسرائيل، والسبب في ذلك هو بأن الناس فهموا من ذلك أن الرئيس «ايزنهاور» يرغب إرسال القوات الأمريكية إلى الشرق الأوسط، بناء على طلب دولة أو عدة دول تعرضت إلى هجوم من دولة تخضع «لرقابة الشيوعية العالمية».

ولو كان من الممكن اعتبار كلمات الرئيس طيبة النية وحقيقة المضمون، لكان من الممكن التوقع طلب مصر المساعدة الأمريكية لصد العدوان الإسرائيلي عام /١٩٥٦م/.

ولكن حتى تصور ذلك غير ممكن ولا يمكن تصور تدخل عسكري أمريكي بطلب من أي دولة في الشرق الأوسط إلا إسرائيل.

إن أحداث عام /١٩٥٦/ في الشرق الأوسط ليست فقط فصلاً نهائياً لهذا الكتاب بل هي تأكيد تام لكل ما جاء فيه.

الخـاتمـة

إذا كانت محتويات هذا الكتاب تسبب انطباعاً كئيباً فذلك انعكاس للأحداث التي سردها وليس وجهة بسبب نظر المؤلف.

ويعترف المؤلف عن طيب خاطر بأنه كتب هذا الكتاب ليس كمراقب، له مصلحة بذلك، بل بوصفه صحفياً لم يُسمح له بممارسة عمل آحبه وأتقنه. عمل تلخص في خدمة الحقيقة بحياد ومن دون خوف وليس خدمة لأي مصالح كانت.

وكان المؤلف شاهدا حياً على الكثير من الأحداث والتلاعب بالمصالح الوطنية ولربما أكثر بكثير من بقية المعاصرين له. واستطاع بعد ذلك أن يتأكد بأن الأمور لا تسير بمحض المصادفة بل حسب خطة محددة. ولذلك كان كل ما كتبه المؤلف هو عبارة عن احتجاج ولكن ليس ضد التيار الطبيعي للحياة بل ضد سحق الحقيقة وحجبها عن الناس

هذا العمل- هو سرد قام به إنسان عاصر الأحداث يصف فيه كيفية خلق التاريخ وصناعته.

ولاشك بأنه سيأتي بعده مؤرخون آخرون سيحاولون وعلى أساس القطع المنبوشة، أن يضعوا تاريخ الآحداث بكل تفاصيله، وسيكون ذلك ما يشبه محاولة تحديد شعور إنسان عندما كان حياً يرزق، على أساس دراسة هيكله العظمي المستخرج من القبر.

ولكن قد يتمكن هؤلاء المؤرخون من التوغل في التفاصيل البعيدة في الوقت الحاضر عن المؤلف.

وقبل كل شيء سيجدون أن كل ما جرى وما ذكر كان أمراً ضرورياً جداً للتوصل إلى ذلك الوضع للأمور، الذي يسود الآن في زمنهم،- وبالنسبة للمؤرخين هذا الأمر اعتيادي وملائم جداً.

وهناك، بين ما ذكر من طرق سرد الوقائع،تتواجد الحقيقة الكاملة والحقيقية، ودور المؤلف يكمن في هذا الحالة فقط بكونه شاهداً حياً ومحتجاً حياً.

ولا يوجد أي شك بأن كل ما جرى هو ضرورة لازمة للتوصل إلى أهداف نهائية نجهلها نحن، ولكن الكثير مما حدث كان في لحظة حدوثه كما يبدو غير لازم وزائد.

وفي هذا بالذات ينحصر احتجاج المؤلف.

والمؤلف يعد بأن النهاية السعيدة المحتومة- حسب رأيه- كان يمكن أن تحدث بسرعة أكبر ومن دون هذه الأحداث المؤسفة وغير اللازمة، ولكنه يفهم أيضاً أن ذلك يقع خارج نطاق فهم واستيعاب الناس البسطاء العاديين.

وأنه وحِسب إرادة الرب فإن الامتحان «الاختبار» المتكرر قد يكون غير لازم للهدف النهائي في تحرر الروح البشرية.

وانطلاقاً من ذلك فور حدوثه. ومهما يكن، فإن المؤلف يترك تحليل الأحداث للكتاب والمؤرخين القادمين الذين لم تمس هذه الأحداث قلوبهم ومشاعرهم، وهم يستخدمون البحث الدقيق، هناك حيث لعب المؤلف دوره على مسرح الحياة. وهو أمر ترك أثره العميق في نفس المؤلف.

وكما كتب في وقته اللورد «ماكولي» /١٨٠٠-١٨٥٩/ «وهو شاعر ورجل دولة ومؤرخ كبير»:

«في التاريخ يبقى ويعيش فقط ذلك الجزء منه، الذي يخدم المبدأ «المذهب» المطلوب وآما الأمور التي تعارض هذا المبدأ يتم شطبها ونسيانها».

وهذا الكلام يمكن أن يبرر ظهور هذا العمل لمؤلف عايش الأحداث الواردة فيه: إنه لم يهمل أي شيء مما حصل عليه وترك كل ما يعرفه من الحقائق بالقدر الذي استطاع.

لقد سرد صورة قرننا «العشرين» بالشكل الذي بدت له فيه كمشترك حقيقي في الأحداث والتي كانت مخفية عن عيون الجمهور العريض وحيث قدمت لهم في «التفسير»، الذي عده السياسيون مناسباً وضرورياً.

وحسب رأي المؤلف، نحن نعتبر شهوداً، كيف قامت معتقدات ولدت في الماضي السحيق ونمت خلال قرون طويلة على أيدي كهنة جهلة وفي السر والخفاء، بالعودة إلى الأيام المعاصرة لنا وضغطت على رقابنا على شكل حركة سياسية مدعومة بأموال طائلة ونفوذ واسع لا محدود في جميع العواصم العالمية الكبرى.

وللتوصل إلى هدفها الخيالي في السيطرة العالمية. لقد استخدمت هذه الحركة طريقين- الثورة من الأسفل وانحلال القادة وفجورهم في الأعلى- وقد حققت نجاحات عالية

على هـذا الطريـق واسـتعملت هـذين الـسلاحين لتحـريض الـشعوب والطبقـات علـى بعـضها بعضاً.

ولا يحـاول المؤلـف أن يقـرر مـا هـو الـشر ولكنـه فقـط يقـدر الـشعور والإحـساس بـه ومـن الممكـن جداً أن يكـون علـى خطـأ. وعلـى أي حـال فـإن شـعوره الـذاتي بالإضـافة إلى الأمور التي تربى عليها أوحت إليه وهو يعمل في كتابه هـذا، بأنـه يعيـش بـالقرب مـن الشر.

وهذه القـوى الـتي زُرعـت في القـرن العـشرين والـتي تبـدو وكـأنها أُخرجـت مـن مغـارة للديناصورات، ولا تقوم على أي شيء إلا على معتقدات جاهلية همجية قديمة.

وتملّك المؤلف شعور بأن الكثير من النـاس الـذين أحـاطوا بـه هـم مـن نـوع «حزقيـال» الدي عاش في زمن همجي وكان صاحب تفكير همجي.

وقد لاحظ المؤلـف أموراً تـشبه ذلـك كـثيراً موجـودة في أيامنـا وفي أرض أنقـذت منـذ زمن غير بعيد من الهمجية وذلك عندما اطلعَ علـى كتـاب «ارتـور غريمبـل» «في الجُـزر» وفيـه يسرد السيد «آرتـور» وجوده كموظـف بريطـاني في بداية القـرن العـشرين في مجموعـة جـزر بعيـدة في المحيط الهادي، حيـث عـاش الـسكان الأصليون في جـو هجمـي تـسوده اعتقـادات بدائية، وكان ذلك حتى عام /١٨٩٢م/ حيث بدأت الحماية الإنكليزية هناك.

ويوجـد تـشابه مـثير بـين اللعنـات الـسائدة في كتـاب «التثنيـة» «الـذي يُعـد قـانون الشوفينية الـصهيونية في عهـدنا الحـالي» وبـين اللعنـات المستخدمة في الجـزر المذكورة قبـل وصول الإنكليز إليها.

هنـاك في تلـك الجـزر، كـان اللاعـن العـادي يجلـس أمـام النـار عنـد شـروق الـشمس ويـضرب النـار بالعـصا ويدمدم: «يـا روح الهيجـان والجنـون، يـا روح الأوسـاخ، يـا روح أكلـة لحـوم البـشر، يـا روح التفسـخ والـتعفن. إنـني أضـرب موضـع طعامـه، مـلاذ هـذا الـشخص «ويـذكر اسـم الـشخص الواجـب لعنـة» ليُضـرب مـن الـشرق وليـضرب مـن الغـرب وليـضرب كمـا أضـربه أنـا. اضـربه بـالموت، اخنقـه وادخـل الجنـون والخبـل إليـه وليـصبه العـار مـن التفسخ! ولينتفخ كبـده ويتورم. إنـه ينتفخ ويتقلب ويتمـزق إلى قطـع صـغيرة ولنفسخ أمعـاءه وتتفسخ. أنها تنتفخ وتتمزق إلى قطع وتتلاشى.

إن لونه يسود من الجنون. إنه ميت- لقد انتهى إنه ميت. ميت. ميت إنه يتفسخ»!

إن مقارنـة هـذا الهـراء مـع اللعنـات الـكثيرة الـواردة في كتـاب «التثنيـة» وفي كتـاب «حزقيال»، تمتلك أهمية خاصة في زماننا هذا، عندما تصبح التوراة والتلمود مـذهباً حرفيـاً

للقيام بأعمال من نوع «دير ياسين»، ومن المفيد أيضاً أن نتذكر ما ورد في الموسوعة العبرانية على أن التلمود يصر على التأثير الحرفي للعنات الواردة فيه.

وهذه الكلمات ترد إلى العقل مباشرة عندما تستمع إلى السياسيين وهم يستندون إلى أقوال «العهد القديم». وكل مرة يجب سؤالهم، هل قرأتهم فعلاً العهد القديم ولو مرة واحدة وهل تفهمون الرابطة بين هذه المعتقدات القديمة والأحداث المعاصرة التي تجري بفضل مساعداتكم.

وهنا نحن نتعرض إلى قوى، أنزلت إلى قرننا العشرين وجاء بها أناس واقعيون تحت سلطة هذه المعتقدات البربرية الهمجية، ونتذكر هنا الاعتراف المتأخر لـ «حاييم وايزمان»، الذي ارتعب عندما شاهد ما صنعت يداه: «... لقد انبعث الشر القديم وبوجه أكثر قرفاً ورعباً».

وفقط المعتقدات الجاهلية هي التي يمكن أن تشرح- حسب رأي المؤلف- ذلك الرعب الذي يصيب الجمهور اليهودي ويدفعه إلى أحضان الشوفينية الصهيونية.

على الرغم من أن مئات السنين من المساواة والتحرر، قد أنقذتهم منه لفترة طويلة وكان يلزم فقط نحو نصف قرن فقط، لكي ينخرطوا تماماً في صفوف البشرية ولكن قوة ما أنشبت مخالبها بهم وأخذت تجرهم إلى الوراء إلى نفس القيود.

ولدى قراءة المؤلف لنمط حياة الناس البدائيين في جزر المحيط الهادي البعيدة «قبل الاحتلال البريطاني» بدا للمؤلف بأنه يقرأ سرداً للحياة اليومية في «غيتو» يهودي في مجاهل روسيا: «الإنسان الذي عاشت في دمائه معتقدات ستين جيلاً والذي تربى على الخوف... يصبح ضحية سهلة للمعتقدات الميتة... على هذه الحال عاشت الأجيال الواحدة وراء الأخرى، حيث رفع الكهنة مقام الشر وارتعد الناس أمامه.

إن الخوف المتراكم لهذه المعتقدات، أصبح مع القرون يملك بين الأجيال وزناً وشكلاً خاصاً به وأصبح حقيقة تضغط على كل الحاضرين.

إن هذه الأفكار المبتدعة من قبل الآخرين، لاحقت الناس كالأشباح وكان يبدو أن جواً من هذا النوع يمكن أن يحدث فيه عملياً، أي شيء».

«إن هذه الأفكار المبتدعة من قبل الآخرين، لاحقت الناس كالأشباح»، هذه الكلمات يمكن استخدامها لتصوير ظروف حياة الجماهير اليهودية التي عاشت في دمائها معتقدات قديمة جداً، أخذت في نهاية القرن التاسع عشر تدفعهم من نور النهار إلى ظلام الليل، ظلام الجاهلية القبلية.

وخلال متابعته لتاريخ هذه المعتقدات القديمة على مدى القرون وكذلك انبعاثها وتحولها إلى قوة سياسية في القرن العشرين، كان المؤلف يحس دائماً بوجود شر معادٍ حي.

وحسب رأي المؤلف، كان التدمير الفوري عبارة من أحد أجزاء هذا الشر. لذلك فهو يوافق على ما كتبه الدبلوماسي الأمريكي، «فرانك راوندس» في ليلة عيد الميلاد لعام /١٩٥١م/: «هنا في موسكو، أنتم تشعرون بأن الشر موجود كحقيقة واقعية، إن هذه هي أفكاري في يوم عيد الميلاد هذا».

هذه العملية في القرن العشرين والتي تبدو على شكل مرافق لنا دائماً، مست الجميع من اليهود وغير اليهود ولا شك بأن الأغلبية منا سيشهد نهايتها.

وهذا كان يبدو حتى في عام /١٩٣٣م/ من كلام «برنارد براون» عندما قال: «بالطبع يجب أن يخافوا منا وحتى يكرهونا.

إذا تابعنا الاستيلاء على كل ما تعطيه لنا أمريكا وفي الوقت نفسه نرفض أن نصبح أمريكيين تماماً كما رفضنا دائماً أن نصبح روسيين أو بولنديين».

هذه الكلمات تمس كل دول الغرب وليس فقط أمريكا ولكن «براون» كان غير محق في أمر واحد وهو أن الكراهية كانت حكراً على اليهود التلمودية وهم لن يقدروا أبداً على إجبار المسيحيين على كراهية اليهود.

إن الأعمال المخيفة التي قام بها «الغرب» في القرن العشرين جرت بدوافع من التلمود.

الانتقام والكراهية ليست من صفات الإنسان الغربي، وديانته تحرمها تماماً

إن تعاليم الكراهية كجزء من الدين لا تزال تأتي من التفسير الحرفي للتوراة-التلمود في الدول التي احتلتها الشيوعية الثورية وفي فلسطين المتهورة وفي كل مكان أقام فيه الصهاينة في العواصم الغربية.

ولا يمكن لأي أوربي حقيقي أو أي إنسان من الغرب أن يقول في اجتماع يهودي كما قال أحد قادة الصهاينة في أيار «مايو» /١٩٥٣/ في جنوب أفريقيا:

«لا يجوز الثقة بالحيوان المدعو ألمانيا. لا يجوز مسامحة الألمان أبداً. ولا يمكن لأي يهودي أن يقيم أي علاقات أو روابط مع الألمان».

ولا يمكن للإنسانية أن تعيش على مثل هذه الأسس ولذلك بالذات ستنهار خطط الصهاينة المريضة، في نهاية الأمر. إنها بالذات تلك الهرطقة التي حاربها المسيح وحاربتها تعاليمه ودعا هو إلى نبذها وهي بالذات التي ارتمى في أحضانها قادة الغرب منذ تلك

اللحظة عندما قام في بداية القرن العشرين، المدعو «بلفور» بإخضاع مصالح بلاده لها. وعندما تختفي الذروة والأزمات تختفي هذه التعاليم الهرطقية التي جاءت إلى العرب من مجاهل روسيا.

ويعتقد المؤلف بوصفه كاتباً بأنها ستختفي بوقت أسرع وبأقل ضرراً للجميع، إذا ازداد عدد الناس الذين يطلعون على حقيقة ما جرى فعلاً خلال القرن العشرين.

«فما من شيء خفي إلا سيظهر ولا من مكتوم إلا سينكشف ويعرفه الناس».

إنجيل لوقا «٨- ١٧»

إضـــافـــة

«بعد حياة المسيح تمت ترجمة العهد القديم والعهد الجديد إلى اللغة اللاتينية.

ومنذ ذلك الحين اعتبرت الكنيسة أن الكتابين «العهد القديم والعهد الجديد» قدما من طرف إلهي واحد وأنهما جزءان لعمل واحد» «إحدى الموسوعات الحديثة».

التوراة	الإنجيل
وقال الرب «قوموا وارحلوا الآن واعبروا وادي ارنون. وها أنا في هذا اليوم أنشر الرعب والخوف منك بين الشعوب التي تحت السماء....	مباركون أهل السلام، لأنهم يُسمون أبناء الرب...
ولقد أمرني ربي في ذلك الوقت أن أعلمكم الشريعة والأعراف لكي تتمكنوا أنتم من تطبيقها في البلاد حيث ستذهبون وستمتلكونها...	لقد أتيت ليس لأدمر ولأنقض قوانين الأنبياء بل لأتممها...
ولأنه أحب هو آباءك... ولأنه اختار نسلهم من بعدهم... لكي يطرد الشعوب من أمامك والتي هي أكبر وأقوى منك ولكي يعطيك أرضهم لترثها أنت....	هل سمعتم. بما قيل أن تحبوا جيرانكم وأن تكرهوا أعداءكم ولكن أنا أقول لكم أحبوا أعداءكم...
وعندما سيقوم الرب إلهك بتقديمهم لك ستضربهم أنت وستدمرهم تماماً «كلياً» ولا تعقد عن هذا معهم ولا ترحمهم ولا تصاهرهم...	لا تلموا الكنوز على الأرض...
وستحطم مذابحهم وتكسر أصنامهم لأنك شعب مقدس أمام الرب	أي فائدة للإنسان إذا كسب العالم وخسر نفسه!
	أحب الرب إلهك... هذه الوصية الأولى العظيمة والثانية كذلك... أحب قريبك كما تحب نفسك.
	على هاتين الشريعتين تقف كل الشرائع والأنبياء...
	ليستمر الحب الأخوي... من يود الاستعلاء ليصبح مهاناً...

الإنجيل	التوراة
الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون... لأنكم أبناء من قتل الأنبياء... هذه تعاليم مملكة السماء، لتنتشر في كل الشعوب كشهادة لكل الشعوب... سامحهم لأنهم لا يعرفون ما يفعلون. الرب خلق العالم وكل ما فيه... وجعل الشعوب كلها من دم واحد... واعلموا آن الخلاص أرسله الرب ليس لليهود... لأن الوعد بأنه سيمتلك العالم كله لم يعطِ لإبراهيم ولا لنسله بالشريعة والقانون بل بالدين الصحيح... الرب واحد، أب للجميع وعلى الجميع... لأن الكثير يسير ومن تحدثت عنهم كثيرا وغيرهم، أقول حتى باكياً، بآنهم آعداء المسيح لآن نهايتهم حتى الدمار. «الأنجيل الأعمال والرسل»	إلهك والرب إلهك اختارك شعباً مميزاً تحته وفوق كل الشعوب التي على وجه الأرض وستبلع أنت كل الشعوب التي سيعطيك إياها الرب ولن يكون في عيونك شفقة عليهم. ولكن الرب إلهك سيعطيهم لك وستفنيهم بدمار عظيم... وسيسلم ملوكهم بين يديك وستمحو أنت اسمهم من تحت السماء... وآي مكان تطأ عليه قدمك سيصبح لك... وحتى على أبعد البحار سيصبح لك شطآن... وفي تلك المدن التي سيمنحها لك الرب لا تبقي حياً أي شي يتنفس... وستعطي القروض شعوب كثير ولن تستدين آنت من آحد. وستدمر كل الأماكن حيث عبدت آلهتها الشعوب التي امتلكتها. كتاب «التثنية».

ببليوغرافيا

١- القضية اليهودية

Abrahams, Israel „Jewish Life in the Middle Ages"
Aronson, Chaim „A Jewish Life Under the Tsars: The Autobiography of Chaim Aronson. 1825—1888", Totowa N. J. 1983
Bakounine, Michel „Polémique contre les Juifs", 1869
Baroja, Julio Caro „Los Judios en la Espana Moderna y Contemporanea", Madrid 1978
Baron, Salo „Social and Religious History of the Jews", 1937
Bentwich, Norman „The Jews", 1934; „Judea Lives Again", 1943
Ben-Zohar, Michel „Les Vengeurs", Paris 1968
Бейлиса дело: „Дело Бейлиса. Стенографический отчет", 3 тома, Киев 1913 г.
Berger, Rabbi Elmer „The Jewish Dilemma", 1946; „A Partisan History of Judaism", 1951; „Who Knows Better Must Say So", 1956
Bernadotte, Count Folke „To Jerusalem", 1951
Bertuel, Jeseph „L'Islam, ses véritables origines", Paris 1981, 2 tomes (о еврейском происхождении ислама)
Brafmann, Jakob „Das Buch vom Kahal. Materialien zur Erforschung der jüdischen Sitten", Leipzig 1928
Brandeis, Louis Dembitch „Miscellanous Papers", 1935; „The Brandeis Guide to the Modern World", 1941
Brown, Bernard J. „From Pharaoh to Hitler", 1933
Burton, Sir Richard „The Jew, the Gypsy, and El Islam", Hutchinson 1898
Butz, A. R. „The Hoax of the 20 th Century", 1977
Chamberlain, Houston Stewart „Le Christ n'est pas Juif", Fontenay-sous-bois 1978; „Die Grundlagen des 19.Jahrhunderts", 1899 (10.Auflage 1914)
Chesterton, A K & Joseph Leftwich „The Tragedy of Anti-Semitism", 1948
Даль, Влад. Ив. „Записка о ритуальных убийствах", С.-Петербург, 1913
Dardenne, Henriette „Lumières sur l'affaire Dreyfus", Paris 1964
Drach, D. P. „De l'Harmonie entre l'Eglise et la Synagogue", 1844
Drumont, Edouard „La France juive", Paris 1885, 2 tomes
Edersheim, Alfred „The Life and Times of Jesus the Messiah", 1883
Eisenmenger, Johann Andreas „Entdecktes Judenthum", Frankfurt/Main 1700, Königsberg/Ostpr. 1711
Encyclopedia Judaica, Jerusalim 1971
Jewish Encyclopedia, New-York 1905, 1909, 1912, 1916
New Jewish Encyclopedia, New-York 1962
Universal Jewish Encyclopedia, 10 vol., New-York 1948
Fern, Athanasius „Jüdische Moral und Blutmysterium", Leipzig 1937
Ford, Henry „The International Jew", 4 vol. Dearborn 1920—22; „Der internationale Jude", Leipzig 1922 (немецкий перевод)
Форд, Генри „Международное еврейство", Берлин 1925
Forrest, Rev. A. C. „The Unholy Land", 1971
Franke, Arno „Staat im Staate. Das Wesen des jüdischen Geheimbundes, auf Grund der Brafmanschen Kahal-Akten gemeinverständlich dargestellt", Leipzig 1930 (см. Брафман)

Freedman, Benjamin H. „The Truth About Khazars", Los Angeles 1954
Freehof, Rabbi Solomon B. „Reform Jewish Practice", 1944
Funk, S. „Die Entstehung des Talmuds"
Gayre of Gayre, R „The Syro-Mesopotamian Ethnology as Revealed in Genesis X", 1973
Glubb, Brig.-Gen. Sir John „Peace in the Holy Land", 1971
Gold, Norman & Pritsak, Omeljan „Khazarian Hebrew Documents of the 10 th Century", Ithaca and London: Cornell University Press, 1982
Goldman, Nahum „Le Paradoxe juif", Paris 1976; „Das jüdische Paradox", Köln 1978
Goldman, Rabbi Solomon „God and Israel"
Goldstein, Dr. John „All the Doors Were Opened", 1955
Graetz, Heinrich „Geschichte der Juden", 11 Bände, 1853—1876; „Volkstümliche Geschichte der Juden", 1888
Грулев, М. „Записки генерала-еврея", Париж 1930
Haertle, Neinrich „Deutsche und Juden", Leoni 1977; „Was 'Holocaust' verschweigt", 1979
Harris, Maurice H. „Modern Jewish History", 1909
Hecht, Ben „A Jew in Love"
Hertzberg, Arthur „The French Enlightenment and the Jews", New-York 1968
Herzl. Theodor „Der Judenstaat", 1896
Hess Moses „Rom und Jerusalem, die letzte Nationalitätsfrage", 1862
Horstmann, Lali „We Chose To Stay", 1954
Hutchison, Cdr. E. H. „Violent Truce", 1956
Jeffries, J. M. N. „The Ralestine Deception", 1933; „Palestine, The Reality", 1939
John, Robert & Hadawi, S „The Palestine Diaries", 1970
Kastein, Josef „History and Destiny of the Jews", 1933
Kaufman, Theodore N. „Germany Must Perish", 1941
Kern Erich „Die Tragodie der Juden", Pr. Oldendorf 1979
Koestler, Arthur „Promise and Fulfilment, Palestine 1947—1949", 1949; „The Thirteenth Tribe", 1976
Laible, „Jesus Christus im Talmud"
Landrieux, Mgr „L'Histoire et les histoires dans la Bible"
Laurent, Achille „Relation historique des affaires de Syrie depuis 1840 puisq'en 1842; procédure complète dirigée en 1840 contre les Juifs de Damas à la suite de la disparition du Père Thomas", s.l. (о ритуальном убийстве в Дамаске, в 1840 г. Материалы процесса)
Lazare, Bernard „L'Antisémitisme", 1969; „Anti-semitism", 1903
Leese, Arnold S. „Jewish Ritual Murder", The Thunderbolt Inc., Marietta, Georgia 1938; „The Jewish War of Survival", Sons of Liberty, Hollywood, Cal. 1945
Levin, Meyer „In Search", 1950
Lèmann, Abbè „Napoléon Ier et les Israélites", Paris 1894
Lilienthal, Alfred „What Price Israel?", 1953; „There Goes the Middle East", 1957; „The Other Side of the Coin", 1965

Ljutostanski, J J „Leben und Treiben im judischen Kahal", 1934 (перевод книги Брафмана, см.) ترجمة كتاب برافمان
Lombarès, Michel de „L'Affaire Dreyfus. La clef du mystère", Paris 1972
Margoliouth, Moses „History of the Jews of Great Britain", 1857
Marr, Wilhelm „Der Sieg des Judenthums über das Germanenthum", 1879
Menuhin, Moshe „The Decadence of Judaism in Our Time"
Meyer, Eduard „Entstehung des Judenthums", 1896
Mocatta, David „The Jews in Spain and Portugal"
Montefiore, C. G. „Religion of the Ancient Hebrews", 1892
Oliver, Revilo P. „Christianity and the Survival of the West", 1973
Pinsker, Leon „Auto-Emancipation", 1881
Poncins, Vicomte Lèon de „La Mystérieuse internationale juive", Paris 1936; „Le Probléme juif face au Concile", 1965
Pranaitis, Pater J. B „Christianus in Talmude Judaeorum sive rabbinicae doctrinae de Christianis secreta", St. Petersburg 1892; „The Talmud Unmasked. The Rabbinical Teachings Concerning Christians", Liberty Bell Publications, Reedy, West Virginia, n.d (новейший англ. перев.)
„*Protocols des Sages de Sion*" (trad. Roger Lambelin), Paris 1921
„*Protocols of the Learned Elders of Zion*" (trans. Victor Marsden), n d
„*The Protocols and World Revolution*", Boston 1920
„*Die zionistischen Protokolle*" (Hrsg. Theodor Fritsch), Leipzig 1924
„*Die Geheimnisse der Weisen von Zion*" (Hrsg. Gottfried zur Beeck), Berlin 1919
„*Die echten Protokolle der Weisen von Zion Sachverständigen-Gutachten im Auftrage des Richteramtes V in Bern*", Erfurt 1935 (к процессу в Берне в 1935 г. против „клеветы о ритуальных убийствах")
حول محاكمة في برن في عام ١٩٣٥ ضد «الافتراء حول عمليات القتل الطقوسية»
Robertson, Wilmot „The Dispossessed Majority", 1972
Rodkinson, Michael Levi, „History of the Talmud", 1903
Rohling, Prof. Dr. August „Meine Antwort an die Rabbiner. 5 Briefe über den Talmudismus und das Blut-Ritual der Juden", Prag 1883; „Der Talmudjude", München 1871
Rosenblum, Morris „Peace Through Strength. Bernard Baruch and a Blueprint for Security", 1977
Roth, Cecil „A History of the Marranos", Philadelphia 1932
Rubens, William „Der alte und der neue Glaube im Judentum"
Rudolf, Erich „Ritualmord, Judentum und Freimaurerei", Berlin 1927
Samuel, Maurice „You Gentiles", 1924
Sanning, Walter N. „The Dissolution of Eastern European Jewry", Torrance, Cal. 1983
Sigilla Veri Lexikon der Juden, Leipzig 1929
Слиозберг, Г. Б. „Дела минувших дней. Записки русского еврея", 2 тома, Париж 1933
Шульгин, В В. „Что нам в них не нравится", Париж 1930
Skousen, W. Cleon „The Naked Capitalist", 1970
Smith, W. Robertson „The Prophets of Israel and Their Place in History", 1895
Stauf von der March, Ottokar „Der Ritualmord. Beiträge zur Untersuchung der Frage". Wien 1933

Strack, Hermann L. „Einleitung in den Talmud“, 1908; „Introduction to the Talmud and Midrash“, New-York 1980 (англ. перевод)
Toynbee, Arnold J. „The Modern West and the Jews“ (in vol. VII of „A Study of History“, 1954)
Utikal, Gerhard „Der jüdische Ritualmord. Eine nichtjüdische Klarstellung“, Breslau 1937
Weizman, Chaim „Trial and Error“, 1949
Wellhausen, J „Israelitische und jüdische Geschichte“, 1897; „Composition des Hexateuchs“, 1901
Wiliams, Robert H. „The Anti-Defamation League and Its Use in the World Communist Offensive“, Santa Ana, Cal. 1947
Zakarias, Hanna (Père Gabriel Théry) „De Moise à Mohammed“, 2 tomes, 1981 (les origines juives de l'Islam)

أ – المنظمات والحركات التخريبية في أوربة وأمريكا

Bakounine, Michel „Polémique contre les Juifs“, 1869
Barruel, S. J., Abbé Augustin „Mémoires pour servir à l'histoire du Jakobinisme“, 1797; nouvelle édition Chiré-en-Montreuil 1973
Bidegain, Jean „Le Grand Orient de France. Ses doctrines et ses actes. Documents inédits“. Paris 1905
Bord, Gustave „Conspiration révolutionnaire de 1789“
Bordiot, Jacques „Le Gouvernement invisible“, La Librairie Française, Paris 1983; „Une main cachée dirige...“. La Librairie Française, Paris 1974—76
Buchan, John „Oliver Cromwell“, 1934
Burke, Edmund „Reflections on the Revolution in France“, Regnery, Chicago 1955
Butler, Eric „The Red Pattern of World Conquest“
Caro y Rodriguez, Cardinal José Maria, Archbishop of Santiago, Chile „The Mystery of Freemasonry Unveiled. With a Reprint of Pope Leo XIII th Encyclical Humanum Genus“, Christian Book Club of America, Hawthorne Cal. 1971
Copin-Albancelli, „La Conjuration juive contre le monde chrétien“, Paris-Lyon 1909
Coston, Henry „La Conjuration des Illuminés“, La Librairie Française, Paris 1979; „Procès de Louis XVI et de Marie-Antoinette“, Paris 1981; „La République du Grand Orient Un Etat dans l'Etat, la Franc-Maçonnerie“, La Librairie Française, Paris 1976
Dillon, Monsignor George F. „Grand Orient Freemasonry Unmasked“, Britons Publishing Companu, London 1965(first edition 1950)
Disraeli, Benjamin „Coningsby“, 1844; „Life of Lord George Bentinck“, 1852
Druon, Maurice „Les Rois maudits“, Paris 1957, 7 tomes
Fay, Bernard „La Franc-Maçonnerle et la révolution intelectuelle du XVIIIe siècle“, Editions de Cluny, Paris 1942
Gaxotte, Pierre „La Révolution française“, Paris 1928
Herder, Johann Gottfried von „Untersuchungen des vergangenen Jahrhunderts“
Knupffer, George „The Struggle For World Power“, London 1971
Kuehnelt-Leddihn, Erik von „Die falsch gestellten Weichen. Der Rote Faden 1789—1984“, Wien 1985

Malon, Benoit „Esposé des Ecoles socialistes", 1872
Morley, John „Edmund Burke"
Morse, Rev Jedediah „Sermons", 1795—1799· „Proofs of the Early Existence, Progress and Deterious Effects of French Intrigue and Influence in the United States", 1789 (в статье о Морсе в «Амер. Энциклопедии» т. 19, Нью-Йорк 1968, стр 482—483, это произведение *не упоминается)*
Pearson, Hesketh „Disraeli"
Pinay, Maurice „The Plot Against the Church", Los Angeles Cal. 1967
Ploncard d'Assac, Jacques „Le Secret des Francs-Maçons", Editions de Chiré, Chiré-en-Montreuil 1979
Poncins, Vicomte Lèon de „Christianisme et Franc-Maçonnerie", Chiré-en-Montreuil 1972; „La Franc-Maçonnerie d'après ses documents secrets", 1972; „Top Secret. Secrets d'Etats anglo-américains", Chiré-en-Montreuil 1972; (et alia) „Infiltrations ennemies dans l'Eglise", Paris 1970; & Comte Emmanuel Malynski „La Guerre occulte", 1940
Oueensborough, Lady (Edith Starr Miller) „Occult Theocrasy", 1933 (new editions Los Angeles, Cal. 1968, 1976, 1980)
Robison, John „Proofs of a Conspiracy Against All the Religions and Governments of Europe, Carried On In the Secret Meetings of Free Masons, Illuminati and Reading Societies", Dublin 1798 (new edition Boston 1967)
Virebeau, Georges „Prélats et Francs-Maçons", La Librairie Française, Paris 1978
Webster, Nesta „The French Revolution", 1919; „World Revolution", 1921; „Secret Societies and Subversive Movements", 1924
Weishaupt, Adam „Einige Originalschriften des Illuminaten Ordens", 1787 (hrsg. von der bayerischen Regierung)

٣- السياسة الأوربية قبيل الحرب العالمية الأولى

Бок, М. П. „Воспоминания о моем отце П. А. Столыпине", Нью-Йорк, изд-во им. Чехова 1953
Farrer, J. A. „Die europäische Politik unter Eduard VII", (Übers. aus dem engl.), München 1925
Fischer, Fritz „Krieg der Illusionen. Die deutsche Politik von 1911 bis 1914", Düsseldorf 1969
Franzel, Emil „Kronprinzen-Mythos", Wien-München 1973
Hallmann, Hans (Hrsg.) „Zur Geschichte und Problematik des deutsch-russischen Rückversiche-rungsvertrages von 1887", Darmstadt 1968
Lichnowsky, Fürst „Auf dem Wege zum Abgrund", 2 Bände, Dresden 1927
Lonyay, Count Carl „Rudolf", 1950
Röhl, John „1914: Delusion or Design? The Testimony of Two German Diplomats", London 1973
Сазонов, С. Д. „Воспоминания", Париж 1927
Stieve, Friedrich (Hrsg.) „Der diplomatische Schriftwechsel Iswolskis 1911—1914", 5 Bände, Berlin 1924
Trautmann, Oskar P. „Die Sängerbrücke. Gedanken zur russischen Politik von 1870—1914", Stuttgart 1941

Vogel, Barbara „Deutsche Rußlandpolitik. Das Scheitern der deutschen Weltpolitik unter Bülow 1900—1906", Düsseldorf 1973
Waller, Bruce „Bismarck at the Crossroads. The Reorientation of German Foreign Policy After the Congress of Berlin 1878—1880", London 1974

٤- الحرب العالمية الثانية

Asquith, Lady Cynthia „Remember and Be Glad", 1952
Asquith, Lord „Memoirs and Reflections", 1928
Castex, Henri „Les Comités secrets, 1917; La paix refusée", Librairie Gedalge, 1972
Churchill, Winston „The World Crisis", 5 vol., 1923—1929
Garnett, David „Letters of T. E. Lawrence", 1938
Головин, ген. Н. Н. „Военные усилия России в мировой войне", 2 тома, Париж 1939
Lanne, Peter „Armenien: Der erste Völkermord des 20 Jahrhunderts", München 1977
Lloyd George, David „War Memoirs", 1936
Macphail, Sir A. „Three Persons", 1926
Repington, Colonel C. „The First World War", 1921
Robertson, Sir William „Soldiers and Statesmen, 1914—1916", 1926
Suchomlinow, General W A. „Erinnerungen", Berlin 1924
Wilson, Sir Henry „Life and Diaries", 1927

٥- الثورة في روسيا وألمانيا - الحرب الأهلية في روسيا

Аронсон, Григорий „Россия накануне революции», Нью-Йорк 1962 (о роли масонов)
„Архив русской революции", Гассен И. В. (изд.), Берлин 1928
Brasol, Boris L. „The World at the Crossroads", 1921
Деникин, генерал А. И. „Путь русскаго офицера", Нью-Йорк 1953; „Очерки русской смуты", 5 томов, Париж—Берлин 1921—1926; „Брест—Литовск", Париж 1933; „Старая армия", 2 тома, Париж 1929—1931
Дрейер, генерал В. Н. фон „На закате империи", Мадрид 1965
Ehrt, Adolf „La Terreur rouge. Révélations sur l'organisation bolcheviste en Russie, en Allemagne et en France", Paris 1934
Геруа, ген. штаба ген.-майор Борис Владимирович, „Воспоминания о моей жизни", Париж 1970
Gilliard, Pierre „Le Tragique destin de Nicolas II et de sa famille", Paris 1921
Жильяр, Пьер „Трагическая судьба русской императорской фамилии", Франкфурт/М., изд-во „Посев" 1973; „13 лет при русском дворе", Париж б. д.
Goulévitch, Arsene de „Czarism and Revolution", 1962
Gourko, General Basil „War and Revolution in Russia, 1914—1917", New York, Macmillan 1919
Grey, Marina (fille du général Dénikine) & Jean Bourdier, „Les Armées blanches", Paris 1968
Hahlweg, Werner „Lenins Rückkehr nach Rußland 1917" Leiden 1957
Катков, Г. М. „Февральская революция", Париж 1984

Курлов, генерал П. Г. „Гибель императорской России“, Берлин 1923
Levinė-Meyer, Rosa „Leviné the Spartacist“, London—New York 1978
Маклаков, В. А. „Первая Государственная Дума (Воспоминания современника)“, Париж б. д.; „Вторая Государственная Дума“, Париж б. д.
Мельгунов, С. П. „На путях к дворцовому перевороту. Заговоры перед революцией 1917 г.“, Париж 1931; „Как большевики захватили власть. Октябрьский переворот 1917 г.“, Париж 1953; „Судьба императора Николая II после отречения», Париж 1951
Mitchell, Allan „Revolution in Bavaria 1918/17. The Eisner Regime and the Soviet Republic“, Princeton 1965; (dtsch. Übers.) „Revolution in Bayern 1918/19. Die Eisner-Regierung und die Räterepublik“, München 1967
Nicolas Mikhailovitch, Grand-Duc „La Fin du Tsarisme“, Paris 1968
Netchvolodoff, A. „L'Empereur Nicolas II et les Juifs“, Paris 1924
„Октябрьская революция. Революция и гражданская война в описаниях белогвардейцев“ (сост. С. А. Алексеев), Госуд. Изд-во, Москва—Ленинград 1926
Павлов, подполк. В. Е. (сост.) „Марковцы в боях и походах за Россию в освободительной войне 1917—1920 годов“, Париж 1962
Raupach, Robert von „Russische Schatten“, Leipzig 1939
Robien, Comte Louis de „Journal d'un diplomate en Russie (1917—1918)“, Paris 1967
Senn, Alfred Erich, „The Russian Revolution in Switzerland, 1914—1917“, 1971
Шавельский, о. Георгий „Воспоминания последнего протопресвитера русской армии и флота», 2 тома, изд-во им. Чехова, Нью-Йорк 1954
Шульгин, В. В. „Что нам в них не нравится“, Париж 1930
Соколов, Н. „Убийство Царской семьи“, Буэнос-Айрес 1969
Солженицын, Александр „Красное колесо, узел I: Август четырнадцатого“, 2 тома, Париж 1983; „Ленин в Цюрихе“, Париж 1975
Спиридович, ген. А. И. „Партия социалистов-революционеров и ея предшественники“, Петроград 1918; „Великая война и февральская революция 1914—17 гг.“, Нью-Йорк 1960
Spiridovitch, Général Alexandre „Histoire du terrorisme russe, 1868—1917“, Paris 1930; „Les Dernières années de la Cour de Tsarskoe Selo“, Paris 1928; „Rasputin“ (dtsch.), Bern—Stuttgart 1939
Stolypine, Alexandra „L'Homme du dernier Tsar“, 1931
Stolypine, A. „Contre-révolution“, 1937
Summers, Anthony & Mangold, Tom „The File on the Tsar“, London 1977
Sutton, Anthony „Wall Street and the Bolshevik Revolution“, 1974
Thierry, Jean-Jacques „Anastasia. La Grande-Duchesse retrouvée“, Paris 1982
Тимошенко, С. „Воспоминания“, Париж 1963 (о „самостийной Украине“ в 1918 г.)
Валентинов, В. „Малознакомый Ленин“, Париж 1972
Вильтон, Роберт „Последние дни Романовых“, Берлин 1923
Wilton, Robert „Last Days of the Romanoffs“, (last edition) Christian Book Club of America, Hawthorne Cal. 1969

Войцеховский, С. Л. „Эпизоды“, Лондон 1978 (о масонах · в русской революции)
Врангель. бар Людмила „Воспоминания и стародавние времена“, Вашингтон 1964
Врангель, генерал бар. П. Н. „Воспоминания“, (новое издание) изд-во „Посев“, Франкфурт 1969
Zeman, Z. A. B. (ed.) „Germany and the Revolution in Russia, 1915—1918. Documents from the Archives of the German Foreign Ministry“, London 1958

٦- فتـرة ما بين الحرب - الحرب العالمية الثانية - الإعداد والنتائج

Ahrens, Wilfried „Verbrechen an Deutschen. Dokumente der Vertreibung“, Arget 1983
Allen, Gary „None Dare Call it Conspiracy“, 1971
Arraras, Joaquin „Francisco Franco. The Times and the Man“, (English translation), Milwaukee 1938—39
Bavendamm, Dirk „Roosevelts Weg zum Krieg. Amerikanische Politik 1914—1939“, München—Berlin 1983
Beale, F. J. P. „Advance To Barbarism“, New York 1955
Beamish, Tufton M. P. „Must Night Fall“, 1951
Bealy, John „The Iron Curtain Over America“, 1951
Belgion, „Montgomery“
Ben-Zohar, Michel „Les Vengeurs“, Paris 1968
Benson, Ivor „Undeclared War“, 1978
Bethell, Lord Nicholas „The Last Secret. Forcible Repatriation to Russia 1944—1947“, London 1974
Buber-Neumann, Margarete „Als Gefangene bei Stalin und Hitler“, 1949; „Which Was the Worst?“
Butcher, Harry C. „My Three Years With Eisenhower“, 1946
Butz, A. R. „The Hoax of the 20 th Century“, 1977
Chesterton, A. K. „The New Unhappy Lords“, 1969
Churchill, Winston „The Second World War“, 6 vol., 1948—53
Chutter, Rev. James B. „Captivty Captive“, 1954
Clifton, Brigadier George „The Happy Hunter“, 1952
Clostermann, Pierre „Flames in the Sky“, 1952
„*Conferences at Malta and Yalta*“, U. S. State Dept., 1955
Dall, Colonel Curtis „F. D. R. My Exploited Father-in-Law“, 1968
Деникин, генерал А. И. „Мировыя события и русский вопрос“, Париж 1939
Dewhurst, Brig. C. H. „Close Contact“, 1954
Diwald, Hellmut „Geschichte der Beutschen“, Frankfurt/Main—Berlin—Wien, 1978. (حول طرد اليهود وعن غرف الغاز انظر الصفحة ١٦٥- ١٦٤وبناء على طلب الأوساط اليهودية
ودار النشر «بروبيلي» كان حسب ذلك على المؤلف أن يعيد كتابه الصفحتين من جديد باستثناء ما ذكر عن
عدم وجود «الغرف الغازية في معسكرات الاعتقال الألمانية»)
„*Dokumentation der Vertreibung der Deutschen aus Ost-Mitteleuropa*“, 2 Bände, hrsg. vom Bundesministerium für Vertriebene, Wolfenbüttel, o. D.

Eisenhower, Dwight D. „Crusade in Europe", 1948
Faurisson, Robert „Mémoire en défense contre seux qui m'accusent de falsifier l'Histoire. La question des shambres à gaz", Paris 1980; „Réponse à Pierre Vidal-Naquet", Paris 1982
Field, Carter „Bernard Baruch, Park Bench Statesman", 1944
Fish, Hamilton „Tragic Deception. FDR and America's Involvement in World War II", Old Greenwich, Conn. 1983
Forrest, Rev A. C. „The Unholy Land", 1971
Glubb, Brig.-Gen. Sir John „Peace in the Holy Land", 1971
Goldmann, Hahum „Le Paradoxe juif", Paris 1976; „Das jüdische Paradox", Köln 1978
Grenfell, Russell „Unconditional Hatred", 1955
Griffin, Edward „The Fearfull Master"
Haertle, Heinrich „Was 'Holocaust' verschweigt", 1979
Hesse, Fritz „Das Vorspiel zum Kriege. Englandberichte und Erlebnisse eines Tatzeugen, 1935—1945, Leoni 1979
„*Hitlers Generäle und ihre Schlachten*", Bayreuth, 1978 (الترجمة الألمانية هو عمل
مشترك تاريحي رائع لمجموعة مؤرخين أنكلو أمريكيين والخبراء العسكريين، وحيث الجملة الأخيرة فيها تقول:
((بشكل عام وكامل من الممكن القول بأنه في جميع الجيوش التي حاربت ضد هتلر لم يكن هناك موجوداً عدد من
" الجنرالات الموهوبين بشكل يضاهي العدد الموجود في الجيش الألماني)).)
Hoggan, David „Der erzwungene Krieg. Die Ursachen und Urheber des 2. Weltkrieges", 11. Auflage, Tübingen 1971; „Frankreichs Widerstand gegen den 2. Weltkrieg", Tübingen 1963 (Оба труда современного американского историка опубликованы впервые в Германии в немецком переводе, т. к. в США и в Англии для них „не нашлось издателя")
Horn, General Carl von „Soldiering for Peace", 1966
Hull, Cordell „Memoirs", 1948
Hulme, Kathryn „The Wild Place", 1953
Hunt, Frazier „The Untold Story of Douglas Mac Arthur", New York 1954
Hutchison, Cdr. E. H. „Violent Truce", 1956
Irving, David „The Destruction of Dresden"; „Accident. The Death of General Sikorski", „Hitler's War"; „The War Path", London 1978; „Winston Churchill" (in preparation)
Jeffries, J. M. N. „The Palestine Deception", 1933
John, Robert & Hadawi, S. „The Palestine Diaries", 1970
Jordan, George Racey „From Major Jordan's Diaries", 1952
Kaufman, Theodore N. „Germany Must Perish", 1941
Kelley, Francis Clement „Blood-Drenched Altars. Mexican Study and Comment", Milwaukee 1935 (о кровавых преследованиях христиан и трехлетней войны 1926—29 гг. масонского правительства в Мексике против собственного народа)
Kern, Erich „Dance of Death", 1952
Kleist, Peter „Die europäische Tragödie", Pr. Oldendorf 1971
Kluge, Dankwart „Das Hoßbach-'Protokoll'. Die Zerstörung einer Legende",

Leoni (الوثيقة المزيفة عن «التحضير للحرب العالمية» والتي على أساسها جرى تجهيز والنطق بأحكام الإعدام في نيورنبيرغ عام ١٩٤٦.).

Koestler, Arthur „Promise and Fulfilment. Palestine 1947—49", 1949

Komorowski, E. A. „Night Never Ending", New York 1974 (Katyn Murders)

Lane, Arthur Bliss „I Saw Poland Betrayed", 1948

Launay, Jaques de „Histoire de la diplomatie secrète, 1789—1965", 5 tomes, Nyon (Suisse), 1973—74

Lerma, Duke of „Combat Over Spain. Memoirs of a Nationalist Fighter Pilot, 1936—1939", New York 1966

Liddel Hart, Sir Basil H. „History of the Second World War", New York 1970

Lilienthal, Alfred „There Goes the Middle East", 1957; „The Other Side of the Coin", 1965

Mackiewicz, Joseph, „The Katyn Wood Murders", London n. d.

Manly, Chesly „The U. N. Record", 1955

Marshall, Bruce „The White Rabbit", 1952

Maser, Werner „Nürnberg. Tribunal der Sieger", Düsseldorf-Wien 1977; „Adolf Hitler. Legende, Mythos, Wirklichkeit", München 1971

Massing, Hede „This Deception", 1951

McCullagh, Captain Francis „Red Mexico. A Reign of Terror in America", New York — London 1928

Meyer, Jean „Apocalypse et révolution au Mexique. La Guerre des Christeros (1926—1929)", Paris 1974

Morgenthau Jr., Henry „Germany Is Our Problem", New York — London 1945

„*Das Morgenthau-Tagebuch. Dokumente des Anti-Germanismus*", Hrsg. Hermann Schild, Leoni 1970

Mosley, Sir Oswald „My Life", London 1968

Moss, W. Stanley „A War of Shadows", 1952

Northcliffe, Lord „My Journey Round the World", 1923

Picker, Dr. Henry „Hitlers Tischgespräche im Führerhauptquartier", Wiesbaden 1983

Ploncard d'Assac, Jacques „Salazar", (2e édition) Paris 1983

Quigley, Caroll „Tragedy and Hope", 1966

Rassinier, Paul „Les Responsables de la seconde guerre mondiale", Paris 1967

Reed, Douglas „Insanity Fair", 1938; „Disgrace Abounding", 1939; „Lest We Regret", 1943; „Somewhere South of Suez", 1949; „Far and Wide", 1951; „The Battle for Rhodesia", 1966; „The Siege of Southern Africa", 1974; „Behind the Scene", 1975; „The Grand Design of the 20 th Century", 1977

Ribbentrop, Joachim von „Zwischen London und Moskau. Erinnerungen und letzte Aufzeichnungen", hrsg. von Annelies von Ribbentrop, Leoni 1961

Ribbentrop, A von „Deutsch-englische Geheimverbindungen. Britische Dokumente der Jahre 1938 und 1939 im Lichte der Kriegsschuldfrage", Wuppertal 1967

Rzewuski O. P., Comte Alex-Ceslas „A Travers l'invisible cristal", Paris 1976

Saunders, Hilary St. George „The Red Beret", 1950

Sheean, Vincent „Personal History"

Sherwood. Robert A. „Roosevelt and Hopkins", 1948
Smith, Fred „Morgenthau Plan, Its History", in „U. N. World", March 1947
Smith. Merriman, „Thank You, Mr. President", 1946
Smuts. J. C. „Life of Jan Christian Smuts", 1952
Stimson, Henry L „On Active Service in Peace and War", 1947
Stormer, John A. „None Dare Call It Treason", 1964
Szembek, Comte Jean „Journal 1933—1939", Paris 1952
Tansill, Charles Callan „Back Door To War. Roosevelt Foreign Policy, 1933—1941", Chikago 1952
Thion, Serge „Vérité historique ou vérité politique? Le dossier de l'affaire Faurisson La question des chambres à gaz", Paris 1980
Thorwald, Jürgen „Die große Flucht", Locarno 1979
„*Times, Official History of*", 1952
Tolstoy, Nicholas „Victims of Yalta", 1977
Untermeyer, Samuel „Text of Samuel Untermeyer's 'Sacred War' Speech August 7, 1933, Upon His Return From the World-Wide International Jewish Boycott Conference At Amsterdam, Holland" and Father Coughlin's Comments March 16, 1942, n. p. n. d.
Wise, Rabbi Stephen „Challenging Years", 1949
Zawodny, J. K. „Death in the Forest", 1962; „Nothing But Honour", 1978
„*Zwei deutsche Friedensvorschläge 1936/1939*", Witten 1982

٧- إنكلترا - الولايات المتحدة - التاريخ - السياسة - المجتمع

Adams, James Truslow „The Epic of America", 1931
Adams, President John „Works", 1850—1856
Allen, Gary „None Dare Call It Conspiracy", 1971
Anonymous (*E. M. House*) „Philip Dru, Administrator", 1912
Benson, Ivor „The Opinion Makers", 1966; „Undeclared War", 1978
Butler, General Sir William „Autobiography"; 1911
Carter, Hodding „The Aspirin Age", 1949
Chambers, Whittaker „Witness", 1952
Connell, Brian „Manifest Destiny. A Study of the Mountbatten Family", 1953
Cowles, Virginia „Winston Churchill"
Dall, Colonel Curtis „F. D. R. My Exploited Father-in-Law", 1968
Davis, Forrest „Huey Long", 1935
Dugdale, Blanche E. C. „Life of a A. J. Balfour", 1948
Flynn, John T. „The Roosevelt Math", 1948
Forrestal, James „The Forrestal Diaries", 1951
Grimble, Sir Arthur „A Pattern of Islands", 1952
Hamilton, Alexander „Works", 1886—1887
Hobson, J. A. „The War in South Africa", 1900
House, E. M. „Private Papers of Colonel House", 1926
Howden, Arthur D. „Mr. House of Texas", 1940
Josephson, Emanuel M. „The Strange Death of Franklin D. Roosevelt", New York 1948
Lambert, R. S. „For the Time Is At Hand" (life of Henry Wentworth Monk), 1947
Long, Huey „My First Week in the White House"
Lothian, Sir Arthur „Kingdoms of Yesterday", 1951

MacLean, Fitzroy „Eastern Approaches", 1949
Omlor, Patrick Henry „The Hundred Years' Hoax. The Civil Rights' Movement 1866—1966", Menlo Park, Cal. 1966
Pepper, Senator George Wharton „Philadelphia Lawyer", 1944
„Report of the Canadian Government Royal Commission", 1946 (дело Игоря Гузенко)
„Report of the Subcommittee of the U. S. House of Representatives", 1947 (The ADL „Black List")
Robertson, Wilmot „The Dispossessed Majority", 1972
Roosevelt, F. D. „Personal Letters" (Samuel Rosenman, ed.), 1947
Sherwood, Robert A. „Roosevelt and Hopkins", 1948
Simpson, Cornell „The Death of James Forrestal, First Secretary of Defense", 1966
Skousen, W. Cleon „The Naked Capitalist", 1970
Smith, Merriman „Thank You, Mr. President", 1946
Smuts. J. C. „Life of Jan Christian Smuts", 1952
Stimson, Henry L. „On Active Service in Peace and War", 1947
Stormer, John A „None Dare Call It Treason", 1964
Strachey, Lytton „Eminent Victorians", 1918 (Cardinal Manning)
Taft, Senator Robert „A Foreign Policy for Americans", 1952
Taylor, R. C. „Winston Churchill", 1952
„Times, Official History of, 1922—1948", 1952
Washington, President George „Writings", 1837
Williams, Robert H. „The Anti-Defamation League and Its Use in the World Communist Offensive", Santa Ana, Cal. 1947
Wise, Rabbi Stephen „Challenging Years", 1949

٨- البلشفية - الشيوعية - الدولة السوفييتية

Bajanov, Boris „Bajanov révèle Staline", Paris 1979 (французский перевод «Воспоминнаний бывшего помощника Сталина")
Боголепов, проф. А. А „Церковь под властью коммунизма», изд. Ин-та по изучению СССР, Мюнхен 1958
Borkenau, F. „The Communist International", London 1938
Buber-Neumann, Margarete „Als Gefangene bei Stalin und Hitler", 1949
Bunyan, James „The Origin of Forced Labor in the Soviet State 1917—1921", Baltimore 1967
Butler, Eric „The Red Pattern of World Conquest"
Dallin, David J. & Nikolaevsky, Boris „Forced Labor in Soviet Russia", Yale University Press 1949 (dtsch. Übers.) „Arbeiter oder Ausgebeutete. Das System der Arbeitslager in Sowjetrußland", München 1948
Gerson. Lennard D. „The Secret Police in Lenin's Russia", Philadelphia 1976.

هذا العمل الوثائقي الضخم والجيد يمر صامتاً على دور اليهود في جهاز الإرهاب السوفييتي. بل ويتهرب من ذكر الأسماء اليهودية ويكتفي بالأسماء الروسية والبولندية واللاتفية. وتحدث بإسهاب عن وحشية فرع الأمن في خاركوف عام ١٩١٩، ويصمت عن الوحشية الأشد في فرع كييف والذي كان في قيادته ٢٣ يهودياً من أصل ٢٥ قيادي. (انظر شتوليغين ف. ف. ((ما الذي لا يعجبنا فيهم)) الذي ظهر في باريس عام ١٩٣٠، والذي لم يجري ذكره في مراجع غيرسون.

Gouzenko, Igor „The Fall of a Titan", 1954

Kravchenko, Viktor „I Chose Freedom", 1946; „*Ich wählte die Freiheit*", Hamburg 1946
Krivitsky, General Walter „In Stalin's Secret Service", 1939
Lyons, Eugene „Our Secret Allies: The Russian Peoples", New York 1953
Melgounov, S. P. „La Terreur rouge en Russie (1918—1924)", Paris 1927 (французский перевод русск. орининала „Красный террор"); „The Red Terror in Russia", London 1926 (англ. перев.)
Myagkow, Alexis „Inside the K. G. B.", London 1976; „Un officier du KGB parle", Paris 1977 (франц. перев.)
Poncins, Vicomte Léon de „Histoire du communisme de 1917 à la deuxième guerre mondiale", Chiré-en-Montreuil 1973
Reports, Collection of; Bolshevism in Russia. British Government's Stationary Office, 1919
„*Report of the Canadian Government Royal Commission*", 1946
Rounds, Frank „A. Window on Red Square", 1953
Шульгин, В. В. „Что нам в них не нравится", Париж 1930 (переиздано заново)
Солженицын, Александр „Архипелаг ГУЛАГ" в 3 томах, Париж, 1973
Solzhenitsyn, Alexander „The GULAG Archipelago", 1974
Tolstoy, Nicholas „Victims of Yalta", 1977
Voslensky, Michael „Nomenklatura. Die herschende Klasse der Sowjetunion", Wien-München-Zürich 1980
Zawodny, J. K. „Death in the Forest", 1962

المحتويات

منشورات دار علاء الدين في مجال السياسة والدراسات الفكرية

- كمب ديفيد
  .... أ. زاخاروف، أ. فومين
- المثقفون السودانيون والطائفية الميرغنية المهدوية
  .... خليفة خوجلي
- رقعة الشطرنج العظمى
  .... زبيغنييف بريجنسكي
- في الثقافة السياسية
  .... د. حسن حنف
- البلدان النامية
  .... إ. س. نورتيانيكوف
- التعاون بين إسرائيل ونظام جنوب أفريقيا
  .... اليزابيت [illegible]
- الأسرار والخفايا السياسية لحرب الأيام الستة
  .... حان دزيدريك، تادوز والشوفسكي
- نظرية الدولة في الفكر العربي المعاصر
  .... د. محمد علي حمعة
- الموساد أفعى الإرهاب الإسرائيلية
  .... دنس ايزنبرغ، يوري دان، آيلي لاندو
- البيت الأبيض وأسرار المخابرات الأمريكية
  .... ف ف. بتروسينكو
- الإيديولوجية اليهودية
  .... مميد عرنوق
- المجابهة الفرنسية السورية في عهد الانتداب ١٩٢٥ ١٩٢٧
  .... لانكا بوكوفا
- مذكرات عن الانقلاب العسكري
  .... ميخائيل غورباتشوف
- إكليل الشوك الروسي التاريخ السري للماسونية
  .... و. أ. بلاتونوف
- دراسات شرق أوسطية
  .... فرد هوليداي
- المخابرات الإسرائيلية أسرار وحقائق
  .... قصي عدنان عباسي
- إسرائيل خمسون عاماً من العدوان
  .... قصي عدنان عباسي
- البنية السكانية للعرب في فلسطين
  .... ل. أ. باركوفسكي
- الأحزاب الصهيونية وعملية السلام
  .... محمد سليمان حسن
- الأخوة كينيدي
  .... أ. غروميكو، أ. كوكوشين
- تاريخ روسيا الحديثة من يلتسين إلى بوتين
  .... ليونيد مليتشين
- الأساطير والحقائق عن عائلة ستالين
  .... أ. ن. كالوسينك
- العالم الجديد في المنظور الثوري
  .... أحمد حسن الصقرة
- قضايا النهضة
  .... جاد الكريم الجباعي
- اليمين واليسار في الفكر الديني
  .... حسن حنفي
- العولمة والقيم
  .... حيدر حميد الدهوي
- انتحار الحزب الشيوعي السوداني
  .... خليفة خوجلي
- العراق صفحات من التاريخ السياسي
  .... د. كاظم الموسوي
- تجارة الأسلحة في الخليج العربي
  .... رحيم كاظم الهاشمي
- خيارات إيران المعاصرة تغريب أسلمة ديمقراطية
  .... وليد المبيض، جورج كتن

الجدل حول صهيون

هذا الكتاب هو إعادة نظر جذرية للتاريخ الحديث انطلاقاً من أهم المشكلات والمسائل الدينية والسياسية لعصرنا الحديث، مستنداً على رؤية تحليلية تناولت المعتقدات اليهودية منذ عصر موسى والتوراة وكتب الشريعة، فاضحاً هذه العقيدة المضادة لكل الأديان والداعية إلى مبدأ الانعزال والانزواء والكره العرقي والتعطش للدم تحت ستار الدين والثأر.

وينتقد الكنيسة المسيحية التي اعتبرت العهد القديم مقدساً كما العهد الجديد، حيث كان هو السبب الرئيس للخلافات الحادة التي عصفت وأدت إلى الانقسامات فيها، فكيف يمكن التوفيق بين إله محب للجميع من جهة، وإله يدعو إلى تدمير الآخرين وأخذ ممتلكاتهم من جهة آخرى، وتلمود إرهابي يرتكز على الوشاية والطرد والنبذ وأحكام الموت.

لقد سرد المؤلف صورة القرن العشرين كمشترك حقيقي في الأحداث التي كانت مخفية، وفاضحاً المعتقدات التي ولدت في الماضي السحيق ونمت على أيدي كهنة منافقين وهمجيين، وصولاً إلى الأيام المعاصرة لتضغط على رقبة العالم على شكل حركة سياسية مدعومة بأموال طائلة ونفوذ واسع لا محدود في جميع العواصم العالمية، ولتضع مصير البشرية على كف عفريت ينذر بالموت والدمار.



يطلب الكتاب على العنوان التالي : دار علاء الدين للنشر والطباعة والتوزيع
سوريا - دمشق ص.ب: ٣٠٥٩٨ هاتف: ٥٦١٧٠٧١ فاكس: ٥٦١٣٢٤١